

Sharh EL-Tahawia

جامع شروح

العقيدة الطحاوية





مع تعليقات

العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز

العلامة محمد ناصر الدين الألباني

العلامة صالح بن فوزان الفوزان

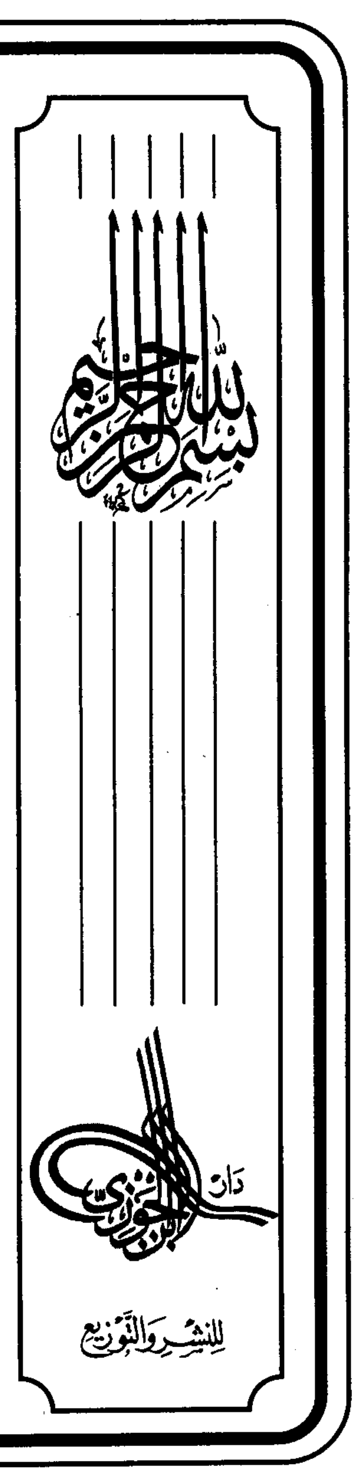




الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٣٢٣





جمهورية مصر العربية - القاهرة
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

جامع شروح

العقيدة الطحاوية

على شرح الإمام العلامة

أبي الحسن علي بن علاء الدين

المعروف بابن أبي العز الحنفي

للعلامة الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

تعليقات

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

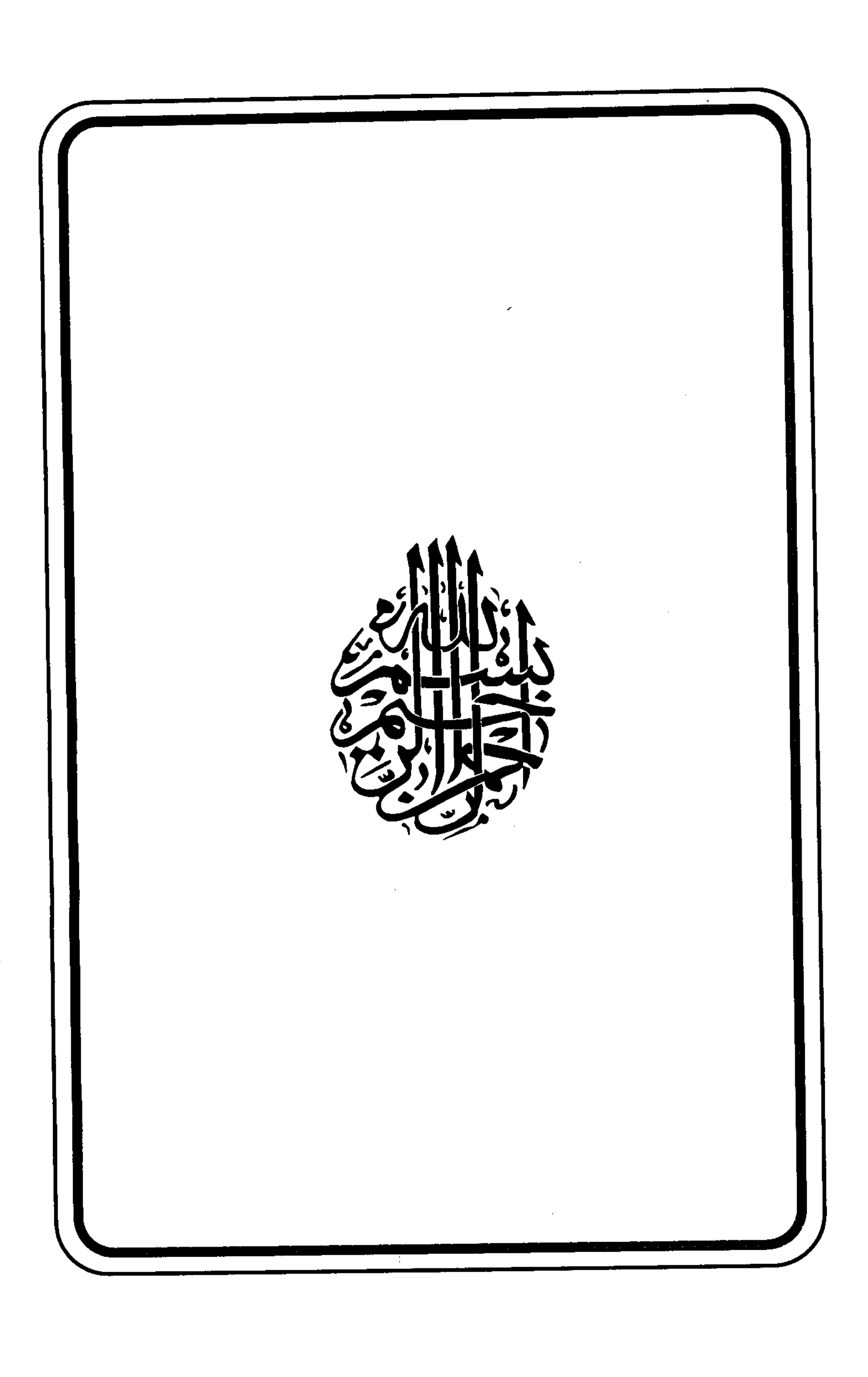
العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

المجلد الأول

دار ابن الجوزي

القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

ثم أما بعد: فحرصًا منا على نشر العقيدة الصحيحة الموافقة لمنهج السلف الصالح، فقد أسندنا إلى أخونا الفاضل الأستاذ محمد حسين صاحب ومدير مكتب التبيان للصف والمراجعة والإخراج الفني مهمة إخراج أحد أمهات كتب العقيدة الإسلامية في ثوب جديد، فما كان منه إلا أن أعمل فِكره مقدمًا لنا هذا الكتاب المبارك الجامع لبعض شروح العقيدة الطحاوية.

وإن مكتبة ابن الجوزي بالقاهرة معروفة منذ إنشائها بنشرها للتراث الإسلامي بأنواعه المختلفة؛ من لغة وأدب وعقيدة وفقه وحديث، وما كل هذا منَّا إلا مشاركة في نشر الإسلام بتعاليمه الصحيحة نقي عن أي شوائب تحيط به.

ومن ثم رأينا أن علينا واجبًا في نشر العقيدة الصحيحة، وخدمة طلاب العلم، فكان لنا شرف نشر (شرح العقيدة الواسطية، وتقريب التدمرية، والقواعد المثلى في شرح الأسماء الحسنى، وشرح العقيدة السفارينية...).

ونحن على هذا الطريق إن شاء الله سائرين، وهدفنا هو إخراج التراث الإسلامي في صورة طيبة ونافعة، الواحد تلو الآخر؛ ليكون سهل المأخذ قليل الكلفة على طلبة العلم.

ونحن إذ نقدم هذا العمل نرجو من الله تعالى القبول والتوفيق والسداد.

والحمد لله رب العالمين.

الناشر

مقدمة

إن الحمد لله نحمده نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

فلما كان أهم ما أسس الإنسان وبنى هو نفسه، ولما كانت العقيدة هي أساس ذلك البناء الذي عليه تقوم وتبنى الأمم فقد اهتم علماء الإسلام على مر العصور بهذا الجانب، فصنَّفوا فيه التصانيف الكثيرة، وكلما بدت بدعة أو عمَّ الناس فكر مخالف للكتاب والسنة مُهدِّد لبناء الفرد المسلم همَّ دعاة السنة ينافحون عن أصول هذا الدين من ذلك الفكر الدخيل، موضحين مدى قبح هذا الفكر ومخالفته للكتاب والسنة أو مدى بعده عنهما.

ومن هذه المؤلفات ما ألفه رجلٌ من كبار أئمة الإسلام وعلم ومن أعلام السنة

ألا وهو الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى، فقد ألف مختصرًا في عقيدة الإمام أبي حنيفة النعمان وأصحابه، مُتَّفِقٌ مع مذهب السلف الصالح وأهل السنة العاملين.

وقد شاع صيت هذا المختصر في الأقطار الإسلامية -فراح العلماء ما بين ناظم له وشارح- لأسباب عدِيدة:

- منها: أن مؤلِّفه من كبار أئمة السنة والحديث.

- ومنها: ما تضمنه من جمع لأغلب أبواب العقيدة وما اعتقده فيها الإمام أبو حنيفة وصاحبيه.

- ومنها: موافقته (في مجمله) لمذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح من الصحابة والتابعين.

- وعلى هذا فقد حظي هذا المختصر بحفاء بالغ من العلماء وطلبة العلم، فقد شرحه قديمًا -كما ذكر صاحب كتاب كشف الظنون- سبعةٌ من علماء الأحناف في مختلف الأزمان:

١- محمد بن أحمد الحنفي القونوي، المتوفى سنة ٧٧٠هـ، صدَّر شرحه بقوله: حمدًا لله المتوحِّد بكمال صمديته.

٢- المولى أبو عبد الله محمود بن محمد بن أبي إسحاق، الفقيه الحنفي، صدَّر شرحه بقوله: الحمد لله الذي هدانا لهذا.

٣- شجاع الدين هبة الله التركستاني، سنة ٧٣٦هـ.

٤- نجم الدين بكبرس بالتركي، المتوفى سنة ٩٥٢هـ.

٥- القاضي سراج الدين عمر بن إسحاق الهندي، الحنفي، المتوفى سنة ٧٧٣هـ، ورتب الأصل على مقدمة ومهمات وتتمة، وفي مقدمته عشر تنبيهات.

٦- المولى كافي الحسن البسنوي الأقحصاري، المتوفى سنة ١٠٢٥ هـ.

٧- وصدر الدين علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي الدمشقي، الحنفي، المتوفى سنة ٧٩٢هـ[١].

وقد حظى هذا الشرح الأخير بكثير من التعليقات والهوامش والحواشي، ولا سيما في هذا العصر الحاضر، وذلك لأمور:

لأنه «يندر أن يؤلف مثله في دقته وعمقه، وتحقيقه وبيانه، والتزامه مذهب السلف الصالح، من غير حيدة عنه، ولا تأول ولا تمحل»[٢].

ثم في العصر الحاضر كثر اعتناء العلماء بشرح هذا المتن المبارك، فراح علماء السنة في مشارق الأرض ومغاربها يدرِّسونه في المعاهد العلمية والدروس في المساجد، مما يظهر مدى أهمية هذا المتن المبارك، ومن أثمن الشروح لهذا المتن المبارك شرح العلامة معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد حفظه الله.

وامتاز شرح الشيخ حفظه الله بما يلي:

١- الإسهاب في مواضع، اختصر فيها أو أهمل شرحها الإمام أبو العز الحنفي رحمه الله.

٢- كثرة التدليل والرد على الفرق الضالة.

٣- قوة الردود على المخالفين، معتمدًا على الدليل من الكتاب والسنة، موضحًا عدم مخالفة الأدلة النقلية للدلالة العقلية.

---

(١) على الصحيح كما حقق ذلك العلامة أحمد محمد شاكر في بداية تحقيقه للشرح المذكور.

(٢) مقدمة الشيخ العلامة أحمد محمد شاكر لتحقيقه على شرح أبي العز الحنفي للطحاوية، ص٤، طبعة مكتبة أنس بن مالك، سنة ١٤٠٠هـ.

٤- حسن التقسيم، وكثرة التقسيمات في الشرح؛ مما يسهل على طالب العلم مراجعة المسائل وحفظها إن شاء.

٥- تقسيم النقاط المهمة إلى مسائل، مما يتيح الفرصة لدراساتها دراسة وافية، وتسهل على طالب العلم فهمها واستوعابها.

٦- استوعب كثيرًا من القضايا الحديثة التي تمر بنا اليوم، وتُعرِّض تصوراتنا العقدية للتميع في ظل الواقع المعاصر.

٧- كثرة الأسئلة الخاصة بكل جزء من المتن مما يزيل أي شبهة تعلُق في ذهن الطالب.

وقد أغفل فضيلة الشيخ حفظه الله شرح جزء من المتن، فلم نعثر عليه في الأشرطة ولا في التفريغ، وهو بداية من قول الطحاوي: «**وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته**» إلى قوله: «**آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلا من عنده**».

وممن علَّق على هذا المختصر المفيد بتعليقات قيمة سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله آل باز.

وكذلك علق على المتن بتعليقات قيمة -هي في كثير منها مقتبسة من شرح أبي العز الحنفي رحمه الله- الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني.

كما علق فضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان على هذا المختصر بتعليقات مفيدة.

عملنا في الكتاب:

وقد قمنا بحمد الله تعالى لخدمة هذا المختصر المبارك -لما علمناه من أهميته- بالجمع بين شرح الشيخ الإمام أبي العز الحنفي، والشيخ صالح آل شيخ، وتعليقات كلًا من سماحة الشيخ ابن باز، والشيخ العلامة الألباني، وفضيلة الشيخ صالح آل الفوزان، مراعين ما يلي:

أولًا: ذكر كل شرح من الشروح على حدة، دون تغيير شيء أو حذف شيء منه البتة، حتى يتسنى لطالب العلم الاستفادة القصوى من الشرح، فبإمكان طالب العلم:

أ- أن يقرأ كل شرح مستقلًا بذاته منفردًا عن الشروح الأخرى - وذلك باستخدامنا لتقنية الكتل في التنسيق- فجعلنا كل كتاب كتلة مستقلة.

ب- ويمكنه أن يقرأ كل موضوع مستقل؛ يجمع كلا الشرحين (شرح الشيخ أبو العز الحنفي والشيخ صالح آل شيخ) مع التعليقات (تعليق الشيخ ابن باز والشيخ الألباني والشيخ الفوزان).

جـ- وبإمكانه النقل عن أي من العلماء المذكورة أقوالهم في هذا الكتاب وهو مطمئن، فلم يتم حذف شيء منها البتة ولا اختصاره ولا تهذيبه.

ونتيجة لذلك العمل فقد يلاحظ القارئ أنه يتكرر في بعض المسائل أشياء وشواهد وأدلة يستدل بها أي من العلماء المذكورين، فقد أبقيناها على حالها وذلك لفوائد:

١- منها أن كثرة تكرار الدليل يعين طالب العلم على حفظه.

٢- أن هذا التكرار يأتي بألفاظ وطرق مختلفة مع الاستدلال بدليل واحد، فيتعود طالب العلم على أن ينوِّع من أسلوبه في عرض المسألة الواحدة بعدة أشكال، مما يتيح لأكبر عدد من الناس فهم وقبول دليله.

٣- أن عرض مسائل التوحيد بأكثر من طريق يفيد الإنسان ويزيده نورًا ويقينًا كما نقل عن شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى.

ثانيًا: قمنا بالتوفيق بين المتن وكلًّا من الشرحين والتعليقات، حتى يصير موضوعًا مستقلًا، بحيث يسهل على الطالب فهم المسألة؛ فما أجمله هذا قد فصَّله هذا، وما أغفله هذا فقد نوَّه إليه هذا.

ثالثًا: قمنا بوضع المتن بخط عريض في أول الصفحة مشكَّلا تشكيلًا كاملًا، وذلك في فوائد:

١- ليتعود الطالب على النطق الصحيح لألفاظ المتن.

٢- حتى يسهل على الطالب حفظ المتن صحيحًا إن شاء.

رابعًا: قمنا بوضع شرح الشيخ ابن أبي العز الحنفي تحت الخط الأحمر، وقد بيَّناه هناك بلفظ ابن أبي العز الحنفي قبل الخط.

خامسًا: وضعنا شرح الشيخ صالح آل شيخ تحت الخط الأسود وقد بيناه هناك بلفظ الشيخ صالح قبل الخط.

سادسًا: وضعنا التعليقات تحت الخط الأسود الصغير وبيناه هناك بلفظ التعليقات قبل الخط، وسرنا فيها على النحو التالي:

تعليق الشيخ ابن باز في أول التعليقات، ثم الشيخ الألباني، ثم الشيخ الفوزان، على هذا الترتيب طيلة الكتاب، فإن لم نجد تعليقًا للشيخ ابن باز كان الترتيب: تعليقات الشيخ الألباني، ثم الشيخ الفوزان، وإلا فتعليقات الشيخ فالفوزان.

سابعًا: قمنا بجمع كل الأسئلة في شرح فضيلة الشيخ صالح آل شيخ، وألحقناها في نهاية الكتاب تحت اسم ملحق أسئلة شرح الطحاوية للشيخ صالح آل شيخ، وذلك لتعم الفائدة حيث:

١- لا يتم قطع تسلسل الشرح.

٢- وحتى يتسنى لطالب العلم أن يقرأ الأسئلة ككتاب مستقل عن الشرح، ففيه كثير من الفوائد على المسائل العقائدية المختلفة.

الأصول التي تم الكتاب عليها:

أما عن الأصول التي تم اعتمدنا عليها، فشرح الشيخ ابن أبي العز الحنفي والتعليقات قد تم أخذها من النسخ المطبوعة سابقًا.

وأما عن أصول شرح الشيخ صالح آل شيخ فقد تم أخذ النسخة المفرغة عن الأشرطة، وإخراجها كما ترى ولله الحمد والمنة.

وأخيرًا فهذا العمل كما ترى قد أخذ منا جهدًا كبيرًا –والمنة لله عز وجل- وليس هذا تحقيقًا ولا نزعم لنا في هذا العلم الجليل ناقة ولا جمل، وإنما المحقق كما قال الشيخ العلامة محمود بن شاكر رحمه الله تعالى في مقدمة تصحيحه لكتاب أسرار البلاغة للإمام الجرجاني رحمه الله: ولا أزعم أنني في هذا العمل محققٌ وإنما أردت أن أقرأه لك قراءة صحيحة، إنما المحقق من قال لك هذه في النسخة (د) وهذا في النسخة (ج). أو كما قال رحمه الله تعالى.

ولا ننسى بالشكر كل من ساهم في إخراج هذا العمل، وخاصة الأستاذ حسن رجب، وقسم المراجعة بمكتب التبيان.

وهذا العمل شأنه شأن كل عمل بشري؛ ناقصٌ تعتريه الآفات، فإن رأيت فيه شيئًا فاستغفر لنا، واعلم أنه عن غير قصد، والله من وراء القصد وهو أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

اعتنى به

مكتب التبيان للدراسات الإسلامية والعربية

(صف ومراجعة وإخراج فني)

ت: ٢٠/٠٢/٤٥١٩٤٩١

محمول: ٠١٠١١٧٤٤٤٦

السيرة الذاتية
للإمام الطحاوي صاحب المختصر

اسمه: أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليمان بن حامد أبو جعفر الأزدي الحجري المصري ثم الطحاوي.

مولده: ولد بطحا قرية من صعيد مصر، في سنة تسع وثلاثين ومائتين.

مشايخه: قال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر: وتفقه أولًا على خاله أبي إبراهيم إسماعيل المزني صاحب الشافعي، وسمع منه كتاب السنن روايته عن الشافعي وغير ذلك، وسمع الحديث من أهل عصره فلحق يونس بن عبد الأعلى وهارون بن سعيد الأيلي ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وبحر بن نصر وعيسى بن مثرود وغيرهم من أصحاب ابن عيينة وابن وهب وهذه الطبقة.

وسمع الكثير أيضًا من إبراهيم بن أبي داود الضريس وكان من الحفاظ المكثرين وأبي بكرة بكار بن قتيبة القاضي وغيرهما، وخرج إلى الشام فسمع ببيت المقدس وغزة وعسقلان وتفقه بدمشق على القاضي أبي خازم واسمه عبد الحميد، ورجع إلى مصر في سنة تسع وستين وتقدم في العلم وصنف التصانيف في اختلاف العلماء وفي الشروط ومعاني الآثار وأحكام القرآن ومشكل الآثار وغير ذلك، وكان أولا على مذهب الشافعي ثم تحول إلى مذهب الحنفية لكائنة جرت له مع خاله المزني؛ وذلك أنه كان يقرأ عليه فمرت مسألة دقيقة فلم يفهمها أبو جعفر فبالغ المزني في تقريبها له فلم يتفق ذلك فغضب المزني متضجرًا فقال: والله لا جاء منك شيء، فقام أبو جعفر من عنده وتحول إلى أبي جعفر بن أبي عمران وكان قاضي الديار المصرية بعد القاضي بكار فتفقه عنده ولازمه إلى أن صار منه ما صار.

توليه القضاء:

وناب أبو جعفر في القضاء عن محمد بن عبدة قاضي مصر بعد السبعين ومائتين وترقت حاله بمصر.

أقوال العلماء فيه:

قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وبلغنا أن أبا جعفر لما صنف مختصره في الفقه قال: رحم الله أبا إبراهيم -يعني المزني- لو كان حيًّا لكفَّر عن يمينه؛ يعني الذي حلفه أنه لا يجيء منه شيء.

قال أبو سعيد بن يونس: كان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلًا لم يخلف مثله.

وقال مسلمة بن قاسم الأندلسي في كتاب الصلة: كان ثقة جليل القدر... عالمًا باختلاف العلماء، بصيرًا بالتصنيف، وكان يذهب مذهب أبي حنيفة وكان شديد العصبية فيه.

وقال ابن عبد البر في كتاب العلم: كان الطحاوي من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم وفقههم مع مشاركته في جميع مذاهب الفقهاء.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء: انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر.

روى عن أبي جعفر ابنه علي وأبو محمد بن زبر القاضي وأبو الحسن محمد بن أحمد الإخميمي وأبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ البغدادي وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني وأبو بكر محمد بن إبراهيم المقري وأحمد بن القاسم الخشاب ويوسف بن القاسم الميانجي وأحمد بن عبد الوارث الزجاج وعبد العزيز بن محمد الجوهري ومحمد بن أبي بكر بن مطروح ومحمد بن الحسن بن عمر التنوخي وآخرون.

من مؤلفاته:

وكان أوحد أهل زمانه علمًا وله من الكتب الوصايا والمحاضرات والسجلات وشرح الجامع الصغير وشرح الجامع الكبير والفرائض والنقض على الكرابيسي والمختصر الكبير والمختصر الصغيرَ في الفقه، وشرح معاني الآثار.

وفاته:

قال ابن يونس: توفي في مستهل ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وفيها أرخه مسلمة بن قاسم وغيره رحمه الله وخالفهم محمد بن إسحاق النديم في الفهرست، فقال أنه مات سنة اثنتين وعشرين، قال: وقد بلغ الثمانين والسواد في لحيته أكثر من البياض، عليه رحمة الله وبركاته.

السيرة الذاتية
لابن أبي العز الحنفي
صاحب أشهر شروح الطحاوية

اسمه ونسبه:

هو الإمامُ العلامةُ صَدرُ الدين، أبو الحسن عليُّ بن علاءِ الدين عليٍّ بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز بن وهيب بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهب الأذرعي الأصل، الدمشقي الصالحيَّ الحنفي، المعروف بابن أبي العز[1].

ولادته:

ولد في الثاني والعشرين من ذي الحجة، سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة.

مذهبه:

نشأ في كنف أسرة جميعُ أفرادها كانوا يتبعون مذهب أبي حنيفة، ومعظمهم قد تولى القضاء، وقد درس هذا المذهب على أبيه دراسة متقنة أهَّلته لتولي القضاء فيه، ولكنه تخلص من رقة التقليد، ويرجِّح ما استبان له الدليل.

المناصبُ العلميةُ التي وَلِيها: تولى عدة مناصب منها:

١- التدريس بالقيمازية في سنة ٧٤٨ هـ.

٢- التدريس بالمدرسة الرَّكنية سنة ٧٧٧ هـ.

---

(١) وهم محقق! طبعة البصيرة من شرح الطحاوية حين نسب الكتاب إلى «علي بن محمد بن محمد بن العز الدمشقي، علاء الدين الحنفي» فإن هذه النسبة نسبة إلى أبيه علي بن محمد بن محمد بن أبي العز- وليس بن العز- والصحيح نسبتها إلى صدر الدين وليس علاء الدين حيث الأول ابن الثاني.

٣- التدريس بالعزيَّة البَرَّانية ٧٨٤هـ.

٤- التدريس بالجوهرية.

٥- تولى الخطابة بحُسْبَان قاعدة البلقاء.

٦- ولي قضاء الحنفية بدمشق في آخر ٧٧٦هـ.

اشتغل قديما وتمهر ودرس وأفتى وخطب بحسبان مدة ثم ولي قضاء دمشق في المحرم سنة تسع وسبعين وسبعمائة ٧٧٩هـ، ثم ولي قضاء مصر بعد ابن عمه فأقام شهرا ثم استعفى ورجع إلى دمشق على وظائفه، ثم بدت منه هفوة اعتقل بسببها.

درس وتعلم على الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير صاحب التفسير المعروف «تفسير القرآن العظيم» ويعلم ذلك من قوله في الشرح: شيخنا ابن كثير، وغيره من الألفاظ، وقد أكثر النقل عنه رحمه الله.

ومن تصانيفه:

١- شرح العقيدة الطحاوية.

٢- التنبيه على مشكلات الهداية، ذكره السخاوي وغيره.

٣- رسالة تتضمن الإجابة على مسائل فقهية منها: صحة الاقتداء بالمخالف، حكم الأربع بعد أداء الجمعة.

٤- النور اللامع فيما يعمل به في الجامع؛ أي الجامع الأموي.

٥- الاتباع، وهو رد على الرسالة التي ألفها معاصره أكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد الحنفي المتوفى سنة ٧٨٦هـ، ورجح فيها تقليد مذهب أبي حنيفة، وحض على ذلك، وقد وجد فيها ابن أبي العز مواضع مشكلة، فأحب أن ينبه عليها خوفا من التفرق المنهي عنه، واتباع الهوى الردي، وقد كان موفَّقا كل التوفيق في هذا الرد.

محنته :

لقد نال من الأذى ما نال غيره من العلماء والفضلاء، فقد أهاجوا عليه ذوي السلطان بسبب ما علقه على قصيدة ابن أبيك في مواضع مشكلة منها، تبين له خطؤها، فجرد بسبب ذلك من جميع وظائفه، وحبس مدة أربعة أشهر، وعُزر، وحملوه على التراجع عن تلك الاعتراضات، مع أن الصواب كان في معظمها إلى جانبه.

وقد بقي ابن أبي العز بعد هذه المحنة ملازما لبيته إلى سنة ٧٩١ هـ ففي ربيع الأول من هذه السنة تقدم إلى الأمير سيف الدين يَلبُغا بن عبد الله الناصري الأتابكي أحد كبار الأمراء بطلب وظائفه وأن يُرد إليه اعتباره، فرسم هذا الأمير بردها، وعاد إلى وظائفه، فخطب بجامع الأفرم، ودرس بالجوهرية.

وفاته :

في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة توفي الإمام العلامة صدر الدين علي بن أبي جعفر، ودفن بسفح قاسيون، رحمه الله رحمة واسعة.

وأما عن أهمية شرحه على الطحاوية فقد تقدم معنا في المقدمة.

السيرة الذاتية

لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

(وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد)

ولد في مدينة الرياض سَنة ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م، ونشأ في بيت علم وصلاح، فوالده الشيخ عبد العزيز -رحمه الله تعالى- أحد العلماء المعروفين، وجده سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله تعالى- من أبرز علماء العصر ومفتي المملكة السعودية في زمانه.

سيرته العلمية:

أكمل مراحل تعليمه في الرياض، والتحق بجامعة الملك سعود- كلية الهندسة، ثم انتقل إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- كلية أصول الدين وتخرَّج بها.

كما درس على عدد من العلماء منهم: والده الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد العزيز بن مرشد، والشيخ عبد الله بن عقيل، والشيخ عبد الله بن غديان، والشيخ صالح الأطرم، والشيخ حماد الأنصاري، والشيخ إسماعيل الأنصاري.

وقد نبغ في العلوم الشرعية منذ صغره، والتزم الأخذ من أكابر العلماء، مع اهتمامه بالبحث والاطلاع والتأليف.

منح إجازات علمية عالية من عدد من علماء المملكة العربية السعودية، وتونس، والمغرب، وباكستان، والهند.

تعليمه وتدريسه :

عمل بالسلك الأكاديمي في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية- كلية أصول الدين، حتى سنة١٤١٦ هـ.

ناقش العديد من الرسائل العلمية، وأشرف على بعضها.

وأضاف إلى ذلك تدريسه المستمر في المساجد لأنواع العلوم الشرعية، وقد تميزت دروسه بالمنهجية، وقوة المادة العلمية، مع حرصه على مراعاة الجوانب التربوية.

له العديد من المحاضرات العلمية المتخصصة، والتربوية، والمنهجية، واللقاءات التي يناقش فيها المسائل الشرعية والدعوية.

شارك في مؤتمرات وندوات متعددة الموضوعات، داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

التأليف:

له العديد من المؤلفات والأعمال العلمية، طُبع بعضها، منها:

- التكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل.
- موسوعة الكتب الستة.
- التمهيد في شرح كتاب التوحيد.
- كتاب خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية (إشراف ومراجعة).

المناصب التي تولاها:

- صدر الأمر الملكي الكريم بتعيينه نائبا لوزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عام١٤١٦ هـ.

- صدر الأمر الملكي الكريم في عام ١٤٢٠ هـ بتعيينه وزيرا للشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

- المشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- رئيس مجلس الأوقاف الأعلى.
- رئيس مجلس الدعوة والإرشاد.
- رئيس المجلس الأعلى للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.
- رئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
- رئيس المجلس التنفيذي لوزراء الأوقاف والشئون الإسلامية.
- عضو المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة.
- عضو اللجنة العليا لسياسة التعليم.
- رئيس لجنة وقف الأطفال المعوقين.
- عضو عامل في الجمعية الفقهية السعودية.

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية

لفضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله آل باز (رحمه الله تعالى)

مولده:

ولد في ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ بمدينة الرياض، وكان بصيرا، ثم أصابه مرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ وضعف بصره، ثم فقده عام ١٣٥٥هـ.

طلبه للعلم:

حفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ ثم جد في طلب العلم على العلماء في الرياض، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة عين في القضاء عام ١٣٥٧هـ ولم ينقطع عن طلب العلم حتى اليوم، حيث لازم البحث والتدريس ليل نهار، ولم تشغله المناصب عن ذلك، مما جعله يزداد بصيرة ورسوخا في كثير من العلوم، وقد عني عناية خاصة بالحديث وعلومه حتى أصبح حكمه على الحديث من حيث الصحة والضعف محل اعتبار، وهي درجة قلَّ أن يبلغها أحد، خاصة في هذا العصر، وظهر أثر ذلك على كتاباته وفتواه حيث كان يتخير من الأقوال ما يسنده الدليل.

مشائخه:

تلقى العلم على أيدي كثير من العلماء، ومن أبرزهم:

١- الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب (قاضي الرياض).

٢- الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب.

٣- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض).

٤- الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال في الرياض).

٥- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (مفتي المملكة العربية السعودية) وقد لازم حلقاته نحوا من عشر سنوات، وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداء من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ.

٦- الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) أخذ عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ.

:

منذ تولى القضاء في مدينة الخرج عام ١٣٥٧هـ وهو ملازم للتدريس في حلقات منتظمة إلى يومنا هذا، ففي الخرج كانت حلقاته مستمرة أيام الأسبوع عدا يومي الثلاثاء والجمعة، ولديه طلاب متفرغون لطلب العلم من أبرزهم:

١- الشيخ عبد الله الكنهل.

٢- الشيخ راشد بن صالح الخنين.

٣- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك.

٤- الشيخ عبد اللطيف بن شديد.

٥- الشيخ عبد الله بن حسن بن قعود.

٦- الشيخ عبد الرحمن بن جلال.

٧- الشيخ صالح بن هليل، وغيرهم.

في عام ١٣٧٢هـ انتقل إلى الرياض للتدريس في معهد الرياض العلمي، ثم في كلية الشريعة بعد إنشائها سنة ١٣٧٣هـ في علوم الفقه والحديث والتوحيد، إلى أن نقل نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨١هـ وقد أسس حلقة التدريس في الجامع الكبير بالرياض منذ انتقل إليها، ولا زالت هذه الحلقة

مستمرة إلى يومنا هذا، وإن كانت في السنوات الأخيرة اقتصرت على بعض أيام الأسبوع بسبب كثرة الأعمال، ولازمها كثير من طلبة العلم، وأثناء وجوده بالمدينة المنورة- من عام١٣٨١ هـ نائبا لرئيس الجامعة، ورئيسا لها من عام١٣٩٠ هـ إلى ١٣٩٥ هـ- عقد حلقة للتدريس في المسجد النبوي، ومن الملاحظ أنه إذا انتقل إلى غير مقر إقامته استمرت إقامة الحلقة في المكان الذي يتنقل إليه مثل الطائف أيام الصيف، وقد نفع الله بهذه الحلقات.

مؤلفاته:

١- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، صدر منه الآن ثلاثة أجزاء وقت تحرير هذه النبذة.

٢- الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.

٣- التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة (توضيح المناسك).

٤- التحذير من البدع، ويشتمل على أربع مقالات مفيدة: (حكم الاحتفال بالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعارج، وليلة النصف من شعبان، وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى: الشيخ أحمد).

٥- رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام.

٦- العقيدة الصحيحة وما يضادها.

٧- وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها.

٨- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة.

٩- وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

١٠- حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار.

١١- نقد القومية العربية.

١٢- الجواب المفيد في حكم التصوير.

١٣- الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دعوته وسيرته.

١٤- ثلاث رسائل في الصلاة:

- كيفية صلاة النبيﷺ.

- وجوب أداء الصلاة في جماعة.

- أين يضع المصلي يديه حين الرفع من الركوع؟

١٥- حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول اللهﷺ.

١٦- حاشية مفيدة على فتح الباري، وصل فيها إلى كتاب الحج.

١٧- رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب.

١٨- إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين.

١٩- الجهاد في سبيل الله.

٢٠- الدروس المهمة لعامة الأمة.

٢١- فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة.

٢٢- وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة.

٢٣- تحفة الأخيار ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من الأدعية والأذكار.

هذا ما تم طبعه، ويوجد له تعليقات على بعض الكتب مثل: بلوغ المرام، تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (لم تطبع)، التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة، تحفة أهل العلم والإيمان بمختارات من الأحاديث الصحيحة والحسان، إلى غير ذلك.

الأعمال التي يزاولها غير ما ذكر:

١- صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيسا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ثم مفتيا عامًّا للملكة ورئيسا لهيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء.

٢- رئيسا للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التي أصدرت هذه الفتاوى.

٣-رئيسا وعضوا للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

٤-رئيسا للمجلس الأعلى العالمي للمساجد.

٥- رئيسا للمجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

٦-عضوا للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٧-عضوا في الهيئة العليا للدعوة الإسلامية.

ولم يقتصر نشاطه على ما ذكر، فقد كان يلقي المحاضرات ويحضر الندوات العلمية ويعلق عليها ويعمر المجالس الخاصة والعامة التي يحضرها بالقراءة

والتعليق بالإضافة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أصبح صفة ملازمة له، فرحمة الله عليه.

وفاته:

توفي يوم الخميس ٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ في مدينة الطائف، عن زوجتين، وتسعة أبناء، أربعة ذكور، وخمس بنات، ودفن يوم الجمعة بمكة المكرمة .

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية

لفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني (رحمه الله تعالى)

نشأته:

ولد الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني عام ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٤م في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا - حينئذ - عن أسرة فقيرة متدينة، يغلب عليها الطابع العلمي، فكان والده مرجعًا للناس يعلمهم ويرشدهم.

هاجر صاحب الترجمة بصحبة والده إلى دمشق الشام للإقامة الدائمة فيها بعد أن انحرف أحمد زاغو (ملك ألبانيا) ببلاده نحو الحضارة الغربية العلمانية.

أتم العلامة الألباني دراسته الابتدائية في مدرسة الإسعاف الخيري في دمشق بتفوق.

نظرًا لرأي والده الخاص في المدارس النظامية من الناحية الدينية، فقد قرر عدم إكمال الدراسة النظامية ووضع له منهجًا علميًا مركّزًا، قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم، والتجويد، والنحو والصرف، وفقه المذهب الحنفي، وقد ختم الألباني على يد والده حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني (مراقي الفلاح في الفقه الحنفي) وبعض كتب اللغة والبلاغة، هذا في الوقت الذي حرص فيه على حضور دروس وندوات العلامة بهجة البيطار.

أخذ عن أبيه مهنة إصلاح الساعات فأجادها حتى صار من أصحاب الشهره فيها، وأخذ يتكسب رزقه منها، وقد وفّرت له هذه المهنة وقتًا جيدًا للمطالعة والدراسة، وهيأت له هجرته للشام معرفة باللغة العربية والاطلاع على العلوم الشرعية من مصادرها الأصلية.

توجهه إلى علم الحديث واهتمامه به:

على الرغم من توجيه والد الألباني المنهجي له بتقليد المذهب الحنفي وتحذيره الشديد من الاشتغال بعلم الحديث، فقد أخذ الألباني بالتوجه نحو علم الحديث وعلومه.

فتعلم الحديث في نحو العشرين من عمره متأثرًا بأبحاث مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله وكان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ العراقي رحمه الله مع التعليق عليه.

كان ذلك العمل فاتحة خير كبيرة على الشيخ الألباني حيث أصبح الاهتمام بالحديث وعلومه شغله الشاغل، فأصبح معروفًا بذلك في الأوساط العلمية بدمشق.

حتى إن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت غرفة خاصة له ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة حيث يدخلها وقتما شاء، أما عن التأليف والتصنيف، فقد ابتدأهما في العقد الثاني من عمره.

وكان أول مؤلفاته الفقهية المبنية على معرفة الدليل والفقه المقارن كتاب «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» وهو مطبوع مرارًا، ومن أوائل تخاريجه الحديثية المنهجية أيضًا كتاب «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير» ولا يزال مخطوطًا.

كان لاشتغال الشيخ الألباني بحديث رسول الله ﷺ أثره البالغ في التوجه السلفي للشيخ، وقد زاد تشبثه وثباته على هذا المنهج مطالعته لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من أعلام المدرسة السلفية.

حمل الشيخ الألباني راية الدعوة إلى التوحيد والسنة في سوريا، حيث زار الكثير من مشايخ دمشق وجرت بينه وبينهم مناقشات حول مسائل التوحيد والاتباع والتعصب المذهبي والبدع.

فلقي الشيخ لذلك المعارضة الشديدة من كثير من متعصبي المذاهب ومشايخ الصوفية والخرافيين والمبتدعة، فكانوا يثيرون عليه العامة والغوغاء ويشيعون عنه بأنه «وهابي ضال» ويحذرون الناس منه.

هذا في الوقت الذي وافقه على دعوته أفاضل العلماء المعروفين بالعلم والدين في دمشق، والذين حضوه على الاستمرار قدمًا في دعوته.

ومنهم، العلامة بهجت البيطار، الشيخ عبد الفتاح الإمام رئيس جمعية الشبان المسلمين في سوريا، الشيخ توفيق البزرة، وغيرهم من أهل الفضل والصلاح (رحمهم الله).

نشاط الشيخ الألباني الدعوي:

نشط الشيخ في دعوته من خلال:

أ- دروسه العلمية التي كان يعقدها مرتين كل أسبوع حيث يحضرها طلبة العلم وبعض أساتذة الجامعات، ومن الكتب التي كان يدرسها في حلقات علمية:

- فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.
- الروضة الندية شرح الدرر البهية للشوكاني، شرح صديق حسن خان.
- أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف.
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، شرح أحمد شاكر.
- منهاج الإسلام في الحكم لمحمد أسد.

-فقه السنة لسيد سابق.

ب-رحلاته الشهرية المنتظمة التي بدأت بأسبوع واحد من كل شهر، ثم زادت مدتها حيث كان يقوم فيها بزيارة المحافظات السورية المختلفة.

بالإضافة إلى بعض المناطق في المملكة الأردنية قبل استقراره فيها مؤخرًا، هذا الأمر دفع بعض المناوئين لدعوة الألباني إلى الوشاية به عند الحاكم مما أدى إلى سجنه.

صبره على الأذى .. وهجرته:

في أوائل ١٩٦٠م كان الشيخ يقع تحت مرصد الحكومة السورية، مع العلم أنه كان بعيدًا عن السياسة، وقد سبب ذلك نوعًا من الإعاقة له.

فقد تعرض للاعتقال مرتين، الأولى كانت قبل ٦٧ حيث اعتقل لمدة شهر في قلعة دمشق، وهي نفس القلعة التي اعتقل فيها شيخ الإسلام (ابن تيمية)، وعندما قامت حرب ٦٧ رأت الحكومة أن تفرج عن جميع المعتقلين السياسيين.

لكن بعدما اشتدت الحرب عاد الشيخ إلى المعتقل مرة ثانية، ولكن هذه المرة ليس في سجن القلعة، بل في سجن الحسكة شمال شرق دمشق.

وقد قضى فيه الشيخ ثمانية أشهر، وخلال هذه الفترة حقق مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري واجتمع مع شخصيات كبيرة في المعتقل.

أعمال... إنجازات... جوائز:

لقد كان للشيخ جهود علمية وخدمات عديدة منها:

-كان شيخنا رحمه الله يحضر ندوات العلامة الشيخ محمد بهجت البيطار رحمه الله مع

بعض أساتذة المجمع العلمي بدمشق، منهم عز الدين التنوحي رحمه الله إذ كانوا يقرؤن «الحماسة» لأبي تمام.

- اختارته كلية الشريعة في جامعة دمشق ليقوم بتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامي، التي عزمت الجامعة على إصدارها عام ١٩٥٥ م.

- اختير عضوًا في لجنة الحديث، التي شكلت في عهد الوحدة بين مصر وسوريا، للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقها.

- طلبت إليه الجامعة السلفية في بنارس «الهند» أن يتولى مشيخة الحديث، فاعتذر عن ذلك لصعوبة اصطحاب الأهل والأولاد بسبب الحرب بين الهند وباكستان آنذاك.

- طلب إليه معالي وزير المعارف في المملكة العربية السعودية الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ عام ١٣٨٨ هـ أن يتولى الإشراف على قسم الدراسات الإسلامية العليا في جامعة مكة، وقد حالت الظروف دون تحقيق ذلك.

- أخيرًا عضوًا للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٣٩٥ هـ إلى ١٣٩٨ هـ.

- لبى دعوة من اتحاد الطلبة المسلمين في أسبانيا، وألقى محاضرة مهمة، طُبعت فيما بعد بعنوان «**الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام**».

- زار قطر وألقى فيها محاضرة بعنوان «**منزلة السنة في الإسلام**».

- انتدب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء للدعوة في مصر والمغرب وبريطانيا للدعوة إلى التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والمنهج الإسلامي الحق.

- دعي إلى عدة مؤتمرات، حضر بعضها واعتذر عن كثير بسبب اشتغالاته العلمية الكثيرة.

- زار الكويت والإمارات وألقى فيهما محاضرات عديدة، وزار أيضا عددًا من دول أوروبا، والتقى فيها بالجاليات الإسلامية والطلبة المسلمين، وألقى دروسًا علمية مفيدة.

- للشيخ **مؤلفات** عظيمة و**تحقيقات** قيمة، ربت على المائة، وترجم كثيرا منها إلى لغات مختلفة، وطبع أكثرها طبعات متعددة ومن أبرزها:

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، وصفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.

- ولقد كانت قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية منح الجائزة عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، وموضوعها «**الجهود العلمية** التي عنيت بالحديث النبوي تحقيقًا وتخريجًا ودراسة» لفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني السوري الجنسية، تقديرًا لجهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي، تخريجًا وتحقيقًا ودراسة وذلك في كتبه التي تربو على المائة.

قالوا عن الشيخ:

سماحة الشيخ **عبد العزيز بن باز**: ما رأيت تحت أديم السماء عالمًا بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني.

وسئل سماحته عن حديث رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» فسئل من مجدد هذا القرن، فقال رحمه الله:

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو مجدد هذا العصر في ظني، والله أعلم

فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد: لقد كان رحمه الله من العلماء الأفذاذ الذين أفنوا أعمارهم في خدمة السنة والتأليف فيها والدعوة إلى الله عز وجل ونصرة العقيدة السلفية ومحاربة البدعة، والذب عن سنة الرسول ﷺ وهو من العلماء المتميزين.

وقد شهد بتميزه الخاصة والعامة، ولاشك أن فقد مثل هذا العالم من المصائب الكبار التي تحل بالمسلمين، فجزاه الله خيرًا على ما قدم من جهود عظيمة خير الجزاء وأسكنه فسيح جناته

العلامة محمد بن صالح العثيمين: فالذي عرفته عن الشيخ من خلال اجتماعي به وهو قليل، أنه حريص جدًّا على العمل بالسنة، ومحاربة البدعة، سواء كان في العقيدة أم في العمل.

أما من خلال قراءتي لمؤلفاته فقد عرفت عنه ذلك، وأنه ذو علم جم في الحديث، رواية ودراية، وأن الله تعالى قد نفع فيما كتبه كثيرًا من الناس، من حيث العلم ومن حيث المنهاج والاتجاه إلى علم الحديث، وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين ولله الحمد، أما من حيث التحقيقات العلمية الحديثية فناهيك به.

العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي: يقول الشيخ عبد العزيز الهدة: «إن العلامه الشنقيطي يجل الشيخ الألباني إجلالًا غريبًا، حتى إذا رآه مارًّا وهو في درسه في الحرم المدني يقطع درسه قائمًا ومسلمًا عليه إجلالًا له».

الشيخ عبد الله العبيلان: أعزي نفسي وإخواني المسلمين في جميع أقطار الأرض بوفاة الإمام العلامة المحقق الزاهد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وفي الحقيقة الكلمات تعجز أن تتحدث عن الرجل.

ولو لم يكن من مناقبه إلا أنه نشأ في بيئة لا تعد بيئة سلفية، ومع ذلك صار من أكبر الدعاة إلى الدعوة السلفية والعمل بالسنة والتحذير من البدع لكان كافيًا.

حتى أن شيخنا عبد الله الدويش والذي يعد من الحفاظ النادرين في هذا العصر وقد توفي في سن مبكرة.

يقول ﷺ: منذ قرون ما رأينا مثل الشيخ ناصر كثرة إنتاج وجودة في التحقيق، ومن بعد السيوطي إلى وقتنا هذا لم يأتِ من حقق علم الحديث بهذه الكثرة والدقة مثل الشيخ ناصر.



نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية
لفضيلة العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

نسبه:

هو فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله، من آل فوزان من أهل الشماسية، الوداعين من قبيلة الدواسر.

نشأته ودراسته:

ولد عام ١٣٥٤هـ، وتوفي والده وهو صغير، فتربى في أسرته، وتعلم القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد إمام مسجد البلد، وكان قارئا متقنا وهو فضيلة الشيخ: حمود بن سليمان التلال، الذي تولى القضاء أخيرا في بلدة ضرية في منطقة القصيم.

ثم التحق بمدرسة الحكومة حين افتتاحها في الشماسية عام ١٣٦٩هـ، وأكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفيصلية ببريدة عام ١٣٧١هـ، وتعين مدرسا في الابتدائي، ثم التحق بالمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحه عام ١٣٧٣هـ، وتخرج منه عام ١٣٧٧هـ، والتحق بكلية الشريعة بالرياض، وتخرج منها عام ١٣٨١هـ، ثم نال درجة الماجستير في الفقه، ثم درجة الدكتوراه من هذه الكلية في تخصص الفقه أيضا.

أعماله الوظيفية:

بعد تخرجه من كلية الشريعة عين مدرسا في المعهد العلمي في الرياض، ثم نقل للتدريس في كلية الشريعة، ثم نقل للتدريس في الدراسات العليا بكلية أصول الدين، ثم في المعهد العالي للقضاء، ثم عين مديرا للمعهد العالي للقضاء، ثم عاد للتدريس فيه بعد انتهاء مدة الإدارة، ثم نقل عضوا في اللجنة

الدائمة للإفتاء والبحوث العلمية، ولا يزال على رأس العمل.

أعماله الأخرى :

فضيلة الشيخ عضو في هيئة كبار العلماء، وعضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع للرابطة، وعضو في لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، إلى جانب عمله عضوا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإمام وخطيب ومدرس في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود في الملز، ويشارك في الإجابة في برنامج (نور على الدرب) في الإذاعة، كما أن لفضيلته مشاركات منتظمة في المجلات العلمية على هيئة بحوث ودراسات ورسائل وفتاوى، جمع وطبع بعضها، كما أن فضيلته يشرف على الكثير من الرسائل العلمية في درجتي الماجستير والدكتوراه، وتتلمذ على يديه العديد من طلبة العلم الذين يرتادون مجالسه ودروسه العلمية المستمرة.

مشايخه:

تتلمذ فضيلة الشيخ على أيدي عدد من العلماء والفقهاء البارزين، ومن أشهرهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وسماحة الشيخ عبد الله ابن حميد، حيث كان يحضر دروسه في جامع بريدة، وفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وفضيلة الشيخ صالح ابن عبد الرحمن السكيتي، وفضيلة الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، وفضيلة الشيخ محمد بن سبيل، وفضيلة الشيخ عبد الله بن صالح الخليفي، وفضيلة الشيخ إبراهيم بن عبيد العبد المحسن، وفضيلة الشيخ حمود بن عقلا، والشيخ صالح العلي الناصر.

وتتلمذ على غيرهم من شيوخ الأزهر المنتدبين في الحديث والتفسير واللغة العربية.

مؤلفاته:

لفضيلة الشيخ مؤلفات كثيرة، من أبرزها:

١- (التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية) في المواريث، وهو رسالته في الماجستير، مجلد.

٢- (أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية)، وهو رسالته في الدكتوراه، مجلد.

٣- (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد) مجلد صغير.

٤- (شرح العقيدة الواسطية) مجلد صغير.

٥- (البيان فيما أخطأ فيه بعض الكتاب) مجلد كبير.

٦- (مجموع محاضرات في العقيدة والدعوة) مجلدان.

٧- (الخطب المنبرية في المناسبات العصرية) في أربع مجلدات.

٨- (من أعلام المجددين في الإسلام).

٩- (رسائل في مواضيع مختلفة).

١٠- (مجموع فتاوى في العقيدة والفقه) مفرغة من نور على الدرب، وقد أنجز منه أربعة أجزاء.

١١- (نقد كتاب الحلال والحرام في الإسلام).

١٢- (شرح كتاب التوحيد -للشيخ محمد بن عبد الوهاب)، شرح مدرسي.

١٣- (التعقيب على ما ذكره الخطيب في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

١٤- (الملخص الفقهي) مجلدان.

١٥ - (إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان).

١٦ - (الضياء اللامع من الأحاديث القدسية الجوامع).

١٧ - (بيان ما يفعله الحاج والمعتمر).

١٨ - (كتاب التوحيد) جزءان مقرران في المرحلة الثانوية بوزارة المعارف.

١٩ - (فتاوى ومقالات نشرت في مجلة الدعوة)، وهو هذا الذي نشر ضمن (كتاب الدعوة).

علاوة على العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو في طريقه للطبع.

نسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يجعله في موازين حسنات شيخنا الجليل، إنه سميع مجيب.

المقدمة

أبي العز الحنفي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة -رحمة الله عليه- ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: الفقه الأكبر، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله. ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه. ....

المقدمة

الشيخ صالح آل شيخ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحد، واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، سبحانه وتعالى وتقدس وتعاظم ربنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فهذا الدرس شروعٌ في شَرحِ مُختَصَرٍ في العقيدة؛ مُختَصَرٍ مهم؛ لأنَّ أهل العلم يُحَبِّذُونَ إقرَاءَهُ وشرحه، ويؤكدون على أهمية ما اشتمل عليه من مسائل الاعتقاد بلفظٍ مُوجَز وبيانٍ حَسَن.

ابن أبي العز الحنفي

..... ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل، به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها الى آخرها.

ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان:

أحدهما: تعريف الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه. **والثاني**: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم. فأعرف الناس بالله عز وجل أتبعهم للطريق الموصل إليه، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه؛ ولهذا سمى الله ما أنزله على رسوله روحًا، لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونورًا لتوقف الهداية عليه..........................

الشيخ صالح

وهذه العقيدة التي نبتدئ شرحها في هذه الدروس هي عقيدة العالم المحدِّث: أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، المتوفى سنة ٣٢١هـ، وهي المسماة بالعقيدة الطحاوية نسبة إليه. وهي عقيدة موافقة في جُلِّ مباحثها لما يعتقده أهل الحديث والأثر؛ أهل السنة والجماعة، كما سيأتي في بيانه إن شاء الله تعالى.

وهذه العقيدة الطحاوية ذكَرَ عددٌ من أهل العلم أنَّ أتبَاعَ أئمة المذاهب الأربعة ارتضوها؛ وذلك لأنها اشتملت على أصول الاعتقاد المُتَّفَقِ عليه بين أهل العلم، وذلك في الإجمال؛ لأنَّ ثَمَّ مواضع انتُقِدَت عليه كما سيأتي بيانه.

وأبو جعفرٍ الطحاوي من علماء الحديث المعروفين ومن الفقهاء المشهورين أيضًا، وكان شافعيًّا تَفَقَّهَ على المُزَني ﵀ تلميذ الشافعي، ثم انتقل في الفروع من مذهب الشافعية إلى مذهب الحنفية، فصار في المذهب حنفي المذهب إلا أنَّهُ لا يتعصب لقول أبي حنيفة ولا يُقَلِّدُهُ؛ بل صنيع العلماء المحققين أن يتابعه فيما ظهر فيه الدليل وأن يأخذ بالدليل إذا خالف قول الإمام. وجرت مناظرة في ذلك، أو جرى حوارٌ في ذلك بين الطحاوي وبين أحد العلماء في مصر من الحنفية، فقال الطحاوي في مسألة بغير قولِ الإمام أبي حنيفة، فذاك قال له: ألست من أتباع أبي حنيفة؟ قال: بلى، ولكني لا أُقَلِّدُهُ؛ لأنَّهُ لا يُقَلِّدُ إلا عصبي؛ يعني متعصبًا.

...... فقال الله تعالى: ﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]. ولا روح إلا فيما جاء به الرسول، ولا نور إلا في الاستضاءة به، وسماه الشفاء، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]. فهو وإن كان هدى، وشفاء مطلقًا، لكن لما كان المنتفع بذلك هم المؤمنين، خصوا بالذكر والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فلا هدى إلا فيما جاء به.

الشيخ صالح

فقال الآخر: وغبي أيضًا؛ يعني لا يقلد من أهل العلم إلا عصبيٌّ أو غبي.

فصارت الكلمة مثلاً في مصر، تداولها الناس في مقولة هذين العالمين، وذلك يدل على تحرِّي أبي جعفر الطحاوي للحق وعلى ابتغائه له.

وهو في الفروع كما ذكرنا حنفي المذهب، وأما في الأصول ففي الجملة هو على مذهب أهل السنة والجماعة أتباع أهل الحديث والأثر إلا في مسائل تَبِعَ فيها مُرجئة الفقهاء.

وفي جُمَلِ كلامه في هذه العقيدة يوافق معتقد السلف إلا في المواضع التي ذكر فيها مسألة الإيمان في تعريفه، حيث قال: (والإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان) وقال (وأهله في أصله سواء) وهذه من مقالة المرجئة، وقد ذكر هو في صدر عقيدته هذه أنَّ هذا المُعتَقَد الذي كتبه هو اعتقاد أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، وهذا ظاهر فيما ذكَرَ من مسألة الإيمان.

فنقول: هذا الكتاب -كما سيأتي- كتابٌ مشتملٌ على أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة بعبارةٍ حسنة جيدة وبتقريرٍ لها طيِّب، إلا في مسائل انتُقِدَت عليه.

ابن أبي العز الحنفي

...... ولا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًّا مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرضٌ على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر، والدعاء الى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء الى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم.

وأما ما يجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم، وحاجتهم ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك. ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك. ....

الشيخ صالح

ولهذا كان بعض مشايخنا عافاهم الله وختَمَ لهم برضاه يقول: هذه عقيدة الطحاوي، ولا يقال هذه عقيدة أهل السنة والجماعة إذا أُرِيدَ الجميع؛ لأنه ثمَّ مسائل خالف فيها معتقد أهل السنة والجماعة أتباع الحديث والأثر في الأصول وفي التعبير عن الاعتقاد كما سيأتي بيانه.

وهذه العقيدة اهتَمَّ بها علماؤنا لأجلِ شَرحِهَا العظيم؛ وهو شَرحُ ابن أبي العز الحنفي (من تلامذة الحافظ ابن كثير) صاحب شرح العقيدة الطحاوية المشهور بينكم.

على أنَّ هذه العقيدة لها شروحٌ كثيرة، فالماتريدية شَرَحُوهَا بشروحٍ متنوعة، ووجَّهُوا الكلام فيها على معتقد أتباع أبي منصور الماتريدي.

ولكن شرح ابن أبي العز وجَّهَهَا توجيهًا سلفيا تابِعًا فيه طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية وطريقة ابن القيم -رحمهما الله تعالى- وأجاد في ذلك بحيث صار هذا الشرح مرجعًا في علم الاعتقاد بعامة، ودافع الشارح عن المصنِّف الطحاوي في مواضع مما عبَّر فيه بغير ما ينبغي من التعبير أو فيما قرَّرَهُ في مسألة الإيمان، بما هو معروفٌ في موطنه، وسيأتي بحثه إن شاء الله تعالى عند التعرض لعبارات المصنف.

ابن أبي العز الحنفي

...... وينبغي أن يعرف أن عامة من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته. فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا، كما قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآيات. وكما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن.** قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، **فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله**.........................

الشيخ صالح

هذا الكتاب أو هذه الرسالة والنبذة؛ العقيدة الطحاوية فيها كما ذكرنا ذِكرُ الاعتقاد بعامة، ولكنَّهُ أُخِذَ عليه أنه لم يُرَتِّبهُ؛ ولهذا وقع الكلام على الصفات مُفرَّقًا، ووقع الكلام على القدر مُفرَّقًا، ووقع الكلام على الإيمان مُفرَّقًا، وهكذا في نظائر هذه المسائل.

فهي كانت شبيهةً بالإملاء -على ما جاء في قلب المؤلف ﷺ وأجزل له المثوبة- دون ترتيبٍ علمي يجمَعُ المسائلَ بعضَهَا إلى بعض؛ يجمع النظير إلى نظيره، والشبيه إلى شبيهه.

ولهذا وَقَعَ كلام الشارح علي بن علي بن أبي العز الحنفي وقَعَ كذلك تبَعًا للأصل غير مرتَّب.

وذَكَرَ في أواخر شرحه أنه تَمَنَّى أن لو رَتَّبَ هذا الشرح على ترتيب أركان الإيمان، ثم ما يتصل بذلك من الكلام، ليكون أبلغ في الانتفاع؛ فيجعل الكلام في الألوهية مُتَتَابِعًا، والكلام في الصفات مُتَتَابِعًا، والكلام في الإيمان مُتَتَابِعًا، وفي القدر مُتَتَابِعًا، وفي النبوات مُتَتَابِعًا إلى آخر ذلك، وهذا لو حصل لكان أنفع وأدعى لاستحضار شرح تلك المسائل.

ابن أبي العز الحنفي

...... وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي الى صراط مستقيم» إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث، الدالة على مثل هذا المعنى.

ولا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا يدينون به إلا أن يكون موافقًا لدينه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم السلام.

وقد نزه الله تعالى نفسه عما يصفه العباد إلا ما وصفه به المرسلون بقوله سبحانه: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨١، ١٨٢]. فنزَّه نفسه سبحانه عما يصفه به الكافرون، ثم سلم على المرسلين؛ لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب، ثم حمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد...

الشيخ صالح

هذه العقيدة أيضا على جلالتها ووَجَازَةِ ألفاظها تحتملُ شرحًا طويلاً كما صنع الشارح ابن أبي العز الحنفي، وتَحتَمِلُ شَرحًا متوسطًا، وتحتمل شرحًا مُختَصَرًا، ولما كنَّا قد شرحنا عددًا من كتب العقيدة في سِنِيِّنَا التي مَرَّت، رأيت -والتوفيق بيد الله ﷻ- أن أجعل الكلام عليها ليس على طريقة الشارح في الاستطراد في ذكر الشرح وإدخال المسائل بعضها في بعض، ولكن على طريقةٍ مرتبة متعلقة:

- **أولا:** بألفاظ المُصَنِّف.
- **ثانيًا:** بالمسائل التي أورَدَهَا المُصَنِّف.
- **وثالثا:** بتحقيق القول في أنَّ ما ذَكَرَهُ هو مذهب أهل السنة والجماعة.
- **ورابعا:** في أدلة ما ذكره من المسألة.
- **خامسا:** في ذِكرِ تفريعاتِ تلك المسألة على اعتقاد أهل الحديث والأثر.
- **وسادسًا:** في ذِكر الأقوال المخالفة؛ أقوال أهل الفِرَق، وأدلَّتِهَا والرد عليها.

ابن أبي العز الحنفي

...... ومضى على ما كان عليه الرسول ﷺ خير القرون، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، يوصي به الأول الآخر ويقتدي فيه اللاحق بالسابق. وهم في ذلك كله بنبيهم محمد ﷺ مقتدون، وعلى منهاجه سالكون، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فإن كان قوله: ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ معطوفًا على الضمير في ﴿ أَدْعُوٓا۟ ﴾، فهو دليل على أن أتباعه هم الدعاة الى الله. وإن كان معطوفًا على الضمير المنفصل فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون غيرهم، وكلا المعنيين حقٌّ.

وقد بلَّغ الرسول ﷺ البلاغ المبين، وأوضح الحجة للمستبصرين، وسلك سبيله خير القرون. ....

الشيخ صالح

وكما تنظر في هذا التقسيم يحتمل تطويلاً كبيرًا، ويحتمل توسطًا، ويحتمل اختصارًا.

فأسأل الله ﷻ أن يوفقني لما ينفعكم وأن ينفعكم بما تسمعونه إن شاء الله، وأرجو أن يكون منكم الاجتهاد في متابعة الشرح والتَّفرِيع على هذه المسائل من جهة النظر في الشروح، وكلام شيخ الإسلام وابن القيم وأئمة الدعوة رحمهم الله تعالى جميعا؛ لأنَّ في بحثك بعد الدرس ومراجعتك للدرس ما يُؤَكِّدُ هذه المسائل ويُبَيِّنُهَا؛ لأنَّ التطويل والتفصيل قد يُذهِبُ بَعضُه بعضًا عند المبتدئ والمتوسط، لكن إذا راجعت وأكدت على نفسك بالمراجعة المستمرة الأسبوعية كان في ذلك إن شاء الله تعالى خير كثير واستحضارٌ لتلك المسائل.

اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك فهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهم لا يسير إلا ما يَسَّرت، ولا سَهلَ إلا ما جعلته سَهلاً، أنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وسددنا في القول والفهم والعمل إنك على كل شيء قدير. نعم.

...... ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا أهواءهم، وافترقوا، فأقام الله لهذه الامة من يحفظ عليها أصول دينها، كما أخبر الصادق ﷺ بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم**».

وممن قام بهذا الحق من علماء المسلمين: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي -تغمده الله برحمته- بعد المائتين، فإن مولده سنة تسع وثلاثين ومائتين، ووفاته سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

فأخبر رحمه الله عما كان عليه السلف، ونقل عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري، ومحمد بن الحسن الشيباني ﷺ ما كانوا يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين.

وكلما بعد العهد ظهرت البدع، وكثر التحريف، الذي سماه أهله تأويلاً ليُقبل، وقلَّ من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل. إذ قد يسمي صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ في الجملة تأويلا، وإن لم يكن ثمَّ قرينة توجب ذلك، ومن هنا حصل الفساد.

فإذا سموه تأويلاً قُبل وراج على من لا يهتدي إلى الفرق بينهما.

فاحتاج المؤمنون بعد ذلك إلى إيضاح الأدلة ودفع الشبه الواردة عليها، وكثر الكلام والشغب، وسبب ذلك إصغاؤهم إلى شبه المبطلين وخوضهم في الكلام المذموم، الذي عابه السلف، ونهوا عن النظر فيه والاشتغال به والإصغاء إليه، امتثالاً لأمر ربهم، حيث قال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٦٨] فإن معنى الآية يشملهم.

وكلٌّ من التحريف والانحراف على مراتب: فقد يكون كفرًا، وقد يكون فسقًا، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأً........................

....

...... فالواجب اتباع المرسلين، واتباع ما أنزله الله عليهم. وقد ختمهم الله بمحمد ﷺ، فجعله آخر الأنبياء، وجعل كتابه مهيمنًا على ما بين يديه من كتب السماء، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وجعل دعوته عامة لجميع الثقلين، الجن والإنس، باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت به حجة العباد على الله. وقد بين الله به كل شيء، وأكمل له ولأمته الدين خبرًا وأمرًا، وجعل طاعته طاعة له ومعصيته معصية له، وأقسم بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكّموه فيما شجر بينهم، وأخبر أن المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى غيره، وأنهم إذا دعوا إلى الله والرسول -وهو الدعاء إلى كتاب الله وسنة رسوله- صدوا صدودا، وأنهم يزعمون أنهم إنما أرادوا إحسانًا وتوفيقًا، كما يقوله كثير من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم: إنما نريد أن نحس الأشياء بحقيقتها، أي ندركها ونعرفها، ونريد التوفيق بين الدلائل التي يسمونها العقليات - وهي في الحقيقة جهليات - وبين الدلائل النقلية المنقولة عن الرسول، أو نريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة. وكما يقوله كثير من المبتدعة من المتنسكة والمتصوفة: إنما نريد الأعمال بالعمل الحسن، والتوفيق بين الشريعة وبين ما يدَّعونه من الباطل، الذي يسمونه: حقائق وهي جهل وضلال.

وكما يقوله كثير من المتكلمة والمتأثرة: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة، والتوفيق بينها وبين الشريعة، ونحو ذلك.

فكل من طلب أن يحكّم في شيء من أمر الدين غير ما جاء به الرسول ويظن أن ذلك حسن -وأن ذلك جمعٌ بين ما جاء به الرسول وبين ما يخالفه- فله نصيب من ذلك، بل ما جاء به الرسول كافٍ كامل، يدخل فيه كل حق، وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه، فلم يعلم ما جاء به الرسول في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية، ولا في كثير من الأحوال العبادية، ولا في كثير من الإمارة السياسية، أو نسبوا إلى شريعة الرسول بظنهم وتقليدهم ما ليس منها، وأخرجوا عنها كثيرًا مما هو منها. ....

....

..... فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وتفريطهم، وبسبب عدوان أولئك وجهلهم ونفاقهم كثر النفاق، ودرس كثير من علم الرسالة.

بل إنما يكون البحث التام، والنظر القوي، والاجتهاد الكامل فيما جاء به الرسول ﷺ ليعلم ويعتقد، ويعمل به ظاهرًا وباطنًا فيكون قد تلي حق تلاوته، وأن لا يهمل منه شيء.

وإن كان العبد عاجزًا عن معرفة بعض ذلك أو العمل به، فلا ينهى عما عجز عنه مما جاء به الرسول، بل حسبه أن يسقط عنه اللوم لعجزه، لكن عليه أن يفرح بقيام غيره به، ويرضى بذلك، ويود أن يكون قائمًا به، وأن لا يؤمن ببعضه ويترك بعضه، بل يؤمن بالكتاب كله، وأن يصان عن أن يدخل فيه ما ليس منه، من رواية أو رأي، أو يتبع ما ليس من عند الله، اعتقادًا أو عملاً، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢].

وهذه كانت طريقة السابقين الأولين، وهي طريقة التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة. وأولهم السلف القديم من التابعين الأولين، ثم من بعدهم. ومن هؤلاء أئمة الدين المشهود لهم عند الأمة الوسط بالإمامة.

فعن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه قال لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسا في الكلام قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة. أراد بالجهل به اعتقاد عدم صحته، فإن ذلك علم نافع، أو أراد به الإعراض عنه أو ترك الالتفات إلى اعتباره. فإن ذلك يصون علم الرجل وعقله فيكون علمًا بهذا الاعتبار. والله أعلم.

وعنه أيضًا أنه قال: من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب..........................

....

...... وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وقال أيضًا رحمه الله تعالى (شعرًا):

كل العلوم سوى القرآن ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس

وذكرالأصحاب في الفتاوى: أنه لو أوصى لعلماء بلده: لا يدخل المتكلمون، ولو أوصى إنسان أن يوقف من كتبه ما هو من كتب العلم، فأفتى السلف أن يباع ما فيها من كتب الكلام. ذكر ذلك بمعناه في الفتاوى الظهيرية.

فكيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير اتباع ما جاء به الرسول؟! ولقد أحسن القائل:

أيها المغتدي ليطلب علمًا ... كل علم عبد لعلم الرسول

تطلب الفرع تصحح أصلاً ... كيف أغفلت علم أصل

ونبينا ﷺ أوتي فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والأخروية على أتم الوجوه، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في جوابها، فلذلك صار كلام المتأخرين كثيرًا قليل البركة، بخلاف كلام المتقدمين، فإنه قليل كثير البركة، لا كما يقوله ضُلال المتكلمين وجهلتهم: إن طريقة القوم من المنتسبين إلى الفقه: إنهم لم يتفرغوا لاستنباط الفقه وضبط قواعده وأحكامه اشتغالاً منهم بغيره! والمتأخرون تفرغوا لذلك، فهم أفقه! !

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، ......

...... وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم. وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء. فالمتأخرون في شأن والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

وقد شرح هذه العقيدة غير واحد من العلماء، ولكن رأيت بعض الشارحين قد أصغى إلى أهل الكلام المذموم، واستمد منهم، وتكلم بعباراتهم.

والسلف لم يكرهوا التكلم بالجوهر والجسم والعرض ونحو ذلك لمجرد كونه اصطلاحًا جديدًا على معان صحيحة، كالاصطلاح على ألفاظ العلوم الصحيحة، ولا كرهوا أيضًا الدلالة على الحق والمحاجة لأهل الباطل، بل كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق، ومن ذلك مخالفتها الكتاب والسنة؛ ولهذا لا تجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين، فضلاً عن علمائهم.

ولاشتمال مقدماتهم على الحق والباطل كثر المراء والجدال، وانتشر القيل والقال، وتولد لهم عنها من الأقوال المخالفة للشرع الصحيح والعقل الصريح ما يضيق عنه المجال. وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله: فمن رام علم ما حظر عنه علمه.

وقد أحببت أن أشرحها سالكًا طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على منوالهم، متطفلاً عليهم، لعلي أن أنظم في سلكهم، وأدخل في عدادهم، ....

الشيخ صالح

....

...... وأحشر في زمرتهم ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩]. ولما رأيت النفوس مائلة إلى الاختصار آثرته على التطويل والإسهاب ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

هو حسبنا ونعم الوكيل..

....

[المتن]

قَالَ العَلامَةُ حُجَّةُ الأَسلامِ أَبُو جَعفَرٍ الوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ -بِمِصرَ- رحمه الله: هَذَا ذِكرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، عَلَى مَذهَبِ فُقَهَاءِ المِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعمَانِ بنِ ثَابِتٍ الكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعقُوبَ بنِ إِبرَاهِيمَ الأَنصَارِيِّ، وَأَبِي عَبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الشَّيبَانِيِّ -رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم أَجمَعِينَ- وَمَا يَعتَقِدُونَ مِن أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العَالَمِينَ(١)...

ابن ابي العز الحنفي

[شرح أبي العز الحنفي]

....

الشيخ صالح

[شرح الشيخ صالح]

هذه المقدمة اشتملت على مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ هذه عقيدة، والعقيدة فَعِيلَة بمعنى مَفعُول؛ يعني مَعقُودًا عليه، والمسائل منقسمة إلى أخبار وأحكام كما قال ﷻ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥].

تمت كلمة الله على هذين القسمين: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، والأخبار يجب تصديقها.

فما كان مرجعه إلى التصديق والإيمان به ولا دخل للعمليات به فإنه يُسَمَّى عقيدة؛ لأنّ مرجعه إلى علم القلب، فسُمِّي هذا عقيدة لأنه معقودٌ عليه القلب - يعني كأنَّهُ دخل إلى القلب فعُقِدَ عليه فلا يخرج منه من شدة الاستمساك به ومن شدة الحرص عليه - لأن لا يخرج أو ينفلت.

التعليقات

(١) الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فإن العقيدة هي أساس الدين، وهي مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والركن الأول من أركان الإسلام، فيجب الاهتمام بها والعناية بها ومعرفتها، ومعرفة ما يخل بها، حتى يكون الإنسان على بصيرة، وعلى عقيدة صحيحة؛ لأنه إذا قام الدين على أساس صحيح صار دينًا قيمًا مقبولاً عند الله، وإذا قام على عقيدة مهزوزة ومضطربة، أو عقيدة فاسدة، صار الدين غير صحيح، وعلى غير أساس، ومن ثم كان العلماء -رحمهم الله- يهتمون بأمر العقيدة ولا يفترون في بيانها في الدروس وفي المناسبات، ويرويها المتأخر عن المتقدم.................=

وهذا اللفظ لفظ **العقيدة** كما ذكرت راجعٌ إلى علم القلب؛ لأنه هو الذي يُعقَدُ الشيء الذي فيه، وأمَّا العمليات فهذه من الإيمان -كما هو معروف- لكن مورِدُها عمل الجوارح، لذلك لم تدخل في العقيدة.

وهناك ألفاظ مرادفة للعقيدة للدلالة على ما ذكرنا وهي: التوحيد، السنة، الشريعة، وأشباه ذلك:

- فمنها ما يكون مختصًّا بالعقيدة كالتوحيد.
- ومنها ما يكون لها ولغيرها كالسنة والشريعة، فإنَّ لفظ الشريعة يشمل العقيدة أيضًا؛ لأنَّ الله ﷻ بيَّنَ لنا أنَّ الأنبياء اجتمعوا على شريعةٍ واحدة فقال ﷻ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣]، فهذه شريعةٌ أُجمِعَ عليها بين المرسلين، والمقصود بها التوحيد والعقيدة الواحدة.
- وتأتي الشريعة ويُرَادُ منها العمليات كما قال ﷻ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨]، وكما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: **«الأنبياءُ إِخوة لعَلاَّتٍ، الدين واحد والشرائع شتّى»**.

التعليقات

= كان الصحابة -رضي الله عنهم- ليس عندهم أي شك فيما جاء به القرآن وما جاءت به سنة رسول الله ﷺ، فكانت عقيدتهم مبنية على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولا يعتريهم في ذلك شك ولا توقف، فما قاله الله وقاله رسوله ﷺ اعتقدوه ودانوا به، ولم يحتاجوا إلى كتابة تأليف؛ لأن هذا مسلّم به عندهم ومقطوع به وكانت عقيدتهم الكتاب والسنة، ثم درج على ذلك تلاميذهم من التابعين الذين أخذوا عنهم، فلم يكن هناك أخذ وردّ في العقيدة، كانت قضية مسلمة، وكان مرجعهم الكتاب والسنة.

فلما ظهرت الفرق والاختلافات، ودخل في الدين من لم ترسخ العقيدة في قلبه، أو دخل في الإسلام وهو يحمل بعض الأفكار المنحرفة، ونشأ في الإسلام من لم يرجع إلى الكتاب ولا إلى السنة في العقيدة، وإنما يرجع إلى قواعد ومناهج أصلها أهل الضلال من عند أنفسهم، عند هذا احتاج أئمة الإسلام إلى بيان العقيدة الصحيحة وتحريرها وكتابتها وروايتها عن علماء الأمة، فدونوا كتب العقائد، واعتنوا بها، وصارت مرجعًا لمن يأتي بعدهم من الأمة إلى أن تقوم الساعة. وهذا من حفظ الله تعالى لهذا الدين، وعنايته بهذا الدين، أن قيض له حملة أمناء يبلغونه كما جاء عن الله وعن رسوله، ويردون تأويل المبطلين وتشبيه المشبهين، وصاروا يتوارثون هذه العقيدة خلفًا عن السلف. ....=

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

نخلصُ من ذلك: إلى أنَّ التصانيف في العقيدة قد تكون باسم: العقيدة أو باسم التوحيد أو باسم السنة أو باسم الشريعة كما هو موجودٌ فعلاً في تصانيف أئمة أهل السنة والجماعة.

المسألة الثانية:

قوله: (أهلُ السنَّة والجماعة) أهل السنة والجماعة، هذا لفظٌ أُطلِقَ في أواخر القرن الثاني الهجري على أتبَاعِ الأثر والمخالفين للفِرَق المختلفة الذين خرجوا عن طريقة الصحابة والتابعين.

وأول من استعمله بعض مشايخ البخاري - رحمهم الله تعالى - وجَمَعَ بين لفظين، بين (السنة) و(الجماعة)؛ لأنَّ هناك من يدَّعِي اتِّباع السنة ولكنه لا يكون مع الجماعة، وهناك من يدعو إلى الجماعة بلا اتِّبَاعِ سنة.

فصارت طريقة أهل الحديث والأثر أتباع السلف الصالح مشتملة على شيئين: اتِّبَاع السنة والجماعة.

وكلٌّ منهما في الحقيقة لازمٌ للآخر، فاتِّبَاع السنة هو اتِّبَاع الجماعة، واتِّبَاع الجماعة هو اتِّبَاع السُّنَّة، وذلك لأنَّ النبي ﷺ صَحَّ عنه في الحديث الذي في السنن أنه قال: **«وَسَتَفْتَرِقُ هذه الأمَّة عَلَى ثلاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَة. كُلّهَا فِي النّارِ، إلاّ وَاحِدَة. وَهِيَ الجَمَاعَةُ»**.

فصارت الفِرَق في النار؛ يعني مُتَوَعَّدَة بدخولها في النار، والناجية فرقة واحدة هي الجماعة، وهم المتبعون للسنة المتمثلون لقول النبي ﷺ: **«عَلَيكُم بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ المَهدِيينَ مِن بَعدِي، تَمَسَّكوا بها، وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ»**... الحديث.

التعليقات

= ومن جملة السلف الصالح الذين كانوا على الاعتقاد الثابت عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، من جملتهم الأئمة الأربعة الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وغيرهم من الأئمة الذين قاموا بالدفاع عن العقيدة وتحريرها، وبيانها وتعليمها للطلاب.

وكان أتباع الأئمة الأربعة يعتنون بهذه العقيدة، ويتدارسونها ويحفظونها لتلاميذهم، وكتبوا فيها الكتب الكثيرة على منهج الكتاب والسنة، وما كان عليه المصطفى ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم والتابعون، وردوا العقائد الباطلة والمنحرفة، وبينوا زيفها وباطلها، وكذلك أئمة الحديث: كإسحاق بن راهويه، والبخاري، ومسلم والإمام ابن خزيمة، والإمام ابن قتيبة، ومن أئمة التفسير: كالإمام الطبري، والإمام ابن كثير، والإمام البغوي، وغيرهم من أئمة التفسير. وألفوا في هذا مؤلفات يسمونها بكتب السنة، مثل كتاب السنة لابن أبي عاصم، وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، والسنة للخلال، والشريعة للآجري، وغير ذلك.

ومن جملة هؤلاء الأئمة الذين كتبوا في عقيدة السلف: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، من علماء القرن الثالث بمصر، وسمي بالطحاوي نسبة لبلدة في مصر، فكتب هذه العقيدة المختصرة النافعة المفيدة................................ =

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

وإذا أُفرِدَ أهل السنة فقد يُطلَقُ ويُرَادُ بهم ما يقابل الرافضة والشيعة ؛ لأنَّ لفظ (أهل السنة) يطلق ويراد به ما يخالف التَّشيُّع ، ويُطلق ويراد به أهل الحديث والأثر.

ولهذا زادوا على السنة (الجماعة)، مع أنَّ كلاً منهما ملازمٌ للآخر لأجل أن يكون هناك تحديد في الإطلاق، فيكون المراد بالإطلاق ما يخالف الفرق كلها: الرافضة والخوارج والجهمية، والمرجئة والقدرية، والجبرية إلى آخر أصول الفرق.

وقد ذكرنا لكم في أول شرح الواسطية تفصيل معنى أهل السنة والجماعة، ومعنى الجماعة؛ وجماعة الدين وجماعة الأبدان بما يُرجع في ذلك إليه.

المسألة الثالثة:

أنّ هذه العقيدة التي ذكرها الطحاوي رحمه الله بُنيت على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن.

وهؤلاء عند أهل الحديث والأثر وافقوا السنة والجماعة في أكثر المسائل، لكنَّهُم خالفوهم في أصلٍ عظيمٍ من أصول الدين ألا وهو الإيمان، ولهذا أُطلِقَ عليهم مرجئة الفقهاء.

فهُم مرجئة لأنَّ كلامهم في الإيمان كلام المرجئة لأنهم أرجَؤُوا العمل عن مسمى الإيمان، وقالوا: إنّ أهله في أصله سواء، وقيل لهم مرجئة الفقهاء؛ لأنهم فقهاء، اشتهروا بذلك.

التعليقات

= وكتبت عليها شروح، حوالي سبعة شروح، ولكن لا تخلو من أخطاء؛ لأن الذين ألفوها كانوا على منهج المتأخرين، فلم تخل شروحهم من ملاحظات ومخالفة لما في عقيدة الطحاوي، إلا شرحًا واحدًا فيما نعلم، وهو شرح العز بن أبي العز رحمه الله، المشتهر بشرح الطحاوية، وهذا من تلاميذ ابن كثير فيما يظهر، وقد ضمن شرحه هذا منقولات من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن كتب ابن القيم، ومن كتب الأئمة، فهو شرح حافل، وكان العلماء يعتمدون عليه ويعتنون به؛ لنقاوته وصحة معلوماته، فهو مرجع عظيم من مراجع العقيدة، والمؤلف -كما ذكر- ألف هذه العقيدة على مذهب أهل السنة عمومًا، ومنهم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فهو أقدم الأئمة الأربعة وأدرك التابعين وروى عنهم، وكذلك صاحباه أبو يوسف، ومحمد الشيباني، وأئمة المذهب الحنفي.

ذكر عقيدتهم، وأنها موافقة لمذهب أهل السنة والجماعة، وفي هذا ردٌ على المنتسبين إلى الحنفية في الوقت الحاضر أو في العصور المتأخرة، ينتسبون إلى الحنفية ويخالفون أبا حنيفة في العقيدة، فهم يمشون على مذهبه في الفقه فقط، ويخالفونه في العقيدة، فيأخذون عقيدة أهل الكلام والمنطق، وكذلك حدث في الشافعية المتأخرين منهم يخالفون الإمام الشافعي في العقيدة، وإنما ينتسبون إليه في الفقه، كذلك كثير من المالكية المتأخرين ليسوا على عقيدة الإمام مالك، لكنهم يأخذون من مذهب مالك في الفقه فقط، أما العقيدة فهم أصحاب طرق وأصحاب مذاهب متأخرة.......................=

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

فإذن يظهر من هذا التقديم أنَّ هذا المُؤَلَّف مبنيٌّ على كلام أهل السُّنة والجماعة بعامة، وعلى مذهب مرجئة الفقهاء في الإيمان بخاصة.

وهذا هو الواقع فِعلاً؛ فإنَّ كلامه في الإيمان هو كلام المرجئة، فإذن قوله (**أهل السنة والجماعة**) يُدخِل فيهم المرجئة؛ مرجئة الفقهاء.

وهذا منه يدل على أنَّ مدلول (**أهل السنة والجماعة**) يشمل أهل الحديث والأثر ويشمل الماتُريدية والأشاعرة، وهذا باطل.

وهذا القول صَرَّحَ به بعض الشُّرَّاح من المتقدمين ومن المتأخرين كالسَّفَّاريني في (**لوامع الأنوار**) حيث قال في فصلٍ له: **اعلم أنَّ أهل السنة والجماعة ثلاثة طوائف؛ أهل الحديث والأثر والأشاعرة والماتردية**.

وهذا باطلٌ؛ لأنَّ أهل السنة والجماعة هم الذين أخذوا بالسنة والجماعة في كل أصول المسائل.

وأعظم المسائل التي حصل فيها الاختلاف أولاً هي مسألة الإيمان ومسائل الأسماء والأحكام، فخالَفَ فيها الخوارج، كما هو معلوم، ثم تَبِعَ ذلك ظهور المرجئة إلى آخر ما حصل. فإذًا هذه المسألة -مسألة الإيمان- من مسائل الأصول العظيمة فلا يكون من نفاها -يعني من نفى دخول العمل في مسمى الإيمان- علي طريقة أهل السنة والجماعة أتباع الحديث والأثر؛ لمخالفة قولهم للنصوص الكثيرة الدالة على أنَّ العمل من الإيمان كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله تعالى.

المسألة الرابعة:

قوله (وما يعتقدون من أصول الدِّين) هذه الكلمة (**أصول الدِّين**) يُعبَّرُ بها عن العقيدة؛ لأنَّ التعبير عن العقيدة صار فيه اشتراك.

فيُعَبَّر عنها -عن العقيدة- عند أهل الحديث بما ذكرنا لك من العبارات: العقيدة، السنة، التوحيد، الشريعة، وعَبَّرَ عنها المخالفون بعِلم الكلام.

والذين تركوا الفلسفة وما أصَّلَهُ علماء الكلام في بيان العقيدة إلى ما دَلَّ عليه كلام مُعَظِّميهم كالأشعري والماتريدي عَدَلُوا عن (**علم الكلام**) إلى (**أصول الدين**).

التعليقات

= ففي هذه العقيدة ردٌ على هؤلاء وأمثالهم ممن ينتسبون إلى الأئمة، ويتمذهبون بمذاهب الأئمة الأربعة، ويخالفونهم في العقيدة، كالأشاعرة: ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري في مذهبه الأول، ويتركون ما تقرر واستقر عليه أخيرًا من مذهب أهل السنة والجماعة، فهذا انتساب غير صحيح؛ لأنهم لو كانوا على مذهب الأئمة لكانوا على عقيدتهم.

نَقُولُ فِي تَوحِيدِ اللهِ[1] -مُعتَقِدِينَ بِتَوفِيقِ اللهِ- أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ...

ابن ابي العز الحنفي

.....ش : اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]. وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾. وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾. وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]..

الشيخ صالح

لأنَّ كلمة أصول الدين فيها مخالفة للفظ علم الكلام المذموم، وفيها تَوَسُّط ما بين الألفاظ الشرعية (السنة، العقيدة، التوحيد، الشريعة) وما بين قولهم: علم الكلام. فأتوا بهذا اللفظ الذي هو بين اللفظين.

ولهذا نقول: هذا اللفظ إن كان دليله ومَأخَذُهُ هو مَأخَذ التوحيد والسنة والعقيدة والشريعة فلا بأس باستعماله، ولهذا يستعمله أهل السنة والجماعة، ويريدون به المعنى الصحيح وهو أنَّ (أصول الدين) المقصود بها أصول الإيمان الستة وما يَندَرِجُ في ذلك من المسائل الأصلية والتَبعِيَّة.

التعليقات

(١) الشيخ ابن باز: اعلم أن التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب ينقسم إلى أقسام ثلاثة: حسب استقراء النصوص من الكتاب والسنة، وحسب واقع المكلفين.

القسم الأول: توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه، وهو الإيمان بأنه الخالق الرازق المدبر لأمور خلقه المتصرف في شئونهم في الدنيا والآخرة لا شريك له في ذلك كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ الآية. وهذا النوع قد أقر به المشركون عباد الأوثان وإن جحد أكثرهم البعث والنشور، ولم يدخلهم في الإسلام لشركهم بالله في العبادة، وعبادتهم الأصنام والأوثان معه سبحانه، وعدم إيمانهم بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم.........................=

...... وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله». ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهاده أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم. بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك. ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبًا باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة، لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك.........

فكلمة (أصول الدين) كلمة مُرَكَّبَة مُضَافَة، ولذلك يقولون هي مُرَكَّبٌ إضافي؛ أُضيف فيه الأصل إلى الدين، و(أصول الدين) كلمة معناها العقيدة. يريدون بكلمة (أصول) ما يخالف الفروع وهي العمليات.

وإذا كان اللفظ محدثا أو مُصطَلحًا عليه فنقول لا مُشَاحَّةَ في الاصطلاح إذا كان لم يختص به أهل البدع، فاستعمله طائفة من علماء الحديث والسنة ويعنون به ما دلت عليه الألفاظ الشرعية؛ العقيدة، السنة، التوحيد، الشريعة.

فإذن (وما يعتقدون من أصول الدين) يعني المقصود بها أصول الإيمان المعروفة، وما يتصل بذلك من مباحث، وما خالف فيه أهل السنة أهل البدعة.

التعليقات

=القسم الثاني: توحيد العبادة ويسمى توحيد الألوهية وهي العبادة، وهذا القسم هو الذي أنكره المشركون فيما ذكر الله عنهم سبحانه بقوله: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾. وأمثالها كثير، وهذا القسم يتضمن إخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بأنه المستحق لها، وأن عبادة ما سواه باطلة، وهذا هو معنى لا إله إلا الله؟ فإن معناها لا معبود حق إلا الله كما قال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الآية من سورة الحج.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله العزيز وفي السنة الصحيحة عن رسول الله من أسماء الله وصفاته وإثباتها لله سبحانه على الوجه الذي يليق به من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما قال الله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وقال عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وقال عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾..............................=

..... وهنا مسائل تكلم فيها الفقهاء: كمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام، ولم يتكلم بهما، هل يصير مسلمًا أم لا؟ والصحيح أنه يصير مسلمًا بكل ما هو من خصائص الإسلام. فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». وهو أول واجب وآخر واجب.

فالتوحيد أول الأمر وآخره، أعني: توحيد الإلهية، فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات. والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء. والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له...

قوله (نقُولُ) هذا لأنه لا يُكتَفَى في الاعتقاد باعتقاد القلب؛ بل لا بد من قول اللسان.

وأعظم قول اللسان وكافِيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لأنَّ العقيدة الصحيحة اعتقادٌ بالجنان، وقولٌ باللسان حتى يكون الإيمان صحيحًا، ثم امتثال العمليات في الأمر والنهي.

وقوله (مُعتَقدينَ) هذه حال من (نقُولُ) يعني أقول حَالَةَ كوني معتقدا هذا الكلام، عاقدا عليه قلبي، غير متردد فيه ولا مرتاب. فـ(مُعتَقدينَ) ولو تأخرت فهي حال من الضمير في (نقُولُ).

التعليقات

= وقال سبحانه في سورة النحل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة. والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى الذي لا نقص فيه. وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان، يُمِرُّون آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت ويثبتون معانيها لله سبحانه إثباتا بريئا من التمثيل، وينزهون الله سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيها بريئا من التعطيل. وبما قالوا تجتمع الأدلة من الكتاب والسنة وتقوم الحجة على من خالفهم. وهم المذكورون في قوله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ جعلنا الله منهم بمنه وكرمه، والله المستعان.

ابن أبي العز الحنفي

..... أما الأول : فإن نفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد، كجهم بن صفوان ومن وافقه، فإنهم قالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب، وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة، فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل. وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول والاتحاد، وهو أقبح من كفر النصارى، فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات. ومن فروع هذا التوحيد: أن فرعون وقومه كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة.

ومن فروعه : أن عباد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله لا غيره.

ومن فروعه: أنه لا فرق في التحريم والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنا والنكاح، والكل من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة.

ومن فروعه : أن الأنبياء ضيقوا على الناس -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.....

الشيخ صالح

وقوله (بتوفيق الله) هذه استعانة بالله ﷻ أن يوفقه في القول الحق في ذلك.

والتوفيق اختلفت فيه التفسيرات بما سيأتي بيانه إن شاء الله مفصلاً في ذكر مسائل القدر، فأهل السنة لهم تفسير للتوفيق وللخذلان، وأهل البدع كلٌ له مَشرَبُه في تفسير التوفيق والخذلان.

قال (**نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيق الله: إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ**) اشتملت هذه الجملة على ذِكر التوحيد وعلى تفسيره.

التعليقات

الشيخ الألباني : إن نفي الشريك عن الله تعالى لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك :

الأول : الشرك في الربوبية وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقا آخر - سبحانه وتعالى - كما هو اعتقاد المجوس القائلين بأن للشر خالقا غير الله سبحانه . وهذا النوع في هذه الأمة قليل والحمد لله وإن كان قريبا منه قول المعتزلة : إن الشر إنما هو من خلق الإنسان وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ : (صحيح) « القدرية مجوس هذه الأمة . . . » الحديث وهو مخرج في مصادر عدة عندي أشرت إليها في " صحيح الجامع الصغير وزيادته " رقم (٤٣١٨) [٤٤٤٢] . ...=

ابن أبي العز الحنفي

...... وأما الثاني: وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضة طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقنًا به في الباطن، كما قال له موسى: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]..........................

الشيخ صالح

وكلمة (التوحيد) هذه مصدر: وَحَّدَ، يُوَحِّدُ، تَوحِيدًا؛ يعني جَعَلَ الشيء واحداً.

قد جاء في السنة عن النبي ﷺ أنه قال في حديث معاذ: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله**»، وجاء أيضا في قول الصحابي ﷺ: «**فأهلَّ** رسول الله ﷺ **بالتوحيد**» في قوله لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك -التلبية المعروفة في أول الحج-، «**فأهلَّ رسول الله ﷺ بالتوحيد**»، فإذًا كلمة (التوحيد) جاءت في السنة.

التعليقات

= الثاني: الشرك في الألوهية أو العبودية وهو أن يعبد مع الله غيره من الأنبياء والصالحين؛ كالاستغاثة بهم وندائهم عند الشدائد ونحو ذلك. وهذا مع الأسف في هذه الأمة كثير ويحمل وزره الأكبر أولئك المشايخ الذين يؤيدون هذا النوع من الشرك باسم التوسل "يسمونها بغير اسمها".

الثالث: الشرك في الصفات وذلك بأن يصف بعض خلقه تعالى ببعض الصفات الخاصة به عز وجل كعلم الغيب مثلا وهذا النوع منتشر في كثير من الصوفية. ومن تأثر بهم مثل قول بعضهم في مدحه النبي ﷺ: « فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم »..............................=

ابن أبي العز الحنفي

...... ولهذا لما قال: وما رب العالمين؟ على وجه الإنكار له تجاهل العارف، قال له موسى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤، ٢٨].

وقد زعم طائفة: أن فرعون سأل موسى مستفهمًا عن الماهية، وأن المسؤول عنه لما لم تكن له ماهية عجز موسى عن الجواب وهذا غلط، وإنما هذا استفهام إنكار وجحد، كما دل سائر آيات القرآن على أن فرعون كان جاحدًا لله نافيًا له، لم يكن مثبتًا له طالبًا للعلم بماهيته..................

الشيخ صالح

ومعنى التوحيد كما ذكرنا جعل الشيء واحدًا في اللغة، فتوحيد الله معناه أن تجعل الله واحدًا، واحِد فيما وحَّدَ الله ﷻ نفسه فيه فيما دلت عليه النصوص.

والنصوص دلَّت على أنَّ الله واحدٌ في ربوبيته، واحدٌ في إلهيته، واحدٌ في أسمائه وصفاته.

فالتوحيد إذًا في الكتاب والسنة راجع إلى توحيد الربوبية، توحيد الإلهية، توحيد الأسماء والصفات، وهذا على التقسيم المشهور، وقسَّمَهُ بعض أهل العلم إلى تقسيم آخر وهو أنَّ توحيد الله ينقسم إلى قسمين؛ ينقسم:

- إلى توحيدٍ في المعرفة والإثبات.
- وإلى توحيدٍ في القصد والطلب.

التعليقات

= ومن هنا جاء ضلال بعض الدجالين يزعمون أنهم يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم يقظة ويسألونه عما خفي عليهم من بواطن نفوس من يخالطونهم ويريدون تأميرهم في بعض شؤونهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان ليعلم مثل ذلك في حال حياته ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ فكيف يعلم ذلك بعد وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى؟!

هذه الأنواع الثلاثة من الشرك من نفاها عن الله في توحيده إياه فوحده في ذاته وفي عبادته وفي صفاته فهو الموحد الذي تشمله كل الفضائل الخاصة بالموحدين ومن أخل بشيء منه فهو الذي يتوجه إليه مثل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فاحفظ هذا فإنه أهم شيء في العقيدة، فلا جرم أن المصنف رحمه الله بدأ به، ومن شاء التفصيل فعليه بشرح هذا الكتاب وكتب شيوخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب وغيرهم ممن حذا حذوهم واتبع سبيلهم ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

ابن أبي العز الحنفي

...... فلهذا بين لهم موسى أنه معروف، وأن آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بما هو، بل هو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل، بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من معرفة كل معروف. ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: أن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال، فإن الثنوية من المجوس، والمانوية القائلين بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما: متفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة، هل هي قديمة أو محدثة؟ فلم يثبتوا ربين متماثلين.

وأما **النصارى القائلون بالتثليث**: فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الابن والأب وروح القدس إله واحد. وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا مضطربين في فهمه، وفي التعبير عنه، لا يكاد واحد منهم يعبر عنه بمعنى معقول، ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد، فإنهم يقولون: هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم! والأقانيم يفسرونها تارة بالخواص، وتارة بالصفات، وتارة بالأشخاص. وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام. وبالجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين........................

الشيخ صالح

وعَنَى بقوله **(في المعرفة والإثبات)** في معرفة الله ﷻ بأفعاله، وهذا هو الربوبية و**(الإثبات)** له فيما أثبت لنفسه، وهذا هو الأسماء والصفات. **وقوله (في القصد والطلب)** وهو توحيد الإلهية.

وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات جاء في عبارات المتقدمين من أئمة الحديث والأثر، فجاء عند أبي جعفر الطبري في تفسيره وفي غيره من كتبه، وفي كلام ابن بطة، وفي كلام ابن منده، وفي كلام ابن عبد البر، وغيرهم من أهل العلم من أهل الحديث والأثر، خلافا لمن زعم من المبتدعة أن هذا التقسيم أحدثه ابن تيمية، فهذا التقسيم قديم يعرفه من طالع كتب أهل العلم التي ذكرنا.

التعليقات

الشيخ الفوزان: (نقول)، أي ؛ نعتقد في توحيد الله عز وجل. **والتوحيد لغة**: مصدر وحَّد: إذا جعل الشيء واحدًا. وشرعًا: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وترك عبادة ما سواه. وأقسامه ثلاثة بالاستقراء من كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وهذا ما تقرر عليه مذهب أهل السنة والجماعة، فمن زاد قسمًا رابعًا أو خامسًا فهو زيادة من عنده؛ لأن الأئمة قسَّموا التوحيد إلى أقسام ثلاثة من الكتاب والسنة، فكل آيات القرآن والأحاديث في العقيدة لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة..............=

ابن أبي العز الحنفي

...... والمقصود هنا: أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين، مع أن كثيرًا من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في إثبات هذا المطلوب وتقريره. ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل، وزعم أنه يتلقى من السمع.

والمشهور عند أهل النظر: إثباته بدليل التمانع، وهو: أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما؛ مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته: فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما. والأول ممتنع، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضًا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلها، واذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزًا لا يصلح للإلهية.......................

الشيخ صالح

إذا تقرر ذلك: فمعنى توحيد الربوبية: اعتقاد أنَّ الله واحدٌ في أفعاله سبحانه لا شريك له.

وأفعال الله ﷻ منها خَلقُه سبحانه، ومنها رزقُهُ وإحياؤه وإماتته وتدبيره للأمر وإغاثته للناس ونحو ذلك، يعني أنَّ توحيد الربوبية راجعٌ إلى أفراد الربوبية التي هي السيادة والتصرف في الملكوت، فكل ما رَجَع إلى السيادة والتصرف في الملكوت رجع إلى توحيد الربوبية.

التعليقات

= الأول: توحيد الربوبية: وهو توحيد الله تعالى وإفراده بأفعاله: كالخلق، والرزق، والإحياء والإماتة، وتدبير الكون، فليس هناك رب سواه سبحانه وتعالى، رب العالمين. **القسم الثاني**: توحيد الألوهية أو توحيد العبادة؛ لأن الألوهية معناها عبادة الله عز وجل بمحبته وخوفه ورجائه، وطاعة أمره، وترك ما نهى عنه فهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي شرعها لهم. **القسم الثالث**: توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وتنزيهه عما نزَّه عنه نفسه، ونزَّهه عنه رسوله ﷺ من العيوب والنقائص.
فكل الآيات التي تتحدث عن أفعال الله فإنها في توحيد الربوبية، وكل الآيات التي تتحدث عن العبادة والأمر بها والدعوة إليها فإنها في توحيد الألوهية، وكل الآيات التي تتحدث عن الأسماء والصفات لله عز وجل فإنها في توحيد الأسماء والصفات، وهذه الأقسام الثلاثة المطلوب منها هو توحيد الألوهية؛ لأنه هو الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، وقام من أجله الجهاد في سبيل الله، حتى يُعبد الله وحده، وتُترك عبادة ما سواه.......................................=

...... وتمام الكلام على هذا الأصل معروف في موضعه، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن، ودعت إليه الرسل عليهم السلام، وليس الامر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السموات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥]. ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]...............

الشيخ صالح

فالإيمان بتوحيد الربوبية معناه أنَّهُ إيمانٌ بأنَّ الله وحده لا شريك له هو المتصرف في هذا الملكوت أمرًا ونهيًا، هو الخالق وحده، وهو الرَّزَّاقُ وحده، وهو المحيي المميت وحده، وهو النافع الضار وحده، وهو القابض الباسط وحده في ملكوته، إلى آخر مفردات الربوبية، كما قال ﷻ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]، فأثبت أَنَّهُم أقروا بالرُّبوبيَّة، وأنكرَ عليهم أنهم لم يتقوا الشرك به وتَركُ توحيد الإلهية.

التعليقات

= وأما توحيد الربوبية ومنه توحيد الأسماء والصفات فلم ينكره أحد من الخلق، وذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في آيات كثيرة، ذكر أن الكفار مُقرّون بأن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، والمدبر، فهم لا يخالفون فيه. وهذا النوع إذا اقتصر عليه الإنسان لا يدخله ذلك في الإسلام؛ لأن النبي ﷺ، قاتل الناس وهم يقرون بتوحيد الربوبية، واستحل دماءهم وأموالهم.

ولو كان توحيد الربوبية كافيًا لما قاتلهم الرسول عليه الصلاة والسلام، بل ما كان هناك حاجة إلى بعثة الرسل، فدل على أن المقصود والمطلوب هو توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فإنه دليل عليه، وآية له، ولذلك إذا أمر الله بعبادته ذكر خلقه للسموات والأرض، وقيامه سبحانه بشؤون خلقه، برهانًا على توحيد الألوهية، وإلزامًا للكفار والمشركين، الذين يعترفون بالربوبية وينكرون الألوهية، ولما قال لهم النبي ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾.

فهم لا يريدون توحيد الألوهية، بل يريدون أن تكون الآلهة متعددة، وكلٌ يعبد ما يريد...................=

....

ابن أبي العز الحنفي

..... مثل هذا كثير في القرآن، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم، تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم الى الله، وهذا كان أصل شرك العرب، قال تعالى حكاية عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وقد ثبت في صحيح البخاري، وكتب التفسير، وقصص الأنبياء وغيرها، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره من السلف، أن هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم وأن هذه الأصنام بعينها صارت إلى قبائل العرب، ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما، قبيلة قبيلة. وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ؟ أمرني أن لا أدع قبرًا مشرفا إلا سويته، ولا تمثالا إلا طمسته».........................

الشيخ صالح

وتوحيد الإلهية: هو توحيد الله بأفعال العبيد: التوحيد في القصد والطلب: بأن يُفرِدَ العبد ربه ﷻ في إنابته وخضوعه ومحبته ورجائه، وأنواع عبادته من صلاته وزكاته وصيامه ودعائه وذبحه ونذره إلى آخر أفراد العبادة بما هو معلوم في توحيد الإلهية.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو جعل الله ﷻ واحدًا لا مِثل له في أسمائه وصفاته كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وكما قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وكما قال ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

التعليقات

= فيجب أن يُعلم هذا، فإن كل أصحاب الفرق الضالة الحديثة والقديمة، يركزون على توحيد الربوبية، فإنه إذا أقر العبد عندهم بأن الله هو الخالق الرازق. قالوا: هذا مسلم، وكتبوا بذلك عقائدهم، فكل عقائد المتكلمين لا تخرج عن تحقيق توحيد الربوبية والأدلة عليه، وهذا لا يكفي، بل لابد من الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يأمرون الناس بعبادة الله وهي توحيد الألوهية، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

كل الآيات تأمر بتوحيد الألوهية وتدعو إليه، وجميع الرسل دعوا إلى توحيد الألوهية وأمروا به أممهم، ونهوهم عن الشرك، هذا هو المطلوب والغاية والقصد من التوحيد، وأما توحيد الأسماء والصفات فأنكره المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، على تفاوت بينهم في ذلك.........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدًا»، وفي الصحيحين «أنه ذكر في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة، وذكر من حسنها وتصاوير فيها، فقال: إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». وفي صحيح مسلم عنه ﷺ: «أنه قال قبل أن يموت بخمس: إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

ومن أسباب الشرك عبادة الكواكب واتخاذ الأصنام بحسب ما يظن أنه مناسب للكواكب من طباعها، وشرك قوم إبراهيم عليه السلام كان - فيما يقال - من هذا الباب. وكذلك الشرك بالملائكة والجن واتخاذ الأصنام لهم.........

الشيخ صالح

إذًا قوله (نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيق الله) هنا ذكَرَ التوحيد لأنَّ الخلاف قائمٌ فيه:

- ففي الربوبية قام الخلاف مع الدُّهرِيَة والفلاسفة الذين يقولون: إنَّ هذا العالمَ قديم لم يزل، وأنه ليس له خالق، بل وُجِدَ هكذا العالم باتفاق، وغير ذلك من مقالات نُفاة الرب ﷻ.

وكذلك مخالفة للذين جعلوا الله ربًا ولكن جعلوا معه شريكًا في الربوبية، وهم طوائف من الملل مختلفة، وفي هذه الأمة دَخَلَ ذلك في قول غلاة المتصوفة الذين يقولون:

إنَّ لهذا العالم فيه من يتصرف فيه من الأولياء والأقطاب الذين لكل بلد قطب يمنع ويعطي فيها ويرزق ويحيي ويميت، إلى آخر ما يعتقدون فيه.

- في الإلهية ثمَّ من خالف. - في الأسماء والصفات ثمَّ من خالف كما سيأتي تفصيله.

التعليقات

= وقوله (نقول): -أي يقول معشر أهل السنة والجماعة- في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له.

العقيدة والتوحيد بمعنى واحد سواء سُميت عقيدة أو توحيدًا أو إيمانًا، فالمعنى واحد وإن اختلفت الأسماء.

وقوله: (بتوفيق الله) هذا تسليم لله عز وجل، وتضرُّع إلى الله، وتبرؤ من الحول والقوة، فالإنسان لا يزكي نفسه، وإنما يقول: بتوفيق الله، بمشيئة الله، بحول الله، هذا أدب العلماء رحمهم الله. (إن الله واحد لا شريك له) هذا هو التوحيد؛ واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته، وواحد في أسمائه وصفاته.

ابن أبي العز الحنفي

.... وهؤلاء كانوا مقرين بالصانع، وأنه ليس للعالم صانعان، ولكن اتخذوا هؤلاء شفعاء، كما أخبرعنهم تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

وكذلك كان حال الأمم السالفة المشركين الذين كذبوا الرسل كما حكى الله تعالى عنهم في قصة صالح عليه السلام عن التسعة الرهط الذين تقاسموا بالله، أي تحالفوا بالله، لنبيتنه وأهله. فهؤلاء المفسدون المشركون تحالفوا بالله عند قتل نبيهم وأهله، وهذا بيّن أنهم كانوا مؤمنين بالله إيمان المشركين..............

الشيخ صالح

هنا سؤال: وهو أنه قَدَّمَ القول في الاعتقاد في الله ﷻ، لِمَ؟ والجواب عن ذلك أنه قدَّم ذلك لأمرين:

⇦ الأمر الأول: أنّ الإيمان بالله مُقَدَّمٌ على غيره من أركان الإيمان كما قال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧]، فَقَدَّمَ الإيمان بالله على غيره، وكما في قوله ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وقول النبي ﷺ في حديث جبريل المعروف: **«الإيمان أن تُؤمِنَ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِر، وتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ»**.

⇦ الأمر الثاني: أنَّ الاعتقاد في الله ﷻ هو أصل الإيمان، وبه يصير المرء مؤمنًا، بالاعتقاد في الله ﷻ بالوحدانية بما دَلَّت عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأَنَّ محمدا رسول الله، وأَنَّ ذلك هو أول واجبٍ على العبيد.

وفي هذا مخالفة للذين زعموا أنَّ أول واجبٍ على العبد -ويقدمونه في عقائدهم- أن يَعرِفَ الله، أو أن يستدل على معرفة الله، أو ما يسمونه بالنظر للتوحيد أو للمعرفة، أو بالقصد إلى النظر.

فلما كان أول واجب هو التوحيد قَدَّمَه، مخالَفَةً لمن قال إنَّ أول واجب هو أن تنظر في الدلائل وفي الملكوت لمن كان أهلا لذلك.

التعليقات

..... فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية، الذي يتضمن توحيد الربوبية، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]......................

قال (إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ)، (إنَّ الله واحدٌ)، لفظ (واحدٌ) هذا من أسماء الله الحسنى، كما قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤]، وأيضا من أسمائه الحسنى الأحد ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]. و(واحدٌ) يعني أنه لا شريك له، ولذلك كانت كلمة (لا شريكَ لَهُ) هذه مؤكِّدَة تأكيدًا بعد تأكيد.

قال الحافظ ابن حجر وغيره في قوله (واحدٌ لا شريكَ لَهُ) هذا تأكيد بعد تأكيد لبيان عِظَمِ مقام التوحيد، وكلمة (واحدٌ) هذه راجعة عند أهل الاعتقاد إلى أَحَدِيَّتِه سبحانه، ونقول الصحيح أنه لا فرق بين واحد وأحد.

والمتكلمون يُفرِّقُونَ بين الواحد والأحد؛ أو واحد وأحد، فيُرجِعُون الوَاحِدِيَّة للصفات، والأَحَدِيَّة للأفعال؛ لكن الصحيح أنَّ اسم الله ﷻ الواحد يرجع إليه أَحديته سبحانه في الذات وفي الصفات وفي الأفعال؛ في الربوبية و الألوهية و الأسماء والصفات.

ابن أبي العز الحنفي

.... وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، ولا يقال: أن معناه يولد ساذجًا لا يعرف توحيدًا ولا شركًا، كما قال بعضهم - لما تلونا، ولقوله ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل: «خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين» الحديث. وفي الحديث المتقدم ما يدل على ذلك، حيث قال: «يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ولم يقل: ويسلمانه. وفي رواية «يولد على الملة» وفي أخرى: «على هذه الملة».

وهذا الذي أخبر به ﷺ هو الذي تشهد الأدلة العقلية بصدقه. منها أن يقال: لا ريب أن الإنسان قد يحصل له من الاعتقادات والإرادات ما يكون حقًّا، وتارة ما يكون باطلاً، وهو حساس متحرك بالإرادات، ولا بد له من أحدهما، ولا بد له من مرجح لأحدهما. ونعلم أنه إذا عرض على كل أحد أن يصدق وينتفع وأن يكذب ويتضرر، مال بفطرته إلى أن يصدق وينتفع، وحينئذ فالاعتراف بوجود الصانع الإيمان به هو الحق أو نقيضه، والثاني فاسد قطعًا، فتعين الأول، فوجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإيمان به. وبعد ذلك: إما أن يكون في فطرته محبته أنفع للعبد أوْلا. والثاني فاسد قطعًا، فوجب أن يكون في فطرته محبة ماينفعه......

الشيخ صالح

قوله (شريكَ لَهُ) هذا تفسير لـ(واحدٌ) وتأكيدٌ له؛ ولهذا دلَّ قوله (إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ) على أنَّ التوحيد أعظم ما يُفَسَّرُ به نَفيُ الشريك عن الله ﷻ، (نقُولُ في تَوحيدِ الله إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ) فالتوحيد يُفسَّر بِضدِّهِ وهو نفي الشرك كما قال الشاعر:

وبـــــضدها تتــــبين الأشـــياء

فقد لا يستقيم معرفة التوحيد بتفاصيله إلا بالإيقان بِنَفيِ الشرك بأنواعه؛ لهذا نقول هنا قوله (لا شريكَ لَهُ) هذا عام يشمل نفي الشريك في الربوبية، ونفي الشريك في الألوهية، ونفي الشريك في الأسماء والصفات.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ومنها: أنه مفطور على جلب المنافع ودفع المضار بحسه. وحينئذ لم تكن فطرة كل واحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج إلى سبب معين للفطرة، كالتعليم ونحوه، فإذا وجد الشرط وانتفى المانع استجابت لما فيها من المقتضي لذلك.

ومنها: أن يقال: من المعلوم أن كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحق، ومجرد التعليم والتحضيض لا يوجب العلم والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، وإلا فلو عُلم الجماد والبهائم وحضضا لم يقبلا. ومعلوم أن حصول إقرارها بالصانع ممكن من غير سبب منفصل من خارج، وتكون الذات كافية في ذلك، فإذا كان المقتضي قائمًا في النفس وقدِّر عدم المعارض، فالمقتضى السالم عن المعارض يوجب مقتضاه، فعلم أن الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها، كانت مقرَّة بالصانع عابدة له. ومنها: أن يقال، إنه إذا لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج، كانت الفطرة مقتضية للصلاح؛ لأن المقتضي فيها للعلم والإرادة قائم، والمانع منتف......

الشيخ صالح

⇦ النوع الأول من أنواع نفي الشريك في قوله (لا شريك له) نفي الشريك لله في ربوبيته: والشركة في الربوبية راجعة إلى جعل المخلوق له من صفات الرب ﷻ في صفات الربوبية؛ يعني أن يجعلَ للمخلوق تصرفا.

إذا جعل للمخلوق تصرفًا في الكون مما يختص به الله ﷻ، فهذا ادِّعاءٌ للشريك معه في الربوبية، أو أن يعتقد أنَّ الله معه مُعِينٌ أو ظهير أو وزير، وهذا كله منفي، وكل هذا داخل في الاشتراك في الربوبية، كما قال ﷻ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢]، فذكر أنواع الاشتراك في الربوبية:

- إما شَرِكَة مستقلة ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ يعني استقلالاً.
- أو معاونة.
- أو اتخاذ ظهير ووزير لله ﷻ.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله: أن قومًا من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية. فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة، تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسي بنفسها، وتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟! فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدًا! فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله!! وتحكى هذه الحكاية أيضًا عن غير أبي حنيفة.

فلو أقر رجل بتوحيد الربوبية، الذي يقر به هؤلاء النظار، ويفنى فيه كثير من أهل التصوف، ويجعلونه غاية السالكين، كما ذكره صاحب منازل السائرين وغيره، وهو مع ذلك إن لم يعبد الله وحده ويتبرأ من عبادة ما سواه - كان مشركًا من جنس أمثاله من المشركين..........................

الشيخ صالح

وهذه المعتقدات موجودة في طوائف من هذه الأمة.

والإيمان بتوحيد الربوبية ونَفيِ الشَّركَة في الربوبية على درجتين:

○ الدرجة الأولى: واجبة على كل مُكَلَّف، ومن لم يأتِ بها فليس بموحِّد، بل هو مشرك، وهو ما ذكرنا من الاعتقاد بأنَّ الله واحدٌ في ربوبيته؛ في أفعاله سبحانه، فهو الخالق وحده، وهو الرزّاق وحده، وهو المحيي المميت وحده، وهو النافع الضار وحده ﷻ، وهو مُدَبِّرُ الأمور وحده، وهو خالق الخَلق وحده، إلى آخر أفراد ذلك، وهذه واجبة على كل أحد.

○ الدرجة الثانية: وهي مرتبةٌ للخاصة وأهل العلم وهي شهود آثار الربوبية في خَلق الله ﷻ، وهذه بحيث لا يَرَى غير الله ﷻ مُؤَثِرًا في هذا الملكوت، ولو كان تأثير معلولات عن عِلَل، أو تأثير مُسَبَّبات عن أسباب، فإنَّه يَرَى أن لا مؤثر في الحقيقة ولا خالق إلا الله ﷻ، وينظر لذلك في الملكوت متفكرًا، متدبرًا.

التعليقات

...... والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له. ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون في الأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك، فلم تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهة أخرى؟ كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠] الآيات.........................

الشيخ صالح

وهذه حال الخاصة وهي مستحبة، وهي لأهل العلم ولأهل الإيمان، وليست واجبة على كل أحد، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، وكما وصف الله ﷻ بعض عباده بالتفكر والنظر والتدبر في خلق الله ﷻ، بل أمر بذلك في بعض الآيات بقوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٨٤]، وكقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ: ٤٦].

فهذا التَّفكُّر في ربوبية الله ﷻ، في خلق الله يدل على توحيده في الربوبية، وهو حال الخاصة، كما قال الحسن البصري رحمه الله: **عاملنا القلوبَ بالتفكر فأورثها التذكر، فرجعنا بالتذكر على التفكر، وحركنا القلوب بهما، فإذا القلوب لها أسماع وأبصار.**

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... يقول الله تعالى في آخر كل آية: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ أي أإله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى أنه استفهام: هل مع الله إله، كما ظنه بعضهم؛ لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى، كما قال تعالى. ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وكانوا يقولون: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]. لكنهم ما كانوا يقولون: أن معه إلها ﴿ جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل: ٦١]. بل هم مقرون بأن الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات، وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاس ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]......

الشيخ صالح

وهذه عند أهل البدع وأهل الكلام مطلوبة وواجبة لمن كان أهلاً لها. فيوجِبُونَ النظر، ويوجبون التفكر، ولا يصح إيمان أحدٍ – عند طائفة منهم- ممن كان أهلا للنظر إلا بالنظر. فلو مات المتأهل للنظر من غير نَظَرٍ لم يكن مؤمنا بربوبية الله ﷻ، وإن كانت تجري عليه أحكام أهل الإسلام في الدنيا فإنهم لا يُجرُونَ عليه أحكام أهل الإسلام في الآخرة على تفصيل مذهب أهل الكلام في ذلك.

⇦ النوع الثاني من أنواع نفي الشريك في قوله (لا شريك له) نفي الشريك لله في إلهيته: والإلهية معناها العبادة، يعني لا شريك له في عبادته، كما دلت عليها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله وحده لا شريك له).

فيعتقد أنَّ الله ﷻ ليس معه إله يستحق العبادة، وأنّ كل من أُدُعِيَ فيه الإلهية وأنه يُعبَد، فإنما عُبِدَ بالبغي والظلم والعدوان والتعدي.

التعليقات

....

...... وكذلك قوله في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦]. وأمثال ذلك.

وإذا كان توحيد الربوبية، الذي يجعله هؤلاء النظار، ومن وافقهم من الصوفية هو الغاية في التوحيد: داخلا في التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، فليعلم أن دلائله متعددة، كدلائل إثبات الصانع ودلائل صدق الرسول، فإن العلم كلما كان الناس إليه أحوج كانت أدلته أظهر، رحمة من الله بخلقه.

والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل، وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدينية، لكن القرآن يبين الحق في الحكم والدليل، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفقا عليها، استدل بها، ولم يحتج إلى الاستدلال عليها..........................

الشيخ صالح

وكل من أشرك بالله ﷻ فهو ظالمٌ أبشع الظلم وأكبر الظلم؛ لأنه سبحانه توعَّد أهل الشرك بالنار، بل أوجب لهم النار في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء: ١٤٨]، وكما قال المسيح عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

لبيان هذا التوحيد وما يتصل به كتب توحيد العبادة المعروفة ومن أعظمها وأشملها كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ؒ.

⇦ النوع الثالث من أنواع نفي الشريك في قوله (لا شريك له) نفي الشريك لله في الأسماء والصفات: وذلك بأن يعتقد أنَّ الله ﷻ لا شريك له في كيفية اتصافه بالصفات، يعني لا مُماثِلَ له، ولا مشابه له في كيفية اتصافه بالصفات، وأنه سبحانه لا شريك له في المعنى المطلَق لصفاته سبحانه ولأسمائه، ولا مُشَابِهَ له في المعنى المطلق لأسمائه وصفاته، وأنَّ اشتراك بعض خلقه معه سبحانه في الصفات إنما هو اشتراكٌ في مطلق المعنى وفي أصله لا في المعنى المطلق ولا في كماله ولا في الكيفية.

فيعتقد أنَّهُ لا شريك له في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله سبحانه، بل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

التعليقات

....

.... والطريقة الصحيحة في البيان أن تحذف، وهي طريقة القرآن، بخلاف ما يدعيه الجهال، الذين يظنون أن القرآن ليس فيه طريقة برهانية، بخلاف ما قد يشتبه ويقع فيه نزاع، فإنه يبينه ويدل عليه.

ولما كان الشرك في الربوبية معلوم الامتناع عند الناس كلهم، باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثم خالقًا خلق بعض العالم، كما يقوله الثنوية في الظلمة، وكما يقوله القدرية في أفعال الحيوان، وكما يقوله الفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك أو حركات النفوس أو الأجسام الطبيعية، فإن هؤلاء يثبتون أمورًا محدثة بدون إحداث الله إياها، فهم مشركون في بعض الربوبية، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئًا من نفع أوضر، بدون أن يخلق الله ذلك.........

لأجل هذا المعنى العام، عَطَفَ عليها المصنف بقوله (ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره) كما سيأتي تفصيل الكلام على هذه المسائل في ذكر معنى هذه الجُمل الثلاث.

إذًا هذا إجمالٌ لمعنى التوحيد ونفي الشريك، ويأتي تفصيلها مع بيان كل مسألة: توحيد الربوبية وأبحاثه، توحيد الأسماء والصفات وأبحاثه، توحيد الإلهية وأبحاث توحيد الإلهية.

بقيَ أن نقول: إنَّ في قوله (نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيق الله: إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ) إنَّ هذه العبارة (لا شريكَ لَهُ) تفسيرها على طريقة أهل السنة ذكرناها.

وأمَّا أهل البدع فيقولون في تفسير (واحدٌ لا شريكَ لَهُ) عبارات مختلفة تجدونها في التفاسير، ويُكثِرُ منها أهل البدع. فيقولون في تفسير (واحدٌ): واحد في ذاته لا قسيم له، وواحدٌ في صفاته لا شريك له، وواحدٌ في أفعاله لا نِدَّ له.

وفي قولهم في أوَّلِهَا (واحد في ذاته لا قسيم له) هذه من التعبيرات المحدثة، وإن كان يمكن أن تَحتَمِلَ معنَىً صحيحًا؛ لكن التوحيد والأَحَدِيَة تُفسَّرُ بواحديته سبحانه وأحديته في ربوبيته وإلهيته وفي أسمائه وصفاته.

التعليقات
....

ابن أبي العز الحنفي

.... فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجودًا في الناس، بين القرآن بطلانه، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١]. فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر. فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه. فلا بد من أحد ثلاثة أمور: ....

الشيخ صالح

وأهل البدع في التوحيد اختلفت عباراتهم؛ وسبب اختلاف عباراتهم في التوحيد أنهم نظروا في تعريف التوحيد إلى حال النصارى وأهل الملل، فَفَسَّرُوا التوحيد بما يخالِفُ ما عليه بعض الطوائف.

فقالوا (واحدٌ في ذاته لا قسيم له) يعني نفيا للأقانيم الثلاثة التي هي صُوَر لله ﷻ مختلفة كما هو اعتقاد النصارى أو طائفة من النصارى، وكذلك اعتقاد الثَّنَوِيَّة والذين يقولون أنَّ ثَمَّ إلهين، هو إله واحد لكن له أُقنومان شيءٌ للخير وشيءٌ للشر.

والله واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، واحدٌ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

سيأتي إن شاء الله مزيد بيان لقول المخالفين في تفسير الربوبية والألوهية والأسماء والصفات فيما نستقبل إن شاء الله تعالى. نسأل الله سبحانه أن يوفقكم لما يحب ويرضى، وأن يزيدني وإياكم من العلم النافع والعمل الصالح، وأن يختم لنا برضاه، وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

التعليقات

....

...... إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه. وإما أن يعلو بعضهم على بعض. وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره، من أدل دليل على أن مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه. كما قد دل دليل التمانع على أن خالق العالم واحد، لا رب غيره ولا إله سواه، فذلك تمانع في الفعل والإيجاد، وهذا تمانع في العبادة والإلهية. فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان.

فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته، مستقر في الفطر معلوم بصريح العقل بطلانه، فكذا تبطل إلهية اثنين. فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطر من توحيد الربوبية، دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الإلهية وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقد ظن طوائف أن هذا دليل التمانع الذي تقدم ذكره، وهو أنه لو كان للعالم صانعان إلخ، وغفلوا عن مضمون الآية، فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل أرباب.

وأيضًا: فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا.

وأيضًا: فإنه قال: ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾، وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا. ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة، ....

الشيخ صالح

التعليقات

.... بل لا يكون الإله إلا واحد، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى، وأن فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره. فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السموات والارض.

وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد.

وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس. فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزًا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها. قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١]. وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٢].

وفيها للمتأخرين قولان:

أحدهما: لاتخذوا سبيلاً الى مغالبته، والثاني: وهو الصحيح المنقول عن السلف، كقتادة وغيره، وهو الذي ذكره ابن جرير ولم يذكر غيره: لاتخذوا سبيلاً بالتقرب إليه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [المزمل: ١٩].........

الشيخ صالح

التعليقات

...... وذلك أنه قال: ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ [الإسراء: ٤٢] وهم لم يقولوا: إن العالم له صانعان، بل جعلوا معه آلهة اتخذوهم شفعاء، وقالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، بخلاف الآية الأولى.

ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول (الحديد) و(طه) وآخر (الحشر) وأول (آلم تنزيل السجدة) وأول (آل عمران) وسورة (الإخلاص) بكمالها، وغير ذلك.

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾، و﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها، وأول سورة (يونس) وأوسطها وآخرها، وأول سورة (الأعراف) وآخرها، وجملة سورة (الأنعام).

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري.

وأما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي......................

الشيخ صالح

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن اكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. فـ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ توحيد، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ توحيد، ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ توحيد، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ توحيد، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الذين فارقوا التوحيد.

وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسله. قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩] فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الضلال، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجلّ شاهد، بأجل مشهود به.

وعبارات السلف في ﴿ شَهِدَ ﴾ تدور على الحكم، والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار. وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها: فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه........

الشيخ صالح

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... **فلها أربع مراتب:** فأول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته. وثانيها: تكلمه بذلك، وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها. وثالثها: أن يعلم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له. ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع [illegible] ـه بذلك سبحانه، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به.

فأما مرتبة العلم، فإن الشهادة تضمنتها ضرورة، وإلا كان الشاهد شاهدًا بما لا علم له به. قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦]. وقال ﷺ: «على مثلها فاشهد»، وأشار إلى الشمس.

وأما مرتبة التكلم والخبر، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]. فجعل ذلك منهم شهادة، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم.

وأما مرتبة الإعلام والإخبار فنوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل. وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر: تارة يعلمه به بقوله، وتارة بفعله؛ ولهذا كان من جعل داره مسجدًا وفتح بابها وأفرزها بطريقها وأذن للناس بالدخول والصلاة فيها: معلمًا أنها وقف، وإن لم يتلفظ به. وكذلك من وجد متقربًا الى غيره بأنواع المسار، يكون معلمًا له ولغيره أنه يحبه، وان لم يتلفظ بقوله، وكذلك بالعكس، وكذلك شهادة الرب عز وجل وبيانه وإعلامه، يكون بقوله تارة، وبفعله أخرى..

الشيخ صالح

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... فالقول ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه. وأما بيانه وإعلامه بفعله فكما قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه: أنه لا إله إلا هو. وقال آخر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل، قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٧]. فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه.

والمقصود أنه سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه، ودلالتها إنما هي بخلقه وجعله.

وأما مرتبة الأمر بذلك والإلزام به، وأن مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه - فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر وألزم عباده به، كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [النحل: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]. ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [التوبة: ٣١]. وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الإسراء: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [القصص: ٨٨]. والقرآن كله شاهد بذلك.

ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر وبين وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله، أو إلهية ما سواه باطلة، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره.........

الشيخ صالح

....

التعليقات

....

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلها، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلها، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات، كما إذا رأيت رجلاً يستفتي رجلاً أو يستشهده أو يستطبه وهو ليس أهلاً لذلك، ويدع من هو أهل له، فتقول: هذا ليس بمفت ولا شاهد ولا طبيب، المفتي فلان، والشاهد فلان، والطبيب فلان، فإن هذا أمر منه ونهي.

وأيضًا: فالآية دلت على أنه وحده المستحق للعبادة، فإذا أخبر أنه هو وحده المستحق للعبادة، تضمن هذا الإخبار أمر العباد وإلزامهم بأداء ما يستحق الرب تعالى عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم.

وأيضًا: فلفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجملة الخبرية، ويقال للجملة الخبرية: قضية، وحكم، وقد حكم فيها بكذا قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ **[الصافات: ١٥٠، ١٥٤]**. فجعل هذا الإخبار المجرد منهم حكمًا وقال تعالى: ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ **[القلم: ٣٦]** لكن هذا حكم لا إلزام معه.

والحكم والقضاء بأنه لا إله الا هو متضمن الإلزام. ولو كان المراد مجرد شهادة لم يتمكنوا من العلم بها، ولم ينتفعوا بها، ولم تقم عليهم بها الحجة. بل قد تضمنت البيان للعباد ودلالتهم وتعريفهم بما شهد به، كما أن الشاهد من العباد إذا كانت عنده شهادة ولم يبينها بل كتمها، لم ينتفع بها أحد، ولم تقم بها حجة..................................

الشيخ صالح

....

التعليقات

....

...... وإذا كان لا ينتفع بها إلا ببيانها، فهو سبحانه قد بينها غاية البيان بطرق ثلاثة: السمع، والبصر، والعقل.

أما السمع: فبسمع آياته المتلوة المبينة لما عرفنا إياه من صفات كماله كلها، الوحدانية وغيرها، غاية البيان، لا كما يزعمه الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة ومعطلة بعض الصفات من دعوى احتمالات تُوقِع في الحيرة، تنافي البيان الذي وصف الله به كتابه العزيز ورسوله الكريم.

كما قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [الزخرف: ٢] ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [يوسف: ١] ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر: ١] ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢] ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وكذلك السنة تأتي مبينة أو مقررة لما دل عليه القرآن، لم يحوجنا ربنا سبحانه وتعالى إلى رأي فلان، ولا إلى ذوق فلان ووجده في أصول ديننا.

ولهذا نجد من خالف الكتاب والسنة مختلفين مضطربين. بل قد قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] فلا يحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ أبو جعفر الطحاوي فيما يأتي من كلامه من قوله: لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ.........

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما آياته العيانية الخلقية: فالنظر فيها والاستدلال بها يدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، ويجزم بصحة ما جاءت به الرسل، فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة.

فهو سبحانه لكمال عدله ورحمته وإحسانه وحكمته ومحبته للعذر وإقامة الحجة - لم يبعث نبيًا إلا ومعه آية تدل على صدقه فيما أخبر به، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ [النحل: ٤٤] وقال تعالى: ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٣]. وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤]. وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧]. حتى إن من أخفى آيات الرسل آيات هود، حتى قال له قومه: يا هود ما جئتنا ببينة، ومع هذا فبينته من أوضح البينات لمن وفقه الله لتدبرها، وقد أشار إليه بقوله: ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٤، ٥٦].

فهذا من أعظم الآيات: أن رجلاً واحدًا يخاطب أمة عظيمة بهذا الخطاب، غير جزع ولا فزع ولا خوار، بل هو واثق بما قاله، جازم به، فأشهد الله أولاً على براءته من دينهم وما هم عليه، بإشهاد واثق به معتمد عليه، معلم لقومه أنه وليه وناصره وغير مسلط لهم عليه.......

الشيخ صالح

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ثم أشهدهم إشهاد مجاهر لهم بالمخالفة أنه بريء من دينهم وآلهتهم التي يوالون عليها ويعادون عليها ويبذلون دماءهم وأموالهم في نصرتهم لها، ثم أكد ذلك عليهم بالاستهانة لهم واحتقارهم وازدرائهم. ولو يجتمعون كلهم على كيده وشفاء غيظهم منه، ثم يعاجلونه ولا يمهلونه لم يقدروا على ذلك إلا ما كتبه الله عليه. ثم قرر دعوتهم أحسن تقرير، وبين أن ربه تعالى وربهم الذي نواصيهم بيده هو وليه ووكيله القائم بنصره وتأييده، وأنه على صراط مستقيم، فلا يخذل من توكل عليه وأقر به، ولا يشمت به أعداءه.

فأي آية وبرهان أحسن من آيات الأنبياء عليهم السلام وبراهينهم وأدلتهم؟ وهي شهادة من الله سبحانه لهم بيَّنها لعباده غاية البيان.

ومن أسمائه تعالى المؤمن وهو في أحد التفسيرين: المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فإنه لا بد أن يري العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغه رسله حق، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ **[فصلت: ٥٣]** .أي القرآن، فإنه هو المتقدم في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ **[الأحقاف: ١٠]**. ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ **[فصلت: ٥٣]**.

فشهد سبحانه لرسوله بقوله أن ما جاء به حق، ووعد أنه يري العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضًا..............................

الشيخ صالح

....

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

.... ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك كله وأجل، وهو شهادته سبحانه بأنه على كل شيء شهيد، فإن من أسمائه الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه، بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له، عليم بتفاصيله. وهذا استدلال بأسمائه وصفاته، والأول استدلال بقوله وكلماته، واستدلاله بالآيات الأفقية والنفسية استدلال بأفعاله ومخلوقاته.

فالجواب: أن الله تعالى قد أودع في الفطرة التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه، ومن كماله المقدس شهادته على كل شيء واطلاعه عليه، بحيث لا يغيب عنه ذرة في السموات ولا في الأرض باطنًا وظاهرًا.

ومن هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلهًا آخر؟

وكيف يليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي شأنه ويجيب دعوته ويهلك عدوه، ويظهر على دينه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب غير مفتر؟!........

الشيخ صالح

....

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ومعلوم أن شهادته سبحانه على كل شيء وقدرته وحكمته وعزته وكماله المقدس يأبى ذلك.

ومن جوز ذلك فهو من أبعد الناس عن معرفته، والقرآن مملوء من هذه الطريق، وهي طريق الخواص، يستدلون بالله على أفعاله وما يليق به أن يفعل ولا يفعله، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٧]. وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

ويستدل أيضًا بأسمائه وصفاته على وحدانيته وعلى بطلان الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣] وأضعاف ذلك في القرآن.

وهذه الطريق قليل سالكها، لا يهتدي إليها إلا الخواص. وطريقة الجمهور الاستدلال بالآيات المشاهدة، لأنها أسهل تناولا وأوسع. والله سبحانه يفضل بعض خلقه على بعض.

فإن قلت: كيف يستدل بأسمائه وصفاته، فإن الاستدلال بذلك لا يعهد في الاصطلاح؟ فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه الدليل والمدلول عليه، والشاهد والمشهود له.

قال تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١]......

الشيخ صالح

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وإذا عرف أن توحيد الإلهية هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب، كما تقدمت إليه الإشارة - فلا يلتفت إلى قول من قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، وجعل هذا النوع توحيد العامة، والنوع الثاني توحيد الخاصة، وهو الذي يثبت بالحقائق، والنوع الثالث توحيد قائم بالقدم، وهو توحيد خاصة الخاصة.

فإن أكمل الناس توحيد الأنبياء صلوات الله عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيدًا، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلى الله وسلم عليهم أجمعين. وأكملهم توحيدًا الخليلان: محمد وإبراهيم، صلوات الله عليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علمًا؛ ومعرفة، وحالاً، ودعوة للخلق، وجهادًا، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم عليه؛ ولهذا أمر سبحانه نبيه أن يقتدي بهم فيه. كما قال تعالى بعد ذكر مناظرة إبراهيم قومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد وذكر الأنبياء من ذريته: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠] فلا أكمل من توحيد من أمر رسول الله ﷺ أن يقتدي بهم.

وكان ﷺ يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين».

فملة إبراهيم: التوحيد، ودين محمد ﷺ: ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقادًا، وكلمة الإخلاص: هي شهادة أن لا إله إلا الله. وفطرة الإسلام: هي ما فطر عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له، والاستسلام له عبودية وذلاً وانقيادًا وإنابة.......................

الشيخ صالح

....

التعليقات

....

..... فهذا توحيد خاصة الخاصة، الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِـمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠، ١٣١].

وكل من له حس سليم وعقل يميز به، لا يحتاج في الاستدلال إلى أوضاع أهل الكلام والجدل واصطلاحهم وطرقهم البتة، بل ربما يقع بسببها في شكوك وشبه يحصل له بها الحيرة والضلال والريبة، فإن التوحيد إنما ينفع إذا سلم قلب صاحبه من ذلك، وهذا هو القلب السليم الذي لا يفلح إلا من أتى الله به. ولا شك أن النوع الثاني والثالث من التوحيد الذي ادَّعوا أنه توحيد الخاصة وخاصة الخاصة، ينتهي إلى الفناء الذي يشمر إليه غالب الصوفية، وهو درب خطر، يفضي إلى الاتحاد. انظر إلى ما أنشد شيخ الإسلام أبو اسماعيل الأنصاري رحمه الله تعالى حيث يقول:

وما وحد الواحد من واحد	إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته	عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده	ونعت من ينعته لأحد

وإن كان قائله رحمه الله لم يرد به الاتحاد، لكن ذكر لفظًا مجملاً محتملاً جذبه به الاتحادي إليه، وأقسم بالله جهد أيمانه أنه معه، ولو سلك الألفاظ الشرعية التي لا إجمال فيها كان أحق، مع أن المعنى الذي حام حوله لو كان مطلوبًا منا لنبه الشارع عليه ودعا الناس إليه وبينه، فإن على الرسول البلاغ المبين، فأين قال الرسول: هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة، أو ما يقرب من هذا المعنى؟ أو أشار إلى هذه النقول والعقول حاضرة.

فهذا كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، وهذه سنة الرسول، وهذا كلام خير القرون بعد الرسول، وسادات العارفين من الأئمة، هل جاء ذكر الفناء فيها، وهذا التقسيم عن أحد منهم؟...

.......، ولا شيء مثله[١]، ولا شيء يعجزه[٢]، ولا إله غيره[٣]..............

ابن أبي العز الحنفي

.... وإنما حصل هذا من زيادة الغلو في الدين، المشبه لغلو الخوارج، بل لغلو النصارى في دينهم. وقد ذم الله تعالى الغلو في الدين ونهى عنه، فقال: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ [النساء: ١٧١]. ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال ﷺ: «لا تشددوا فيشدد الله عليكم، فإن من كان قبلكم شددوا فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» رواه أبو داود..

الشيخ صالح

هذه الجمل الثلاث وهي قوله (**وَلا شيءَ مِثلُهُ، وَلا شَيءَ يُعجِزُهُ، وَلا إلهَ غَيرُهُ**) تفصيلٌ لما يعتقده في توحيد الله ﷻ.

والتوحيد -كما ذكرنا- منقَسِمٌ إلى الأقسام الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الإلهية، فذكرَ هذه الأقسام الثلاث في قوله (**وَلا شيءَ مثلُهُ، وَلا شَيءَ يُعجزُهُ، وَلا إلهَ غَيرُهُ**).

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: هذا أصل من أصول التوحيد وهو أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولكن المبتدعة والمتأولة قد اتخذوه أصلا لإنكار كثير من صفات الله تبارك وتعالى فكلما ضاقت قلوبهم عن الإيمان بصفة من صفاته عز وجل سلطوا عليها معاول التأويل والهدم فأنكروها واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ متجاهلين تمام الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ فهي قد جمعت بين التنزيه والإثبات فمن أراد السلامة في عقيدته فعليه أن ينزه الله تعالى عن مشابهته للحوادث دون تأويل أو تعطيل وأن يثبت له عز وجل من الصفات كل ما أثبته لنفسه في كتابه أو حديث نبيه دون تمثيل وهذا هو مذهب السلف وعليه المصنف رحمه الله تبعا لأبي حنيفة وسائر الأئمة كما تراه مفصلا في الشرح ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾.

الشيخ الفوزان: مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾، أي شبهاء ونظراء.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾، أي: مماثل يساميه سبحانه وتعالى، فالتمثيل والتشبيه منفيان عن الله عز وجل، لا يشبهه أحد من خلقه، وهذا هو الواجب أن نثبت ما أثبته الله لنفسه ونعتقده ولا نشبهه بأحد من خلقه، ولا نمثّله بخلقه سبحانه وتعالى، وهذا فيه رد على المشبهة الذين يعتقدون أن الله مثل خلقه، ولا يُفرقون بين الخالق والمخلوق، وهو مذهب باطل..........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (ولاشيء مثله)

ش: اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظ مجملا يراد به المعنى الصحيح، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورى: ١١]، رد على المشبهة ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، رد على النفاة المعطلة..........

الشيخ صالح

فقوله (وَلا شيءَ مثلُهُ) راجِعٌ إلى توحيد الأسماء والصفات والأفعال. وقوله (وَلا شَيءَ يُعجزُهُ) راجع أو مُثبِتٌ لتوحيد الربوبية. وقوله (وَلا إلهَ غَيرُهُ) مثبت لتوحيد العبادة والألوهية.

وقدَّمَ ﷺ ما يدل على توحيد الأسماء والصفات بعد ذِكرِ توحيد الإلهية في قوله (إنَّ الله واحِدٌ لا شريكَ لَهُ)؛ لأنَّ النزاع كائنٌ في توحيد الإلهية وفي توحيد الأسماء والصفات.

فَمَعَ أهل الشرك النِزاع في توحيد الإلهية، وهو الذي كان النِزاع فيه ما بين الرسل وبين أقوامهم؛ ولهذا قدَّمَ ما يعتقده بقوله (إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ) لأنَّ هذا هو حقيقة النزاع بين الرسل وبين أقوامهم.

ثم قال (وَلا شيءَ مثلُهُ) لأن هذا هو حقيقة النزاع ما بين أهل السنة والجماعة وما بين مخالفيهم من المبتدعة على أصنافهم من المجسمة والمعطلة والنفاة وأشباه هؤلاء.

وأيضًا قرَنَ بينهما لأنَّ البدع بريد الشرك، فإنَّ تركَ تنزيه الله ﷻ عن مماثلة المخلوقين تؤدي إلى الشرك به ﷻ، ولهذا قال من قال من السلف: المعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنمًا.

التعليقات

= وفي مقابله مذهب المعطلة؛ الذين غلوا في التنزيه حتى نفوا عن الله ما أثبته من الأسماء والصفات، فرارًا من التشبيه بزعمهم.

فكلا الطائفتين غلت، المعطلة غلوا في التنزيه ونفي المماثلة، والمشبهة غلوا في الإثبات، وأهل السنة والجماعة توسّطوا؛ فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه على ما يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تعطيل على حد قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشوى: ١١] فقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ نفي للتشبيه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ نفي للتعطيل، وهذا المذهب الذي يسير عليه أهل السنة والجماعة، ولهذا يُقال: المعطل يعبد عدمًا، والمشبه يعبد صنمًا، والموحد يعبد إلهًا واحدًا فردًا صمدًا.

(٢) الشيخ الفوزان: هذا إثبات لكمال قدرته: قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾، والقدير معناه: المبالغ في القدرة، فقدرته سبحانه وتعالى لا يعجزها شيء، إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون...................=

ابن أبي العز الحنفي

..... فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق، فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق، فهو نظير النصارى في كفرهم، ويرادِ به أنه لا يثبت لله شيئًا من الصفات، فلا يقال: له قدرة، ولا علم، ولا حياة، لأن العبد موصوف بهذه الصفات! ولازم هذا القول أنه لا يقال له: حي، عليم، قدير؛ لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك. وهم يوافقون أهل السنة على أنه موجود، عليم قدير، حي.
والمخلوق يقال له: موجود حي عليم قدير، ولا يقال: هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه عاقل، فإن الله سمى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى صفاته بأسماء، وسمى ببعضها صفات خلقه، وليس المسمى كالمسمي فسمى نفسه: حيًا، عليمًا، قديرًا، رؤوفا، رحيمًا، عزيزًا، حكيمًا، سميعًا، بصيرًا، ملكا، مؤمنًا، جبارًا، متكبرًا.........

الشيخ صالح

فالتمثيل ثَمَّ اقترانٌ بينه وبين الشرك؛ لأنَّ الممثل اتَخذَ صورةً جَعَلَهَا على صفات معينة فصارت صنمًا له، كما أنَّ المشركين عبدوا الأصنام واتخذوها آلهة.

وأما قوله (وَلا شَيءَ يُعجِزُهُ) فهو توحيد الربوبية كما سيأتي ذلك مفصلا.
إذًا فترتيب المصنف الطحاوي ﵀ لهذه الجمل الأربع ترتيبٌ مناسب، وهو مُتَنَقِلٌ بِفَهمٍ في أمور الاعتقاد وموقف أهل السنة وأهل الإسلام من مخالفيهم.

التعليقات

=- فهذا فيه إثبات قدرة الله عز وجل، وإثبات شمولها، وعمومها لكل شيء.
- أما العبارة التي يقولها بعض المؤلفين: إنه على ما يشاء قدير. فهذه غلط؛ لأن الله لم يقيد قدرته بالمشيئة، بل قال: على كل شيء قدير، فقل ما قاله الله سبحانه وتعالى. إنما هذه وردت في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾؛ لأن الجمع له وقت محدد في المستقبل، وهو قادر على جمعهم في ذلك الوقت، أي أهل السموات وأهل الأرض، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾.
(٣) الشيخ الفوزان: هذا هو توحيد الألوهية. لا إله، أي: لا معبود بحق غيره، أما إذا قلت: لا معبود إلا هو؛ أو لا معبود سواه، فهذا باطل؛ لأن المعبودات كثيرة من دون الله عز وجل، فإذا قلت: لا معبود إلا الله، فقد جعلت كل المعبودات هي الله، وهذا مذهب أهل وحدة الوجود، فإذا كان قائل ذلك يعتقد هذا فهو من أصحاب أهل وحدة الوجود، وأما إن كان لا يعتقد هذا، إنما يقوله تقليدًا أو سمعه من أحد، فهذا غلط، ويجب عليه تصحيح ذلك. وبعض الناس يستفتح بهذا في الصلاة فيقول: ولا معبود غيرك، والله معبود بحق، وما سواه فإنه معبود بالباطل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

ابن أبي العز الحنفي

..... وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء فقال: ﴿ تُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ [الأنعام: ٩٥]. ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات: ٢٨]. ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١]. ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]. ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ [يوسف: ٥١].﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [الكهف: ٧٩]. ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ [السجدة: ١٨]. ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥]. ومعلوم أنه لا يماثل الحي الحي، ولا العليم العليم، ولا العزيز العزيز، وكذلك سائر الأسماء، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٦]. ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ [فاطر: ١١]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥].

وعن جابر ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الإستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به. قال: ويسمي حاجته»، رواه البخاري.

الشيخ صالح

والجملة الأولى في هذا اليوم هي قوله (وَلا شيءَ مثلُهُ) والكلام عليها يكون في مسائل:

المسألة الأولى:

أن قوله (وَلا شيءَ مثلُهُ) مأخوذٌ من قول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، ومن قوله ﷻ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، ومن قوله ﷻ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، ومن قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤]، وأشباه هذه الأدلة التي تدل على أنَّ الله سبحانه لا يماثله شيء من مخلوقاته.

المسألة الثانية:

أنَّ قوله (لا شيءَ مثلُهُ) راجعٌ لنفي المماثلة، وهذا هو الذي جاء في الكتاب والسنة أن يُنفَى عن الله ﷻ أن يُماثِلَ أحداً أو شيئًا من خلقه، وكذلك يُنفى عن المخلوق أن يكون مُماثِلاً لله ﷻ.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وفي حديث عمار بن ياسر الذي رواه النسائي وغيره، عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحييني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين».

فقد سمى الله ورسوله صفات الله علمًا وقدرة وقوة. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ [الروم: ٥٤]. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ [يوسف: ٦٨]، ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة، ونظائر هذا كثيرة. وهذا لازم لجميع العقلاء. فإن من نفي صفة من صفاته التي وصف الله بها نفسه، كالرضى والغضب، والحب والبغض، ونحو ذلك، وزعم أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم! قيل له: فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر، مع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيته وأثبته الله ورسوله مثل قولك فيما أثبته، إذ لا فرق بينهما.....

الشيخ صالح

وإذا كان كذلك، فالمماثلة أو التمثيل أو المِثلِيَّة تُعَرَّفُ بأنها المساواة في الكيف والوصف:

- والمساواة في الكيفية راجعة إلى أن يكون اتصافه بالصفة من جهة الكيفية مُمَاثِلٌ لاتصاف المخلوق، كقولهم: يد الله كأيدينا وسمعه كأسماعنا وأشباه ذلك.

- وأما المماثلة في الصفات فهي أن يكون معنى الصفة بكماله التام في الخالق كما هو في المخلوق.

إذا تقرَّرَ ذلك، فإنَّ اعتقاد المماثلة في الكيفية أو في الصفات على النحو الذي ذكرتُ هذا تمثيل يكفر صاحبه.

ولهذا كَفَّرَ أهلُ السنة النصارى، وكَفَّرَ أهلُ السنة المُجَسِّمَة؛ لِأنَّ النصارى شَبَّهُوا المخلوق بالخالق، وشَبَّهُوا عيسى بالله ﷻ، والمجَسِّمَة شَبَّهُوا الله ﷻ ومثَّلوه بخلقه.

التعليقات

..... فإن قال: أنا لا أثبت شيئًا من الصفات! قيل له : فأنت تثبت له الأسماء الحسنى، مثل: عليم، حي، قادر. والعبد يسمى بهذه الأسماء، وليس ما يثبت للرب من هذه الأسماء مماثلاً لما يثبت للعبد فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسمائه.

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى، بل أقول. هي مجاز، وهي أسماء لبعض مبتدعاته، كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة!
قيل له : فلا بد أن تعتقد إنه موجود وحق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه، وليس هو مماثلا له..

المسألة الثالثة:

الفرق بين المماثلة والمثلية وبين التشبيه، ولتقرير ذلك تنتبه إلى أنَّ الذي جاء نفيه في الكتاب والسنة إنما هو نفي المماثلة.

أما نفي المشابهة ؛ -مشابهة الله لخلقه- فإنها لم تُنفَ في الكتاب والسنة ؛ لأنَّ المشابهة تحتملُ أن تكون مشابهةً تامة، ويحتمل أن تكون مشابهةً ناقصة.

فإذا كان المراد المشابهة التامة فإنَّ هذه المشابهة هي التمثيل وهي المماثلة، وذلك منفِيٌّ، لقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾.

فإذن لفظ المشابهة ينقسم:

- إلى مُوَافِقٍ للمماثلة، الشَبيه موافِقٌ للمثيل وللمِثِل.
- وإلى غير موافق.

يعني قد يشترك معنى الشبيه والمثيل ويكون المعنى واحدًا إذا أُريدَ بالمشابهة المشابهة التامة في الكيفية وفي تمام معنى الصفة.

وأمَّا إذا كان المراد بالمشابهة المشابهة الناقصة وهي الاشتراك في أصل معنى الاتصاف، فإنَّ هذا ليس هو التمثيل المنفي، فلا يُنفَى هذا المعنى الثاني، وهو أن يكون ثَمَّ مشابهة بمعنى أن يكون ثَمَّ اشتراك في أصل المعنى، وإذا كان كذلك فإنَّ لفظ الشبيه والمثيل بينهما فرق -كما قَرَّرتُ لك- ولفظ المشابهة لفظ مجمل لا يُنفَى ولا يُثبَت.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... فإن قال: أنا لا أثبت شيئًا، بل أنكر وجود الواجب. قيل له : معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر الى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر الى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عما سواه، وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غني عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك. وقد علم بالحس والضرورة وجود موجود حادث كائنٍ بعد أن لم يكن، والحادث لا يكون واجبًا بنفسه، ولا قديمًا أزليًا، ولا خالقًا لما سواه، ولا غنيًا عما سواه.

فثبت بالضرورة وجود موجودين: أحدهما واجب، والآخر ممكن، أحدهما قديم، والآخر حادث، أحدهما غني، والآخر فقير، أحدهما خالق، والآخر مخلوق. وهما متفقان في كونٍ كل منهما شيئًا موجودًا ثابتًا.

ومن المعلوم أيضًا أن أحدهما ليس مماثلا للآخر في حقيقته، إذ لو كان كذلك لتماثلا فيما يجب ويجوز ويمتنع، وأحدهما يجب قدمه وهو موجود بنفسه، والآخر لا يجب قدمه ولا هو موجود بنفسه، وأحدهما خالق والآخر ليس بخالق، وأحدهما غني عما سواه، والآخر فقير..........

الشيخ صالح

وأهل السنة والجماعة إذا قالوا: إنَّ الله ﷻ لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء يعنون بالمشابهة المماثلة.

أما المشابهة التي هي الاشتراك في المعنى فنعلم قَطعًا أنَّ الله ﷻ لم ينفها؛ لأنه سبحانه سَمَّى نفسه بالملك ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [طه: ١١٤] وسَمَّى بعض خلقه بالمَلِك ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ﴾ [يوسف: ٤٣] وأشباه ذلك من الآيات، وكذلك سَمَّى نفسه بالعزيز، وسَمَّى بعضٍ خلقه بالعزيز، وكذلك جَعَلَ نفسه سبحانه سميعًا، وأخبرنا بصفة السمع له، والبصر، والقوة، والقدرة، والكلام، والاستواء، والرحمة، والغضب، والرضا وأشباه ذلك، وأثبت هذه الأشياء للإنسان فيما يناسبه منها.

فدَلَّ على أنَّ الاشتراك في اللفظ وفي بعضَ المعنى ليس هو التمثيل الممتنع؛ لأنَّ كلام الله ﷻ حق وبعضه يفسر بعضًا، فنَفي المماثلة سبحانه بقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾، وأثبت اشتراكا في الصفة.

التعليقات

..... فلو تماثلا للزم أن يكون كل منهما واجب القدم ليس بواجب القدم، موجودًا بنفسه غير موجود بنفسه، خالقًا ليس بخالق، غنيًا غير غني، فيلزم اجتماع الضدين على تقدير تماثلهما. فعلم أن تماثلهما منتف بصريح العقل، كما هو منتف بنصوص الشرع.

فعلم بهذه الأدلة اتفاقهما من وجه، واختلافهما من وجه. فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلاً قائلاً بالباطل، ومن جعلهما متماثلين كان مشبهًا قائلاً بالباطل، والله أعلم؛ وذلك لأنهما وإن اتفقا في مسمى ما اتفقا فيه، فالله تعالى مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشركه في شيء من ذلك، والعبد أيضًا مختص بوجوده وعلمه، وقدرته، والله تعالى منزه عن مشاركة العبد في خصائصه..............................

وإذا قلتَ: اشتراكًا ليس معنى ذلك أنها من الأسماء المُشتَرَكَة في الصفات، ولكن أثبتَ اشتراكًا في الوصف يعني شَرِكَةً فيه، فإنَّ الإنسان له مُلك والله ﷻ له الملك، والإنسان له سمع والله ﷻ له سمع، والإنسان له بصر والله ﷻ له بصر، وهذا الإثبات فيه قَدرٌ من المشابهة، لكنَّهَا مُشَابَهَةٌ في أصل المعنى، وليست مشابهة في تمام المعنى ولا في الكيفية، فتحَصَّلَ من ذلك أنَّ المشابهة ثلاثة أقسام:

- الأول: مشابهة في الكيفية، وهذا ممتنع.
- الثاني: مشابهةٌ في تمام الاتصاف ودلالة الألفاظ على المعنى لكمالها، وهذا ممتنع.
- الثالث: مشابهة في معنى الصفة - في أصل المعنى - وهو مطلق المعنى وهذا ليس بمنفي.

ولهذا صار لفظ التمثيل، ونفي التمثيل، ونفي المِثلِيَّة شرعيًا؛ لأنه واضح، دلالته غير مجملة. وأما لفظ المشابهة فإنَّ دلالته مجملة فلم يأتِ نفيه. ونحن نقول إنَّ الله ﷻ لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء ﷻ.

ونعني بقولنا (لا يشابهه شيء) معنى المماثلة في الكيفية أو المماثلة في تمام الاتصاف بالصفة وتمام دلالة اللفظ على كمال معناه.

ابن أبي العز الحنفي

..... وإذا اتفقا في مسمى الوجود والعلم والقدرة، فهذا المشترك مطلق كلي يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه. وهذا موضع اضطراب فيه كثير من النظار، حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء يوجب أن يكون الوجود الذي للرب كالوجود الذي للعبد.

وطائفة ظنت أن لفظ الوجود يقال بالاشتراك اللفظي، وكابروا عقولهم، فإن هذه الأسماء عامة قابلة للتقسيم، كما يقال: الموجود ينقسم إلى واجب وممكن، وقديم وحادث. ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام، واللفظ المشترك كلفظ المشتري الواقع على المبتاع والكوكب، لا ينقسم معناه، ولكن يقال: لفظ المشتري يقال على كذا أو على كذا، وأمثال هذه المقالات التي قد بسط الكلام عليها في موضعه.

وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتًا في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك، فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقًا كليًا، بل لا يوجد إلا معينًا مختصًا، وهذه الأسماء إذا سمي الله بها كان مسماها معينًا مختصًا به، فإذا سمي بها العبد كان مسماها مختصًا به. فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟! ألا ترى أنك تقول: هذا هو ذاك، فالمشار إليه واحد لكن بوجهين مختلفين.................

الشيخ صالح

المسألة الرابعة:

أنَّ إثبات الصفات لله ﷻ قاعدته مأخوذةٌ من هذه الجملة (**وَلا شيءَ مثلُهُ**)، فإثبات الصفات مأخوذ من قوله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، فنفى ﷻ وأثبت. وعند أهل السنة والجماعة أنَّ النفي يكون مُجمَلاً (**لا شيءَ مثلُهُ**)، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾، وأنَّ الإثبات يكون مُفَصَّلا ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى وزادوا فيه على الحق فضلوا، وأن المعطلة أخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه، وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا، وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه.

فالنفاة، أحسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيء من خلقه، ولكن أساءوا في نفي المعاني الثابتة لله تعالى في نفس الأمر.

والمشبهة، أحسنوا في إثبات الصفات، ولكن أساءوا بزيادة التشبيه.

واعلم، أن المخاطب لا يفهم المعاني المعبر عنها باللفظ إلا أن يعرف عينها أو ما يناسب عينها، ويكون بينها قدر مشترك ومشابهة في أصل المعنى، وإلا فلا يمكن تفهيم المخاطبين بدون هذا قط، حتى في أول تعليم معاني الكلام بتعليم معاني الألفاظ المفرده، مثل تربية الصبي الذي يعلم البيان واللغة، ينطق له باللفظ المفرد ويشار له إلى معناه إن كان مشهودًا بالإحساس الظاهر أو الباطن، فيقال له: لبن، خبز، أم، أب، سماء، أرض، شمس، قمر، ماء، ويشار له مع العبارة إلى كل مسمى من هذه المسميات، وإلا لم يفهم معنى اللفظ ومراد الناطق به، وليس أحد من بني آدم يستغني عن التعليم السمعي، كيف وآدم أبو البشر وأول ما علمه الله تعالى أصول الأدلة السمعية وهي الأسماء كلها، وكلمه وعلمه بخطاب الوحي ما لم يعلمه بمجرد العقل..........

الشيخ صالح

وهذا بخلاف طريقة أهل البدع فإنهم يجعلون الإثبات مُجمَلا، والنفي مُفصَّلا، فيقولون في صفة الله ﷻ: إن الله ليس بجسم ولا بشبح ولا بصورةٍ ولا بذي أعضاء ولا بذي جوارح ولا فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا عن شمال ولا قدّام ولا خلف وليس بذي دم ولا هو خارج ولا داخل. إلى آخر تصنيفهم للمنفيات، وإذا أتى الإثبات، إنما أثبتوا مُجملا، فصار نفيهم وإثباتهم على خلاف ما دلت عليه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. فطريقة أهل السنة أنَّ النفي يكون مُجمَلا وأن الإثبات يكون مُفصَّلا على قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. والنفي المُجمَل فيه مدح، والإثبات المُفصَّل فيه مدح. والنفي المُجمَل والإثبات المفصَّل من فروع معنى استحقاق الله ﷻ للحمد.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... فدلالة اللفظ على المعنى هي بواسطة دلالته على ما عناه المتكلم وأراده، وإرادته وعنايته في قلبه، فلا يعرف باللفظ ابتداء، ولكن لا يعرف المعنى بغير اللفظ حتى يعلم أولاً أن هذا المعنى المراد هو الذي يراد بذلك اللفظ ويعنى به، فإذا عرف ذلك ثم سمع اللفظ مرة ثانية عرف المعنى المراد بلا إشارة إليه وإن كانت الإشارة الى ما يحس بالباطن، مثل الجوع والشبع والري والعطش والحزن والفرح، فإنه لا يعرف اسم ذلك حتى يجده من نفسه، فإذا وجده أشير له إليه، وعرف أن اسمه كذا، والإشارة تارة تكون إلى جوع نفسه أو عطش نفسه، مثل أن يراه أنه قد جاع فيقول له: جعت، أنت جائع، فيسمع اللفظ ويعلم ما عينه بالإشارة أو ما يجري مجراها من القرائن التي تعين المراد، مثل نظر أمه إليه في حال جوعه وإدراكه بنظرها أو نحوه أنها تعني جوعه، أو يسمعهم يعبرون بذلك عن جوع غيره...

الشيخ صالح

والله سبحانه أثبَتَ أنه مَحمُودٌ ومُسَبَّحٌ في سمواته وفي أرضه ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤]، وكقوله: ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم:١٨]، وكقوله: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم:١٧]، ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحشر: ٢٤]، ونحو ذلك.

والجمع بين التسبيح والحمد هو جَمعٌ بين النفي والإثبات؛ لأنَّ التسبيح نفي النقائص عن الله فجاء مُجمَلاً، والحمد إثبات الكمالات لله ﷻ فجاء مفصلاً.

فإثبات الكمالات من فروع حمده ﷻ، ولهذا صار محمودًا ﷻ على كل أسمائه وصفاته، وعلى جميع ما يستحقه سبحانه، وعلى أفعاله ﷻ، وتنزيهه سبحانه بالنفي – يعني بالتسبيح – أن يكون ثَمَّ مُمَاثِل له ﷻ.

فمعنى (سبحان الله) تنزيهًا لله ﷻ عن أن يماثله شيء أو عن النقائص جميعًا.

والحمد إثبات الكمالات بالتفصيل.

التعليقات

ابن ابي العز الحنفي

..... إذا عرف ذلك، فالمخاطب المتكلم إذا أراد بيان معان فلا يخلو إما أن يكون مما أدركها المخاطب المستمع بإحساسه وشهوده، أو بمعقوله، وإما أن لا يكون كذلك. فإن كانت من القسمين الأولين لم يحتج إلا إلى معرفة اللغة، بأن يكون قد عرف معاني الألفاظ المفردة ومعنى التركيب، فاذا قيل له بعد ذلك: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد: ٨]، أو قيل له: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]. ونحو ذلك، فهم المخاطب بما أدركه بحسه، وإن كانت المعاني التي يراد تعريفه بها ليست مما أحسه وشهده بعينه، ولا بحيث صار له معقول كلي يتناولها حتى يفهم به المراد بتلك الألفاظ، بل هي مما لا يدركه بشيء من حواسه الباطنة والظاهرة.........

الشيخ صالح

فإذًا من نَفَى مُجمَلاً وأثبَتَ مُفَصَّلاً، فإنه وافق مقتضى التسبيح والحمد الذي قامت عليه السموات والأرض، ومن نفى مُفَصَّلاً وأثبت مُجمَلاً، فقد نافى طريقة الحمد والتسبيح الذي قامت عليه السموات والأرض، لهذا صارت طريقة القرآن أن يكون النفي مُجمَلاً والإثبات مُفَصَّلاً، وطريقة أهل البدع بعكس ذلك.

المسألة الخامسة:

أنَّ قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، الذي هو دليل (**وَلا شيءَ مثلُهُ**)، قد اختلَفَ فيه المفسرون في معنى الكاف في قوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، والكاف هنا، على أي شيء تدل؟ على أقوال:

القول الأول: أنَّ الكاف هذه بمعنى مِثل، فيكون معنى قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ليس مِثلَ مِثلِه شيء، مبالغة في النفي عن وجودِ مِثلِ المِثل، فكيف يوجد المِثل، فَنَفيُه من باب أولى.

التعليقات

....

...... فلا بد في تعريفه من طريق القياس والتمثيل والاعتبار بما بينه وبين معقولات الأمور التي شاهدها من التشابه والتناسب، وكلما كان التمثيل أقوى، كان البيان أحسن، والفهم أكمل.

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه لما بين لنا أمورًا لم تكن معروفة قبل ذلك، وليس في لغتهم لفظ يدل عليها بعينها، أتى بألفاظ تناسب معانيها تلك المعاني، وجعلها أسماء لها، فيكون بينها قدر مشترك، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والإيمان، والكفر. وكذلك لما أخبرنا بأمور تتعلق بالإيمان بالله وباليوم الآخر، وهم لم يكونوا يعرفونها قبل ذلك حتى يكون لهم ألفاظ تدل عليها بعينها، أخذ من اللغة الألفاظ المناسبة لتلك بما تدل عليه من القدر المشترك بين تلك المعاني الغيبية، والمعاني الشهودية التي كانوا يعرفونها، وقرن بذلك من الإشارة ونحوها ما يعلم به حقيقة المراد، كتعليم الصبي، كما قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم..................................

الشيخ صالح

ومجيء الكاف بمعنى الاسم هذا موجود في القرآن وكذلك في لغة العرب:

- فأما مجيئه في القرآن -مجيء الكاف بمعنى الاسم، وهي حرف- كما في قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة:٧٤]، فقوله ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ عَطَفَ الاسم على الكاف التي هي في قوله ﴿ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾؛ ﴿ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ ﴾، ومعلوم أنَّ الاسم إنما يُعطَفُ على الاسم فقوله ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ يعني فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة.

- ومجيئه في اللغة أيضًا ظاهر ومحفوظ، كقول الشاعر:

لو كان في قلبي كقدر قلامة ... حبًّا لغيرك ما أتتك رسائلي

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

.... وأما ما يخبر به الرسول من الأمور الغائبة، فقد يكون مما أدركوا نظيره بحسهم وعقلهم، كإخبارهم بأن الريح قد أهلكت عادًا، فإن عادًا من جنسهم والريح من جنس ريحهم، وإن كانت أشد، وكذلك غرق فرعون في البحر، وكذا بقية الأخبار عن الأمم الماضية. ولهذا كان الإخبار بذلك فيه عبرة لنا، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

قد يكون الذي يخبر به الرسول ما لم يدركوا مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه، لكن في مفرداته ما يشبه مفرداتهم من بعض الوجوه، كما إذا أخبرهم عن الأمور الغيبية المتعلقة بالله واليوم الآخر، فلا بد أن يعلموا معنى مشتركًا وشبهًا بين مفردات تلك الألفاظ وبين مفردات ما علموه في الدنيا بحسهم وعقلهم. فإذا كان ذلك المعنى الذي في الدنيا لم يشهدوه بعد، ويريد أن يجعلهم يشهدونه مشاهدة كامله ليفهموا به القدر المشترك بينه وبين المعنى الغائب أشهدهم إياه، وأشار لهم إليه، وفعل قولاً يكون حكاية له وشبهًا، به يعلم المستمعون أن معرفتهم بالحقائق المشهودة هي الطريق التي يعرفون بها الأمور الغائبة...............

الشيخ صالح

فقوله (لو كان في قلبي كقدر قلامة) هذا جَعَلَ شبه الجملة الجارّ والمجرور (في قلبي) مُقدَّم، وجَعَلَ الاسم (كقدر) لكون الكاف بمعنى (مِثل)؛ يعني لو كان في قلبي مِثلُ قدرِ قُلامة، وهذا التوجيه الأول لطائفة من المفسرين في أنَّ الكاف هنا بمعنى (مِثل) على ما ذكرنا، وهذا التوجيه لهم وجيهٌ وظاهرٌ في اللغة ومستقيمُ المعنى أيضًا في الآية.

القول الثاني: أنَّ الكاف في قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ هذه صلة، وهي التي تُسَمَّى عند النحويين زائدة؛ وزيادتها ليس زيادةً للفظ، وإنما هو زيادةٌ لها لكون المعنى زائدًا.

فليست زائدة بمعنى أن وجودها وعدم وجودها واحد، حاشا وكلا أن يكون في القرآن شيء من ذلك، وإنما تُزاد ليكون مبالغةً في الدلالة على المعنى، فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ تكون الكاف صلة ومجيء الصلة في مقام تَكرَارِ الجملة تأكيدًا، كما حَرَّرَهُ ابن جِنِّي النحوي المعروف في كتابه (**الخصائص**) حيث قال: إنَّ الصلة والزيادة تكون في الجمل لتأكيدها وتكون مقام تكريرها مرتين أو أكثر. أو كما قال.

التعليقات

...... فينبغي أن يعرف هذه الدرجات:

أولها: إدراك الإنسان المعاني الحسية المشاهدة.

وثانيها: عقله لمعانيها الكلية.

وثالثها: تعريف الألفاظ الدالة على تلك المعاني الحسية والعقلية.
فهذه المراتب الثلاث لا بد منها في كل خطاب، فإذا أخبرنا عن الأمور الغائبة فلا بد من تعريفنا المعاني المشتركة بينها وبين الحقائق المشهودة والاشتباه الذي بينهما، وذلك بتعريفنا الأمور المشهودة. ثم إن كانت مثلها لم يحتج إلى ذكر الفارق، كما تقدم في قصص الأمم، وإن لم يكن مثلها بين ذلك بذكر الفارق، بأن يقال: ليس ذلك مثل هذا، ونحو ذلك. وإذا تقرر انتفاء المماثلة كانت الإضافة وحدها كافية في بيان الفارق، وانتفاء التساوي لا يمنع وجود القدر المشترك الذي هو مدلول اللفظ المشترك، وبه صرنا نفهم الأمور الغائبة، ولولا المعنى المشترك ما أمكن ذلك قط.............

الشيخ صالح

فيكون معنى قوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾: ليس مِثلَه شيء، ليس مثله شيء، ليس مثله شيء، وهو السميع البصير. وهذا تفهمه العرب في كلامها.

وجاءت الزيادة بالصلة في مواضع كثيرة من القرآن كقول الله ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: فبرحمة من الله لنت لهم، فبرحمة من الله لنت لهم. يعني ليس من جهتك وإنما هو رحمة من الله ﷻ.
وكقوله ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣] يعني: فبنقضهم ميثاقهم لعناهم، فبنقضهم ميثاقهم لعناهم، وكقوله: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة: ١] في أحد وجهي التفسير.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (ولا شيء يعجزه) لكمال قدرته. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٧]. ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]. ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]. ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. لا يؤده أي: لا يكرثه ولا يثقله ولا يعجزه، فهذا النفي لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، لكمال عدله. ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ٣]، لكمال علمه. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، لكمال قدرته. ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لكمال حياته وقيوميته.﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، لكمال جلاله وعظمته وكبريائه، وإلا فالنفي الصرف لا مدح فيه، ألا ترى أن قول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

الشيخ صالح

إذا تقرر لك ذلك **فإنَّ الوجه الأَولى** من هذين التفسيرين هو الثاني من كون الكاف صلة زائدة في مقام تكرير الجملة؛ يعني أنَّ النفي أُكِّد فتكون أبلغ من أن يُنفى مِثل المِثل؛ لأنه قد يُشكِل في نفي مثل المثِل أن يكون نفيُ المِثليةِ الأولى ليس مستقيمًا دائمًا، أو ليس مفهومًا دائمًا.

أما الثاني فإنه واضح من جهة العربية، وواضح من جهة العقيدة، وواضح من جهة دلالته على تأكيد النفي الذي جاء في الآية.

هذا خلاصة الكلام على قوله **(وَلَا شيءَ مثلُهُ)**.

ثم قال ﷺ **(وَلَا شَيءَ يُعجزُهُ)** ومعنى **(وَلَا شَيءَ يُعجزُهُ)** يعني أنه ﷻ لا شيء مما يصح أن يُطلق عليه أنه شيء يعجزه ﷻ ويكرِثُهُ ويُثقِلُهُ ولا يكون قادرا عليه، بل هو سبحانه الموصوف بكمال القدرة وكمال العلم وكمال اتصافه بالصفات وكمال القوة، فلذلك لا شيء يعجزه ﷻ.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... لما اقترن بنفي الغدر والظلم عنهم ما ذكره قبل هذا البيت وبعده، وتصغيرهم بقوله (قبيلة) علم أن المراد عجزهم وضعفهم، لا كمال قدرتهم. وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عَدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

لما اقترن بنفي الشر عنهم ما يدل على ذمهم، علم أن المراد عجزهم وضعفهم أيضًا.

ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً، والنفي مجملاً، عكس طريقة أهل الكلام المذموم: فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، يقولون: ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا رائحة ولا طعم، ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهات، ولا بذي يمين ولا شمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا يجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم، ولا يوصف بأنه متناهٍ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، ولا تحيط به الأقدار ولا تحجبه الأستار الى آخر ما نقله أبو الحسن الأشعري رحمه الله عن المعتزلة.........

الشيخ صالح

(وَلا شَيءَ يُعجزُهُ)فيها تقرير لتوحيد الربوبية كما ذكرنا آنفا؛ لأن نفي العجز لأجل كمال القدرة، وكمال الغنى، وكمال قوته ﷻ، وهذا راجع إلى أفراد توحيد الربوبية.

وفي الكلام على قوله (وَلا شَيءَ يُعجزُهُ) مسائل:

المسألة الأولى:

أن هذا منتزع من قوله الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، فنفى سبحانه أن ثمَّ شيءٌ يعجزه في السماوات وكذلك في الأرض، وعلّلَ ذلك بكونه ﴿ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وفي هذه الجملة حق وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة. وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجام ولا حائك! لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقًا، وإنما تكون مادحًا إذا أجملت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل. فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب.

والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتعدوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده. وأما أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده. والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضًا جميليًا، أو يبينوا حاله تفصيلاً، ويحكم عليه بالكتاب والسنة، لا يحكم به على الكتاب والسنة..

الشيخ صالح

ونفي العجز في الآية جاء مُعَلَّلاً بكمال علمه وقدرته؛ وذلك لأنَّ العجز في الجملة:

- إما أن يرجع إلى عدم علم، فلأجل عدم علمه بالأمر عجز عنه.
- وإما أن يرجع لعدم القدرة، فَعَلِمَ ولكن لا يقدر على إنفاذ ما علم أو ما يريد.
- وإما أن يرجع إليهما معا.

ولذلك لما قال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾، ومن المتقرر في علم الأصول في مسالك العلة من أبواب القياس: أنَّ التعليل في القرآن والسنة يُستفادُ من جهات؛ ومنها مجيء (إنَّ) بعد الخبر أو بعد الأمر والنهي.

وهنا لما أخبر عن نفسه بعدم العجز، وعلل ذلك بكونه سبحانه عليما قديرا، عَلِمنَا أنَّ سبب عدم العجز هو كمال علمه سبحانه وكمال قدرته.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... والمقصود: أن غالب عقائدهم السلوب، ليس بكذا، ليس بكذا، وأما الإثبات فهو قليل، وهي أنه عالم قادر حي، وأكثر النفي المذكور ليس متلقى عن الكتاب والسنة، ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتة الصفات، فإن الله تعالى قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. ففي هذا الإثبات ما يقرر معنى النفي، ففهم أن المراد انفراده سبحانه بصفات الكمال، فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، مما أخبرنا به من صفاته، وله صفات لم يطلع عليها أحد من خلقه، كما قال رسوله الصادق ﷺ في دعاء الكرب: «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي». وسيأتي التنبيه على فساد طريقتهم في الصفات إن شاء الله تعالى....

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

أن هذه الجملة نأخذ منها قاعدة قَعَّدها أئمة أهل السنة والجماعة وهي أنَّ النفي إذا كان في الكتاب والسنة فإنه لا يُراد به حقيقة النفي، وإنما يُراد به كمال ضده، يعني أنَّ كل نَفيٍ نُفِيَ عن الله ﷻ.

أنَّ كل نَفيٍ أُضِيفَ لله ﷻ فنُفِيَ عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله في القرآن أو في السنة، فإن المقصود منه إثبات كمال الضِّد.

لأنَّ النفي المحض ليس بكمال، فقد يُنفَى عن الشيء الاتصاف بالصفة؛ لأنه ليس بأهلٍ لها، فيقال: فلان ليس بعالم. لأنه ليس أهلاً لأن يتّصف بذلك، ويقال: فلان ليس بظالمٍ لأنه ليس بقادر أصلا، كما قال الشاعر في وصف قوم يذمهم:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... وَلاَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

لأنهم لا يستطيعون أصلا أن يظلموا أو أن يعتدوا لعجزهم عن ذلك؛ لأن العرب كانت تفتخر بأنّ من لم يَظلِم يُظلَم كقول الشاعر وهو زهير:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... وليس قول الشيخ رحمه الله تعالى (ولا شيء يعجزه) من النفي المذموم، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، فنبه سبحانه وتعالى في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم والقدرة، فإن العجز إنما ينشأ إما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل، وإما من عدم علمه به، والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة، وهو على كل شيء قدير، وقد علم ببداءة العقول والفطر كمال قدرته وعلمه، فانتفى العجز، لما بينه وبين القدرة من التضاد، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، تعالى الله عن ذكر ذلك علوًا كبيرًا.

قوله: (ولا إله غيره).

ش: هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، كما تقدم ذكره. وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال..

الشيخ صالح

فتقرر أنَّ النفي المحض ليس بكمال، ولذلك نقرر القاعدة: **أنّ النفي في الكتاب والسنة إنما هو لإثبات كمال الضد.**

وأخذنا ذلك من قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، فصار النفي نفي العجز عنه سبحانه فيه إثبات كمال علمه وقدرته.

وهذا خُذهُ مطّردًا في مثله قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي قوله ﷻ في أول آية الكرسي: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمال حياته وكمال قيوميته سبحانه، ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ فيه إثبات كمال قدرته ﷻ وكمال قوته، وفي قوله: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] لكمال عدله سبحانه، وفي قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] وذلك لكمال اتصافه بصفاته، وفي قوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣] لكمال استغنائه سبحانه. ففي كل نفيٍ جاء في الكتاب والسنة تأخذ إثبات الصفة التي هي بضد ذلك النفي؛ ولهذا تُثبتُ بعض الصفات وتُثبتُ بعض الأسماء عند طائفة من أهل العلم بألفاظ لم ترد صراحة وأخذوها من النفي الذي جاء في الكتاب والسنة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... ولهذا – والله أعلم – لما قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال بعده: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني: هب أن إلهنا واحد، فلغيرنا إله غيره، فقال تعالى: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

وقد اعترض صاحب المنتخب على النحويين في تقدير الخبر في لا إله إلا هو -فقالوا: تقديره: لا إله في الوجود إلا الله، فقال: يكون ذلك نفيًا لوجود الإله.....

الشيخ صالح

المسألة الثالثة:

أنّ قوله (**وَلا شَيءَ يُعجزُهُ**) كما ذكرتُ لك من أفراد توحيد الربوبية، والتمثيل عن العام ببعض أفراده في التوحيد صحيح؛ لأنَّ دِلالة الخاص على العام مؤكَّدةٌ واضحة لا يمكن أن تخرج دلالة الخاص عن الأمر الكلي العام؛ ولهذا يجيء الإثبات مفصلا كما ذكرنا لأجل أنَّ الإثبات العام لله ﷻ في جميع الصفات حق، فيُثبَتُ في كل موضع بحسبه.

فمن مثَّل في موضع ببعض أفراد الربوبية، فإن تمثيله لذلك حق وإن لم يُمَثِّل بجميع أفراد الربوبية، بخلاف الأسماء والصفات فإنَّ الأسماء والصفات تُمَثِّل عليها بأنواعها.

أهل السنة إذا ذكروا الأسماء والصفات تمثيلاً في هذا المقام فإنهم يذكرون تلك الأسماء والصفات والأفعال التي تدل على أنواع الصفات.

فيذكرون مثالاً للصفات الذاتية، ومثالاً للصفات الاختيارية، ومثالاً للصفات الفعلية حتى يكون ذلك عامّا لأجل أن لا يشترك أهل السنة مع أهل البدع في التعبير.

فإذا أتى مثلا في إثبات الصفات لا يقولون إننا نثبت صفات الرب ﷻ كالحياة والقدرة والسمع والعلم والبصر والإرادة والكلام ويسكتون، لأنَّ هذه السبع هي التي أثبتها الكُلابِيَّة والأشاعرة وطائفة، ولا يقولون نثبت الحياة والكلام لله والسمع والبصر ويسكتون، ولكن يذكرون هذا وهذا، فإذا ذكروا هذه السبع يقولون أيضا معها فهو سبحانه سميع بصير أو موصوف بالسمع والبصر والقدرة والكلام والإرادة والحياة والاستواء والنزول والرحمة والغضب والرضا فيجمعون -والوجه واليدان، إلى آخره- فذكر الصفات ما جرى عليه الاتفاق وما لم يجرِ عليه الاتفاق - يعني بينهم وبين أهل البدع - تمييزًا لقول أهل السنة عن غيرهم.

وأما في الربوبية لأجل أنه لم يَجرِ فيها الخلاف فإنه يسوغ أن يمثل لها ببعض أفرادها.

التعليقات

..... ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود، فكان إجراء الكلام على ظاهره والإعراض عن هذا الإضمار أولى.

وأجاب أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي في ري الظمآن فقال: هذا كلام من لا يعرف لسان العرب، فإن إله في موضع المبتدأ على قول سيبويه، وعند غيره اسم لا، وعلى التقديرين فلا بد من خبر المبتدأ، وإلا فما قاله من الاستغناء عن الإضمار فاسد. وأما قوله: إذا لم يضمر يكون نفيًا للماهية - فليس بشيء، لأن نفي الماهية هو نفي الوجود، لا تتصور الماهية إلا مع الوجود، فلا فرق بين لا ماهية ولا وجود. وهذا مذهب أهل السنة، خلافا للمعتزلة، فإنهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود، وإلا الله - مرفوع، بدلاً من لا إله لا يكون خبرًا لـ لا، ولا للمبتدأ. وذكر الدليل على ذلك.

وليس المراد هنا ذكر الإعراب، بل المراد رفع الإشكال الوارد على النحاة في ذلك، وبيان أنه من جهة المعتزلة. وهو فاسد: فإن قولهم: نفي الوجود ليس تقييدًا، لأن العدم ليس بشيء، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٩]. ولا يقال: ليس قوله: غيره كقوله: إلا الله، لأن غير تعرب بإعراب الاسم الواقع بعد إلا. فيكون التقدير للخبر فيهما واحدًا. فلهذا ذكرت هذا الإشكال وجوابه هنا.......................

الشيخ صالح

المسألة الرابعة:

أنَّ العجز هنا -كما في الآية- جاء نفيه متعلقًا بالأشياء، ودِلالة الآية على النفي أبلغ وأعظم في قول المصنف (وَلا شَيءَ يُعجزُهُ)؛ لأنه جاء في الآية زيادة (مِن) التي تنقل العموم من ظهوره إلى النَّصيَّة فيه، فقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٤٤]، فقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ ﴾ لو قال: وما كان الله ليعجزه شيء لصَحَّ النفي وصار ظاهرا في العموم، وأما لَمَّا قال: ﴿ مِن شَىْءٍ ﴾ جاءت زيادة (مِن) هذه لتنقل العموم المستفاد من مجيء النكرة في سياق النفي من ظهوره إلى النَّصيَّة فيه.

التعليقات

ومعنى الظهور في العموم: أنّه قد يَتَخلَّفُ بعض الأفراد على سبيل النُّدرَة.

وأما النّصيَّة في العموم: فإنه لا يتخلَّفُ عن العموم شيء.

فلما نفى بمجيء النكرة في سياق النفي وجاء بزيادة (مِن) التي دلت على انتقال هذه النكرة المنفية من ظهورها في العموم إلى كونها نصًّا صريحًا في العموم.
إذا تقرر هذا فالمنفِيّ أن يعجزه سبحانه وتعالى هو الأشياء.

والأشياء جمع شيء، والشيء الذي جاء في الآية ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٍ﴾، وفي قوله هنا (وَلا شَيءَ يُعجزُهُ)، وكذلك في قوله قبل (وَلا شيءَ مثلُهُ)، تعريف شيء عندنا: **أنّه ما يصح أن يُعلَمَ أو يَؤُولُ إلى العلم، سواءً كان في الأعيان والذّوات، أو كان من الصفات والأحوال.**

فكلمة ﴿شَيۡءٍ﴾ في النصوص تُفَسَّر عند المحققين من أهل السنة بأنها: **ما يصح أن يُعلم أو يؤول إلى العلم.**

قولنا (يصح أن يعلم) مما هو موجود أمامك أو ما يؤول إلى العلم لعدم وجوده ذاتًا ولكنه موجود في القَدَر، كقول الله ﷻ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وقد كان شيئا لكن لا يذكره الناس؛ لأنهم لم يروه، ولكنه شيء يُعلَمُ في حق الله ﷻ، وسيؤول إلى العلم في حق المخلوق والذّكر.

ولهذا في قوله (وَلا شَيءَ يُعجزُهُ)، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ راجع هنا إلى ما هو موجود وإلى ما ليس بموجود من الذوات والصفات والأحوال؛ لأنها جميعا إما أن تكون معلومة، أو تكون آيلة إلى العلم.

قال بعدها رحمه الله (وَلا إلهَ غَيرُهُ)، وقوله (وَلا إلهَ غَيرُهُ) هذا مُنتَزَع من قول الله ﷻ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ هذه جاءت بها الرسل جميعا؛ جاء بها نوح، وجاء بها هود، وجاء بها صالح، وجاءت بها الأنبياء والرسل جميعا.

وهنا في المعنى كقوله ﷻ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ١-٢]، وكقوله ﷻ: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وكقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

التعليقات

وفي قوله (وَلا إلهَ غَيرُهُ) مسائل :

المسألة الأولى :

أنَّ هذه الكلمة هي معنى كلمة ؛ أو هي مطابقة لكلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**). وكلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**) معناها (**لا إلهَ غَيرُهُ**).

والإله في كلمة التوحيد وفي قوله (**لا إلهَ غَيرُهُ**) هذا دخل عليه النفي. فالمَنفِيُّ جنس الآلهة التي تستحق العبادة، والله ﷻ ليس داخلا في هذا النفي -كما سيأتي بيانه في إعراب كلمة التوحيد-.

وكلمة (إلا الله) موافقة لــ(**غَيرُهُ**)؛ لأن الغيريّة :

- ربما كانت غيرية في الذوات كقولك: ما دخل رجل غيرُ زيد، فهنا ذات الرجال غير ذات زيد.

- أو في الصفات كقولهم: جاءكم بوجه غير الذي ذهب به. الوجه من حيث هو واحد لكن من حيث الصفة اختلف.

فإذن الغَيرِيَّة قد ترجع إلى غيرية الذات، وقد ترجع إلى غيرية الصفات.

وفي النفي (لا إله إلا الله) هنا الإله المنفي هو جنس الآلهة التي تستحق العبادة.

و(**إلا الله**) ليس هذا مُخرَجًا من الآلهة؛ لأنه لم يدخل أصلاً فيها حتى يخرج منها لأن النفي راجع إلى الآلهة الباطلة.

المسألة الثانية :

أنَّ قوله (**لا إلهَ غَيرُهُ**) مشتمل على كلمة (**إله**)، وكلمة (**الإله**) هذه اختلف الناس في تفسيرها.

⇦ فالتفسير الأول لها: أنّ الإله هو الرب، وهو القادر على الاختراع، أو هو المستغني عمَّا سواه، المفتقر إلى كل ما عداه.

وهذا قول أهل الكلام، في أنّ الإله هو الرب؛ يعني هو الذي يَقدِرُ على الخَلقِ والاختراع والإبداع، وهو الذي يستغني عمَّا سواه وكل شيء يفتقر إليه.

كما ذكرنا إليكم مرارا عبارة صاحب السَّنوسية وعبارة أهل الكلام في ذلك.

وهذا التفسير بكون الإله هو القادر على الاختراع وهو الرب لأهل الكلام، من أجله صار الافتراق العظيم في فهم معنى كلمة التوحيد وتوحيد العبادة وفي فهم الصفات وفي تحديد أول واجب على العباد.

⇦ التفسير الثاني لها: نأتي للجملة هذه [.....] وأنّ الإله إله (فِعَال) بمعنى مَفعُول يعني مَألُوه.

سُمِّيَ إلهً لأنه مألوهٌ. والمألُوهُ مفعول من المصدر وهو الإلهَة.

والإلهة مصدر أَلَهَ يَألَهُ إِلَهَةً وأُلُوهَةً إذا عَبَدَ مع الحب والذل والرضا.

فإذًا صارت كلمة الإله هي المعبود، والإلهة والألوهية هي العبودية إذا كانت مع المحبة والرضا.

فصار معنى الإله إذًا هو الذي يُعبَدُ مع المحبة والرضا والذل.

وهذا التفسير هو الذي تقتضيه اللغة؛ وذلك لأنَّ كلمة (إله) هذه لها اشتقاقها الراجع إلى المصدر إلهة، الذي جاء في قراءة ابن عباس في سورة الأعراف ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] يعني ويذرك وعبادتك، وأما مجيؤُها في اللغة فهو كقول الشاعر كما ذكرنا لكم مرارا:

لله درّ الغانيـــــــات المـــــــدَّه ... ســبّحن واســترجعن مـــن تألـــهِ

يعني من عبادتي. فالإله هو المعبود، ولا يصح أن يفسَّر الإله بمعنى الرب مطلقًا.

لأنَّ الخصومة وقعت بين الأنبياء وأقوامهم، بين المرسلين وأقوامهم في العبودية لا في الربوبية.

فالمشركون أثبتوا آلهة وعبدوهم، كما قال ﷻ: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١-٨٢]، وكقوله: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص: ٥] يعني أَجَعَلَ المعبودات معبودًا واحدًا.

وهذا يدلك على أنَّ هذا النفي في قوله (وَلا إلهَ غَيرُهُ) راجعٌ إلى نفي العبادة.

وهذا القول الثاني هو قول أهل السنة وقول أهل اللغة وقول أهل العلم من غير أهل البدع جميعًا، وهو المنعقد عليه الإجماع قبل خروج أهل البدع في تفسير معنى الإله.

وهذا هو معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) يعني لا معبود بحق إلا الله جل جلاله.

المسألة الثالثة :

راجعة إلى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ما معناها؟ معناها : **لا معبود حق إلا الله ﷻ.**

وكما هو معلوم الخبر في قوله (لا)، خبر (لا) النافية للجنس محذوف (لا إله)، ثم قال (إلا الله).

وحذفُ الخبر ؛ خبر (لا) النافية للجنس شائع كثير في لغة العرب كقول النبي ﷺ: «لاَ عَدوىَ، وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ، وَلاَ صَفَرَ، وَلاَ نَوءَ، وَلاَ غُولَ» فالخبر كله محذوف.

وخبر (لا) النافية للجنس يحذف كثيرا وبشيوعٍ إذا كان معلوما لدى السامع، كما قال ابن مالك في الألفية في البيت المشهور: وشاع في ذا الباب -يعني باب لا النافية للجنس- :

وَشَاعَ فِي ذَا البَابِ إِسقَاطُ الخَبَر ... إِذَا المُرَادُ مَع سُقُوطِهِ ظَهَر

فإذا ظهر المراد مع السقوط جاز الإسقاط.

وسبب الإسقاط ؛ إسقاط كلمة (حق)، (لا إله حق إلا الله) أنّ المشركين لم ينازعوا في وجود إله مع الله ﷻ، وإنما نازعوا في أحقّيةِ الله ﷻ بالعبادة دون غيره، وأنّ غيره لا يستحق العبادة.

فالنزاع لّما كان في الثاني دون الأول ؛ يعني لّما كان في الاستحقاق دون الوجود، جاء هذا النفي بحذف الخبر لأن المراد مع سقوطه ظاهر وهو نفي الأحقية.

في (لا إله) صار الخبر راجعًا أو صار الخبر تقديره حق كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وفي الآية الأخرى قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [لقمان: ٣٠]، فلما قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ قرن بين أحقّية الله للعبادة وبطلان عبادة ما سواه، دلّ على أن المراد في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هو نفي استحقاق العبادة لأحد غير الله ﷻ.

التعليقات

فإذا صار تقدير الخبر بكلمة (حق) صوابا من جهتين:

○ الجهة الأولى: أنّ النّزاع بين المشركين وبين الرسل كان في استحقاق العبادة لهذه الآلهة، ولم يكن في وجود الآلهة.

○ الجهة الثانية: أنّ الآية بل الآيات دلت على بطلان عبادة غير الله وعلى أحقية الله ﷻ بالعبادة دون ما سواه. إذا تقرر ذلك فكما ذَكرتُ لك الخبر مقدر بكلمة (حق)؛ (لا إله حق). و(لا) نافية للجنس، فنفت جنس استحقاق الآلهة للعبادة. نفت جنس المعبودات الحقّة، فلا يوجد على الأرض ولا في السماء معبود عَبَدَهُ المشركون حق، ولكن المعبود الحق هو الله ﷻ وحده وهو الذي عبده أهل التوحيد.

وتقدير الخبر بـ(حق) كما ذكرنا لك هو المتعين خلافا لما عليه أهل الكلام المذموم، حيث قدروا الخبر بـ(موجود) أو بشبه الجملة بقولهم (في الوجود) (لا إله في الوجود) أو (لا إله موجود).

وهذا منهم ليس من جهة الغلط النحوي، ولكن من جهة عدم فهمهم لمعنى (الإله) لأنهم فهموا من معنى (الإله) الرب، فنفوا وجود رب مع الله ﷻ، وجعلوا آية الأنبياء دليلا على ذلك وهي قوله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، وكقوله في آية الإسراء: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢]، ففسروا آية الأنبياء وآية الإسراء بالأرباب؛ بالرب، ولكن هي في الآلهة كما هو ظاهر لفظها.

إذا تقرر ذلك فنقول: إن عبادة غير الله ﷻ إنما هي بالبغي والظلم والعدوان والتعدي لا بالأحقية.

المسألة الرابعة:

(لا إله إلا الله). (لا) نافية للجنس. (إله) هو اسمها مبني على الفتح. و(لا) النافية للجنس مع اسمها: في محل رفع مبتدأ. وحق: هو الخبر؛ وحق المحذوف هو خبر، والعامل فيه هو الابتداء أو العامل فيه (لا) النافية للجنس على الاختلاف بين النحويين في العمل.

و(إلا الله) (إلا) استثناء؛ أداة استثناء. (الله) مرفوع، وهو بدل من الخبر، لا من المبتدأ؛ لأنه لم يدخل في الآلهة حتى يُخرَج منها؛ لأنّ المنفي هي الآلهة الباطلة، فلا يَدخل فيها -كما يقوله من لم يفهم- حتى يكون بدلا من اسم لا النافية للجنس، بل هو بدل من الخبر، وكون الخبر مرفوعا والاسم هذا مرفوعا، يُبيِّنُ ذلك أن التابع مع المتبوع في الإعراب والنفي والإثبات واحد.

وهنا تَنتَبه إلى أن الخبر لما قُدِّرَ بـ(حق) صار المُثبَت هو استحقاق الله ﷻ للعبادة، ومعلوم أنّ الإثبات بعد النفي أعظم دلالة في الإثبات من إثباتٍ مجرد بلا نفي.

التعليقات

ولهذا صار قوله (لا إله إلا الله) وقول (**لا إله غير الله**) هذا أبلغ في الإثبات من قول: الله إله واحد، لأن هذا قد ينفي التقسيم و لكن لا ينفي استحقاق غيره للعبادة.

ولهذا صار قوله ﷻ: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقول القائل (لا إله إلا الله) بل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥] جمعت بين النفي والإثبات، وهذا يسمى الحصر والقصر، ففي الآية حصر وقصر.

وبعض أهل العلم يعبر عنها بالاستثناء المفرّغ وهذا ليس بجيد، بل الصواب فيها أن يقال هذا حصر وقصر، فجاءت (لا) نافية وجاءت (إلا) مثبتة ليكون ثَمَّ حصرٌ وقصرٌ لاستحقاق العبادة في الله ﷻ دون غيره، وهذا عند علماء المعاني في البلاغة يفيد الحصر والقصر والتخصيص، يعني أنَّهُ فيه لا في غيره، وهذا أعظم دلالة فيما اشتمل عليه النفي والإثبات.

ومعنى كلمة التوحيد وتفصيل الكلام عليها ترجعون إليه في موضعه من كلام أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى.

المسألة الخامسة:

على قوله (وَلا إلهَ غَيرُهُ) أنَّ هذه الكلمة فيها إثبات توحيد العبادة لله ﷻ كما ذكرنا.

وتوحيد العبادة لله ﷻ لا يستقيم إلا بشيئين كما ذكرنا: بنفي وبإثبات، فالنفي وحده لا يكون به المرء موحدًا، والإثبات وحده لا يكون به المرء موحدًا، حتى يجمع ما بين النفي والإثبات، نفي استحقاق العبادة لأحد من هذه الآلهة الباطلة، وإثبات استحقاق العبادة الحقة لله ﷻ وحده دون ما سواه، وهذا هو معنى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، فلا يستقيم توحيد أحد حتى يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله.

ومن كان إيمانه بالله صحيحا كان كفره بالطاغوت صحيحا، إذ ثَمَّ ملازمة ما بين هذا وهذا.

وإثبات توحيد الإلهية على هذا المعنى بين النفي والإثبات يتضمن إثبات توحيد الربوبية؛ لأنَّ كل موحد لله في الإلهية موحد لله ﷻ في الربوبية، وكذلك مستلزم لإثبات صفات الكمال لله ﷻ؛ لأنه لا يُعبد إلا من كان متصفا بصفات الكمال.

هذا خلاصة ما يشتمل عليه قوله (وَلا إلهَ غَيرُهُ).

في هذا القدر كفاية وأسأل الله ﷻ لي ولكم النور في الدنيا وفي الآخرة والاهتداء التام والأمن التام إنه كريم جواد سميع الدعاء، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

التعليقات

.....، قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ[1] **..**

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء)

ش: قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ ﴾ [الحديد: ٣]. وقال ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء». فقول الشيخ قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء هو معنى اسمه الأول والآخر. والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطر، فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته، قطعًا للتسلسل.

فإنا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]. يقول سبحانه: أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟..

الشيخ صالح

هذه الجمل من هذه العقيدة المختصرة -عقيدة الإمام الطحاوي ﷺ وأجزل له المثوبة- اشتملت على جملة من صفات الله ﷻ، وهي ليست راجعة إلى ترتيب معين؛ يعني في ذكر صفاتٍ لله ﷻ أو في ذكر قواعد في الصفات، أو فيما يخالف فيه أهل السنة والجماعة غيرهم، إلا في بعضها كما سيأتي، وهذا كما ذكرنا لك من قبل راجع إلى أنه لم يرتّب هذه العقيدة على ترتيب موضوعي منهجي بحيث ينتقل من أنواع الإيمان إلى غيرها وبين أنواع الإيمان يعني أركان الإيمان وهكذا، ولهذا نذكر البيان على كل جملة بحسب ما اشتملت عليه، وفي ذلك إن شاء الله تعالى فوائد.

التعليقات

(١) الشيخ ابن باز: قوله (قديم بلا ابتداء ...) هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى كما نبه الشارح رحمه الله وغيره، وإنما ذكره كثير من علماء الكلام ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء. وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة، ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي كما نص على ذلك أئمة السلف الصالح. ولفظ القديم لا يدل على المعنى الذي أراده أصحاب الكلام، لأنه يقصد به في اللغة العربية المتقدم على غيره وإن كان مسبوقا بالعدم كما في قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ وإنما يدل على المعنى الحق بالزيادة التي ذكرها المؤلف وهي قوله: "قديم بلا ابتداء" ولكنه لا ينبغي عده من أسماء الله الحسنى لعدم ثبوته من جهة النقل، ويغني عنه اسمه سبحانه (الأول) كما قال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ ﴾. والله ولي التوفيق.......................................=

ابن أبي العز الحنفي

..... ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه، فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجودًا بنفسه، بل إن حصل ما يوجده وإلا كان معدوما، وكل ما أمكن وجوده بدلاً عن عدمه وعدمه بدلاً عن وجوده، فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له.

وإذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية وجد الصواب منها يعود الى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣]..

الشيخ صالح

قال ﷺ (قَديمٌ بلا ابتدَاء، دَائمٌ بلا انتهاء) أراد ﷺ بذلك أن يُبيِّن أنَّ الله ﷻ منزّهٌ عمّا خلق، فهو سبحانه خَلَقَ الزمان، والزمان لا يحويه، وكذلك خلق المكان، والمكان لا يحويه، ﷻ، وذكر هنا أنّ الله ﷻ سبق الزمان، وأيضا سيدوم بعد انتهاء الزمان بلا انتهاء. وهذا المعنى الذي أراده عبَّرَ عنه بتعبير المتكلمين في أبديَّة الزمان في الماضي وفي المستقبل.

وهذا خروج منهم عمّا جاء في النص من التعبير عن أبدية الزمان من الجهتين؛ وذلك أنّ أبدية الزمان يعني أنّ الله ﷻ لا يُوصَفُ بأنه ابتدأ في زمان ولا أنه ينتهي في زمان؛ لأن الزمان محدود مخلوق، والله ﷻ كان قبل خلقه، وسيبقى سبحانه بلا انتهاء.

هذا المعنى يُعبِّر عنه المتكلمون ويعبر عنه أهل العقائد المختلفة بأنواع من التعبير منها هذا الذي ذكره الطحاوي.

التعليقات

= الشيخ الألباني: اعلم أنه ليس من أسماء الله تعالى: (القديم) وإنما هو من استعمال المتكلمين فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن – هو المتقدم على غيره فيقال: هذا قديم للعتيق وهذا جديد للحديث ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره لا فيما لم يسبقه عدم كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩] والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم وإن كان مسبوقا بغيره كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (١ / ٢٤٥) والشارح في "شرحه" لكن أفاد الشيخ ابن مانع هنا فيما نقله عن ابن القيم في "البدائع" أنه يجوز وصفع سبحانه بالقدم بمعنى أنه يخبر عنه بذلك وباب الأخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية ....=

ابن أبي العز الحنفي

...... ولا نقول: لا ينفع الاستدلال بالمقدمات الخفية والأدلة النظرية: فإن الخفاء والظهور من الأمور النسبية، فربما ظهر لبعض الناس ما خفي على غيره، ويظهر للإنسان الواحد في حال ما خفي عليه في حال أخرى. وأيضا فالمقدمات وإن كانت خفية فقد يسلمها بعض الناس وينازع فيما هو أجلى منها، وقد تفرح النفس بما علمته من البحث والنظر ما لا تفرح بما علمته من الأمور الظاهرة. ولا شك أن العلم باثبات الصانع ووجوب وجوده أمر ضروري فطري، وإن كان يحصل لبعض الناس من الشبه ما يخرجه إلى الطرق النظرية.......................................

الشيخ صالح

ومن المعلوم أن التعبير الذي جاء في الكتاب والسنة هو قول الحق ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣].

وقوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ ﴾ هذا في المعنى الذي أراده الطحاوي، لهذا فسَّرَهُ النبي ﷺ في دعائه بقوله: «**أنت الأول ليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**» فليس قبل الرب ﷻ زمان، وليس بعده ﷻ زمان، كما أنه ليس قبله شيء من المخلوقات، ولا بعده أيضا شيء من المخلوقات.

وهذان الاسمان (**الأَوَّلُ**) وَ(**الأَخِرُ**) دلاَّ على أنه سبحانه (**قَدِيمٌ** -كما ذكر- **بلا ابتدَاء**) وأنه (**دَائمٌ**-سبحانه- **بلا انتهاء**). وما جاء في وصف الله ﷻ في القرآن وفي سنة المصطفى ﷺ هو الأكمل؛ بل هو الصحيح، وأما ما ذُكر من الوصف، فسيأتي ما فيه في المسائل المتعلقة بهذه الجملة.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: **قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء:** كما دل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء». لكن كلمة (قديم) لا تُطلق على الله عز وجل إلا من باب الخبر، أما من جهة التسمية فليس من أسمائه: القديم، وإنما من أسمائه: الأول. والأول ليس مثل القديم؛ لأن القديم قد يكون قبله شيء، أما الأول فليس قبله شيء، قال عليه الصلاة والسلام: «أنت الأول فليس قبلك شيء»، لكن المؤلف رحمه الله احتاط فقال: (قديم بلا ابتداء)، أما لو قال: (قديم) وسكت، فهذا ليس بصحيح في المعنى.

ابن أبي العز الحنفي

...... وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القران: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم، للعتيق، وهذا حديث، للجديد. ولم يستعملوا هذا الإسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]، والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول: قديم، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ١١]، أي متقدم في الزمان. وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٥، ٧٦]. فالأقدم مبالغة في القديم، ومنه: القول القديم والجديد للشافعي رحمه الله تعالى.............

الشيخ صالح

فإذًا قوله (قَديمٌ بلا ابتدَاء، دَائمٌ بلا انتهاء) من جهة المعنى ومن جهة الدليل عرفتها. والمتكلمون يعنون بكلمة (قَديمٌ) غير ما يُعنَى بها في اللغة. فإنهم يعنون بالقديم الذي تَقَدَّمَ على غيره. والغيريّة هنا مطلقة بلا تقييد فتشمل كل ما هو غير الله ﷻ يعني من جميع المخلوقات. فيكون قولهم في وصف الله بأنه (قَديمٌ) أو في أسماء الله بأنه سبحانه القديم يعنون به المُتَقدِّم على غيره مطلقًا. وهذا التقدم يشمل كل الأزمنة الماضية وزيادة. ولذلك احترز المصنف ؒ بقوله (قَديمٌ بلا ابتدَاء)؛ لأن كونه متقدمًا على غيره قد يكون من جهة التقسيم العقلي أنّ له ابتداء سبحانه معروف، وهذا مما لم يأذن الله ﷻ لنا بعلمه، ولا تدركه أوهامنا ولا عقولنا ولا قلوبنا فلذلك قال (قَديمٌ بلا ابتدَاء) وهذا هو معنى -كما ذكرت لك- اسم الله (الأول الذي ليس قبله شيء). فإذًا تعبير المتكلمين عن الرب ﷻ عن اسمه الأول بكونه قديم وأنه القديم هذا أرادوا به غير المعنى اللغوي.

وأما المعنى اللغوي فإنّ القديم هو الذي صار متقدما على غيره، وسيعقبه غيرُه، وقد سبقه غيره، كما قال ﷻ: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس:٣٩] وكقول الحق ﷻ: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف:١١]، وأشباه ذلك. والقِدَم أو التَقدُّم أو القَدَم في اشتقاق هذه المادة في اللغة راجعة إلى ما تقدم على غيره، وهذا في اللغة. ومعلوم أنَّ اللغة موضوعة للأشياء المحسوسة التي رآها، أو عرفها العرب، ولهذا دخل في اسم القديم المخلوقات. وإذا كان كذلك فإنَّ القديم لا يوصف الله ﷻ به كما سيأتي في المسائل.

التعليقات

..... وقال تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [هود: ٩٨]، أي يتقدمهم. ويستعمل منه الفعل لازمًا ومتعديًا، كما يقال: أخذت ما قدم وما حدث، ويقال: هذا قدم هذا وهو يقدمه. ومنه سميت القدم قدمًا، لأنها تقدم بقية بدن الإنسان وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى، فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام. وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، منهم ابن حزم.

ولا ريب أنه إذا كان مستعملاً في نفس التقدم، فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من غيره. لكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى. وجاء الشرع بإسمه الأول. وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم. والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة........

الشيخ صالح

إذًا فكلمة (قَديمٌ بلا ابتدَاء) هذه عند المتكلمين لها معنىً غير المعنى في اللغة، ومعناها عند المتكلمين كما ذكرتُ لك هو المتقدم على غيره. وفي اللغة المعنى أخص، المتقدم أو ما كان متقدمًا على غيره وتَقَدَّمَهُ غيرُه، وهذا يجوز في اللغة، وهم لم يريدوا هذا المعنى، ولذلك جعلوا القديم من أسماء الله، وجعلوا القِدَمَ صفة للحق ﷻ.

إذا تبين لك ذلك فقوله (قَديمٌ بلا ابتدَاء) هذا راجع إلى ما سُمِّيَ بالأزلية؛ بأزلية الرب ﷻ، وقوله (دَائمٌ بلا انتهاء) راجع إلى أبديته ﷻ. ولفظ (أزلية) هذا مركب أو منحوت من (لم يزل)، فلما أرادوا النسبة جعلوها للأزل؛ يعني الزمان الماضي القديم جدا الذي لم يزل، لا يعرف له بداية. فيُقَالُ هم يعبرون بأنه أزلي ﷻ، أو أنَّ صفات الرب ﷻ أزلية، والتعبير عن هذه الأشياء بما جاء في الكتاب والسنة هو الحق، فلا يُعبَّر عن هذه الأشياء بما لم يرد في الكتاب والسنة؛ لأنه قد يشتمل على باطل، والمرء لا يعلم ذلك، حتى من جهة الاحتمالات العقلية أو الاحتمالات اللغوية.

المؤلف احترز فقال (قَديمٌ بلا ابتدَاء) وهذا فيه احتراز، جعل الجملة حق في نفسها لكن فيها مخالفة، وعَبّر عن الأبدية بقوله (دَائمٌ بلا انتهاء).

إذا تبين لك ذلك، فعندهم أنَّ القِدَم هو قِدَم الذات - يعني عند المتكلمين وعند الأشاعرة وأشباه هؤلاء، والمعتزلة - عندهم القِدَم حينما يطلقونه يريدون به قدم الذات، وأما قِدَم الصفات فهذا فيه تفصيل. فقوله (قَديمٌ بلا ابتدَاء، دَائمٌ بلا انتهاء) يعنون به قديم الذات، ودائم الذات، أما الصفات فلهم فيها تفصيل، وكأنّ الطحاوي درج على ما درجوا عليه لأنه عبَّرَ بتعبيرهم.

إذا تقرر لك ذلك، ففي قوله (قَديمٌ بلا ابتدَاء، دَائمٌ بلا انتهاء) مسائل:

المسألة الأولى:

اسم القديم: هذا كما ذكرت من الأسماء التي سمَّى اللهَ ﷻ بها المتكلمون. فإنهم هم الذين أطلقوا هذا الاسم القديم على الرب ﷻ، وإلا فالنصوص من الكتاب والسنة ليس فيها هذا الاسم. وإدراج اسم القديم في أسماء الله هذا غلط، ولا يجوز، وذلك لأمور:

- الأمر الأول: إن القاعدة التي يجب اتّباعها في الأسماء والصفات ألاّ يُتجاوز فيها القرآن والحديث، ولفظ أو اسم القديم أو الوصف بالقدم لم يأتِ في الكتاب والسنة، فيكون في إثباته تعدٍّ على النص.

- الأمر الثاني: أنّ اسم القديم منقسم إلى ما يُمدح به، وإلى ما لا يمدح به، فإنّ أسماء الله ﷻ أسماء مدح؛ لأنها أسماء حسنى واسم القديم لا يمدح به؛ لأن الله وصف به العرجون، والقديم هذا قد يكون صفة مدح وقد يكون صفة ذم.

- الأمر الثالث: أنَّ اسم القديم لا يدعا الله ﷻ به، فلا يدعا الله بقول القائل يا قديم أعطني، ويا أيها القديم، أو يا ربي أسألك بأنك القديم أن تعطيني كذا، والأسماء الحسنى يُدعَى الله ﷻ بها فذلك لقوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

التعليقات

فالأسماء الحسنى يُدعَى بها؛ يعني تكون وسيلة لتحقيق مراد العبد، ولهذا لم يدخل الوجه في الأسماء، ولم تدخل اليدان في الأسماء، ولا أشباه ذلك، لأن هذه صفات وليست بأسماء، والأسماء هي التي يُدعَى الله ﷻ بها. وإذا تبين ذلك فننتقل إلى:

المسألة الثانية:

ما ضابط كون الاسم من الأسماء الحسنى؟

الاسم يكون من أسماء الله الحسنى إذا اجتمعت فيه ثلاثة شروط، أو اجتمعت فيه ثلاثة أمور:

- الأول: أن يكون قد جاء في الكتاب والسنة، يعني نُصَّ عليه في الكتاب والسنة، نُصَّ عليه بالاسم لا بالفعل، ولا بالمصدر، وسيأتي تفصيل لذلك.
- الثاني: أن يكون مما يُدعَى الله ﷻ به.
- الثالث: أن يكون متضمِّنا لمدحٍ كاملٍ مطلقٍ غير مخصوص.

وهذا ينبني على فهم قاعدة أخرى من القواعد في منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات وهي: أنَّ باب الأسماء الحسنى أو باب الأسماء أضيق من باب الصفات، وباب الصفات أضيق من باب الأفعال، وباب الأفعال أضيق من باب الإخبار. واعكس ذلك.

فتقول: باب الإخبار عن الله ﷻ أوسع، وباب الأفعال أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء الحسنى. وهذه القاعدة نفهم منها أنَّ الإخبار عن الله ﷻ بأنه (قَديمٌ بلا ابتدَاء) لا بأس به لأنه مشتمل على معنى صحيح، فلما قال (قَديمٌ بلا ابتدَاء) انتفى المحذور فصار المعنى حقا، ولكن من جهة الإخبار.

أما من جهة الوصف، وصف الله بالقدم فهذا أضيق لأنه لا بد فيه من دليل.

وكذلك باب الأسماء وهو تسمية الله بالقديم هذا أضيق فلا بد فيه من اجتماع الشروط الثلاثة التي ذَكَرتُ لك.

التعليقات

والشروط الثلاثة غير منطبقة على اسم القديم، وعلى نظائره كالصانع والمتكلم والمريد وأشباههم لـ:

□ أولا: لم تَرِد في النصوص فليس في النصوص اسم القديم، ولا اسم الصانع، ولا اسم المريد، ولا اسم المتكلم، ولا المريد، ولا القديم، أما الصانع فله بحث يأتي إن شاء الله.

□ ثانيًا: اسم القديم لا يدعا الله ﷻ به؛ يعني لا يُتوسل إلى الله به؛ لأنه في ذاته لا يحمل معنىً متعلقا بالعبد فيسأل الله ﷻ به، فلا يقول يا قديم أعطني، لأنه لا يتوسل إلى الله بهذا الاسم، كما هي القاعدة في الآية ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، فثَمَّ فرق ما بين التّوسل بالأسماء والتّوسل بالصفات.

□ ثالثًا: من الشروط: الذي ذكرناه هو أن تكون متضمنةً على مدحٍ كاملٍ مطلق غير مختص. وهذا نعني به أنّ المدح، أنَّ أسماء الله ﷻ هي متضمنة لصفات. وهذه الأسماء لابد أن تكون متضمنة للصفات الممدوحة على الإطلاق غير الممدوحة في حال والتي قد تذم في حال، أو ممدوحة في حال وغير ممدوحة في حال أو مسكوت عنها في حال. وذلك يرجع إلى أنَّ أسماء الله ﷻ حسنى؛ يعني أنها بالغة في الحسن نهايتَه.

ومعلوم أن حُسن الأسماء راجع إلى ما اشتملت عليه من المعنى؛ ما اشتملت عليه من الصفة. والصفة التي في الأسماء الحسنى والمعنى الذي فيها لا بد أن يكون دالا على الكمال مطلقا بلا تقييد وبلا تخصيص. فمثل اسم القديم، هذا لا يدلّ على مدحٍ كامل مطلق، ولذلك لما أراد المصنف أن يجعل اسم القديم أو صفة القِدم مدحا قال (**قديمٌ بلا ابتدَاء**)، وحتى الدائم هنا قال (**دَائمٌ بلا انتهاء**).

لكن لفظ القديم قيّده بكونه (**بلا ابتدَاء**) وهذا يدل على أن اسم القديم بحاجة إلى إضافة كلام حتى يُجعل حقا وحسنا ووصفا مشتملا على مدحٍ حق. لهذا نقول إنّ هذه الأسماء التي تُطلق على أنها من الأسماء الحسنى يجب أن تكون مثل ما قلنا؛ صفات مدح وكمال ومطلقة غير مختصة، وأمّا ما كان مقيّدا أو ما كان مختصا المدح فيه بحال دون حال، فإنه لا يجوز أن يطلق في أسماء الله. ولهذا مثال آخر أبيَن من ذلك، مثل المريد والإرادة، فإنَّ الإرادة منقسمة إلى:

١- إرادة محمودة؛ إرادة الخير إرادة المصلحة، إرادة النفع، إرادة موافقة للحكمة.

٢-والقسم الآخر إرادة الشرّ، إرادة الفساد، إرادة ما لا يوافق الحكمة، إلى آخره.

فهنا لا يسمى الله ﷻ باسم «**المريد**»، لأنّ هذا منقسم، مع أنَّ الله ﷻ يريد ﷻ، فيُطلَق عليه الفعل، وهو سبحانه موصوف بالإرادة الكاملة، ولكن اسم المريد لا يكون من أسمائه لما ذكرنا. وكذلك اسم «**الصانع**» لا يقال أنه من أسماء الله ﷻ؛ لأن الصّنع منقسم إلى ما هو موافق للحكمة، وإلي ما هو ليس موافقا للحكمة، والله ﷻ يصنع وله الصنع سبحانه، كما قال ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ **[النمل: ٨٨]** وهو سبحانه يصنع ما يشاء وصانِعٌ ما شاء كما جاء في الحديث: «**إِنّ اللّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ**» ﷺ، ولكن لم يُسَمَّ الله ﷻ باسم الصانع لأنّ الصُّنع منقسم.

أيضا اسم «**المتكلم**»، لا يقال في أسماء الله ﷻ المتكلم؛ لأن الكلام الذي هو راجع إلى الأمر والنهي، منقسم: إلى أمر لما بما هو موافق للحكمة؛ أمر بمحمود، وإلى أمر بغير ذلك، ونهي عمّا فيه المصلحة؛ نهي عمّا فيه الخير، ونهي عن ما فيه الضر، والله ﷻ نهى عمّا فيه الضرر، ولم ينهَ عما فيه الخير، بل أمر بما فيه الخير، ولذلك لم يسمَّ الله ﷻ بالمتكلم.

هذه كلها أطلقها المتكلمون على الله ﷻ، فسموا الله بالقديم، وسموا الله ﷻ بالمتكلم، وسموا الله ﷻ بالمريد، وسموا الله ﷻ بالصانع، إلى غير ذلك من الأسماء التي جعلوها لله ﷻ.

فإذا تبين لك ذلك فإن الأسماء الحسنى هي ما اجتمعت فيها هذه الشروط، واسم القديم لم تجتمع فيه الشروط؛ بل لم ينطبق عليه شرط من هذه الشروط الثلاثة.

والمؤلف معذور في ذلك بعض العذر؛ لأنّه قال (**قَديمٌ بلا ابتداء**). أمّا الخالق غير الصانع وذلك لـ:

- أولا : الخالق جاء في النص و**الصانع** لم يأت في النص.
- ثانيا : من جهة المعنى الصنع فيه كلفة وليس ممدوحًا على كل حال، والخَلق هذا إبداع وتقدير فهو ممدوح.
- ثالثا : الخلق منقسم إلى مراحل، وأمّا الصنع فليس كذلك؛ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ **[الحشر: ٢٤]** فالخلق يدخل من أول المراحل، والصنع لا، الصنع ليس كمالاً، فممكن أن يصنع ما هو محمود ويصنع ما هو مذموم، يصنع بلا برء ولا إنفاذ، وقد يصنع شيئا لا يوافق ما يريده. فلهذا اسم الخالق يشتمل على كمال ليس فيه نقص، وأما اسم الصانع فإنه يطرأ عليه أشياء فيها نقص من جهة المعنى ومن جهة الإنفاذ، فلذلك جاء اسم الله الخالق ولم يأت في أسماء الله **الصانع**.

......، لا يفنى ولا يبيد[1] ....

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (لايفنى ولايبيد).

ش: إقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى، قال عز من قائل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ **[الرحمن: ٢٧]**. والفناء والبيد متقاربان في المعنى، والجمع بينهما في الذكر للتأكيد، وهو أيضًا مقرر ومؤكد لقوله: دائم بلا انتهاء.

الشيخ صالح

المسألة الثالثة:

أنّ قوله (**قَديمٌ**) و(**دَائمٌ**) كما ذكرنا عند أهل السنة يُعَبَّرُ عنه بالأول والآخر كما جاء في النص. والله ﷻ أوليته عند أهل السنة في ذاته وفي صفاته، وآخِرٌ سبحانه في ذاته وفي صفاته. فهو سبحانه لم يزل متصفا بالصفات، وهو أولٌ بصفاته، وهو سبحانه لن ينقطع اتصافه بصفاته سبحانه وتعالى من الجهة الأخرى. يعني أنَّ آخريته سبحانه آخِرِيَةُ ذاتٍ وصفات، وأوليته سبحانه أولية ذات وصفات. فنقول عِلمُ الله ﷻ أوَّل، ورحمة الله ﷻ أُولى، وخلقه سبحانه أول. يعني اتصافه بهذه الصفات كذاته سبحانه، فهو الأول الذي ليس قبله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، وهذا سيأتي له مزيد بيان عند قوله (**مَا زالَ بِصفَاتِهِ قَديمًا قَبلَ خَلقِهِ، لم يَزدَد بِكَونِهِم شَيئًا، لم يكن قَبلَهُم مِن صِفَتِهِ، وكما كانَ بصفاته أزَليًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيها أبديًّا**).

المقصود أنّ التعبير عن صفات الله ﷻ بكونها أُولى والله ﷻ أوّل بذاته وصفاته هذا الموافق للنص، أما نقول الكلام القديم أو خَلقُهُ القديم أو حكمته القديمة وأشباه ذلك فإنّ هذا يَرِد وأيضا يحتمل معنى غير صحيح.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: الفناء والبيد بمعنى واحد، فالله سبحانه وتعالى موصوف بالحياة الباقية الدائمة، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾، فالله لا يأتي عليه الفناء، قال سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾، فله البقاء سبحانه وتعالى، والخلق يموتون ثم يبعثون، وكانوا في الأول عدمًا ثم خلقهم الله، ثم يموتون ثم يبعثهم الله عز وجل. فالله سبحانه وتعالى ليس له بداية وليس له نهاية.

.... ولا يكونُ إلا ما يُرِيدُ(١). لا تَبلُغُه الأوهامُ، ولا تُدرِكُه الأفهامُ(٢)...

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (ولا يكون إلا ما يريد).

ش: هذا رد لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم والكافر أراد الكفر. وقولهم فاسد مردود، لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر المشهورة، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

وسموا قدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضًا. والتسمية على الطائفة الأولى أغلب..............................

الشيخ صالح

الجملة الثانية قوله (**لا يَفنَى ولا يَبيدُ**). وكونه سبحانه (**لا يَفنَى ولا يَبيدُ**) ذلك لكمال حياته ﷻ وكمال قيوميته. دلّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧] ويدل عليها قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] في أحد التفسيرين، ويدل عليها قوله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥] وذلك لكمال حياته وكمال قيوميته، وإذا انتفى الأدنى انتفى الأعلى من باب أولى.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذا فيه إثبات القدر وإثبات الإرادة، فلا يكون في ملكه ولا يحصل في خلقه من الحوادث والكائنات إلا ما أراده سبحانه وتعالى بالإرادة الكونية: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فكل خير وكل شر فهو بإرادة الله الكونية، فلا يخرج عن إرادته شيء، وهذا فيه رد على القدرية الذين ينفون القدر، ويزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه ويوجد فعل نفسه، تعالى الله عما يقولون، وهذا تعجيز لله، وأنه يكون في خلقه ما لا يريده سبحانه وتعالى، فهذا وصف له بالنقص، فجميع ما يكون في الكون من خير وشر فإنه بإرادته، فيخلق الخير لحكمة، ويخلق الشر لحكمة، فهو من جهة خلقه له ليس بشر؛ لأنه لحكمة عظيمة، ولغاية عظيمة، وهي الابتلاء والامتحان، وتمييز الخبيث من الطيب، والجزاء على الأعمال الصالحة، والجزاء على الأعمال السيئة، له الحكمة في ذلك سبحانه وتعالى، لم يخلق ذلك عبثًا.

(٢) الشيخ الفوزان: فالله سبحانه وتعالى لا يُحاط به، فالله أعظم من كل شيء سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، فالله سبحانه يُعلم ولكن لا يُحاط به، فالله أعظم من كل شيء، فلا يتخيله الفكر، ولا يجوز لإنسان أن يقول في الله إلا ما قاله سبحانه عن نفسه، أو قاله عنه رسوله عليه الصلاة والسلام.

ابن أبي العز الحنفي

...... أما أهل السنة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرًا - فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها. وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. ولهذا اتفق الفقهاء على أن الحالف لو قال: والله لأفعلن كذا إن شاء الله - لم يحنث - إذا لم يفعله وإن كان واجبًا أو مستحبًا. ولو قال: أن أحب الله - حنث - إذا كان واجبًا أو مستحبًا.

والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان، إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية:

فالإرادة الشرعية، هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات...

الشيخ صالح

ولهذا قال (**لا يَفنَى ولا يَبيدُ**) ﷻ، وأراد المصنف بقوله (**لا يَفنَى ولا يَبيدُ**) أراد شيئين فيما يظهر:

الأول: أن هذا فيه مزيد وصف لله ﷻ بكمال الحياة وكمال القيومية ﷻ، وتفسير لقوله (**دَائمٌ بلا انتهاء**).

والثاني: أنّ بعض أهل البدع زعموا أنَّ بعض صفات الله ﷻ تفنى، أو أن بعض آثار أسمائه ﷻ يبيد.

ونحن نطلق القول بأنه ﷻ لا يفنى ولا يبيد سبحانه وتعالى في ذاته وفي أسمائه وصفاته، ولا نقيِّدُ ذلك في الزمن المستقبل بشيء، بل نقول هو على إطلاقه ؛ بأنه سبحانه آخر فليس بعده شيء، وأنه لن يزال متصفا بصفاته بمشيئته وقدرته ﷻ.

فإذًا قوله (**لا يَفنَى ولا يَبيدُ**) هذا لكمال ربوبيته سبحانه وكمال اتصافه بالصفات.

ثم قال (**ولا يكونُ إلا ما يُريدُ**) وهذه الجملة الأدلة عليها كثيرة من الكتاب والسنة ؛ فإنَّ الله ﷻ قال: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال سبحانه ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، و«**ما شَاءَ الله كَانَ وَما لَم يَشَأْ لَم يَكن**» والله سبحانه يشاء الأشياء فتكون كما شاءها ﷻ، ولا تخرج مشيئة العبد عن مشيئة الله ﷻ للأشياء.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وهذا كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٦]. ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]...........

الشيخ صالح

وقوله (ولا يكونُ إلا ما يُريدُ) يريد به المشيئة - يعني لا يكون إلا ما يشاؤه سبحانه - فالإرادة هنا المعني بها الإرادة الكونية. وأراد بهذه الجملة الرد على القدرية الذين يزعمون أنّ الرب ﷻ أراد طاعة المطيع، وأراد إيمان المؤمن؛ وأراد إيمان المكلف، ولكن المكلف أراد الكفر وأراد المعصية فكان ما لم يرد الله ﷻ، وهذا قول الذين يقولون إنّ العبد يخلق فعل نفسه كما هو قول المعتزلة وطوائف أيضا من القدرية. يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه وأنّ الله ﷻ لا يخلق فعله، فيحصل في الكون ما لا يريده ﷻ لأن الله سبحانه لا يريد الكفر ولا يريد الضلال ولا يريد المعصية. وهذا القول باطل كما ذكرنا لك لأن الإرادة المراد بها هنا الإرادة الشرعية.

التعليقات

....

...... فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به.

وأما الإرادة الكونية، فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان ولم يشأ لم يكن.

والفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غيره أن يفعل. فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة معلقة بفعله، وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة لفعل الغير، وكلا النوعين معقول للناس، والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى، فالله تعالى إذا أمر العباد بأمر فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به وقد لا يريد ذلك، وإن كان مريدًا منه فعله.

وتحقيق هذا، مما يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى: هل هو مستلزم لإرادته أم لا؟ فهو سبحانه أمر الخلق على ألسن رسله عليهم السلام بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم، ولكن منهم من أراد أن يخلق فعله، فأراد سبحانه أن يخلق ذلك الفعل ويجعله فاعلاً له..

وهنا نخلص في هذه الجملة إلى مسائل:

المسألة الأولى:

أنه أراد بقوله (**ولا يكونُ إلا ما يُريدُ**) أراد بالإرادة هنا المشيئة. والإرادة؛ إرادة الله ﷻ منقسمة إلى:

- إرادة كونية - يعني فيما يحصل في كون الله ﷻ.
- وإرادة شرعية.

فأما الإرادة الكونية فكثيرة في النصوص وهي مرادفة للمشيئة، فمشيئة الله هي الإرادة الكونية، فإذا قلنا شاء الله كذا؛ يعني أراده كونا.

ابن أبي العز الحنفي

...... ومنهم من لم يرد أن يخلق فعله، فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات، غير جهة أمره للعبد على وجه البيان لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة، وهو سبحانه - إذ أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان - كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم.

بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه وجه مفسدة من حيث هو فعل له، فإنه يخلق ما يخلق لحكمة، ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحة للمأمور، إذا فعله - أن يكون مصلحة للأمر إذا فعله هو أو جعل المأمور فاعلاً له. فأين جهة الخلق من جهة الأمر؟ فالواحد من الناس يأمر غيره وينهاه مريدًا النصيحة ومبينًا لما ينفعه، وإن كان مع ذلك لا يريد أن يعينه على ذلك الفعل، اذ ليس كل ما كان مصلحتي في أن آمر به غيري وأنصحه - يكون مصلحتي في أن أعاونه أنا عليه، بل قد تكون مصلحتي إرادة ما يضاده. فجهة أمره لغيره نصحًا غير جهة فعله لنفسه، وإذا أمكن الفرق في حق المخلوقين فهو في حق الله أولى بالإمكان..............

الشيخ صالح

أما المشيئة فلا تنقسم إلى مشيئة كونية وإلى مشيئة شرعية؛ بل هي نوع واحد، هو مشيئة في كونه، أما الشرع فإنما يوصف بإرادة شرعية. وهذا يعني أنّ الإرادة الكونية التي هي المشيئة هي التي لا يخرج أحد عنها. فقد يقع الشيء مأذونا من الله ﷻ؛ شاءه الله ﷻ كونًا وقدرًا، ولكنه لم يُرده شرعًا ولم يُرده دينًا. فتختلف الإرادتان إذا تعلقت بمعصية العاصي وكفر الكافر.

فمن جهة معصية العاصي وقعت بإرادة الله الكونية لكنها لم تقع بإرادة الله الشرعية، والله سبحانه قال: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١] وقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وفي المشيئة قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٩] وهذا راجع إلى عِلم الله ﷻ فيهم بأنه سبحانه ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن ﷻ.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

يعني في عِلم الله ﷻ فيما لم يقع، ولن يقع، لو وقع، ولو شاءه كيف يكون.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... والقدرية تضرب مثلاً بمن أمر غيره بأمره، فإنه لا بد أن يفعل ما يكون المأمور أقرب الى فعله، كالبشر والطلاقة وتهيئة المساند والمقاعد ونحو ذلك.

فيقال لهم: هذا يكون على وجهين: أحدهما: أن تكون مصلحة الأمر تعود الى الآمر، كأمر الملك جنده بما يؤيد ملكه، وأمر السيد عبده بما يصلح ملكه، وأمر الإنسان شريكه بما يصلح الأمر المشترك بينهما، ونحو ذلك.

الثاني: أن يكون الآمر يرى الإعانة للمأمور مصلحة له، كالأمر بالمعروف، وإذا أعان المأمور على البر والتقوى فإنه قد علم أن الله يثيبه على إعانته على الطاعة، وأنه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.......

الشيخ صالح

فإذًا صارت مشيئة الله ﷻ هي الإرادة، والإرادة مرتبطة بالعلم وبالحكمة. وهذا خلاف الإرادة الشرعية فإنَّ الإرادة الشرعية مطلوبة من العبد؛ أمر. أَمَرَ بكذا، وَنَهَى عن كذا، فصار المأمور به والمنهي عنه مرادًا له شرعا.

إذا تبين هذا فإذن قولنا (**ولا يكونُ إلا ما يُريدُ**) هذا راجع إلى الإرادة الكونية فقط.

والذين لم يفرقوا بين الإرادتين وقع منهم الغلط في معصية العاصي وضلال الكافر فيما سيأتي بيانه إن شاء الله في موضعه من مباحث القدر.

المسألة الثانية:

أن قوله (**ولا يكونُ إلا ما يُريدُ**) فيه تداخل ما بين إرادة الله ﷻ وإرادة العبد. وإرادة العبد هي مشيئته، وهي خارجة عن رؤية الحكمة.

وأما إرادة الله ﷻ الكونية فهي منظور فيها بالحكمة. فالله سبحانه يريد بما يوافق الحكمة، والعبد يريد ما لا يوافق الحكمة وقد يريد ما يوافق الحكمة.

وإذا كان كذلك فإرادة الله ﷻ بالعبد موافقة للحكمة سواء تَعَلَّقَت بالمعين أو تَعَلَّقَت بالمجموع. وهذا يعني أنّ إرادة العبد فيما يريده خارجة عن مقتضى حكمة الله ﷻ؛ إذا أراد شيئا في نفسه له - يعني له بخصوصه -.

التعليقات

.... فأما إذا قدر أن الآمر إنما أمر المأمور لمصلحة المأمور، لا لنفع يعود على الآمر من فعل المأمور، كالناصح المشير، وقدر أنه إذا أعانه لم يكن ذلك مصلحة للآمر، وأن في حصول مصلحة المأمور مضرة على الآمر، مثل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وقال لموسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠]. فهذا مصلحته في أن يأمر موسى عليه السلام بالخروج، لا في أن يعينه على ذلك، إذ لو أعانه لضره قومه. ومثل هذا كثير.

وإذا قيل: أن الله أمر العباد بما يصلحهم، لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به، لا سيما وعند القدرية لا يقدر أن يعين أحدًا على ما به يصير فاعلاً. وإذا عللت أفعاله بالحكمة، فهي ثابتة في نفس الأمر، وإن كنا نحن لا نعلمها. فلا يلزم إذا كان نفس الآمر له حكمة في الأمر أن يكون في الإعانة على فعل المأمور به حكمة، بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه على ذلك، فإنه إذا أمكن في المخلوق أن يكون مقتضى الحكمة والمصلحة أن يأمر لمصلحة المأمور، وأن تكون الحكمة والمصلحة للآمر أن لا يعينه على ذلك: فإمكان ذلك في حق الرب أولى وأحرى.............................

والله ﷻ يريد من العبد ما يوافق حكمته، فقد تجتمع الإرادتان فيما فيه حِكمَةٌ لله ﷻ، وقد تختلف الإرادتان فيما كان يريده العبد ولا يوافق حكمة الله ﷻ.

وهذا يعني أنَّ العبد قد يتجه بإرادته إلى شيء فيُصرَفُ عنه لعدم موافقته لحكمة الله ﷻ في نفسه؛ يعني فيما يتعلق بالعبد أو فيما يتعلق بالمجموع.

والله ﷻ قد يريد الشيء كونًا، ولا يكون إلا ما يريد لموافقته للحكمة في خصوص العبد في نفسه، أو ظهور الحكمة في نفسه أو لظهور الحكمة في المجموع- يعني في غيره -.

ولهذا نقول ما من شيء يريده الله سبحانه وتعالى في ملكوته إلا وهو موافق للحكمة، والشر ليس إلى الله ﷻ؛ بل الله سبحانه لا يوصف أو لا يضاف إليه إلا الخير.

ابن أبي العز الحنفي

..... والمقصود: أنه يمكن في حق المخلوق الحكيم أن يأمر غيره بأمر ولا يعينه عليه، فالخالق أولى بإمكان ذلك في حقه مع حكمته. فمن أمره وأعانه على فعل المأمور كان ذلك المأمور به قد تعلق به خلقه وأمره إنشاء وخلقًا ومحبة، فكان مرادًا بجهة الخلق ومرادًا بجهة الأمر. ومن لم يعنه على فعل المأمور كان ذلك المأمور قد تعلق به أمره ولم يتعلق به خلقه، لعدم الحكمة المقتضية لتعلق الخلق به، ولحصول الحكمة المقتضية لخلق ضده. وخلق أحد الضدين ينافي خلق الضد الآخر، فإن خلق المرض - الذي يحصل به ذل العبد لربه ودعاؤه وتوبته وتكفير خطاياه ويرق به قلبه ويذهب عنه الكبرياء والعظمة والعدوان -يضاد خلق الصحة التي لا تحصل معها هذه المصالح. ولذلك كان خلق ظلم الظالم - الذي يحصل به للمظلوم من جنس ما يحصل بالمرض - يضاد خلق عدله الذي لا يحصل به هذه المصالح، وإن كانت مصلحته هو في أن يعدل.

وتفصيل حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره، يعجز عن معرفته عقول البشر، والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة: مثلوا الله فيها بخلقه، ولم يثبتوا حكمة تعود إليه......................................

الشيخ صالح

وأما العبد فقد يريد الشيء ويكون بالنسبة له شرًا فيخرج من هذه الجهة عن كونه موافقا للحكمة -يعني حكمة العبد ومصلحته- ولكنه بالنسبة لفعل الله ﷻ وإرادته يوافق الحكمة التي هي منظور فيها إلى المجموع.

وهذا يعني أنَّ إرادة الله ﷻ في ملكه إنما تكون على وفق الحكمة، وحكمة الله هي القاضية لهذه الأشياء جميعا في الإرادات. وهذا فيه رد على طوائف كثيرة من المبتدعة في مسائل القدر يأتي بيانها مفصلاً إن شاء الله في موضعها في تعريف الظلم والعدل، وفي التحسين والتقبيح، وفي أيضا الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وفي وقوع المعصية ووقوع الكفر، وفي فعل العبد بنفسه. وهذه مسائل كبيرة تحتاج إلى بيان وتفصيل في موضعها.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام)

ش: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]. قال في الصحاح: توهمت الشيء: ظننته، وفهمت الشيء: علمته. فمراد الشيخ رحمه الله: أنه لا ينتهي إليه وهم، ولا يحيط به علم.

قيل: الوهم ما يرجى كونه، أي: يظن أنه على صفة كذا، والفهم: هو ما يحصله العقل ويحيط به...

الشيخ صالح

المقصود من ذلك أنّ قوله (**لا يكونُ إلا ما يُريدُ**) هذا موافق لما -أو تضيف عليها عبارة- أنّ ما يريده موافق لمقتضى الحكمة المطلقة سواء وافقت العبد المعين أو وافقت المجموع.

فالله سبحانه الشر ليس إليه كما وصفه به النبي ﷺ بقوله في الدعاء «**وَالشّرّ لَيسَ إِلَيكَ**» ففعله سبحانه خير محض، وقد يأذن بالشر المضاف إلى العبد، ولا يكون شرا بالنسبة لإرادته سبحانه، فالله لا يريد ظلما للعباد، ولا يريد شرا بالعباد، وإنما العباد أرادوا ذلك بأنفسهم، وإذا وقع ذلك فإنما يقع بالإضافة إلى فعل العباد، وليس مضافا إلى الله سبحانه لأنّ فعله سبحانه خير محض.

قال في الجملة بعدها (**لا تَبلُغُه الأوهَامُ، ولا تُدركُهُ الأفهَامُ**) هذا يَرُدُّ به على المجسمة والمعطلة جميعا. (**لا تَبلُغُه الأوهَامُ**) يعني أنّ تفكير المُفَكّر ونظرَه بخياله لا يمكن أن يبلغ بخياله وفِكرِهِ وصف الله ﷻ ولا كُنهَ ذاته ﷻ، فليست الأفهام مَوضُوعَةٌ لإدراكه ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] سبحانه.

و(**لا تَبلُغُه الأوهَامُ**) يعني مهما فكّر العبد فلن يبلغ كُنهَ ذاته سبحانه ولا كُنهَ اتصافه بصفاته ﷻ، ولا يمكن للأفهام مهما عَلَت أن تدرك ذلك. ففيه رد على المجسمة الذين جعلوا الله ﷻ جسما كالأجسام.

وفيه رد على المعطلة الذين جعلوا الله ﷻ مُعُطَّلاً عمَّا وَصَف به نفسه، لأنه شبَّهُوا أولاً، ثُمَّ عطلوا ثانيًا، فقام بقلوبهم في صفات الله أنها على صفة شيء معين، فمنعوا ذلك، فدخلوا بأوهامهم وأفهامهم في تحديد كُنه الاتصاف بالصفة، ثم عطلوا ونفوا ثانيًا.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما نعرفه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٣، ٢٤].

الشيخ صالح

وفيه رد على المتصوفة ؛ غلاة المتصوفة أيضا، وهي الطائفة الثالثة الذين زعموا أنَّ العبد بالرياضة قد يبلغ إلى مرتبة يرى فيها الرب ﷻ، وأنه يمكن إذا فَنِيَ عن المحسوسات أن يدرك بوهمه غير المحسوسات - يعني الغيبيات - وهذا هو الذي يسمونه الفناء بالدرجة العليا عندهم، وهو أنه يفنى عن المخلوق ويبقى في رؤية الخالق ﷻ.

إذا تبين ذلك، ففي قوله (لا تَبلُغُه الأوهَامُ، ولا تُدرِكُهُ الأفهَامُ) مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ القاعدة العقلية المتفق عليها بين العقلاء والحكماء أنَّ معرفة الإنسان تنشأ شيئًا فشيئًا، وهذا قد جاء في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨]، فمعرفة الإنسان باتفاق العقلاء والحكماء واتفاق أهل الشرع أنها إنما تكون شيئًا فشيئًا، وهذا هو الذي يسمى عند الفلاسفة نظرية المعرفة، أو نظرية حصول المعارف، وهي كما قلنا تأتي شيئا فشيئا.

وهي مبنية على قسمين:

القسم الأول: أنَّ هناك أشياء يدركها بحواسه؛ باللمس، بالبصر، بالشم، بالذوق، بالسماع، بحواسه يدرك، وهذا نوع من تحصيل المعارف، نوع من المعارف يحصل للإنسان بحواسه، وهذا أول ما يبدأ بها الصغير.

التعليقات

۞ القسم الثاني: ما يحصل بعقله وإدراكه، وهذا مبني على المقارنة. وهذا القسم الثاني مبني على الأول، وهو أنه يقارن الأشياء مع ما أحسها. فالمحسوسات التي أدركها بعينه وبشمّه وبذوقه وبسمعه وبلمسه للأشياء، هذه تسمى ضرورية؛ لأنَّ وجودها لا يحتاج إلى برهان. وغيرها مما يَحصُلُ به المعرفة، إنما يكون منسوبًا عنده لهذه الأشياء. فيرى مثلا هذا العمود، فيراه بإحساسه ذا حجم، ثم يرى عمودًا آخر أصغر منه، فيراه مختلفا عنه في الطول، فعقد المقارنة وقال هذا أصغر من هذا، ثم عقد المقارنة فقال هذا أكبر من هذا، عقد المقارنة بين الألوان فقال هذا أبيض وهذا أسود وهذا أحمر، عقد المقارنة بين الأشياء الحرارية فقال هذا بارد وهذا متوسط وهذا دافئ وهذا حار إلى آخر ذلك.

وهذا نتحصَّلُ منه على القاعدة المتفق عليها بين القائلين بنظرية المعرفة، وهي صحيحة شرعًا على القَدر الذي ذكرتُ لك بأنه لا يمكن للوَهَم - وهم الإنسان - ولا يمكن لفهمه أن يدرك شيئا ولا أن يبلغه وهَمه وفهمه إلا:

- إذا رآه.
- أو أحس بأحد الحواس.
- أو رأى ما يماثله ويشابهه فيقيس عليه.
- أو رأى ما يقيسه عليه ولو لم يَرَ ما يماثله أو يشابهه إذا أمكنه القياس. فمثلا نذكر صفة حيوان ما، إذا قيل لك هناك حيوان اسمه (القَلَعَ) - أَيُ اسم - فأنت مباشرة تتصور ولو لم تعرف حقيقته، أنه ما دام أنه حيوان يمكن أن تقيس وتُخرِج بعض الصفات لأننا ابتدأنا وقلنا حيوان، فإذا قلت إنه أكبر من الفيل ذهبت إلى شيء آخر، إذا قلت أنه أصغر من الفيل بَدَأَت تَتَحَدَد وتَقرُب عندك؛ لأنك أدركت هذه الأشياء بما رأيت، أو بما يمكنك أن تقيس عليه. ولهذا نقول لا يمكن لأحد أن يدرك شيئًا ولا أن يَتَحَصَّلَ منه على معرفة يبلغها وهمه ويدركها فهمه:

- إلا إذا رآه.
- أو رأى مثيله وشبيهه.
- أو رأى ما يقاس عليه.

المثيل والشبيه، مثلاً تقول: أكلنا خبزًا في بلد كذا، ما دام ذكرت الخبز. نحن أكلنا الخبز هناك، إذا قلنا لك الخبزة طولها ثلاثة أمتار نأخذها ونقطعها، تعرف أنَّ الخبز دقيق أو بُر إلى آخره، فعرفت مثيله أو شبيهه، فيمكن أن تدرك الآخر برؤيتك لما يدخل معه في الشبه أو في المثلية. الله ﷻ لم تُدرِكهُ الحواس ﷻ، ولم يُرَ مثيل له أو شبيه له، ولم يُرَ ما يمكن أن يقاس الحق عليه ﷻ. ولذلك دخول المعرفة أو إدراك المعرفة أو حصول المعرفة بالله ﷻ لا يمكن أن تكون بالأوهام أو الأفهام أو بالأقيسة أو بما تراه.

ولهذا احتاج الناس إلى بَعثَة الرسل تُبَيِّن لهم صفة ربهم ﷻ وصفة خالقهم ؛ لأنه ﷻ لم يُر، ولم يُدرَك مثله، ولا ما يشبهه سبحانه، ولا يمكن أيضا أن يُقَاس على شيء، لذلك كان لابد من بعثة الرسل لبيان ذلك.

وهذا يعني أنه سبحانه (**لا تَبلُغُه الأوهَامُ، ولا تُدرِكُهُ الأفهَامُ**) كما ذكر المصنف. فإذًا قوله (**لا تَبلُغُه الأوهَامُ، ولا تُدرِكُهُ الأفهَامُ**) مُنطلِق من مسألتين كبيرتين ذكرتهما لك في هذه المسألة.

المسألة الثانية:

أنَّ (**الأوهَامَ**) و(**الأفهَامَ**) هذه عَبَّر عنها بقوله (**لا تَبلُغُه الأوهَام**) في (**الأوهَام**)، وفي (**الأفهَام**) قال (**ولا تُدرِكُهُ الأفهَام**). وهذا راجع إلى أن الوهم - يعني ما يتوهمه الإنسان - غير ما يفهمه. فالوهم راجع للخيال، والفهم راجع للأقيسة والمقارنات. ولهذا الرب ﷻ لا يمكن تَخيُّلُه، ولا يمكن أيضا أن يُفَكَّرَ فيه فَيُدرَك، وهذا معنى قول الله ﷻ: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﷻ. ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ سبحانه، هنا الأبصار يأتي معنى البصر؛ هو سبحانه لا يحيط به البصر إذا رآه أهل الإيمان في الآخرة. وفي الدنيا لا تدركه الأبصار أيضًا التي هي الرؤى والعيون، وكذلك الأبصار التي هي الأفهام والأوهام لا تدركه ﷻ. فالفهم إذًا منقطع، والوهم إذًا منقطع. ولهذا قال بعض السلف: **ما خطر ببالك فالله ﷻ بخلافه**. لِمَ؟ لأنه ذكَرتُ لك أنّه لا يمكن أن يخطر ببالك ولا أن تتخيل إلا شيء مبني على نظرية المعرفة من قبل، وهذا مقطوعٌ يقينًا.

إذا فصار الأمر أنّ إثبات الصفات لله ﷻ بأنواعها مع قَطع الطَّمع في بلوغ الوهم لها من جهة الكيفية والكُنه، وكذلك من جهة إدراك الأفهام لتمام معناها، فمن الجهتين:

- كنه الصفة (الكيفية)
- وكذلك تمام المعنى.

هذا لا يمكن أن تبلغه الأوهام، ولا أن تدركه الأفهام. نقف عند هذا القدر وهذه الجمل في أولها، مثل ما ذكرت لك راجع إلى مسائل مختلفة لا ينتظمها زِمَام، ويأتي بعد ذلك المسائل العقدية بتفصيلها إن شاء الله تعالى.

التعليقات

.. ، **وَلا يُشْبِهُ الأنَامَ**(١)..

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (ولا يشبه الأنام).

ش: هذا رد لقول المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق، سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. وليس المراد نفي الصفات - كما يقول أهل البدع- فمن كلام أبي حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر: لا يشبه شيئًا من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه. ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا. انتهى.

وقال نعيم بن حماد: من شبَّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه. وقال اسحاق بن راهويه: من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم. وقال: علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل السنة والجماعة ما أولعوا به من الكذب: أنهم مشبهة، بل هم المعطلة......

الشيخ صالح

هذه الجمل التي سمعنا من هذا المتن العظيم -الذي هو متن العقيدة الطحاوية- متصلة بما قبلها، والكلام فيما تقدَّم كان عن وصف الله ﷻ بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال. فقال ﷺ تعالى في وصفه ﷻ: (**لا تَبلُغُه الأوهَامُ، ولا تُدركُهُ الأفهَامُ، وَلا يُشبهُ الأنَامَ**) وهذه كما ذكرنا لك فيما سلف عامة في جميع الصفات وأنّ صفات الحق ﷻ لا تشبه صفات الأنام بالقيد الذي ذكرناه لك مُفَصَّلاً فيما سلف.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: فيه رد لقول المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى قال عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، وليس المراد نفي الصفات -كما يقول أهل البدع- فمن كلام أبي حنيفة رحمه الله في (الفقه الأكبر): لا يشبه شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا. انتهى.

الشيخ الفوزان: هذه مثل العبارة التي مضت، ولا شيء مثله، والأنام معناه: الخلق، فالله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة الخلق: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ فهو سبحانه منزه عن مشابهة خلقه، وإن كان له أسماء وصفات تشترك مع أسماء وصفات الخلق في اللفظ والمعنى، لكن في الحقيقة والكيفية لا تشابه بينهما.

...... وكذلك قال خلق كثير من أئمة السلف: علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، فإنه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات إلا يسمي المثبت لها مشبهًا، فمن أنكر أسماء الله بالكلية من غالية الزنادقة، القرامطة والفلاسفة، وقال: إن الله لا يقال له: عالم ولا قادر: يزعم أن من سماه بذلك فهو مشبه؛ لأن الاشتراك في الاسم يوجب الاشتباه في معناه، ومن أثبت الاسم وقال: هو مجاز، كغالية الجهمية، يزعم أن من قال: إن الله عالم حقيقة، قادر حقيقة: فهو مشبه، ومن أنكر الصفات وقال: إن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام ولا محبة ولا إرادة - قال لمن أثبت الصفات: إنه مشبه، وإنه: مجسم؛ ولهذا كتب نفاة الصفات، من الجهمية والمعتزلة والرافضة ونحوهم، كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات مشبهة ومجسمة، ويقولون في كتبهم: إن من جملة المجسمة قومًا يقال لهم: المالكية، ينسبون إلى رجل يقال له: مالك بن أنس، وقومًا يقال لهم الشافعية، ينسبون الى رجل يقال له: محمد بن إدريس!! حتى الذين يفسرون القرآن منهم، كعبد الجبار، والزمخشري، وغيرهما، يسمون كل من أثبت شيئًا من الصفات وقال بالرؤية - مشبهًا، وهذا الاستعمال قد غلب عند المتأخرين من غالب الطوائف.

ولكن المشهور من استعمال هذا اللفظ عند علماء السنة المشهورين: أنهم لا يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات، ولا يصفون به كل من أثبت الصفات. بل مرادهم أنه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم من كلام أبي حنيفة رحمه الله أنه تعالى يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فنفى المثل وأثبت الصفة..........

الشيخ صالح

التعليقات

...... وسيأتي في كلام الشيخ إثبات الصفات، تنبيهًا على أنه ليس نفي التشبيه مستلزمًا لنفي الصفات.

ومما يوضح هذا: أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي يستوي أفراده، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها. ولهذا لما سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكامة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية - لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافيها.

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل: ٦٠]. مثل أن يعلم أن كل كمال للممكن أو للمحدث، لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهو ما كان كمالا للوجود غير مستلزم للعدم بوجه: فالواجب القديم أولى به. وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ثبت نوعه للمخلوق والمربوب المدبر: فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره، وهو أحق به منه. وأن كل نقص وعيب في نفسه، وهو ما تضمن سلب هذا الكمال، إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات: فإنه يجب نفيه عن الرب تعالى بطريق الأولى.

ومن أعجب العجب أن من غلاة نفاة الصفات الذين يستدلون بهذه الآية الكريمة على نفي الصفات والأسماء، ويقولون: واجب الوجود لا يكون كذا ولا يكون كذا - ثم يقولون: أصل الفلسفة هي التشبيه بالإله على قدر الطاقة، ويجعلون هذا غاية الحكمة ونهاية الكمال الإنساني، ويوافقهم على ذلك بعض من يطلق هذه العبارة........................

الشيخ صالح

التعليقات

.... حيٌّ لا يموتُ(١)، قيُّومٌ لا ينامُ(٢)........................

ابن أبي العز الحنفي

..... ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «تخلقوا بأخلاق الله»، فإذا كانوا ينفون الصفات، فبأي شيء يتخلق العبد على زعمهم؟! وكما أنه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته تعالى، لا يشبهه شيء من مخلوقاته، لكن المخالف في هذا النصارى والحلولية والاتحادية لعنهم الله تعالى. ونفي مشابهة شيء من مخلوقاته له، مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته. فلذلك اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله: ولا يشبهه الأنام. والأنام: الناس.

وقيل: كل ذي روح، وقيل: الثقلان. وظاهر قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ [الرحمن: ١٠] يشهد للأول أكثر من الباقي. والله أعلم........

الشيخ صالح

وبعدها ذَكَرَ جملة من ما يُفارق به وصف الله ﷻ صفة المخلوق فقال بعد قوله: **(وَلا يُشبِهُ الأَنَامَ) (حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلا حَاجَة، رَازِقٌ بلا مَؤُونَة، مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ)**. وهذه الصفات هي صفاتٌ وأسماء للحق ﷻ، فإنّ صفة الحياة ثابتةٌ له ﷻ، وكذلك صفة القيومية وصفة الخلق والرِّزق والإماتة والبعث له سبحانه.

وهو سبحانه المحيي والحي وهو القيوم ﷻ كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، وكما قال: ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، وكذلك صفة الخَلق وصفة الرِّزق وغير ذلك من الصفات.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: حياته كاملة لا يعتريها نقص ولا نوم: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ فنفي عن نفسه السِّنة، وهي النوم الخفيف والنوم المستغرق، ونفى عن نفسه الموت لكمال حياته سبحانه. والنوم والنعاس والموت نقص في الحياة، وهذه من صفة المخلوق، وحياة المخلوق ناقصة فهو ينام ويموت.

فالنوم كمال في حق المخلوق، نقص في حق الخالق؛ لأن المخلوق الذي لا ينام معتل الصحة، فهذا يدل على الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق، والحي والقيوم: هاتان الصفتان مأخوذتان من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، الحي الذي له الحياة الكاملة، والقيوم صيغة مبالغة.

(٢) الشيخ الفوزان: القيوم هو: القائم بنفسه والمقيم لغيره، القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، وغني عن كل شيء، المقيم لغيره، كل شيء فقير إليه يحتاج إلى إقامته له سبحانه وتعالى، فلولا إقامة الله للسموات والأرض والمخلوقات لتدمرت وفنيت، ولكن الله يقيمها ويحفظها ويمدها بما يصلحها، فجميع الخلق في حاجة إليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾.

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (حي لا يموت قيوم لا ينام).

ش: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فنفي السنة والنوم دليل على كمال حياته وقيوميته. وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [آل عمران: ١، ٣]. وقال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١]. وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٦٥]. وقال ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» الحديث............

الشيخ صالح

فأسماء الله ﷻ كما هو معلوم مشتملة على صفات، وصفات الحق ﷻ مباينة لصفات المخلوق من جهات:

□ الجهة الأولى: أنّ الرب ﷻ يتصف بالصفة على وجه الكمال، والمخلوق يتصف بالصفة على وجه النَّقص.

□ الجهة الثانية: أنَّ الرب ﷻ صفاته متلازمة؛ لأنه سبحانه له الكمال المطلق، وله الصفات العُلا الكاملة من كل وجه، وأما المخلوق فصفاته غير متلازمة، بل قد يكون فيه جملة من صفات النقص، ويكون ثَمَّ فيه بعض الصفات التي هي كمال في حقه، وإن كانت في الجملة لا يتصف بها إلا لنقصٍ فيه.

□ الجهة الثالثة: أنّ اتصاف المخلوق بالصفات وإن كان في أصل المعنى مشتركة مع صفات الحق ﷻ لكنه اتصف بها على وجه الحاجة إليها، وأما الرب ﷻ فهو متصف بصفاته لا على وجه الحاجة إلى آثار الأسماء والصفات؛ فمثلا المخلوق يُقدِّرُ أو يُقِيمُ الأشياء لحاجته، ويخلق ما يخلق لحاجته، والله ﷻ (**خَالِقٌ بِلا حَاجَة**) ويَهَبُ المخلوقَ ويَرزُقُ لحاجته، والله ﷻ يهب ويرزق ويُعطي وهو الغني ﷻ: ﴿ **أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر: ١٥]، وهكذا في بقية الصفات.

فإذًا اتصاف المخلوق بالصفات التي يشترك فيها من حيث أصل المعنى مع الرب ﷻ هو اتصاف على سبيل النقص، وهذا الاتصاف مع ضَمِيمَةِ ما سبق أن ذكرنا لك فيما سلف لا يشبه فضلا أن يماثل صفات الرب ﷻ.

التعليقات

..... لما نفى الشيخ رحمه الله التشبيه، أشار إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه، بما يتصف به تعالى دون خلقه: فمن ذلك: أنه حي لا يموت؛ لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى، دون خلقه، فإنهم يموتون.

ومنه: أنه قيوم لا ينام؛ إذ هو مختص بعدم النوم والسنة، دون خلقه، فإنهم ينامون. وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد منه نفي الصفات، بل هو سبحانه موصوف، بصفات الكمال، لكمال ذاته. فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة، ولهذا كانت الحياة الدنيا متاعًا ولهوًا ولعبًا وأن الدار الآخرة لهي الحيوان، فالحياة الدنيا كالمنام، والحياة الآخرة كاليقظة، ولا يقال: فهذه الحياة الآخرة كاملة، وهي للمخلوق؛ لأنا نقول: الحي الذي الحياة من صفات ذاته اللازمه لها، هو الذي وهب المخلوق تلك الحياة الدائمة، فهي دائمة بإدامة الله لها، لا أن الدوام وصف لزم لها لذاتها، بخلاف حياة الرب تعالى. وكذلك سائر صفاته، فصفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به.........................

لهذا فصَّل الطحاوي رحمه الله بعد قوله: (وَلا يُشبِهُ الأنَامَ) بعض صفات الحق ﷻ التي يتصف بها وفارق بها صفة المخلوق الذي ربما اتصف بتلك الصفات.

فقال رحمه الله: (وَلا يُشبِهُ الأنَامَ. حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ) وكونه ﷻ حيًّا، هذا دلَّ عليه العقل ودلَّ عليه السمع؛ يعني دل عليه الكتاب والسنة. وقبل ورود الكتاب والسنة فالعقل يدلّ على أنَّ الله ﷻ موجود لكثرة الدلائل وتواترها وتتابعها على وجود الحق ﷻ.

وكونه ﷻ موجودًا يدل باللازم الذي لا انفكاك منه على أنه حي ﷻ، وحياته ﷻ تدل على أنه متصف بصفات كثيرة. فإذًا صار اسم الله (الحيّ) يدل عليه العقل قبل ورود السمع.

وكذلك اسم الله (القيوم) وصفة القيومية له ﷻ هذه أيضًا يدل عليها العقل ويدل عليها السمع؛ لأنه سبحانه هو الذي أقام الأشياء.

فكونه هو الخالق للأشياء يدل عقلاً أنه هو الذي أقامها وأنّ قيوميَّتَهَا به ﷻ. إذا كان كذلك فنقول: هذان الاسمان (الحي) و(القيوم) قد قيل فيهما -وهو قول قوي، وله حظ من الترجيح: إنهما اسما الرب ﷻ الأعظمان. فالاسم الأعظم الذي إذا دُعي به الرب ﷻ أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى كما جاء في الحديث، هو في سورة البقرة وسورة آل عمران، وفيهما قول الله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾.

ابن أبي العز الحنفي

..... واعلم أن هذين الاسمين، أعني: الحي القيوم مذكوران في القرآن معًا في ثلاث سور كما تقدم، وهما من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنهما الاسم الأعظم، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه، ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ما لا يدل عليه لفظ القديم. ويدل أيضًا على كونه موجودًا بنفسه، وهو معنى كونه واجب الوجود. والقيوم أبلغ من القيام؛ لأن الواو أقوى من الألف، ويفيد قيامه بنفسه، باتفاق المفسرين وأهل اللغة، وهو معلوم بالضرورة. وهل تفيد إقامته لغيره وقيامه عليه؟...

الشيخ صالح

وهذا له معنى وذلك أنَّ الحي والقيوم بلوازمه؛ بلوازم اسم الحي، وما يلزم من اسم القيوم يقتضي جميع الأسماء التي هي من أفراد الربوبية والصفات التي هي من أفراد الربوبية.

ولهذا عُلِّقَ إعطاء السائل سؤله في هذين الاسمين الأعظمين؛ لأنَّ إجابة السُّؤَّال وإعطاء الداعي ما دعا هذا متعلق بربوبية الله ﷻ، فإذا انضم إليها إدانة العبد وإقراره بتوحيد الإلهية وأن الله ﷻ لا إله إلا هو، صار هذا الدعاء ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ متضمنًا لتوحيد الإلهية ولتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات؛ لهذا فإن اسم الحي واسم القيوم هما اسما الله الأعظمان اللذان إذا دُعي بهما أجاب وإذا سئل بهما أعطى، في قول قوي مرجَّح لأحد القولين في اسم الله الأعظم.

إذا تبين لك ذلك ففي قوله: (حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ) مسائل:

✍ المسألة الأولى:

أنّ صفة الحياة صفةٌ مُشتَرَكة بين كل مخلوقات الله ﷻ. وكل حياة لها ما يناسبها، حتى الجماد له حياة تناسبه؛ حتى الشجر والحجر له حياة تناسبه.

وإنما سمي جمادًا؛ لأنه جامد في الظاهر؛ ليس له حركة ظاهرة، وإلا فإنه ليس بميت يعني لا حراك فيه ولا حياة، وإنما هو:

- ❏ ميت باعتبار عدم الحركة
- ❏ وجماد باعتبار عدم الحركة.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

.... فيه قولان، أصحهما: أنه يفيد ذلك. وهو يفيد دوام قيامه وكل قيامه؛ لما فيه من المبالغة، فهو سبحانه لا يزول و لا يأفل، فإن الأفل قد زال قطعًا، أي: لا يغيب ولا ينقص ولا يفنى ولا يعدم، بل هو الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال، موصوفًا بصفات الكمال. واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على دوامها وبقائها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلاً وأبدًا. ولهذا كان قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. أعظم آية في القرآن، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ. فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها؛ فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة.........................

الشيخ صالح

ولهذا فإنَّ اشتراك المخلوقات مع الرب ﷻ في هذا الاسم وفي صفة الحياة هذا اشتراكٌ في أصل المعنى؛ فكلٌّ له حياة تناسبه، على حسب القاعدة المعروفة: **وهي أن الصفات بما يناسب الذوات.** فإثبات الصفات إثبات وجود لله ﷻ لا إثبات كيفية، وصفات المخلوقات تناسب ذواتهم الوضيعة الضعيفة الفقيرة، وهذا ظاهر أيضًا في صفتي السمع والبصر كما قد قرَّرناهُ لكم مِرارًا في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فإنّ صفة السّمع وصفة البصر مشتركة بين أكثر الكائنات الحية، وكذلك الحياة فهي مُشتَرَكَة بين جميع الكائنات الحية، منها ما حياته بالروح والنفس، ومنها ما حياته بالنماء، ومنها ما حياته خاصة به كالصخور والتراب، وأشباه ذلك ولهذا كان ﷺ يقول - كما رواه مسلم في الصحيح: «**إني لأعلم حجرًا بمكة ما مررت عليه إلا سلّم علي**». فإذًا إثبات هذه الصفة واسم الحي لله ﷻ يدل على نفي التعطيل بجميع أنواعه، ويدل على إبطال التجسيم بجميع أنواعه.

ولهذا صار اسمًا عظيمًا مختصًا بالرب ﷻ على وجه الكمال؛ لأنَّ المخلوق يعرف أنَّ حياته قصَّة قليلة يريد زيادتها فلا يستطيع، يريد أن يكون في وَصفِهِ بالحياة أكمل من وصف غيره فلا يستطيع، فدلَّ على ظهور نقصه في الصفة المشتركة بينه وبين جميع المخلوقات.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما القيوم، فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه. المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته. فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام.........................

الشيخ صالح

المقصود من هذا إنَّ في إثبات صفة الحياة لله ﷻ إبطال للتعطيل وإبطال للتجسيم على الوجه الذي ذكرته لك، وهو ظاهر في قوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

المسألة الثانية:

الله ﷻ قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وذلك لكمال حياته ولكمال قيوميته ﷻ.

وقوله هنا: (حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَيُّومٌ لاَ يَنَامُ) دلَّتا على القاعدة المقرَّرة عند أهل السنة والجماعة وهي: أنَّ وصف الرب ﷻ بالنفي ليس مقصودًا لذاته وإنما هو لإثبات كمال ضد ما نفى.

لهذا سبحانه أثبت الكمال له، ثم نفى ليدل على إثبات الكمالات له ﷻ، فلمَّا قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، قال: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ليدل على أنَّ قول ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ لكمال حياته ولكمال قيوميته، فنفى لتأكيد الإثبات.

وهذه هي القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة فيما يُنفَى في القرآن وفي السنة عن الله ﷻ إنما هو لإثبات كمال ضده من صفات الحق ﷻ كما في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] لكمال عدله، وكما في قوله سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] لكمال علمه سبحانه وحِفظِهِ سبحانه وقيوميته، وكقوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وأشباه ذلك.

المسألة الثالثة:

أنَّ اسم القيوم لله ﷻ واسم الحي هذان الاسمان مُتعَلِّقانِ بخلقه ﷻ، يعني أنَّ لهما الأثر في خلقه سبحانه، وكل حياةٍ تراها في خلقه فهي من آثار حياته ﷻ، وكل صلاح أو فعل تراه في خلقه فهو من آثار قيوميته ﷻ.

التعليقات

واسم القيوم مبالغة لإثبات كمال قيامه ﷻ على الوجه المطلق بنفسه وبخلقه، فلفظ القيوم، اسم القيوم يدل على أنه سبحانه كامل فيما يختاره ﷻ لنفسه من الصفات التي تقوم بمشيئته واختياره وقدرته، وكذلك له الكمال فيما يقيم به خلقه ﷻ.

وإذا تبيَّن ذلك فإن قول المؤلف: (قَيُّومٌ لاَ يَنَامُ) راجع إلى الآية ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وذلك لكمال حياته، ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ وذلك لكمال قيوميته ﷻ. ففسَّر القيوم بأنه الذي لا ينام، وهذا كما ذكرت لك ليس تفسيرًا لمعنى القيوم، فإنَّ معنى القيوم أنَّهُ الذي قام بنفسه وأقام غيره، فليس ثَمَّ شيء إلا والله ﷻ مُقيمٌ له على وجه ما تقتضيه حكمة الرب ﷻ.

فإذا تبيَّن ذلك فإنَّ اسم القيوم لله ﷻ واسم الحي له ﷻ لهما أثر في إجابة السؤال. وهذا الأثر مرتبط بقاعدة كلية في ارتباط الإجابة بحسن السؤال، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فدعوة الله ﷻ بأسمائه يعني بما يناسب مقصودك من الأسماء.

وكل [.....] لك في حياتك فهو من آثار اسم القيوم؛ لأنك تحتاج ما تقيم به حياتك، وكل ما تُقيمُ به حياتك إنما هو من القيوم ﷻ، فإذا أقامك ﷻ على شيء أو أقام لك شيئًا فإنه سبحانه القيوم الذي هو ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] ﷻ.

لهذا فإنَّ فقه الدعاء مرتبط بفقه الأسماء والصفات، فكلما كان العبد أعرف بأسماء الله وصفاته وآثارها في خلقه، كلما كان أعرف وأعلم بسؤال الله بها وباستحضاره لمعنى ذلك كان ذلك أرجى لقبول الدعاء وحصول المطلوب.

المسألة الرابعة:

أنَّ اسم الحي واسم القيوم بلازمهما تدل على بقية صفات الرب ﷻ؛ لأنَّ الحياة مستلزمة لكثير من الصفات، والقيومية مستلزمة لكثير من الصفات. لهذا قال طائفة من المحققين من أهل العلم في هذا الباب: إنَّ الصفات التي أثبتها الأشاعرة أو أثبتها غيرهم من أهل البدع وزعموا إثباتها بالعقل أنَّهُم قصَّروا في ذلك، لأنَّ العقل بالتلازم واللزوم يُثبتُ صفات كثيرة لله ﷻ أكثر من السبعة التي أثبتها طائفة منها بالعقل.

لهذا اسم الحي يستلزم صفات كثيرة، واسم القيوم يستلزم صفات كثيرة، لذا ينبغي أن يُتأمَّل هذا الموضع من جهة أنَّ حياة الرب ﷻ واسم الرب ﷻ (الحي)، وقيومية الرب ﷻ واسمه القيوم يستلزمان عقلًا عددًا كبيرًا جدًّا من الصفات لله ﷻ. وهذا موضع يُحتَجُّ به على من يُثبِتُونَ الصفات بالعقل؛ لأنَّ حياته سبحانه ثابتة عقلًا عند الجميع وكذلك قيوميته سبحانه ثابتة عقلًا عند الجميع.

التعليقات

.... خَالِقٌ بِلاَ حَاجَةٍ ، رَازِقٌ بِلاَ مُؤنَةٍ(١) ....

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة)

ش: قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٨]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]. ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾[محمد: ٣٨]. ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤]...

الشيخ صالح

قال بعدها: (خَالِقٌ بِلاَ حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلاَ مُؤنَةٍ) وكما قال فيما سبق (حَيٌّ لاَ يَمُوتُ) قال هنا: (خَالِقٌ بِلاَ حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلاَ مُؤنَةٍ). و(خَالِقٌ) اسم فاعل من الخلق، فالخلق مصدر خَلَقَ الشيء يَخلُقُهُ خلقًا.

واسم الخالق لله ﷻ هو على مقتضى اللغة يشمل مراتب:

○ المرتبة الأولى لصفة الخلق واسم الخالق: **التقدير**: فإنَّ الخلق في اللغة هو التقدير كما قال ﷻ: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] وقال سبحانه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢] تقدير الشيء على وفق علم المُقدِّر.

وفي هذا قول الشاعر:

فأنـــت تَفـــري مـــا خَلَقـــتَ ... ويعـض القـو يخلـق ثـم لا يفـري

التعليقات

(١) الشيخ الألباني أي بلا ثقل وكلفة كما في شرح العقيدة الطحاوية.

الشيخ الفوزان هو الذي خلق الخلق وهو ليس بحاجة إليهم، إنما خلقهم لعبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فخلقهم لا لحاجة إليهم بأن ينصروه أو ليعينوه أو ليساعدوه سبحانه أو يحموه، إنما خلقهم لعبادته، وهم المحتاجون للعبادة؛ لتصلهم بالله وتربطهم بربهم، فالعبادة صلة بين العبد وربه، فتقربه من الله، ويحصل بها من الله على الثواب والجزاء، فالعبادة حاجة للخلق وليست بحاجة لله عزَّ وجلَّ ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾، ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾. وقوله: (رازق بلا مؤنة) أي هو القائم بأرزاق عباده ولا ينقص ذلك مما عنده.

ابن أبي العز الحنفي

.... وقال ﷺ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته - ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط اذا أُدْخِل البحر» الحديث. رواه مسلم. وقوله بلا مؤنة: بلا ثقل ولا كلفة......

الشيخ صالح

(تَفرِي ما خَلَقتَ) يعني تقطع ما قدرت من الأمر أو من الصناعة. (وبعض القوم -لعجزه- يخلق) يعني يقدر، (ثم لا يَفرِي)، وهذه المرتبة ثابتة لله ﷻ، فهو سبحانه المُقَدِّر للأشياء ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ خَلَقَ كل الأشياء فقدَّرَها، فخَلقُهُ كان مشتملاً على تقديرها شيئًا فشيئًا أو تقدير ما يصلح لها. هذا وتقديره سبحانه للأشياء بلا حاجة لهذا التقدير. فالمخلوق يُقَدِّر خشية ألا يصل إلى ما يريد، فإنَّ تقديره للأشياء شيئًا فشيئًا حتى يصل إلى نهايتها وحتى يكون ما يريد على وفق ما قدَّر أو على وفق ما يريده، فيحتاج إلى التقدير ليتم الأمر. والله سبحانه حين قدَّر لا لحاجته لذلك، بل هو سبحانه يُجرِي الأشياء وفق (كن فتكون) على وفق حكمته سبحانه بمشيئته الكونية، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فكونه سبحانه قدَّر الأشياء لا لحاجة إلى التقدير، ولكن ليكون ذلك موافق لحكمته سبحانه، ولله الحكمة البالغة كما خلقَ السموات والأرض في ستة أيام وهو قادر أن يخلقها ﷻ بمباشرة الأمر لها بكن فتكون مرة واحدة.

○ المرتبة الثانية لصفة الخلق واسم الخالق: هو تصوير الأشياء: وتصوير الأشياء هو خَلقٌ لها؛ لأنها أعظم من التقدير العام، فإذا صوَّر الأشياء فقد خلقها كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٦] وفي حديث ابن مسعود المتفق عليه قال ﷺ: «إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم أربعين يومًا مضغة، ثم أربعين يومًا علقة ... » إلخ، فجعل هذه المراتب داخلة في الخلق، وهذا يدل مع دلالات كثيرة على أنَّ التصوير خلق، وحين [.....] لا لحاجته سبحانه للتصوير بأنه لم ينفذ أمره إلا إذا صور كما يفعل الإنسان فإنه يصور الشيء الذي يريده بمعنى يركب أعضاءه بأن يجعل هذا مع هذا؛ لأنه لن يتم إلا بهذا، ولو لم يفعل هذه الخطوة لا تتم له الخطوة التي بعدها لأنه بحاجة إلى ذلك.

التعليقات

فإذن التصوير عند المخلوق لحاجته إليه، والله ﷻ يخلق مُصَورًا لا لحاجته إليه، فهذه داخلة في قول المؤلف ﷺ: **(خالق بلا حاجة)**

○ المرتبة الثالثة **لصفة الخلق واسم الخالق: هو البرء**: البرء، برء ما صور وهو إنفاذه على آخر مراحله وجعله خلقًا سويًّا يريده الرب ﷻ، ولهذا قال في آخر سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وهو ﷻ حين خَلَقَ وبَرَأَ البرية وصوَّرَها وجعلها على هذا المنوال وعلى اختلافها: الإنسان، الملائكة، الحيوان على ظهر الأرض وبطن الأرض والماء وفي السماء إلى آخر ذلك ليس لحاجته لهم ولا لأنه يستكثر بهم، بل لابتلائهم ولإقامة هذا الملكوت على العبودية.

فإذًا قول المؤلف ﷺ: **(خَالِقٌ بِلا حَاجَة)** هذا لكمال غناه ﷻ وكمال حمده سبحانه كما قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨]، وكما قال ﷺ في الحديث القدسي: «**قَالَ اللهُ تعَالَى: يَا عِبَادِي إِنّي حَرَّمتُ الظُّلمَ عَلَى نَفسِي**»إلى أن قال: «**فإِنَّكم لَن تَبلُغُوا ضُرّي فَتَضُرُّونِي، وَلَن تَبلُغُوا نَفعِي فَتَنفعُونِي**» وقد قال ﷻ: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٥].

وكذلك **قوله**: **(رَازقٌ بلا مَئُونَة)** وكونه سبحانه يرزق بلا نفقة يُنفِقُهَا تُنقِصُ مما عنده سبحانه وبلا تعب، فهو سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب، وما يفتح للناس من رحمة فإنه لا ممسك لها، وقد قال ﷻ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢]، وقال ﷻ: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وفي حديث أبو ذر المعروف قال: «**أَرَأَيتُم مَا أنفقَ مُنذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرض، فَإِنَّهُ لَم يَغِض مما فِي يَمِينِهِ شَيئًا**»، وهذا لا شك أنه صفة الرب ﷻ.

أما المخلوق فإنه إذا رَزَق فإنه يَرزُق بكلفة وتعب، ويرزق لحاجته أن يرزق، ويرزق أيضًا لمئونة تنقص وتزيد، والله سبحانه له الملك الأعظم في ذلك.

فتبيَّنَ أَنَّ معنى قوله **(رَازقٌ بلا مئُونَة)** يعنى بلا كلفة ولا مشقة، أو بلا مؤنة يأخذ منها فتحتاج إلى أن تُموَّنَ، بل هو سبحانه لا يُنقِصَ ما يُعطِي خلقه من ملكه شيئًا، ولا يزيد فيه شيئًا، بل هو سبحانه الرازق بلا مئونة ﷻ. نكتفي اليوم بهذا القدر، ونكمل إن شاء الله تعالى الأسبوع القادم.

.... **مميتٌ بلا مَخَافَةٍ(١)، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ(٢)**..........................

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة).

ش: الموت صفة وجودية، خلافًا للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]. والعدم لا يوصف بكونه مخلوقًا. وفي الحديث: أنه «يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار». وهو وإن كان عرضًا فالله تعالى يقلبه عينًا، كما ورد في العمل الصالح: «أنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة»، وورد في القرآن: «أنه يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون»، الحديث، أي: قراءة القارئ وورد في الأعمال: «أنها توضع في الميزان»، والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الاعراض. وورد في سورة البقرة وآل عمران: أنهما يوم القيامة «يظلان صاحبهما كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف». وفي الصحيح: «أن أعمال العباد تصعد الى السماء»، وسيأتي الكلام على البعث والنشور. إن شاء الله تعالى........................

الشيخ صالح

هذه تكملة وصِلَة لما تقدم الكلام عليه من بيان معاني جُمَلِ هذه العقيدة النافعة؛ عقيدة العلامة أبي جعفر الطحاوي ﷺ، ووقفنا عند قوله: (**مُميتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ**) وهذا كالجمل التي قبله، فيها إثبات كمال الرب ﷻ، وأنه في كمالاته وصفاته غير مماثل لخلقه، بل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

فذكَرَ فيما تقدم جملة من صفات الرب ﷻ وأنه في اتصافه بتلك الصفات لا يماثل المخلوق الذي إذا اتصف بصفة فهو لحاجته لمقتضى تلك الصفة ولضعفه ولافتقاره، والله جل جلاله متَّصِف بصفات الكمال التي مرجعها إلى أنه سبحانه هو الغني الحميد. هو الغني غير محتاج لمقتضى صفاته وغير محتاج سبحانه لأثر تلك الصفة. بل هو سبحانه وتعالى فيما يفعل، يفعلُ لحكمة لا لحاجة ﷻ.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: أي: يميت الأحياء إذا كملت آجالهم، لا لأنه خائف منهم ولكن ذلك لحكمته سبحانه وتعالى؛ لأن الحياة في الدنيا لها نهاية، وأما الآخرة فليس للحياة فيها نهاية، فإماتتهم ليس خوفًا منهم أو ليستريح منهم، ولو كانوا يكفرون به فإنه لا يتضرر بكفرهم، وإنما يضرون أنفسهم، لكنه هو يفرح بتوبتهم؛ لأنه يحب -ويريد- لهم الخير، فهو يفرح بتوبتهم وهو ليس في حاجة إليهم، إنما ذلك لطفه وإحسانه.

فخَلقهُ ﷻ للخلق بلا حاجة، ورَزقه ﷻ لهم لحاجتهم إليه لا لحاجته ﷻ إليهم، كما مرّ معنا على حد قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، وجميع صفات الكمال ترجع إلى صفة الغنى وصفة الحمد له سبحانه، وإلى هذين الاسمين العظيمين الغني والحميد، سواءٌ في ذلك صفات الجلال، أو صفات الجمال، صفات الربوبية، أو الصفات التي ترجع إليها معاني العبودية للرب جل جلاله.

قال هنا: **(مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ)** يعني أنّه سبحانه يميت من شاء أن يُمِيتَهُ، ويُفقِدَ من شاء أن يُفقده الحياة، لا لخوف من هذا الذي أفقده الحياة أن يعتدي على مقام الربّ ﷻ؛ ولكن لحكمته سبحانه. فهو الذي أحيا وأمات، وهو الذي أفقر وأغنى سبحانه لحكمته البالغة العظيمة. فهو فيما يُحيي لم يُحيِ لحاجة، وفيما أمات سبحانه ما أمات لمخافة؛ بل هو سبحانه الذي يحيي ويميت لحكمة بالغة.

فقال هنا: **(مُميتٌ بِلا مَخَافَةٍ)** والمخلوق البشر أو غير البشر يعتدي بالإماتة على من يخاف من شره. وهذا دليل النَّقص في المخلوق؛ لأنه لمَّا لم يكن دافعًا عن نفسه إلا بهذا الفعل صارت في المخلوق هذا من صفات النقص في أنه يميت لمخافته. وهذا لا يدخل فيه معنى مشروعية الجهاد؛ لأنَّ هذا لمعنًى آخر لا يتعلق بالمخلوق، بل يتعلق بحق الله ﷻ وإقامة دينه وإعلاء كلمته. فهذا معنى قوله: **(مُميتٌ بِلا مَخَافَةٍ)**.

التعليقات

(٢) الشيخ الفوزان: هذا من عجائب قدرته، أنه يميت الخلق ويفنيهم حتى يتلاشوا ويصيروا ترابًا ورفاتًا. حتى يقول الجاهل: لا يمكن أن يعودوا ولكن الله عز وجل يبعثهم من جديد ويعيد خلقهم من جديد، وليس عليه في ذلك مشقة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾. فالمشركون أنكروا البعث استبعادًا منهم كما ذكر الله ذلك عنهم: ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، أول مرة، ليس لها وجود أصلاً، فأوجدها من العدم سبحانه وتعالى، فالذي خلقها من العدم: أليس بقادر على إعادتها من باب أولى؟ هذا في نظر العقول، وإلا فإن الله سبحانه لا يُقاس بخلقه، إنما ذلك لضرب المثل: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾.

فهذا ردٌّ على هذا الجاحد، قال تعالى: ﴿ وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾، نسي أنه في الأول كان لا شيء ولا وجود له ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾، نسي أن الله أوجده من عدم.............=

وأنه سبحانه (**بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ**) باعث الخلق بعد موتهم سواءٌ في ذلك بَعثُ المكلَّفين أو بَعثُ غير المكلَّفين بلا مشقة تلحقه سبحانه، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]، وهذا لكمال صفات الرب ﷻ.

إذا تبين لك ذلك، فإنَّ في هذه الجملة من كلامه مسائل أعني قوله: (**مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ**) فيها مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ (مُمِيتٌ) اسم فاعل من (أمات) المتعدي. والاسم للرب ﷻ المميت، هو سبحانه المحيي المميت. والمميت صفة كمال مع قرينتها المحيي. المميت اسم كمال مع قرينه المحيي، فهو سبحانه الموصوف بكونه أحيا وأمات ﷻ.

المسألة الثانية:

معنى (مُمِيتٌ) أي خَلَقَ الموت، فيمن شاء سبحانه، يعني جعل من شاء مِن خَلقِهِ ميِّتًا بعد أن كان حيًّا. والموت - عند جمهور أهل السنة ومن وافقهم من غيرهم- مخلوق موجود.

التعليقات

= فهو يجمع هذه العظام المتفرقة، واللحوم الممزقة، والتراب الذي تحلل، وهذه الشعور المتبعثرة يعيدها كما كانت، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ وهي نفخة البعث، فالأولى: نفخة الصعق والموت.

والثانية نفخة: البعث ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، فالله قادر على كل شيء، وهذا رد على الكفار الذين يُعجزون الله عن إحياء الموتى وإعادتهم كما كانوا، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾. هذه قدرة الله وإرادته ومشيئته، لا يعجزه شيء، لكن بعض المخلوقين يقيس الله بخلقه فيستبعد البعث؛ لأنه في نظره مستحيل، ولا ينظر إلى قدرة الله، ولم يقدر الله حق قدره، وهذا من الجهل بالله عز وجل.

وهو الذي يعبِّرون عنه بأن الموت صفة وُجودية وذلك لقول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك: ٢] فجعل الموت مخلوقًا وتَسلَّطَ عليه الخلق، وهذا يدل على أنه موجود، ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ ﴾ وخَلَقُهُ يدل على أنه صفة وُجودية.

وكذلك ما جاء في السنة من أحاديث كثيرة فيها أن الموت يؤتى به يوم القيامة على هيئة كبش فيذبح على قنطرة بين الجنة والنار، فهذا يدل على أنَّ الموت موجود وله صفة الوجود.

وهذا له أدلة أيضًا كثيرة تدل على ما ذكرنا من أنَّ الموت ليس عدمًا للحياة، وإنما هو وجودٌ لصفةٍ ليست هي الحياة.

فالحياة وصف صفة، وهو وجود لصفة أخرى، وهذه الصفة الأخرى هي الموت.

هذا هو الذي قرره جمهور أهل السنة.

وقال غير أهل السنة من الفلاسفة وبعض من وافقهم من أهل السنة وهو قول أهل الكلام فيما ذكروه في كتبهم الخاصة بالكلام، قالوا في تعريفهم للموت: الموت عدم الحياة عمّا من شأنه أن يكون حيّا. وهذا التعريف تجده في كثير من كتب التفسير التي ينحو أصحابها منحى أهل الكلام، حتى إنَّ بعضها المنتسبين لمنهج السلف ظنَّ أنَّ هذا التعريف يمشي فنقل بعض النقولات فيها هذا التعريف. وهذا هو تعريف أهل الكلام والفلاسفة يقولون: الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيًّا.

ويجيبون عن الآية في قوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ بأنّ الخلق هنا بمعنى التقدير، فيكون عندهم معنى الآية الذي قدّر الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا. وهذا مصيرٌ منهم إلى أن الموت عدمٌ محض. وهذا خلاف الأدلة الكثيرة من السنة وأيضًا من القرآن التي تدل على أنَّ الموت حياة أخرى.

ولهذا نقول لمن مات: إنه في الحياة البرزخية وليس في عدم. فحياة الإنسان متعلقة بروحه ومتعلقة بجسده. وحياة الجسد بحلول الروح فيه، فإذا فارقت الروح الجسد صار الجسد عديم الحياة. لذلك تنتثر أجزاؤه في التراب ويذهب.

وأما الروح وهي داخلة في جملة تسمية الإنسان إنسانًا، أما الروح فهي مخلوقة للبقاء لا للعدم. لهذا إذا قيل: ماتَ يعني صار جسمه للعدم أو صار جسمه للفناء، وأما روحه فهي للبقاء، لكن لها حياة تخصُّها.



الشيخ صالح

في القبر له تَعلُّق بالروح؛ فإنَّ الحياة البرزخية للروح عند أهل السنة، والجسد تبع لها؛ تبع للروح، ليست الحياة للروح فقط؛ بل هي للروح والجسد تابع.

عكس الحياة الدنيا؛ فإن الحياة فيك الآن للجسد والروح تبع، فيألم الجسد فتألم الروح، وهكذا يسعد الجسد فتسعد الروح إلى غير ذلك من التفصيل.

بعد الحياة البرزخية يعني بعد الموت، فإنَّ الموت حالة، صفة وُجِدَت أدَّت إلى انفصال الروح عن البدن، فصارت الروح بالموت لها حياة تخصُّها، وصار البدن بالموت له صفة تخصه، وبين هذا وهذا تَعلُّق.

يدلُّكَ هذا على صحة ما اختاره أئمة أهل السنة بما دلتهم عليه الأحاديث وظاهر القرآن من أنَّ الموت صفة توجد وليس عدمًا محضًا، بل هو موجود له خصائصه. والموت في الآية مخلوق ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾.

وقولهم: إنَّ الموت والحياة هنا تَسلَّط عليها الفعل (خلق) فيكون بمعنى التقدير، نقول: هذا غير مستقيم؛ لأنه علَّلَ ذلك بعده بقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وحُسنُ العمل إنما يكون بعد الوجود، ولهذا قدَّمَ الموت على الحياة؛ لأن الموت يكون بعده الجزاء على حُسن العمل، ولِما جاء في السنة من الأدلة.

المسألة الثالثة:

أنّ الموت متعلق - يعني إماتة الرب ﷻ - متعلقة بكل شيء، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فكل شيء كُتب عليه الموت، فلا بد أن يموت، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يعني مما حلَّتهُ الحياة بالروح فلا بد أن يفنى.

وهناك ما استُثني مما يموت وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. والاستثناء هنا في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ اختلف فيه أهل العلم على عدة أقوال ترجعون إليها في التفسير: منها أن يكون المستثنى أرواح الشهداء؛ لأنَّ الشهداء أحياء بنص الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] الآيات في آل عمران. وهذا هو أظهر الأقوال؛ أن المستثنى أرواح الشهداء، فيكون عموم قوله ﷻ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ على ظاهره في أنه سَيَهلِكُ كل شيء إلا الرب ﷻ.

التعليقات

...ما زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبلَ خَلقِه(١)، لَم يَزدَد بِكَونِهِم شَيئًا لَم يَكُن قَبلَهُم مِن صِفَتِه(٢)، وكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيهَا أَبَدِيًّا(٣)..............

ابن أبي العز الحنفي

.... قوله: (ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًّا، كذلك لا يزال عليها أبديًّا).

ش: أي: أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل. ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده.................................

الشيخ صالح

وهذا قد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٤- ١٦]؛ لأنّ الرب ﷻ إذا أمات الملائكة المقربين نادى ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾؟ ثم أجاب نفسه العَلِيَّة بقوله جل جلاله: **المُلكُ** ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾، ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾، ثم قال: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [غافر:١٧]. وهذا يدلّ على أنَّ المخلوقات جميعًا ضعيفة محتاجة إلى ربها.

فكل من استحضر صفة الموت الذي سيحل به وسيحل أيضًا بغيره من المخلوقات، فإنه يظهر له عِظَم الرب ﷻ الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، وأنه ﷻ هو المحيي المميت، وأنه هو ﷻ هو الواحد الأحد الغني الكامل في صفاته ونعوت جلاله وعظمته.

وأمّا قول الطحاوي: (**بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ**) فهذا فيه صفة البعث لله ﷻ وفي موضعه سيأتي إن شاء الله تعالى ذكر مسائل البعث والنشور بتفصيلاتها.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: تقدم قول المصنف: (قديم بلا ابتداء)، فهو سبحانه وتعالى ليس قبله شيء، ومعنى ذلك: أنه متصف بصفات الكمال، فصفاته تكون أزلاً وأبدًا، فكما أنه أول بلا بداية، فكذلك صفاته، فإنها تكون تابعة له سبحانه، فهي أولية بأولية الله سبحانه وتعالى، فلم يكن أولاً بلا صفات ثم حدثت له الصفات بعد ذلك كما يقوله أهل الضلال، الذين يقولون: لم تكن له صفات في الأزل ثم كانت له صفات؛ لئلا يلزم على ذلك تعدد الآلهة -كما يزعمون- أو تعدد القدماء، وتكون الأسماء والصفات شريكة لله في أوليته...=

ابن أبي العز الحنفي

...... ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها؛ كالخلق والتصوير، والإماتة والإحياء، والقبض والبسط والطي، والاستواء والإتيان والمجيء، والنزول، والغضب والرضى، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا، كما قال الإمام مالك رضي الله عنه، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وغيرها: كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»............

الشيخ صالح

قال بعدها (مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبلَ خَلقِهِ، لم يَزدَد بِكَونِهِم شَيئًا، لم يكن قَبلَهُم مِن صِفَتِهِ).

قوله (مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبلَ خَلقِهِ ...) إلى آخره، أراد به أنه ﷻ لم يزل بصفاته؛ متصفًا بصفاته قبل أن يخلُق الخلق، فصفاته سبحانه ثابتة له قبل وجود المخلوقات المنظورة، التي تراها الآن، والتي لا تُرَى مما هو موجود. قال: (مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا) وهذا فيه بحث مرّ معكم في اسم القديم أو في وصف الله ﷻ بالقِدم.

وقوله: (قَبلَ خَلقِهِ) أراد به أنَّه سبحانه ما اتَّصَفَ بالصفات هذه بعد أن خَلَقَ الخلق كما سيأتي في قوله (لَيسَ بَعدَ خَلقِ الخَلقِ استَفَادَ اسمَ "الخَالِقِ"، وَلاَ بِإِحدَاثِ البَرِيَّةِ استَفَادَ اسمَ "البَارِي").

ثم قال: (لم يَزدَد بِكَونِهِم شَيئًا، لم يكن قَبلَهُم مِن صِفَتِهِ) تركيب هذه الجملة كالتالي: لم يزدد شيئًا ﷻ من صفاته، لم يزدد شيئًا بكونهم - يعني بوجودهم وإيجادهم وخلقهم - لم يزدد شيئًا.

التعليقات

= فنقول: يا سبحان الله! هذا يلزم عليه أن يكون الله ناقصًا تعالى الله في فترة، ثم حدثت له الصفات وكمل بها، تعالى عما يقولون، ولا يلزم من قدم الصفات قدم الأرباب؛ لأن الصفات ليست شيئًا غير الموصوف في الخارج، إنما هي معان قائمة بالموصوف، ليست شيئًا مستقلاً عن الموصوف، فإذا قلت مثلاً: فلان سميع بصير، عالم فقيه، لغوي نحوي. فهل معنى هذا أن الإنسان صار عددًا من الأشخاص، فلا يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف، كما يقوله أصحاب الضلال......................=

..... لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلمًا بالأمس لا يقال: أنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم؛ لأنه لآفة كالصغر. والخرس، ثم تكلم يقال: حدث له الكلام، فالساكت لغير آفة يسمى متكلمًا بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى متكلمًا بالفعل، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتبًا في حال عدم مباشرته الكتابة.

وحول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال: فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة لشيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن - فهذا نفي صحيح. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته - فهذا نفي باطل.........

وهذا الشيء وُصِف بأنه لم يكن قبلهم من صفته. يعني أنّ الرب ﷻ ما ازداد شيئًا لم يكن عليه سبحانه قبل أن يخلقه؛ بل هو سبحانه بصفاته قبل أن يَخلُقَ الخَلق وبعد أن خَلَقَ الخلق؛ لأنه لا يجوز أن يُعَطِّل الرب ﷻ من صفاته؛ لأنَّ تعطيل الرب من صفاته نقص، والله سبحانه متنزه عن النقص بأنواعه. وهذا الكلام منه مع ما بعده متصل ولذلك سنذكر ما يتعلق به من المسائل متتابعًا بعد بيان معنى هذه الجمل الآتية: **قال (وكما كانَ بصفاته أزليًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيها أبديًّا)** يعني أنّ صفات الرب ﷻ كما أنه لم يزل عليها وهو أولٌ بصفاته فهو أيضًا ﷻ آخرٌ بصفاته ﷻ. فصفات الرب ﷻ أبدية أزلية لا ينفك عنه الوصف في الماضي البعيد ولا في المستقبل، بل هو ﷻ لم يزدد بخلقه شيئًا لا في جهة الأولية ولا في جهة الآخرية، بل هو ﷻ لم يزل بصفاته أولاً سبحانه وآخرًا.

= فالله سبحانه وتعالى ليس لصفاته بداية كما أنه ليس لذاته بداية، فيوصف بأنه الخالق دائمًا وأبدًا، وأما أفعاله سبحانه، فهي قديمة النوع حادثة الآحاد، فالله سبحانه وتعالى متكلم قبل أن يصدر منه الكلام، وخالق قبل أن يصدر منه الخلق. وأما أنه يتكلم ويخلق، فهذه أفعال متجددة وهكذا.

ابن أبي العز الحنفي

..... وأهل الكلام المذموم، يطلقون نفي حلول الحوادث، فيسلم السني للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم له. وإنما أتي السني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه.

وكذلك مسألة الصفة: هل هي زائدة على الذات أم لا؟ لفظها مجمل، وكذلك لفظ الغير، فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقته له. ولهذا كان أئمة السنة رحمهم الله تعالى لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره، ولا أنه ليس غيره؛ لإن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو، إذا كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل: فإن أريد به أن هناك ذاتًا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها - فهذا غير صحيح، وان أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة - فهذا حق، ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتًا وصفة، كلاًّ وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال.

ولو لم يكن إلا صفة الوجود، فإنها لا تنفك عن الموجود، وإن كان الذهن يفرض ذاتًا ووجودًا، يتصور هذا وحده، وهذا وحده، لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر في الخارج.

وقد يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره. هذا له معنى صحيح، وهو: أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل هي غيرها، وليست غير الموصوف، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد. فاذا قلت: أعوذ بالله فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه......

التعليقات

الشيخ الفوزان

(٢) : أي: خلق الخلق. ولا نقول: لم يصر خالقًا إلا بعد أن خلقهم، بل هو يسمى خالقًا من الأزل، لا بداية لذلك، أما خلقه إنما هو متجدد.

ابن أبي العز الحنفي

..... وإذا قلت: أعوذ بعزة الله، فقد عذت بصفة من صفات الله تعالى، ولم أعذ بغير الله، وهذا المعنى يفهم من لفظ الذات، فإن ذات في أصل معناها لا تستعمل إلا مضافة، أي: ذات وجود، ذات قدرة، ذات عز، ذات علم، ذات كرم، إلى غير ذلك من الصفات. فذات كذا بمعنى صاحبة كذا: تأنيث ذو. هذا أصل معنى الكلمة، فعلم أن الذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه، وإن كان الذهن قد يفرض ذاتًا مجردة عن الصفات، كما يفرض المحال.

وقد قال ﷺ: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر». وقال ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق». ولا يعوذ ﷺ بغير الله. وكذا قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك». وقال ﷺ: «ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا». وقال ﷺ: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات».

وكذلك قولهم: الاسم عين المسمى أو غيره؟ وطالما غلط كثير من الناس في ذلك، وجهلوا الصواب فيه: فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى.

فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك - فهذا المراد به المسمى نفسه.

وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك - فالاسم ها هنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال غيره؛ لما في لفظ الغير من الإجمال: فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا إسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم: فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى..........

الشيخ صالح

التعليقات

(٣) الشيخ الفوزان: كما أنه موصوف بصفاته أزليًا، يعني: لا بداية لذلك، كذلك صفاته تلازمه -سبحانه- في المستقبل، فهو بصفاته أبدي لا نهاية له (أنت الآخر فلا بعدك شيء) باسمك وصفاتك، ولا يقال: إن هذه الصفات تنقطع عنه في المستقبل، بل هي ملازمة له سبحانه وتعالى.

...... والشيخ رحمه الله أشار بقوله: ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه إلى آخر كلامه – إلى الرد على المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة. فإنهم قالوا: إنه تعالى صار قادرًا على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادرًا عليه، لكونه صار الفعل والكلام ممكنا بعد أن كان ممتنعًا، وأنه انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي! وعلي بن كلاب والأشعري ومن وافقهما، فإنهم قالوا: إن الفعل صار ممكنًا له بعد أن كان ممتنعًا منه. وأما الكلام عندهم فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة، بل هو شيء واحد لازم لذاته.

وأصل هذا الكلام من الجهمية، فإنهم قالوا: إن دوام الحوادث ممتنع، وإنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ، لامتناع حوادث لا أول لها، فيمتنع أن يكون الباري عَزَّ وجَلَّ لم يزل فاعلاً متكلمًا بمشيئة، بل يمتنع أن يكون قادرًا على ذلك، لأن القدرة على الممتنع ممتنعة! وهذا فاسد، فإنه يدل على امتناع حدوث العالم وهو حادث، والحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثًا فلا بد أن يكون ممكنًا، والإمكان ليس له وقت محدود، وما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت فيه، وليس لإمكان الفعل وجوازه وصحته مبدأ ينتهي إليه، فيجب أنه لم يزل الفعل ممكنًا جائزًا صحيحًا، فيلزم أنه لم يزل الرب قادرًا عليه، فيلزم جواز حوادث لا نهاية لأولها.

قالت الجهمية ومن وافقهم: نحن لا نسلم أن إمكان الحوادث لا بداية له، لكن نقول: إمكان الحوادث بشرط كونها مسبوقة بالعدم لا بداية له؛ وذلك لأن الحوادث عندنا تمتنع أن تكون قديمة النوع، بل يجب حدوث نوعها ويمتنع قدم نوعها، لكن لا يجب الحدوث في وقت بعينه، فإمكان الحوادث بشرط كونها مسبوقة بالعدم لا أول له، بخلاف جنس الحوادث.....

..... فيقال لهم: هب أنكم تقولون ذلك، لكن يقال: إمكان جنس الحوادث عندكم له بداية، فإنه صار جنس الحدوث عندكم ممكنًا بعد أن لم يكن ممكنًا، وليس لهذا الإمكان وقت معين، بل ما من وقت يفرض إلا والإمكان ثابت قبله، فيلزم دوام الإمكان، وإلا لزم انقلاب الجنس من الامتناع إلى الإمكان من غير حدوث شيء.

ومعلوم أن انقلاب حقيقة جنس الحدوث أو جنس الحوادث، أو جنس الفعل، أو جنس الأحداث، أو ما أشبه هذا من العبارات - من الامتناع الى الإمكان، وهو مصير ذلك ممكنًا جائزًا بعد أن كان ممتنعًا من غير سبب تجدد، وهذا ممتنع في صريح العقل، وهو أيضًا انقلاب الجنس من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، فإن ذات جنس الحوادث عندهم تصير ممكنة بعد أن كانت ممتنعة، وهذا الانقلاب لا يختص بوقت معين، فإنه ما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت قبله، فيلزم أنه لم يزل هذا الانقلاب ممكنًا، فيلزم أنه لم يزل الممتنع ممكنًا! وهذا أبلغ في الامتناع من قولنا: لم يزل الحادث ممكنًا، فقد لزمهم فيما فروا إليه أبلغ مما لزمهم فيما فروا منه! فإنه يعقل كون الحادث ممكنًا، ويعقل، أن هذا الإمكان لم يزل، وأما كون الممتنع ممكنًا فهو ممتنع في نفسه، فكيف إذا قيل: لم يزل إمكان هذا الممتنع؟! وهذا مبسوط في موضعه.

فالحاصل: أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا؟ أو في المستقبل فقط؟ أو الماضي فقط؟

فيه ثلاثة أقوال، معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم:

أضعفها: قول من يقول: لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهم بن صفوان وأبي الهديل العلاف.........................

ابن أبي العز الحنفي

..... وثانيها: قول من يقول: يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي، كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

والثالث: قول من يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل، كما يقوله أئمة الحديث، هي من المسائل الكبار. ولم يقل أحد يمكن دوامها في الماضي دون المستقبل.

ولا شك أن جمهور العالم من جميع الطوائف يقولون: إن كل ما سوى الله تعالى مخلوق كائن بعد أن لم يكن، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم.

ومن المعلوم بالفطرة أن كون المفعول مقارنًا لفاعله لم يزل ولا يزال معه - ممتنعًا محالاً، ولما كان تسلسل الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الرب سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء، فكذا تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع أن يكون سبحانه وتعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء. فإن الرب سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال، يفعل ما يشاء ويتكلم إذا يشاء. قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٥، ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٩].

والمثبت إنما هو الكمال الممكن الوجود، وحينئذ فإذا كان النوع دائمًا فالممكن والإكيل هو التقدم على كل فرد من الأفراد بحيث لا يكون في أجزاء العالم شيء يقارنه بوجه من الوجوه..........................

الشيخ صالح

التعليقات

....

..... وأما دوام الفعل، فهو أيضًا من الكمال، فإن الفعل إذا كان صفة كمال فدوامه دوام كمال.

قالوا: والتسلسل لفظ مجمل، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة، ليجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلى واجب وممتنع وممكن: فالتسلسل في المؤثرين محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرون كل واحد منهم استفاد تأثيره مما قبله لا إلى غاية.

والتسلسل الواجب: ما دل عليه العقل والشرع، من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيمًا آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإن كل حي فعال، والفرق بين الحي والميت الفعل، ولهذا قال غير واحد من السلف: الحي الفعال، وقال عثمان بن سعيد: كل حي فعال، ولم يكن ربنا تعالى قط في وقت من الأوقات معطلاً عن كماله، من الكلام والإرادة والفعل.

وأما التسلسل الممكن: فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما تتسلسل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حيًّا قادرًا مريدًا متكلمًا، وذلك من لوازم ذاته - فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدمًا لا أول له، فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن..........................

.... قالوا: وكل قول سوى هذا فصريح العقل يرده ويقضي ببطلانه، وكل من اعترف بأن الرب تعالى لم يزل قادرًا على الفعل لزمه أحد أمرين، لا بد له منهما: إما أن يقول بأن الفعل لم يزل ممكنًا، وإما أن يقول: لم يزل واقعًا، وإلا تناقض تناقضًا بيِّنًا، حيث زعم أن الرب تعالى لم يزل قادرًا على الفعل، والفعل محال ممتنع لذاته، لو أراده لم يمكن وجوده، بل فرض إرادته عنده محال وهو مقدور له. وهذا قول ينقض بعضه بعضًا.

والمقصود: أن الذي دل عليه الشرع والعقل، أن كل ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد أن لم يكن. أما كون الرب تعالى لم يزل معطلاً عن الفعل، ثم فعل، فليس في الشرع ولا في العقل ما يثبته، بل كلاهما يدل على نقيضه.

وقد أورد أبو المعالي في إرشاده وغيره من النظار على التسلسل في الماضي، فقالوا: إنك لو قلت: لا أعطيك درهمًا إلا أعطيك بعده درهمًا، كان هذا ممكنًا، ولو قلت: لا أعطيك درهمًا حتى أعطيك قبله درهمًا، كان هذا ممتنعًا.

وهذا التمثيل والموازنة غير صحيحة، بل الموازنة الصحيحة أن تقول: ما أعطيتك درهمًا الا أعطيتك قبله درهمًا، فتجعل ماضيًا قبل ماض، كما جعلت هناك مستقبلاً بعد مستقبل.

وأما قول القائل: لا أعطيك حتى أعطيك قبله، فهو نفي للمستقبل حتى يحصل في المستقبل ويكون قبله. فقد نفى المستقبل حتى يوجد المستقبل، وهذا ممتنع. أما نفي الماضي حتى يكون قبله ماض، فإن هذا ممكن. والعطاء المستقبل ابتداؤه من المستقبل.

والمعطى الذي له ابتداء وانتهاء لا يكون قبله ما لا نهاية له، فإن ما لا نهاية له فيما يتناهى ممتنع..

.............، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم "الخالق"(١)، ولا بإحداث البرية استفاد اسم "الباري"(٢)، ....

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بأحداث البرية استفاد اسم الباري).

ش: ظاهر كلام الشيخ رحمه الله أنه يمنع تسلسل الحوادث في الماضي، ويأتي في كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه في المستقبل، وهو قوله والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، وهذا مذهب الجمهور كما تقدم. ولا شك في فساد قول من منع ذلك في الماضي والمستقبل، كما ذهب إليه الجهم وأتباعه، وقال بفناء الجنة والنار، لما يأتي من الأدلة إن شاء الله تعالى.

الشيخ صالح **(لَيسَ بَعدَ خَلقِ الخَلقِ استَفَادَ اسمَ "الخَالِقِ"، وَلاَ بِإِحدَاثِ البَرِيَّةِ استَفَادَ اسمَ "البَارِي")** قال: أراد بذلك أنه ﷻ من أسمائه الخالق ومن صفاته الخلق قبل أن يَخلُق، فلم يَصِر اسمه الخالق بعد أن خَلَقَ؛ بل هو اسمه الخالق ﷻ قبل أن يَخلُق، ولم يكن اسمه الباري بعد أن بَرَأَ الخليقة، بل اسمه الباري قبل أن يبرأ الخليقة. لهذا قال بعدها: **(له معنى الرُّبُوبِيَّةِ ولا مَربُوبَ، ومعنى الخالق ولا مخلوقَ)**، فقبل أن يكون سبحانه خالقًا للخلق، يعني قبل أن يكون ثَمَّ مخلوق هو خالق. وقبل أن يكون ثَمَّ مربوب هو ﷻ الرب ﷻ.

(وكما أَنَّه مُحيِي الموتَى بَعدَمَا أَحيَا، استحقَّ هَذَا الاسمَ قَبلَ إِحيَائِهِم) فهو سبحانه المحيي قبل أن يكون ثَمَّ مَيت، قبل أن يُمِيتَ الموتى هو المحيي، وكذلك هو المستحق لاسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك بأنه على كل شيء قدير. هذه الجمل مترابطة في الدِلاَلَة على المعنى الذي ذكرته لك. وهذا المعنى الذي دلّ عليه كلام الطحاوي يرتبط به مسائل مهمة جدًا في هذا الموضع. وهذا الموضع مما يظهر منه أنّ الطحاوي خالف ما عليه أهل الحديث والأثر في هذه المسألة العظيمة؛ وذلك أنَّ أصول هذه المسألة قديمة في البحث بين الجهمية وبين المعتزلة وبين الكلابية والأشاعرة وبين الماتريدية وبين أهل الحديث والأثر، والمذاهب فيها متعددة.

التعليقات (١) الشيخ الفوزان: هذا توضيح وتكرار لما سبق.

(٢) الشيخ الفوزان: من أسماء الله عز وجل: الباري، يعني: الخالق، برى الخلق، يعني: خلقهم، فهو الباري، وهذا الاسم ملازم لذاته ليس له بداية.

..... وأما قول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها - فأظهر في الصحة من قول من فرقٍ بينهما، فإنه سبحانه لم يزل حيًّا، والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعلا لما يريد، كما وصف بذلك نفسه، حيث يقول: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج: ١٥، ١٦].

والآية تدل على أمور:

أحدها: أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته.

الثاني: أنه لم يزل كذلك؛ لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، و أن ذلك من كماله سبحانه، ولا يجوز أن يكون عادمًا لهذا الكمال في وقت من الأوقات.....

الشيخ صالح: ولهذا نبيِّن ما في هذه الجمل من مباحث على مسائل إيضاحًا للمقام:

المسألة الأولى:

أنّ الناس اختلفوا في اتصاف الله ﷻ بصفاته هل هو مُتَّصِفٌ بها بعد ظهور آثارها، وأسماء الرب ﷻ سُمِّيَ بها بعد ظهور آثارها أم قبل ذلك على مذاهب:

المذهب الأول: هو مذهب المعتزلة والجهمية ومن نحا نحوهم مِن أنّه ﷻ لم يَصِر له صفات وأسماء إلا بعد أن ظهرت آثارُها، فلما خَلَقَ صارت له صفة الخلق، وصار من أسمائه الخالق. وذلك على أصل عندهم، وهو أنَّ أسماء الله ﷻ مخلوقة، فلما خَلَقَ سَمَّاهُ الناس الخالق، وخَلَقَ له اسم الخالق. فعندهم أنَّ الزمان لما ابتدأ فيه الخلق أو الرِّزق أو الإنشاء صار بعده له اسم الخالق، وقبل ذلك لم يكن له هذا الإسم ولم تكنِ له هذه الصفات. فقبل أن يكون ثَمَّ سَامِع لكلامه فليس هو سبحانه مُتَكَلِّمًا، فلما خَلَقَ سامِعًا لكلامه، خَلَقَ كلاما - عند المعتزلة والجهمية - فأسمعهم إياه، فصار له اسم المتكلم أو صفة الكلام، لَمّا خلق مَن يسمع كلامه. كذلك صفة الرحمة على تأويلهم الذي يؤولونه أو أنواع النِّعَم، والمنعم والمحيي والمميت كل هذه لا تطلق على الله عندهم إلا بعد أن وُجد الفعل منه على الأصل الذي ذكرته لكم عنهم أنَّ الأسماء عندهم والصفات مخلوقة.

المذهب الثاني: هو مذهب الأشاعرة والماتريدية ومذهب طوائف من أهل الكلام في أنّ الرب ﷻ كان مُتَّصِفًا بالصفات وله الأسماء، ولكن لم تَظهَر آثار صفاته ولا آثار أسمائه، بل كان زمنًا طويلا طَويلا مُعَطَّلاً عن الأفعال ﷻ.

ابن أبي العز الحنفي

..... وقد قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]. ولما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله لم يكن حادثًا بعد أن لم يكن.

الثالث: أنه إذا أراد شيئًا فعله، فإن ما موصوله عامة، أي: يفعل كل ما يريد أن يفعله، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله. وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شأن آخر: فإن أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يعينه عليه ويجعله فاعلا لم يوجد الفعل وإن أراده حتى يريد من نفسه أن يجعله فاعلا. وهذه هي النكتة التي خفيت على القدرية والجبرية، وخبطوا في مسألة القدر، لغفلتهم عنها، وفرق بين إرادته أن يفعل العبد وإرادة أن يجعله فاعلا، وسيأتي الكلام على مسألة القدر في موضعه إن شاء الله تعالى.

الرابع: أن فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعل فعل، وما فعله فقد أراده. بخلاف المخلوق، فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريده. فما ثَمَّ فعال لما يريد إلا الله وحده.........

الشيخ صالح

له صفة الخلق وليس ثَمَّ ما يخلقه، له صفة الفعل ولم يفعل شيئًا، له صفة الإرادة وأراد أشياء كونية مؤجلة غير مُنجزة وهكذا.

فمن أسمائه عند هؤلاء الخالق، ولكنه لم يخلق، ومن أسمائه عندهم أو من صفاته الكلام ولم يتكلم، ومن صفاته الرحمة بمعنى إرادة الإنعام وليس ثَمَّ مُنعَمٌ عليه، ومن أسمائه المحيي وليس ثَمَّ من أحيا، ومن أسمائه الباري وليس ثَمَّ بَرأ، وهكذا حتى أنشأ الله ﷻ وخَلَقَ ﷻ هذا الخلق المنظور الذي تراه من الأرض والسموات وما قصَّ الله علينا في كتابه، ثُمَّ بعد ذلك ظهرت آثار أسمائه وصفاته. فعندهم أنَّ الأسماء والصفات متعلقة بهذا العالَم المنظور أو المعلوم دون غيره من العوالم التي سبقته. وقالوا هذا فِرارًا من قول الفلاسفة الذين زعموا أنَّ هذا العالم قديم، أو أنَّ المخلوقات قديمة متناهية أو دائمة من جهة الأولية؛ من جهة القدم، مع الرب ﷻ.

المذهب الثالث: هو مذهب أهل الحديث والأثر وأهل السنة؛ أعني عامة أهل السنة وهو أنّ الرب ﷻ أَوَّلٌ بصفاته، وصفاته ﷻ قديمة، يعني هو أوَّلٌ ﷻ بصفاته. وأنه سبحانه كان من جهة الأولية بصفاتِهِ - كما عبر المātن هنا بقوله: (كانَ بصفاته). وأنّ صفات الرب ﷻ لابد أن تظهر آثارها؛ لأنه سبحانه فَعَّالٌ لما يريد.

التعليقات

..... الخامس: إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال، وأن كل فعل له إرادة تخصه، هذا هو المعقول في الفطر، فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام ويفعل ما يريد.

السادس: أن كل ما صح أن تتعلق به إرادته جاز فعله، فإذا أراد أن ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وأن يجيء يوم القيامة لفصل القضاء، وأن يري عباده نفسه، وأن يتجلى لهم كيف شاء، ويخاطبهم، ويضحك إليهم، وغير ذلك مما يريد سبحانه لم يمتنع عليه فعله، فإنه تعالى فعال لما يريد. وإنما يتوقف صحة ذلك على إخبار الصادق به، فإذا أخبر وجب التصديق، وكذلك محو ما يشاء، وإثبات ما يشاء، كل يوم هو في شأن، سبحانه وتعالى.........................

الشيخ صالح

والرب ﷻ له صفات الكمال المطلق، ومن أنواع الكمال المطلق أن يكون ما أراد ﷻ. فما أراده كونًا لابد أن يكون. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ومن مذهب أهل السنة والحديث والأثر أنّه سبحانه يجوز أن يكون خَلَقَ أنواعًا من المخلوقات وأنواعًا من العوالم غير هذا العالم الذي نراه. فجنس مخلوقات الله ﷻ أعمّ من أن تكون هذه المخلوقات الموجودة الآن، فلا بد أن يكون ثَمَّ مخلوقات أوجدها الله ﷻ وأفناها ظَهَرَت فيها آثار أسمائه وصفاته ﷻ. فإنَّ أسماء الرب ﷻ وإنّ صفات الرب ﷻ لابد أن يكون لها أثرُها؛ لأنه سبحانه فعّال لما يريد.

فما أراده سبحانه فَعَلَهُ، وَوَصَفَ نفسه بهذه الصفة على صيغة المبالغة الدالة على الكمال بقوله: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦]، فما أراده سبحانه كان. وهذا متسلسل -كما سيأتي بيانه- في الزمن الأول، يعني في الأولية وفي الآخرية فهو سبحانه **(وكما كانَ بصفاته أزَليًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيها أبديًّا)**. وهذا منهم -يعني من أهل الحديث والأثر والسنة- هذا القول منهم لأجل إثبات الكمال للرب ﷻ.

وقول المعتزلة والجهمية فيه تعطيل للرب عن أسمائه وصفاته. يعني أنَّ الله ﷻ كان بلا صفات وبلا أسماء، وأنّه لمّا فعَلَ وُجِدَت صفات الرب ﷻ، وهذا نسبة النقص لله ﷻ؛ لأنّ الصفات هي عنوان الكمال، والله ﷻ كمالاته بصفاته.

التعليقات

....

....

ابن أبي العز الحنفي

والقول بأن الحوادث لها أول ....، يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلاً. ولا يلزم من ذلك قدم العالم؛ لأن كل ما سوى الله تعالى محدث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم، والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غني لذاته، والغنى وصف ذاتي لازم له سبحانه وتعالى.

والناس قولان في هذا العالم: هل هو مخلوق من مادة أم لا؟ واختلفوا في أول هذا العالم ما هو؟ وقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]......................

الشيخ صالح

أما قول الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم، فهذا أيضًا فيه وصف الرب ﷻ بالنقص؛ لأَنَّ أولئك يزعمون أنه متصف ولا أثر للصفة.

ومعلوم أَنَّ هذا العلم المنظور الذي تعلقت به عندهم الأسماء والصفات، هذا العالم إنما وُجِدَ قريبًا.

فوجوده قريب وإن كانت مدته أو عمره طويل لكنه بالنسبة إلى الزمن بعامة -الزمن المطلق- لا شك أنه قريب لهذا قال ﷺ: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**».

فالتقدير كان قبل أن يخلق هذه الخلائق، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وهي مدة محدودة، والله ﷻ **لا يَحُدُّه** زمان، فهو أول ﷻ ليس قبله شيء ﷻ. وفي هذا إقرار؛ لأنه من جهة الأولية يتناهى الزمان في إدراك المخلوق، وننتقل من الزمان المنسوب إلى الزمان المطلق، وهذا تتقاصر عقولنا عنه وعن إدراكه. وأما هذا العالم المنظور فإنه مُحدَثٌ وحدوثه قريب.

ولهذا نقول: إن قول الأشاعرة والماتريدية بأنه كان متصفًا بصفات وله الأسماء، ولكن لم تظهر آثارها ولم يفعل شيئًا إلا بعد أن أَوجَدَ هذا العالم، نقول: معناه أَنَّ ثَمَّ زمانًا مطلقًا طويلا طويلا جدًا ولم يكن الرب ﷻ فاعلاً، ولم يكن لصفاته أثر ولا لأسمائه أثر في المربوبات.

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وروى البخاري وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: «قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله»، وفي رواية: «ولم يكن شيء معه»، وفي رواية غيره: «وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض»، وفي لفظ: «ثم خلق السماوات والأرض». فقوله: «كتب في الذكر» يعني اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾ [الأنبياء: ١٠٥] يسمى ما يكتب في الذكر ذكرًا، كما يسمى ما يكتب في الكتاب كتابًا، والناس في هذا الحديث على قولين:

منهم من قال: أن المقصود إخباره بأن الله كان موجودًا وحده ولم يزل كذلك دائمًا، ثم ابتدأ أحداث جميع الحوادث، فجنسها وأعيانها مسبوقة بالعدم، وأن جنس الزمان حادث لا في زمان، وأن الله صار فاعلاً بعد أن لم يكن يفعل شيئًا من الأزل إلى حين ابتداء الفعل كان الفعل ممكنًا............

ولا بد أنَّ الله ﷻ له ﷻ من يعبده ﷻ من خلقه، ولا بد أن يكون له ﷻ مخلوقات؛ لأنه سبحانه فعّال لما يريد، وهذه صفة مبالغة مطلقة في الزمن كله؛ لأنَّ (ما) اسم موصول وأسماء الموصول تعم ما كان في حيّز صلتها.

بَقي أن يقال: إن قولهم: أراد ولكن إرادته كانت مُعَلَّقَة غير مُنجَزَة. ونقول: هذا تحكم؛ لأن هذا مما لا دليل عليه إلا الفرار من قول الفلاسفة ومن نحا نحوهم بقِدَمِ هذا العالَم المنظور.

وهذا الإلزام لا يلزم أهل الحديث والسنة والأثر لأننا نقول: إنَّ العوالِم التي سبقت هذا العالم كثيرة متعددة لا نعلمها، الله ﷻ يعلمها.

وهذا ما قِيلَ إنَّهُ يُسَمى بقِدَمِ جنس المخلوقات، أو ما يسمى بالقِدم النوعي للمخلوقات، وهذه من المسائل الكبار التي نكتفي في تقريرها بما أوردنا لك في هذا المقام المختَصَر.

المهم أن يتقرر في ذهنكَ أنَّ مذهب أهل الحديث والأثر في هذه المسألة لأجل كمال الربّ ﷻ، وأنَّ غيرَ قولهم فيه تنقص للرب ﷻ بكونه مُعَطَّلاً عن صفاته أو بكونه ﷻ مُعَطَّلاً عن أن تظهر آثار أسمائه وصفاته قبل خَلق هذا العالم المعلوم أو المنظور.

....

ابن أبي العز الحنفي

...... والقول الثاني: المراد إخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش، كما أخبر القرآن بذلك في غير موضع، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء. فأخبر ﷺ أن تقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام كان قبل خلقه السماوات بخمسين ألف سنة، وأن عرش الرب تعالى كان حينئذ على الماء»، دليل صحة هذا القول الثاني من وجوه:

أحدها: أن قول أهل اليمن: جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر، وهو اشارة الى حاضر مشهود موجود، والأمر هنا بمعنى المأمور، أي: الذي كونه الله بأمره. وقد أجابهم النبي ﷺ عن بدء. هذا العالم الموجود، لا عن جنس المخلوقات؛ لأنهم لم يسألوه عنه، وقد أخبرهم عن خلق السماوات والأرض حال كون عرشه على الماء، ولم يخبرهم عن خلق العرش، وهو مخلوق قبل خلق السماوات والأرض..............................

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

أنّ الطحاوي ﷺ كأنّه يميل إلى المذهب الثاني؛ وهو مذهب الماتريدية. وهذا من أغلاط هذه العقيدة التي خالف فيها مؤلفها منهج أهل الحديث والأثر. هذا ظاهِرُ كلامه كما اعترف به الشارح. ومن شَرَحَ هذه العقيدة من الماتريدية قرّروا هذا الكلام على أنَّ كلامه موافق لكلام أبي منصور الماتريدي والأشعري ومن نحا نحوهم.

المسألة الثالثة:

وهي متصلة بهذا البحث، وهذا البحث من أصعب المباحث التي ستعرض لك في شرحنا لهذه العقيدة، لكن نعرضها بشيء من الوضوح والاختصار، وهو ما يسمى بمسألة التسلسل.

والتسلسل معناه: أنه لا يكون شيء إلا وقبله شيء تَرتَّبَ عليه، أو لا يكون شيء إلا و بعده شيء ترتب عليه.

التعليقات

....

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وأيضًا فإنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله»، وقد رُوي معه، ورُوِيَ غيره، والمجلس كان واحدًا، فعلم أنه قال أحد الألفاظ والآخران رويا بالمعنى، ولفظ القبل ثبت عنه في غير هذا الحديث. ففي حديث مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: أنه كان يقول في دعائه: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء»، الحديث. واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما في موضع آخر، ولهذا كان كثير من أهل الحديث إنما يرويه بلفظ القبل، كالحميدي والبغوي وابن الأثير. وإذا كان كذلك لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث، ولا لأول مخلوق.

وأيضًا: فإنه يقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله أو معه أو غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء»..

الشيخ صالح

والتسلسل على اعتبارات:

الجهة الأولى المُعتَبَرَة في بحث التسلسل: **التسلسل في صفات الرب ﷻ.**

وللناس في التسلسل المتعلق بصفات الرب ﷻ مذاهب:

المذهب الأول: من قال: إنَّ الرب ﷻ يمتنع تسلسل صفاته في الماضي، ويمتنع تسلسل صفاته في المستقبل؛ فلا بد من أمد يكون قد ابتَدَأَ في صفاته، أو قد ابتَدَأَت صفاتُه، ولا بد أيضًا من زمن تنتهي إليه صفاته، وهذا هو قول الجهمية -والعياذ بالله- وقول طائفة من المعتزلة كأبي الهذيل العلاف وجماعة منهم.

المذهب الثاني: هو أنَّ التسلسل في الماضي ممتنع، والتسلسل في المستقبل لا يمتنع: يعني أنَّ الاتصاف بالصفات لا بد أن يكون له زمن ابتدأ فيه، وهذا الزمن قريب من خلق هذا العالَم الذي تعلّقت به الأسماء والصفات أو الذي ظهرت فيه آثار الأسماء والصفات، و في المستقبل هناك تسلسل في الصفات يعني عدم انقطاع للصفات، وهذا هو قول أهل الكلام والأشاعرة والماتريدية.

المذهب الثالث: هو مذهب أهل السنة والحديث وهو أنّ التسلسل ثابت في الماضي وثابت في المستقبل، وثبوته في الماضي غير متعلق بخَلق تَسَلسَلُ فيهم الصفات أو تظهر فيهم آثار الصفات، بل يجوز أو نقول: بل تتنوع التعلقات باختلاف العوالم، وفي المستقبل - يعني في الآخرة- هو ﷻ آخر بصفاته ﷻ، فهناك التسلسل في جهة المستقبل.

التعليقات

....



ابن أبي العز الحنفي

...... فأخبر عن هذه الثلاثة بالواو، و«خلق السماوات والأرض» روي بالواو وبثم، فظهر أن مقصوده إخباره إياهم ببدء خلق السماوات والأرض وما بينهما، وهي المخلوقات التي خلقت في ستة أيام، لا ابتداء خلق ما خلقه الله قبل ذلك، وذكر السماوات والأرض بما يدل على خلقهما، وذكر ما قبلهما بما يدل على كونه ووجوده، ولم يتعرض لابتداء خلقه له..............................

الشيخ صالح

: وهو أنه لا تسلسل في المستقبل وهناك تسلسل في الماضي، هذا القسم يكون المربع في القسمة، وهذا لا قائل به من المذاهب المعروفة، يعني لا يُعرَفُ أنَّ أَحَدًا قال بهذا القسم.

، فهذه المسألة بُحِثَت أولاً -مسألة التسلسل- قبل بحث المسألة الأولى التي ذكرناها إذا الكلام من جهة مذاهب الناس في الصفات وتعلقها بالخلق - يعني الثلاثة المذاهب التي ذكرناها - فلما بُحِثَ التسلسل نتج منه البحث الأول؛ ولهذا إذا أردت أن تفهم جهة التسلسل تفهم أثرها الذي ذكرته لك في الأول؛ لأنَّ كلاً من هاتين المسألتين مرتبط بالمسألة الأخرى.

المُعتَبَرَة في بحث التسلسل: التسلسل في المخلوقات:

الجهة الثانية
و التسلسل في المخلوقات للناس فيه مذهبان فيما أعلم:

: تسلسل في الماضي، وهذا ممتنع عند عامة الناس إلا الفلاسفة الذين قالوا: إنه لا عالم إلا هذا العالم، وأنَّ هذا العالم لم يزل في الماضي، وأنه ما من عِلَّة فيه إلا وهي مُؤَثرة لمعلول فيه أيضًا، وأنَّ هذا العالم ترتب التسلسل فيه الآخر عن الأول والثاني عما قبله وليس ثَمَّ غيره، نقول: إنَّ هذا من هذه الجهة عامة الناس عدا الفلاسفة على ما ذكرنا، يعني اتفق عليها المعتزلة وأهل السنة على أنَّ التسلسل؛ تسلسل المخلوقات في الماضي أنه ممتنع إلا قول الفلاسفة. والفلاسفة كما هو معلوم من قالوا بهذا القول خارجون عن الملة؛ لأنهم يرون قِدَمَ هذا العالم مُطلَقًا، وأنَّ المؤثر فيه الأفلاك بِعِلَل مختلفة يبحثونها.

: في المستقبل التسلسل في المخلوقات غير ممتنع عند الجمهور إلا في خلاف الجهم وبعض المعتزلة في أنّ تسلسل الحركات والمخلوقات في المستقبل أيضًا ممتنع وأنهم لا بد أن يصيروا إلى عَدَمٍ أو إلى عدم تأثير؛ إمّا عدم محض أو عدم تأثير.

التعليقات

.... : فإنه إذا كان الحديث قد ورد بهذا وهذا، فلا يجزم بأحدهما إلا بدليل، وأيضًا فإذا رجح أحدهما فمن جزم بأن الرسول أراد المعنى الآخر فهو مخطئ قطعًا، ولم يأت في الكتاب ولا في السنة ما يدل على المعنى الآخر، فلا يجوز إثباته بما يظن أنه معنى الحديث، ولم يرد «كان الله ولا شيء معه» مجردًا، وإنما ورد على السياق المذكور، فلا يظن أن معناه الإخبار بتعطيل الرب تعالى دائمًا عن الفعل حتى خلق السماوات والأرض......................

الشيخ صالح

الجهة الثالثة **المُعتَبَرَة في بحث التسلسل؛ تسلسل الأثر والمؤثر والسبب والمُسَبَّب والعلة والمعلول**: وهذا لابد من النظر فيه وأيضًا نقول: أشهر المذاهب فيه اثنان:

المذهب الأول: مذهب نفاة التعليل والعِلَل والأسباب الذين يقولون: لا أثر لعلةٍ في معلولها، ولا أثر لسببٍ في مُسَبَب، وإنما يفعل الله ﷻ عند وجود العلة لا لكونها علة. وهذا هو مذهب نفاة التعليل، كقول الأشاعرة، والقدرية، وابن حزم، وجماعات.

المذهب الثاني: أنَّ الأسباب تُنتِج مُسبَّباتِها ويتسلسل ذلك، وأنَّ العلة تُنتِجُ معلولاً ويتسلسل ذلك - يعني جوازًا - ولكن ذلك كله بخلق الله ﷻ له، وأنّ التسلسل في الآثار ناتج عن المؤثرات ليس لذاتها، بل لسنة الله ﷻ التي أجراها في خلقه ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣].

المسألة الرابعة:

قوله: (**وكما كانَ بصفاته أزَليًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيها أبديًّا**)، وهذا القول في قوله: (**كانَ بصفاته**) هذا حق؛ لأنَّ أهل السنة يعبرون عن الله ﷻ بأنه ﷻ بصفاته. فيعبرون بالباء المقتضية للمصاحبة؛ لأن الله ﷻ لم تنفكَّ عنه صفاته. (**وكما كانَ بصفاته**) ﷻ فلم يكن ﷻ ولا صفة، بل كان بصفاته، والباء هنا للمصاحبة؛ يعني أنه ﷻ كان أزليًا بصفاته التي هو ﷻ موصوف بها. والمعتزلة وأشباههم يعبِّرون في مثل هذه المسائل عن الصفات بالواو، فيقولون: الله وصفتُه، الله وعلمه، والله وقدرته، الله وحِلمه، الله ورحمته، الله وقهره، وهكذا. فيُعَبِّرُونَ بالواو؛ لِأَنَّ الصفة عندهم منفكة عن الموصوف، فعندهم الصفة غير ملازمة للموصوف وليست قائمة به. ولهذا بَحَثَ الشارح عندك هل الصفات غير الذات؟ والاسم هل هو عين المسمى ونحو ذلك، عَرَضَ لذلك بما نستفيده من بحثه؛ **لأنه نوع من الاستطراد.**

التعليقات ....

.... لَهُ مَعنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلاَ مَربُوب، وَمَعنَى الخَالِقِ وَلاَ مَخلُوق(١) ....

ابن أبي العز الحنفي

.... وأيضًا: فقوله ﷺ: «كان الله ولاشيء قبله، أو معه، أو غيره، وكان عرشه على الماء»، لا يصح أن يكون المعنى أنه تعالى موجود وحده لا مخلوق معه أصلاً؛ لأن قوله: «وكان عرشه على الماء». يرد ذلك، فإن هذه الجملة وهي: «وكان عرشه على الماء» إما حالية، أو معطوفة، وعلى كلا التقديرين فهو مخلوق موجود في ذلك الوقت، فعلم أن المراد ولم يكن شيء من هذا العالم المشهود.

قوله: (له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق).

ش: يعني أن الله تعالى موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد مربوب، وموصوف بأنه خالق قبل أن يوجد مخلوق. قال بعض المشايخ الشارحين: وإنما قال: له معنى الربوبية ومعنى الخالق دون الخالقية؛ لأن الخالق هو المخرج للشيء من العدم إلى الوجود لا غير، والرب يقتضي معاني كثيرة، وهي: الملك والحفظ والتدبير والتربية وهي تبليغ الشيء كماله بالتدريج، فلا جرم أتى بلفظ يشمل هذه المعاني، وهي الربوبية. انتهى. وفيه نظر؛ لأن الخلق يكون بمعنى التقدير أيضًا..

الشيخ صالح

لكن ننبهك إلى أنَّ قوله: (كانَ بصفاته) هو الاستعمال الذي يستعمله أهل السنة، ولا نقول: الله ﷻ وقدرته مثلاً، أو نقول: الله ﷻ وعلمه، فاستعمال الواو في هذا المقام لا يسوغ، بل تُستعمل الباء، فنقول: الله ﷻ بعلمه، الله ﷻ بقدرته؛ لأن الباء تدل على المصاحبة؛ لأن هذه الصفات قائمة بذات الرب ﷻ. قوله: (أزَليًّا) مرّ معنا البحث فيه وأنه منحوت من كلمة (لم يزل).

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان كذلك هو رب قبل أن توجد المربوبات، والرب معناه: المالك والمتصرف والمصلح والسيد، وهذه الصفات لازمة لذاته، يوصف بالربوبية بلا بداية ولا نهاية، قبل وجود المربوبات وبعد فناء المربوبات.

...... وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم(١). ذلك بأنه على كل شيءٍ(٢) قدير..........

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم).

ش: يعني: أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم، إلزامًا للمعتزلة ومن قال بقولهم، كما حكينا عنهم فيما تقدم. وتقدم تقرير أنه تعالى لم يزل يفعل مايشاء.

قوله: (ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾).

ش: ذلك إشارة إلى ثبوت صفاته في الأزل قبل خلقه. والكلام على كل وشمولها وشمول كل في كل مقام بحسب ما يحتف به من القرائن، يأتي في مسألة الكلام إن شاء الله تعالى...

الشيخ صالح

المسألة الخامسة:

قوله في آخر الكلام: (**ذلك بأنَّهُ على كلِّ شَيءٍ قديرٌ، وكلُّ شَيءٍ إليهِ فَقيرٌ، وكلُّ أمرٍ عَلَيهِ يَسيرٌ. لا يحتاجُ إلى شَيءٍ**، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ **هذا تعليل لما مرّ**.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: كما أنه سبحانه يوصف بكونه محيي الموتى في الأزل، وبأنه يحيي ويميت، ولا يكون هذا الوصف معدومًا حتى يكون أحيا الموتى، وإنما هذا له من القديم والأزل، وأما إحياء الموتى فهذا متجدد، أحيا ويحيي سبحانه إذا شاء.

(٢) الشيخ الألباني: قال الشيخ ابن مانع رحمه الله (ص ٧): يجيء في كلام بعض الناس: وهو على ما يشاء قدير وليس ذلك بصواب، بل الصواب ما جاء بالكتاب والسنة: وهو على كل شيء قدير لعموم مشيئته وقدرته تعالى خلافًا لأهل الاعتزال الذين يقولون: إن الله سبحانه لم يرد من العبد وقوع المعاصي، بل وقعت من العبد بإرادته لا بإرادة الله ولهذا يقول أحد ضلالهم:

زعم الجهول ومن يقول بقوله … إن المعاصي من قضاء الخالق

إن كان حقًّا ما يقول فلم قضا … حد الزناء وقطع كف السارق....=

ابن أبي العز الحنفي

...... وقد حرفت المعتزلة المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦]. فقالوا: إنه قادر على كل ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها عندهم، وتنازعوا: هل يقدر على مثلها أم لا؟!

ولو كان المعنى على ما قالوا لكان هذا بمنزلة أن يقال: هو عالم بكل ما يعلمه وخالق لكل ما يخلقه ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها. فسلبوا صفة كمال قدرته على كل شيء...

الشيخ صالح

(ذلك بأنَّهُ على كلِّ شَيءٍ قديرٌ) على إحياء الموتى وعلى إفنائهم، وعلى رزق المخلوقات وجميع ذلك. وقوله: (ذلك بأنَّهُ على كلِّ شَيءٍ قديرٌ) تتعلق به المسألة الخامسة هذه.

وهي أنّ أهل السنة يجعلون قدرة الرب ﷻ متعلقة بكل شيء، واسم الله القدير متعلق بكل شيء، وقدرة الله ﷻ غير محصورة، بل هو سبحانه قادر على ما شاء وعلى ما لم يشأ ﷻ. وهذا هو مذهب أهل الحديث والسنة، وبه جاء القرآن العظيم، فكلّ ما في القرآن تعليق القدرة بكل شيء ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي فيها تعليق القدرة بكل شيء.

أهل البدع وأهل الكلام يُعلِّقون القدرة بما يشاؤه الرب ﷻ. فيقولون: تَعلُّق قدرة الرب ﷻ بما يشاؤه.

ولذلك ترى أنه يعدلون عما جاء في القرآن، بقول: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إلى قولهم: والله على ما يشاء قدير؛ لأن القدرة عندهم متعلقة بما شاءه الله، وليست متعلقة بما لم يشأه، فعندهم قدرة الله تتعلق بما شاء أن يحصل أما ما لم يشأ أن يحصل فإنه لا تتعلق به القدرة.

التعليقات

= وقال أبو الخطاب رحمه الله في بيان الحق:

قالوا فأفعال العباد فقلت ما	**من خالق غير الإله الأمجد**
قالوا فهل فعل القبيح مراده	**قلت الإرادة كلها للسيد**
لو لم يرده وكان كان نقيصة	**سبحانه عن أن يعجزه الردى**

وهذه الإرادة التي ذكرها أبو الخطاب في السؤال هي الإرادة الكونية القدرية، **لا الإرادة الكونية الشرعية**...............=

ابن أبي العز الحنفي

.... وأما أهل السنة، فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا. وأما المحال لذاته، مثل كون الشيء الواحد موجودًا معدومًا في حال واحدة، فهذا لا حقيقة له، ولا يتصور وجوده، ولا يسمى شيئًا، باتفاق العقلاء...

الشيخ صالح

هل الله قادر على أن لا يُوجَد إبليس؟ فيقولون: لا غير قادر.

فإذا قيل: هل الله قادر على أن لا توجد السموات؟ يقولون: لا، غير قادر؛ لأنّ القدرة عندهم متعلقة بما شاءه ﷻ، وما لم يشأه في كونه وفي ملكوته مما لم يحصل بعد أو مما حصل خلافه فإنّ القدرة غير متعلقة به.

ولذلك فيقول قائلهم: ليس في الإمكان أبدع مما كان؛ لأنَّ القدرة عندهم متعلقة بما شاءه الله ﷻ. وهذا القول باطل بوضوح وذلك لدليلين:

○ الدليل الأول: فإن الذي جاء في القرآن كما ذكرنا لك، تعليق القدرة بكل شيء في الآيات التي ذكرت لكم طرفًا منها.

○ الدليل الثاني: أنَّ الله ﷻ قال في سورة الأنعام: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ولما نزلت هذه الآية تلاها ﷺ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قال ﷺ: **«أعوذ بوجهك»** ثم تلا ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال ﷺ: **«أعوذ بوجهك»** ثم تلا ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال ﷺ **«هذه أهون»**....

التعليقات

الشيخ الفوزان: هذا وصف أزلي، لا يقال بأنه ما استفاد القدرة إلا بعد أن خلق وأوجد المخلوقات، بل القدرة صفة أزلية، وإنما كونه أوجد المخلوقات فهذا أثر ناتج من كونه على كل شيء قدير، والله هو الذي وصف نفسه بأنه على كل شيء قدير من الموجودات ومن المعدومات، لم يقيد قدرته بشيء معين، لا يعجزه شيء، ولا يجوز التقييد بأنه قدير على كذا، ولا يقال: إنه على ما يشاء قدير، إنما هذا خاص بجمع الله سبحانه وتعالى لأهل السموات والأرض: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾، وهذه قضية معينة.

.... وكُلُّ شَيءٍ إليهِ فَقيرٌ(١)، ....

ابن أبي العز الحنفي

..... ومن هذا الباب: خلق مثل نفسه، وإعدام نفسه وأمثال ذلك من المحال. وهذا الأصل هو الإيمان بربوبيته العامة التامة، فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادر على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير. وإنما تنازعوا في المعدوم الممكن: هل هو شيء أم لا؟ والتحقيق: أن المعدوم ليس بشيء في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويكتبه، وقد يذكره ويخبر به، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١]، فيكون شيئًا في العلم والذكر والكتاب، لا في الخارج، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٩]، أي: لم تكن شيئًا في الخارج وإن كان شيئًا في علمه تعالى. وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]. ....

الشيخ صالح

وِالله ﷻ لم يشأ أن يبعث على هذه الأمة عذابًا من فوقها أو من تحت أرجلها، فيُهلِككم بسَنَةٍ بعامّة، بل جعل بينهم بأسهم شديد، لحكمته ﷻ العظيمة العلية.

فدلت الآية على أنّ قدرة الله ﷻ تتعلق بما لم يشاء أن يحصل ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾، وهذا لم يشأه الله ﷻ ومع ذلك تعلقت به القدرة. وهذه من الكلمات التي يكثر عند أهل العصر استعمالُها فليتنبه أنها من آثار قول أهل الاعتزال.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: لا شيء يمكن أن يستغني عن الله لا من الملائكة ولا السماوات والأرض ولا الجن ولا الإنس، ولا الجامدات من الجبال ولا البحار، كل شيء فقير إلى الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.

فكل شيء إليه فقير، لا الأولياء ولا السماوات، ومن يقول: إن الأولياء لهم قدرة غير البشر وإنهم يتصرفون في الكون، وإنهم ينفعون ويضرون من دون الله، فذلك من قول الكفرة والمشركين، فليس للأولياء والرسل والملائكة غنى عن الله ولا تصرف من دونه.

وهذا مما يبطل عبادة غير الله من الأصنام ونحوها، كيف تعبد أشياء فقيرة وتنسى الذي بيده ملكوت كل شيء؟ ولهذا لما قال بعض علماء القبورية لعامي من أهل التوحيد: أنتم تقولون: إن الأولياء لا ينفعون ولا يضرون، قال: نقول: إنهم لا ينفعون ولا يضرون، قال: أليس الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾. قال: وهل الله قال: يُرزقون، أو يَرزقون؟ قال: بل قال: ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ بضم الياء، قال: إذن أنا أسأل الذي يرزقهم ولا أسألهم. فانخصم ذلك العالم بحجة العامي الذي هو على الفطرة ....=

.... وكلُّ أمرٍ عليه يسيرٌ(١). لا يحتاجُ إلى شيءٍ(٢): ﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ﴾(٣) [الشورى: ١١]..

ابن أبي العز الحنفي

....وقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾، رد على المشبهة. وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد على المعطلة، فهو سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال، وليس له فيها شبيه - فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير- فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره، ولا يلزم من إثبات الصفة تشبيه؛ إذ صفات المخلوق كما يليق به، وصفات الخالق كما يليق به.

ولا تنف عن الله ما وصف به نفسه وما وصفه به أعرف الخلق بربه وما يجب له وما يمتنع عليه، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم وأقدرهم على البيان. فإنك إن نفيت شيئًا من ذلك كنت كافرًا بما أنزل على محمد ﷺ، وإذا وصفته بما وصف به نفسه فلا تشبهه بخلقه، فليس كمثله شيء، فإذا شبهته بخلقه كنت كافرًا به. قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهًا. وسيأتي في كلام الشيخ الطحاوي رحمه الله ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه.......

الشيخ صالح

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾. فهو يحيي ويميت، ويخلق ويرزق. ويعطي ويمنع، ويحيي الموتى بعد فنائهم، وذلك يسير عليه سبحانه وتعالى، لا يكلفه شيئًا ولا يشق عليه، خلاف المخلوق، فإنه يتكلف بفعل الأشياء، أو يعجز عنها، أما الله فليس شيء عليه صعبًا، ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾.

(٢) الشيخ الفوزان: الله سبحانه غني عن كل شيء، فالله ليس بحاجة إلى الخلق؛ لأنه هو الغني، فهو الذي يعطي الخلق سبحانه.

(٣) الشيخ الفوزان: هذا نفي للتشبيه عن الله سبحانه، والكاف لتأكيد النفي، مثل: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ الأصل: وكفى الله عليمًا، ولكن جاءت الباء للتأكيد، وليس يشبهه شيء من الأشياء، لا الملائكة ولا الأنبياء والرسل ولا الأولياء ولا أي مخلوق: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فسمى نفسه السميع البصير، فالآية في أولها رد على المشبهة، وفي آخرها رد على المعطلة، ودلت على أنه لا يلزم من إثبات الأسماء والصفات التشبيه بالمخلوقات، فسمع وبصر المخلوقات لا يشبه سمع ولا بصر الله عزَّ وجلَّ.

ابن أبي العز الحنفي

.... وقد وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الاعلى، فقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

جعل سبحانه مثل السوء - المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال - لأعدائه المشركين وأوثانهم، وأخبر أن المثل الأعلى - المتضمن لإثبات الكمال كله - لله وحده. فمن سلب صفة الكمال عن الله تعالى فقد جعل له مثل السوء، ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية، والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل - كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان؛ لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير.

واختلفت عبارات المفسرين في المثل الأعلى. ووفق بين أقوالهم من وفقه الله وهداه، فقال: المثل الأعلى يتضمن: الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه. ....

الشيخ صالح

في بعض الأحاديث جاء: «والله على ما يشاء قادر» و«إني على ما أشاء قادر» وهذا الجواب عنه معروف بأنه متعلق بأشياء مخصوصة، وليست تعليقًا للقدرة بالمشيئة، أو أن يقال: قدرته على ما يشاء لا تنفي قدرته على ما لم يشأ ﷻ.

نكتفي بهذا القدر، وأسأل الله ﷻ لي ولكم التوفيق والسداد، في هذا القدر كفاية وإن شاء الله نلتقي في الأسبوع القادم إن شاء الله وفقكم الله جميعًا.

....

ابن أبي العز الحنفي

فها هنا أمور أربعة:

الأول: ثبوت الصفات العليا لله سبحانه وتعالى، سواء علمها العباد أو لا، وهذا معنى قول من فسرها بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والشعور، وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف: إنه ما في قلوب عابديه وذاكريه، من معرفته وذكره، ومحبته وجلاله، وتعظيمه، وخوفه ورجائه، والتوكل عليه والإنابة إليه. وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشركه فيه غيره أصلا، بل يختص به في قلوبهم، كما اختص به في ذاته. وهذا معنى قول من قال من المفسرين: إن معناه: أهل السماوات يعظمونه ويحبونه ويعبدونه، وأهل الأرض كذلك، وإن أشرك به من أشرك، وعصاه من عصاه، وجحد صفاته من جحدها، فأهل الأرض معظمون لله، مجلون خاضعون لعظمته مستكينون لعزته وجبروته. قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦].

الثالث: ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيهها من العيوب والنقائص والتمثيل.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده، والإخلاص له، والتوكل عليه، والإنابة إليه. وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى.

فعبارات السلف كلها تدور على هذه المعاني الأربعة. فمن أضل ممن يعارض بين قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ بين قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾؟ يستدل بقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ على نفي الصفات ويعمى عن تمام الآية وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ حتى أفضى هذا الضلال ببعضهم، وهو أحمد بن أبي دؤاد القاضي، إلى أن أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، حُرِّف كلام الله لينفي وصفه تعالى بأنه السميع البصير كما قال الضال الآخر جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [السجدة: ٤]، فنسأل الله العظيم أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، بمنه وكرمه........

التعليقات
....
....

.... وفي إعراب ﴿ كَمِثْلِهِۦ ﴾ - وجوه:

أحدها: أن الكاف صلة زيدت للتأكيد، قال أوس بن حجر:

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل

وقال آخر:

ما أنا كمثلهم في الناس من بشر

وقال آخر:

وقتلى كمثل جذوع النخيل

فيكون مثله خبر ليس واسمها شيء. وهذا وجه قوي حسن، تعرف العرب معناه في لغتها، ولا يخفى عنها إذا خوطبت به، وقد جاء عن العرب أيضًا زيادة الكاف للتأكيد في قول بعضهم:

وصاليات ككما يؤتفين

وقول الآخر:

فأصبحت مثل كعصف مأكول

الوجه الثاني: أن الزائد مثل أي: ليس كهو شيء، وهذا القول بعيد؛ لأن مثل اسم والقول بزيادة الحرف للتأكيد أولى من القول بزيادة الاسم.

الثالث: أنه ليس ثم زيادة أصلاً، بل هذا من باب قولهم: مثلك لا يفعل كذا، أي: أنت لا تفعله، وأتى بمثل للمبالغة، وقالوا في معنى المبالغة هنا، أي: ليس كمثله مثل لو فرض المثل، فكيف ولا مثل له، وقيل غير ذلك، والأول أظهر.

...... **خَلَقَ الخَلقَ بعِلمِهِ**(١)...

ابن أبي العز الحنفي

.... قوله: (خلق الخلق بعلمه)

ش: خلق: أي: أوجد وأنشأ وأبدع. ويأتي خلق أيضاً بمعنى: قَدَّر. والخلق: مصدر، وهو هنا بمعنى المخلوق. وقوله: بعلمه في محل نصب على الحال، أي: خلقهم عالماً بهم، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ وَهُوَ ﴿٥٩﴾ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٠]. وفي ذلك رد على المعتزلة............

الشيخ صالح

شرع الطحاوي ﷺ في ذكر بعض صفات الرب ﷻ المتعلقة بقدره السابق، وبمشيئته العامة، وأنه سبحانه ذو العلم الكامل المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه، وأنه سبحانه الذي أجرى كل شيء على وفق ما أراد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وهذه المسائل التي سمعتم والجمل متصلة ببحث القَدَر، والمؤلف الطحاوي لم يجمع الكلام في القَدَر في موضع واحد، بل فرقه في نحو ثلاثة مواضع.

ولهذا كان من عيوب هذه الرسالة أنها جرت على وفق ما تيسر لمؤلفها، والترتيب ينفع المُتَلَقِّي لكن بالنسبة لنا سنجري على وفق ما جرى هو عليه، ونذكر ما يفيد إن شاء الله في كل موضع بحسبه.

قال هنا: (**خَلَقَ الخَلقَ بعِلمِهِ، وَقَدَّرَ لهم أقدارًا، وَضَرَبَ لهم آجالاً**) قال: (**خَلَقَ الخَلقَ بعِلمِهِ**) هو سبحانه خلق المخلوقات عالمًا بها غير جاهل بما هي عليه ومتى يئول إليه أمرها.

وأورد هذه الجملة الطحاوي مخالفاً أهل الاعتزال الذين لا يجعلون العلم مصاحباً لصفات الله ﷻ ولأفعاله.

وعلمُ الله ﷻ صفة ملازمة، هو ﷻ عالم بعلمٍ، وخالق بعلمٍ، وقادر بعلم، ورحيم بعلمٍ، يرحم من يشاء عن علمٍ، وهذا العلم صفته ﷻ الملازمة له لا تنفك عنه.

وعلمه سبحانه أوَّل، قبل خلق الخلق كان عالِمَاً، بما يصلح لهم وما تقتضيه حكمته فيهم.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. فخلقه دليل على علمه سبحانه وتعالى وقدرته كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.



ابن أبي العز الحنفي

...... قال الإمام عبد العزيز المكي صاحب الإمام الشافعي رحمه الله وجليسه، في كتاب الحيدة، الذي حكى فيه مناظرته بشرًا المريسي عند المأمون حين سأله عن علمه تعالى: فقال بشر: أقول: لا يجهل، فجعل يكرر السؤال عن صفة العلم، تقريرا له، وبشر يقول: لا يجهل، ولا يعترف له أنه عالم بعلم، فقال الإمام عبد العزيز: نفي الجهل لا يكون صفة مدح، فإن هذه الأسطوانة لا تجهل، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم، لا بنفي الجهل. فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، وعلى الخلق أن يثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه، وينفوا ما نفاه، ويمسكوا عما أمسك عنه.

والدليل العقلي على علمه تعالى: أنه يستحيل إيجاده الأشياء بالجهل، ولأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد: هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزمًا للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم. ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم..............

الشيخ صالح: لهذا قال: (خَلَقَ الخَلقَ بعِلمِهِ) ففي هذا رد على المعتزلة من جهة الصفات، وفيه ردّ أيضًا على القدرية - أعني بهم الذين ينفون علم الله السابق، القدرية الغلاة نفاة القدر - الذين يقولون إنَّ العلم حَدَثَ بعد وجود الأشياء فهو سبحانه عَلِمَ بعد وقوع الأشياء، فَخَلَقَ الخَلق فَفَعَلَ الناس فَعَلِمَ ﷻ ذلك.

واستدلوا على هذه النِّحلة بقوله ﷻ: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]، وبقوله ﷻ في تحويل القبلة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ونحو ذلك من الآيات التي فيها تعليل بعض الأحكام الكونية أو الأحكام الشرعية وحصول الأشياء بأن يعلم الله ﷻ ذلك.

قال ﷻ في هذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾. فزعموا أنّ هذه الآيات وأشباه هذه الآيات تدل على أنه ﷻ لا يعلم الأشياء إلا بعد أن تقع.

...... ولأن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً. وهذا له طريقان:

أحدهما: أن يقال: نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وأن الواجب أكمل من الممكن، ونعلم ضرورة أنا لو فرضنا شيئين، أحدهما عالم والآخر غير عالم - كان العالم أكمل، فلو لم يكن الخالق عالماً لزم أن يكون الممكن أكمل منه، وهو ممتنع..

وأهل السنة مثبتون لعلم الله ﷻ الكُلّي بالأشياء ولِعِلمِ الله ﷻ التفصيلي بأجزاء الأشياء وحوادثها المفردات. وإذا عُلِّلَ شيء في القرآن أو في السنة لكي يعلم الله ﷻ ذلك الشيء فإن معناه عندهم - بما دلت عليه الأدلة - معناه حتى يَظهَرَ عِلمُ الله في الأشياء في هذه الأمور ليقع حسابُه وليقع تعذيبه أو تنعيمه أو نحو ذلك، يعني إظهار ما تنقطع به الحجة.

فقوله سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ يعني إلا ليظهر علمنا فيمن اتبع الرسول ممن انقلب على عقبيه؛ لأنَّ الله ﷻ لو آخذ العباد، وحاسبهم على علمه السابق فيهم لكان لهم حجة.

فهو سبحانه جعل هذه الأشياء مع علمه السابق بما سيفعله العباد لكي يظهر علمه فيهم.

فجاء إذاً هنا (لكي) في قوله: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ حتى يظهر العِلمُ فيكون ذلك حجة على الناس. وهذا ظاهر بَيِّن أنَّ علم الله ﷻ للأشياء قبل وقوعها، قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحج: ٧٠].

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

.... الثاني: أن يقال: كل علم في الممكنات، التي هي المخلوقات - فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه بل هو أحق به. والله تعالى له المثل الأعلى، ولا يستوي هو والمخلوقات، لا في قياس تمثيلي، ولا في قياس شمولي، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى..................

الشيخ صالح

هذا وفي الآية الأخرى ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [العنكبوت: ٥٢]، وهذا يدلك على أنَّ الله ﷻ عَلِم قبل الكتابة، والكتابة متأخرة على العلم، وهذا الذي يجعلنا نقول أنّ علم الله ﷻ أول بالأشياء. وهنا يُقَيَّدُ ذلك بعلم الله ﷻ بما أراده ﷻ.

فإذا أراد الله ﷻ شيئاً علم تفصيلاته، وخلق المخلوقات وخلق الأشياء بعلمه؛ يعني على وَفق علمه ﷻ بها، وهو عالم بها غير جاهل بها. ولهذا قرأتم أو قرأ بعضكم ما في مناظرات المعتزلة مع أهل السنة في أنَّ المعتزلة يقولون في أسماء الله ﷻ إنه سبحانه مثلاً عالم بغير علم، وخالق بغير خلق، وحي بغير حياة، وهكذا، يجعلون الصفات مخلوقات منفصلة.

فعندهم العلم هو المعلومات. فتعلقت الصفات التي يثبتونها بالمعلوم فصار عالماً، لا لعلم حدث فيه. وذلك فرارًا منهم من مسألة حدوث مفردات العلم.

لأنَّ العلم له مفردات وإذا حلت المفردات - يعني عَلِمَ هذه - معناه أنه حل به عِلمٌ بهذا الشيء الذي حصل، أو تعلق به خَلقُ هذا الشيء، فكأنه ﷻ صارت له صفة لم تكن له من قبل.

وهذا يستلزم التركيب، والتركيب يستلزم الجسمية، والجسمية تنافي ألوهية الرب ﷻ كما هو مقرر في موضعه.

المقصود أنَّ قوله (خَلَقَ الخَلقَ بعِلمِهِ) ظاهر معناه أنه خلق سبحانه المخلوقات وهو عالم بها، وهو ﷻ عَلِمَ قبل خلقها، وأيضا يعلمها بعد خلقها.

التعليقات

.... وَقَدَّرَ لَهُم أَقدارًا [١] ....

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (وقدر لهم أقدارا).

ش: قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٢، ٣]. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»........

الشيخ صالح

ثم قال ﵀ (وَقَدَّرَ لهم أَقدَارًا) يعني قَدَّرَ للخلق أقداراً، وذلك لقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]، ولقوله سبحانه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢]، وقال ﷻ أيضًا ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى:١-٣]، والإيمان بِقَدَرِ الله ﷻ هذا ركن من أركان صحة الإيمان، فهو واجب لأنَّ التكذيب به باطل كما سيأتي مفصلاً في موضعه.

فقول المؤلف (وَقَدَّرَ لهم أَقدَارًا) يعني أنه جعل للمخلوقات أقداراً، لا تُحَصِّل المخلوقات ما هي عليه بلا ترتيبٍ سابق، بلا تقدير سابق.

وهذا يشمل أشياء -يعني تقدير الأقدار لهم- يشمل أشياء:

○ الأول: تقدير ما به تمام خلقهم، فإنَّ الله ﷻ قَدَّرَ لكل مخلوق خِلقَة يكون عليها، ووصوله إلى غاية هذه الخِلقَة أيضا يحتاج إلى تقدير، فالجنين لا يخرج من بطن أمه إلا وقد سبقه تقدير تفصيلي لكل المراحل التي سيمر بها وما يَعرِضُ له مِن كمال أو نقص، كما قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد:٨].

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: قدر الله جل وعلا المقادير، ولم يوجد هذه الأشياء بدون تقدير: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، فكل شيء قدره الله بمقادير وكيفيات لا تختلف ولا تتغير، فالإنسان قدر الله جسمه وحواسه وأعضاءه وتركيبه وأوزانه، حتى صار إنساناً معتدلاً يمشي ويقف ولو اختل شيء من أعضاء هذا الإنسان أو من تراكيبه اختل الجسم، وكذلك سائر الكائنات ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾، فلكل شيء مقادير ينضبط بها، ولكل شيء مقادير تختلف عن مقادير الآخر.

○ الثاني: أنَّ مقادير المخلوقات مُقَدَّرَة في الصفات التي تكون عليها المخلوقات من الغرائز والأحوال التي يسميها الآخِرون الأعراض، فكل الأعراض التي تَعرِضُ على الذوات قَدّرَهَا الله ﷻ، فَقَدَّرَ الألوان بتفصيلاتها، و قَدَّرَ الصفات من الحرارة واليبوسة، و قَدَّرَ الذكاء، وقَدَّرَ تفصيلات الحياة التي في المخلوق بجميع أحواله، سواء في ذلك المخلوقات التي حياتها بالروح، أو المخلوقات التي حياتها بالنماء، أو المخلوقات الجامدة عن الحركة الظاهرة.

○ الثالث: قَدَّرَ الله ﷻ على المكلَّفين من مخلوقاته ما هم عليه من الشقاوة ومن السّعادة ومن الهدى ومن الضلال، ولهذا قال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى:٢-٣]، فَرَتَّبَ الهداية بعد التقدير لأنه عنى بالتقدير هنا المرتبتين الأُولين؛ لأنه جعلها بعد قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ يعني جعل الخلق على نهايته يعني سَوَّاه، يعني جعله على نهايته المقدرة له، ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ يعني لِمَا خلق من الأشياء الغريزية والخلقية فهدى للطريقين.

إذا تبين لك ذلك فالله ﷻ قَدَّرَ للأشياء المقادير، وتعبير المؤلف بقوله (**قَدَّرَ لهم**) هذا مناسب من لو قال: قَدَّرَ عليهم أقدار لأنَّ التقدير لهم يشمل ما سيكونون عليه من خير أو شر.

إذا تبين هذا ففى قوله (وَقَدَّرَ لهم أقدارًا) مسائل:

المسألة الأولى:

القَدر معناه في اللغة: تهيئة الشيء لما يصلح له، فإذا هيأت شيئاً لما يصلح له فقد قَدَّرتَهُ.

وتقول أُقَدِّر أن يكون كذا وكذا، يعني هَيَّأتَ هذا الأمر على أن يكون كذا وكذا، فتكون داخلاً في هذا الأمر بتقدير، إذا دخلت فيه بتهيئة.

وهذا هو المعنى اللغوي العام كما قال سبحانه: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت:١٠]، والآيات في هذا كثيرة ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد:٨]، ونحو ذلك.

التعليقات

أما في الشرع: **فالقَدَر**: سرّ الله ﷻ الذي لم يُطلِع عليه أحداً، لم يُطلِع عليه ملكاً مُقَرَّباً، ولم يُطلِع عليه نبياً مرسلاً، بل هو سر الله ﷻ، الذي لا يعلمه على وجه الكمال أحد. وتعريف القدَر اختلف فيه الناس، وحتى تعريفه عند المنتسبين للسنة مُختَلِف. لكنه عُرِّف بتعريف أُخِذَ من مراتب القدر التي جاءت الأدلة على مفرداتها.

فقيل في تعريف القدر عند أهل السنة: إنه علم الله السابق بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لذلك في اللوح المحفوظ قبل خلقها وإيجادها، ومشيئته النافذة الشاملة، وخَلقهُ ﷻ لكل ما قدَّر، أو خَلقهُ ﷻ لكل شيء.

وهذا يشمل المراتب جميعا وسيأتي ذكر مراتب القدر ودرجاته في موضعه فيما نستقبل من هذه الرسالة.

المسألة الثانية:

أنّ القَدَر - لَمَّا كان هذا أول موضع فيه - يجب أن يُبحَث من جهة النصوص فقط؛ لأنَّ النبي ﷺ صحّ عنه أنه قال: «**إذا ذُكر القدر فأمسكوا**» يعني فأمسكوا عن الخوض فيه بما لم يَدُلُّكم عليه كلام الله ﷻ أو كلام نبيكم ﷺ.

فإذا تكلمنا في القَدَر أو خاض المرء فيه بعقله وفهمه فيجب أن لا يَتَعَدَّى ما دلت عليه النصوص، وذلك لأن تجاوز ما دلت عليه النصوص في باب القَدَر بسببه ضَلَّ الناس.

وهذا الخوض يسبّب الضلال، إذا تَعَرَّضَ الناظر لأمور تسبب له الضلال في القدر:

○ الأمر الأول: الخوض في أفعال الله ﷻ بالتعليل. إذا خاض في أفعال الله ﷻ بالتعليل الذي يظهر له دون حجة فإنه يضل، لأنّ أفعال الله ﷻ صفاته ﷻ، وهي مرتبطة عندنا بعلل توافق حكمة الربّ ﷻ، والمخلوق لا يفهم من تعليل الأفعال إلا بما أدركه أو بما يصل إليه إدراكه. بما أدركه يعني يرى مثيله، علّلَ هذا بهذا لأنه مرّ عليه، أو أدركَهُ بما شاهد، أو أنَّهُ يصل إليه إدراكه بالمعلومات المختلفة التي يُقَدِّرُها.

وقد قدمنا لكم أنّ الأساس في صفات الله ﷻ أنه لا يُدرَكُ كيفية الاتصاف بالصفات، كما لا يُدرَكُ كمال معرفة حكمة الله ولا كمال التعليل. ولهذا من خاض في التعليلات، في الأفعال بالعِلَل، فإنه لابد أن يخطئ إذا تجاوز ما دلّ عليه الدليل.

التعليقات

والعلل قسمان: عِلَل كونية وعِلَل شرعية.

وأفعال الله مُعَلّلة لا شك: أفعال الله في ملكوته مُعَلَّلَة و أفعال الله ﷻ في شرعه - يعني أحكام الله ﷻ في الشريعة مُعَلَّلَة، يعني الشرعيات في الغالب مُعَلَّلَة.

إذا تبين لك ذلك فإن الخوض في التعليلات، في الأفعال بالعِلَل هو سبب ضلال الفِرَق المختلفة في باب القَدَر، هو سبب ضلال القدرية المشركية، وهو سبب ضلال القدرية الغلاة النافية للعلم، وهو سبب ضلال القدرية المتوسطين أو المعتزلة؛ لأنَّ الفِرَق الرئيسية في القَدَر ثلاث كما سيأتي بيانه:

- قدرية مشركية: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأنعام:١٤٨].
- وقدرية غلاة: نفاة العلم الذين قالوا إنَّ الأمر أُنُف ولا يَعلَمُ الأشياء.
- وقدرية متوسطة: وهم المعتزلة في باب القَدَر الذين لم ينفوا كل مراتب القَدَر، لم ينفوا العلم السابق كما سيأتي تفصيله في موضعه.

وكل هذه الفرق خاضوا في مشيئة الله وإرادته والتعليلات بعقولهم، فَلَمَّا لم يفهموا التعليل ضلوا، كما قال شيخ الإسلام في تائيته القدرية:

وأصلُ ضلالِ الخَلقِ مِن كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ في فعلِ الإلهِ بعلَّةِ
فإنَّهمُ لم يَفهَموا حِكمَةً لَهُ ... فصاروا على نَوعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

فإذاً الأمر الأول من أسباب الضلال في هذا الباب الخوض في الأفعال. لِمَ أغنى؟ ولِمَ أفقر؟ ولِم أصحّ؟ لِمَ خلقَ هذا الشيء على هذا النحو؟ لِم أعطى؟ لِم شرع؟ لِم جعل هذه الأمة كذا وهذه الأمة كذا؟ لِم جعل الأرض كذا؟ لِم جعل الجنة كذا؟ لِم جعل مصير هذا كذا؟ إلى آخره، كل هذا إذا خاض فيه العبد فإنه باب ضلال لأنّ القَدَر سر الله ﷻ.

○ الأمر الثاني: قياس أفعال الله ﷻ على أفعال المخلوقين، أو جعل ميزان تقدير الله على وجه الكمال والصحة هو ميزان تقدير المخلوقين. فإنَّ العباد إذا نظروا في فِعلِ المخلوق وفي تقديره وتصرفاته فإنهم يجعلون الصواب والكمال في حق المخلوق على نحو ما، فإذا نقلوا هذا الذي أدركوه في المخلوق إلى فِعلِ الله ﷻ فإنه أُتِيَ بابٌ كبير من أبواب الضلال - يعني حصل باب كبير من أبواب الضلال.

التعليقات

كما حصل للقدرية من المعتزلة وأشباههم، فإنهم قاسوا أفعال الله بأفعال خلقه، فأوجبوا على الله ﷻ فعل الأصلح بما عهدوه من فعل الإنسان، وأوجبوا على الله ﷻ العدل ونفوا عنه الظلم بما عهدوه من فعل الإنسان.

ولهذا قالوا إنَّ الله ﷻ يجب عليه فعل الأصلح، وإنه يَحسُنُ في فعل الله كذا، ويقبح كذا، فما حسَّنَتهُ عقولهم بما رأوه في البشر حَسَّنُوهُ في فعل الله، وما قبَّحَتهُ عقولهم من أفعال المخلوقين قَبَّحُوهُ في فعل الله، فنفوا أشياء عن الله ﷻ ثابتة له لأجل هذه المسائل الثلاثة التي ذكرتها لكم:

- مسألة التحسين والتقبيح.
- مسألة الصالح والأصلح.
- مسألة الظلم والعدل.

فهذه المسائل الثلاث هي أعظم أبواب ضلال القدرية، ولهذا يجب أن لا يَدخُلَ فيها المكلف إلا بما دلت عليه النصوص. والأصل في هذا أَنَّ اللهِ سبحانه لا يُشَبَّهُ بِخَلقِهِ في أفعاله ولا في صفاته، كما قال سبحانه ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾.

○ الأمر الثالث: مما ينبغي مراعاته في بحث القَدَر وإذا قرأت في هذا الباب، أنَّ العلماء الذين تكلموا في مسائل القَدَر من المتقدمين من علماء السلف، فصنفوا فيه كابن أبي داود، بل قبله ابن المبارك، ومن كَتَبَ في ذلك في مصنفات مستقلة، أو ضمن كتب السنة الأخرى، أو من صَنَّفَ من المتأخرين في هذا الأمر يجب أن تَنظُرَ إلى كلامه على أنه قابل للأخذ والرد إذا دخل في أمرٍ عقلي لا دليل عليه.

إذا دخل في أمر عقلي لا دليل عليه من كلام الله ﷻ أو كلام رسوله ﷺ فتوقف؛ لأننا وجدنا أَنَّ طائفة من الناس أخذوا كلام من وثقوا به من أهل العلم في مسائل القَدَر على أنه مُسَلَّم لَمَّا كان منتسبا إلى السنة؛ لكنه خاض باجتهاده في بعض المسائل من جهة العقل، فيأتي الناظر فلا يدرك كلامه على وجه التمام، أو يكون ذاك مخطئا فيتابعه هذا وينسبه إلى السنة. والسنة في باب القَدَر هي ما دل عليه القرآن وحديث المصطفى ﷺ فحسب، وما زاد عنه فيجب الإمساك عنه.

قد يحتاج طالب العلم إلى التفصيل العقلي بما دلت عليه النصوص والإلزامات، بما علم من النصوص في مقام الرد علىَ المخالفين، لا في مقام التقرير.

فإذاً ينبغي أن يُفهَم كلام أهل العلم على مرتبتين:

- ❑ المرتبة الأولى: مقام تقرير مسائل القَدَر.
- ❑ والمرتبة الثانية: مقام الرد على الخصوم في القَدَر.

فإذا كان المقام مقام تقرير للاعتقاد الصحيح في القَدَر فلا يجوز أن يُتَجَاوَزَ القرآن والسنة، لا يجوز أن يُتَجَاوَزَ كلام الله ﷻ وحديث المصطفى ﷺ؛ لأن القدر سر الله ﷻ.

المسألة الثالثة:

قبل أن نخوض أو نبحث هذا الموضوع نعطيك تصور عام وسيأتي له تفصيل، فالفِرَق في هذا الباب المنتسبة للأمة ثلاث فِرَق:

- ❑ الفرقة الأولى: القَدَرِيَّة.
- ❑ الفرقة الثانية: الجبرية.
- ❑ الفرقة الثالثة: أهل السنة والجماعة.

والقدرية طوائف كثيرة منهم الغلاة، ومنهم المتوسطون.

وقولنا عنهم قَدَرِيَّة، نعني به نفاة القَدَر، ننسبهم للقدر؛ لأنهم نفوه، قال أهل العلم عنهم قَدَرِيَّة لأنهم نفوا القَدَر:

- ❑ منهم من نفى العلم
- ❑ منهم من نفى عموم المشيئة
- ❑ أو عموم خلق الله ﷻ لكل شيء
- ❑ ومنهم الجبرية الذين قالوا إنّ العبد مجبور.

التعليقات

وهؤلاء الذين قالوا إنَّ العبد مجبور:

- منهم الغلاة كالجهمية وغلاة الصوفية الذين يقولون هو كالريشة في مهب الريح.
- ومنهم المتوسطون الذين قالوا هو مجبور في الباطن ومختار في الظاهر وهم الماتريدية والأشاعرة.

والمؤلف الطحاوي ينتمي في الجملة في المسائل المُشكِلَة إلى الماتريدية، ولهذا ينبغي أن يُنتبه لكلامه في المواطن ذات الزلل كمسألة القَدَر، هل قرَّرَهَا على وجه الجبر أم على وجه كلام أهل السنة والجماعة كما سيأتي.

المسألة الرابعة:

نختم بها قوله (**قَدَّرَ لهم أَقدَارًا**) أنَّ هناك ألفاظاً تستعملها الطوائف جميعا في مبحث القَدَر، ولكل طائفة قصد ومصطلح في استعمالها، وهذه يجب عليك أن تنتبه لها.

مثال ذلك (مسألة الكَسب)، فإنَّ الكسب عند أهل السنة له معنى، وعند الأشاعرة والماتريدية له معنى، وعند المعتزلة له معنى.

فَلَفظٌ واحد يرد في كتب أهل السنة، ويرد في كتب الأشاعرة والماتريدية، ويرد في كتب المعتزلة، وكل له في هذا المقام اصطلاحه ومعناه.

كذلك (نفوذ المشيئة، مشيئته نافذة)، هذا عند المعتزلة له معنى، وعند الأشاعرة والماتريدية له معنى، وعند أهل السنة له معنى، نفوذ المشيئة، عموم المشيئة، شمول المشيئة.

فالقدرية يعنون بذلك معنى - يعني المعتزلة ومن نفوا القَدَر - والجبرية يصرفونه لمعتقدهم، وأهل السنة يذكرونه على ما دلت عليه النصوص.

المقصود من هذه المقِدمات دخولك في هذه المباحث المهمة؛ لأننا في تقرير هذه العقيدة الطحاوية نريد أن ننتقل بك من سرد المعلومات التفصيلية فقط في معتقد أهل السنة إلى ما يفتح لك آفاقا في رؤية كتب أهل العلم في الاعتقاد بعامة؛ لأن الأصل أنَّ الذين يحضرون معنا سبق أن حضروا كتب كثيرة يعني كالواسطية وما قبلها في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة.

فتنبه إلى أَنَّ الألفاظ في باب القَدَر متشابهة لكن المعاني مختلفة. إذا قرأت كتاباً من كتب التفسير في الآيات التي فيها عموم المشيئة، في الهدى والضلال، في عموم خلق الله ﷻ، الله خالق كل شيء، في التفضيل، إذا قرأت كلاما لمفسر سلفي قد يستعمل العبارات التي يستعملها الأشعري أو يستعملها المعتزلي، وكل له اصطلاحه، ولهذا قال من قال عن كتاب ''الكشّاف'' للزمخشري إنه دسّ فيه مذهب المعتزلة في الصفات وفي القدَر وهو أعظم بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير. هذه المسائل بتفصيلاتها تأتي إن شاء الله تعالى في مواضعها.

التعليقات

.... وضرب لهم آجالا(٣)..

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (وضرب لهم آجالاً)

ش: يعني: أن الله سبحانه وتعالى قدر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ **[الأعراف: ٣٤]**. وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ **[آل عمران: ١٤٥]**..........

الشيخ صالح

قال ﷺ بعد ذلك (وَضَرَبَ لهم آجَالاً)، الآجال جمع أجل، وضَربُ الآجال معناه: أنه ﷻ جعل لكل شيء أجلاً ينتهي إليه فما من شيء إلا وله أجل ينتهي إليه المراد من خلقه. فالسماوات لها أجل والأرض لها أجل تنتهي إليه، وهكذا مخلوقات الله ﷻ، ومنها ما جعل الله ﷻ له أجل يعلمه سبحانه ولا يعلمه العباد قد يطول جدًّا وقد لا يكون له نهاية، بعلم الله ﷻ له. الآجال غير الأعمار فالعمر أخص من الأجل، ولهذا قال من قال من أهل العلم إنَّ الأجل في القرآن لا يقبل التغيير ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٩]، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ [يونس: ٤٩] في الأمم، وقال ﷻ في العمر ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [فاطر: ١١]، وهذا يدلك على أنَّ الله ﷻ ضَرَبَ آجَالاً وجعل أعماراً.

والجمع بين هذا وهذا عند طائفة من المحققين من أهل العلم أنَّ الأجل لا يقبل التعديل ولا التغيير، وأما الأعمار فهي قابلة لذلك، بأسباب أناط الله ﷻ بها التغيير في قَدَرِهِ السابق، كما قال سبحانه: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨]، ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩]. فإذاً أجَل العباد، وأجَل المخلوقات، وأجَل الأمم هذا هو الذي في اللوح المحفوظ، لا يقبل التغيير، ولا يقبل التبديل، جعله الله ﷻ على هذا النحو على ما اقتضته حكمته ﷻ، وأما الأعمار فإنها تقبل التغيير.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: المخلوقات لها آجال ولها نهاية، قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، كل شيء له عمر محدود، حدده الله -سبحانه- إما قصير وإما طويل، قال سبحانه: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، فالأعمار بيده سبحانه وتعالى، وهذا يدل على كمال ربوبيته وكمال قدرته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

ابن أبي العز الحنفي

.... في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها: «اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل أجله، ولن يؤخر شيئًا عن أجله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار وعذاب في القبر كان خيراً وأفضل» فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب. والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة.

وعند المعتزلة: المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله فكأن له أجلان وهذا باطل، لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب، ووجوب القصاص والضمان على القاتل، لارتكابه المنهي عنه ومباشرته السبب المحظور.........................

الشيخ صالح

وقَبُولها للتغيير لما في التقدير السنوي للعباد؛ لأنَّ القَدَر منه قدر عام وهو الأصل العظيم، وهو ما جاء في قوله ﷺ: «**قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**» هذا التقدير العام في اللوح المحفوظ. ومنه تقدير خاص، التقدير الخاص يختلف فيه تقدير لكل مخلوق في رحم أمه، وثَمَّ تقدير سنوي في ليلة القدر، وثَمَّ تقدير يومي أيضا لما يفعله العباد، إذا تبين ذلك فإنَّ التقدير الذي يقبل التغيير هو ما في صحف الملائكة.

وهذا الذي يُحمَلُ عليه قول الله ﷻ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]. بعض أهل العلم في التفسير فَهِمَ الآية أنَّ معناها وما يعمر من مُعمَّرٍ ولا يُنقص من عمر مُعَمَّرٍ آخر إلا في كتاب، وأنّ تعمير المعمر يكون بسببٍ قد قُدِّر هو والتعمير معا، فيكون قد عُمِّر، لا بالنسبة إلى أنه كان عمره ليس بطويل فأطيل فيه.

التعليقات

....

...... وعلى هذا يخرج قوله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر» أي: سبب طول العمر. وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب الى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا، كما قلنا في القتل وعدمه.

فإن قيل: هل يلزم من تأثير صلة الرحم في زيادة العمر ونقصانه تأثير الدعاء في ذلك أم لا؟

فالجواب: أن ذلك غير لازم، لقوله ﷺ لأم حبيبة رضي الله عنها: «قد سألت الله تعالى لآجال مضروبة» الحديث، كما تقدم. فعلم أن الأعمار مقدرة، لم يشرع الدعاء بتغييرها، بخلاف النجاة من عذاب الآخرة. فإن الدعاء مشروع له نافع فيه، ألا ترى أن الدعاء بتغيير العمر لما تضمن النفع الآخروي - شرع كما في الدعاء الذي رواه النسائي من حديث عمار بن ياسر عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي... »، إلى آخر الدعاء....

الشيخ صالح

وهذا يخالف ما جاءت به السنة الصحيحة من قول المصطفي ﷺ: «من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»، وبقوله ﷺ فيما صح عنه: «ولا يزيد العمر إلاّ البر». قال هنا: «من سرّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره» يعني أنَّ زيادة الأرزاق منوطة بسبب، وأن تعمير المعمَّر زيادة في عمره، نَسءُ الأثر هذا مربوط بسبب، وهذا هو الذي ارتبط بالأعمار وبالآثار.

التعليقات

...... ويؤيد هذا ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه». وفي الحديث رد على من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر، وقال: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل».

واعلم أن الدعاء يكون مشروعاً نافعاً في بعض الأشياء دون بعض، وكذلك هو. وكذلك لا يجيب الله المعتدين في الدعاء. وكان الإمام أحمد رحمه الله: يكره أن يدعى له بطول العمر، ويقول: هذا أمر قد فرغ منه.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [فاطر: ١١]، فقد قيل في الضمير المذكور في قوله تعالى: ﴿ مِنْ عُمُرِهِۦٓ ﴾ أنه بمنزلة قولهم: عندي درهم ونصفه، أي: ونصف درهم آخر، فيكون المعنى: ولا ينقص من عمر معمر آخر، وقيل: الزيادة والنقصان في الصحف التي في أيدي الملائكة، وحمل قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٨، ٣٩]......

أما الآجال فلا، الآجال لا تقبل تغييراً، لأنها هي الموافقة لما في اللوح المحفوظ، يعني الأجل الذي إليه النهاية، أما العمر فهذا يقبل التغيير. ولهذا صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى في سورة الرعد ﴿ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد: ٣٩] أنه في صحف الملائكة، ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩] يعني اللوح المحفوظ وهذا واضح. فقول المؤلف ﷺ (وَضَرَبَ لهم آجَالاً) يعني ما كان من التقدير السابق قبل خلق السماوات والأرض.

.......ولم يخف عليه شيءٌ قبل أن يخلُقهم(١)، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم(٢)...

ابن أبي العز الحنفي

.... على أن المحو والاثبات من الصحف التي في أيدي الملائكة، وأن قوله: ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ اللوح المحفوظ. ويدل على هذا الوجه سياق الآية. وهو قوله: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾، ثم قال: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾، أي: من ذلك الكتاب، ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، أي: أصله، وهو اللوح المحفوظ. وقيل: يمحو الله ما يشاء من الشرائع وينسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، والسياق أدل على هذا الوجه من الوجه الأول، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ فأخبر تعالى أن الرسول لا يأتي بالآيات من قبل نفسه، بل من عند الله، ثم قال: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾، أي: أن الشرائع لها أجل وغاية تنتهي إليها، ثم تنسخ بالشريعة الأخرى، فينسخ الله ما يشاء من الشرائع عند انقضاء الأجل، ويثبت ما يشاء. وفي الآية أقوال أخرى، والله أعلم بالصواب.....................

الشيخ صالح

قال (ولم يَخف عليهِ شَيءٌ قبلَ أن يَخلُقَهُم. وَعَلِمَ ما هُم عَامِلُونَ قبلَ أن يَخلُقَهُم) (لم يَخف عَليهِ شَيءٌ قبلَ أن يَخلُقَهُم) هذا عام يعني من الطاعات ومن المعاصي، من الخير ومن الشر، مما سيعملون، ومما لم يعملوه لو عملوه كيف يكون، فإنه ﷻ يعلم أحوال الخلق على وجه التفصيل، فيما سيعملون وفيما لم يعملوه، ومثاله قول الله ﷻ: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [الكهف: ٨٠-٨١]. إذاً فالله ﷻ تَعلق علمه بكل شيء.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: بل هو عالم بالأشياء قبل أن توجد، لا أنه لا يعلمها إلا بعد أن وُجدت.

(٢) الشيخ الفوزان: علم ما يعمل العباد قبل خلقهم، أن هذا من أهل الطاعة وهذا من أهل المعصية.

..... قوله: (ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم).

ش: فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون و ما لم يكن أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٨]. وإن كان يعلم أنهم لا يردون، ولكن أخبر أنهم لو ردوا لعادوا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣]. وفي ذلك رد على الرافضة والقدرية، والذين قالوا: إنه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويوجده. وهي من فروع مسألة القدر، وسيأتي لها زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.........................

قال: (**لم يَخف عَليهِ شَيءٌ قَبلَ أَن يَخلُقَهُم. وَعَلِمَ ما هُم عَامِلُونَ قَبلَ أن يَخلُقَهُم**) لم؟ لأنه سبحانه بكل شيء عليم، كما قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقوله: ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ هذا عموم لا يخرج منه شيء، والأشياء كما فسّرناها لكم قبل ذلك جمع شيء، والشيء ما يصح أن يعلم أو يئول إلى العلم.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ يعني بكل ما يصح أن يُعلَم أو ما يؤول إلى أن يُعلَم هو بكل شيء عليم ﷻ، لهذا قال علماؤنا، عِلمُ الله ﷻ متعلق بكل شيء:

١- عَلِمَ ما سيكون

٢- عَلِمَ ما لا يكون.

٣- عَلِمَ ما قَدَّرَ ألا يكون، لو حصل كيف يكون.

فهذه الثلاث فيها مخالفة للقدرية والمعتزلة في مذاهبهم -عَلِمَ ما سيكون وما لم يكن- يعني والذي لا يكون أيضاً عَلِمَهُ ﷻ؛ لأنه اختار أن يكون الأمر على نحو كذا، وهو عَلِمَ ما سيكون والذي لا يكون أيضاً عَلِمَهُ ﷻ، وعَلِمَ ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣].

.... وَأَمَرَهُم بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُم عَن مَعصِيَتِهِ(١)........................

ابن أبي العز الحنفي

.... قوله: (وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته).

ش : ذكر الشيخ الأمر والنهي ، بعد ذكره الخلق والقدر ، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]..

الشيخ صالح

قال ﷺ بعد ذلك: **(وأَمَرَهُم بِطَاعَتِهِ، ونَهَاهُم عَن مَعصِيتِه)** هذا تعليق للأشياء بالأمور الشرعية. يعني أنَّ الخَلقَ والعِلم والتقدير السابق وضَرب الآجال هذا نافذ فيهم، ومع ذلك أَمَرَهُم سبحانه بطاعته ونهاهم عن معصيته ﷻ. وهذا الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية أراد منه مخالفة المعتزلة في أنَّ الأمر بالطاعات والنهي عن المعاصي أنه جاء عقليًّا وليس شرعيًّا، ولكن الحق أنَّهُ إنما جاء في الشرع لا في العقل. لبسط هذه المسائل تفصيل يأتينا إن شاء الله في موضعه.

هذه كلها الذي قدمناه من أول العقيدة إلى الآن وإلى قوله: **(وإنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المصطَفى)** هذه كلها مقدمات ما دخلنا في تفصيل الكلام على معتقد أهل السنة والجماعة في مواضعه.

لذلك أنا أرجئ الكلام على تفصيلات القَدَر ومسائله في موضعه حتى يكون لك في مكانه مجتمعاً غير ما ذكرناه في هذا الموضع.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان : كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، خلقهم أولاً، ثم أمرهم بعبادته سبحانه وتعالى، فهو سبحانه أمرهم بطاعته، مع أنه يعلم ما هم عاملون من قبل، ولكن الجزاء لا يترتب على العلم، وإنما الجزاء يترتب على العمل، فالله لا يعذب العبد بحسب العلم، إلا إذا وقع منه الذنب، ولا يكرم المحسن حتى يقع منه الفعل؛ فالجزاء مرتب على العمل، لا على العلم ولا على القدر، ففرق بين العلم وبين الجزاء، ولذلك أمرهم الله ونهاهم، فمن أطاع الأوامر وترك النواهي حصل على الثواب، ومن خالف الأوامر وارتكب النواهي حصل على العقاب بأفعاله هو لا بأفعال الله سبحانه، فالعبد هو المصلي والمزكي والحاج والمجاهد، فالأعمال تنسب إليه لا إلى الله، إلا من جهة الخلق والعلم والتقدير والتوفيق.

... وكل شيء يجري بتقديره(١) ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، ....

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن)

ش : قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢].........................

الشيخ صالح

....

التعليقات

(١)الشيخ الألباني : يعني أن مشيئته تعالى وإرادته شاملة لكل ما يقع في هذا الكون من خير أو شر وهدى أو ضلال والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة يمكن مراجعتها في الشرح وغيره . . . والمقصود بهذه الفقرة الرد على المعتزلة النافين لعموم مشيئته تعالى. لكن يجب أن يعلم أنه لا يلزم من ذلك أن الله تعالى يحب كل ما يقع فالحب غير الإرادة وإلا كان لا فرق عند الله تعالى بين الطائع والعاصي وهذا ما صرح به بعض كبار القائلين بوحدة الوجود من أن كلاً من الطائع والعاصي مطيع لله في إرادته ومذهب السلف والفقهاء وأكثر المثبتين للقدر من أهل السنة وغيرهم على التفريق بين الإرادة والمحبة وإلى ذلك أشار صاحب قصيدة " بدء الأمالي " بقوله :

مريد الخير والشر القبيح ... ولكن ليس يرضى بالمحال

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ثم قالت القدرية : هو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يريد ذلك فيكون ما لم يشأ ويشاء ما لم يكن ". وقالت طائفة من (المثبتة) : ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وإذن قد أراد الكفر والفسوق والعصيان ولم يرده دينًا أو أراده من الكافر ولم يرده من المؤمن فهو لذلك يحب الكفر والفسوق العصيان ولا يحبه دينًا ويحبه من الكافر ولا يحبه من المؤمن . وكلا القولين خطأ مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته ومجموعه على أنه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار ﴿ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [مجموع الفتاوى (٦ / ١١٥ - ١١٦) وقد شرح ذلك العلامة ابن القيم في " شفاء العليل " (ص ١٢٠ - ١٣٤) فراجعه فإنه مهم] . ...=

فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن(١)........................

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ **[يونس: ٩٩]** وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ **[الأنعام: ١٢٥]**.

وقال تعالى حكاية عن نوح -عليه السلام- إذ قال لقومه: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ **[هود: ٣٤]**. وقال تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ **[الأنعام: ٣٩]**. إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وكيف يكون في ملكه ما لا يشاء! ومن أضل سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر والكافر شاء الكفر فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله!! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

فإن قيل: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ **[الأنعام: ١٤٨]**، الآية. وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ **[النحل: ٣٥]**، الآية............

الشيخ صالح

....

التعليقات ....

= الشيخ الفوزان: لا شك أن كل شيء بتقديره لا يخرج عن تقدير الله من الخير والشر، والطاعة والمعصية، والكفر والإيمان، والمرض والصحة، والغنى والفقر، والعلم والجهل، كل شيء يجري بتقديره، وليس في ملكه شيء لم يقدره ولا يريده.

(١) الشيخ الفوزان: الله سبحانه وتعالى له مشيئة، والعباد لهم مشيئة، ولكن مشيئة العباد مرتبة على مشيئة الله، وليست مستقلة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فجعل لنفسه مشيئة هي من صفاته، وجعل لعباده مشيئة هي من صفاتهم، وربط مشيئتهم بمشيئته سبحانه، وفي هذا رد على القدرية والجبرية: فالقدرية ينفون مشيئة الله لأفعال العباد، ويجعلون للعبد مشيئة مطلقة، وأن العبد مستقل بأفعاله وإرادته ومشيئته، هذا مذهب القدرية من المعتزلة وغيرهم. والجبرية يقولون: العبد ليس له مشيئة، وإنما المشيئة لله فقط، والعبد يتحرك بدون اختياره ولا إرادته، مثل ما تحرك الآلة. فطائفة غلت في إثبات مشيئة الله وطائفة غلت في إثبات مشيئة العبد.........................=

...... وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٠]. فقد ذمهم الله تعالى حيث جعلوا الشرك كائناً منهم بمشيئة الله، وكذلك ذم إبليس حيث أضاف الأغواء الى الله تعالى، إذ قال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩].

قيل: قد أجيب على هذا بأجوبة، من أحسنها: أنه أنكر عليهم ذلك؛ لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته، وقالوا: لو كره ذلك وسخطه لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فرد الله عليهم ذلك، أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به.

أو أنه أنكر عليهم معارضته شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة، والجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر.

وقد احتج سارق على عمر ﷺ بالقدر، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره. يشهد لذلك قوله تعالى في الآية: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. فعلم أن مرادهم التكذيب، فهو من قبل الفعل، من أين له أن الله لم يقدره؟ أطلع الغيب؟......................

= وأما أهل السنة والجماعة: فأثبتوا المشيئتين، وجعلوا مشيئة العبد مربوطة بمشيئة الله، أخذاً من الآيتين السابقتين فقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ فيه إثبات مشيئة العباد، وقوله: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فيه إثبات مشيئة الله عز وجل، وفي الآية أن مشيئة العبد ليست مستقلة، وإنما هي مربوطة بمشيئة الله؛ لأنه خلق من خلق الله، خلقه وخلق مشيئته وخلق إرادته، ولهذا لما قال بعض الناس للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت، قال عليه الصلاة والسلام: أجعلتني لله ندًّا؟ أي: شريكاً في المشيئة. قل: ماشاء الله وحده» . ولما بلغ النبي ﷺ أن قوماً يقولون: «ما شاء الله وشاء محمد، أنكر ذلك وقال: قولوا؛ ما شاء الله ثم شاء محمد» ، فجعل مشيئته مرتبة على مشيئة الله «بثم» التي تفيد الترتيب والتراخي، لا بالواو؛ لأنها تقتضي التشريك.

ابن أبي العز الحنفي

..... فإن قيل: فما يقولون في احتجاج آدم على موسى -عليهما السلام- بالقدر، اذ قال له: أتلومني على أمر قد كتبه الله علي قبل أن أخلق بأربعين عامًا؟ وشهد النبي ﷺ أن آدمَ حج موسى، أي: غلب عليه بالحجة؟

قيل: تتلقاه بالقبول والسمع والطاعة، لصحته عن رسول الله ﷺ، ولا تتلقاه بالرد والتكذيب لراوية، كما فعلت القدرية، لا بالتأويلات الباردة.

بل الصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل. وموسى -عليه السلام- كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعائب.

وهذا المعنى أحسن ما قيل في الحديث. فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له، فإنه من تمام الرضى بالله ربًّا، وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب.

فيتوب من المعائب، ويصبرعلى المصائب. قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وأما قول إبليس: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾، إنما ذم على احتجاجه بالقدر، لا على اعترافه بالمقدر وإثباته له. ألم تسمع قول نوح عليه السلام: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود: ٣٤]..

الشيخ صالح

التعليقات

... يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي، فضلاً ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي، عدلاً(١)....

ابن أبي العز الحنفي

..... ولقد أحسن القائل:

فما شئت كان وإن لم أشأ — وما شئت إن لم تشأ لم يكن

وعن وهب بن منبه، أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم به.

قوله: (يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي، فضلاً. ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي، عدلاً).

ش: هذا رد على المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله، وهي مسألة الهدى والضلال..

الشيخ صالح

....

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: الله سبحانه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهذا بقضاء الله وقدره، ولكنه يهدي من يعلم أنه يصلح للهداية، ويهدي من يحرص على طلب الهداية ويُقبل عليها، فإن الله ييسره لليسرى، ويضل من يشاء بسبب إعراضه عن طلب الهداية والخير، فيضله الله عقوبة له على إعراضه وعدم رغبته في الخير، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾، فصار السبب من العبد، والقدر من جهة الله سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾، فصار السبب من العبد والقدر من الله عز وجل، ولكن قدره الله عقوبة له.

فقدر الله الهداية فضلاً من الله عز وجل، وتكرم على الشخص الذي يريد الخير ويريد الهداية، فييسره الله للخير ولفعله، وهذا لمصلحته، لا مصلحة لله عز وجل، وأما إضلال الضالين فعدل منه سبحانه وتعالى، جزاءً لهم على إعراضهم وعدم إقبالهم على الخير وعلى طاعة الله عز وجل، لم يظلمهم شيئاً، ولهذا نجد في الآيات ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، فجعل الظلم، والكفر، والفسق، أسباب لعدم الهداية، وهذه من أفعال العباد جازاهم عليها، عدلاً منه سبحانه وتعالى لا ظلماً: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، فلا يليق به سبحانه أن يكرم من هذا وصفه وأيضاً لا يليق به سبحانه وتعالى أن يُضيع عمل العاملين، قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، هذا جور ينزه الله عنه، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾.

فالله سبحانه وتعالى لا يُضيع أجر من عمل صالحاً، ولا يجازي أحداً بغير فعله، وبغير كسبه ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فالعمل كله للعبد من الخير والشر، والمجازاة من الله فضلاً وعدلاً.

.... **وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيْئَتِهِ، بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ(١)**..................

ابن أبي العز الحنفي

...... قالت المعتزلة: الهدى من الله: بيان طريق الصواب، والإضلال: تسمية العبد ضالاً، وحكمه تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه. وهذا مبني على أصلهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم. والدليل على ما قلناه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

ولو كان الهدى بيان الطريق - لما صح هذا النفي عن نبيه؛ لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [المدثر: ٣١]. ولو كان الهدى من الله البيان، وهوعام في كل نفس - لما صح التقييد بالمشيئة. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥٧] وقوله: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩].

قوله: (وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله).

ش: فإنهم كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]. فمن هداه إلى الإيمان فبفضله، وله الحمد، ومن أضله فبعدله، وله الحمد، وسيأتي لهذا المعنى زيادة إيضاح، إن شاء الله تعالى، فإن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في القدر في مكان واحد، بل فرقه، فأتيت به على ترتيبه..........................

الشيخ صالح

....

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: وكل العباد لا يخرجون عن التقلب في مشيئة الله بين فضله على أهل الطاعة وأهل الخير، وعدله مع أهل الكفر والشرك، وهذا هو اللائق بحكمته وعظمته سبحانه، فلا يجمع بين المتضادات والمختلفات، بل ينزل الأشياء في منازلها، ولهذا من أسمائه: الحكيم، ومن صفاته: الحكمة، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها، فيضع الفضل في أهل الطاعة، ويضع العذاب في أهل الكفر والمعاصي، هذا فضله سبحانه وعدله.

.. وهو متعال عن الأضداد والأنداد(١)..

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (وهو متعال عن الأضداد والأنداد).

ش: الضد: المخالف، والند: المثل.

فهو سبحانه لا معارض له، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولامثل له، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

ويشير الشيخ رحمه الله - بنفي الضد والند - الى الرد على المعتزلة، في زعمهم أن العبد يخلق فعله..

الشيخ صالح

....

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: (متعال) أي: مرتفع بذاته وقدره وقهره عن الأضداد والأنداد.

فالأنداد: هم الأمثال والشبهاء والنظراء، فالله سبحانه وتعالى ليس له نظير، وليس له مثيل ولا شبيه.

فلا أحد يشارك الله ولا يشابهه ولا يساويه جل وعلا، وهذا من علو قدره وقهره وهو العلي بذاته فوق مخلوقاته.

أما الأضداد: فهم المعارضون له، فالله ليس له معارض، ولا يضاده أحد من خلقه.

فإنه إذا أراد أمرًا فلا يمكن لأحد أن يعترض ويمنع أمره سبحانه وتعالى، وإذا أراد إعطاء فلا أحد يمنع، وإذا أراد منعًا لشيء فلا أحد يعطيه «لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت».

قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

فلا ند لله ولا ضد له فيما يأمر به وينهى عنه، خلاف المخلوقين فيوجد من ينازعهم ويقف ضد تنفيذ أوامرهم، فالمخلوقات كلها لها مشارك.

فالخلق يتشابهون في العلم والاسم وفي كل شيء، في الأجساد والصفات، ويشتركون في الأفعال والأملاك والله سبحانه لا يشبهه أحد ولا يشاركه أحد.

.... لاَ رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلاَ غَالِبَ لِأَمْرِهِ(١)، آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلاًّ مِنْ عِنْدِهِ(٢)..

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره).

ش : أي: لا يرد قضاء الله راد، ولا يعقب، أي لا يؤخر حكمه، مؤخر، ولا يغلب أمره غالب، بل هو الله الواحد القهار.

قوله: (آمنا بذلك كله، وأيقنا أنَّ كلاً من عنده)

ش : أما الإيمان فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

والإيقان: الاستقرار، من قر الماء في الحوض إذا استقر. والتنوين في (كلاً) بدل الإضافة، أي: كل كائن محدث من عند الله.

أي: بقضائه وقدره وإرادتة ومشيئته وتكوينه.

وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه، إن شاء الله تعالى........................

الشيخ صالح

التعليقات

(١)الشيخ الفوزان : فالله ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾، فالله عز وجل إذا قضى أمراً فلا يستطيع أحد أن ينقضه أو يرده، بخلاف المخلوق فقد يعطل تنفيذ حكمه وقد يُنقض.

(ولا غالب لأمره): وإذا أمر بالشيء لا أحد يغلب أوامره الكونية.

أما أوامره الشرعية فقد تُعطل وقد تُخالف، وهذه للابتلاء والامتحان.

ليترتب على ذلك الثواب أو العقاب.

(٢)الشيخ الفوزان : كل ما سبق ذكره من أول العقيدة إلى آخرها، ندين لله به، وليس مجرد كلام بألسنتنا، بل هو من قلوبنا.

.... وإنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ المصطفى، ونبيُّه المجتَبى، ورَسُولُهُ(١) المُرتَضَى........

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (وإن محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى).

ش: الاصطفاء والاجتباء والارتضاء: متقارب المعنى. واعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى. وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. إلى غير ذلك من الآيات، وذكر الله نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١]. وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩]. وقال تعالى: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣]..................

الشيخ صالح

قول المصنف رحمه الله: **(وإنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ المصطَفى) إلى قوله: (بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء)** هذه الجملة من كلامه من التوحيد، وذلك أنَّهُ قال في أول الكلام - يعني في أول هذه العقيدة-: **(نقولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيق الله: إنَّ اللهَ واحدٌ لا شريكَ لَهُ)** ثم مضى في ذلك وأتى إلى مقام الرسالة والكلام على النبوة فقال: **(وإنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ المصطَفى)**، فهي معطوفة على قوله: **(إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ)**.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: اعلم أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، وقد ذكروا فروقًا بين الرسول والنبي تراها في (تفسير الآلوسي) (٥ / ٤٤٩ - ٤٥٠) وغيرها، ولعل الأقرب أن الرسول من بعث بشرع جديد والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله وهو بالطبع مأمور بتبليغه؛ إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك فهم بذلك أولى كما لا يخفى.

الشيخ الفوزان: لما بين الشيخ -رحمه الله- في أول كلامه ما يجب من معرفة الله سبحانه، واعتقاد أنه الرب المستحق للعبادة دون ما سواه، وأنه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال التي هو متصف بها أزلاً وأبدًا، لما بين هذا ووضحه، انتقل إلى ما يجب اعتقاده في الرسول عليه الصلاة والسلام. وقوله: (وإن محمدًا عبده المصطفى..) هذا عطف على أول الكلام: (نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له....) إلى آخره، ثم قال: (وإن محمدًا....) إلى آخره، فلابد من اعتقاد هذا، كما نشهد لله بالألوهية، كذلك نشهد للرسول ﷺ بالرسالة، ولذلك فالشهادتان دائمًا متلازمتان........=

ابن أبي العز الحنفي

...... وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة. ولذلك يقول المسيح -عليه السلام- يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام: «اذهبوا إلى محمد، عبد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»؛ فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

وقوله: وإن محمدا، بكسر الهمزة، عطفًا على قوله: (إن الله واحد لا شريك له)؛ لأن الكل معمول القول، أعني: قوله: (نقول في توحيد الله).

والطريقة المشهورة، عند أهل الكلام والنظر، تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك........................

الشيخ صالح

و(إِنَّ) هنا مكسورة لأنها معمول القول، ومن المعلوم في النحو أنّ (إِنَّ) تُكسَر إذا كانت تُقدَّرُ مع ما بعدها بجملة؛ يعني أنَّ (إِنَّ) مع ما دخلت عليه تُقَدَّرُ بجملة.

فلذلك تُكسر إذا كانت بعد كلام يُقَدَّر ما بعده بجملة.

ومعلوم أنَّ القول له مَقُول، ومَقُولُ القول جُمَل وليس بمفردات، وهذا بخلاف فتح الهمزة في (أَنَّ)؛ فإن القاعدة فيها أنها تفتح إذا كانت في تقدير المفرد أو المصدر، كما هو مقرر في النحو كما هو معلوم لكم جميعا.

التعليقات

= (وإن محمدًا) هذا اسمه عليه الصلاة والسلام المشهور به، وقد جاء في القرآن: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾، وفي قوله: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]، وفي قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، وجاء أحمد في القرآن في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾.

وله أسماء جاءت في السنة، ذكرها ابن القيم في كتابه (جلاء الأفهام)..............................=

ابن ابي العز الحنفي

..... ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين. بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوة النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه:

لو لم يكن فيه آيات مبينة   كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه - ما ظهر لمن له أدنى تمييز......

الشيخ صالح

المقصود أنَّ قوله: (وإِنَّ مُحَمَّدًا) هذا بكسر همزةِ (إِنَّ)؛ لأنها مقول القول في أول الرسالة وهو قوله: (نقُولُ في تَوحيدِ الله). وبحث الرسالة والنبوة هو من توحيد الله ﷻ، ووجه ذلك:

□ الوجه الأول: أنَّ توحيد الله ﷻ يُطلَق ويُعنَى به العقيدة بعامة، فكل العقيدة بأركان الإيمان تدخل في توحيد الله، فتوحيد الله ﷻ هو الإيمان، وهو المشتمل على أركان الإيمان الستة، والكلام على نبوة محمد ﷺ من ضمن ذلك.

□ الوجه الثاني: أنّ نبوة محمد ﷺ هي طريق التوحيد؛ لأنَّ توحيد الله ﷻ لم يُعلَم إلا عن طريق الرسل، وفي ذلك تقريرُ أنَّ العقول لا تستقل في معرفة توحيد الله ﷻ وما يتضمنه ذلك وما يستلزمه ذلك؛ بل إنّه لا بد من بعثة رسلٍ وأنبياء للبيان ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]. وبَعثَةُ الرسل بها عُلِمَ حق الله ﷻ وتوحيده؛ توحيد الإلهية، وبها عُلِمَ نعت الله ﷻ وأسماؤه وصفاته الكاملة الجليلة.

التعليقات

= والتعرف على الرسول ﷺ من واجبات الدين ومن أصول الإسلام، وقد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في (ثلاثة الأصول): الأصل الأول: معرفة الله، والثاني: معرفة نبيه، والثالث: معرفة دين الإسلام بالأدلة، كما يجب عليك معرفة الله، كذلك يجب عليك معرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. هذه أصول ثلاثة، وهي التي يسأل عنها الميت إذا وضع في قبره.......................=

ابن أبي العز الحنفي

.... فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أمورًا يبين بها صدقه. والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة. والصادق ضده. بل كل شخصين ادعيا أمرًا: أحدهما: صادق والآخر كاذب - لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة؛ إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي الى البر، وإن البر يهدي الى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا**».

ولهذا قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ۝ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[الشعراء: ٢٢١، ٢٢٦]..............

الشيخ صالح

فإذًا بعثة محمد ﷺ وبعثة الرسل جميعا هي طريق توحيد الله ﷻ ولهذا قال هنا: (**نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيق الله: إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ**) واستمر ومرّ حتى قال: (**وإنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ المصطَفى**) يعني (**ونقُولُ في تَوحيدِ الله: إنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجتَبى، ورَسُولُهُ المُرتَضَى**).

التعليقات

= وقوله: (عبده) فهو عبدالله عز وجل، وليس له من الألوهية شيء، ولا من الربوبية شيء، وإنما هو عبد الله ورسوله، مؤتمر بأوامره، منتهٍ عن نواهيه، مبلغ عن الله عز وجل، وهذا فيه رد على الغلو فيه عليه الصلاة والسلام؛ لأن هناك من يغلون في الرسول عليه الصلاة والسلام، ويجعلون له شيئًا من الربوبية أو الألوهية، ويدعونه مع الله، وهذا غلو -والعياذ بالله- كما غلت النصارى في المسيح عيسى ابن مريم، وقالوا: إنه ابن الله أو الله أو ثالث ثلاثة.........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... فالكهان ونحوهم، وإن كانوا أحيانًا يخبرون بشيء من المغيبات، ويكون صدقًا - فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك، وليسوا بأنبياء ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صياد: «قد خبأت لك خبأ، فقال: هو الدخ - قال له النبي ﷺ: اخسأ، فلن تعدو قدرك»، يعني: إنما أنت كاهن. وقد قال للنبي ﷺ: يأتيني صادق وكاذب. وقال: أرى عرشًا على الماء، وذلك هو عرش الشيطان وبين أن الشعراء يتبعهم الغاوون، والغاوي: الذي يتبع هواه وشهوته، وإن كان ذلك مضرًا له في العاقبة.

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله - علم علمًا يقينًا أنه ليس بشاعر ولا كاهن...

الشيخ صالح

وهذه الجملة من كلامه ﷺ فيها تقرير عقيدة عظيمة، وهي أنّه ﷺ جُمِعَت له أوصاف ونعوت ومراتب:

- فمنها أنه عبد.
- ومنها أنه نبي.
- ومنها أنه رسول.
- ومنها أنه خاتَم الأنبياء والمرسلين.
- ومنها أنه حبيب رب العالمين وخليله.
- ومنها أنّ بعثته عامة للجن والإنس، وكافة الورى.

التعليقات

= ففي قوله: (عبده المصطفى) فيه ردٌّ للغلو، فهو عبد، وكل من في الأرض والسموات عبيد لله عز وجل، قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾، فالملائكة عبيد ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾، والأنبياء والرسل عبيد كما قال سبحانه في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

وقال عز وجل: ﴿فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا﴾، وقال في داود: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، وقال في سليمان: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، وقال في أيوب: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾، وقال في عيسى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، فإذا كان الأنبياء والرسل والملائكة عبيد لله، وهم أشرف الخلق، فغيرهم من الأولياء والصالحين من باب أولى.

ابن أبي العز الحنفي

...... والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعي للصناعات والمقالات، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك. والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟ ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة: قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم ضروري، كما يعرف الرجل رضى الرجل وحبه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه، بأمور تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ ثم قال: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٠].

وقد قيل: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفات وجهه وفلتات لسانه. فإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن من القرائن، فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله، كيف يخفى صدق هذا من كذبه؟ وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟..............

الشيخ صالح

وسيأتي بيان هذه الجمل والصفات في شرح كل جملة بما تقتضيه.

نخصُّ الآن من هذه الجمل المتعلقة بالنبوة قولَه: (**وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجتبى، ورَسُولُهُ المُرتَضَى**). ذكر ثلاث مقامات لمحمد بن عبد الله ﷺ.

وقوله: (**إِنَّ مُحَمَّدًا**) بدون أوصاف زائدة كسيدنا محمد ونحو ذلك فيه اتّباع لما جاء في الأحاديث الكثيرة من ذكر التعبد باسم النبي ﷺ مجردًا عن وصف السيادة وغير ذلك، وهذا هو المسنون والمشروع كما في دعاء المصلي في التحيات إذا جلس للتشهد وأشباه ذلك، وكما في قول المؤذن، وكما في الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وفي غيرها.

التعليقات

= وأفضلهم محمد ﷺ، وهو آخر الأنبياء، وسماه الله عبدًا في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني: رسول الله ﷺ، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، ومقام العبودية هو أعلى المقامات، ولا شيء أشرف من العبودية لله عز وجل، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... ولهذا لما كانت خديجة -رضي الله عنها- تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق البار، قال لها لما جاءه الوحي: «**إني قد خشيت على نفسي**، فقالت: كلاً - والله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق». فهو لم يخف من تعمد الكذب، فهو يعلم من نفسه ﷺ أنه لم يكذب، وإنما خاف أن يكون قد عرض له عارِض سوء، وهو المقام الثاني، فذكرت خديجة ما ينفي هذا، وهو ما كان مجبولاً عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وقد علم من سنة الله أن مَنْ جَبَلَهُ على الأخلاق المحمودة ونزهه عن الأخلاق المذمومة: فإنه لا يخزيه.

وكذلك قال النجاشي لما استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرءوا عليه: إن هذا والذي جاء به موسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة. وكذلك ورقة بن نوفل، لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، وكان ورقة قد تنصر، وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: أي: عم، اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي ﷺ بما رأى فقال: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى....

الشيخ صالح

فالسنة التي جاءت بها الأحاديث الكثيرة وعَلِم السلف أنّ مقام المصطفى ﷺ أرفع ما يوصف به أن يوصف بمقام العبودية والنبوة والرسالة؛ وذلك لأنَّ الله ﷻ وصف نبيه بذلك في أعلى المقامات وفي أَجَلِّهَا، فقال سبحانه: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١]، فوصفه في هذا المقام العظيم وهو مقام الإسراء وما تبعه من المعراج إلى رب العالمين بأنه أسرى بعبده، وقال سبحانه في وصف نبوة محمد ﷺ وتذلله ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩] فقال سبحانه في المعراج وقُربِ محمد ﷺ من رب العالمين قال: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠]. وهذا الوصف -وصف العبودية الخاصة- هو أعلى المقامات التي يوصف بها الإنسان، فإذا زاد عليه وصف النبوة ووصف الرسالة كان ذلك أعلى الكمال؛ ولهذا يَعظم العبد بتحقيق كمال العبودية لله ﷻ، وتحقيق كمال العبودية إنما هو في الأنبياء والمرسلين.

التعليقات

= ومعنى المصطفى: المختار، من الاصطفاء، وهو الاختيار، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ۝ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ المصطفين: جمع مصطفى، وهو المختار، أصله مصتفى، ثم أُبدلت التاء طاء فصارت مصطفى؛ ليسهل النطق بها................ه=

ابن أبي العز الحنفي

..... وكذلك هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام، وسألهم عن أحوال النبي ﷺ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار، سألهم: هل كان في آبائه من ملك؟ فقالوا: لا، قال: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فقالوا: لا، وسألهم: أهو ذو نسب فيكم؟ فقالوا: نعم، وسألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا، ما جربنا عليه كذبًا، وسألهم: هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم؟ فذكروا أن الضعفاء اتبعوه؟

وسألهم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فذكروا أنهم يزيدون، وسألهم: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقالوا: لا، وسألهم: هل قاتلتموه؟ قالوا: نعم، وسألهم عن الحرب بينهم وبينه؟ فقالوا: يدال علينا مرة وندال عليه أخرى، وسألهم: هل يغدر؟ فذكروا أنه لا يغدر، وسألهم: بماذا يأمركم؟ فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة........................

الشيخ صالح

فإذًا وصف محمد ﷺ بأنه (عَبدُهُ المصطَفى) هذا فيه رفعٌ له وإكرام للنبي ﷺ؛ لأنّ الله ﷻ هو الذي رضي له هذا الوصف وهذا النعت وهذا المقام.

وهذا هو الذي ينبغي على من يكتب ويصنف أو يخطب أو يحاضر أن يتّبع السنة في الألفاظ، فنقول: (وإن محمدا عبده المصطفى) دون زيادة لسيدنا وأشباه ذلك وإن كان هو ﷺ سيد المرسلين كما ذكر هنا، وهو سيد ولد آدم ﷺ.

قال: (إنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ المصطَفى) والاصطفاء هو الاختيار، ومحمد ﷺ اُصطُفِيَ للرسالة.

التعليقات

= فالمصطفى هو المختار؛ لأن الله سبحانه اختار محمدًا -عليه الصلاة والسلام- للرسالة من بين قومه، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فلا يختار إلا من يعلم أنه يستحق الاختيار، وأنه يقوم بالمهمة؛ لأن هذه المهمة صعبة وعظيمة، فلا يختار الله إلا من هو لها أهل، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ و (المجتبى) بمعنى المصطفى، والنبي: من أوحى إليه الله بشرع ولم يُؤمر بتبليغه، والرسول: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، وهذا أشهر ما قيل في الفرق بين النبي والرسول، ومعنى: أمر بتبليغه، أي: أمر بإلزام الناس وأن يقاتلهم على ما جاء به.

ابن أبي العز الحنفي

...... وهذه أكثر من عشر مسائل، ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الأدلة، فقال: سألتكم هل كان في آبائه من ملك؟ فقلتم: لا، قلت: لو كان في آبائه من ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتكم هل قال هذا القول فيكم أحد قبله؟ فقلتم: لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله لقلت: رجل ائتم بقول قيل قبله، وسألتكم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلتم: لا، فقلت: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله تعالى، وسألتكم أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم؟ فقلتم: ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل، يعني في أول أمرهم، ثم قال: وسألتكم هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلتم: بل يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتكم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقلتم: لا، وكذلك الإيمان، إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وهذا من أعظم علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه، والكذب لا يروج إلا قليلا ثم ينكشف..

الشيخ صالح

وهذا اللفظ مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج:٧٥]. فكل مُرسَلٍ مُصطَفَى؛ لأن الله اصطفاه يعني اختاره وقرَّبَهُ لمقام الرسالة ولمقام العبودية الخاصة.

قال: (ونبيُّه المجتَبى) والاجتباء هو الاختصاص. اجتباهم ﴿ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ ﴾ [الأنعام:٨٧]، هذا معناه الاختصاص؛ يعني جعله نبيًا فاجتباه، جعله حبيبًا له وخليلاً ومختارًا ومختصًّا بالمقامات العالية.

التعليقات

= وكذلك النبي، يُوحى إليه ويدعو إلى الله عز وجل، ولكن يتبع من قبله من الأنبياء ويمشي على طريق من قبله، ولا ينفرد بشريعة خاصة، مثل أنبياء بني إسرائيل، جاءوا بالتوراة ودعوا إلى التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، و (المرتضى) بمعنى المجتبى والمصطفى، فالمرتضى بمعنى: أن الله ارتضاه......................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وسألتكم كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقلتم: إنها دول، وكذلك الرسل تبتلى وتكون العاقبة لها، قال: وسألتكم هل يغدر؟ فقلتم: لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم وأنهم لا يغدرون - علم أن هذه علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء، لينالوا درجة الشكر والصبر.

كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خير له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له».

والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أحد من الحكمة فقال: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، الآيات. وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، الآيات. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على سنته في خلقه وحكمته التي بهرت العقول..

الشيخ صالح

والوصف الثالث قال: (ورَسُولُهُ المُرتَضَى) وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ [الجن: ٢٧-٢٨]. هذا البيان لمعاني تلك الكلمات نُتبِعُهُ بأنَّ هذا الكلام، هذه الجمل من المصنف فيها تقريرٌ لعقيدة عامة وهي أنّ محمد بن عبد الله ﷺ عبدٌ ونبي ورسول، وأنّه خاتم الأنبياء، وأنّ كل دعوة للنبوة فغيٌّ وهوى. وهذا من جملة ما يدخل في أركان الإيمان، فلا يصح إيمان عبد حتى يعتقد بأنّ محمدا ﷺ عبدٌ نبيٌّ رسول، وأنه خاتم الأنبياء وخاتم المرسلين، وأنه لا تصح دعوى للنبوة بعده، وكل دعوة للنبوة بعده فكذب وضلال وغيٌّ وهوى، إلى آخر ما سيأتي في بيان تلك الجمل. وهذه الجملة فيها تقرير لـ: أنَّ النبوة مختلفة عن الرسالة، وأنَّ النبوة تسبق الرسالة كما قال: (ونبيُّه المجتبى، ورَسُولُهُ المُرتَضَى).

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... قال: وسألتكم عما يأمر به؟ فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، وينهكم عما كان يعبد آباؤكم، وهذه صفة نبي، وقد كنت أعلم أن نبيًّا يبعث، ولم أكن أظنه منكم، ولوددت أني أخلص إليه، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه، وإن يكن ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين. وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب، وهو حينئذ كافر من أشد الناس بغضًا وعداوة للنبي ﷺ، قال أبو سفيان بن حرب: فقلت لأصحابي ونحن خروج: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر، وما زلت موقنًا بأن أمر النبي ﷺ سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام وأنا كاره.

ومما ينبغي أن يعرف: أن ما يحصل في القلب بمجموع أمور، قد لا يستقل بعضها به، بل ما يحصل للإنسان - من شبع وري وشكر وفرح وغم - فأمور مجتمعة، لا يحصل ببعضها، لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر.........

الشيخ صالح

وهذا هو المعروف عندكم فيما هو مقرر من أنَّ محمد ﷺ نُبِّئَ (باقرأ) وأُرسِلَ (بالمدثر).

فالنبوة مرتبة دون مرتبة الرسالة، كما سيأتي. وجَعل العطف متغايرًا أولى من جَعلِهِ -يعني متغايرًا في الذات- أولى من جَعلِهِ متغايرًا لفظيًّا؛ يعني أنَّ المصنف الطحاوي يرى أنَّ النبوة غير الرسالة وأنَّ النبي غير الرسول، وهذا هو الحق كما سيأتي بيانه.

هذه الجملة فيها تقرير ما ذكرت من العقيدة العامة المعروفة، ويدخل تحتها مسائل:

المسألة الأولى:

تعريف النبي والرسول. والنبي والرسول لفظان موجودان في لغة العرب، فتعريفهما في اللغة يؤخذ من موارده في اللغة. وهو أنَّ: النبي: مأخوذ من النُّبوَّة وهي الارتفاع؛ وذلك لأنَّه بالإيحاء إليه وبالإخبار إليه أصبح مرتفعًا على غيره. والرسول: هو من حُمِّل رسالةً فبُعث بها.

التعليقات

ابن ابي العز الحنفي

.... وكذلك العلم بخبر من الأخبار، فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع ظن، ثم الآخر يقويه، إلى أن ينتهي إلى العلم، حتى يتزايد ويقوى. وكذلك الأدلة على الصدق والكذب ونحو ذلك.

وأيضًا: فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، كثبوت الطوفان، وإغراق فرعون وجنوده، ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبيًّا بعد نبي، في سورة الشعراء، كقصة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده، يقول في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٨، ٩]........................

الشيخ صالح

ولهذا نقول: إنَّ كلمة نبي جاءت في القرآن في القراءات على وجهين؛ يعني على قراءتين متواترتين:

الأولى: (النبي) بالياء.

والثانية: (النبيء)، (يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ).

والفرق ما بين (النبي) و(النبيء) أنَّ النبيء هو من نُبِّئَ.

وكلا الأمرين حاصل في النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل نبي، فهو مرتفع ولأجل ذلك فهو نبي، وهو مُنَبَّأٌ ولأجل ذلك فهو نبيءٌ؛ ولهذا نقول: إن كلمة (نبي) صارت من الرفعة لأجل (نبيء) لأجل أنه نبيء؛ يعني أنه نُبِّئَ فصار في نَبوَةٍ وارتفاع عن غيره من الناس.

أما في الاصطلاح -التعريف الاصطلاحي للنبي والرسول- فهذا مما اختلف فيه أهل العلم كثيرًا، والمذاهب فيه متنوعة:

۞ المذهب الأول: قول من قال: إنه لا فرق بين الرسول والنبي، فكل نبي رسول وكل رسول نبي.

۞ المذهب الثاني: أنَّ النبي والرسول بينهما فرق، وهو أنَّ النبي أدنى مرتبةً من الرسول فكل رسول نبيٌّ، وليس كل نبي رسولاً.

۞ المذهب الثالث: أنَّ النبي أرفع من الرسول، وهو قول غلاة الصوفية وأنَّ الرسول دون النبي.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

......وبالجملة: فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول: إنه رسول الله، وإن أقوامًا اتبعوهم، وإن أقوامًا خالفوهم، وإن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم: هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها. ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم من ملوك الفرس وعلماء الطب؛ كبقراط وجالينوس وبطليموس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وأتباعه.......

الشيخ صالح

❁ المذهب الأول: قال به طائفة قليلة من أهل العلم من المتقدمين ومن المتأخرين، ومنهم من يُنسَبُ إلى السنة.

❁ والمذهب الثاني: وأنَّهُ ثَمَّةَ فرق بين النبي والرسول، وأنَّ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، هذا قول جمهور أهل العلم وعامة أهل السنة، وذلك لأدلةٍ كثيرة استدلوا بها على هذا الأصل مبسوطة في مواضعها، ونختصر لكم بعضها:

○ الدليل الأول: قوله ﷻ في سورة الحج: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢]، قال سبحانه هنا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾:

١ - ووجه الاستدلال أنَّ الإرسال وهو فعل (أرسَلنَا) وقع على الرسول وعلى النبي، فإذًا الرسول مرسل والنبي مرسل؛ لأنّ هذا وقع على الجميع.

٢ - وجه الاستدلال الثاني أنه عطف بالواو فقال: (مِن رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ)، والعطف بالواو يقتضي المغايرة؛ مغايرة الذات أو مغايرة الصفات، وهنا المقصود منه أنَّ الصفة التي صار بها رسولاً غير النعت الذي صار به نبيًّا، وهو المقصود مع تحقق أنَّ الجميع وقع عليهم الإرسال.

٣ - والوجه الثالث من الاستدلال أنه عطف ذلك بـ(لا) أيضًا في قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾، ومجيء (لا) هنا في تأكيد النفي الأول؛ في أول الآية وهو قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾، فهي في تقدير تكرير الجملة مَنفيَّةً من أولها، كأنه قال: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا أرسلنا من قبلك من نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم - علمنا يقينًا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة:

منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم.

ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه - كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم - عرف صدق الرسل.

ومنها: أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاءوا به من المصلحة والرحمة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم -ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بَرٍّ يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.......................................

الشيخ صالح

○ الدليل الثاني: أنَّ النبوة ثبتت لآدم عليه السلام، فآدم كما صح في الحديث «نبي مُكَلَّم» وأن هناك أنبياء جاءوا بعد آدم -عليه السلام- كإدريس وشيث وكغيرهما. وإدريس ذكره الله ﷻ في القرآن، والرسل أولهم نوح عليه السلام. وجعل الله ﷻ أولي العزم من الرسل خمسة، وجعل أولهم نوحا عليه السلام. فهذا يدل على أنّ -آدم عليه السلام- لم يحصل له وصف الرسالة، بل جاء في الحديث قوله ﷺ: «آدم نبي مُكَلَّم»، ووُصف نوح بأنه رسول، ووُصف إدريس بأنه نبي، فدل هذا على التفريق بين المقامين.

○ الدليل الثالث: الذي أورده أصحاب هذا القول ما جاء في حديث أبي ذر من التفريق ما بين عدد الأنبياء وعدد المرسلين، فجُعِلَ عدد الأنبياء أكثر من مائة ألف؛ مائة وأربعة وعشرين ألف أو نحو ذلك، وجُعل عدد الرسل أكثر من الثلاثة مائة بقليل؛ بضعة عشر وثلاثمائة رسول.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ولذكر دلائل نبوة محمد ﷺ من المعجزات وبسطها موضع آخر، وقد أفردها الناس بمصنفات، كالبيهقي وغيره.

بل إنكار رسالته ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبة له إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، بل جحد للرب بالكلية وإنكار.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمد عندهم ليس بنبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفتري على الله ويتقول عليه، ويستمر حتى يحلل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم ويغنم أموالهم وذراريهم وديارهم، ويتم له ذلك حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به ومحبته له..

الشيخ صالح

والله ﷻ قص علينا خبر بعض الرسل وحجب عنا قَصص البعض الآخر فقال ﷻ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وهذا الحديث - حديث أبي ذر- حسّنه بعض أهل العلم وإن كان إسناده عند التحقيق فيه ضعف؛ لكن فيه جملاً صحيحة وهو حديث طويل رواه ابن حبان وغيره. وثَمَّ أدلة أخرى في هذا المقام، قد لا تكون دالة بوضوح على المراد.

إذا تبين لكَ ذلك، وأنَّ الصحيح هو قول الجمهور وهو أن ثمة فرقًا بين النبي والرسول، فما تعريف النبي وما تعريف الرسول في الاصطلاح؟ قلنا: إنَّ النبي يقع عليه الإرسال؛ ولكن لا يسمى رسولاً عند الإطلاق. والرسول يقع عليه الإرسال وهو الذي يسمى رسولا عند الإطلاق. والله ﷻ جعل ملائكة مرسلين، وإذا قلنا الرسول فلا ينصرف بالإطلاق على المُبَلِّغ للوحي جبريل عليه السلام.

والله ﷻ أرسل الريح وأرسل المطر وأرسل أشياء من العذاب، ولا يقع عند الإطلاق أن يقال: هذه مرسلة أو هذه رسالة الله أو هذه الأشياء رسول من إطلاق المفرد وإرادة الجمع به.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثًا وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته، ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم.

فإنه لا أظلم ممن كذب على الله وأبطل شرائع أنبيائه وبدلها وقتل أولياءه، واستمرت نصرته عليهم دائمًا، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين فيلزمهم أن يقولوا: لا صانع للعالم ولا مدبر، ولو كان له مدبر قدير حكيم، لأخذ على يديه ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للصالحين؛ إذ لا يليق بالملوك غير ذلك، فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين؟..

الشيخ صالح

ولهذا نقول: قد يقال عن هذه الأشياء كما جاء في القرآن، قد يقال عنها: إنها مرسلة ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴾ [المرسلات: ١]، ولكن إذا أُطلق لفظ الرسول فلا ينصرف إلى من أُرسِلَ من الملائكة وإنما ينصرف إلى من أرسل من البشر.

وهذا يدل على أنَّ الفرق قائم ما بين النبي وما بين الرسول، وأنّ النبي إرساله خاص، وأنَّ الرسول إرساله مطلق.

فلهذا نقول: دلّت آية سورة الحج ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ على أنّ كلاً من النبي والرسول يقع عليه إرسال.

فما الفرق بينهما من جهة التعريف؟

الجواب: أنَّ العلماء اختلفوا على أقوال كثيرة في تعريف هذا وهذا، ولكن الاختصار في ذلك مطلوب: وهو أنَّ تعريف النبي —وهي مسألة اجتهادية:

النبي هو من أَوحَى الله إليه بشرعٍ لنفسه أو أَمرَه بالتبليغ إلى قوم موافقين؛ يعني موافقين له في التوحيد.

والرسول: هو من أُوحى الله إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه إلى قوم مخالفين.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ولا ريب أن الله تعالى قد رفع له ذكره، وأظهر دعوته والشهادة له بالنبوة على رءوس الأشهاد في سائر البلاد، ونحن لا ننكر أن كثيرًا من الكذابين قام في الوجود، وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم أمره، ولم تطل مدته، بل سلط الله عليه رسله وأتباعهم، وقطعوا دابره واستأصلوه. هذه سنة الله التي قد خلت من قبل، حتى إن الكفار يعلمون ذلك. قال تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور: ٣٠، ٣١].

أفلا تراه يخبر أن كماله وحكمته وقدرته تأبى أن يقر من تقوَّل عليه بعض الأقاويل، لا بد أن يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه. وقال تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾ [الشورى: ٢٤]. وهنا انتهى جواب الشرط، ثم أخبر خبرًا جازمًا غير معلق: أنه يمحو الباطل ويحق الحق. وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ ﴾ [الأنعام: ٩١]. فأخبر سبحانه أن من نفى عنه الإرسال والكلام لم يقدره حق قدره........

الشيخ صالح

وتلحظ أنَّ هذا التعريف للنبي وللرسول أنه لا مَدخَلَ لإيتاء الكتاب في وصف النبوة والرسالة، فقد يُعطى النبي كتابًا وقد يعطى الرسول كتابًا، وقد يكون الرسول ليس له كتاب وإنما له صحف﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[الأعلى: ١٩]، وقد يكون له كتاب. فإذًا من جَعَلَ الفيصل أو الفرق بين النبي والرسول هو إيتاء الكتاب، ووحي جاءه بكتاب مُنَزَّل من عند الله ﷻ، فهذا ليس بجيد، بل يقال كما ذكرت لك في التعريف: إنَّ المدار على:

- النبي مُوحَى إليه. والرسول موحى إليه.
- النبي يوحى إليه بشرع أو بفصلٍ في قضية؛ شَرع يشمل أشياء كثيرة. وكذلك الرسول يوحى إليه بشرع.
- النبي يُوحى إليه لإبلاغه إلى قوم موافقين أو ليعمل به في خاصة نفسه كما جاء في الحديث: «ويأتي النبي وليس معه أحد». الرسول يُبعث إلى قوم مخالفين له.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وقد ذكروا فروقًا بين النبي والرسول، وأحسنها. أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها.

فالنبوة جزء من الرسالة؛ إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها. وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه، وخصوصًا محمدًا ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]...

الشيخ صالح

ولهذا جاء في الحديث أن «العلماء ورثة الأنبياء» ولم يجعلهم ورثة الرسل، وإنما قال: «وإن العلماء ورثة الأنبياء»؛ وذلك لأنّ العالم في قومه يقوم مقام النبي في إيضاح الشريعة التي معه، فيكون إذًا في إيضاح شريعته، في إيضاح الشريعة يكون ثَمَّ شَبَه ما بين العالم والنبي، ولكن النبي يُوحى إليه فتكون أحكامه صوابًا؛ لأنها من عند الله ﷻ، والعالم يوضِّحُ الشريعة ويعرض لحُكمِهِ الغلط.

يتعلق بهذه المسألة بحث أنَّ الرسول قد يكون متابعًا لشريعة مَن قبلَه، كما أنَّ النبي يكون متابعًا لشريعة مَن قَبلَه. فإذًا الفرق ما بين النبي والرسول في اتباع الشريعة -شريعة مَن قَبله- أنَّ النبي يكون متابعا لشريعة مَن قَبلَه، والرسول قد يكون متابعًا -كيوسف عليه السلام جاء قومه بما بعث به إبراهيم عليه السلام ويعقوب-، وقد يكون يُبعَثُ بشريعة جديدة.

التعليقات

وهذا الكلام؛ هذه الاحترازات لأجل أنَّ ثمة طائفة من أهل العلم جعلت كل مُحترَزٍ من هذه الأشياء فرقًا ما بين النبي والرسول. فإذًا كما ذكرت لكم:

- ☐ الكتاب قد يُعطاهُ النبي وقد يُعطاهُ الرسول.
- ☐ بَعثُهُ لقوم موافقين أو مخالفين هذا مدار فرق ما بين النبي والرسول.
- ☐ الرسول قد يبعث بشريعة مَن قَبلَه بالتوحيد بالديانة التي جاء بها الرسول لمن قبله، لكن يُرسل إلى قوم مخالفين، وإذا كانوا مخالفين فلا بد أن يكون منهم مَن يُصَدِّقُهُ، ويكون منهم من يُكَذِّبه؛ لأنه ما من رسول إلا وقد كُذِّب، كما جاء في ذلك الآيات الكثيرة.

المسألة الثانية:

نبوة الأنبياء هل هي واجبة أو ممكنة؟ الصواب أنَّ نبوة الأنبياء وإرسال الرسل مما جعله الله ﷻ على نفسه، كما قال سبحانه: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقد اختلف الناس في ذلك:

- ☐ فقالت طائفة: إرسال الرسل جائز.
- ☐ وقالت طائفة: إرسال الرسل واجب على الله ﷻ.
- ☐ وقالت طائفة: إرسال الرسل ونبوة الأنبياء لا يقال فيها جائزة ولا واجبة بل هي تبع للمصلحة.
- ☐ وكما ذكرنا أنّ قول أهل السنة في ذلك: إنَّ إرسال الرسل جعله الله ﷻ حجة على الناس كما في الآية، ولا يُطلق القول بوجوبها ولا بإمكانها أو جوازها أو ردِّ ذلك، بل يُتَّبع في ذلك النص الوارد؛ لأنّ أفعال الله ﷻ والإيجاب عليه والتحريم إنما يكون من عنده ﷻ.

التعليقات

المسألة الثالثة:

نبوة الأنبياء أو رسالة الرسل بما تَحصُل؟ وكيف يُعرَفُ صدقهم؟ وما الفرق ما بين النبي والرسول وبين عامة الناس أو من يَدَّعِي أَنَّهُ نبي أو رسول أو من يأتي بالأخبار المغيبة أو يجري على يديه شيء من الخوارق؟

والجواب عن ذلك: أنَّ المتكلمين في العقائد نظروا في هذا على جهات من النظر.

ونُقَدِّمُ قول غير أهل السنة، ونُبَيِّن لكم قول السلف وأهل السنة والجماعة في هذه المسألة العظيمة. وهي من المسائل التي يقل تقريرها في كتب الاعتقاد مُفَصَّلَة.

فنقول: إنَّ طريقة إثبات نبوة الأنبياء وإرسال الرسل للناس فيه مذاهب:

المذهب الأول: أنَّ الرسل والأنبياء لديهم استعدادات نفسية راجعة إلى القوى الثلاث والصفات الثلاث وهي السمع والبصر والقلب، فإنه يكون عنده قوة في سمعه، فيسمع الكلام؛ كلام الملأ الأعلى، وعنده قوة في قلبه، فيكون عنده تخيلات أو يتصور ما هو غير مرئي، وعنده بصر أيضًا قوي يبصر ما لا يبصره غيره. وهذه طريقة باطلة، وهي طريقة الفلاسفة الذين يجعلون النبوة من جهة الاستعدادات البشرية، لا من جهة أنها وحي وإكْرام واصطفاء من الله جل جلاله.

المذهب الثاني: قول من يقول: إنَّ النبوة والرسالة طريق إثباتها والدليل عليها هو المعجزات. وهذا قول المعتزلة والأشاعرة وطوائف من المتكلمين، وتبعهم ابن حزم وجماعة، وجعلوا الفرق ما بين النبي وغيره هو أنَّ النبي يجري على يديه خوارق العادات. فمنهم من التزم -وهم المعتزلة وابن حزم- في أنَّه ما دام الفرق هو خوارق العادات وهي المعجزات فإذًا لا يُثبَتُ خارقٌ لغير نبي. فأنكروا السحر والكهانة، وأنكروا كرامات الأولياء، وأنكروا ما يجري من الخوارق؛ لأجل أن لا يلتبس هذا بهذا وجعلوا ذلك مجرد تخييل في كل أحواله. وأما الأشاعرة فجعلوا المسألة مختلفة، وسيأتي تفصيلها في موضعها إن شاء الله عند كرامات الأولياء.

التعليقات

المذهب الثالث: هو مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح فيما قرره أئمتهم وهو أنَّ النبوة والرسالة دليلها وبرهانها متنوع، ولا يُحصرُ القول بأنها من جهة المعجزات الحسية التي تُرى أو تجري على يدي النبي والولي.

فمن الأدلة والبراهين لإثبات النبوة والرسالة:

أولاً: الآيات والبراهين.

ثانيًا: ما يجري من أحوال النبي في خَبَرِهِ وأمره ونهيه وقوله وفعله مما يكون دالاً على صدقه بالقطع.

ثالثًا: أنَّ الله ﷻ ينصر أنبياءه وأولياءه ويمكّن لهم ويخذل مدعي النبوة، ويُبيد أولئك، ولا يجعل لهم انتشارا كبيرا. وهذه ثلاثة أصول.

أما الأول: فمعناه أنَّ من قَرَّرَ نبوة الأنبياء عن طريق المعجزات، فإننا نوافقهم على ذلك؛ لكنَّ أهل السنة لا يجعلونه دليلا واحدًا، لا يجعلونه دليلاً فردًا؛ بل يجعلونه من ضمن الدلائل على النبوة. وهذا الدليل وهو دليل المُعجِزَات -كما يُسَمَّى- يُعَبِّر عنه أهل السنة بقولهم الآيات والبراهين؛ وذلك لأنَّ لفظ (المُعجِز) لم يرد في الكتاب ولا في السنة، لفظ (المُعجِزَة) وإنما جاء في النصوص الآية والبرهان﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨]، ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل: ١٢]، وقال: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ﴾ [القصص: ٣٢]، ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١١١]، ونحو ذلك من الآيات التي تدل على أنَّ ما يؤتاه الأنبياء والرسل إنما هو آيات وبراهين.

وبعض أهل العلم جعل لفظ المُعجِز نتيجة في أنَّ آية النبي وبرهان النبوة مُعجِز، لكن لفظ الإعجاز فيه إجمال؛ وذلك لأنه مُعجِزٌ لمن؟ فيه إجمال وفيه إبهام، فإعجاز ما يحصل لمن هو معجز؟

فإذا قلنا: مُعجِز لبني جنسه فهذا حال، مُعجِز لبني آدم فهذا حال، معجز للجن والإنس فهذا حال، معجز لكافة الورى فهذا حال.

ولهذا جعل المعتزلة والأشاعرة في الخلاف ما بينهم في المعجزات جاءت من هذه الجهة: أنَّ لفظ معجز اختلفوا فيه، معجز لمن؟ كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله. ولهذا نعدل عن لفظ الإعجاز إلى لفظ الآية والبرهان.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

ونقول: الآية والبرهان التي يؤتاها الرسول والنبي للدِّلالة على صدقه تكون معجزة للجن والإنس جميعًا. فما آتاه الله ﷻ محمدا ﷺ يكون مُعجِزًا للجن والإنس جميعا، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

أما إعجاز بعض الإنس دون بعض، أو الإنس دون الجن، فهذا هو الذي يدخل في الخوارق ويدخل في أنواع ما يحصل على أيدي السحرة والكهنة وما أشبه ذلك.

أما الفرق ما بين الآية والبرهان الدال على صدق النبي مع ما يؤتاه أهل الخوارق، أنَّه هل هو معجز لعامة الجن والإنس أم لا؟

فإن كان معجز لعامة الجن والإنس فهو دليل الرسالة والنبوة. هذه الآيات والبراهين التي آتاها الله ﷻ محمدًا ﷺ أنواع:

○ النوع الأول: منها القرآن وهو حجة الله ﷻ وآيته العظيمة على هذه الأمة، فتَحَدَّى الله ﷻ به الجن والإنس، ولم يستطيعوا ذلك مع أنهم متميزون في الفصاحة والبلاغة وأشباه ذلك. فإذًا الآية والدليل الأول هو القرآن العظيم وهو الحجة الباقية.

○ النوع الثاني: آيات وبراهين سمعية؛ يعني تكون دالة من جهة ما يُسمع، ومن ذلك: تسبيح الحصى، تسبيح الطعام على عهده ﷺ كما روى البخاري في الصحيح أن ابن مسعود قال: «**كنا نسمع تسبيح الطعام ونحن نأكل مع رسول الله ﷺ**».

○ النوع الثالث: آيات وبراهين راجعة إلى البصر وهو ما يُبصَرُ من أشياء لا تحصل لغيره؛ بل هي آية وبرهان على عجز الثقلين عن ذلك، مثل نبع الماء ما بين أصابعه، ومثل حركة الجمادات وأشباه ذلك.

○ النوع الرابع: أدلة وبراهين فيها نُطقُ ما لم يَنطِق وهذه تشمل الأول المسموعة، وتحرك ما لم يتحرك بالعادة ويشمل حركة الجمادات، وشعور من لا يُعرف بشعورِهِ وهذه إنما يُخبِرُ عنها نبي وتحصل للرسل والأنبياء، مثل: **حنين الجذع**، وتسليم الحجر، وأشباه ذلك هذا نوع وهو الآيات والبراهين.

التعليقات

أما الثاني: هو أنَّ الرسول يأتي بخبر وأمر ونهي وللرسول قول وفعل ، فهذه خمسة أشياء. وهذا النوع من الدلائل أهم من الدلائل التي ذَكرتُ لك فيما قبل عدا القرآن فهو أعظم الأدلة؛ وذلك أنَّ محمدًا ﷺ جاء بأخبار -هذه تَصدُق على جميع النبوات والرسالات-:

○ جاء بخبر عن الله ﷻ، وهذا الخبر: منه ما يتعلق بالماضي، ومنه ما يتعلق بالحاضر، ومنه ما يتعلق بالمستقبل.

○ وجاء بأمر ونهي، وهذا الأمر والنهي هو ما يدخل في الشريعة، والأوامر متنوعة والنواهي متنوعة.

○ وجاء بأقوال هو قالها في التبليغ وأفعال له.

وكل هذه بمجموعها تدل للناظر على أنَّ من قال وأخبَرَ عن الله وفَعَلَ وأَمَرَ ونَهَى فإنه صادق فيما قال؛ لأنّ كلَّ مدَّعٍ للخبر والأمر والنهي وله أقوال وله أفعال وليس على مرتبة النبوة فلابد أن يظهر لكلِ أحد أن يظهر كذبه فيما ادعاه وتناقضه في أقواله وأفعاله وضَعفُ أمرِهِ ونَهيِهِ وعدم إِصلاحِهِ وأشباه ذلك.

ولهذا محمد ﷺ جعل الله ﷻ له الكمال فيما أخبر به، وفيما أمر به، وفيما نهى، وفي أقواله وأفعاله، فَجَعَل اتِّباعه في الأقوال والأفعال اتِّباعًا مأمورًا به: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وجعل ما يخبر به الرسول ﷺ كخبر الله ﷻ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، ونحو ذلك.

فاستقام أمره ﷺ في هذه الأمور الخمسة، ولم يُعرَف أنَّ أحدًا طعن في شيء من هذه الأشياء واستقام على طعنه ولم يستسلم؛ بل كُلُّ من طعن في واحد من هذه الأشياء فإنه آل به أمره إلى الاستسلام، أو أن يكون طعنه مكابرة دون برهان.

لهذا نقول: إن هذا الدليل من أعظم الأدلة التي تُفَرِّقُ ما بين الرسول والنبي الصادق وما بين مُدّعي النبوة، فإنّ الرسول له أحوال كثيرة يُسمَع في أقواله، يُرَى في أفعاله، أوامره ونواهيه جاءت بماذا؟ أخباره جاءت بماذا؟

التعليقات

ونبينا محمد ﷺ أخبرَ عن أشياء حدثت في الماضي لم يكن العرب يعرفونها، وجاء تصديقها من أهلِ الكتاب وما كان يقرأ ﷺ كتب أهل الكتاب، وجاء بأخبار عما سيحصل مستقبلا، وجاء بأخبار عما سيحصل بين يدي الساعة وحصلت بعده ﷺ شيئًا فشيئًا، منها ما حصل بعد موته سريعًا، ومنها ما يحصل شيئًا فشيئًا، ومنها ما سيحصل بين يدي الساعة، وكل هذه الأخبار في تصديقها دالة على أنه لا يمكن أن يُعطاهَا إلا نبي.

كذلك ما أمر به ﷺ وما نهى عنه فهو موافق للحكمة البالغة التي يعرفها أهل الدين ويعرفها أهل العقل الراجح، حتى إنَّ الحكماء شهدوا في الزمن الماضي وفي الزمن الحاضر بأن شريعة محمد ﷺ هي شريعة ليس فيها خلل لا من جهة الفرد في عمله ولا من جهة التنظير في المجتمع بعامة.

وكذلك ما في أفعاله ﷺ فكان ﷺ له المقام الأكمل في التخلص من الدنيا والبعد عن الرِّفعَة - يعني والترفع على الناس - بل كان ﷺ أكملَ الناس في هديه وفي تواضعه وفي قوله وفي عمله ﷺ، وكان أكمل الناس في عبادته، وكلُّ دعوى لمن ادَّعَى النبوة فلا بد أن يظهر فيها خلل في هذه الأشياء.

أيضًا هو ﷺ تحدّى الناس في قوله فيما أتى به، وأخذ يدعو كما يظهر لك من قصة هرقل مع أبي سفيان وسؤالات هرقل لأبي سفيان، وأخذ يدعو غير ملتفت لخلاف من خالف، والناس يزيدون وأعداؤه ينقصون، وهذا مع تطاول الزمن و نصرة الله ﷻ له، فإنَّ هذا دليل على صدقه فيما أخبر وفي أمره ونهيه وقوله وفعله ﷺ.

أما الثالث: -كما ذكرنا- هذه جنس أجناس الأدلة أنَّ الله ﷻ هو صاحب الملكوت وهو ذو الملك والجبروت، وهو الذي يَنفُذُ أمره في بريته، فمحال أن يأتي أحد ويَدَّعِي أنه مرسل من عند الله، ويصف الله ﷻ بما يصفه به، ويذكر الخبر عن الله وأسمائه ونعوته، ثم هو في مُلكِ الله ﷻ يستمر به الأمر إلى أن يُشَرِّع ويأمر وينهى وينتشر أمره ويغلب من عاداه ويسود في الناس ويُرفع ذكره دون أن يعاقب، ولهذا قال ﷻ في بيان هذا البرهان: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

لو كانت الدَّعوَةُ في ملك الله ﷻ وهذا يَدَّعِي أنه مُرسَلٌ ونبي ويأتي بأشياء يقول هي من عند الله، فإنّ مالك الملك لا يتركه وحاله، بل ربما جعل ذلك ابتلاءً وامتحانًا للناس، ولكن لا يُنصَر وتكون شريعته هي الباقية ويكون ذكره هو الذي يبقى، ويكون خبره عن الله وعن أسمائه وصفاته ودينه وشرعه وعن الأمم السالفة وعما يحصل هو الذي يبقى في الناس، فإنَّ هذا مخالف لقول الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ والمشركون لما كذّبوا النبي ﷺ قالوا: ﴿ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠]، لأنّ السُّنَّةَ ماضية عند العقلاء أن الذي يَدَّعِي عن الله ﷻ فإنما يُتَربَصُ به الهلاك والإفناء.

﴿ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ فجاء البرهان ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور: ٣١]، لأنّ هذا برهان صحيح، فتربصوا فإنِّي معكم من المتربصين ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ وقد صدقتم في هذا البرهان؛ لأنه لو كان كما تقولون كاذب فإنه يُتَربَّصُ به ريب المنون وأن يُهلِكَهُ الله ﷻ وأن يجعله مخليًا وأن يجعله عبرة لمن اعتبر.

فالنبي ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين جعلهم الله ﷻ حملةً لرسالته وشَرَّفَهُم ورَفَعَ ذِكرَهُم ونَصَرَهُم بين الناس، ولهذا تجد أنَّ الرسالات هي الباقية في الناس، رسالة موسى عليه السلام ورسالة إبراهيم -عليه السلام- ورسالة عيسى عليه السلام ورسالة محمد ﷺ، وكل واحدة منها دخلها من التحريف ما دخلها، فأتباع إبراهيم حرَّفُوا في دينهم حتى أصبحوا على غير ملة إبراهيم، وأتباع موسى من اليهود الآن على غير دين موسى، وأتباع عيسى عليه السلام الآن على غير دين عيسى، وأتباع محمد ﷺ هم الذين حفظهم الله ﷻ وجعل منهم طائفة ظاهرين بالحق يقومون به إلى قيام الساعة.

هذا ما يتعلق بالمسألة الثالثة.

المسألة الرابعة:

أنَّ الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بشر يجوز في حقهم ما يجوز في حق البشر مما هو من الجِبِلَّة والطبيعة، ولهذا في القرآن يكثر وصفهم بأنهم بشر وأنّ محمدا ﷺ بشر لكن يُوحَى إليه.

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

وأما من جهة الذنوب والآثام أو نجعل البحث هذا يعني رأس المسألة منقسم إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول :من حيث الأمراض والعاهات:

فعند أهل السنة والجماعة أنَّ الرسل والأنبياء يُبتَلَونَ ويمرضون مرضًا شديدًا، وعند الأشاعرة أنهم يمرضون ولكن بمرض خفيف ولا يمرضون بمرض شديد.

هذا غلط بَيِّن فإنّ ابن مسعود دخل على النبي ﷺ وقال: «يا رسول الله إني أراك تُوعَكَ - يعني فيك حمى شديدة - قال: أجل إني أُوعَكَ كما يوعك رجلان منكم. قال ابن مسعود: ذلك بأن لك أجرين؟ قال نعم». إلى آخر الحديث.

والأنبياء يُضَاعَفُ عليهم أو يشتدّ عليه البلاء بأنواع. فإذًا من جهة الأمراض والأسقام التي لا تؤثر على التبليغ وصحة الرسالة فإنهم ربما أُبتلُوا في أجسامهم وأبدانهم بأمراض متنوعة شديدة.

- القسم الثاني: من جهة الذنوب، الذنوب أقسام:

١- فمنها الكفر وجائز في حق الأنبياء والرسل أن يكونوا على غير التوحيد قبل الرسالة والنبوة.

٢- والثاني من جهة الذنوب، فالذنوب قسمان كبائر وصغائر:

□ والكبائر جائزة فيما قبل النبوة، ممنوعة فيما بعد النبوة والرسالة؛ فليس في الرسل من اقترف كبيرة بعد النبوة والرسالة أو تَقَحَّمَها عليهم الصلاة والسلام بخلاف من أجاز ذلك من أهل البدع.

□ أما الصغائر فَمَنَعَ الأكثرون فِعلَ الصغائر من الأنبياء والرسل، والصواب أنَّ الصغائر على قسمين:

صغائر مؤثرة في الصدق؛ في صدق الحديث وفي تبليغ الرسالة وفي الأمانة، فهذه لا يجوز أن تكون في الأنبياء، والأنبياء منزهون عنها؛ لأجل أنها قادحة أو مؤثرة في مقام الرسالة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

والثاني، من الأقسام صغائر مما يكون من طبائع البشر في العمل أو في النظر أو في ما أشبه ذلك، أو من جهة النقص في تحقيق أعلى المقامات وأشباه ذلك، فهذه جائزة.

ولا نقول: واقعة؛ بل نقول: جائزة، والله ﷻ أنزل على نبيه ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ١-٢] الآية، فالنبي ﷺ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

المسألة الخامسة:

هي أنّ الرسول والنبي فيهم شروط أو أوصاف عامة جاءت في القرآن والسنة:

الأول: أنَّ الرسول يكون ذكرًا وكذلك الأنبياء ذكورًا، فليس في النساء رسولة ولا نبية، وإنما هم ذكور.

الثاني: أنهم من أهل القرى يعني ممن يسكنون القرى ويتَقَرُّون ويجتمعون، وليسوا من أهل البادية يعني ممن يبدون كما جاء في آية يوسف.

الثالث: أنَّ الرسول لابد أن يُكَذَّب، فلم يأتِ رسول إلا وكُذِّب كما قال ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف: ١١٠].

مباحث النبوة والرسالة كثيرة متنوعة، وهذه يعني بعض المسائل المتعلقة بها، وقد لا تجد ذلك مجموعًا في موضع واحد.

ولاشك أَنَّ هذا البحث، خاصة دلائل النبوة بحث مهم، واعتنى به أئمة السنة والسلف، وصنف فيه عدد من العلماء في دلائل النبوة وفي آيات وبراهين النبي محمد ﷺ.

نكتفي بهذا القدر، ونقف عند قوله (**وإنّه خَاتَمُ الأنبياءِ، وإِمَامُ الأتقِيَاءِ**) إن شاء الله.

التعليقات

... وإنَّه خَاتمُ الأنبياءِ، وإمَامُ الأتقِيَاءِ، وسيِّدُ المرسَلينَ(١)،..

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (وإنه خاتم الانبياءِ)

ش: قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أُحسِن بناؤه، وتُرِك منه موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيبون سواها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل»، أخرجاه في الصحيحين...

الشيخ صالح

تكلمنا على الجمل الأولى وهي قوله: (**وإنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجتَبى، ورَسُولُهُ المُرتَضَى**) ﷺ، ووقفنا عند قوله: (**وإنَّه خَاتِمُ الأنبياءِ**) وهذه الجملة فيها تقرير أنَّ محمدًا ﷺ به خُتمت النبوة، (**وإنَّه خاتِمُ الأنبياءِ**) يعني الذي خَتَمَهُم فصار خاتِما لهم، ليس بعده أحد. وهذا مُجمَعٌ عليه بين طوائف هذه الأمة جميعًا حتى الطوائف الخارجة أو الفرق الخارجة عن الثنتين والسبعين فرقة كالجهمية والرافضة وأشباه هؤلاء من المتقدمين فإنهم مقرون بأن بَعثة محمد ﷺ بها خُتمت النبوة وأنه ﷺ خاتم الأنبياء وخاتم المرسلين ﷺ. فهذا إجماع، وقد ادَّعَت طوائف خلاف هذا؛ ادَّعت طوائف من المعاصرين كالقاديانية وأشباههم خلاف هذا. وبعض المتقدمين أشار إلى أنَّ النبوة قد لا تُختم وهذا سيأتي له البحث إن شاء الله فيما نعرض من مسائل، ولكن لا يُنسَبُ إلى طائفة عامة، ولكن قد يكون نُسِبَ إلى بعض الأشخاص أو بعض الأفراد المنتسبين إلى الفلسفة أو الغلو أو أشباه ذلك.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: هذه العقيدة ثبتت في أحاديث كثيرة مستفيضة تلقتها الأمة بالقبول. وقد ذكر الشارح (في الصفحة ١٦٩ - الطبعة الرابعة [الطبعة التاسعة الصفحة ١٥٩ طبع المكتب الإسلامي]) طائفة منها فلتراجع منه فهي تفيد العلم واليقين فهو صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين يقينا ومن المؤسف أن أقول: إن هذه العقيدة لا يؤمن بها أولئك الذين يشترطون في الحديث الذي يجب الإيمان به أن يكون متواترا فكيف يؤمن بها من صرح بأن العقيدة لا تؤخذ إلا من القرآن كالشيخ شلتوت وغيره وقد رددت على هؤلاء جميعًا من عشرين وجهًا في رسالتي " وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين " وذكرت في آخرها عشرين مثالا من العقائد الثابتة في الأحاديث الصحيحة يلزمهم جحدها وعدم الإيمان بها وهذه العقيدة واحدة منها فراجعها فإنها مطبوعة وهامة.

الشيخ الفوزان: هذه من صفاته عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء، ومعنى (خاتم) الذي لا يأتي بعده نبي، وختام الشيء هو: الذي يُجعل عليه حتى لا يزاد عليه ولا ينقص منه، فالله ختم الرسالات......=

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال ﷺ: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي»، وفي صحيح مسلم عن ثوبان، قال: قال رسول الله: «وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي»، الحديث. ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»............

الشيخ صالح

فقول المؤلف رحمه الله: (وإنَّه خاتِمُ الأنبياءِ) يعني النبي ﷺ هذا كما قلنا مجمع عليه لدلالة القرآن والسنة على ذلك ولإجماع أهل السنة عليه، قال ربنا عز وجل: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قرأ قوله: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عاصم وحده من بين القرّاء بفتح التاء؛ ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وقرأ الباقون من السبعة ﴿ وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وبأحد القراءات كان يقرأ الطحاوي ولذلك اخترنا الكسر على الفتح لاتباع الآي قراءة الآية على ما يقرأ به المصنف رحمه الله. وهذا موضوع يحتاج من طلاب العلم إلى التنبه إليه وإلى التنبيه عليه، وهو أنَّ كثيرين إذا نشروا كتبًا أو حققوا رسائل ضبطوا الآيات بما يقرأ به المحقق أو يقرأ به الباحث. وهذا غلط؛ لأنَّ حق المؤلف أن تُورِدَ الآية بحسب قراءته، فإذا عُرِفَت قراءته التي كان يقرأ بها، فإنه تُورَدُ الآية على نحو ما كان يقرأ، فإن كان يقرأ بحفص فتُثبت على حفص، وإن كان يقرأ بأبي عمر أُثبِتَت كذلك، وإن كان يقرأ على قراءة نافع فتثبت كذلك، وهكذا.

التعليقات

=بمحمد ﷺ، قال جل في علاه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، فلا حاجة لمجيء نبي بعده؛ لأن القرآن موجود، والسنة النبوية موجودة، والعلماء الربانيون موجودون، يدعون إلى الله ويبصرون الناس؛ فدين محمد باقٍ إلى قيام الساعة لا يبدل ولا ينسخ ولا يغير؛ لأن الله سبحانه جعله صالحًا لكل زمان ولكل مكان، أما شرائع الأنبياءِ السابقين فتكون مؤقتة لأممهم في فترة من الفترات، ثم ينسخ الله تلك الشريعة بشريعة أخرى تتناسب مع الأمة الأخرى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾. كما قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ أي لكل كتاب أجل.

فدين الإسلام كامل لا يحتاج بعد محمد ﷺ إلى رسول، والعلماء ورثة الأنبياء، فمن اعتقد أنه يأتي بعد محمد ﷺ نبي فهو كافر بالله خارج من الملة، وقد أخبر النبي ﷺ أنه يأتي كذبة يدعون النبوة من بعده، قال عليه الصلاة والسلام: «سيأتي بعدي كذابون ثلاثون، كلهم يدعي أنه نبي، وأنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي». ....=

..... قوله: (وإمام الأتقياء)

ش: هو ﷺ، الإمام الذي يؤتم به، أي: يقتدون به. والنبي ﷺ إنما بعث للاقتداء به، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. وكل من اتبعه واقتدى به فهو من الأتقياء........................

فينبغي التنبه في ذلك؛ لأنَّ بعض العلماء يُورِدُ آية ويذكر وجه الاستدلال، وقد لا يذكره فيقع إشكال في أنَّ وجه الاستدلال أو أنَّ الدليل لا يطابق القضية التي تُبحَث، وذلك من جهة أنَّ الناظر أو المحقق أو الناشر أورَدَ الآية على نحو ما يقرأ هو، ولذلك يقع في إشكال. وهذه بالمناسبة قضية كبيرة، فالذين نشروا كتبًا متنوعة أو ينشرون ينبغي لهم العناية بهذا الأمر. وأعظم منها إذا نشروا تفسيرًا للقرآن فإنهم قد يجعلون التفسير بقراءة ليست هي قراءة المؤلف، كما في عامَّةِ طبعات ابن كثير، فإن ابن كثير الحافظ المفسر لم يكن يقرأ بقراءة حفص عن عاصم، وكما في غير ذلك. وكذلك في كتب السنة، كتب الحديث، معلوم أنها روايات، والروايات مختلفة لكتب الحديث، فالبخاري له روايات متعددة، وأبو داود له روايات قد تكون عن أبي داود نفسه وقد تكون عن من تلقى عنه باختلاف، فيأتي الناشر ويثبت نصًّا للكتاب يخالف النص الذي شرح عليه الشارح، ولهذا كل النشرات أو الطبعات لكتاب فتح الباري ليست موافقة لرواية صحيح البخاري المثبت معها، فإنَّ الحافظ ابن حجر رحمه الله لم يشرح البخاري على واحدة من الروايات المثبتة طبعًا مع نسخ فتح الباري وهذه المسألة ينبغي لطلاب العلم أن يتنبهوا عليها. وخُذ ما جَرَّهُ الأمر في صحيح مسلم حيث أدخل بعض الناشرين التبويب في داخل صحيح مسلم، وكأنَّ مسلمًا رحمه الله هو الذي بَوَّبَ صحيحه، ومعلوم أنَّ مسلمًا رحمه الله لم يبوّب كتابه وإنما جعله كتبا، وأما التبويب الداخلي فإنه من صنع الشراح فلا ينبغي لطالب العلم أن يقول: رواه مسلم في كتاب صفة القيامة باب كذا، أو في كتاب الصلاة باب كذا؛ لأنَّ التبويب ليس من صنعه والكتب. ينبغي أن تُراعَى أيضا هل ذَكَرَهَا في أولها أو لم يذكرها.

التعليقات

= فمن ادعى النبوة أو ادعيت له النبوة ومن اتبعهم، فكلهم كفرة، وقد قاتلهم المسلمون وكفّروهم، وآخر من ادعى النبوة في الوقت الحاضر: القادياني الباكستاني الذي ادّعى النبوة له أتباعه القاديانية، ويُسمون بالأحمدية نسبة إلى اسمه؛ لأن اسمه أحمد القادياني، وقد كفره العلماء وطردوه من البلاد الإسلامية، وكفّروا أتباعه؛ لأن هذا تكذيب لله ولرسوله، وتكفيرهم بإجماع المسلمين، لم يخالف في هذا أحد.............................=

...... قوله: (وسيد المرسلين)

ش: قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع». رواه مسلم. وفي أول حديث الشفاعة: «أنا سيد الناس يوم القيامة» وروى مسلم والترمذي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم».

فإن قيل: يشكل على هذا قوله ﷺ: «لاتفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشًا بساق العرش، فلا أدري هل أفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله؟» خرَّجاه في الصحيحين، فكيف يجمع بين هذا وبين قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»..

الشيخ صالح

المقصود من هذا أنَّ الله ﷻ قال: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، وفي القراءة الأخرى التي قرأ بها ستة من السبعة القراء ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، وفي هذه الآية دِلالة على أنّ النبي ﷺ خُتِمَت به النبوة. وخَتمُ النبوة يدل على خَتم الرسالة من بابٍ أولى عند من يقولِ: إنَّ الرسول أرفع رتبة من النبي وإنَّ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً. وهو من قبيل دِلالة المساواة عند من يقول: إنَّ الرسول والنبي بمعنى واحد. والآية تدل على التفريق ؛ لأنه قال: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.

وفي السنة دلَّت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ على أنَّ بعثه بها خُتِمتِ الرسالات والنبوات، فثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال من حديث ثوبان: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ كُلّهُم يدّعي أَنَّهُ نَبِيّ –أو كُلّهُم يَزعَمُ أَنَّهُ نَبِيّ–، ولا نَبِيّ بَعدِي**»، وأيضًا دل قوله ﷺ في ما في الصحيح: (**إِنَّه لاَ نَبِيَّ بَعدِي**) على ذلك، ودل أيضًا قوله ﷺ فيما رواه بعض أصحاب الصحيح وبعض أصحاب السنن ؛ بل هو في مسألة ستأتي ليس فيها لفظ الختم.

التعليقات

= فلابد للمسلم أن يعتقد أنه –عليه الصلاة والسلام– خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الأتقياء ؛ يعني القدوة الوحيد للأتقياء الذين يتقون الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾، أما غير النبي ﷺ فيقتدى به إن كان يقتدي بالنبي ﷺ، أما من خالف الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يجوز الاقتداء به: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾، فلا طريق إلى الله إلا باتباع الرسول –عليه الصلاة والسلام– والاقتداء به......................=

.... وحَبيبُ ربِّ العالَمين(١)..................

ابن أبي العز الحنفي

.... فالجواب: أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم، وقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا؛ لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذمومًا، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذمومًا، فإن الله حرم الفخر، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]............

الشيخ صالح

المقصود أنَّ الأدلة من السنة التي فيها ذِكر ختم النبوة كثيرة متنوعة دالة على ما دلت عليه الآية من أنَّ رسول الله ﷺ به خُتِمَت النبوة وكما ذكرنا لكم أنَّ هذا إجماع. إذا تبين ذلك ففي هذا البحث مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ قوله ﷻ: ﴿ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، بكسر التاء، هو فاعل من خَتَم، خَتَمَ الشيء يختِمه فهو خاتِم له؛ يعني جاء آخرًا فختَمَهُ فهو الآخر منهم. وهذا دلّ عليه قوله ﷺ: «وأنا العاقب» يعني الذي لا نبي بعده.

التعليقات

= (وسيد المرسلين) هو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أخبر الأمة بذلك من باب الشكر لله عز وجل، ولتشكر الأمة ربها عز وجل على هذه النعمة: أن جعل رسولها سيد الرسل، و(سيد) معناه: المقدم والإمام، فهو أفضل الرسل عليه الصلاة والسلام، وإمامهم ومقدمهم.

و(حبيب رب العالمين) هذه العبارة فيها مؤاخذة؛ لأنه لا يكفي قوله: حبيب، بل هو خليل رب العالمين؛ والخلة أفضل من مطلق المحبة؛ فالمحبة درجات، أعلاها الخلة، وهي خالص المحبة، ولم تحصل هذه المرتبة إلا لاثنين من الخلق إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ ونبينا عليه الصلاة والسلام، فقد أخبر بذلك فقال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً». فلا يقال: حبيب الله؛ لأن هذا يصلح لكل مؤمن، فلا يكون للنبي ﷺ في هذا ميزة، أما الخلة فلا أحد يلحقه فيها.

(١) الشيخ الألباني: قلت: بل هو خليل رب العالمين فإن الخلة أعلى مرتبة من المحبة وأكمل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا» ولذلك لم يثبت في حديث أنه صلى الله عليه وسلم حبيب الله. فتنبه وراجع في الفقرة الآتية (٥٢) بسطًا لهذا في كلام الشارح عليها.

ابن أبي العز الحنفي

..... فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على وجه الانتقاص بالمفضول، وعلى هذا يحمل أيضًا قوله ﷺ: «لا تفضلوا بين الأنبياء»، إن كان ثابتًا، فإن هذا قد روي في نفس حديث موسى، وهو في البخاري وغيره. لكن بعض الناس يقول: إن فيه علة، بخلاف حديث موسى، فإنه صحيح لا علة فيه باتفاقهم.

وقد أجاب بعضهم بجواب آخر، وهو: أن قوله ﷺ لا تفضلوني على موسى، وقوله: «لا تفضلوا بين الأنبياء» نهي عن التفضيل الخاص، أي: لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» فإنه تفضيل عام فلا يمنع منه. وهذا كما لو قيل: فلان أفضل أهل البلد، لا ينصب على أفرادهم، بخلاف ما لو قيل لأحدهم: فلان أفضل منك. ثم إني رأيت الطحاوي رحمه الله قد أجاب بهذا الجواب في شرح معاني الآثار.............

الشيخ صالح

وأما قوله ﷻ: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ بالفتح ففسره العلماء على أوجه منها:

- ❐ أنَّ الخاتَم في هذا ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ أنه كالطَّابَع على مسألة النبوة، والطَّابَع على الشيء يأتي آخر ما يأتي، فالذي يُرسِل الرسالة يجعل الخاتَم آخر شيء، فتكون دلالة ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ دالة على أنه هو الآخر؛ لأنَّ الخاتم إنما يأتي آخره.

- ❐ وفيه أيضًا أنَّ الخاتم هو زَينُ الشيء وما يُتَزَيَّنُ به، فهو البارز حلية وزينة وفضلا.

وهذا الوجه ذكره الشوكاني وغيره.

فدلّ هذا على أنَّ القراءتين ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، والقراءة الأخرى ﴿ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ ﴾ أنَّ دلالتهما على ختم النبوة واحدًا، وأنَّ قراءة ﴿ وَخَاتَمَ ﴾ تزيد على القراءة الأخرى بزيادة معنى وفضل دِلالة.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما ما يروى أن النبي ﷺ قال: «لا تفضلوني على يونس بن متى»، وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالا جزيلا، فلما أعطوه فسره بأن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج وعدوًا هذا تفسيرًا عظيمًا. وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظًا ومعنى، فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها.

وإنما اللفظ الذي في الصحيح: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى. وفي رواية: من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب». وهذا اللفظ يدل على العموم، لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، ليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمدًا على يونس؛ وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه، وقال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام؛ إذ لا يفعل ما يلام عليه. ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم: آدم، قد قال: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].......................

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

أنَّ مسألة ختم النبوة الكلام فيها راجع إلى بعض الكلام في مسألة النبوة والنبي والرسول التي مرت معنا. وذلك أنَّ مِن الأفراد المنتسبين إلى الفلسفة وإلى الصوفية الغالية مَن قال: إنَّ النبوة مُكتَسَبَة، وتُكتَسَب النبوة بأشياء:

- منها أشياء علمية.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وآخرهم وأفضلهم وسيدهم: محمد ﷺ، قال في الحديث الصحيح، حديث الاستفتاح، من رواية علي بن أبي طالب ﷺ وغيره، بعد قوله وجهت وجهي إلى آخره: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا، لا يغفر الذنوب إلا أنت»، إلى آخر الحديث، وكذا قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم؛ لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين. ولهذا أتبعه بقوله ولا فخر، كما جاء في رواية. وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: إن مقام الذي أسري به الى ربه وهو مقرب معظم مكرم - كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب؟! فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب. فانظر إلى هذا الاستدلال؛ لأنه بهذا المعنى المحرف اللفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى عن خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه، التي تزيد على ألف دليل، كما يأتي الإشارة إليها عند قول الشيخ رحمه الله محيط بكل شيء وفوقه، إن شاء الله تعالى.

وأيضًا: فيونس ﷺ لما قيل فيه: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]......

الشيخ صالح

- ❑ ومنها أشياء عملية.
- ❑ ومنها استعدادات ومواهب فطرية.

كما قد يكون غير الأنبياء مساوين لهم في تلقي الأوامر وتلقي الوحي كما يزعمون. وهذا القول لا يُنسَبُ إلى طائفة معروفة بحيث يقال: إنَّ الفلاسفة قالوا هذا، أو إنَّ الصوفية قالوا هذا؛ بل ربما وُجد عند بعض أفرادٍ منهم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... **وقوله:** «من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب»، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير نقصًا، فيكون كاذبًا، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، وإن كان ﷺ معصومًا من الشرك، لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال.

فنهى نبينا ﷺ عن التشبه به، وأمره بالتشبه بأولي العزم حيث قيل له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. فقد يقول من يقول: أنا خير من يونس: للأفضل أن يفخر على من دونه، فكيف إذا لم يكن أفضل، فإن الله لا يحب كل مختال فخور، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «أوحي إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد». فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم؟ فلهذا قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس.

قوله: (وحبيب رب العالمين).

ش: ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة، وهي الخلة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»، وقال: «ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن». والحديثان في الصحيح وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه.......................

الشيخ صالح

المسألة الثالثة:

أنّ الكلام على ختم النبوة هو الكلام نفسه على ختم الوحي، فإنَّ النبوة إنما كانت بالوحي.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... وفي الصحيح أيضًا: إني أبرأ الى كل خليل من خلته. والمحبة قد ثبتت لغيره. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة. وحديث ابن عباس ﷺ الذي رواه الترمذي الذي فيه: «إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» لم يثبت.

والمحبة مراتب:

أولها: العلاقة، وهي تعلق القلب بالمحبوب.

والثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغرام، وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم؛ لملازمته، ومنه: ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥].

الخامسة: المودة، والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦] ....

الشيخ صالح

فمن ادَّعَى أنه يسمع كلام الله ﷻ فقد ادَّعَى أنه يُوحَى إليه. وانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ دالٌّ على أنَّ الوحي لا يكون لأحد بعده ﷺ؛ فلهذا كفَّرَ طائفة من المحققين من أهل السنة من ادَّعَى أنه يوحى إليه وأنه يسمع كلام الله ﷻ مباشرة أو بواسطة جبريل ونحو ذلك؛ لأنَّ حقيقة سماع الوحي هي حقيقة النبوة. فإذًا من ادَّعَى أنَّهُ يوحى إليه فقد ادَّعَى أنَّهُ نبي، ولو نفى النسبة عن نفسه.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

.... السادسة: الشغف، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم.

واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك؛ ولعل امتناع إطلاقه: أن العشق محبة مع شهوة.

الثامنة: التيم، وهو بمعنى التعبد.

التاسعة: التعبد.

العاشرة: الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن، لا يعرف حسنه إلا بالتأمل في معانيه..

الشيخ صالح

المسألة الرابعة:

أنَّ ادِّعَاء الوحي كفر كدعوى النبوة، وهذا باتفاق أهل السنة. فمن ادَّعَى أنه يُوحَى إليه فقد ادَّعَى منزلة النبوة، وهذا يدخل في عدم التصديق بختم النبوة وبالكذب على رب العالمين، وهذا هو الكفر.

المسألة الخامسة:

أنّ ختم النبوة وكون النبي ﷺ خاتِم الأنبياء وخَاتَمَهُم لا يعارض نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، فإنّ نبوته عليه السلام كانت قبل نبوة محمد ﷺ، وإذا نزل فالنبوة السابقة ملازمة له عليه السلام، ولكنه يأتي مؤمنًا بمحمد ﷺ حاكمًا بشريعته، قاتلًا الخنزير، كاسرًا الصليب، واضعًا الجزية على النصارى واليهود، كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: «**لَيُوشِكَنَّ أن يَنزِلَ فِيكُم عيسى بنُ مَريَمَ حكَمًا عدلاً. فَيَضعُ الجِزيَةَ، وَيَكسِرُ الصّلِيبَ، وَيَقتُلُ الخِنزِيرَ**»، وإذا نزل –عليه السلام– جَعَل إمام هذه الأمة منها وصلى مأمومًا ﷺ، وقال في ذلك: «**إمامكم منكم تَكرِمة الله لهذه الأمة**»، فلا يُنظَر من ادَّعَى بطلان تقرير ختم النبوة بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، فإن نبوته والوحي إليه كان سابقا لبعثة محمد ﷺ.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

.... واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة، حسبما ورد النص.

وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً. ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء. وهذه الاشياء الواضحة لا تحتاج الى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع ونحو ذلك.........

الشيخ صالح

وإذا نزل في آخر الزمان فإنه ينزل حاكمًا بالشريعة، حاكمًا بالقرآن، مؤمنًا بمحمد ﷺ، ولا يوحى إليه بشيء جديد، الحديث الذي ذكرتُ لكم أُنسيتُه، جاء الآن، وهو قوله ﷺ: **«مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنبياءِ قبلي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابتَنَى دَارًا فَحَسَّنَهَا وزينها إلا مَوضِعَ لَبِنَةٍ منها، فَجَعَلَ النّاسُ يطوفون بهذه الدار، ويقولون ما أحسنها ما أجملها لو كملت هذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة وبي خُتِمَ النبيون»** ﷺ.

قال المؤلف رحمه الله بعدها: **(وإِمَامُ الأَتقِيَاءِ)** فكونه ﷺ إمامًا يعني أنه يُؤتَمُّ به، والأتقياء هم صفوة هذه الأمة، وفي قوله هذا إبطال لقول من قال: إنّ من الأتقياء من قد يخرج عن الائتمام بمحمد ﷺ كقول بعض غلاة الصوفية من أهل الزندقة الذين رأى بعضهم أنَّهُ يَسَعُهُ الخروج على شريعة محمد ﷺ كما وَسِعَ الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فكل تقي جاء بعده ﷺ فلا يكون تقيًا إلا بالائتمام بمحمد ﷺ، وهذا الائتمام يكون بالاتباع كما قال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]. والأتقياء جمع تقي، والتقي هو من حَصَّلَ التقوى. والتقوى في القرآن جاءت على ثلاث مراتب:

○ المرتبة الأولى: أن يتقي العذاب المؤبد بتحقيق التوحيد؛ بالإتيان بالتوحيد وبنبذ الشرك وتركه، يعني بالإسلام، وهذه هي التي جاءت في مثل قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ فخوطب الناس جميعا بالتقوى؛ يعني باتقاء العذاب المُخلَّد بالإيمان بتوحيد الله ﷻ وبترك الشرك والبراءة منه ومن أهله.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

○ المرتبة الثانية: أنَّ المتقي هو الذي يفعل الواجب ممتثلاً ويترك المحرم ممتثلاً، وهذه هي مرتبة المقتصدين الذين جاء فيهم قول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢]، من تَرَكَ المحرم امتثالاً وأتى بالواجب امتثالاً فهو من المتقين؛ لأنَّهُ اتَّقَى العذاب، والعذاب يكون بترك الواجب أو بفعل المحرم.

○ المرتبة الثالثة: أن يتقي الله ﷻ بترك صغائر الذنوب وبترك ما به بأس وبترك ما لا بأس به حَذَرًا مما به بأس، وهذه هي تقوى الله حق تقاته، كما قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، يعني خَافُوهُ واحذروه حق الخوف والحذر، وهذه المرتبة إنما هي للسابقين بالخيرات الذين يتركون المكروهات ويَسعون في كل المستحبات.

قال بعدها ﵀: (وسيِّدُ المرسَلينَ). قوله: (وسيِّدُ المرسَلينَ) معناه أنه ﷺ هو المقدم في المرسلين وهو أفضلهم؛ لأنَّ السيادة فرع الفضل بكمال الصفات المحمودة في السيد، (وسيِّدُ المرسَلينَ) من السيادة كما ذكرنا، والسيادة معناها يجمع أمورًا، ومنها أن يكون أمره نافذًا وأن يكون المرجع هو. وهذا إذا قيل في محمد ﷺ: (وسيِّدُ المرسَلينَ) بهذا المعنى؛ يعني أنه هو المرجع فبالنظر إلى شيئين:

الأول: قوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخرَ» وولد آدم داخل فيهم المرسلون.

الثاني: أنَّ رجوع الأمر إليه بالنسبة إلى الأنبياء يكون في عَرَصَات القيامة؛ حيث يذهب الناس إلى آدم، ثم إلى نوح إلى آخره، ثم يأتون محمدًا ﷺ يطلبون منه تعجيل الحساب، فيقول: «أنا لها، أنا لها، فيخر تحت العرش فيحمد الله» إلى آخر الحديث. وهنا في معنى السيادة كما ذكرنا، في معنى السيادة التفضيل.

ولهذا بَحَثَ الشارح هاهنا ابن أبي العز مسألة التفضيل بين الأنبياء في هذا الموضع؛ لأنَّ من فروع السيادة أو من أسباب السيادة الفضل. وكون النبي ﷺ سيد المرسلين حق -كما ذكرنا- للدليل وهو قوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخرَ».

التعليقات

إذا تبين ذلك ففي المسألة مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ التفضيل بين الأنبياء جاء به النص كما قال ﷻ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

والرسل كثيرون وأفضلهم أولو العزم من الرسل وهم خمسة: نوح ثم إبراهيم، - يعني في الزمان- نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وقد جاء ذكرهم في سورتي الأحزاب والشورى. وهؤلاء الخمسة أفضلهم محمد ﷺ، فقد فُضِّل إبراهيم بالخُلّة ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٥]، والله ﷻ جعل محمدا ﷺ خليلاً له، فَفَضلُ إبراهيم جاء لمحمد ﷺ، وفُضِّل موسى بالتكليم ومحمد ﷺ أيضا مُكَلَّم كما في حديث المعراج.

المسألة الثانية:

أنَّ الفضل والتفاضل والتخيير بين الأنبياء له حالتان: حالة عامة أوحالة خاصة.

- فالحالة العامة: يجوز فيها ذلك بمعنى أن يقال: محمد ﷺ أفضل المرسلين سيد المرسلين، أشرف الأنبياء والمرسلين.

- وأما في مقابلة نبي بحسب شخصه في مقابلة نبي بذاته: فهذا يكون خصوصًا فلا يجري التفضيل على وجه الاختيار، ولهذا جاء في السنة أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تخيروني على موسى فإن الناس يُصعَقون يومَ القِيامةِ فأكونُ أولَ مَن يُفيقُ، فإذا أنا بموسى آخذٌ -أو قال باطش- بقائمةٍ من قوائم العرشِ، فلا أدرِي أأفاقَ قبلي أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطّور**»، فقوله ﷺ هنا: «**لا تخيروني على موسى**» وفي رواية «**لا تفضلوني على موسى**»() دلّ على عدم جواز التفضيل الخاص.

المسألة الثالثة:

أنَّ هذا البحث وهو بحث التفضيل بين الأنبياء جاءت فيه أحاديث، منها هذا الحديث «**لا تفضلوني على موسى**»، «**لا تخيروني على موسى**»، ومنها حديث عام «**لا تَخَيَّرُوا بين الأنبياء**».

التعليقات

ومنها حديث خاص بيونس -عليه السلام- وهو قوله ﷺ: **«لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى»** وفي رواية قال: **«من قال أنا خير من يونس بن متّى فقد كذب»**، وهذا اختلفت فيه أنظار العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث والتفضيل وما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وأحسن الأجوبة على ذلك أن يقال:

○ أولا: أنَّ قوله: **«لا تخيروني على موسى»** هذا قاله لسبب قصة وردت، وهو أنَّ اليهودي والمسلم اختلفا فافتخر اليهودي على المسلم بموسى، والمسلم ردّ على اليهودي ولطمه؟ فإذًا يكون النهي إذا كان التفضيل الخاص جاء على جهة العصبية والحمية والفخر، ولهذا جاء في الحديث **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخرَ»**، فدلّ على أنَّ التفضيل إذا كان مورده الفخر والعصبية فإنه يمنع منه.

○ ثانيًا: أنَّ جهات الفضل متنوعة، والتفضيل من جهة الجنس؛ جنس الفضائل سائغ، ومن جهة كل فَضيلة بحسبها متعدد؛ ولهذا يقال: إنَّ تفضيل **محمد** ﷺ من جهة مجموع الفضائل، ولا يُنَصّ على أَنَّهُ أفضل من غيره من الرسل في كل فضيلة عند جميع الرسل؛ يعني من حيث النظر العام.

○ ثالثًا: أن يقال: إنَّ التفضيل بين الأنبياء لا حاجة إليه؛ لأنَّ الأنبياء والرسل رسالتهم واحدة، والله ﷻ وَصَفَ المؤمنين بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرّق بين أحد من رسله، والرسل وَصَفَهُم النبي عليهم الصلاة والسلام بقوله: **«الأنبياء إخوة لعلات الدين واحد والشرائع شتى»**، وتَوَلِّي الرسل جميعًا فرض، ومحبتهم جميعًا فرض، فإذًا الدخول في التفضيل دخول فيما لا طائل تحته، فالواجب أن يُبقَى في ذلك على النص وهو ما ذكرناه أولاً من التفضيل العام دون التفضيل الخاص.

أما قوله ﷺ: **«من قال أنا خير من يونس بن متّى فقد كذب»** فهذا لأجل أَنَّ بعض الناس قد يظن أَنَّ يونس عليه السلام فعل ما يُلامُ عليه، وأَنَّهُ عُوقِبَ بأن كان في البحر وفي بطن الحوت، ثم قال: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فقال: إنَّ هذه الكلمة ربما تكون لمن فعل شيئًا يُلاَمُ عليه وعوقب، فقال: إنَّ يونس بن متّى قالها لأَنَّهُ فَعَلَ ما فعل.

التعليقات

وهذا في الحقيقة غلط ؛ لأنه لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متّى، كما قال ﷺ، فيترُك الدعاء بهذا الدعاء العظيم ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾، فهذا قد دعا به آدم عليه السلام، ودعا به موسى عليه السلام، ودعا به غيرهما من الأنبياء والمرسلين. فإذًا هذا الدعاء وحال يونس بن متّى ليس فيها نص في حقه عليه السلام - أعني يونس بن متّى عليه السلام - ، فإذًا لا ينبغي أن يقال إنَّ فلانا أفضل من يونس من جهة الاستحباب، لا ينبغي أن يقال ذلك، يعني لا ينبغي أن يقال: إن محمدًا أفضل من يونس بن متّى على جهة الاستحباب، والدليل دلّ على عدم الجواز فيمن يقوله لنفسه فلا يجوز لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متّى. والنبي ﷺ ترك ذلك، وهو أكمل الخلق عليه السلام.

هذا البحث ربما لم تظهر حاجتُه لكن بحَثَه العلماء في هذا الموضع ؛ لأنَّ هناك مِن مَن يعتقد الكمال في الوَلاية من يظن أنّ حالتَه أرفع من حالة يونس بن متّى عليه السلام.

قال ﷺ بعد ذلك: (وحَبيبُ ربِّ العالَمين). فوصف النبي ﷺ بأنه **(حَبيبُ ربِّ العالَمين)**، والمحبة، محبة رب العالمين، محبة الله ﷻ لنبيه ﷺ هذه متحققة، وإنما نُظِرَ في مسألة الخُلّة. والمحبة لفظ عام يدخل تحته مراتب في اللغة، وأعلى مراتب المحبة الخلّة. فالتعبير بـ**(حَبيبُ ربِّ العالَمين)** عند المصنف مال إليه لأجل ما ورد في بعض الأحاديث **«أنّ إبراهيم -عليه السلام- خليل الله ومحمد حبيب رب العالمين»**.

والجواب: أنَّ الاقتصار على مرتبة المحبة العامة للنبي ﷺ هذا قصور؛ لأنَّهُ ﷺ هو حبيب رب العالمين وهو خليل رب العالمين أيضًا. فإبراهيم -عليه السلام- خليل الرحمن كما قال ﷻ: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٥]، وكذلك محمد ﷺ خليل الله كما ثبت ذلك في السنة، قال ﷺ: **«لَو كُنتُ مُتَخِذًا أحدًا خَليلاً لاتَّخذتُ أَبا بَكرٍ خَليلاً، إنّ صَاحِبَكُم خَلِيلُ الرحمن -أو قال خَلِيلُ اللّهِ-»** فدل هذا مع أحاديث أُخَر في الباب على أنَّ المحبة ثابتة للنبي ﷺ، وفوقها مرتبة الخلة ثابتة له ﷺ.

إذا تبين ذلك ففي هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ المحبة بمراتبها التي تضاف إلى رب العالمين ﷻ إنما هي ما ورد.

التعليقات

- وبعض الناس غَلَوا في ذلك فوصفوا الله ﷻ بكل مراتب المحبة، وهذا باطل وغلو.

- وبعضهم جفا كالجهمية وَالمعتزلة ومن نحا نحوهم فنفوا المحبة بمعناها الظاهر وما يكون من مراتبها؛ فنفوا حقيقة محبة الله لعبده ونفوا حقيقة اتخاذ الله ﷻ لعبده خليلاً، وأوَّلوا ذلك كما سيأتي في مواضعه في بيان أصولهم في الصفات.

وأهل السنة والجماعة بين هاتين الطائفتين فلم يغلوا في المحبة؛ يعني في محبة الله لعبده ولم يكونوا من الجفاة في ذلك، بل سلكوا الأصل الذي أصَّلُوهُ، وأنَّ هذه المسائل تبع لما ورد في النصوص. فمن المراتب مراتب المحبة التي جاءت في النصوص وتُثبت لله ﷻ:

- الإرادة الخاصة التي هي بمعنى المحبة.
- والمحبة بلفظها.
- والمودة.
- والخلة.

وما ثبت من غير ما ذكرت هذه التي أذكرها الأربعة: إرادة، المحبة، المودة، الخلّة.

المسألة الثانية:

أنَّ من ألفاظ المحبة التي هي من مراتبها لفظ (العشق). وهذا اللفظ استعمله طائفة من أرباب السلوك فيما بين العبد وبين ربه.

فقالوا: إنّ الله يُعشَقُ ويَعشَق، وقالوا: إنني -يعني المتكلم الذي تَكَلَّمَ- أعشق الله ﷻ. ولفظ العِشق هو من مراتب المحبة -كما هو معلوم-.

ولكنه يُمنَع في إطلاقه من العبد على ربه ومن الرب للعبد، وذلك لأمور:

◄الأول: أنّ لفظ العشق لم يرد في النصوص لا في الكتاب ولا في السنة، لا من جهة العبد لربه، ولا من جهة الرب لعبده، فيمتَنِعُ إطلاق هذا اللفظ واستعماله في المحبة لأجل الاتّباع.

◄الثاني: -وهو تعليل لفظي أيضًا- أنَّ لفظ العشق إنما تستعمله العرب فيما إذا كان لصاحبه شهوة في المعشوق، ومعلوم أنّ الشهوة إنما تكون لمن يَنكِح أو يُنكَح يعني للرجل أو المرأة.

فإذًا استعمال اللفظ في حق الله ﷻ ممتنع لفظًا؛ لأنه لا يستعمل هذا اللفظ إلا في ذلك المعنى.

...... وكلُّ دَعوى النُّبوةِ بَعدَه فَغَيٌّ وَهَوى(١)..............................

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى)

ش: لما ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب. ولا يقال: فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة كيف يقال بتكذيبه؟ لأنا نقول: هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال؛ لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدعٍ يدعي النبوة ولا يظهر أمارة كذبه في دعواه. والغي: ضد الرشاد. والهوى: عبارة عن شهوة النفس. أي: أن تلك الدعوى بسبب هوى النفس، لا عن دليل، فتكون باطلة.........................

الشيخ صالح

◄الثالث: في رد لفظ العشق واستعماله- من جهة المعنى، وهو أنَّ العشق فيه من جهة العبد، أو في إطلاقه على من وُصِفَ به فيه تعلّق بالإرادة وبالإدراك. فلا عشق يحصل إلا وهو مُؤَثِّرٌ في الإرادة بإضعافها ومؤثر في الإدراك بحصول خلل فيه؛ ولهذا أجمع أهل اللغة في أنَّ معاني العشق لابد أن يكون في آثارها ما هو نوع اعتداء: إما على النفس، وإما على الغير.

- اعتداء على النفس بإضعاف الإدراك، أو بإضعاف الإرادة.

- واعتداء على الغير بأنه لو أشعره بذلك فتعاشقا لصار عنده ضعف في الإدراك وضعف في الإرادة.

والله ﷻ لا يجوز أن يُقال في محبته: إنها تُنتِجُ ضعفًا في الإرادة، أو ضعفًا في الإدراك؛ بل محبة الله ﷻ تبلغ بالعبد -يعني محبة العبد لربه- تبلغ بالعبد كمال الإرادة المطلوبة المحمودة وكمال الإدراك المطلوب المحمود؛ يعني في الإيمان، ولهذا امتَنَع أن يوصف الله ﷻ بأنه يعشق عبدَه أو أن العبد يعشق ربَّه.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته نصحًا لهم وتحذيرًا في أحاديث كثيرة أنه سيكون بعده دجالون كثيرون وقال في بعضها: « كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » رواه مسلم وغيره (الأحاديث الصحيحة ١٦٨٣)، ومن هؤلاء الدجالين (ميرزا غلام أحمد القادياني) الذي ادعى النبوة وله أتباع متشرون في الهند وألمانيا وإنكلترا وأمريكا ولهم فيها مساجد يضلون بها المسلمين. وكان منهم في سوريا أفراد استأصل الله شأفتهم وقطع دابرهم ولهم عقائد كثيرة غير اعتقادهم بقاء النبوة بعده صلى الله عليه وسلم. وسلفهم فيه ابن عربي الصوفي ولهم في ذلك رسالة جمعوا فيها أقواله في تأييد اعتقادهم المذكور. لم يستطع المشايخ الرد عليها؛ لأنها مما قاله ابن عربي مع جزمهم بتكفيرهم ولا مجال لذكر شيء من عقائدهم الآن وهم بلا شك ممن عناهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح عنه: « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » رواه المؤلف في (مشكل الآثار) (٤ / ١٠٤) وهو عند الإمام مسلم (١ / ٩)..............................=

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

قال ؒ بعدها: (وكُلُّ دَعوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغَيٌّ وَهَوى) وهذا فيه تقرير أنَّ كل دعوى للنبوة بعده ﷺ فهي ضلال وكذب كما قال ﷺ في حديث ثوبان: «وَإِنَّهُ سَيَكُونُ بعدي كَذّابُونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُم يَزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وإنه لا نَبِيَّ بَعدِي» فكل دعوى للنبوة كذب ولا شك؛ للإجماع المنعقد على ختم النبوة بمحمد ﷺ كما ذكرت لك من قبل.

قوله: (وَهَوى) يعني أنها ناشئة عن الهوى وليس ثَمَّ شبهة فيها، يعني من ادَّعَى النبوة فلا شبهة له، وإنما هي هوىً مُجَرَّد فلن ينزل عليه وحي ولن يكون معه معجزات - معجزات نبوة من عند الله- وإنما هي هوى، وقد يُسَخِّر الشياطين لنفسه فتعينه ببعض الخوارق إلى آخر ما ذكرنا في البحث السابق في الدرس الماضي.

(دَعوى النُّبوةِ بَعدَهُ ﷺ فَغَيٌّ وَهَوى) يعني وكفر، والذي يَدَّعِي أَنَّهُ نبي أو أنه يُوحَى إليه، أو أنه رسول فإنه كافر يجب قتله. وهل يستتاب فتقبل توبته إن تاب؟ هذا مبني على خلاف العلماء في قبول توبة الزنديق، والذي يُرَجَّحُ في هذا أنه لا تُقبَلُ توبته ظاهرًا، فإن كان صادقًا في الباطن فإنَّ الله ﷻ يقبل توبته، لكن ظاهراً لا تُقبَلُ توبته بل يجب قتله، وهذا هو الراجح وهو الصحيح، فيُقتَلُ لما ادَّعَاهُ من النبوة ولو قال: إني تبت ظاهرًا؛ وذلك لأنه قد يَدَّعِي ثانٍ وثالث ورابعٍ وخامس كل يَدَّعِي النبوة والرسالة ثم يقول: تبتُ فيكون في ذلك خلل في الأمة. فإذًا الزنديق الذي يُظهِرُ الكفر، يسب الله ﷻ أو يسب رسوله ﷺ أو يَدَّعِي النبوة أو أشباه هذه الأشياء أو يَدَّعِي الوحي، فهذا يُقتَلُ على كل حال ولا تقبل توبته.

التعليقات

= وإن من أبرز علاماتهم أنهم حين يبدءون بالتحدث عن دعوتهم إنما يبتدئون قبل كل شيء بإثبات موت عيسى -عليه الصلاة والسلام- فإذا تمكنوا من ذلك بزعمهم انتقلوا إلى مرحلة ثانية وهي ذكر الأحاديث الواردة بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام ويتظاهرون بالإيمان بها ثم سرعان ما يتأولونها ما دام أنهم أثبتوا بزعمهم موته بأن المقصود نزول مثيل عيسى وأنه هو غلام أحمد القادياني ولهم من مثل هذا التأويل الشيء الكثير والكثير جدًّا مما جعلنا نقطع بأنهم طائفة من الباطنية الملحدة، وسيأتي الإشارة إلى بعض عقائدهم الضالة قريبًا إن شاء الله تعالى.

الشيخ الفوزان: هذا سبق في معنى أنه خاتم النبيين، فكل دعوى للنبوة بعده فباطلة وكفر؛ لأنه لا يأتي بعد نبينا -عليه الصلاة والسلام- نبي، وعيسى -عليه الصلاة والسلام- لما ينزل آخر الزمان فإنه لا يأتي على أنه نبي ورسول أو يأتي بشريعة جديدة، إنما يأتي على أنه مجدد لدين رسول الله ﷺ، ومتبع لرسول الله ﷺ، ويحكم بالشريعة الإسلامية.

...وهو المبعوثُ إلى عامَّةِ الجنِّ(١) وكافَّةِ الورَى بالحقِّ والهدى، وبالنُّورِ والضِّياءِ(٢)......

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء).

ش: أما كونه مبعوثًا إلى عامة الجن، فقال تعالى حكاية عن قول الجن: ﴿ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف: ٣١]، الآية.........................

الشيخ صالح

الجملة الأخيرة قال ﷺ: (**وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّة الوَرَى بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء**).

قوله: (**وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّة الوَرَى**) يعني أنه ﷺ هو المبعوث إلى الجن والإنس أجمعين. وبعثته ﷺ للإنس والجن جميعًا ذكرَ عدد من أهل العلم الإجماع عليها، فنُقل عن ابن عبد البر وعن ابن حزم في [الفِصَل] أنهم ذكروا الإجماع على عموم بعثة النبي ﷺ للجن والإنس، وذكرها تقي الدين السُبكِي أيضا في رسالة خاصة في عموم رسالته ﷺ. والدليل على ذلك - يعني على عموم بعثته - الدليل على قول المؤلف: (**وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّة الوَرَى**)أدلة كثيرة من القرآن ومن السنة، فمن القرآن:

○ الدليل الأول: قوله ﷻ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٩]، والإنذار بلغ الجن كما في آيات أخر، فإذًا هو نذير للجن وللإنس.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قول : ومن ضلالات القاديانية إنكارهم لـ (الجن) كخلق غير الإنس ويتأولون كل الآيات والأحاديث المصرحة بوجودهم ومباينتهم للإنس في الخلق بما يعود إلى أنهم الإنس أنفسهم أو طائفة منهم حتى إبليس نفسه يقولون: إنه إنسي شرير فما أضلهم.

(٢) الشيخ الفوزان: كذلك، هذا ما يجب اعتقاده في النبي ﷺ ، لا يكفي أن نعتقد أنه رسول الله فقط، بل أنه رسول إلى الناس عامة، بل إلى الجن والإنس، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وقال له: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ فرسالته إلى الناس عامة، وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام، فهو رسول للناس عامة، ووجبت طاعته على جميع الخلق، عربهم وعجمهم، وأسودهم وأبيضهم، وإنسهم وجنهم، فكل من بلغته دعوة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وجب أن يطيعه وأن يتبعه، فمن أقر أنه رسول الله للعرب خاصة، كما يقوله طائفة من النصارى، أنه رسول الله للعرب خاصة، وينكرون نبوته لغيرهم، فهذا كفر بالله عز وجل، وتكذيب لله -عز وجل- ولرسوله، فالله يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، ويقول سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ فرسالته عالمية.........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضًا. قال مقاتل : لم يبعث الله رسولاً إلى الإنس والجن قبله. وهذا قول بعيد، فقد قال تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، الآية، والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر. وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، الآية: تدل على أن موسى مرسل إليهم أيضًا. والله أعلم..

الشيخ صالح

○ الدليل الثاني: قوله ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، والعالَمُون اسم لكل ما سوى الله ﷻ، وخرج من ذلك الملائكة على الصحيح كما سيأتي، فيكون من العام المخصوص، والعام المخصوص دالّ على ما بقي بعد التخصيص كما هو معلوم، فيكون كل الجن والإنس داخلين في لفظ العالمين ولم يُستثنوا ولم يخرجهم دليل فيبقون داخلين في عموم النِّذارة.

وهذا الدليل أعتُرِضَ عليه بأن قوله ﷻ: ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ لأنَّ هذا هو القرآن وليس هو بمحمد ﷺ، وهذا وإن كان وجهًا لاحتمال رجوع الضمير في قوله: ﴿لِيَكُونَ ﴾ للقرآن في قوله في أوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ- يعني القرآن- لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ فهذا الوجه وإن كان محتملاً؛ لكنه خلاف الأولَى، والأولَى عند أهل العربية أنَّ الضمير يرجع على أقرب مذكور وهو قوله: ﴿ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ -عبدُه- لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾.

التعليقات

= وقال عليه الصلاة والسلام: «كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة». وكاتب رسول الله ﷺ ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، فدل على أنه مرسل إلى أهل الأرض كلهم، وأمر بالجهاد حتى يدخل الناس في الإسلام، فدل على عموم رسالته عليه الصلاة والسلام، فيجب اعتقاد هذا....................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم: أنه زعم أن في الجن رسلاً، واحتج بهذه الآية الكريمة، وفي الإستدلال بها على ذلك نظر؛ لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي - والله أعلم - كقوله: ﴿ تَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢] والمراد: من أحدهما.

وأما كونه مبعوثًا إلى كافة الورى، فقد قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]. أي: وأنذر من بلغه، وقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩]..............

الشيخ صالح

○ الدليل الثالث: قوله ﷻ في سورة الأحقاف: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠]، إلى آخر الآيات.

○ الدليل الرابع: قوله ﷻ: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن] يعني للجن وللإنس.

○ الدليل الخامس: قوله ﷻ: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ [الجن: ١-٢]، وبعثة محمد ﷺ إلى الجن والإنس جميعًا دلّت عليها هذه الأدلة.

التعليقات

= فتجب في حقه هذه الاعتقادات:

أولاً: أنه عبد الله ورسوله.

ثانيًا: أنه خاتم النبيين لا نبي بعده.

ثالثًا: أن رسالته عامة للإنس والجن.

ودليل عمومها للإنس: كما سبق من الآيات ومكاتبة النبي ﷺ..=

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢]، الآية. وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]. وقد قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [آل عمران: ٢٠]........................

الشيخ صالح

قال بعض العلماء: إنها في القوة وفي عدم الاعتراض ممن خالف مُرَتَّبة في قوتها بحسب ترتيب المصحف، فأقواها آية الأنعام، ثم آية الفرقان، ثم الأحقاف، ثم الرحمن، ثم آية الجن، وهذا وجيه. والأدلة من السنة أيضًا على عموم بعثته ﷺ للجن والإنس كثيرة معروفة.

منها: قوله ﷺ: «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعِثت للناس كافة**» على لغة من يُدخل الجن في لفظ الناس، وسيأتي زيادة بيان لذلك. وثبت أيضًا في الصحيح أنه ﷺ قال: «**بعثت للأحمر والأبيض**» قال بعض العلماء يدخل في قوله الأحمر الجن؛ لأنهم مخلوقون من نار، والنار صائرة إلى الحمرة أو لونها مائل إلى الحمرة. وغير ذلك من الأدلة التي تدل على عموم بعثته ﷺ للجن والإنس. أما عموم بعثته ﷺ للإنس جميعًا، للناس جميعًا فثَمَّ آيات كثيرة. إذا تبين ذلك في معنى قول المصنف وفي دليله، وأنَّ هذه المسألة ذَكَرَ عليها غير واحدٍ الإجماع فثَمَّ في هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ قوله ﷻ: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ [الأنعام: ١٣٠] قوله: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ هذا على جهة التغليب لأنَّ الجن والإنس اجتمعا في شيء وافترقا في أشياء.

التعليقات

= وأما عمومها للجن: فلقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ يعنون: محمدًا عليه الصلاة والسلام.........=

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة»، أخرجاه في الصحيحين. وقال ﷺ: «لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»، رواه مسلم، وكونه ﷺ مبعوثًا إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة.........................

الشيخ صالح

فاجتمعا في التكليف، فلذلك صحَّ أن يشتركا في التثنية ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ لاشتراكهما في أصل التكليف ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] والاشتراك في الجنس ولو اختلف النوع فإنه يُبقي الدلالة الأغلبية صحيحة، وقال بعض السلف: إنَّ الجن يكون منهم رسل، ولكن هذا القول ضعَّفَهُ جماعة كثيرون من أهل العلم من التابعين فمن بعدهم، قال ابن عباس ؓ: **الرسل من الإنس، ومن الجن النُّذُر**. أخذ هذا من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

المسألة الثانية:

أنَّ بعثة النبي ﷺ قيل فيها: إنها تشمل الملائكة، وذلك لعموم قوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾. وهذا ليس بجيد، هذا القول ليس بجيد؛ بل يترجح أنّه غلط وذلك لأمور:

○ الأول: أنّ قوله ﷻ: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ هذا فيه الإنذار، والملائكة مقيمون على عبادة الله ﷻ وعلى توحيده وعلى تسبيحه كما قال ﷺ: «**أَطَّت السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَن تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوضِعُ أَربَعِ أَصَابِعَ إلاَّ وَمَلَكٌ قائم أو مَلَكٌ سَاجِد أو مَلَكٌ راكع**» فالملائكة موحدون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، الملائكة عُبَّاد لله ﷻ، الملائكة متقربون إلى الله ﷻ، ومن كانت هذه حاله فلا يصلح له الإنذار.

التعليقات

= وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، فدل على عموم رسالته للجن، فالنبي ﷺ بعث لأهل الأرض كلهم، إنسهم وجنهم، فمن آمن به دخل الجنة، ومن لم يؤمن به دخل النار، من الإنس والجن........=

ابن ابي العز الحنفي

...... وأما قول بعض النصارى: إنه رسول إلى العرب خاصة: فظاهر البطلان، فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال: إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتمًا، فقد أرسل رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام............

الشيخ صالح

ولهذا قوله ﷻ: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ليس فيه دليل لمن ذهب إلى أنّ بَعثة النبي ﷺ عامة للجميع؛ لأن الآية فيها تعليق بالإنذار والملائكة لا يُنذَرُون.

○ الثاني: أنَّ الملائكة جنسُهم أو نقول: منهم من أتى بالرسالة إلى محمد ﷺ وهو جبريل عليه السلام، وأمَرَهُ أن يُبَلِّغها للناس، ودخول الآمِر في مثل هذا في الأمر يحتاج إلى دليل؛ لأنّ الأصل أنّ الآمِر إذا أَمَرَ غيره فإنه لا يدخل في الأمر، فطلب من النبي ﷺ أن يُعلن الرسالة للناس جميعًا بل للثقلين، فإدخاله -إدخال جبريل- عليه السلام يحتاج إلى دليل.

○ الثالث: أنّ الملائكة ﴿ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥]، ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [غافر: ٧]، وهم أنصار الأنبياء يُرسِلُهُم الله ﷻ إليهم لنصرتهم وهم أولياؤهم، وهذا يدل على أنهم خارجون عن الاتّباع؛ لأنهم لو كانوا تابعين لصارت نصرتهم للنبي ﷺ وللمؤمنين مُتَعَيِّنَة بلا أمر لأجل عَقدِ نُصرَة الرسالة. قال هنا (**المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّةِ الوَرَى**)، (**وكَافَّةِ**) هذه في إضافتها للورى - الوَرَى يعني الناس- صحيحة، وجاءت في لغة قليلة عن العرب، واستعملها عمر بن الخطاب ﷺ وهي صحيحة، خلافًا لمن قال: إنَّ (**كَافَّة**) لا تُستَخدَم إلا منصوبة على وجه الحال - يعني أن تكون حالاً - كما قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، فالأصل أن تكون منصوبة حال، ويجوز أو في لغة قليلة استُعمِلَت مضافة.

التعليقات

= وقوله: (وبالنور والضياء) هما بمعنى واحد وقد بعث النبي ﷺ بهما. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾.........................=

...... وقوله: وكافة الورى في جر كافة نظر، فإنهم قالوا: لم تستعمل كافة في كلام العرب إلا حالاً، واختلفوا في إعرابها في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها حال من الكاف في أرسلناك وهي إسم فاعل، والتاء فيها للمبالغة، أي: إلا كافًّا للناس عن الباطل.

وقيل: هي مصدر كفَّ، فهي بمعنى كفًّا أي: إلا أن تكف الناس كفًّا، ووقوع المصدر حالاً كثير.

الثاني: أنها حال من الناس. واعترض بأن حال المجرور لا يتقدم عليه عند الجمهور، وأجيب بأنه قد جاء عن العرب كثيرًا فوجب قبوله، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله، أي: وما أرسلناك إلا للناس كافة.

الثالث: أنها صفة لمصدر محذوف، أي: رسالة كافة. واعترض بما تقدم أنها لم تستعمل إلا حالاً.

وقوله: (بالحق والهدى وبالنور والضياء). هذه أوصاف ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين والشرع المؤيد بالبراهين الباهرة من القرآن وسائر الأدلة. والضياء: أكمل من النور، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥].........

الشيخ صالح

قوله (بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء) هذه الأربع أوصاف وأسماء للقرآن. وبهذا نختم هذا الدرس. أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أتباع محمد ﷺ.

مباحث النبوة سبق أن ذكرنا لكم أنها لم تُجمَع في كتاب عام لكل مباحث الأنبياء تعريف النبي والرسول والمعجزات والبراهين وختم النبوةَ والرد على المخالفين في كل ما يتعلق بالنبوات، ولا شك أنَّ الحاجة داعية إلى ذلك، فهذه مباحث قد لا توجد في كتاب مجموع، لهذا حبذا لو يتوجه إلى هذا البحث بجمع كل مسائل النبوة، بعض طلبة العلم حتى يكون تناوله يسيرًا في أيدي إخوانهم من طلبة العلم. نكتفي بهذا القدر.

التعليقات

....

.... **وإنَّ القرآنَ كَلامُ الله(١)**......................................

ابن أبي العز الحنفي

.... قوله: و(وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية...

الشيخ صالح

هذه الجمل من كلام الطحاوي ﵀ اشتملت على:

❑ تقرير قول السلف وأئمة الحديث والسنة وأهل السنة والجماعة والأثر في مسألة القرآن وكلام الله ﷻ.

❑ وأنّ القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود.

❑ وأنّ القرآن ليس بمخلوق.

❑ وأنّ من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر.

❑ وأنّ من زعم أن القرآن كلام البشر فهو كافر لتواتر كلام الله ﷻ على ذلك بقوله ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦].

❑ وهذه المسألة وهي مسألة القرآن وكون القرآن كلام الله ﷻ منزل غير مخلوق، هذه أكبر المسائل التي اختلف فيها المنتسبون إلى القبلة؛ ولأجلها وكثرة الكلام فيها سُمّي أهل الكلام بأهل الكلام، فهي مسألة شرَّقت وغرَّبت في القرن الثاني الهجري، وكثر الكلام فيها وإثبات ذلك ونفيه؛ يعني إثبات أنَّ القرآن كلام الله وأنَّ الله يتكلم حقيقة وما أشبه ذلك، والكلام في نفي ذلك، حتى صارت عنوانا على الانحراف في التوحيد بما سمي بعلم الكلام.

ومذهب أهل السنة والجماعة الذي دلّت عليه النصوص من القرآن والسنة ودل عليه إجماع سلف هذه الأمة هو ما ذكره الطحاوي فيما سمعت وهو قوله: (**وإنَّ القرآنَ كَلامُ الله، منهُ بَدَا بلاَ كَيفِيَّة قَولاً، وأنزلَه على رَسُولِهِ وَحيًا، وَصَدَّقَهُ المؤمنون على ذلك حَقًا**).

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: بعد أن تؤمن بالله عزَّ وجلَّ، وتؤمن برسوله ﷺ، تؤمن أن القرآن كلام الله؛ لأن هذا هو الذي جاء به الرسول ﷺ، وأنزل الله عليه القرآن، وهذا القرآن ليس من كلام محمد ﷺ ولا من كلام جبريل، إنما هو كلام الله عزَّ وجلَّ، تكلم الله به، وتلقاه جبريل من الله، وتلقاه النبي -عليه الصلاة والسلام- من جبريل عليه السلام، وتلقته الأمة من النبي ﷺ...........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر؛ حيث قال تعالى: إن هذا إلا قول البشر - علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر).

ش: هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، ضل فيه طوائف كثيرة من الناس. وهذا الذي حكاه الطحاوي -رحمه الله- هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة.........................

الشيخ صالح

وهذه الجمل إلى آخرها اشتملت على مسائل؛ يعني اشتملت على موضوعات:

الموضوع الأول: أنّ القرآن كلام الله.

_الموضوع الثاني: أنه ليس بمخلوق.

_الموضوع الثالث: أنَّ من زعم أنَّ القرآن كلام البشر فهو كافر.

الموضوع الأول هي قوله: (وإِنَّ الْقرآنَ كَلامُ الله...) إلى آخره، هذه نذكر فيها بعض التعريفات المهمة لتصورها ولتصور مذهب أهل السنة والجماعة فيها:

أولاً قوله: **(القرآن)** بل قبل ذلك نقول قوله: **(وإِنَّ القرآنَ)** هذه الكلام في كسر همزة (إِنَّ)كالكلام في كسر الهمزة قبلها في قوله: **(وإِنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ المصطَفى)** يعني: نقُولُ في تَوحيدِ الله: إِنَّ القرآنَ كَلامُ الله؛ لأنّ توحيد الله هو الإيمان، والكلام في القرآن كلام في ركن من أركان الإيمان وذلك أنَّ الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه؛ فالكلام في القرآن وأنه كلام الله كلامٌ في التوحيد؛ في توحيد الله تعالى.

التعليقات

= فهو كلام الله، منه بدأ سبحانه، لم يأخذه جبريل من اللوح المحفوظ كما يقوله أهل الضلال، ولم يكن من كلام جبريل ولا محمد، إنما هو من كلام رب العالمين. وأما جبريل ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- فهما مبلغان عن الله عزَّ وجلَّ، فالكلام إنما يقال ويضاف لمن قاله مبتدأ، لا من قاله مبلغًا ومؤديًا.........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، وهذا قول المعتزلة............

الشيخ صالح

⇦ التعريفات: قال: (وإنَّ القرآنَ كَلامُ الله). القرآن في اللغة: مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا، فالقرآن مصدر قرأ، كما قال الشاعر في وصف عثمان ﷺ:

ضَحَّوا بِأشمَطَ عُنوانُ السُّجُودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقرآنًا

يعني قراءة، ﷺ.

وأما في الاصطلاح: فالقرآن اسم لكل كتاب يُتلى أنزله الله ﷻ على نبي من أنبيائه.

وذلك يدل على أنّ تخصيص القرآن بالاسم بما أُنزل على محمد ﷺ هو كتخصيص الدين الذي أنزل عليه بالإسلام. فالقرآن هو الذي أنزل على محمد ﷺ، كما أنَّ الإسلام هو الذي جاء به محمد ﷺ، وإن اشتَرَكَ في الإسلام دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، وكذلك القرآن. دلّ على ذلك قول النبي ﷺ فيما ثبت عنه وصح «**ما أذن الله لشيء أذنه لنبي يقرأ القرآن يجهر به يتغنى به**» فدَلَّ هذا على أنَّ قِراءة النبي لما أنزل عليه والتغني بذلك على أن هذه القراءة للقرآن كما نصَّ عليه الحديث؛ وهذا موافق لقولهم لأنَّ أصل كلمة قرآن مصدر لـ قَرَأَ يَقرَأ قراءة وقرآنًا، لكن هي لما فيه شرف ومنزلة.

التعليقات

= فمن قال: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، أو: إن الله خلقه في شيء وأخذه جبريل من ذلك الشيء، فهو كافر بالله عزَّ وجلَّ كفرًا مخرجًا من الملة، كما تقوله الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم، فهو كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به كيف شاء، فنحن نصف الله بأنه يتكلم، والكلام من صفاته الفعلية، والكيفية التي تكلم بها نقول: الله أعلم بها، هذه كسائر صفاته، نؤمن بها ولا نعلم كيفيتها، فالمعنى معروف، وأما الكيفية فهي مجهولة لنا.

... منهُ بَدَا بلاَ كَيفِيَّة قَولاً، وأنزلَه على رَسُولِهِ وَحيًا(٢)......................

ابن أبي العز الحنفي

..... وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

وخامسها: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا، وهذا قول الكرامية وغيرهم..

الشيخ صالح

(**كَلامُ الله**) هذا اللفظ الثاني، كلام الله هو صفة من صفاته والكلام أصله في اللغة: ما سُمِعَ من الأقوال وتَعَدَّى قائله. وهذا مأخوذ من اشتقاق المادة أصلاً، مادة (الكاف واللام والميم). فإنَّ (**كَلَمَ**) هذه تدل على قوة وشدة في تصريفاتها وتفريعاتها في لغة العرب كما حرَّرَ ذلك العلامة ابن جني في كتابه (**خصائص اللغة**).

وهذا يدل على أنَّ حديث النفس لا يسمى في اللغة كلامًا، وعلى أنَّ القول الذي يسمعه صاحبه دون غيره -يعني ما يجريه على نفسه- لا يُسمَّى كلامًا - يعني في **اللغة** -، أو يحرك به لسانه لا يُسمَّى كلامًا حتى يُسمِعَ غيره. وهذا يدل عليه من حيث الاشتقاق الأكبر والأوسط أنَّ هذه الأحرف الثلاثة هذه (كَلَمَ) حيثما فَرَّقتَهَا لا تدل على خفاء ولا تدل على لين ولا تدل على رخاوة؛ بل هي تدل على قوة وصلابة وشدة.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: أي: أن القرآن نزل من الله، تكلم الله به وَأنزله، لم ينزل من غيره ولم يبدأ من غيره، ليس كما يقولون: إنه بدأ من جبريل، أو من اللوح، أو من الهواء، إنما بدايته من الله، وسمعه جبريل وبلغه إلى النبي ﷺ وحيًا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- بلغه للناس.

ولو كان هذا القرآن من كلام البشر لاستطاع أحد من الناس أن يأتي بسورة من مثله، فلما عجزوا عن ذلك دل على أنه من كلام الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.......................................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل اليه الرازي في المطالب العالية.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الاصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه.

وتاسعها: أنه -تعالى- لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وقول الشيخ رحمه الله: (وإن القرآن كلام الله) إن بكسر الهمزة - عطف على قوله: إن الله واحد لا شريك له، ثم قال: وإن محمدًا عبده المصطفى، وكسر همزة إن في المواضع الثلاثة؛ لأنها معمول القول، أعني قوله في أول كلامه: نقول في توحيد الله..

الشيخ صالح

فخذ مثلاً كَلَمَ بمعنى جَرَحَ، وكَلَّمَ بمعنى تحدّث، وقلب هذه الكلمة مَلَكَ فيه قوة. ولَكَمَ فيه قوة، وكمُلَ فيها قوة، فحيث تَصَرَّفت هذه المادة وقَلَّبتَهَا مُستَخدِمًا الاشتقاق الأكبر، أو الاشتقاق الأوسط فإنَّ هذا يدل على قوة وشدة، ولا يدل على خفاء ورخاوة ولين، وهذا أصل مهم في هذا الباب في فهم معنى الكلام لغة، وسيأتي مزيد تفصيل عند الرد على قول الجهمية والمعتزلة في هذه المسألة.

التعليقات

= وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾، فعجزهم الله بذلك، مع أنهم عرب فصحاء، والقرآن بلغة العرب، وبالحروف التي يتكلمون بها، وهم يحرصون على معاندة الرسول ﷺ، ولو كان باستطاعتهم أن يعارضوا هذا القرآن، لما ادخروا وسعًا في ذلك، فلما عجزوا عن ذلك دل على أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..........................=

.... وَصَدَّقَهُ المؤْمِنُون على ذلك حَقًّا(١)...............................

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (كلام الله منه بدا بلا كيفية) قولاً: -رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه، كما تقدم حكاية قولهم، قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، يحرفون الكلام عن مواضعه!

وقولهم باطل، فإن المضاف إلى الله -تعالى- معان وأعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله، وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته، وعلوه، وقهره - فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقًا...

الشيخ صالح

قوله: (كَلامُ الله) الكلام صفة من صفات الله وإضافته إلى الله ﷻ هنا إضافة صفة إلى متصف بها، والذي جاء في القرآن والسنة أنَّ ما يضاف إلى الله ﷻ نوعان:

- النوع الأول: إضافة مخلوقات إلى الله سبحانه، أعيان قائمة بنفسها، وهذا كإضافة البيت (بيت الله)، وإضافة الناقة ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ [الشمس:١٣]، وإضافة العبد ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [الجن:١٩]، وكل هذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ولكن هذه الإضافة لتخصيصها بالله ﷻ تدل على شرف المضاف إلى الله ﷻ؛ يعني على شرف البيت، شرف الناقة، شرف محمد ﷺ.

- النوع الثاني: معانٍ وليست بأعيان، معانٍ لا تقوم بنفسها، مثل الرحمة لا يوجد أمامنا شيء يسمى رحمة مستقلاً عن من يقوم به، لا يوجد عندنا شيء يسمى كلامًا مستقلاً عن متكلم أو سامع، هذه المعاني والصفات إذا أُضيفت إلى الله ﷻ فإنها إضافة صفة إلى متصف بها، وهذا أخذ بقواعد اللغة العربية.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: فالمؤمنون بالله ورسوله يصدقون بأن القرآن كلام الله عزَّ وجلَّ، وأن محمدًا ﷺ إنما هو مبلغ عن الله...=

..... والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. فكان عبّاد العجل - مع كفرهم - أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضًا. وقال تعالى عن العجل أيضًا: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩]. فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

غاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم منه التشبيه والتجسيم؟ فيقال لهم: إذا قلنا إنه -تعالى- يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم. ألا ترى أنه -تعالى- قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾ [يس: ٦٥]. فنحن نؤمن أنها تتكلم، ولا نعلم كيف تتكلم. وكذا قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت: ٢١]. وكذلك تسبيح الحصا والطعام، وسلام الحجر، كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من لديه المعتمد على مقطع الحروف.

قال بعدها: (منهُ بَدَا بلاَ كَيفِيَّة قَولاً) هذه الكلمة (منهُ بَدَا بلاَ كَيفِيَّة قَولاً) أوردها لاستعمال طائفة من أئمة أهل السنة والحديث والأثر لهذه الكلمة، وهو أنهم قالوا: القرآن كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، فاستعملها كما استعملها الأئمة من قبله.

قوله: (منهُ بَدَا) بدأ منه، (مِن) هنا ابتدائية. و(مِن) لها استعمالات كثيرة في اللغة، ومنها أن تكون للابتداء.

التعليقات

= وأما قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ فالمراد بإسناده إلى جبريل هو من باب التبليغ؛ لأنه لا يمكن أن يكون القرآن من كلام الله ومن كلام جبريل، الكلام لا يكون إلا من واحد، فلا يمكن وصفه بأنه كلام أكثر من واحد، ونسبته إلى الله حقيقية...=

ابن أبي العز الحنفي

...... وإلى هذا أشار الشيخ -رحمه الله- بقوله: (منه بدا بلا كيفية قولاً)، أي: ظهر منه ولا ندري كيفية تكلمه به. وأكد هذا المعنى بقوله قولاً، أتى بالمصدر المعرف للحقيقة، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت النافي للمجاز في قوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]. فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾، بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله! فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟! فبُهِت المعتزلي!............

الشيخ صالح

وقد جمع الناظم في حروف المعاني، جَمَعَ معاني (مِن) في اللغة العربية، جمعها في اثني عشر معنى، وهي تزيد عن ذلك فقال:

أتتنــا مــن لتبـيين وبعــض ... وتعليــل وبــدءٍ وانتهــاء
وزائــدة وإبــدال وفــصل ... ومعنــى عــن وعلــى وفي وبــاء

فأول معاني (من) التبيين، ثم التبعيض، والتعليل، والبدء، هذه رتبها. ومعنى (من) الابتدائية أن يكون الفعل بدأ من المُسنَدِ إليه. وقوله هنا: (منهُ بَدَا) يعني أنه ابتدأ من الله ﷻ، يعني من الله ابتدأ. فيعني بـ(مِن) أن ابتداءه كان من الله ﷻ. وهذا دلت عليه آيات كثيرة كقوله: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]، وكقوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وغير ذلك كما سيأتي بيانه.

التعليقات

= وأما نسبته لجبريل فمن باب التبليغ. وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾، يعني: محمدًا ﷺ، فالإضافة إليه إضافة تبليغ. وقد أضافه -سبحانه- تارة إلى نفسه وتارة إلى جبريل وتارة إلى محمد، والكلام الواحد لا يمكن أن يتكلم به أكثر من واحد. فتكون إضافته إلى الله إضافة ابتداء وهو كلامه، وإضافته إلى جبريل ومحمد إضافة تبليغ.

..... وكم في الكتاب والسنة من دليل على تكليم الله -تعالى- لأهل الجنة وغيرهم. قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]، فعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيم إذ سطع لهم نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾، فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره». رواه ابن ماجه وغيره. ففي هذا الحديث إثبات صفة الكلام، وإثبات الرؤية، واثبات العلو، وكيف يصح مع هذا أن يكون كلام الرب كله معنى واحدًا؟ وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾، فأهانهم بترك تكليمهم، والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، وهو الصحيح؛ إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً. وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب -تبارك وتعالى- مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث. فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم. فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به...........

الشيخ صالح

قوله: (بَدَا) هكذا بلا همز (منهُ بَدَا) تفسيرها يعني ظهر، (منهُ بَدَا) يعني كان ابتداء ظهوره وخروجه من الله ﷻ. ويقال فيها أيضًا: (منهُ بَدَأَ)، بَدَأَ بالهمز يعني به الابتداء، منه ابتدأ، وأن الله -سبحانه- هو الذي بدأه، لم يُبتَدَأ تنزيله من غير الله ﷻ؛ بل نَزَلَ من الله ابتداءً. قال: (بلاَ كَيفِيَّة قَولاً) تقدير الكلام أو سياق سبر الكلام؛ المراد منه: منه بدا قولاً بلا كيفية. يعني منه بدا؛ لم يبتدئ منه معنًى ولكن بدأ منه قولاً، ظَهَرَ وخَرَجَ القرآن منه قولاً. فهو كلامه وقد ظهر وخرج أو ابتدأ منه قولاً، ففي قوله: (قولاً) إخراجٌ لمن ادعى أنه معنى من المعاني جُعِلَ في نفس جبريل.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر: ٦٢]، والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم كل فيكون مخلوقًا!! فمن أعجب العجب. وذلك: أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله فأخرجوها من عموم كل، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة؛ إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقًا لزم أن يكون مخلوقًا بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل، وهو باطل، وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته تعالى مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء، وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم كل، فيكون مخلوقًا بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا..........

الشيخ صالح

قوله: (بلاَ كَيفِيَّة) يعني بلا كيفية معقولة، وإلا فإنَّ كلام الله ﷻ لاشك أنَّ له كيف ولكن الكيف غير معقول. فيَصدُقُ على هذا قول الإمام مالك في الاستواء: إنّ الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول.

قال (وأنزلَه على رَسُولِهِ وَحيًا)، (أنزلَه) يعني الإنزال من الله ﷻ. والإنزال في القرآن والسنة جاء على نوعين:

- النوع الأول: إنزال مطلق وهذا يكون من الله ﷻ.

وقد يُذكَر من الله، وقد لا تُذكَر فيكون الإنزال المطلق من الله ﷻ.

- النوع الثاني: أن يكون إنزالاً مقيدًا؛ يعني أنه يُقيِّدُ ابتداء الإنزال من شيء مخلوق، ﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [ق: ٩]، فصار هنا ابتداء الإنزال أو التنزيل من السماء، ونحو ذلك من الآيات التي فيها التنزيل المقيد. إذًا قوله (وأنزلَه على رَسُولِهِ) هذا لأجل أنّ الآيات فيها ذكر التنزيل، والتنزيل مطلق منه ﷻ، كقوله: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]، وكقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وكيف يصح أن يكون متكلمًا بكلام يقوم بغيره؟ ولو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك أيضًا ما خلقه في الحيوانات، لا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق. وإنما قالت الجلود: ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ﴾ [فصلت: ٢١]، ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلمًا بكل كلام خلقه في غيره، زورًا كان أو كذبًا أو كفرًا أو هذيانًا!! تعالى الله عن ذلك. وقد طرد ذلك الاتحادية، فقال ابن عربي:

وكل كلام في الوجود كلامه سـواء علينـا نثـره ونظامـه

ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: أعمى، وللأعمى: بصير! لأن البصير قد قام وصف الأعمى بغيره، والأعمى قد قام وصف البصير بغيره! ولصح أن يوصف الله -تعالى- بالصفات التي خلقها في غيره، من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك.........

الشيخ صالح

وفي آية الشعراء هذه قوله: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ لأنَّ القلب به تتميز الُمدرَكات المسموعة، أو الُمدرَكات المرئية، أو الُمدرَكات المعقولة، فذِكر القلب في آية الشعراء لأجل تمييز الُمدرَكات بأنواعها؛ تمييز المسموعة عن المسموع، وتمييز المرئية عن المرئي، وتمييز المعقولة عن المعقول وهكذا. وكذلك قوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وكذلك قوله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]، والآيات في هذا الباب كثيرة متنوعة.

قال: (وأنزلَه على رَسُولِهِ وَحيًا) والوحي هنا المقصود به أنَّ الإنزال كان وحيًا. (أنزلَه على رَسُولِهِ وَحيًا) أُوحِيَ على محمد ﷺ.

والوحي في اللغة-يعني تعريف الوحي في اللغة-: إلقاء الخبر أو العلم في خفاء وسرعة.

ولهذا سُمِّيت الكتابة وحيًا و سُمِّيت الإشارة وحيًا، وهكذا، وهذا بحث معروف في اللغة واضح.

والوحي من جهة الاصطلاح: اختلفت التعاريف فيه بحسب اصطلاح مذهب القائل.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وبمثل ذلك ألزم الإمام عبد العزيز المكي بشرًا المريسيى بين يدي المأمون، بعد أن تكلم ملتزمًا أن لا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة، فقال بشر: يا أمير المؤمنين، ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة وإلا فدمي حلال. قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك؟ فقال بشر: اسأل أنت، وطمع فيَّ فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها: إما أن تقول: أن الله خلق القرآن، وهو عندي أنا كلامه - في نفسه، أو خلقه قائمًا بذاته ونفسه، أو خلقه في غيره؟ قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها. وحاد عن الجواب. فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة، ودع بشرًا فقد انقطع.

فقال عبد العزيز: إن قال: خلق كلامه في نفسه، فهذا محال؛ لأن الله لا يكون محلاً للحوادث المخلوقة، ولا يكون فيه شيء مخلوق، وإن قال: خلقه في غيره فيلزم في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلامه، فهو محال أيضًا؛ لأنه يلزم قائله أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيره - هو كلام الله! وإن قال: خلقه قائمًا بنفسه وذاته، فهذا محال: لا يكون الكلام إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته. فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقا، علم أنه صفة لله. هذا مختصر من كلام الإمام عبد العزيز في الحيدة.......................

الشيخ صالح

ولهذا تجد في كثير من كتب التفسير تعريف للوحي لا ينطبق على مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الكلام، وربما نقله من لا يحسن؛ فإذن لابد من معرفة تعريف الوحي في الاصطلاح - يعني عند أهل السنة والجماعة.

فعُرِّف الوحي اصطلاحًا عند أهل السنة والجماعة: هو إِعلامُ النبي بشيء إما بكتاب أو برسول أو بمنام أو بإلهام. وفي كلٍ مِن هَذِهِ خلاف لبعض المخالفين.

قال: (وَصَدَّقهُ المؤمنون على ذلك حَقًا) يعني آمن به المؤمنون.

التعليقات

....

.... وأيقنوا أنَّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة(١)......................

ابن أبي العز الحنفي

..... وعموم كل في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، ومساكنهم شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح؟ وذلك لأن المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير. وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣]، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام؛ إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة الى ما يكمل به أمر ملكها، ولهذا نظائر كثيرة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢]، أي: كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتمًا، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره؛ لأنه -سبحانه وتعالى- هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه، كما تقدم الإشارة إلى هذا المعنى عند قوله: ما زال قديمًا بصفاته قبل خلقه، بل نفس ما استدلوا به يدل عليهم، فإذا كان قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ مخلوقًا، لا يصح أن يكون دليلا........................

الشيخ صالح

قال: (وأيقنُوا أنَّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة) قوله هنا **(أيقنُوا أنَّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة)** استعمل لفظ **(بالحقيقة)** ردًا على قول من قال: إنه كلام الله -تعالى- مجازًا كما هو قول المعتزلة وغيرهم. هذا من جهة استعمال لفظ الحقيقة بما استُعمِلَت فيه عند أهل هذه البحوث.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: ليس بالمجاز كما يقوله الجهمية والمعتزلة، هم يقولون: كلام الله، ولكن نسبته إلى الله مجاز؛ لأن الله خالقه، فإضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه. فنقول: كذبتم؛ لأن الإضافة إلى الله على نوعين: إضافة معان، وإضافة أعيان:

النوع الأول: إضافة المعاني إلى الله مثل الكلام، فإضافة المعاني إلى الله إضافة صفة إلى موصوف، فالكلام والسمع والبصر والقدرة والإرادة إضافة صفة إلى موصوف؛ لأن هذه معانٍ لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بالموصوف بها.

النوع الثاني: إضافة أعيان، مثل: بيت الله، ناقة الله، عبد الله. هذه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفائدة الإضافة هنا التشريف والتكريم.

..... ليس بمخلوق ككلام البريَّة(١)...

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣]، فما أفسده من استدلال! فإنَّ جعل إذا كان بمعنى خلق يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١]. ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل: ٩١]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩١] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء: ٢٩] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩]. ونظائره كثيرة. فكذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣]..

الشيخ صالح

قال: (ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّةِ) يعني أنَّ الله -سبحانه- تكلم بهذا الكلام وهو صفته ليس بمخلوق؛ بل هو وحي منزل، كلام الله ﷻ صفته، وأما المخلوق فهو كلام البرية؛ إذا تبينت لك هذه التعاريف سنقف عند هذا، ونرجع إلى تقرير ما اشتملت عليه. هذه الجمل فيها تقرير:

- أنّ القرآن كلام الله ﷻ.
- وأنَّهُ منه بدأ.
- وأنَّهُ وحي.
- وأنَّهُ كلامه حقيقة.
- وأنَّهُ ليس بمخلوق .

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: أي كلام الله ليس بمخلوق. ردًّا على الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: إن القرآن مخلوق؛ لأن الله عندهم لا يتكلم، على منهجهم في نفي الصفات كلها، فرارًا -بزعمهم- من التشبيه؛ لأنهم لم يفرقوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق ففروا من التشبيه الموهوم ووقعوا في التعطيل المذموم وهو شر منه، كالمستجير من الرمضاء بالنار..=

ابن أبي العز الحنفي

...... وما أفسد استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [القصص: ٣٠] - على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها! وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾، والنداء هو الكلام من بعد، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾، أي: أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما يقول: سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم! ولو كان الكلام مخلوقًا في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠]. وهل قال: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، غير رب العالمين؟

ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله لكان قول فرعون: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] صدقًا؛ إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله! وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة: أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون!! فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقًا غير الله. وسيأتي الكلام على مسألة أفعال العباد، إن شاء الله تعالى....

الشيخ صالح

وهذه المسائل التي ذُكِرَت هي التي قررتها الأدلة في الكتاب والسنة بحيث إنه من نَظَرَ فيها أيقن أنّ كل قول خلاف هذا القول فهو باطل.

ولبيَان ذلك سنقول: الكلام على ما اشتمل عليه كلامه السابق ينتظم في مسائل:

✍ المسألة الأولى:

نشأة القول بخلق القرآن أو أنَّ كلام الله مجاز وأشباه ذلك؛ ما منشأ القول بهذه المسألة؟ ولِمَ خالف المخالفون في ذلك؟ من المعلوم أنَّ أول من تَكَلَّمَ في هذه المسألة هو الجعد بن دِرهَم وضُحِّيَ به؛ ضَحَّى به خالد القسري، وكان يقول: إنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليمًا، كما رواه البخاري في خلق أفعال العباد.

التعليقات

= ولو أنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وعرفوا أن هناك فرقًا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، لأصابوا عين الحق واستراحوا وأراحوا الناس، ولكنهم في ضلال.

ابن أبي العز الحنفي

...... فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير: ١٩]. وهذا يدل على أن الرسول أحدثه، إما جبرائيل أو محمد.

قيل: ذكر الرسول معروف أنه مبلغ عن مرسله؛ لأنه لم يقل: إنه قول ملك أو نبي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنه أنشأ من جهة نفسه.

وأيضًا: فالرسول في إحدى الآيتين جبرائيل، وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ؛ إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر. وأيضًا: فقوله رسول أمين، دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله............

الشيخ صالح

هذه المسألة تطورت عند الجهمية وعند جهم بخصوصه فَأَصَّلَ لها أصلاً، وهو أنه نظر في أصل الدين فوجد أنه مبني على إثبات وجود الله ﷻ -وانتبه! معي في سياق ما أذكرباختصار- نظر أنَّ أصل الدين مبني على إثبات وجود الله ﷻ، وقد ابتُلِيَ هو بطائفة من منكري وجود الإله ﷻ، وحَيَّرُوه فيما أوردوا عليه من الأسئلة.

فقالوا له: أقم لنا برهانًا عقليًا على أنَّ الله ﷻ أو على أنَّ هذا الخَلقَ له رب وله خالق وأنه موجود، فتحير ونظر في هذه المسألة، ثم قال لهم: وجدتها.

فأقام البرهان بما يسمى عند أهله بحلول الأعراض في الأجسام، وهو أصل الانحراف في مذهب الجهمية ثم المعتزلة ثم الأشاعرة والماتريدية؛ ولهذا السلف يَنسِبُونَ كل من انحرف في الصفات إلى جهم فيقولون: هو جهمي؛ لأَنَّه ما انحرف إلا بموافقته لجهم في هذا الأصل الذي أصَّلَهُ وانحرف به عن منهج السلف، وهذه المسألة أو هذا البرهان الباطل -هو ليس ببرهان بل هو دليل باطل- قال في تقريره: إنَّ الجسم تَحُلُّ فيه الأعراض -الجسم هو المتحيز: كتاب متحيز، كرسي متحيز، مبنى متحيز، إلى آخره- الأجسامَ تحل فيها الأعراض، والأعراض مثل: البرودة، الحرارة، مثل: الارتفاع، الانخفاض، مثل: الطول، العرض، العمق، مثل الحركة فيه والتحرك إلى آخره، هذه الأشياء مَعلُومٌ أنها لا توجد بنفسها وإنما وُجِدَت بالجسم، والجسم حَلَت فيه هذه الأعراض دون اختياره، فبهذا صار هذا الجسم جسمًا محتاجًا إلى العَرَض، لأَنَّ العرض وحده لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بالأجسام.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وأيضًا: فإن الله قد كفَّر من جعله قول البشر، ومحمد ﷺ بشر، فمن جعله قول محمد، بمعنى أنه أنشأه - فقد كفر. ولا فرق بين أن يقول: إنه قول بشر، أو جني، أو ملك، والكلام كلام من قاله مبتدئًا، لا من قاله مبلغًا. ومن سمع قائلاً يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي ....

قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: إنما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى: قال: هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: قال: هذا كلام الله، إن كان عنده خبر ذلك، وإلا قال: لا أدري كلام من هذا؟ ولو أنكر عليه أحد ذلك لكذب. ولهذا من سمع من غيره نظمًا أو نثرًا، يقول له: هذا كلام من؟ هذا كلامك أو كلام غيرك؟..........

الشيخ صالح

وحلول الأعراض بالأجسام دلَّ على أنَّها مخلوقة وعلى أنَّها محتاجة لهذه الأشياء التي تميزها عن غيره وتصلح معها للوجود، فلهذا صار الجسم قابلاً لحلول الأعراض فيه، وصار إذًا الجسم محتاجًا لغيره فصار إذًا مخلوقًا مُوجَدًا.

إذا تبين هذا، قالوا -له-: هذا دليل صحيح في أنَّ الجسم لم يُوجِد نفسه - يعني الجسم المعين، العين المعينة هذه - لم يوجد نفسه وأنه موجود واقتنعوا بهذا البرهان مع أنه في حقيقته غير مقنع وغير مستقيم، فأثبت لهم وجود خالق، وجود رب لهذه الأشياء، فلما نظروا في هذا قالوا له: هذا دليل صحيح، فصِف لنا ربك.

كان جهم فَقِيهًا عنده علم بالكتاب والسنة، ولما سألوه هذا السؤال، نظر في الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة فتحيّر في أنّه لو أثبت هذه الصفات لعادت على هذا الدليل الذي لم يجد غيره في إثبات وجود الله عادت عليه بالإبطال؛ لأنه وَجَد في الكتاب والسنة أنَّ من الصفات الاستواء، من الصفات العلو، من الصفات الرحمة، من الصفات الانتقام، من الصفات الإعطاء، من الصفات الغضب، من الصفات الرضا إلى آخره، وهذه كلها معانٍ لا تقوم بنفسها، وهي تأتي وتذهب يعني من حيث هي.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وبالجملة، فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف، متفقون على أن كلام الله غير مخلوق، ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات؟ أو أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا؟ أو أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وأن نوع الكلام قديم، وقد يطلق بعض المعتزلة على القرآن أنه غير مخلوق، ومرادهم أنه غير مختلق مفترى مكذوب، بل هو حق وصدق، ولا ريب أن هذا المعنى منتف باتفاق المسلمين.

والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقًا خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته؟ وأهل السنة إنما سئلوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوبًا مفترى مما لا ينازع مسلم في بطلانه. ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع - معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن عقلهم دلهم عليه، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرائع........................

الشيخ صالح

فلهذا قال: إنه لو قال لهم: إنَّ صفات الرحمن ﷻ هي التي جاءت في الكتاب والسنة على ظاهرها فإنه يعود إلى أن سيقال له: إذًا فالذي يتصف بهذه الصفات هو محتاج، إذًا هو مثل الجسم فهو جسم كالأجسام، فلهذا قال لهم: إنَّ الله -سبحانه- لا صفة له إلا صفة الوجود المطلق.

وعلى هذا الأصل مشى جهم في نفي الكلام ونفي جميع الصفات، حتى أسماء الرحمن ﷻ يفسرها بالآثار المخلوقة.

جاء بعده المعتزلة فقالوا: هذا البرهان صحيح، ولكن ثمّ صفات دلّ عليها العقل لا يمكن أن يكون الرب ﷻ موجودًا دون هذه الصفات. جاء الأشاعرة وقالوا: كلام المعتزلة صحيح لكن الصفات أكثر من الثلاث التي أثبتها المعتزلة فهي سبع وتئول إلى عشرين عندهم. بعد ذلك جاء الماتريدية وقالوا: الصفات ثمان، لابد من زيادة على السبع صفة التكوين وهكذا.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ولو ترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه، فرق بها بينهم: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة: ١٧٦].

والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه -تعالى- لم يزل متكلمًا إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم، وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة ﷺ في الفقه الأكبر، فإنه قال: والقرآن في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق، وما ذكر الله في القرآن عن موسى -عليه السلام- وغيره، وعن فرعون وابليس - فإن ذلك كلام الله إخبارًا عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى -عليه السلام- كلام الله تعالى، فلما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا. انتهى......................................

الشيخ صالح

إذن منشأ الضلال في هذه المسألة هو هذا البرهان الباطل على وجود الله ﷻ الذي جعل فيه دليل الأعراض هو الدليل على حدوث الأجسام، ومنه أبطل وصف الله ﷻ بصفاته ونفى الكلام، ولهذا مسألة الكلام هي أعظم المسائل التي بُحِثَ فيها؛ لأنه ورثها جهم من الجعد بن درهم وكانت أصل المسائل التي يفكر فيها من جهة الصفات، فلما أقام برهانه صارت هذه المسألة أو هذه الصفة من أوائل الصفات التي نفاها لأجل إقامة برهانه واستقامته، إذا تبين لك ذلك فثَمَّ تعبيرات مختلفة عن منشئ الضلال في هذه المسألة-وكلها حق:

فتارة تجد من يقول: إنَّ منشأ الضلال هذه المسألة هو أنَّ إثبات صفة الكلام يستلزم التجسيم، وهي راجعة إلى ما ذكرنا.

ومنهم من يقول: إنَّ صفة الكلام المضافة إلى الله صفة تشريف يعني إضافة تشريف لا إضافة صفة إلى موصوف.

وهذان القولان هما اللذان ذكرهما الشارح ابن أبي العز في هذا الموضع - يعني شبهة الذين قالوا إنَّ كلام الله ﷻ مخلوق.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... فقوله: ولما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته - يعلم منه أنه حين جاء كلمه، لا أنه لم يزل ولا يزال أزلاً وأبدًا يقول: يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ففهم منه الرد على من يقول من أصحابه: إنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء، كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره وقوله الذي هو من صفاته لم يزل رد على من يقول: إنه حدث له وصف الكلام بعد أن لم يكن متكلمًا.

وبالجملة: فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيئته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء، وأنه يتكلم شيئًا بعد شيء، فهو حق يجب قبوله. وما يقوله من يقول: إن كلام الله قائم بذاته، وأنه صفة له، والصفة لا تقوم الا بالموصوف؛ فهو حق يجب قبوله والقول به. فيجب الأخذ بما في قول كل من الطائفتين من الصواب، والعدول عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما.......

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

أنّ الناس اختلفوا في مسألة الكلام هذه إلى أقوال كثيرة يهمك منها عدد -يعني لا نستوعب الأقوال؛ لأنها طويلة وبعضها لا فائدة منه:

- المذهب الأول: قول أهل السنة والجماعة وهو الذي سمعت؛ وهو:

- أنَّ القرآن كلام الله ﷻ سمعه منه جبريل فنزل به على محمد ﷺ فسمعه منه محمد ﷺ وأسمعه الناس وتلاه عليهم.

- وأنه منه بدأ ﷻ وإليه يعود.

- وأنَّ كلام الله ﷻ يُسمَع، وإذا كان جبريل قد سَمِعَه ونَزَّلَه فإذًا هو صوت، سمعه بصوت وليس معنًى قُذِفَ في داخل جبريل أو أَخَذَهُ من اللوح المحفوظ.

- وأنَّ كلام الله -سبحانه- هو كلامه حيث وُجِد.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم أن تكون الحوادث قامت به.

قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضًا، مع صريح العقل...

الشيخ صالح

□ وأنه إذا تُليَ فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري، فهو كلامه الموجود في المصاحف، وهو كلامه الموجود الذي يُسمَع في تلاوة التالي، وهو كلامه الذي يُستَدَلُ به إلى آخره، لا يخرج من هذه الحالات عن كونه كلام الله ﷻ، وهذا هو الذي قُرِّر في هذا الموضع من الطحاوية.

⇦ المذهب الثاني: مذهب الجهمية وهو أنَّ الله -سبحانه- لا يوصف بكلام أصلاً، وليس بمتكلم ولا بذي كلام، فيُسلَبُ عنه هذا الوصف، ويُفَسَّر الكلام بمخلوق منفصل يقال له كلام.

فَخَلَقَ الله هذا القرآن وسمَّاهُ كلامًا له، فيكون كلام الله ﷻ خلقًا من خلقه.

⇦ المذهب الثالث: مذهب المعتزلة وهو شبيه بمذهب الجهمية إلا أنهم قالوا: إنَّ القرآن مخلوق خَلَقَهُ الله ﷻ في نفس جبريل، فعبّر به جبريل أو نَقَلَ جبريل ما خُلِقَ في نفسه، فهو مخلوق في نفس جبريل، وكلام الله ﷻ يُخلَق في أحوال مختلفة؛ من جهة كلام موسى خُلِقَ في الشجرة ويُخلق في كذا، ويُخلق في كذا إلى آخر قولهم.

فإذًا يتفقون على أنه مخلوق مع الجهمية، ويجعلون زيادة عليهم أنه مخلوق في موضع يناسبه.

وهذا منهم فقه أعظم من فقه جهم؛ لأنه حتى لا يُعَارَض عليهم بأنَّ القرآن تنزيل وأنه أُنزِل، فقالوا: إنه أُنزِلَ ولكنه خُلِقَ في نفس جبريل أو في رُوع جبريل.

⇦ المذهب الرابع: هو مذهب الكُلاّبية أتباع ابن كلاَّب؛ بل مذهب ابن كلاَّب نفسه وأتباعه من الأشاعرة وغيرهم، وهو أنَّ كلام الله ﷻ مَعنًى واحدًا وكُتُبُ الله تعبير عن هذا المعنى الواحد فتارة يُعَبَّرُ عنه بالعربية فيسمى قرآنًا وتارة يُعَبَّرُ عنه بالسريانية فيسمى إنجيلاً وتارة يُعَبَّرُ عنه بالعبرانية فيسمى توراة، وهكذا؛ فإذًا هو معنى وليس ثَمَّ صوت يُسمَع ولا كلام حقيقة، ولكنه معنًى قائم بنفس الرب ﷻ ألقاه في روع جبريل فنزل به جبريل، عَبَّرَ عنه جبريل بهذه التعبيرات المختلفة.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ولا شك أن الرسل الذين خاطبوا الناس وأخبروهم أن الله قال ونادى وناجى ويقول، لم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي أفهموهم إياه: أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما قالت عائشة -رضي الله عنها- في حديث الإفك: ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يُتلَى.

ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه لوجب بيانه؛ إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز. ولا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذرًا من التشبيه، فلا يثبتوا صفة غيره، فإنهم إذا قالوا: يعلم لا كعلمنا، قلنا: ويتكلم لا كتكلمنا، وكذلك سائر الصفات. وهل يعقل قادر لا تقوم به القدرة، أو حي لا تقوم به الحياة؟ وقد قال ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»، فهل يقول عاقل إنه ﷺ عاذ بمخلوق؟ بل هذا كقوله: «أعوذ برضاك من سخطك. وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك»، وكقوله: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».

وكقوله: «وأعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا» كل هذه من صفات الله تعالى..

الشيخ صالح

⇐ المذهب الخامس: هو مذهب الفلاسفة وطائفة من الصوفية، وهو أنّ كلام الله ﷻ هو ما يُفاض أو ما يُفِيضُهُ على النفوس من المعاني الخَيّرة، معاني الحكمة، وهذه الإفاضة قد تكون مباشرة منه إلى العقل الفَعَّال -عندهم، والعقل الفَعَّال يفيضه على النفوس حسب استعداداتها، وقد تكون هذه الإفاضة منه ﷻ مباشرة على قلب الرجل، كقول طائفة من الصوفية، وقد تكون هذه الإفاضة في وقائع مختلفة.

المقصود من هذا تقريب للمذاهب المشهورة في هذه المسألة، وإلا فثَمَّ مذاهب أخرى لهذه المسألة، وكما ذكرت لك فإن هذه المسألة من كُبرَيات المسائل التي تكلم فيها الناس.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... وهذه المعاني مبسوطة في مواضعها، وإنما أشير إليها هنا إشارة.

وكثير من متأخري الحنفية على أنه معنى واحد، والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل في الدلالات، لا في المدلول. وهذه العبارات مخلوقة، وسميت كلام الله لدلالتها عليه وتأ ته بها، فإن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرانية فهو توراة، فاختلفت العبارات لا الكلام. قالوا: وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازًا!

وهذا الكلام فاسد؛ فإن لازمه أن معنى قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾، هو معنى قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدَّيْن! ومعنى سورة الإخلاص هو معنى﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾. وكلما تأمل الإنسان هذا القول تبين له فساده، وعلم أنه مخالف لكلام السلف. والحق: أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام اللة حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك. قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾...

الشيخ صالح

المسألة الثالثة:

أدلة أهل السنة والجماعة على قولهم وردّ استدلال المخالفين، بل أولاً أدلة أهل السنة والجماعة على قولهم، فكما سمعت المسألة فيها أشياء:

- ففيها أنَّ القرآن كلام الله وهذه أدلتها كثيرة معلومة لكم، ومنها قوله ﷻ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

وقوله: (منهُ بَدَا... قولاً) هذا دليله قوله ﷻ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، لما حرم على الجنب المحدث مسُّه، ولو كان ما يقرأه القارىء ليس كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث قراءته، بل كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف، كما قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر.

وهو في هذه المواضع كلها حقيقة، وإذا قيل: فيه خط فلان وكتابته: فهم منه معنى صحيح حقيقي.

وإذا قيل: فيه مداد قد كتب به: فهم منه معنى صحيح حقيقي، وإذا قيل: المداد في المصحف كانت الظرفية فيه غير الظرفية المفهومة من قول القائل: فيه السماوات والأرض، وفيه محمد وعيسى، ونحو ذلك. وهذان المعنيان مغايران لمعنى قول القائل: فيه كلام الله. ومن لم يتنبه للفروق بين هذه المعاني ضل، ولم يهتد للصواب.

وكذلك الفرق بين القراءة التي هي فعل القارئ، والمقروء الذي هو قول الباري، من لم يهتد له فهو ضالٌّ أيضًا، ولو أن إنسانًا وجد في ورقة مكتوبًا ألا كل شئ ما خلا الله باطل من خط كاتب معروف. لقال: هذا من كلام لبيد حقيقة، وهذا خط فلان حقيقة، وهذا كل شيء حقيقة، وهذا خبر حقيقة، ولا تشتبه هذه الحقيقة بالأخرى........................

الشيخ صالح

وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، قال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ ثم وصَفَه، ثم قال: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾؛ ولهذا حَرف (مِن) هذا من الأحرف المهمة في تقرير العقائد السلفية، فينبغي لطالب العلم أن يعتني به في كتب النحو وكتب المعاني؛ لأنه يفيد فيما ذكرنا في مواضع كثيرة، يفيد في هذا الموضع وفي غيره من المواضع. قال: (بِلاَ كَيفِيَّة) يعني أنَّ الكيف غير معقول، وهذا يدل عليه قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

التعليقات

...... تابع قوله: (وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: إن هذا إلا قول البشر - علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر).

والقرآن في الأصل: مصدر، فتارة يذكر ويراد به القراءة، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾. وقال ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم. وتارة يذكر ويراد به المقروء، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، وقال ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على كل من المعنيين المذكورين.

فالحقائق لها وجود عيني وذهني ولفظي ورسمي، ولكن الأعيان تعلم، ثم تذكر، ثم تكتب؛ فكتابتها في المصحف هي المرتبة الرابعة........................

(وأنزلَه على رَسُولِهِ وَحيًا) يعني أنّ القرآن وحي وهذا أمر ظاهر متواتر معروف للجميع.

قال: (وأيقَنُوا أنّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة) هذه الكلمة دليلها قوله ﷻ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، فتكليم موسى أُكّد بالمصدر فقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ قال علماء العربية: إنَّ تأكيد الفعل بالمصدر يدل على إرادة حقيقته وألا يراد به غير الظاهر والحقيقة. هذا القول من باب التنزل معهم بحسب لغتهم، وإلا فإنَّ استعمال الحقيقة والمجاز في هذا الموضع لا يصلح تأسيسًا، وإنما إذا كان في الرد على المخالفين فلا بأس به من باب حدثوا الناس بما يعرفون.

قارِن بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، فإذًا كلام الله ﷻ الذي تكلم به هو حقيقة جمعًا بين الآيتين آية براءة وآية سورة النساء.

...... وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة، بل هو الذي يكتب بلا واسطة ولا لسان.

والفرق بين كونه في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو لوح محفوظ، أو في كتاب مكنون: واضح، فقوله عن القرآن: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، أي ذكره ووصفه والإخبار عنه، كما أن محمدًا مكتوب عندهم، إذ القرآن أنزله الله على محمد، لم ينزله على غيره أصلاً، ولهذا قال في الزبر، ولم يقل في الصحف، ولا في الرق؛ لأن الزبر جمع زبور والزبر هو: الكتابة والجمع.

فقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: مزبور الأولين، ففي نفس اللفظ واشتقاقه ما يبين المعنى المراد، ويبين كمال بيان القرآن وخلوصه من اللبس.

وهذا مثل قوله: ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾، أي: ذكره، بخلاف قوله: ﴿ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ و﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ و ﴿ كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾؛ لأن العامل في الظرف إما أن يكون من الأفعال العامة، مثل الكون والاستقرار والحصول ونحو ذلك، أو يقدر: مكتوب في كتاب، أو في رق...

✍ المسألة الرابعة:

أقوال أهل البدع نخصّ منها قول المعتزلة وقول الأشاعرة، أما الأقوال الأُخَر الجهمية والفلاسفة هذه نطويها.

① قول المعتزلة مشهور وهو أنَّ القرآن مخلوق: استدلوا بدليل عقلي -كما ذكرنا، وهو أنه لو أُثبِتَ الكلام وأن الكلام يُسمَع فمعنى ذلك أنَّ الرب ﷻ جسم؛ لأنَّ الكلام لا يصدر إلا بِتَغَيُّر وهذا التغير إذا حلّ في شيء فإنه يدل على أنه جسم، على الذي ذكرنا لك من قولهم.

..... والكتاب: تارة يذكر ويراد به محل الكتابة، وتارة يذكر ويراد به الكلام المكتوب. ويجب التفريق بين كتابة الكلام في الكتاب، وكتابة الأعيان الموجودة في الخارج فيه - فإن تلك إنما يكتب ذكرها، وكلما تدبر الإنسان هذا المعنى وضح له الفرق.

وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع علمه وحفظه. فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾. وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه من مبلغه عن الله، والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾، ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، والأصل الحقيقة. ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله: فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالاً.........................

وهذا القول يدلهم على أنَّ الرب ﷻ يجب أن يُنَزَّهَ على جميع المظاهر الجسمية بأنواعها؛ لأنَّ وصفه ﷻ بأنه جسم كفر، وهذا القول يُرَدُّ عليه من جهتين:

○ الرد الأول: أنَّ ذِكر صفة الكلام لله ﷻ وارتباط الجسمية بها، هذا ليس بصحيح؛ وذلك أنّ المقدمة التي بُنِيَ عليها هذا القول هي البرهان بما سموه حلول الأعراض في الأجسام.

....

ابن ابي العز الحنفي

...... وكلام الطحاوي -رحمه الله- يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه؛ فإن الطحاوي -رحمه الله- يقول: كلام الله منه بدا. وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون: منه بدا، وإليه يعود. وإنما قالوا: منه بدا؛ لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون، إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل.

فقال السلف: منه بدا، أي: هو المتكلم به، فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾. ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي ﴾. ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾. ومعنى قولهم: وإليه يعود: يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار..................

الشيخ صالح

وهذا البرهان لم يدل عليه القرآن ولا السنة؛ بل دلّ القرآن والسنة على بطلانه، وذلك من جهة أنَّ الجسم موجود بأعراضه، وأنه إذا كان العَرَضُ يحِلُّ في الجسم فدل على أنَّ الجسم غَيرُ مُختَار لحلوله. لاحظ معي، إذا كان الجسم يحل فيه العرض، والجسم لم يختر حُلُول العَرَضِ فيه فَدَلَّ على أنه محتاج، لا ينطبق على الصورة التي فيها الكلام؛ لأنّ من قال: إنّ القرآن كلام الله تكلّم به، فلو قيل: إنه عرض فيقال: اتصافه به كان بمشيئته وقدرته واختياره ﷻ، فخالف من هذه الجهة البرهان، فدل:

- أولاً: على أنَّ البرهان في نفسه غير صحيح على هذه المسألة - يعني تطبيق البرهان غير صحيح في مسألة الكلام.

- ثانيًا: دَلَّ على أنهم حينما أصّلوا البرهان لم يطبقوه على وجه الصواب في الصفات فجعلوا الجِسمِيَّةَ والعَرَضِيَّة متلازمة دائمًا مع الحاجة، وهذا فيه نظر كما ذكرت لك.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وقوله: (بلا كيفية)، أي: لا تعرف كيفية تكلمه به قولاً ليس بالمجاز، وأنزله على رسوله وحيًا، أي: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبرائيل من الله، وسمعه الرسول ﷺ من الملك، وقرأ على الناس، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء آية: ١٥٣، ١٩٥]. وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى.

وقد أورد على ذلك أن إنزال القرآن نظير إنزال المطر، أو إنزاله الحديد، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام..

الشيخ صالح

○ الرد الثاني:

أنَّ النصوص دَلَّت على أنَّ القرآن كلام الله ﷻ، وعلى أنَّ الله يتكلم، وعلى أنَّ هذا أُكِّد بمؤكدات، ومجموع هذه النصوص، إذا أريد تأويلها فإنه:

- أولاً: لا يستقيم في كل المواضع.
- ثانيًا: أنه يلزم منه نفي الصفات التي وصف بها المعتزلة رب العالمين.

أما الأول: فلا يستقيم في كل موضع، فمثل ما قالوا في قوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾، قالوا: إنَّ معناه ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ بأنّ معنى كلم الله موسى يعني أنه سَمِعَ كلامه المخلوق في الشجرة، وهذا السماع أُكِّد في حق موسى؛ لأنه سمع كلامًا تكليمًا.

يعني أنَّ التكليم ليس تأكيدًا للفعل الذي بدا من الله ﷻ ولكنه لإحساس موسى بما سمع، وقال بعض الناس في هذا: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ يعني جَرَّحَهُ بأظافير الحكمة تجريحًا، أخذوه من كَلَّمَ يعني جَرَّحَ.

وقد جاء بعض المعتزلة إلى أبي عمر بن العلاء -وهو أحد القُرَّاء الذين جعلوا قراءتهم معتمدة على النحو- فقال له في هذا الموطن: اقرأ ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... والجواب: أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه إنزال من الله. قال تعالى: ﴿ حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ٢]. وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾. وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾. وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [الدخان: ٥]. وقال تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾. وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾........................

الشيخ صالح

قال: هبني قرأت ذلك فما تصنع بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وما تصنع بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وهذا يدل كما ذكرنا لك على أنه لا يستقيم مع الآيات الأخر.

② قول الأشاعرة وهذا هو أخطر الأقوال؛ لأنَّ قول المعتزلة جمهور الأمة يقول بخلافه يعني جمهور المنتسبين للقبلة يقولون بخلافه في زماننا هذا، ما فيه من يقول بقول المعتزلة إلا ثلاث طوائف: الرافضة والإباضية أو الخوارج والزيدية. قول الأشاعرة ذكرنا لكم أنَّ كلام الله معنىً وأنَّ القرآن أُلقِيَ في نفس جبريل فَعَبَّرَ عنه. وهذا القول منهم لا شك أنه أخص من قول المعتزلة؛ ولذلك تجد أنَّ الأشاعرة هم الذين أخذوا زمام الرد على المعتزلة في خلق القرآن في القرون المتوالية بعد زمن السلف كالإمام أحمد والبخاري والأئمة هؤلاء تولوا الرد وعثمان بن سعيد وغيره ومن صنف، لكن من رد على المعتزلة بردود عقلية وتوسّع في ذلك هم الأشاعرة، وبينهم وبينهم مناظرات.

ولأجل خلاف المعتزلة والأشاعرة في هذه المسألة كان أهل الحديث والأشاعرة في أول الأمر متفقين غير مختلفين حتى حدثت فتنة ابن القُشَيري المعروفة في أواخر القرن الخامس، فصارت المنابذة العظيمة ما بين الأشاعرة وأهل السنة. فكان الأشاعرة لا يعلنون مذاهبهم في كل المسائل على التفصيل حتى حدثت الفتنة.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

.... وإنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٨]. والسماء: العلو. وقد جاء في مكان آخر أنه منزل من المزن، والمزن: السحاب. وفي مكان آخر أنه منزل من المعصرات.

وإنزال الحديد والأنعام مطلق، فكيف يشبه هذا الإنزال بهذا الإنزال؟! فالحديد إنما يكون من المعادن التي في الجبال، وهي عالية على الأرض، وقد قيل: إنه كلما كان معدنه أعلى كان حديده أجود.............

الشيخ صالح

المقصود من هذا أنَّ الأشاعرة ردوا على المعتزلة في خلق القرآن. وأَصلُ مذهب ابن كُلَّاب في هذه المسألة أنه توسط ما بين قول أهل الحديث -لأنه خالط أهل الحديث- وما بين قول المعتزلة فأتى بهذا الشيء الذي هو: أَنَّ القرآن معنى؛ لأنَّ الذي من أجله قيل: إنَّ القرآن مخلوق هو أنَّ كلام الله ﷻ أصوات وحروف وأنه يُسمَع. فقال: ننفي هذه ونبقي كلام الله ﷻ غير مخلوق وأنه على حقيقته؛ ولكن نقول: هو معنى دون لفظ، دون سماع. إذا تبين ذلك فنأخذ من هذا تفصيل وهو: أنَّ دِلالة الكلام في اللغة على اللفظ والمعنى فيها مذاهب:

۞ مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والأثر: أنَّ الكلام والقول إذا أُطلق، يعني إذا قيل: الكلام كلام فلان، قول فلان، قول الله ﷻ فإنه يراد به شيئان معًا دون تَفرِيقً بين والواحد والآخر؛ يراد به اللفظ والمعنى جميعًا.

۞ مذهب المعتزلة: وهو أنَّ الكلام هو في المعنى وفي اللفظ مجاز.

۞ مذهب الكُلَّابية: وهو أنَّ الكلام للمعاني ولكن الحديث إخرَاجُهُ هذا دليلٌ عنه. واستدلوا على هذا بقول الأخطل في الشعر المشهور المعروف عندهم في الاستدلال:

إن الكـــلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا ... جعــل اللســان علــى الفــؤاد دلــيلاً

والكلام على هذا البيت ورد الاحتجاج به إلى آخره مرّ معنا في الواسطية فنحيلكم عليها؛ لأنه معروف مشهور كررناه أكثر من مرة. نرجع على أصل المسألة وهو أنَّ الكلابية والأشاعرة قالوا: إنَّ الكلام معنى. كلام الله ﷻ معنى، ألقاه في روع جبريل.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يقال: أنزل ولم يقل نزل ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض. ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إناثها عند الوطء، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى، وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى سفل. وعلى هذا فيحتمل قوله، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ وجهين:

أحدهما، أن تكون مِنْ لبيان الجنس.

الثاني: أن تكون مِنْ لابتداء الغاية. وهذان الوجهان يحتملان في قوله: ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا ﴾.........

الشيخ صالح

وهذا لأجل أنهم أصَّلُوا تأصيلات، ومنها أنَّ الكلام لا يدل على الإخراج وإنما يدل على ما قام في النفس، كما استدلوا بهذا البيت؛ لهذا ذكرت لكم في أول الكلام تعريف كَلَّمَ وكَلَمَ وهذه المادة واشتقاقها؛ ليبطل معه قول من قال: إنَّ الكلام معنى؛ فإنَّ اللغة دَلَّت على أنَّ الكلام لابد أن يكون لفظًا ومعنى. وحتى كلمة لفظ تدل على شيء ملفوظ مفرد، وما أحسن قول المعري وإن كان ليس مجال احتجاج قال:

ومن الناس من لفظه لؤلؤٌ يُبَادِرُهُ اللَّقطُ إذ يُلفَظُ

وبعضهم قوله كالحصى يقال فيُلغَى و لا يُحفَظُ

يعني (من الناس من لفظه لؤلؤ) اللفظ لابد أن يُلفَظ، يُخرَج، فكيف يكون الكلام والقول في الداخل دون الخارج؟ وكيف يكون المعنى يُدَل عليه في الإنسان بلا لفظ؟ وإذا كان ثَمَّ لفظ فإذًا ثَمَّ معنى، واللفظ لابد أن يُلفَظ ويُخرَج.

□ فدل ذلك على أنَّ قولهم بأنَّ الكلام معنىً وأنَّ هذا هو الأصل فيه، هذا لاشك أنه مُعَارَضٌ باللغة في تأصيلاتها أو اشتقاقاتها وأيضًا مُعَارَضٌ بالنصوص التي سقنا لك بعضًا منها.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... **وقوله**: (وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا) الإشارة إلى ما ذكره من التكلم على الوجه المذكور وإنزاله، أي هذا قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهم السلف الصالح، وأن هذا حق وصدق.

وقوله: (وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية). رد على المعتزلة وغيرهم بهذا القول ظاهر، وفي قوله: بالحقيقة رد على من قال: إنه معنى واحد قام بذات الله لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني؛ لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلام حقيقة، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلمًا، ولزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى...

الشيخ صالح

الكُلاَّبية ورثهم أبو الحسن الأشعري والماتُرِيدي في الكلام في هذه المسألة:

- تارة يعبرون عنه بقولهم: الكلام صفة نفسية.
- وتارة يعبرون عنه بأن كلام الله ﷻ قديم؛ يعني قبل أن يخلق الخلق، قبل أن يوجد شيء، تَكلَّمَ بكلام قديم وانتهى.
- تارة يعبرون عنه بأنه معنى قائم بالنفس.

وتارة يعبرون عنه بأنه عبارة، يعني القرآن عبارة عن كلام الله؛ يعني عُبِّر به عن كلام الله.

إذا تبين لك ذلك، فحاصل معتقد هذه الطوائف -الكلابية الأشاعرة والماتريدية- أنّ القرآن قديم، وكلام الله ﷻ قديم. يعني تَكلَّمَ الله ﷻ به في الأزل ثم لما أراد إنزاله على محمد ﷺ قام ما تكلم به في الأزل به معنى فألقاه في رُوع جبريل فنزل به جبريل وعبّر عنه، وإلاّ فكلام الله عندهم ليس بالعربية وليس بالسريانية وليس إلى آخره لتنزهه عندهم اللغات.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله -تعالى- لا يسميه أحد أخرس، لكن عندهم أن الملك فهم منه معنى قائمًا بنفسه، لم يسمع منه حرفا ولا صوتًا، بل فهم معنى مجردًا، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، وأن الله خلق في بعض الأجسام كالهوى الذي هو دون الملك هذه العبارة.

ويقال لمن قال: إنه معنى واحد: هل سمع موسى -عليه السلام- جميع المعنى أو بعضه؟ فإن قال: سمعه كله، فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله وفساد هذا ظاهر. وإن قال: بعضه، فقد قال يتبعض. وكذلك كل من كلمه الله أو أنزل إليه شيئًا من كلامه.

ولما قال تعالى للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، ولما قال لهم: ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ ﴾. وأمثال ذلك: هل هذا جميع كلامه أو بعضه؟ فإن قال: إنه جميعه، فهذا مكابرة، وإن قال: بعضه، فقد اعترف بتعدده........

الشيخ صالح

إذا تبين ذلك، فمن أحسن الردود عليهم ما استشكله الآمدي. و الآمدي من حذاق الأشاعرة المعروفين ومن الأذكياء. قال: إني نظرت في هذا القول وهو أنَّ كلام الله قديم، وأنَّ القرآن قديم، وأنه حين أوحي إلى محمد ﷺ إنما أُوحِيَ بالعبارة وبما أُلقِيَ في نفس جبريل، فأشكل عليَّ أنَّ القرآن فيه آيات كثيرة فيها التعبير عنه بلفظ الماضي ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١]، وهل كان ثَمَّ مُجَادِلَة؟ وهل كان ثم زوج؟ وهل كان ثَمَّ صوت حتى يسمع الله؟

قال: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ فإذا كان الله ﷻ قال هذا القول في الأزل ولا زوجة ولا مُجَادِلَة ولا قول، فما الذي سُمِع؟ فيلزم منه أنَّ قوله ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾ وكل أفعال الماضي في القرآن أنها غير مطابقة للواقع، وهذا هو الكذب، وهذا لاشك أنه ردٌّ منطقيٌّ جميل؛ لأنه يلزمهم على أصولهم ولا فرار لهم منه.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وللناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال:

أحدها: أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعًا، كما يتناول لفظ الإنسان الروح والبدن معًا، وهذا قول السلف.

الثاني: اسم اللفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم.

الثالث: أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز؛ لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

الرابع: أنه مشترك بين اللفظ والمعنى، وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية..

الشيخ صالح

إذا تبين لك ذلك، فنقول خلاصة الرد على هذه الطوائف يكمن في أشياء:

- الرد الأول: الاستدلال باللغة في معنى كَلَّمَ في معنى الوحي، هذا واحد.

- الرد الثاني: الاستدلال بالنصوص من القرآن والسنة التي فيها الإضافة، والقاعدة الفرق ما بين إضافة المخلوقات وإضافة المعاني.

- الرد الثالث: أنه يُرَد ما استدلوا به من أنواع الأدلة مثل ما أَصَّلُوهُ في أَنَّ الكلام يدل على المعنى فقط في اللغة، وأنّ الوحي يكون بالمعنى والإلقاء في الروع، وغير ذلك من الاستدلالات، مثل قولهم: يلزم التشبيه يلزم التجسيم ... إلى آخره.

- الرد الرابع: بقول الآمدي في التفريق ما بين الماضي والحاضر.

أطلنا عليكم؛ والكلام يطول لأنَّ هذه المسألة فيها طول يعني، وأكثر المسائل وأعظم المسائل بحثًا وتفصيلات هي هذه.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ولهم قول خامس، يروى عن أبي الحسن: أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائمًا بغير المتكلم، بخلاف كلام الله، فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه. وهذا مبسوط في موضعه.

وأما من قال: إنه معنى واحد، واستدل عليه بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فاستدلال فاسد. ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به! فكيف وهذا البيت قد قيل: إنه موضوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟!

وقيل إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من الناس! ....

الشيخ صالح

الحقيقة دائمًا إذا أوضحت أو أردنا مثل هذا ، الواحد يتألم من جهة ، وهو أنَّ مثل هذا الكلام لا ينبغي أن يُقَرَّر مثل مذاهب الفرق و أقوال الأقوام؛ لكن لابد منه لأنه مع الأسف مجتمعات المسلمين و بلادنا بخاصة وكل من سيصلهم هذا الكلام عن طريق الأشرطة، المجتمعات اختلطت، فصار فيها من أتباع الفرق جميعًا ولا يحسن أن يبقى طالب العلم السني السلفي عَرِيًّا عن قوة الحجة وقوة الدليل وعن فهم كلام الناس في ذلك؛ لأنه قد يقال: إنكم لا تفهمون تقلدون إلى آخره ،فإذا فهم المسائل وضبطها واستطاع أن يرد على أولئك فقد نصر الحق.

إضافة على أنَّ كتب التفسير المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة أكثر من كتب التفسير السلفية، فأكثر كتب التفسير والحديث وإلى آخره شروح الحديث يعني، وكتب الأصول كلها على منهج الأقوام؛ لا تجد كتابًا في الأصول من الكتب المتقدمة إلا ما شذّ أثبت منهب أهل السنة والجماعة في مسألة الكلام، حتى كتب الحنابلة تجد فيها ضلال في هذه المسألة؛ لأنهم وافقوا الأقوام في أن القرآن عبارة أو معنى ونحو ذلك.

التعليقات
....

ابن أبي العز الحنفي

..... وقيل إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من الناس!

أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟! وأيضًا: فمعناه غير صحيح؛ إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلمًا لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه، والكلام على ذلك مبسوط في موضعه، وإنما أشير اليه إشارة.

وهنا معنى عجيب، وهو: أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت! فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام، فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه!

ويرد قول من قال: بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس: قوله ﷺ: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس. وقال: إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإنما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة». واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامدًا لغير مصلحتها بطلت صلاته. واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب، من تصديق بأمور دنيوية وطلب - لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك. فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

وأيضًا: ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل به». فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان، باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة؛ لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.

الشيخ صالح

التعليقات

..... وأيضًا ففي السنن: أن معاذًا ﷺ قال: «يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

فبين أن الكلام إنما هو باللسان. فلفظ القول والكلام وما تصرف منهما، من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظًا ومعنى، ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر.

ولا ريب أن مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه، كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل ونحو ذلك.

ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه -تعالى- وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق: فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر، فإن الله يقول: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾. أفتراه -سبحانه وتعالى- يشير الى ما في نفسه أو إلى المتلو المسموع؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع؛ إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع.

وقوله ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ أفتراه -سبحانه- يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه، وما في نفس الله -عزَّ وجلَّ- لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه؟..........................

الشيخ صالح
....
التعليقات
....

فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته وهو المتلو المكتوب المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق، بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة، فإن حكاية الشيء بمثله وشبهه.

وهذا تصريح بأن صفات الله محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟! ويكون التالي -في زعمهم- قد حكى بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف، وليس القرآن إلا سورًا مسورة، وآيات مسطرة، في صحف مطهرة، قال تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ ﴾. ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾. ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴾ [سورة عبس آية: ١٤].

ويكتب لمن قرأ بكل حرف عشر حسنات. قال ﷺ: «أما إني لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». وهو المحفوظ في صدور الحافظين المسموع من ألسن التالين.

قال الشيخ حافظ الدين النسفي -رحمه الله- في المنار: إن القرآن اسم للنظم والمعنى. وكذا قال غيره من أهل الأصول.

وما ينسب إلى أبي حنيفة -رحمه الله: أن من قرأ في الصلاة بالفارسية أجزأه -فقد رجع عنه- وقال: لا يجوز القراءة مع القدرة بغير العربية. وقالوا: لو قرأ بغير العربية إما أن يكون مجنونًا فيداوى، أو زنديقًا فيقتل؛ لأن الله تكلم به بهذه اللغة، والإعجاز حصل بنظمه ومعناه.........................

الشيخ صالح

التعليقات

.... **فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر(١)**.................

ابن أبي العز الحنفي

...... وقوله: (ومن سمعه وقال: إنه كلام البشر فقد كفر). لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال: إنه كلام محمد أو غيره من الخلق، ملكًا كان أو بشرًا. وأما إذا أقر أنه كلام الله، ثم أوّل وحرّف؛ فقد وافق قول من قال: إن هذا إلا قول البشر، في بعض ما به كفر، وأولئك الذين استزلهم الشيطان، وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله إن شاء الله تعالى.........................

الشيخ صالح

قد مضى الكلام في الدرس الماضي عن كلام الله ﷻ، وعلى أنَّ القرآن كلام الحق ﷻ، وعلى أنّ القرآن كلام الله ﷻ بحروفه ومعانيه، وأنّ الله -سبحانه- تكلم به، فمنه بدأ وسمعه منه جبريل عليه السلام، فبلغه إلى النبي ﷺ.

وتقدم لنا إبطال قول من قال: إنَّ القرآن مخلوق، أو أنَّ القرآن عبارة عن كلام الله، أو من قال: إنَّ كلام الله ﷻ نفسي وكلام الله ﷻ قديم، ونحو ذلك من أقوال أهل البدع والضلالات؛ من أقوال المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة وغلاة الصوفية، وتقدم لنا ذلك مختصرًا في أوجه الرد على أولئك.

وفي مسألة الكلام النفسي ذكرنا بعض الأوجه، وسبق أن تقدم لنا في شرح الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية سبق ردود مزيدة على ما ذكرنا، وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية على من قال بالكلام النفسي في تسعين وجهًا، في رسالة مطبوعة سميت (بالتسعينية)؛ لأنها اشتملت على تسعين وجهًا تردّ قول من قال: إن كلام الله ﷻ نفسي؛ يعني أنه لم يتكلم بصوت يُسمع وإنما ألقى ما أراده في رُوع جبريل.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: فمن سمع كلام الله وزعم أنه كلام البشر فقد كفر؛ لأنه جحد كلام الله عزَّ وجلَّ، فإذا لم يكن لله كلام ينزله على عباده فبم تقوم الحجة عليهم؟ فقصدهم بقولهم هذا هدم الشرائع، فإذا كان ليس في الكون كلام لله لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا القرآن، فمعنى ذلك أنه ما قامت على الناس الحجة من الله، وهذا من أعظم الكفر وأعظم الضلال.

..... وقد ذمَّهُ اللهُ وعابَهُ وأوعَدَهُ بسَقَر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصلِيهِ سَقَرَ﴾(١) [المدثر: ٢٦].....

ابن أبي العز الحنفي

....

الشيخ صالح

...... قال الطحاوي ﷺ **(فمن سمِعَهُ -يعني القرآن- فزَعَمَ أنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَد كفَرَ، وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦]، فلَمَّا أَوعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمن قال: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٥]، عَلِمنَا وأَيقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشبِهُ قولَ البشر، وَمَن وَصَفَ الله بِمعنًى مِن مَعاني البشر، فقد كفَر، فمن أبصَرَ هذا اعتَبر، وعَن مِثلِ قول الكفَّارِ انزَجَر، وعَلِمَ أَنَّه بصفاته ليسَ كالبشر).**

هذه الجمل مشتملة على تقرير مسألة عظيمة وهي أنَّ كلام الله ﷻ لا يشبه قول البشر.

وكيف يشبه قول البشر وهو كلام الباري ﷻ الذي لا يشبه بصفاته البشر.

فالبشر لهم صفاتهم في كلامهم وفي سمعهم وبصرهم وإدراكاتهم وأعضائهم، والله ﷻ له صفاته في كلامه وفي سمعه وبصره وجميع صفاته فلا يشبه في صفاته -التي منها كلامه- لا يشبه صفات البشر.

فمن قال عن القرآن: إنه قول بشر، أو إنه مخلوق، أو هو قول جبريل، أو نحو ذلك وليس بقول الله ﷻ، أو أنه كلام جبريل وليس بكلام الله ﷻ فإنّ هذا كافر بالله العظيم؛ لأنَّ من قال: إنّ القرآن كلام بشر فإنَّ هذا كفر، كما قال سبحانه: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٢٥- ٢٦] لقول الوليد..

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: وقد ذم الله -عزَّ وجلَّ- من قال هذه المقالة، فجعل القرآن كلام البشر، كما قال الوليد بن المغيرة المخزومي، وهو من أكابر كفار مكة ومن عظمائهم وكانوا يسمونه: زهرة مكة؛ لشرفه فيهم، فلما سمع القرآن من الرسول ﷺ أعجبه وعلم أنه ليس من كلام البشر، ومدح القرآن فقال: ليس بالشعر وليس بالسحر، أنا أعرف ضروب الشعر، وأعرف أنواع السحر، وأعرف الكهانة، وأعرف وأعرف.... فليس القرآن من هذه الأمور. فعند ذلك توجه إليه قومه الكفار بالتوبيخ والتعنيف؛ لأن معنى هذا أنه اعترف للرسول -عليه الصلاة والسلام- بالرسالة، فلما رأى ذلك انحرف -والعياذ بالله- بالكلام فقال: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٥]، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾، وهي النار.

.... فلمَّا أوعدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، علِمنَا وأيقنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ(١)..

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

إذا تبين لك ذلك فإنهم قالوا أيضًا -أي: المشركون- قالوا: إنما يُعَلِّمُه بشر كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣]، فالذين أبوا هداية [.....] وأبوا الإذعان له وصفوا القرآن بصفات:

- قال بعضهم: هو كِهانة.
- وقال بعضهم: هو شعر.
- وقال بعضهم: هو قول البشر.
- وقال بعضهم: أساطير الأولين.

وكل هذه الأقوال يعلمون أنما هي لتنفير الناس عن قبول هذا القرآن، فلقد تواعد كما هو معلوم في القصة ثلاثة من كفار قريش ألا يأتوا إلى النبي ﷺ، بل قبل ذلك وكُلُّهُم كان يُرَاد بالقرآن، ذهب أحد هؤلاء إلى النبي ﷺ في الليل يسمع قراءته للقرآن، ولما ذهب وجد فلانًا وفلانًا فإذا بهم ثلاثة يسمعون القرآن لما له من سلطان على نفوسهم، ثم لما رجعوا تقابلوا في الطريق، فتواعدوا ألا يسمعوا مرة أخرى لهذا القرآن؛ لأجل أن لا يراهم بعض العامة وبعض الناس فلا يقبل قولهم في رد القرآن، ثم لما جاء من الليلة الثانية اجتمعوا أيضًا ثم صارت أيضًا ثالثة حتى رأوا أنهم لابد أن يتفارقوا على ذلك، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [فصلت: ٢٦ - ٢٧].

كذلك لما أُرسِلَ الوليد أو عقبة إلى النبي ﷺ ليفاوضه في شأن القرآن وأن يترك هذا الأمر، قال له: يا محمد إن أردت ملكًا ملَّكناك، وإن أردت مالاً جمعنا لك من المال ما تكون به أغنى العرب، وإن أردت نساء نظرنا في أجمل نساء العرب فأتينا بهن إليك.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: فمن قال: إن القرآن ليس كلام الله وإنه كلام البشر، أو الملك، فهو مثل الوليد ابن المغيرة، فما الفرق بين هذا وهذا إلا أنه ادعى الإسلام والوليد لم يدع الإسلام؟ فدعوى الإسلام لا تكفي، فإنه إن كفر بالقرآن لم ينفعه ادعاء الإسلام؛ لأن هذا ردة -والعياذ بالله- . فتبين بهذا أنه لابد من الاعتراف بأن القرآن كلام الله حقيقة.

.... ولا يُشبِهُ قولَ البشر(١) ....

ابن ابي العز الحنفي

.... وقوله: (ولا يشبه قول البشر)، يعني أنه أشرف وأفصح وأصدق. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾. فلما عجزوا - وهم فصحاء العرب، مع شدة العداوة - عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله.

الشيخ صالح

فقال ﷺ له هذا الذي عندك، اسمع، فتلا عليه صدر سورة فصلت ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [فصلت: ١- ٤] ومر ﷺ في التلاوة حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣]. فالتفت إليه الرجل فقال: حسبك الآن، فرجع إلى قومه، فلما رأوه مقبلا، قالوا: لقد أتاكم فلان بوجه غير الوجه الذي ذهب به، فلما حضر قالوا: ما عندك يا فلان؟ قال: إني سمعت كلامًا ليس هو بالشعر، وليس هو بالكهانة، وليس هو بالكلام الذي نألف، إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة - أو طَلاوة أو طِلاوة مثلثة- وإنَّ أسفله لمورق، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يُعلا عليه.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: نقل هذا الكلام عن المصنف -رحمه الله- شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (١٢ / ٥٠٧) مستشهدًا به وقال الشارح ابن أبي العز رحمه الله (ص ١٧٩ الطبعة الرابعة) [الصفحة ١٦٨ - ١٦٩ الطبعة التاسعة طبع المكتب الإسلامي] : وهذا الذي حكاه الطحاوي -رحمه الله- هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة . وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال " : ثم ساقها ومنها **الثالث**: وهو أنه معنى واحد قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره قال: وسابعها أن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي... **وتاسعها**: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة .

وقوله : (**كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا**) - رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه كما تقدم حكاية قولهم . وقال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله تعالى (ص ٨) : القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه فلا يقال اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال، ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطن المذموم فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة.........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط. هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي بلغة العربية، فنفي المشابهة من حيث التكلم، ومن حيث التكلم به، ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف...

الشيخ صالح

فتبيَّنَ بذلك أنَّ أولئك الذين قالوا: هو كهانة: وهو شعر: وهو قول البشر أنهم هم الذين ردوا على أنفسهم ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

هذه المسألة يمكن أن نمرّ عليها فيما ذُكِر بشيء من التقرير العام كما فعل الشارح؛ لكن هذه المسألة متصلة ببحث عظيم، وهو بحث (دلائل النبوة)؛ لأنَّ كون القرآن لا يشبه كلام البشر ولا يشبه قول البشر هو المسألة الموسومة عند العلماء بمسألة إعجاز القرآن وأنَّ القرآن مُعجِز.

وهذه ولاشك مسألة مهمة قلّ، بل نَدَرَ أن تَتَعَرَّضَ لها كتب العقائد، ولها صلة ببحث دلائل النبوة فهي في التوحيد؛ لأنَّ صلتها تارة بدلائل النبوة من كون القرآن مُعجِزًا ودليلاً على صحة نبوة محمد ﷺ، وأنه منزل من عند الله، ومن جهة أخرى لها صلة بمبحث كلام الله ﷻ وهو أنَّ القرآن لا يشبه كلام البشر وأنَّ كلام الله ﷻ ليس ككلام البشر.

فلا بأس إذًا أن نقرر هذه المسألة وهي المسألة الموسومة بإعجاز القرآن؛ لأجل ندرة الكلام عليها في كتب العقائد مُفصَّلَة، ونذكر منها بعض ما يناسب هذه الدروس المختصرة.

التعليقات

= قال الحافظ ابن رحمه الله:

وكـذلك القـرآن عـين كلامـه الـ	ـمسموع منـه حقيقـة ببيـان
هـو قـول ربـي كلـه لا بعـضه	لفظًـا ومعنـى مـا همـا خلقـان
تنـزل رب العـالمين ووحيـه	اللفـظ والمعنـى بـلا روغـان

وقال الشارح رحمه الله: (ص ١٩٤ - ١٩٥) [١٨١] : وكلام الطحاوي -رحمه الله- يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه وأن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله وإنما هو عبارة عنه. فإن الطحاوي -رحمه الله- يقول: (كلام الله مَنه بدا)، وكذلك قال غيره من السلف ويقولون: منه بدا وإليه يعود؛ وإنما قالوا: منه بدا لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل فبدا الكلام من ذلك المحل . فقال السلف: (منه بدا) أي هو المتكلم به فمنه بدا لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾، ﴿ وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾، ومعنى قولهم: (وإليه يعود) يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف . كما جاء ذلك في عدة آثار.........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يخاطبون بها. ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ كما في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ﴾ [البقرة: ٢]. ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ١-٣] الآية. ﴿ الٓمٓصٓ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ٢]، الآية. ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ وكذلك الباقي ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم..

الشيخ صالح

لتقرير هذه المسألة وهي مسألة إعجاز القرآن، وقد تكلم فيها أنواع من الناس من جميع الفرق والمذاهب، نجعل البحث فيها في مسائل، نقول:

المسألة الأولى:

أنَّ لفظ الإعجاز لم يرد في الكتاب ولا في السنة، وإنما جاء في القرآن وفي السنة أنّ ما يعطيه الله ﷻ للأنبياء والرسل وما آتاه محمد ﷺ هو آية وبرهان على نبوته. فلفظ المعجزة لم يأتِ كما ذكرنا من قبل في الكتاب ولا في السنة وإنما هو لفظٌ حادث ولا بأس باستعماله إذا عُنِيَ به المعنى الصحيح الذي سيأتي. الذي جاء في القرآن الآيات والبراهين؛ لكن العلماء استعملوا لفظ الإعجاز لسبب، وهو: أنَّ القرآن تَحَدَّى الله ﷻ العرب بأن يأتوا بمثله، أو أن يأتوا بعشر سور مثله، أو أن يأتوا بسورة من مثله، فلما تَحَدَّاهُم فلم يَغلِبُوا، ولم يأتوا بما تَحَدَّاهُم به، فدل ذلك على عجزهم، وذلك بسبب أنَّ القرآن مُعجِزٌ لهم فلم يأتوا بمثله، قال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود:١٣- ١٤].

التعليقات

= وقولهم (بلا كيفية) : أي : لا تعرف كيفية تكلمه به (قولا) ليس بالمجاز (وأنزله على رسوله وحيا) أي : أنزله إليه على لسان الملك فسمعه الملك جبرائيل من الله وسمعه الرسول -محمد صلى الله عليه وسلم- من الملك، وقرأه على الناس. قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾، وقال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى...........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به، وسماع جبرائيل منه، كما يتذرعون بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، إلى نفي الصفات.

وفي الآية ما يرد عليهم قولهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ ما يرد على من ينفي الحرف، فإنه قال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾، ولم يقل فأتوا بحرف، أو بكلمة. وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات؛ ولهذا قال أبو يوسف ومحمد: إن أدنى ما يجزئ في الصلاة ثلاث آيات قصار أو آية طويلة؛ لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك. والله أعلم.....................

الشيخ صالح

إذا تبين ذلك فالتحدي لَمَّا وَقَعَ وعَجِزُوا، وهم يريدون أي وسيلة لمعارضة القرآن وإثبات أنه قول البشر، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾، ائتوا بمثله، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾، لما عَجِزُوا سَمَّى العلماء فِعلَهُم ذلك أو عجزهم سموه: مسألة إعجاز القرآن؛ لأجل التحدي وعجز الكفار أن يأتوا بمثله.

المسألة الثانية:

أنَّ كلام الله ﷻ هو المُعجِز، وليس أنَّ الله ﷻ أعجَزَ لأجل السماع، أعجَزَ لما أنزل القرآن، والفرق بين المسألتين أنَّ الإعجاز صفة القرآن، ولكن لا يقال: إنَّ الله ﷻ أعجَزَ البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن؛ لأنَّ هذا القول يتضمن، بل يدل على أنهم قادرون لكنَّ الله ﷻ سلبهم القدرة على هذه المعارضة.

فإذًا الإعجاز والبرهان والآية والدليل في القرآن نفسه لم؟ لأنه كلام الله ﷻ، ولا يقال: إنَّ الله ﷻ أعجَزَ الناس، أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو صرفهم عن ذلك، كما هي أقوال يأتي بيانها. فإذًا تنتبه على أنَّ تعبير أهل العلم في هذه المسألة أنَّ القرآن آية، فآية نبوة محمد ﷺ وآية رسالته القرآن.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: لو كان الكلام من كلام الرسول ﷺ فلا لوم على الوليد ابن المغيرة إن قال: إن القرآن من كلام محمد ﷺ، فكيف يتوعده الله بهذا الوعيد الشديد؟ فدل على أنه قال مقالة عظيمة وفظيعة؛ حيث نسب القرآن لغير الله، وكل من سار على هذا المذهب وهذا المنهج فإنه مثل الوليد بن المغيرة، يكون في النار خالدًا فيها.

بل محمد ﷺ لَمَّا سَمِعَ كلام الله ﷻ خاف ﷺ، فلما فَجَأه الوحي وهو بغار حراء فأتاه جبريل فَقَالَ له: «اقرأ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَقَالَ: اقرأ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق: ١- ٢] إلى آخر ما أُنزل في أول ما نبئ النبي ﷺ، فرجع بها ﷺ يرجُف بها فؤاده؛ لأنَّ هذا الكلام لا يشبه كلام أحد، ولم يتحمله ﷺ لا في ألفاظه ومعانيه ولفظه، ولا في أيضًا صفة الوحي والتنزيل، فما استطاع ﷺ أن يتحمل ذلك فرجع بهن -يعني بالآيات- يرجف بها فؤاده ﷺ إلى آخر القصة.

إذًا فالنبي ﷺ أول ما جاء الوحي لم يتحمل هذا الذي جاءه، لم؟ لأنه كلام الله ﷻ، وأما كلام البشر فإنه يتحمله لما سمع منه.

المسألة الثالثة:

أقوال الناس في إعجاز القرآن. مسألة إعجاز القرآن -كما ذكرنا- لها صلة بدلائل النبوة، والقرآن مُعجِز لمن؟ للجن والإنس جميعًا؛ بل معجز لكل المخلوقات، لم؟ لأنه كلام الله ﷻ، وكلام الله ﷻ لا يشبه كلام الخلق، وكون القرآن معجزًا، راجع إلى أشياء كثيرة يأتي فيها البيان.

فاختلف الناس في وجه الإعجاز لأجل أَنَّ إعجاز القرآن دليل نبوة النبي ﷺ في أقوال:

⇦ القول الأول: ذهب إليه طائفة من المعتزلة ومن غيرهم حتى من المعاصرين الذين تأثروا بالمدرسة العقلية في الصفات والكلام، قالوا: إنَّ الإعجاز في القرآن إنما هو بصرف البشر عن معارضته، وإلا فالعرب قادرة على معارضته في الأصل؛ لكنهم صُرِفوا عن معارضته، فهذا الصرف هو قدرة الله ﷻ، لا يمكن للنبي ﷺ أن يصرفهم جميعًا عن معارضته. وهذا الصرف لابد أن يكون من قوة تَملِك هؤلاء جميعا وهي قوة الله ﷻ، فإذًا الصَّرفَة التي تسمع عنها، القول بالصَّرفَة؛ يعني أنَّ الله صَرَفَ البشر عن معارضة هذا القرآن، وإلا فإنَّ العرب قادرون على المعارضة، وهذا القول هو القول المشهور الذي ينسب للنَّظّام وجماعة بما هو معلوم، وهذا القول يرده أشياء نقتصر منها على دليلين:

- الدليل الأول سمعي نقلي من القرآن.
- والدليل الثاني عقلي.

أما الدليل الأول وهو الدليل القرآني: فهو قول الله ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، فالله ﷻ أثبَتَ أنَّ الإنس والجن لو اجتمعت على أن تأتي بمثل هذا القرآن وصار بعضهم لبعض معينًا في الإتيان بمثل هذا القرآن أنهم لن يأتوا بمثله، وهذا إثبات لقدرتهم على ذلك؛ لأنَّ اجتماعهم مع سلب القدرة عنهم بمنزلة اجتماع الأموات لتحصيل شيء من الأشياء.

فالله ﷻ بيّنَ أنهم لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وكان بعضهم لبعض معينًا وظهيرًا على المعارضة، فإنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فأثبَتَ لهم القدرة لو اجتمعوا قادرين وبعضهم لبعض يعين، لكنهم سيعجزون مع قُدَرِتهم التي ستجتمع وسيكون بعضهم لبعض معينًا على المعارضة، وهذه الآية هي التي احتج بها المعتزلة على إعجاز القرآن، ففيها الدليل ضدهم على بطلان الصَّرفَة.

أما الدليل الثاني وهو الدليل العقلي: أنَّ الأمة أجمعت من جميع الفرق والمذاهب أنَّ الإعجاز يُنسَب ويضاف إلى القرآن ولا يضاف إلى الله ﷻ. فلا يقال: إعجاز الله بالقرآن، وإنما يقال: باتفاق الجميع وبلا خلاف هو إعجاز القرآن.

فإضافة الإعجاز إلى القرآن تدل على أنَّ القرآن مُعجِزٌ في نفسه، وليس الإعجاز من الله بصفة القدرة.

لأننا لو قلنا: الإعجاز إعجاز الله بقدرته الناس عن الإتيان بمثل هذا القرآن، فيكون الإعجاز بأمر خارج عن القرآن. فلما أجمعت الأمة من جميع الفئات والمذاهب على أنّ الإعجاز وصفٌ للقرآن علمنا بُطلان أن يكون الإعجاز صفة لقدرة الله ﷻ؛ لأنّ من قال بالصرفة بأنّ الله سلبهم القدرة هذا راجعٌ للإعجاز -يعني تعجيز أولئك- راجع إلى صفة القدرة وهذه صفة ربوبية. فإذًا لا يكون القرآن مُعجِزًا في نفسه، وإنما تكون المعجزة في قدرة الله ﷻ على ذلك، وهذا لاشك أنه دليل قوي في إبطال قول هؤلاء، لهذا المعتزلة المتأخرون ذهبوا على خلاف قول المتقدمين في الإعجاز بالصرفة؛ لأنَّ قولهم لا يستقيم لا نقلاً ولا عقلاً.

التعليقات

⇐ القول الثاني : من قال : القرآن مُعجِزٌ بألفاظه ، فألفاظ القرآن بلغت المنتهى في الفصاحة ؛ لأنَّ البلاغيين يُعَرِّفُونَ الفصاحة بقولهم :

فصاحة المفرد في سلامته ... من نفرة فيه ومن غرابته

فالقرآن مشتمل على أعلى الفصيح في الألفاظ، ولما تأمل أصحاب هذا القول جميع كلام العرب في خطبهم وأشعارهم، وجدوا أنَّ كلام المتكلم لابد أن يشتمل على لفظ دانٍ في الفصاحة، ولا يستقيم في كلام أي أحد -في المعلقات ولا في خطب العرب ولا في نثرهم ولاَ في مراسلاتهم إلى آخره- لا يستقيم أن يكون كلامهم دائمًا في أعلى الفصاحة، فنظروا إلى هذه الجهة فقالوا : الفصاحة هي دليل إعجاز القرآن ؛ لأنَّ العرب عاجزون، وهذا ليس بجيد ؛ لأنَّ القرآن اسم للألفاظ والمعاني ، فالله ﷻ تَحَدَّى أن يُؤتَى بمثل هذا القرآن ، أو بمثل عشر سور مثله مفتريات -كما زعموا- وهذه المثلية إنما هي باللفظ وبالمعنى جميعًا وبصورة الكلام المتركبة، فإذًا كونه مُعجِزًا بألفاظه نعم لكن ليس وجه الإعجاز الألفاظ وحدها.

⇐ القول الثالث : من قال : إنَّ الإعجاز في المعاني وأما الألفاظ فهي على قارعة الطريق.

مثل ما يقول الجاحظ وغيره ؛ يعني فيما ساقه في كتاب الحيوان يقول : الشأن في المعاني ، أما الألفاظ فهي ملقاة على قارعة الطريق. يعني أنَّ الألفاظ يتداولها الناس ؛ لكن الشأن في الدِلالة بالألفاظ على المعاني، وهذا لاشك أنه قصور لأنَّ القرآن كما ذكرنا مشتمل على فصاحة الألفاظ وعظمة المعاني جميعًا.

⇐ القول الرابع : من قال : إنَّ القرآن مُعجِزٌ في نظمه ، ومعنى النظم هو الألفاظ المتركبة والمعاني التي دلت عليها الألفاظ وما بينها من الروابط.

يعني أَنَّ الكلامِ يُحتَاجُ فيه إلى أشياء ، يُحتَاجُ فيه إلى ألفاظ وإلى معانٍ في داخل هذه الألفاظ يُعَبَّرُ بها ، يُعَبَّرُ بالألفاظ عن المعاني ، وإلى رابط يربط بين هذه الألفَاظ والمعاني في صور بلاغية ، وفي صور نحوية عالية ، وهذا المجموع سماه أصحاب هذا القول النَّظم.

وهذا هو مدرسة الجُرجاني المعروفة، العلامة عبد القادر الجرجاني فيما كتب في دلائل الإعجاز وفي أسرار البلاغة ، وهذا القول لَمَّا قال به الجرجاني وهو مسبوق إليه من جهة الخطّابي وغيره يعني في كلمة ، هوٍ أراد به الرد على عبد الجبار المعتزلي في كتابه المغني ، فإنه ألف كتاب المغني وجعل مجلدًا كاملاً في إعجاز القرآن ، وردّ عليه بكتاب دلائل الإعجاز وأنَّ الإعجاز راجع إلى اللفظ والمعنى والروابط ؛ يعني إلى النظم ،نظم القرآن جميعًا.

.. وَمَن وَصَفَ الله بِمعنَى مِن مَعاني البشر، فقد كفَر(١). فمن أبصَرَ هذا اعتَبر(٢)..

ابن ابي العز الحنفي

...... قوله: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، من أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، علم أنه بصفاته ليس كالبشر).

ش: لما ذكر فيما تقدم أن القرآن كلام الله حقيقة، منه بدا، نبه بعد ذلك على أنه تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفيًا للتشبيه عقيب الإثبات، يعني أن الله تعالى وإن وصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلمًا، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل: باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه. والمعطل يعبد عدمًا، والمشبه يعبد صنمًا.........................

الشيخ صالح

⇦ القول الأخير -والأقوال متنوعة؛ لأنَّ المدارس كثيرة-: أنَّ القرآن مُعجِز؛ لأنه كلام الله ﷻ، وكلام الله ﷻ لا يمكن أن يشبه كلام المخلوق. وهذا القول هو الذي ذكره الطحاوي هنا ،قال: (عَلِمنا وأَيقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشبِهُ قولَ البشر، وَمَن وَصَفَ الله بِمعنَى مِن مَعاني البشر، فقد كَفَر، فمن أبصَرَ هذا اعتَبر، وعَن مِثلِ قول الكفَّارِ انزَجَر، وعَلِمَ أنَّه بصفاته-التي منها القرآن- ليسَ كالبشر).

وهذا القول الذي أشار إليه لم يَتفَرَّغ إليه شارحو هذه الرسالة سواء من السلفيين أو من المبتدعة من الماتريديين وغيرهم- في تقرير هذه المسألة، وهو من أرفَع وأعظم الأقوال؛ بل هو القول الحق في هذه المسألة: أنَّ كلام الله ﷻ لا يمكن أن يشبه كلام البشر.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: يعني: من شبه الله بمعنًى من معاني البشر فقد كفر؛ لأنه تنقص الله عزَّ وجلَّ.

(١) الشيخ الفوزان: لأن هناك فرقًا واضحًا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وإن اشتركت في الاسم والمعنى، ولكن تختلف في الحقيقة وتختلف في الواقع والخارج، فلا تشابه بين كلام الله وكلام البشر، ولا تشابه بين سمع الله وسمع البشر، ولا تشابه بين بصر الله وبصر البشر، ولا علم الله وعلم البشر، ولا مشيئة وإرادة الله ومشيئة وإرادة البشر، ففرق بين صفات الله وصفات المخلوق، فمن لم يفرق بينهما صار كافرًا.

.... وعَن مِثلِ قولِ الكفَّارِ انزَجَر(١)، وعَلِمَ أنَّه بصفاته ليسَ كالبشر(٢)....

ابن أبي العز الحنفي

..... وسيأتي في كلام الشيخ: ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه.

وكذا قوله: وهو بين التشبيه والتعطيل. أي دين الاسلام، ولا شك أن التعطيل شر من التشبيه، بما سأذكره إن شاء الله تعالى، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهًا، بل صفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به.

وقوله: (فمن أبصر هذا اعتبر)، أي: من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف ونفي التشبيه ووعيد المشبه اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار.....

الشيخ صالح

خذ مثلاً فيما يتميز به المخلوقات ترى فلانًا فتقول: هذا عربي، وترى آخر فتقول: هذا أوروبي، وترى ثالثا فتقول هذا من شرق آسيا، لم؟ لأنَّ الصفة العامة دلَّت على ذلك، ولو أَخَذَ الآخِذ يُعَدِّدُ أشياء كثيرة متنوعة دلته على أَنَّ هذه الصورة هي صورة عربي، وهذه الصورة صورة أوروبي، هذه الصورة الخَلقية صورة من شرق آسيا وهكذا. فإذًا الصورة العامة بها تتفرق الأشياء، فالذي يدل على الفرقان ما بين شيء وشيء، وأهمها الصورة العامة له. كلام الناس -إذا انتقلنا من الصورة الخَلقية- كلام الناس يختلف بعضه عن بعض، قول الصحابة إذا سمعنا كلامًا نقول: هذا من قول الصحابة، أو من قول السلف؛ لأنَّ كلامهم لا يشبه كلام المتأخرين، كما قال ابن رجب: كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة.

فكلام السلف له صورة عامة تعلم أنَّ هذا من كلام السلف، فلو أتينا بكلام إنسان معاصر وبكلمات له كثيرة وقارناها بكلام السلف لاتضح الفرق. فإذًا المخلوق البشر في كلامه متباين.

إذا رأيت كلام الإمام أحمد تقول: هذا ليس كلام ابن تيمية، ترى كلام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في تقريره تقول: هذا ليس بكلام مثلاً النووي، إذا رأيت كلام الإمام أحمد تقول: هذا ليس هو كلام أبي حنيفة وهكذا.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: من تدبر الآيات القرآنية التي أنزلها الله في الوليد بن المغيرة، من تدبرها عرف بطلان أقوال هذه الفرق الضالة في كلام الله عزَّ وجلَّ.

(٢) الشيخ الفوزان: وصفاته من الكلام وغيره ليست كصفات البشر للفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق.

فإذًا الكلام له صورة، له هيئة من سَمِعَهَا مَيَّزَ هذا الكلام، وهذا هو الذي أشار إليه الطحاوي بأنَّ كلام الله ﷻ لا يشبه كلام البشر.

إذا تبين ذلك فإنَّ كلام الله ﷻ صِفَتُهُ، فهذا القرآن من سَمِعَهُ أيقن أنه ليس بكلام البشر.

ولهذا بعض الأدباء الغواة مثل: ابن المقفع، والمعري، ونحو ذلك أرادوا معارضة القرآن بصورة أدبية فظهر؛ بل افتَضَحُوا في ذلك فَغَيَّرُوا منحاهم إلى مَنحَى التأثير إلى ما أشبه ذلك في كتبهم المعروفة وهي مطبوعة. أرادوا المعارضة من جهة المعاني، من جهة الألفاظ، أن يأتوا شيئًا لكنهم افتضحوا لأنَّ كلام البشر لا يمكن أن يكون مثل كلام الله ﷻ.

العرب عندهم معرفة بالبيان؛ هم الغاية في البيان، هم الغاية في معرفة الفصاحة، هم الغاية في معرفة تركيب الكلام؛ لكنهم لما سمعوا القرآن ما استطاعوا أن يعارضوه لم؟ لأنَّ الكلام لا يشبه الكلام، لا يمكن، لا يمكن أن يعارضوا؛ لأنَّ كلام الله ﷻ لا يشبه كلام المخلوق.

إذا تبين لك ذلك، فنقول إذًا: ما نُقَرِّرُهُ هو أنَّ وجه الإعجاز في كلام الله ﷻ هو أنَّ كلام الله ﷻ لا يشبه كلام البشر، ولا يماثل كلام البشر، وأنَّ البشر لا يمكن أن يقولوا شيئًا يماثل صفة الله ﷻ، والناس لا يستطيعون على اختلاف طبقاتهم وتنوِّع مشاربهم أن يَتَلَقَّوا أعظم من هذا الكلام، وإلا فكلام الله ﷻ في عظمته لو تَحَمَّلَ البشر أعظم من القرآن لكانت الحجة أعظم؛ لكنهم لا يتحملون أكثر من هذا القرآن.

لهذا تجد التفاسير من أول الزمان إلى الآن وكل واحد يُخرِجُ من عجائب القرآن ما يُخرِجُ، والقرآن كنوزه لا تنفد، ولا يفتر على كثرة الرد لا من جهة التِّلاوة ولا من جهة التفسير.

إذا تبين لك ذلك فكلام الطحاوي هذا من أنفَس ما سمعت وأصح الأقوال في مسألة إعجاز القرآن وهو أنَّ الكلام لا يشبه الكلام.

إذا تبين هذا فنقول: كلام الله ﷻ في كونه لا يشبه كلام البشر، له خصائص؛ فأوجه إعجاز القرآن التي ذَكَرَهَا من ذَكَر، نقول: هي خصائص لكلام الله ﷻ أوجبت أن يكون كلام الله ﷻ ليس ككلام البشر.

التعليقات

مثلما يقول الواحد: هذا الشعر موزون، هذا البيت فيه كسر، لماذا ؟، حرف واحد نقص قال: فيه كسر، أو هذا البيتِ ما يمكن أن يكون كذا، لماذا؟ في هيئته العامة؛ لكن له برهان يأتيك، يقول: لأنه كذا، وكذا، وكذا. فلان بخصاله، دلنا بصفاته، حركاته تصرفاته على أنه ليس بعربي، هذه القضية العامة لم؟ له أدلة عليها؛ لكن هذه الخصائص العرب وما تميزوا به عن غيرهم.

يقول: هذا الحديث ضعيف أو هذا الحديث معلول، ما وجه علته؟ مثل ما قال أبو حاتم وغيره ممن تقدمه: إنَّ أهل الحديث يعرفون العلة كما يعرف صاحب الجوهر الزيف من النقي. أنت ترى هل هذا ألماس نقيٍ أو ليس بنقي؟ يأتيك صاحب الخبرة ويقول: هذا ألماس ليس بنقي، أنت ترى ما تعرف تُفرِّق هل هذا نقي؟

هذا الكتاب طبعته طبعة حجرية، الذي لا يعرف ما يعرف، هذا الكتاب مطبوع في روسيا كيف عرفت أنه مطبوع وليس عليه اسم البلاد؟ هذا الكتاب مطبوع في بلدة كذا في الهند لماذا؟

عنده البرهان ولكن الصفة العامة هي هذه؛ لهذا نقول وانتبه لهذا حتى تخلص من إشكال عظيم في هذه المسألة -مسألة إعجاز القرآن- لتنوع الخطاب فيها وتنوع المدارس فيها نقول: إنّ كلام الله ﷻ ليس ككلام البشر، وكلام الله ﷻ له خصائص ميزته عن كلام البشر. ما هذه الخصائص؟ كل ما قيل داخل في خصائص القرآن:

♦أولاً: القرآن كلام الله ﷻ، واشتمل القرآن على ألفاظ العرب جميعًا.

تجد القرآن فيه كلمات بلغة قريش، وفيه كلمات بلغة هذيل، وفيه كلمات بلغة تميم، وفيه كلمات بلغة هوازن، وفيه كلمات بلغة أهل اليمن، وفيه بلغات كثيرة بلغة حِميَر، ﴿ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴾ [النجم: ٦١]، قال ابن عباس: السمود: الغناء بلغة حمير.

بعض قريش خَفِيَ عليها بعض الكلمات مثل ما قال عمر ﷺ لما تلا سورة النحل في يوم الجمعة -يعني في الخطبة-، تلا سورة النحل فوقف عند قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٤٧]، نظر فقال: ما التخوف؟

فسكت الحاضرون، فقام رجل من هذيل فقال: يا أمير المؤمنين التخوّف في لغتنا التَّنَقُّص قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تخوّف الرَّحلُ منها تامِكًا فردًا   كما تَخَوَّف عودُ النّبعة السَّفِنُ

تنقص، يعني ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ يعني يبدأ يتنقص شيئًا فشيئًا، ينقصون عما كانوا فيه من النعمة شيئًا فشيئًا، حتى يأتيهم الأجل، عمر القرشي خفيت عليه هذه الكلمة؛ لأنها بلغة أخرى. هل يستطيع أحد من العرب أن يحيط بلغة العرب جميعًا؟ لا يمكن، أن يحيط بلغة العرب جميعًا بألفاظها وتفاصيلها لا يمكن؛ ولهذا تجد في القرآن الكلمة بلغة مختلفة، وتجد فيه التركيب النحوي بلغة من لغات العرب، فيكون مثلاً على لغة حِميَر في النحو، أو على لغة [سَدُوس] في النحو، أو على لغة هذيل في النحو.

فإذًا الألفاظ والمعاني والتراكيب النحوية في القرآن تنوَّعت ودخل فيها كل لغات في العرب.

هذا لا يمكن أن يكون من كلام أحد، لا يستطيع أن يحيط هذه الإحاطة إلا من خَلَقَ اللغات وهو رب العالمين.

• ثانيا: الألفاظ، كما ذكرنا ألفاظ القرآن بلغت الأعلى في الفصاحة، والقرآن كله فصيح في ألفاظه، والفصاحة راجعة إلى الكلمات جميعًا؛ الأسماء والأفعال والحروف، حتى (الم) فصيح.

إذًا من خصائص القرآن التي دلت على إعجازه أنَّ ألفاظه جميعًا فصيحة، وما استطاع أحد من العرب الذين أنزل عليهم القرآن أن يعيبوا القرآن في لفظٍ مما فيه كما عابوا كلام بعضهم بعضًا، بل قال قائلهم: إنَّ له لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة ... إلى آخر كلامه.

• ثالثا: من خصائصه المعاني، المعاني التي يتصورها البشر عند قول كلامه لابد أن يكون فيها قصور.

فإذا تكلم البشر في المعاني العَقَدِيَّة فلابد أن يكون عنده لاشك قصور، إذا تكلم في المعاني التشريعية لابد أن يظهر خلل، إذا تكلم في المعاني الاصلاحية التهذيبية لابد أن يكون فيها خلل، ولهذا قال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. فإذًا تَنَوُّعُ المعاني على هذا الوجه التام بما يناسب المعاني الكثيرة التي يحتاجها الناس يدل على أنَّ هذا كلام الله ﷻ؛ يعني أنه صفته.

التعليقات

هذه خصائص كلامِ الله ﷻ، فلو قيل تقديراً: إننا سنصف القرآن الذي هو كلام الله ﷻ وبه فارق كلام البشر فَسَتُعَدِّد هذه جميعًا. فهي خصائص أو أوجه للإعجاز بها صار القرآن معجزًا بجميعها، لا بواحدة منها.

• رابعًا: أنَّ القرآن فيه، النَّظم مثل ما قال الجُرجَاني وهو من أحسن النظريات والكلام في إعجاز القرآن من جهة البيان، القرآن فيه القِمَّة في فصاحة الألفاظ وفي البلاغة.

البلاغة مُتَرَكِّبَة من أشياء؛ مُتَرَكِّبَة من ألفاظ ومن معاني ومن روابط -الحروف التي تربط بين الألفاظ والمعاني وتصل الجمل بعضها ببعض-.

فالقرآن إذًا من أوجه إعجازه أو من صفاته وخصائصه أنَّ نظمه - يعني أنَّ ترتيب الكلام والآيات فيه وترتيب الجمل في الآية الواحدة - يدل على أنَّه الغاية في البيان، ولا يمكن لبشر أو لا يمكن للجن والإنس لو اجتمعوا أن يكونوا دائمًا على أعلى مستوى في هذا النظم.

ولهذا تجد أنَّ تفاسير القرآن حارت في القرآن، حتى التفاسير المتخصصة في النحو تجده ينشط في أوله تجده يعجز في آخره، ما تجده ينشط، آخر تجده في البلاغة يريد أن يبين بلاغة القرآن فيُجَوِّد في موضع ثم بعد ذلك تأتي مواضع يكسل، ما يستطيع أن يُبين عن ذلك.

ولهذا قال من قال من أهل العلم: العلوم ثلاثة:

١- علم نضج واحترق.

٢- وعلم نضج ولم يحترق.

٣- وعلم لم ينضج ولم يحترق.

والثالث هو التفسير، لم ينضج ولم يحترق؛ لأنه على كثرة المؤلفات في التفسير وهي مئات فإنها لم تأتِ على كل ما في القرآن، لم؟

لأنَّ الإنسان يعجز، يعجز المبَيِّن أن يُبَيِّن عن كل ما في القرآن.

إذًا نظرية النظم التي ذكرها عبدالقادر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة -على تفصيل ما فيها- لا شك أنها دالة على صفة من صفات القرآن.

التعليقات

• خامسًا : أنَّ القرآن له سلطان على النفوس، وليس ثَمَّ من كلام البشر ما له سلطان على النفوس في كل الكلام.

ولكن القرآن له سلطان على النفوس بما تميز به من كلام الله ﷻ؛ لأنه كلام الله ﷻ، مثل ما صار السلطان على ذلك المشرك؛ يعني أنه يُرغِم الأنوف. وقد كان مَرَّةً أحد الدعاة يخطب بالعربية وفي أثناء خطبته يورد آيات من القرآن العظيم يتلوها، فكانت امرأة كافرة لا تحسن الكلام العربي ولا تعرفه، فلما انتهى الخطيب من خطبته استوقفته -وكانت خطبته في سفينة-، لما انتهى من خطبته استوقفته، وقالت: كلامك له نمط، وتأتي في دَ مك بكلمات مختلفة في رنتها وفي قرعها للأذن عن بقية كلامك، فما هذه الكلمات؟ فقال: هي القرآن. وهذا لاشك إذا سمعت القرآن تجد له سلطان على النفس ينبئ النفس على الاستسلام له، إلا لمن ركب هواه، هذا السلطان تجده في أشياء:

أولاً: أنَّ آيات القرآن في السورة الواحدة -كما هو معلوم- لم تُجعَل آيات العقيدة على حدة، وآيات الشريعة على حدة؛ الأحكام، وآيات السلوك على حدة، إلى آخره؛ بل الجميع كانت هذه وراء هذه، فآية تخاطب المؤمنين، وآية أخرى تخاطب المنافقين، وآية تخاطب النفس، وآية فيها العقيدة، وآية فيها قصص الماضين، وآية تليها فيها ما سيأتي، وآية فيها الوعد وآية فيها الوعيد، وآية فيها ذكر الجنة وذكر النار، وآية فيها التشريع، وثم يرجع إلى آية أخرى فيها أصل الخلق قصة آدم، وهكذا في تنوع، وهذا من أسرار السلطان الذي يكون للقرآن على النفوس؛ لأنَّ الأنفس متنوعة.

بل النفس الواحدة لها مشارب، فالنفس تارة يأتيها الترغيب وتارة يأتيها الترهيب، تارة تتأثر بالمثل، تارة تتأثر بالقصة، تارة هي مُلزَمَة بالعمل، تارة هي ملزمة بالاعتقاد.

فَكَونُ هذه وراء هذه تُغدِقُ على النفس البشرية أنواع ما تتأثر به.

وهذا لا يمكن أن يكون إلا من كلام من خَلَقَ هذه النفس البشرية، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. فتجد أنَّ القرآن يحاصرك، فأيُّ إنسان أراد أن يفر لا يمكن أن يفر من القرآن، ستأتيه قوة بآية فيها وصف الكافرين، آيات فيها قوة في وصف المنافقين، آيات فيها قوة في وصف المؤمنين، آيات فيها العقيدة، فيها الماضي، فيها الحاضر، فيها النبوة، فيها الرسالة، فيها الدلائل، فيها حال المشركين، إلى آخر [....] ما يحصر على النفس الحية والعقل الواعي الذي يتحرك وعنده همة يحصر عليه الهروب.

وهذا لا يمكن أن يحصره في أنواع النفس البشرية الواحدة إلا من خَلَقَ هذه النفس وتَكَلَّمَ بهذا القرآن لإصلاحها، ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

فكيف إذًا بأنواع الأنفسِ المختلفة، هذا الذي يَصلُحُ له الترغيب، وهذا الذي يَصلُحُ له الترهيب، وهذا الذي يَصلُحُ له وصف الجنة، وهذا الذي ينشأ عنده الإيمان بالحب و... إلى آخره، وذلك الذي ينشأ عنده الإيمان بالجهاد، ونحو ذلك.

ثانيًا: تنوع الأنفس وخطاب القرآن للناس جميعًا على تنوع أنفسهم هذا دليل على أنَّ هذا القرآن له سلطان على النفوس. أيضًا تجد أن القرآن خُوطب به من عنده فن الشعر وما يسميه بعض الناس موسيقى الكلام؛ يعني رنات الكلام، بعض الناس عنده شفافية في التأثر باللحن، بالرنات، بالصعود والنزول في نغمة الكلام، هذا النوع من الناس تجد في القرآن ما يجبره على أن يستسلم له.

لَبيد بن رَبيعة صاحب معلقة وصاحب ديوان مشهور، قيل له: ألا تنشدنا من قصائدك، لم وقفت عن الشعر؟ قال أغناني عن الشعر وتذوقه -أو كما قال- سورتا البقرة وآل عمران؛ لأنَّ هذا الشيء هو له تذوق في هذا الفن بخصوصه، فيأتي القرآن فيجعل سلطانه على النفس فيقصره قصرا؛ لهذا قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١- ٤٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤].

• سادسًا: أنَّ القرآن فيه الفصل في أمور الغيبيات، فَثَمَّ أشياء في القرآن أُنزلت على محمد ﷺ وكان أميًّا ﷺ، ما لم يَظهَر وجه بيانها وحجتها في كمال أُطرِهَا إلا في العصر الحاضر، وهو ما اعتنى به طائفة من الناس وسموه الإعجاز العلمي في القرآن.

والإعجاز العلمي في القرآن حق؛ لكن له ضوابط، توسَّعَ فيه بعضهم فخرجوا به عن المقصود إلى أن يجعلوا آيات القرآن خاضعة للنظريات، وهذا باطل؛ بل النظريات خاضعة للقرآن؛ لأن القرآن حق من عند الله والنظريات من صنع البشر لكن بالفهم الصحيح للقرآن.

التعليقات

فثَم أشياء من الإعجاز العلمي حق لم يكن يعلمها الصحابة -رضوان الله عليهم- على كمال معناها وإنما علموا أصل المعنى، فظهرت في العصر الحاضر في أصول من الإعجاز العلمي.

الإعجاز الاقتصادي، الإعجاز التشريعي، الإعجاز العَقدي أشياء تكلم عنها الناس في هذا العصر -ما نطيل في بيانها- وكل واحدة منها دالة على أن هذا القرآن من عند الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

• سابعًا: أنّ القرآن من صفاته أنّ الإنسان المؤمن كلما ازداد من القرآن ازداد حبًّا في الله ﷻ، وهذا راجع إلى الإيمان، وراجع إلى أنَّ صفة القرآن فيها زيادة في الهدى والشفاء للقلوب.

فالأوامر والنواهي والأخبار التي في القرآن هي هدى وشفاء لما في القلوب، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]، وهذا سلطان خاص على الذين آمنوا في أنه يهديهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور في المسائل العلمية وفي المسائل العملية.

لهذا ما تأتي فتنة ولا اشتباه إلا وعند المؤمن البصيرة لما في هذا القرآن؛ ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

فإذًا صفة كلام الله ﷻ في أنَّ المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعلم حدوده ويعلم معانيه، أنَّ عنده النور في الفصل في المسائل العلمية والعملية، وهذه لا يُلقاها إلا أهل الإيمان ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وهذا أيضًا سلطان خاص يزيد المؤمن إيمانًا.

التعليقات

لهذا إذا تليت على المؤمن آيات الله ﷻ: ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]، زادتهم إيمانًا لما فيه من السلطان على النفوس. إذا تبين لك ذلك فكلام الله ﷻ قديم النوع حادث الآحاد.

والقرآن من الحادث الآحاد وقت التَّنَزُّل كما قال ﷻ: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [الأنبياء: ٢- ٣] إلى آخر الآيات.

يعني أنّ الله ﷻ تَكَلَّمَ به، وكلام الله ﷻ أوسع من الكلام بالقرآن، والقرآن جاء على هذا النحو؛ لأنه الذي يتحمله الإنسان، الإنس والجن لا يتحملون أكثر من هذا، وإلا لصار عليهم كَلَفَة وعَنَفَة.

بهذا يتبين لك ما ظهر لي من تحصيل أقوال أهل العلم في هذه المسألة العظيمة التي خاض فيها المعتزلة، وخاض فيها الأشاعرة، وقل بل نَدَر من أهل السنة من خاض فيها على هذا النحو، بل لا أعلم من جمع فيها الأوجه على هذا النحو في كتب العقائد؛ بل تجدها متفرقة في كتب كثيرة في البلاغة، وفي الدراسات في إعجاز القرآن، وفي التفسير، وفي كتب متنوعة.

وما أجمل قول الطحاوي رحمه الله رحمة واسعة: (**أيقنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشبهُ قولَ البشر**) وهذا هو الحق فالقرآن بصورته وهيئته وصفته لا يمكن أن يشبه قول البشر، حتى في رسمه وتنوع آياته وسوره لا يمكن أن يشبه قول البشر.

أسال الله ﷻ أن يغرس الإيمان في قلوبنا غرسًا عظيمًا، وأن يجعلنا من أوليائه الصالحين، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

التعليقات

...... والرؤيةُ حقٌّ لأهلِ الجنَّةِ، بِغَيرِ إحاطةٍ ولا كَيفيةٍ(١)................

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وتفسيره على ما أراد الله -تعالى- وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فانه ما سلم في دينه إلا من سلم لله -عزَّ وجلَّ- ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه).

ش: المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة..........

الشيخ صالح

هذه المسألة مسألة عظيمة جدًّا، وهي مسألة رؤية الرب ﷻ في الجنة.

ورؤية الله ﷻ في جنات النعيم هي أعلى ما يَلتذُّ به أهل الجنة، فأهل الجنة أعلى نعيمهم رؤية وجه الله ﷻ؛ وذلك لأنه منتهى الجمال، ولأنّ في الرؤية الرضا، ولأنّ في الرؤية الإكرام، ولأنّ في الرؤية صلاح القلب برؤية محبوبه ﷻ.

فكل أنواع الجمال التي يتعلق بها المتعلقون إنما هي بعض جمال صفات الرب ﷻ؛ يعني أنها شيء من جمال الصفات، كما أن رحمة الله ﷻ منها جزء يتراحم به الناس.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: الرؤية، أي: رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى، فإن المؤمنين يرون ربهم -سبحانه وتعالى- في الآخرة، يرونه عيانًا بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، كما أخبر المصطفى ﷺ بذلك في الأحاديث الصحيحة المتواترة عنه عليه الصلاة والسلام، ولذلك قال المصنف: الرؤية حق، أي: ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة من السلف والخلف، ولم يخالف فيها إلا المبتدعة وأصحاب المذاهب المنحرفة.

فالمؤمنون يرون ربهم -سبحانه وتعالى- كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وهي وجوه المؤمنين ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ يعني من النضرة وهي: البهاء والحسن ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾، وأما ﴿نَاظِرَةٌ﴾ فمعناها: المعاينة بالأبصار، تقول: نظرت إلى كذا، أي: أبصرته، فالنظر له استعمالات في كتاب الله عزَّ وجلَّ، إذا عُدّي بـ(إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، أي: ألم ينظروا بأبصارهم إلى هذه المخلوقات العجيبة الدالة على قدرة الله عزَّ وجلَّ. وفي هذه الآية: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، معداة بـ(إلى)...=

...... وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون.

وقد ذكر الشيخ -رحمه الله- من الأدلة قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً: فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل. ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص..

الشيخ صالح

وكذلك جمال الحق ﷻ في ذاته وصفاته وأفعاله من جماله أفاض على هذا الوجود، فصارت الأشياء جميلة لما أفاض عليها ﷻ من جماله ﷻ، كما قال ابن القيم ﵀:

وهو الجميل على الحقيقة كيف	لا وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها	أولى وأجدر عند ذي العرفان

فكل جمال يطمع إليه الطامع وتتعلق به نفس المُتَعَلِّق من جمال مخلوقات الدنيا أو من أنواع الجمال والتلذذ في الجنة فإنه ليس بشيء عند الرؤية والتلذذ بمن أفاض ذلك الجمال، وأفاض تلك اللذات على من شاء من خلقه.

التعليقات

= وإذا عُدِّي النظر بنفسه وبدون واسطة فمعناه التوقف والانتظار: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، ﴿ٱنظُرُونَا﴾ أي: انتظرونا من أجل أن نستضيء بنوركم؛ لأن المنافقين ينطفئ نورهم والعياذ بالله، فيبقون في ظلمة، فيطلبون من المؤمنين أن ينتظروهم حتى يقتبسوا من نورهم. وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ما ينتظرون إلا مجيء الرب يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده.

وإذا عُديَّ النظر بفي فمعناه التفكر والاعتبار، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: يتفكروا في مخلوقات الله العلوية والسفلية، ويستدلون بها على قدرة الله الخالق - سبحانه وتعالى- واستحقاقه للعبادة..=

ابن أبي العز الحنفي

..... وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية. فهل قتل عثمان ﷺ إلا بالتأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين، والحرة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟!.........

الشيخ صالح

ولهذا قال بعض أهل العلم: إنَّ الرؤية لله ﷻ هي الغاية التي شَمَّرَ إليها المشمرون.

فإذا كانت الجنة غاية في تشمير المشمر وفي تَعَبُّد العابد، فإنَّ أعلى نعيم الجنة وأعظم نعيم الجنة أن يرى المؤمنون ربهم ﷻ، كما قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣]، نظرت إلى الرحمان فاكتست الوجوه نظرة وجمالا وبهاء وحسنى تبارك ربنا وتعالى.

قال: (والرُّؤيةُ حقٌّ لأهلِ الجَنَّةِ) يعني أنَّ الرؤية ثابتة، وهي حق لا مِريَة فيه، ولا شك فيه، وهي حق لأهل الجنة، فأهل الجنة يرون ربهم ﷻ ويتلذذون بذاك النعيم.

قال: (بِغَيرِ إحَاطَةٍ ولا كَيفيَّةٍ) فنفى الإحاطة؛ لأنَّ رؤية الله ﷻ لا يمكن أن تكون بإحاطة للمرئي، كما قال سبحانه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]،

التعليقات

= الحاصل: أن النظر هنا عُديٍّ بـ (إلى) ومعناه: الرؤية والمعاينة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾، فسر النبي ﷺ ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ بأنها الجنة، وفسر ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا في صحيح مسلم، وقال تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾، المزيد: هو النظر إلى وجه الله الكريم، وقال -تعالى- عن الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾، فإذا كان الكفار محجوبون عن الله، أي: لا يرونه؛ لأنهم كفروا به في الدنيا فهم محجوبون عن النظر إليه يوم القيامة، وهذا أعظم حرمان وأعظم عذاب، والعياذ بالله، فدلت الآية على أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن الله يوم القيامة، وأنهم يرونه بالنظر إليه في الآخرة؛ لأنهم آمنوا به في الدنيا ولم يروه، وإنما استدلوا عليه -سبحانه- بآياته ورسالاته، فالله أكرمهم بالنظر إليه يوم القيامة.............................. =

ابن أبي العز الحنفي

..... وإضافة النظر إلى الوجه، الذي هو محله، في هذه الآية، وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

فإن النظر له عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعديه بنفسه: فإن عُدِّي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾. وإن عُدِّي بـ في فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

إن عُدِّي بـ إلى فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟ وروى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ - في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: «من البهاء والحسن ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، قال: في وجه الله عزَّ وجلَّ».

الشيخ صالح

فرؤية الله ﷻ رؤية عيان؛ لكن لا يمكن أن يُحَاطَ بالله ﷻ رؤية كما لا يمكن أن يحاط بالله ﷻ علمًا ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]، ولكن أصل العلم بالله ﷻ ثابت، وكذلك الرؤية لا يحاط بها فلا تُدرَك؛ لا تُدرِكُ الربَّ ﷻ الأبصار، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، ولكن أصل الرؤية موجود.

فالمنفي إذًا في الآيات الإحاطة، وهذا ليس في الرؤية وحدها ولكن في كل صفات الله ﷻ؛ فإنَّ الله -سبحانه- بذاته وبصفاته لا يحاط به علمًا ولا يحاط بالله ﷻ إدراكًا ورؤية.

قال: (ولا كَيفيَّةٍ) يعني لا تُكيِّفُ رؤية الناس لربهم ﷻ؛ وإنَّما هي حق على ما جاء في الأدلة، والكيفية منفية؛ لأنَّ رؤية الناس لله ﷻ -يعني بالناس المؤمنين في الجنة- فإنَّ رؤية المؤمنين لله ﷻ في الجنة تبع لصفاته، وصفات الرب ﷻ لا تُعرَفُ كيفيتها.

التعليقات

= والنظر إلى وجه الله -عزَّ وجلَّ- أعظم نعيم في الجنة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه بعض أدلتهم من القرآن، وأما أدلتهم من السنة فكثيرة جدًا بلغت حد التواتر، كما قال العلامة ابن القيم في كتابه القيم (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)، وساق الأحاديث الواردة في الرؤية وقد بلغت حد التواتر............ =

...... عن الحسن قال: نظرت إلى ربها فنضرت بنوره. وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها عزَّ وجلَّ، وقال عكرمة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾، قال: من النعيم، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، قال: تنظر إلى ربها نظرًا، ثم حكى عن ابن عباس مثله، وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث.

وقال تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥]، قال الطبري: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ..........

الشيخ صالح

فرؤية الرائي للرب ﷻ في دار النعيم والخلود والسعادة ليست رؤية إحاطة ولا تُكيَّف بكيفية:

- لأنَّ الله ﷻ في علوه لا يُعلَمُ كيف ذلك.
- ولأنَّ الله ﷻ في رؤية المؤمنين إليه لا تُعلَمُ كيفية ذلك.
- ولأنَّ الله ﷻ في كشف الحجاب الذي يحجبه عن رؤية الخلق إليه لا تُعلَمُ كيفية ذلك.

فربنا أعلى وأعظم مما يدور في الذهن أو مما يحوم عليه الخاطر أو يتوهمه المتوهم.

فلذلك نُثبتُ الرؤية دون نظر في كيف تكون هذه الرؤية، لكنها رؤية بالعيان رؤية بالعينين ليست رؤية قلب، وإنما هي رؤية عينين، كما سيأتي ذلك في الأدلة.

التعليقات

= منها: قوله عليه الصلاة والسلام: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، لا تُضامون في رؤيته -أو: لا تَضامُّون في رؤيته-». يعني: لا تزدحمون على رؤية الله عزَّ وجلَّ؛ لأن كل واحد يرى الرب وهو في مكانه من غير زحام كما أن الناس يرون الشمس والقمر من غير زحام؛ لأن العادة إذا كان الشيء في الأرض وخفي يزدحمون على رؤيته ولكن إذا كان الشيء مرتفعًا كالشمس والقمر فإنهم لا يزدحمون على رؤيته، كلٌّ يراه وهو في مكانه، إذا كان هذا في المخلوق الشمس والقمر، فكيف في الخالق سبحانه وتعالى؟ ولم ينكر الرؤية إلا أهل البدع كالجهمية والمعتزلة الذين ينفون الرؤية، يقولون: يلزم من إثبات الرؤية أن يكون الله في جهة، والله عندهم ليس في جهة، وهو عندهم لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمنة ولا يسرة، ليس في جهة، وهذا معناه أنه معدوم، تعالى الله عما يقولون، فنفوا الرؤية من أجل هذا الرأي الباطل..=

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسَّرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب، قال: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر اليه، وهي الزيادة»، ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر، معناها أن الزيادة النظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ.

وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم، روى ابن جرير ذلك عن جماعة، منهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة، وأبو موسى الاشعري، وابن عباس، رضي الله عنهم.

وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ احتج الشافعي -رحمه الله- وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي ....

الشيخ صالح

....

التعليقات

= وأما الأشاعرة: لما لم يمكنهم إنكار الأدلة من الكتاب والسنة أثبوا الرؤية وقالوا: يُرى ولكن ليس في جهة، وهذا من التناقض العجيب! ليس هناك شيء يُرى وهو ليس في جهة، ولذلك رد عليهم المعتزلة؛ لأن هذا من المستحيل. وأهل السنة يقولون: يُرى -سبحانه وتعالى- وهو في جهة العلو من فوقهم، فالجهة إن أريد بها الجهة المخلوقة فالله ليس في جهة؛ لأنه ليس بحالٍّ في خلقه سبحانه وتعالى.

وإن أريد بها العلو فوق المخلوقات فهذا ثابت لله عزَّ وجلَّ، فالله في العلو فوق السماوات، فالجهة لم يرد إثباتها أو نفيها في كتاب الله، ولكن يقال فيها على التفصيل السابق..........................=

..... وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى.

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾، وبقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ فالآيتان دليل عليهم:

أما الآية الأولى: فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته - أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: ﴿ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

الثالث: أنه -تعالى- قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولم يقل: اني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظاهر ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعامًا فقال: أطعمنيه.........................

التعليقات

= ومعنى: (بغير إحاطة ولا كيفية) أنهم لا يحيطون بالله عزَّ وجلَّ، ويرونه -سبحانه- بغير إحاطة، والله عظيم لا يمكن الإحاطة به، قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، وقال جل وعلا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، يعني: لا تحيط به، وليس معناه: لا تراه؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- لم يقل: لا تراه الأبصار، إنما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فالإدراك شيء والرؤية شيء آخر، فهي تراه سبحانه بدون إحاطة، وفي هذا رد على من استدل بهذه الآية على نفي الرؤية وقال: الرؤية لا تمكن ؛ لأن الله قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. فنقول لهم: أنتم لا تعرفون معنى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، معناها: لا تحيط به، وليس معناه: لا تراه، ولم يقل سبحانه: لا تراه الأبصار، واستدلوا أيضًا فقالوا: موسى -عليه السلام- قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾، هذا دليل على نفي الرؤية.=

..... فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه -سبحانه- مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى.

يوضحه الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

الخامس: أن الله -سبحانه- قادر على أن يجعل الجبل مستقرًّا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾، فإذا جاز أن يتجلى للجبل، الذي هو جماد لاثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة - فرؤيته أولى بالجواز؛ ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما..............

= نقول لهم: هذا في الدنيا، لأن موسى سأل ذلك في الدنيا، ولا أحد يرى الله في الدنيا لا الأنبياء ولا غيرهم، وأما في الآخرة فيرى المؤمنون ربهم، وحال الدنيا ليست كحال الآخرة، فالناس في الدنيا ضعاف في أجسامهم وفي مداركهم، لا تستطيع أن ترى الله عزَّ وجلَّ، وأما في الآخرة فإن الله يعطيهم قوة يستطيعون بها أن يروا ربهم -جلَّ وعلا- إكرامًا لهم.............................=

..... وأما دعواهم تأييد النفي بـ «لن» وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة: ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ مع قوله: ﴿ وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ ﴾، ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾؛ فثبت أن لن لا تقتضي النفي المؤبد.

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

وأما الآية الثانية: فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو: أن الله -تعالى- إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب -تعالى- بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديًا، كمدحه بنفي السِّنَة والنوم، المتضمن كمال القيومية.

ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال الربوبية والألوهية وقهره.......................................

الشيخ صالح

التعليقات

= ولهذا لما سأل موسى ربه في هذه الآية: ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾، الجبل اندك وصار ترابًا، والجبل أصم صلب، فكيف بالمخلوق المكون من لحم ودم وعظام؟ فهو لا يستطيع رؤية الله في الدنيا، وسؤال موسى رؤية الله دليل على جواز الرؤية وإمكانها؛ لأن موسى لا يسأل ربه شيئًا لا يجوز، إنما سأله شيئًا يجوز، ولكن لا يكون هذا في الدنيا، فالله -سبحانه- قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ولم يقل: إني لا أرى.........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرًا ثبوتيًّا، فإن المعدم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإن المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به.

فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك.

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب -تعالى- يُرَى ولا يُدْرَك، كما يُعلَم ولا يُحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية؛ بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن.........................

الشيخ صالح

التعليقات

= فالله يُرى في الآخرة، وأولى الناس بهذه الرؤية الأنبياء.

وقوله: (ولا كيفية) أي: لا يقال: كيف يرون الله؟ لأن هذا كسائر صفات الله -عزَّ وجلَّ- لا نعرف كيفيتها، فنحن نؤمن بها ونعرف معناها ونثبتها، ولكن الكيفية مجهولة ولا نعرفها، فالله أعلم بها سبحانه.

..... **فمنها:** حديث أبي هريرة : أن ناسًا قالوا: يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله ، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا ، قال : فإنكم ترونه كذلك ، الحديث ، أخرجاه في الصحيحين بطوله.

حديث أبي سعيد الخدري أيضًا في الصحيحين نظيره ، وحديث جرير بن عبد الله البجلي ، قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال: إنكم سترون ربكم عيانًا ، كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته ، الحديث أخرجاه في الصحيحين .

وحديث صهيب المتقدم ، رواه مسلم وغيره ، وحديث أبي موسى عن النبي ﷺ ، قال: وجنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب ، آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم -تبارك وتعالى- إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، أخرجاه في الصحيحين .

ومن حديث عدي بن حاتم : وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقول: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب ، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول ، بلى يا رب. أخرجه البخاري في صحيحه.

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًا. ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها ، ولولا أني التزمت الاختصار لسقت ما في الباب من الأحاديث..

..... ومن أراد الوقوف عليها فليواظب سماع الأحاديث النبوية ؛ فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك، إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق.

وكيف تعلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله؟ وكيف يفسر كتاب الله بغير ما فسره به رسوله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، الذين نزل القرآن بلغتهم؟ وقد قال ﷺ: من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار. وفي رواية: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وسئل أبو بكر ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ ما الأب؟ فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟

وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟ ومن قال: يرى لا في جهة - فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابرًا لعقله وفي عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

ولهذا أُلزِم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بغير جهة، وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته.......................

الشيخ صالح

التعليقات

...... ولهذا لما تجلى الله للجبل: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته، إلا من أيده الله كما أيد نبينا، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [الأنعام: ٨].

قال غير واحد من السلف: لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا عليهم ملكًا لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ يشتبه عليهم: هل هو بشر أو ملك؟ ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا.

وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام إلا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه. لكن قول من أثبت موجودًا يرى لا في جهة - أقرب إلى العقل من قول من أثبت موجودًا قائمًا بنفسه لا يُرَى ولا في جهة.

ويقال لمن قال بنفي الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة: أتريد بالجهة أمرًا وجوديًا؟ أو أمرًا عدميًا؟ فإن أراد بها أمرًا وجوديًا كان التقرير: كل ما ليس في شيء موجود لا يرى، وهذه المقدمة ممنوعة، ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة، فإن سطح العالم يمكن أن يرى، وليس العالم في عالم آخر. وإن أردت بالجهة أمرًا عدميًا، فالمقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه ليس في جهة بهذا الاعتبار.

وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان؟! وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النقلة، الذين تخيرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل يتعلمونه بمعانيه........

..... كما نطق به كتاب ربنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢) [القيامة: ٢٢- ٢٣]........

ابن أبي العز الحنفي

..... ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف أجره.

وقوله: (والرؤية حق لأهل الجنة) تخصيص أهل الجنة بالذكر، يفهم منه نفي الرؤية عن غيرهم. ولا شك في رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة، وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنة، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول الله ﷺ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾واختلف في رؤية أهل المحشر على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون..............................

الشيخ صالح

...... **وكما استدل المصنف** ؓ **بقوله: (كما نَطق به كتابُ ربِّنا)** ذكرنا لكم أنَّ هذا من الذي استعمله أهل العلم كثيرًا أن يُنسَبَ القول والنطق والكلام للقرآن يعنون بذلك من تكلم به وهو الرب ﷻ، فقوله: **(كما نَطق به كتابُ ربِّنا)** لا بأس به ويستعمله كثير من أهل العلم من المحققين والأئمة.

قال ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣] هذه الآية فيها إثبات رؤية أهل الجنة للرب ﷻ وأنَّ وجوه من رأى الرب ﷻ ستكون ﴿نَّاضِرَةٌ ﴾ يعني حَسَنَة بَهِيَّة تعلوها النُّضرة والنَّضرة، كما دعا النبي ﷺ بقوله: «**نضّر الله امرًا -امرؤًا- سمع مقالتي فأداها كما سمعها**» الحديث، دعا له بنضارة الوجه يعني بالحسن والبهاء والزينة والجمال وهذا إنما هو لأهل الإيمان.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ يعني يوم القيامة تلك الوجوه ناضرة حسنة بهية، وتلك الوجوه ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ناظرة إلى الرب ﷻ؛ يعني رائية ربها ﷻ، تنظر الوجوه إلى الرب ﷻ.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: **هذا صريح أنه نظر إلى الله بالأبصار حيث عُدّي بإلى، فمعناه الرؤية بالأبصار،** قالت المعتزلة: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ ﴿إِلَىٰ﴾ جمع بمعنى: نِعَم. أي: إلى نِعَم ربها ناظرة. وهذا تحريف يضحك منه العقلاء؛ لأن الحرف لا يحول إلى جمع.

..... الثاني: يراه أهل الموقف، مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

الثالث: يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار، وكذلك الخلاف في تكليمه لأهل الموقف.

واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة: منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ.

وحكى القاضي عياض في كتابه الشفا اختلاف الصحابة ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة -رضي الله عنها- أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين...

ووجه استشهاد المصنف بآية سورة القيامة من ثلاثة وجوه:

○الوجه الأول: أنَّ النظر عُدِّي بـ(إِلَى)، وتعدية النظر بـ(إِلَى) تفيد أنَّ معناه الرؤية -كما سيأتي بيان ذلك في المسائل-. قال: ناظرة إلى ربها، وناظرة، والنظر يأتي لمعاني فإذا عُدِّي بـ(إِلَى) كان المراد رؤية العِيَان.

○لوجه الثاني: أنه جَعَلَ النظر إلى الرب ﷻ مضافًا إلى الوجوه، فجعل الوجوه هي التي تنظر إلى ربها، قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فالوجوه ناظرة إلى ربها، ومحل الرؤية والنظر في الوجه هو العينان.

ابن أبي العز الحنفي

..... وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ رآه بعينه، وروى عطاء عنه: أنه رآه بقلبه. ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال: وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع ولا نص، والمعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن.

وهذا القول الذي قاله القاضي عياض -رحمه الله- هو الحق؛ فإن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه؟ في رواية: رأيت نورًا.

وقد روى مسلم أيضًا عن أبي موس الاشعري رضي الله عنه أنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور»، -وفي رواية: النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. فيكون - والله أعلم - معنى قوله لأبي ذر رأيت نورًا: أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: نور أنى أراه؟ النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه؟ أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ فهذا صريح في نفي الرؤية. والله أعلم.........................

الشيخ صالح

○ الوجه الثالث: أنه قال: ﴿ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾، والنضرة: وهي الحسن والبهاء والسرور والحبور الذي يعلو الوجوه والاطمئنان، هذا إنما يكون بالرؤية؛ لأنها منتهى النعيم واللذة، لا من الانتظار الذي لا يُدرَى هل بعده نعيم؟ أم بعده غير ذلك؟

فكون الأوجُه بالنظر صارت ناضرة، يعني حَسَنَة بَهِيَّة دَلَّ على أَنَّ هذا إنما هو الرؤية؛ لأنه أثر الرؤية، وأما مجرد الانتظار فليس كل مُنتَظِرٍ للرب ﷻ يُنضَّر وجهه، بل مِنَ المُنتظِر مَن يكربس في جهنم والعياذ بالله، وسيأتي مزيد بيان أوجه الاستدلال في المسائل إن شاء الله تعالى.

التعليقات

....

.... وتفسيرُهُ على ما أرادَهُ الله تعالى وَعلِمَهُ(١)...............

ابن أبي العز الحنفي

...... وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك، ونحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى، وإن كانت رؤية الرب -تعالى- أعظم وأعلى؛ فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة.

وقوله: (بغير إحاطة ولا كيفية) - هذا لكمال عظمته وبهائه، سبحانه وتعالى، لا تدركه الأبصار ولا تحيط به، كما يعلم ولا يحاط به علمًا. قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾..

الشيخ صالح

فإذًا الناس ليس عندهم القدرة على الرؤية، فكيف تكون عندهم القدرة على الرؤية؟ وكيف تكون قُواهُم؟ وكيف تكون قُدَرُهُم؟ وكيف يُعطون؟ وعلى أي حال تكون الرؤية وتفسير ذلك على تمام معناه؟

هذا كله لا يُعلَم كما قال: (تَفسيرُهُ) -يعني بتمام معناه بما يزيد على إثبات الرؤية وأنها حق على ما أراد الله -تعالى- وعلمه، لا ندخل في ذلك متأولين ولا متوهمين، كما ذكر بعد ذلك.

وهذه الكلمة تشبه ما ذكره ابن قدامة وغيره عن الإمام أحمد وعن الإمام الشافعي في الآيات والأحاديث التي فيها إثبات الصفات؛ صفات الرب ﷻ، أنهم قالوا: أمروها كما جاءت لا كيف ولا معنى. وهذه استدل بها بعض أهل التأويل على أنهم - يعني الإمامين - يعنون بذلك التأويل، لا كيف فلا نكيف الصفات، ولا معنى لا نثبت المعنى، بل نفوض المعنى والكيفية.

وهذا ليس بمراد، بل المراد من قولهم: لا كيف ولا معنى أنَّ إمرار الصفات كما جاءت معناه إثبات الصفات على ما دل عليه ظاهر الكلام؛ لأنَّ الصفة لا تُثبِتُهَا إلا بما دل عليه ظاهر الكلام، ونفي الكيفية عن الصفة يعني الكيفية التي نحا إليها المجسمة.

ونَفيُ المعنى بقولهم: لا كيف ولا معنى؛ يعني المعنى الذي ذهب إليه المؤولة الذي يخالف ظاهر الكلام، ويخالف الإمرار كما جاءت.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: أي تفسير ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، أي: على ما أراده الله جلَّ وعلا، وهو المعاينة بالأبصار، لا على ما أراده المبتدعة.

...... وقوله: (وتفسيره على ما أراد الله وعلمه...)، إلى أن قال: (لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا)، أي: كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسنة في الرؤية، وذلك تحريف لكلام الله وكلام رسوله عن مواضعه. فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة، والفاسد المخالف له.

فكل تأويل لم يدل عليه دليل من السياق، ولا معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه؛ إذ لو قصده لحفَّ بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كلامه بيانًا وهدًى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد، لم يكن بيانًا ولا هدًى. فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء.

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس؛ فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه.

فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخبارًا بالذي عنى المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقا كان كذبًا على المتكلم، ويعرف مراد المتكلم بطرق، متعددة، منها: أن يصرح بإرادة ذلك المعنى. ومنها: أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع، ولا يبين بقرينة تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعنى، فكيف إذا حف بكلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته وما وضع له، كقوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾. و«إنكم ترون ربكم عيانًا كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب»..........

الشيخ صالح

فإذًا الإمرار كما جاءت بما يُفهَم، فمن كيَّف فقد صار مجسمًا أو صار مكيفًا، ومن تأول المعنى فقد دخل في الكلام بما يخرج اللفظ عن ظاهره.

لهذا قول القائل: لا كيف ولا معنى؛ يعني لا كيف كما يقول المجسمة، ولا معنى كما يقول المؤولة بما يُخرجُ تلك الآيات والأحاديث عن ظاهرها المتبادر منها من إثبات صفات الرب ﷻ والأمور الغيبية بعامة، وهذا كما قال هنا (**تَفسيرُهُ عَلَى ما أرادَهُ الله -تعالَى- وَعَلِمَهُ**).

التعليقات

...... فهذا مما يقطع به السامع له بمراد المتكلم، فإذا أخبر عن مراده بما دل عليه حقيقة لفظه الذي وضع له مع القرائن المؤكدة، كان صادقا في إخباره. وأما إذا تأول الكلام بما لا يدل عليه ولا اقترن به ما يدل عليه، فإخباره بأن هذا مراده كذب عليه، وهو تأويل بالرأي، وتوهم بالهوى.

وحقيقة الأمر: أن قول القائل: نحمله على كذا، أو: نتأوله بكذا، إنما هو من باب دفع دلالة اللفظ عما وضع له، فإن منازعه لما احتج عليه به ولم يمكنه دفع وروده، دفع معناه، وقال: أحمله على خلاف ظاهره.

فإن قيل: بل للحمل معنى آخر، لم تذكروه، وهو: أن اللفظ لما استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، ولا يمكن تعطيله، استدللنا بوروده وعدم إرادة ظاهره على أن مجازه هو المراد، فحملناه عليه دلالة لا ابتداء.

قيل: فهذا المعنى هو الإخبار عن المتكلم أنه أراده، وهو إما صدق وإما كذب، كما تقدم، ومن الممتنع أن يريد خلاف حقيقته وظاهره، ولا يبين للسامع المعنى الذي أراده، بل يعرف بكلامه ما يؤكد إرادة الحقيقة، ونحن لا نمنع أن المتكلم قد يريد بكلامه خلاف ظاهره، إذا قصد التعمية على السامع حيث يسوغ ذلك، ولكن المنكر أن يريد بكلامه خلاف حقيقته وظاهره إذا قصد البيان والإيضاح وإفهام مراده! كيف والمتكلم يؤكد كلامه بما ينفي المجاز، ويكرره غير مرة، ويضرب له الأمثال..........

الشيخ صالح

قال (وتَفسيرُهُ عَلى ما أرادَهُ الله -تَعالَى- وَعَلِمَهُ) (تفسيرُهُ) يعني تفسير النظر إلى الرب ﷻ عَلى ما أرادَهُ الله -تَعالَى- وَعَلِمَهُ. التفسير هنا يراد به أحد نوعي التفسير؛ وذلك أَنَّهُ جَعَلَ الرؤية حق ونفى في الرؤية التي هي حق ويثبتها: الإحاطة والكيفية. فدل على أَنَّهُ يُثبتُ معنى الرؤية الذي يعلمه السامع للكلام من ظاهر الكلام. فلما نفى الإحاطة والكيفية دلَّ على أنَّ قوله: (الرُّؤيةُ حقٌّ لأهلِ الجَنَّةِ) أنَّ الرؤية على ظاهرها، وهذا هو المعنى الأول للأشياء، هو المعنى المتبادر للذهن في الصفات.

التعليقات

... وكلُّ ما جاءَ في ذَلك مِنَ الحديث الصَّحيح عَن الرسولِ ﷺ فهو كما قال(١)........

ابن أبي العز الحنفي ....

الشيخ صالح ....

نقول هذا على ما يتبادر إلى الذهن، فصفة الرحمة معروفة، وصفة الكلام معروفة إلى آخره.

والنوع الثاني من التفسير هو التفسير لتمام المعنى وللكيفية. فإنَّ تمام المعنى والكيفية لا يعلمها إلا الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧]، على مَن وَقَفَ هنا، فأراد بالتأويل الذي هو التفسير تمام المعنى والكيفية.

فإذًا تفسير النظر إلى وجه الله الكريم، تفسير النظر إلى الرب الكريم ﷻ بتمام معناه لا نعلمه، تفسيره على ما أراده الله تعالى، هو حق، وتمام المعنى لا نعلمه كيف ذلك. كيف تُعطَى العيون القدرة؟

النبي ﷺ قيل له: أرأيت ربك؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟ وقال: «رَأَيتُ نُورًا» كما في الصحيح من حديث أبي ذر، وموسى -عليه السلام- سأل ربه قال: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قالت طائفة من السلف: كَشَفَ الله ﷻ من الحجاب قدر هذه؛ أنملة واحدة، فساح الجبل، فَرُدَّ طلب الرؤية على موسى؛ لأَنَّهُ لن يقدر على ذلك، كذلك قال ﷺ: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

قال: (وكلُّ ما جاءَ في ذَلك مِنَ الحديث الصَّحيح عَن الرسولِ ﷺ فهو كما قال) وقد ثبت عن النبي ﷺ رؤية المؤمنين لربهم ﷻ بالتواتر. عُدَّ ذلك متواترًا في أكثر من عشرين حديثًا جاءت عن المصطفي ﷺ في إثبات الرؤية، بأحاديث متنوعة، مختلفة في ألفاظها وفي طرقها عن عدد كبير من الصحابة، فهي متواترة؛ ولهذا كَفَّرَ طائفة من أهل السنة من أنكر رؤية الرب ﷻ؛ لأنه إنكار للمتواتر من القرآن وللمتواتر من سنة النبي ﷺ.

التعليقات

= الشيخ الألباني: اعلم أن الأحاديث الواردة في إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة كثيرة جدًّا حتى بلغت حد التواتر كما جزم به جمع من الأئمة، منهم الشارح وقد خرجَّ بعضها، ثم قال: وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًا. ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها، ولولا أني التزمت الاختصار لسقت ما في الباب من الأحاديث، ثم قال: ليس تشبيه رؤية الله -تعالى- برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟ ومن قال: يرى لا في جهة، فليراجع عقله، فإما أن يكون مكابرًا لعقله أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.........................=

...ومَعناه على ما أراد(١)، لا نَدخلُ في ذلك مُتَأوِّلين بِآرَائنا، ولا مُتوهِّمِينَ بأهوائنا(٢)....

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

قال: (فهو كما قال، وَمَعناهُ على ما أراد، لا نَدخلُ في ذلك مُتَأوِّلين بِآرَائنا، ولا مُتَوهِّمِينَ بأهوَائنَا). (لا نَدخلُ في ذلك مُتَأوِّلين بِآرَائنا) يعني نُخرِج هذا الظاهر بتأويل. (ولا مُتَوهِّمِينَ بأهوَائنَا) بما يجعل للرؤية كيفية مُعَيَّنَة، فَتُثبِت الرؤية بكيفية أو لأجل الكيفية نفي الرؤية كما ذهب إليه المعتزلة، وكما ذهب إليه المجسمة.

فالمعتزلة توهموا أنَّ الرؤية تكون بكيفية فنفوا، والمجسمة توَهَّمُوا أَنَّ الرؤية تكون بكيفية فأثبتوها على تلك الكيفية. إذا تبين لك هذا المعنى العام لكلام الماتن رحمه الله ففي هذه المسألة العظيمة، مسألة الرؤية مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ المؤمن في تَعَلُّقِهِ بربه ﷻ في عبادته -سبحانه- بأنواع العبادة القلبية والعملية يرى أنّ الإنعام عليه بأن يكون من أهل الجنة هذا أعظم الإنعام؛ لأنَّ من دخل الجنة قد رضي الله عنه ومَتَّعَهُ بملاذِّها وحبورها وسرورها، وأفاض عليه الزيادة وهي رؤية وجه الله الكريم.

التعليقات

= قلت: وأما رؤيته تعالى في الدنيا فقد أخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح أن أحدًا منا لا يراه حتى يموت. رواه مسلم. وأما هو نفسه -عليه الصلاة والسلام- فلم يرد في إثباتها له ما تقوم به الحجة، بل قد صح عنه الإشارة إلى نفيها حين سئل عنها بقوله: (نور أنى أراه؟) ومع ذلك جزمت السيدة عائشة بنفيها كما في الصحيحين وهذا هو الأصل فينبغي التمسك به، ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله -عزَّ وجلَّ- ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

الشيخ الفوزان: كل ما جاء عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- في إثبات الرؤية فهو حق على حقيقته، مثل ما جاء في القرآن سواء، يجب الإيمان به؛ لأن كلام الرسول ﷺ وحي من الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ ويسمى بالوحي الثاني، ولقد أخبر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة متواترة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، فيجب الإيمان بذلك من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف.

(١) الشيخ الفوزان: أي ما أراد الرسول ﷺ، لا على ما أراده المبتدعة والمحرفة.

(٢) الشيخ الفوزان: كما يفعله الجهمية والمعتزلة ومن تتلمذ عليهم وأخذ برأيهم من التأويل الباطل، بل الواجب علينا أن نتبع الكتاب والسنة، ولا نتدخل بعقولنا وأفكارنا ونحكمها على ما جاء في الكتاب والسنة، الواجب أن الكتاب والسنة يحكمان على العقول والأفكار.

ومن أحب تَعَلَّقَ بالمحبوب، وإذا تَعَلَّقَ القلب بالمحبوب لم يهدأ له بال ولا يقر له قرار حتى يلقى محبوبه راضيًا عنه متمتعًا بلذة النظر إليه ومحادثته وتحيته، كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣- ٤٤]، فهذا أعلى أنواع التمتع.

والقلب إذا خشع لله ﷻ وتلذذ بتلاوة القرآن وبالصلاة، وعلم أنَّ هذه من اللذات الحاضرة التي هي التلاوة والصلاة، فكيف بأعظم اللذات وهو رؤية الرب ﷻ؟! وهي الغاية كما ذكر العلماء التي شَمَّرَ إليها المُشَمِّرُون، الذين تعلقت قلوبهم بالرب ﷻ.

المسألة الثانية:

أنَّ أهل السنة والجماعة جعلوا الرؤية حق، والرؤية بالعينين، وهذه الرؤية جاءت فيها آيات كثيرة وأحاديث متواترة عنه ﷺ، وأجمع أهل التفسير من الصحابة والتابعين على القول بالرؤية، ولم ينكرها أحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ومن الأدلة على أنَّ الرؤية حق: قول الله ﷻ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله ﷻ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، وقوله ﷻ: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٣]، وقوله ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، وقوله ﷻ عن الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، وقوله ﷻ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥]، ونحو ذلك من الأدلة.

وكذلك الأدلة التي فيها ذِكرُ لقاء الله ﷻ كلها صالحة للاحتجاج بها على رؤية الله سبحانه، كقوله سبحانه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، فَسَّرَهَا طائفة من العلماء من السلف فمن بعدهم بأنَّ لقاء الله برؤيته وهو المعروف لغة.

التعليقات

وكذلك في قوله ﷻ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٤] قال ثعلَب -وهو من علماء اللغة المبرزين العارفين: أجمع أهل اللغة على أنَّ اللُّقيا هاهنا هي الرؤية؛ وذلك لأنَّه لا يمكن ملاقاة وتحية وخطاب باللغة إلا برؤية، والأدلة على ذلك متنوعة، في كل دليل فيه ذكر الرؤية لله ﷻ أو فيه ذكر اللقاء، أو ما فُسِّرَ بالسنة برؤية الله ﷻ.

وأما من سنة النبي ﷺ فكما ذكرت لكم الأدلة كثيرة جدًّا بلغت مبلغ التواتر، فمنها قوله ﷺ: «إِنَّكُم ستَرَونَ رَبَّكُم يوم القيامة كَمَا تَرَونَ البدر ليلة التمام لاَ تُضَامّونَ فِي رُؤيَتِهِ».

والحديث الآخر قال فيه ﷺ: **«هل تَرَونَ الشمس في وسط النهار؟ هل تُضَامّونَ فيها؟** قالوا: لا. قال (**هل تَرَونَ القمر ليلة البَدرِ؟ هل تُضَامّونَ فيه؟** قالوا: لا. قال: **فإِنَّكُم ستَرَونَ رَبَّكُم كما تَرَونَ الشمس وسط الظهيرة لا تُضَامّونَ فيها، وكما تَرَونَ القمر ليلة التمام لا تُضَامّونَ فيه**».

وفيه أيضًا قوله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، من حديث صهيب ﷺ، قال ﷺ في حديث طويل: **«الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم»**.

وأيضًا في الباب قوله ﷺ في وصف الجنة: **«جنتان من ذهب وما فيهما، وجنتان من فضة وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن يروا ربهم إلا أن يُكشف الحجاب»**.

نسأل الله - سبحانه- المنّ والكرم لرؤيته ﷻ، وأن يغفر لنا ذنوبنا وآثامنا، وأن نلقاه وهو راضٍ عنا، سبحانه إنه جواد كريم. هذه الآيات والأحاديث فيها تقرير لقول أهل السنة واضح الدِلالة.

ولا نخوض في ذلك بتقرير الأوجه اللغوية لما ذُكر؛ لأنه بتكاثرها وتواردها بلغت مبلغ القطع في هذه المسألة؛ حيث إنَّ المسالة ليست بخفية حتى قال الإمام أحمد لمن قال له: إنَّ فلانًا ينكر الرؤية قال: كافر، كافر؛ يعني لأنَّ هذه لا تحتمل التأويل، وليس ثمَّ فيها شبهة.

المسألة الثالثة:

أنَّ قول أهل السنة في الرؤية؛ أنَّ الرؤية حق لأهل الجنة وللمؤمنين في عرصات القيامة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

والرؤية التي للمؤمنين هي رؤية سرور وتلذذ وإكرام، واختلف أهل السنة في رؤية الله ﷻ في الموقف:

- هل هي للمؤمنين وحدهم.
- أم للمؤمنين والمنافقين.
- أم للناس جميعا، على ثلاثة أقوال.

وكل الأقوال في مذهب أهل السنة - يعني قال بها طائفة -.

وكما قال الإمام تقي الدين ابن تيمية ؒ: إنَّ الخلاف في هذه المسألة -يعني هل يرى الكفار ربهم يوم القيامة أو لا يرونه؟ هل يراه المنافقون أو لا يرونه؟- لا ينبغي أن تكون من المسائل التي يُشَدَّدُ فيها الخلاف؛ بل الأمر فيها خَفِي، هذا نص عبارته. والمذاهب فيها كما ذكرت لكم ثلاثة:

- فجمهور أهل السنة والحديث على أنَّ الرؤية للمؤمنين في عرصات القيامة.
- وقال طائفة للمؤمنين والمنافقين، وممن ذهب إلى ذلك ابن خزيمة كما نصَّ عليه في كتاب التوحيد
- القول الثالث: أنَّ الرؤية للجميع، للمؤمنين والمنافقين والكفار.

واستدلوا على ذلك بأنَّ الكافر يُحجَب ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، قالوا: فكونه حُجِبَ يومئذ دلَّ على أنَّه قبل ذلك لم يكن محجوبًا؛ لأنَّ الكلام في الآخرة، وأما في الدنيا فالكل محجوب عن رؤية الرب ﷻ.

وهذه الأقوال جَمَعَت النظر في الرؤية.

ويبقى أنَّ رؤية الرب ﷻ نوعان:

← النوع الأول: رؤية إكرام ولذة ونعيم وإنعام وحبور وسرور، فهذه للمؤمنين في الجنة وللمؤمنين في عرصات القيامة، فهي من الطمأنينة لهم.

التعليقات

←والنوع الثاني: رؤية حساب وتقرير وتعريف، فهذه هي التي يمكن أن يقال: إنها مرادة في حديث المنافقين فيما ثبت في الصحيح «**أنَّ الله ﷻ يأتي الأمة وفيه منافقوها، ثم يأتيهم في غير الصورة التي رأوها من قبل، ثم يأمرهم بالسجود فلا يسجدون، فيقولون: نحن هنا حتى يأتي ربنا، ثم بعد ذلك يكشف الرب عن ساق، فيعرفونه فيسجد المؤمنون، ويبقى من لم يكن مخلصًا في الدنيا يريد أن يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا**» فهذا يدل على أنّ هذه الرؤية رؤية تعريف ورؤية حساب وهذا النوع من الرؤية لا ينبغي أن يكون الخلاف فيه؛ لأنَّ الحديث دل عليه.

فإذًا الرؤية التي نقول: إنه أجمع أهل السنة على أنها للمؤمنين هي رؤية التنعم والتلذذ، و في ضمن ذلك رؤية التعريف. وأما رؤية الله ﷻ للتعريف والحساب فهذه كُلٌّ يراه بحسب حاله والله أعلم بكيفية ذلك وتفسيره. أما الكفار فعامة أهل العلم إلا من شذَّ وقلَّ يقولون: إنَّ الكافر لا يرى الله ﷻ لا رؤية تعريف ولا رؤية تلذذ من باب أولى؛ لأنَّ الكافر محل العذاب والنكال.

وأجابوا عن استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، بأن هذا استدلال بالمفهوم، بمفهوم ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾، ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ وهم محجوبون في الدنيا عن الرؤية، وكذلك محجوبون في الآخرة عن الرؤية.

وكلمة ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾، ليس لها مفهوم كما قال ﷻ: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧]، وكما في قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨]، وفي آيات كثيرة عُلِّقَت أشياء تحصل يوم القيامة بـ(**يومئذٍ**)، وقد يكون جنسها أو بعض أفرادها يحصل في الدنيا إما بالعموم أو بالخصوص.

المقصود من رد الاستدلال أنه كلمة (**يومئذٍ**) ليسَ لها مفهوم، لا نفهم منه أنهم حُجِبُوا يومئذ فمعنى ذلك أنهم قبل ذلك يعني قبل الحجب يومئذ لم يكونوا محجوبين، بل كانوا محجوبين ثم صاروا محجوبين لكن توعَّدَهُم بين حالهم بقوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾، فحُجِبوا ثم صاروا صالين للجحيم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

المسألة الرابعة:

مذاهب الناس في الرؤية متعددة، منها -يعني من خالف قول أهل السنة- أشهرها مذهبان:

• المذهب الأول: مذهب من منع الرؤية وتأوَّلَ كل النصوص الواردة في ذلك: وهم المعتزلة، قبلهم الجهمية، والخوارج بعامة، والإمامية من الروافض؛ بل الروافض بعامة؛ لأنَّ الزيدية ينكرون الرؤية كقول المعتزلة. وهذا القول له حججه واستدلالاته ستأتي.

• المذهب الثاني: مذهب من أثبت الرؤية ولكن قال: الرؤية ليست إلى جهة، وإنما تكون إدراكًا، وهذا هو قول الأشاعرة ومن نحا نحوهم.فردُّوا قول المعتزلة في أنَّ الرؤية ممتنعة بإثباتها، ووافقوهم في أنَّ ليس على العرش ربٌّ وأنَّ الله سبحانه ليس في جهة - جهة العلو - فقالوا: الرؤية لا إلى جهة. وكيف تكون رؤيةٌ إذًا وليست إلى جهة؟

أما قول المعتزلة والخوارج، ويُشهِرُ هذا القول في زمننا هذا طوائف الروافض والزيدية والإباضية من الخوارج ويستدلون له.

فمن أدلتهم:

١- قوله ﷻ حينما سأل موسى عليه السلام الرؤية: ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ ﴾ [الأعراف:١٤٣]، إلى آخره، قالوا: وجه الاستدلال أنَّه نَفَى رؤية الله ﷻ، وموسى الكليم أحق الناس بالرؤية، والنفي بلن يفيد التأبيد.

☜ والجواب: عن هذه الحجة التي أدلى بها أوائل المعتزلة من شابههم إلى يومنا هذا: أنَّ النفي بلن في اللغة لا يفيد التأبيد، وإنما يفيد النفي المجرد.

وأما من قال: إنه يفيد التأبيد وهو الزمخشري في الكشاف وفي كتابه المفصل في النحو فإنه باطل، وردَّه ابن مالك في الكافية الشافية بقوله:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله اردد وسواه فاعضدا

وردَّهُ أيضًا ابن هشام في أوضح المسالك قال: ولا تفيد تأبيد النفي خلافًا لمن قاله.

التعليقات

ويدل على ذلك أنَّ الله ﷻ قال: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة: ٩٥] يعني الموت، فقال ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ فنفَى بالتأبيد بكلمة ﴿ أَبَدًا ﴾، وباستعمال ﴿ وَلَن ﴾ نفى التمني، وأثبت أنهم يتمنونه يوم القيامة قال ﷻ: ﴿ وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧] يعني ليميتنا ربُّك، قال: ﴿ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾، فدل على أنَّ نفيه بـ﴿ وَلَن ﴾ وبكلمة ﴿ أَبَدًا ﴾ لم يفد التأبيد المستغرق للدنيا والآخرة معًا.

فإذا أفاد:

أولاً: أنَّ قوله: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ أنه لَمَّا استعمل ﴿ أَبَدًا ﴾ دلَّ على أنَّ ﴿ وَلَن ﴾ لا تفيد التأبيد.

ثانيًا: على أنَّ كلمة لن لَم تُفِد التأبيد؛ لأنهم تمنوا الموت في الآخرة، فدلت على أنها تفيد النفي في الدنيا.

٢ – ومن أدلتهم أنهم قالوا: إنَّ النظر في القرآن وفي اللغة يفيد الانتظار، وهو أصله، وليس أصل النظر الرؤية، فالآيات التي فيها ذكر النظر تفيد الانتظار.

فقوله ﷻ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ﴾ [محمد: ١٨] يعني فهل ينتظرون؟ وقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣]؛ يعني منتظرة الفرج، ويستدلون عليه بقول الشاعر:

وجوهٌ يوم بدرٍ ناظراتٌ إلى الرحمن يأتي بالفلاح

ناظرات إلى الرحمن، قالوا: معناها منتظرات.

وهذا القول في الاستدلال بمعنى النظر والإتيان عليه بهذا الشاهد اللغوي ليس على ما قالوا؛ وذلك أن اللغة فيها أفعال تختلف بالتعبير كثيرة جدًّا، فيكون للفعل معانٍ متعددة مختلفة بأنواع التعبير، ومنها فعل:

انتَظَرَ ونَظَرَ، ومصدر ذلك، واسم الفاعل ناظرًا.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

وتبيين ذلك أن يُقالَ -كما أوضحه الشارح وغيره من أهل اللغة-: إنَّ كلمة النظر وما اشتُقَّ منها:

- تارَةً تتعدى بنفسها فيكون المعنى الانتظار؛ يعني تصل إلى المفعول بنفسها فيكون معناه الانتظار.
- وتارَةً تتعدى بـ(في) فيكون المعنى التفكر والاعتبار.
- تارَةً تتعدى بـ(إلى) فيكون المعنى الرؤية، وقد يكون مع الرؤية الانتظار بحسب السياق، لكن لا يمكن أن تتعدى بـ(إلى) ويكون انتظارًا بلا رؤية، لا يمكن، ولم يأتِ في أي شاهد في لغة العرب ولا في القرآن ولا في السنة أنَّ النظر يتعدى بـ(إلى)، ويكون معناه الانتظار المجرد من الرؤية ،بل النظر إذا تَعَدَّى بـ(إلى) صار معناه الرؤية، وقد يكون على قِلَّة مع الرؤية الانتظار، وهذا له نظائر في اللغة يطول الكلام ببيانها.

فإذًا قوله ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، كونه عدّى اسم الفاعل ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾ الذي يعمل عمل فعله عداه بـ﴿ إِلَىٰ ﴾ دل على أنَّ المراد الرؤية، وكونه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي مكان الرؤية دلّ على أنَّ الرؤية تكون بآلة في هذا الوجه وهي العينان.

٣ - من أدلتهم أيضًا قوله ﷻ ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قالوا: فَنَفَى الإدراكَ، ونَفيُ الإدراك مستلزم لانتفاء الرؤية.

- والجواب: أنَّ هذا غلط كبير؛ لأنَّ نَفيَ الإدراك لا يستلزم انتفاء الرؤية، فإنَّه قد ترى الشيء ولا تدركه؛ يعني لا تحيط به، فهذه السماء نراها ولا أحد يشك في أنه يرى السماء، ولو قلت لأي أحد يرى السماء: هل تدرك السماء رؤية وتحيط بها؟

فسيكون جواب كل أحد: لا، يعني لا يدركها رؤية، وإنما يرى منها ما يمكنه أن يرى وكما قال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ﴾ [الشعراء: ٦١- ٦٢] ووجه الدلالة أنَّهُ نفى الإدراك، ومع نَفيِ الإدراك أثبت الله ﷻ الترائي وهو رؤية كل جمع لآخر فقال: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ هذا الجمع رأى الجمع، وذاك الجمع رأى الجمع، ومع ذلك ﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ فقال موسى: ﴿ كَلَّآ ﴾ يعني لن نُدرَك يعني لن يُحاطَ بنا.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

فَنفيُ الإحاطة لا يستلزم أن تُنفَى الرؤية؛ بل نَفيُ الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية نقيض ما قالوا، وهو الوجه الثاني من الاستدلال عليهم بهذه الآية.

الوجه الثاني: من الاستدلال عليهم بهذه الآية أنَّ نفي الإدراك ليس كمالاً، والقاعدة المعروفة أنَّ كل نفي في القرآن فكماله بإثبات ضده، فربنا ﷻ قال: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾، وذلك لكمال سعته - سبحانه وتعالى- وكمال علوه وكمال استغنائه عن خلقه، إلى غير ذلك من أفراد صفات الجلال للرب ﷻ. فلا يقال: إنه لا يُدرَك ويكون المراد كمالاً إلا وأصلُ ذلك ثابتًا، وهو أنه في محل من يُرَى أو في محل الرؤية.

مثال ذلك أنك لو قلتَ: إنني لم أر العقل، ولم أر الفهم، ولم أر القلب، ولم أر السمع، ولم أر الإبصار، وهكذا الصفات ولم أر الرحمة، ولم أر الرأفة، إلى آخرها، فإنَّ نفي هذه الرؤية ليس كمالاً في أنَّ هذه الأشياء تُرى، ولكنك عجزت؛ لأنك متى ما قلت في شيء: إنك تراه أو لا تدركه رؤيةً فإنما يكون كمالاً إذا كان في محل ما يمكن أن يُرَى.

أما الأشياء التي لا تُرَى أصلاً فإنه ليس من الكمال أن تَنفِي الرؤية عنها. فكونك تنفي الرؤية عن الرحمة لا يعد هذا كمالا في الرحمة، وإنما هكذا وُجِدَت، كونك تنفي الرؤية عن الإبصار والإدراك لا يدل على كمال فيها. فإذًا دَلَّ نَفيُ الإدراك عن الرب ﷻ أنَّ نَفيَ الإدراك لأجل أنه عظيم ﷻ فإنه يُرَى، ولكنه لا يُدرَك.

والإدراك ينقسم إلى قسمين:

- إدراكٌ برُؤيَةٍ
- وإدراك بعلمه

والإدراك بعلم: نَفَاهُ الله ﷻ في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٠].

وإدراك الرؤية: نفاه الله ﷻ في هذه الآية، وهذه الآية في إدراك الرؤية لا في إدراك العلم، دلَّ عليها قوله بعد النفي ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

التعليقات

فكونه سبحانه ﴿ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ يعني يراها، وخَصَّ الإدراك بإدراك الأبصار؛ لأنَّ الأبصار هي محل نَفيِ الإدراك السابق، فقال: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فلما قال: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ دَلَّنا على أَنَّ المنفي هو إدراك الرؤية لا إدراك العلم.

والأدلة التي استدلوا بها متنوعة كثيرة، لا نُشغِلُكُم بها معروفة وهذه المسألة من أطول المسائل التي فيها الكلام، لكن دائمًا المؤمن أحق بالحجة من غيره، وفهم الحجة يكون بالأناة، تتأني في فهمِ احتجاج أهل السنة، فإننا -ولله الحمد- بتجرد لا نعلم مسألة قال فيها أهل السنة قولاً واستندوا فيها إلى الأدلة، ويكون ثَمَّ فيها شبهة لا في الأصول -أصول صفات الرب ﷻ - ولا في الغيبيات بعامة؛ لأنَّ قولهم مُبَرَّأ من الهوى، لا يدخلون متوهمين بأهوائهم ولا متأولين بآرائهم وقلوبهم، وإنما يثبتون ما ثبت في الكتاب والسنة، وإنما هم مستسلمون لنصوص الوحي، كما سيأتي إن شاء الله في الدرس القادم بإذن الله تعالى.

من العجيب أنَّ الحجج عند المعتزلة يحتجون بما ذكرنا ويَرُدُّونَ حُجَجَ أهل السنة على حسب أقوالهم بتفسير النظر كما قلنا بأنها ناظرة يعني منتظرة، إلى آخر ما ذكرت لكم. لكنهم إذا أتت السنة والأحاديث في تفسير الآيات وفي إثبات الرؤية وهي بالغة مبلغ التواتر فإنهم يشرحون ولا يستطيعون حتى الإبانة عن وجه ربها؛ يعني أنهم يقلقون ولا يحسنون إبانةً ولا تَفقهُ لهم قولاً.

وقد سمعت كلام بعضهم، سمعته بأُذُنَيَّ، وقرأت كلام بعضهم أيضًا بعينيَّ فما أحسنوا جوابًا ولا خَلَصُوا إلى قول يردُّونَ به الأدلة من السنة.

لهذا قال طائفة من المحققين من أهل السنة: إنَّ تأويل نصوص المعاد والبعث والقبر والصراط والجنة والنار ونحو ذلك - ما يحصل يعني في عرصات يوم القيامة وما يحصل في السماء- أسهل بكثير من تأويل آيات وأحاديث الرؤية؛ لأنها بلغت مبلغ التواتر وأُكِّدَت بأنواعٍ من التأكيدات، وبُيِّنَت بأنواعٍ من البيان بما يقطع معه السامع أنَّ المراد بها ظاهرها على حقيقتها حتى عند قول من يجيز القول بالمجاز أو التأويل الذي ينحو إليه أولئك، فإنَّ هذه لا يمكن أن يجري عليها ما يجري على غيرها بقطع.

التعليقات

فإذن الحجة فيها قوية وقاطعة وإنما هو الهوى، نسأل الله ﷻ السلامة والعافية، ولكن يجب على المؤمن الموحد أن يعلم الأدلة ووجه الحجة حتى يدلي بحجته في تلك المسائل.

أما قول الأشاعرة في المسألة وهو أنهم قالوا: يُرَى إدراكًا لا إلى جهة فإنه عجيب.

فإنَّ قول المعتزلة في نفي الرؤية أقرب إلى العقل من قول الأشاعرة - يعني إلى عقل وفهم السامع - خلافًا لقول الشارح: إنَّ قول الأشاعرة أقرب إلى العقل من قول من نفى.

بل الحقيقة العكس: من نَفَى الرؤية؛ لأنه لا يثبت العلو قال ما دام أننا لا نثبت العلو؛ فالرؤية لا يمكن أن تكون إلا إلى جهة.

الإنسان كيف يرى؟ لابد إلى جهة يراه، أما يرى شيئًا ليس أمامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله، وليس بأعلى منه ولا أسفل منه فكيف يراه؟ وأين يراه؟ لا شك أنَّ هذا العقل يرده.

ولهذا نقول: قول الأشاعرة: إنه يُرَى لا إلى جهة؛ يعني لا يُرَى في جهة العلو ويُرَى إدراكًا، فإنَّ هذا ولو كان إثباتًا للرؤية فهو غير مقبول عقلاً، ولا مقبول سمعًا.

والواجب إثبات النصوص التي جاء فيها ذلك وإثبات ما دلت عليه من أنَّ الرؤية تكون على ما أخبر الله ﷻ، وأنَّ الله - سبحانه- يطَّلع إلى أهل الجنة وأنه يكشف الحجاب فيرفعون رءوسهم فينظرون إلى الرب ﷻ، وأنه - سبحانه- مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، وأنَّ عرش الرحمن فوق الجنة؛ يعني سقف الجنة، وهكذا في أدلة كثيرة.

فمن نفى علو الرحمن ﷻ وقال هو -سبحانه- في كل مكان، فكيف يُقبَلُ إثباته للرؤية؟

لاشك أنَّ قول الأشاعرة عجيب، وليس لهم حجة من جهة سمعية، ولا من جهة عقلية، إلا شيئًا واحدًا وهو أنهم أبطلوا: نفي علو الله ﷻ؛ وأنَّه - سبحانه- في كل مكان وفرَّعُوا عليه أنَّ الرؤية لَمَّا جاءت بها الأدلة قالوا: يُرَى لا إلى جهة وهذا باطل.

المسألة الخامسة:

أنَّ رؤية المؤمنين في الجنة لربهم ﷻ عامة بالإنس والجن، للرجال وللنساء، وللملائكة أيضًا، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد:٢٣- ٢٤].

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

فالملائكة في الجنة يعني طائفة منهم في الجنة، وفي الجنة المؤمنون من الجن والإنس ومن الرجال والنساء، ولم يدلَّ دليل على اختصاص الرؤية بالرجال دون النساء، ولا على اختصاص الرؤية بالإنس دون الجن، وهذه فيها أقوال:

□ القول الأول: من قال: إنَّ الرؤية للإنس دون الجن، وهذا خلاف الصواب كما ذكرنا؛ لأنَّ الآيات عامة في الرؤية في كل مؤمن فمن دخل الجنة رآه.

□ القول الثاني: إنَّ الرؤية للرجال دون النساء، واستدلوا على ذلك بقوله ﷻ: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢] وأنَّ القصر في الخيام يدل على عدم خروجهن من ذلك.

والصواب: أنَّ الرجال والنساء من المكلفين من الجن والإنس يرون ربهم ﷻ إذا كانوا من أهل الجنة.

وأمَّا الاستدلال بالآية فعجيب لأنَّ:

❁ أولاً: الآية أولاً في الحور، والحور خلق ينشئهن الله ﷻ إنشاءً في الجنة وليسوا من المكلفين في الدنيا.

❁ ثانيًا: أنَّ الله ﷻ قال: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس: ٥٦] وقال ﷻ في الآية الأخرى ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾، فمن نعيم أهل الجنة أنهم يتمتعون هم وأزواجهم على الأرائك فيتكئون وينظرون، وإخراج النساء من الاتكاء ضده الآية وكذلك إخراجهم من النظر ضده الآية.

لهذا نقول غلط من قال: إنَّ الرؤية للرجال دون النساء، فالنساء يرون ربهم ﷻ كما يراه الرجال؛ لأنهم مكلفون متعبدون.

والنعيم عام للإنسان الذي يدخل الجنة من الرجال والنساء جميعًا، نسأل الله الكريم من فضله.

المسألة السادسة:

رؤية النبي ﷺ لربه، وهل حين المعراج رأى ربه أم لا؟

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

اختلف فيها أهل العلم على أقوال:

- القول الأول: من ينفي رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ؛ يعني بعينيه.
- القول الثاني: من يثبت الرؤية إما بالقلب أو بالعينين.
- والقول الثالث: التوقُّف، والتوقف لا ينبغي أن يكون قولاً؛ لكن هكذا قيل.

⇦ أما القول الأول: وهو أنَّ النبي ﷺ لم ير ربه، فهذا هو القول الذي عليه الجماهير، ولـمَّا قال مسحوق لعائشة رضي الله عنها: إنَّ قومًا يقولون: إنَّ النبي ﷺ رأى ربه، فقالت عائشة: لقد قَفَّ شَعرِي -يعني وقف شعري- مما قلتَ، وهذا مما يدل على:

- تعظيم الصحابة لربهم ﷻ.
- وأنهم قَدَرُوهُ سبحانه حق قدره.
- وأنَّ منزلة النبي ﷺ في قلوبهم مهما علت وعظُمَت فإنهم يعلمون عظمة الرب ﷻ وعظيم صفاته ﷻ. قالت: لقد قَفَّ شَعرِي مما قلت، من زعم أَنّ مُحمدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَد أَعظَمَ على الله الفِريَةَ.

وفي حديث أبي ذر عند مسلم: «أنَّ النبي ﷺ سئل فقيل له: **هَل رَأَيتَ رَبَّكَ**؟ قال: **رَأَيتُ نُورًا**»، وفي الرواية الأخرى قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟**».

قوله: «**رَأَيتُ نُورًا**» يعني الحجاب، فإنَّ الله ﷻ نور، وحجابه نور. «**رَأَيتُ نُورًا**» يعني رأى الحجاب، ولم ير الرب ﷻ؛ ولهذا في الرواية الثانية قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟**» يعني ثَمَّ نور حاجب فكيف أراه؟ وهذا هو الصحيح؛ لأنّ النبي ﷺ لم ير ربه، بل لا يرى أحدٌ ربه بعينيه في الدنيا.

⇦ أمَّا القول الثاني: من قال: إنَّ محمدًا ﷺ رأى ربه بعينيه أو بقلبه وهو منسوب إلى ابن عباس وقاله طوائف قليلة من الناس، فهذا بناء على آية سورة النجم، والاستدلال بها فيه نظر.

⇦ أما القول الثالث: التوقف فلا يصلح؛ لأنَّ الحديث دال على نفي الرؤية مع كلام عائشة ﵂.

نكتفي بهذا القدر، وثَمَّ مسائل كثيرة في رؤية الله ﷻ نرجئها أو نطويها، والمسألة من أراد المزيد فيها فليراجعها في مظانها.

التعليقات

..... فإنَّهُ مَا سَلِمَ في دينه إلاَّ مَنْ سَلَّمَ لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولرسُولِه ﷺ(١).........

ابن أبي العز الحنفي

.... وقوله: (فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله - عزَّ وجلَّ- ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه)، أي: سلم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو بقوله: العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل!! وهذا لا يكون قط، لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك: فإن كان النقل صحيحًا فذلك الذي يدعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك..............................

الشيخ صالح

هذه الجمل من كلام العلامة الطحاوي ؒ جاءت بعد الكلام على الرؤية؛ رؤية الرب ﷻ في الجنة في العرصات فيما سبق لنا شرحه في الدرس الماضي.

وأيضًا بعد هذه الجمل التي سمعنا تكلم عن الرؤية متعلقًا بهذا البحث حيث قال: (وَلا يَصحُّ الإيمانُ بالرُّؤية لأهل دارِ السَّلام لِمن اعتَبَرَهَا مِنهُم بِوَهمٍ أو تأوَّلَها بِفَهمٍ) إلى آخر ما سيأتي إن شاء الله تعالى في الدرس القادم.

هذه الجمل التي سمعنا تشتمل على أصل عظيم من أصول الدين الذي تميز به أهل السنة والجماعة في مسائل العقيدة بعامة وفي مسائل العمل، والعقيدة والعمل مبناهما واحد من جهة الإيمان، وذلك أَنَّ العقيدة والعمل الجميع يُعمَل به ويُعلَم من جهة أنَّه من الله ﷻ ومن رسوله ﷺ.

فالكل كلمة الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥]، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا ﴾ يعني في الأخبار، ﴿ وَعَدْلًا ﴾ في الأمر والنهي، ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: ومعنى (سلَّم) أي: قَبِلَ ما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ وآمن به على ما جاء، من غير أن يتدخل بتحريفه وتأويله، هذا معنى التسليم، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: آمنت بالله وبما جاء في كتاب الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ أي: لا على الهوى والتحريف وأقوال الناس، من سَلَّم وانقاد وردّ ما اشتبه عليه، ولم يعرف معناه أول لم يعرف كيفيته، رده إلى عالمه، وهو الله - سبحانه وتعالى- فالذي يشكل عليه شيء يرجع إلى أهل العلم، وفوق كل ذي علم عليم، فإن لم يكن عند العلماء علم بهذا؛ فإنه يجب تفويضه إلى الله جلَّ وعلا.

ابن أبي العز الحنفي

..... وإن كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبدًا، ويعارض كلام من يقول ذلك بنظيره، فيقال: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل؛ لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ.........................

الشيخ صالح

فالشريعة بابها واحد ولا تفريق ما بين باب الاعتقاد وبين باب العمل -يعني الأبواب العلمية والأبواب العملية- من جهة مصدر التلقي وهو الكتاب والسنة، ما كان من الوحي؛ لهذا قال هنا ﷺ: (**فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَن سَلَّمَ لِلَّهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلمَ مَا اشتَبَهَ عَلَيهِ إِلَى عَالِمِهِ**) وذلك أنَّ أمور العقيدة في الاعتقاد، وأمور الفقه في العمل لابد أن يكون ثَمَّ إشكال في عِلَلِهَا، أو في القناعة بها ولا مَجال في ذلك في الإيمان إلاَّ أن يكون على ظهر التسليم والاستسلام، وهذا ينبني على مسألة عظيمة من مسائل الاعتقاد والعمل وهي: أنَّ الدّين قائم على البرهان ،والأمور التي يتعاطاها النّاس ثلاثة:

أمور عاطفية: يعني برهانها العاطفة، الغرائز، يعرف الجوع، يعرف العطش، يعرف الخوف، يعرف الرحمة بعاطفته وفطرته.

والنوع الثاني: برهان عقلي وهي الأمور التي يتعاطاها بعقله فيقيس ويُعَلِّل ونحو ذلك من الأمور العقلية، وهي التي خدمها المنطق بشكل عام.

والنوع الثالث من البراهين: البراهين الدّينية، والبرهان الدّيني مبني على مقدمة، وهي مقدمة الاستسلام لمصدر التلقي.

ولهذا لا يصحّ أن يُخلَطَ بين هذه البراهين، فالدّين ليس مصدره العقل وليس مصدره العاطفة، وإنما مصدره نوع من البراهين، وذلك لم يتكلم عليه الفلاسفة ولا المناطقة وهو البرهان الديني المبني على مقدمات دينية بحتة، وهذه المقدمات الدينية الشرعية في التصديق بها مبنية على براهين متنوعة:

التصديق بوجود الله، استحقاقه للعبادة، التصديق بالرسول ﷺ، و بالرسل، الآيات التي أوتيها، البراهين، فيما ذكرنا لك كل هذه براهين.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضًا للنقل؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبًا عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بيِّن واضح؛ فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحًا، وإذا لم يكن دليلاً صحيحًا لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحًا في العقل.

فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكًّا، أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل...

الشيخ صالح

وهذه البراهين عقلية في أولها، ودينية في ثانيها؛ يعني أنّنا حين نستسلم سنستسلم للبرهان الذي استسلمت له الأمم التي قبلنا.

فالصحابة - رضوان الله عليهم- رَأَوا هذه البراهين، واستسلموا لها بصدق عن قناعة وعن ديانة، ثُمَّ بعد ذلك تَبِعَهُم من تَبِعَهُم في التسليم؛ لأنهم سلَّموا، ثُمَّ تَبِعَهُم من بعدهم في التسليم؛ لأنَّ من قبلنا سلَّم في كثير من الدلائل.

ويبقى الدليل العام للشريعة في العقيدة وفي الفقه وهو أنه ما كان في كتاب الله ﷻ أو في سنة الرسول ﷺ فهو حق وهو البرهان.

وما قبل هذا البرهان ثَمَّ براهين أُخر لا مجادلة في هذه الملّة -يعني في أتباع الفرق- على صحة هذا البرهان من الكتاب ومن السنة؛ لأنَّ الجميع يُقرّون بهذا البرهان ما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة رسول الله ﷺ فإنه حق.

التعليقات

.... فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره، ولا نوقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة فوضه إليهم وأعرض عن أمره وخبره، وإلا حرفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملاً، فقال: نؤوله ونحمله.

فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب - ما خلا الإشراك بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال، بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه؟! ....

فإنه هو برهان؛ لكن هل هو البرهان الأول أو هو البرهان الثاني؟ هل يُسَلَّط العقل على الكتاب والسنة أم لا يُسَلَّط والعقل تبع؟ ونحو ذلك، هو جاء من جهة الخلط ما بين أنواع البراهين الثلاثة التي ذكرتها لك، هذه مقدمات بين يدي المسائل.

العقلانيون خَلَطُوا بين أنواع البراهين الثلاثة، فجعلوا البرهان العقلي والبرهان الديني واحد؛ بل جعلوا البرهان العقلي متسلطًا على البرهان الديني، وظنّوا أنه إذا تسلَّط عليه وسُلِّط عليه عُرفت صحة الشرع؛ لأنَّ العقل به عُرف الشرع. وهذا ليس بصحيح كما سيأتي في رد هذه المقالة. الطحاوي رحمه الله استحضر القسمين معًا: استحضر مسائل العقيدة ومسائل الفقه، وجعل هذه الكلمات مناسبة لهذا البحث -بحث الرؤية؛ ولهذا قال: **(فإنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِه إلاَّ مَن سَلَّمَ لله - عَزَّ وَجَلَّ- ولرسُولِهِ ﷺ)** يعني أنّه بدأ من حيث إنَّ الكتاب والسنة هما البرهان، بدأ من هذه، فإذا صدَّقت وأيقنت أنَّ الكتاب والسنة هما الحق المطلق؛ لأنّهما من عند الله ﷻ -فالسنة وحي، فإذًا الرجوع في البرهان والدليل سيكون إلى الكتاب والسنة، وإذا كان ثَمَّ شك أو ثَمَّ تردّد فإنّ المرء لا يَسلَمُ في دينه؛ لأنَّ العقول لأنّ البراهين كما ذكرنا لك ثلاثة:

- برهان عاطفي.
- وبرهان عقلي.
- وبرهان ديني.

التعليقات

....

.... بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل يستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل نهدر الأقيسة، ونتلقى نصوصه، ولا نحرف كلامه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولا، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول! ولا يوقف قبول قوله على موافقة فلان دون فلان، كائنًا من كان.

قال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنا أبو حازم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: لقد جلست أنا وأخي مجلسًا ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضبًا، قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: مهلاً يا قوم! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضًا، بل يصدق بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه الى عالمه..

-والبرهان العاطفي لا ينضبط ؛ فعواطف الناس مختلفة.

- البرهان العقلي لا ينضبط ؛ لأنّ القائل حينما قال -وهم العقلانيون من المعتزلة والأشاعرة وجماعات- حينما قالوا: العقل ينبغي أن يُقدّم على الشرع، فالعقل هنا غير منضبط، العقل عقل من؟ هل ثَمَّ عقل واحد أُجمِعَ عليه في النظر إلى الأشياء؟ لا، في النظر إلى الكونيات ليس ثَمَّ عقل واحد عند الفلاسفة، اختلفوا في النظر إلى الطبيعيات في الأرض.

الذين قدّسوا العقل اختلفوا في مقتضيات ذلك اتّفقوا على قاعدة: العقل، لكن عقل من؟ هل اجتمعوا؟ لا، ولذلك اختلف أصحاب المدرسة العقلية إلى أنواع شتّى:

فالجهمية من أصحاب المدرسة العقلية. والمعتزلة من أصحاب المدرسة العقلية. والأشاعرة أيضا من أصحاب المدرسة العقلية إلى حد ما، ونحو ذلك، ولكنهم مختلفون في عقولهم وإدراكاتهم.

..... ولا شك أن الله قد حرم القول عليه بغير علم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾.

فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرضه عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل.........................

إذًا فإذا كان البرهان العاطفي غير منضبط، والبرهان العقلي غير منضبط، فإذًا البرهان الديني يجب أن يبدأ من المستوى أو يبدأ من المقدمة التي هي ثابتة بيقين.

وهذه المقدمة الثابتة بيقين هي الكتاب والسنة؛ لأنَّ الكتاب وحي الله ﷻ، وآمنا بذلك عن برهان، وبراهين سبق أن ذكرنا لكم ذلك في الكلام على الإعجاز وبرهان النبوة في الكلام على معجزات وبراهين وآيات الأنبياء.

فإذًا المقدمة التي يُتَّفَقُ عليها ويمكن أن يُجمَع عليها هي التّسليم والاستسلام للكتاب والسنة.

فإذا كان كذلك كان البرهان الذي يصحّ أن يقال: إنه يُتَّفَقُ عليه بلا خلاف هو برهان الكتاب والسنة؛ ولهذا إذا جاء إشكال في الاعتقاد تُرجِعُهُ إلى التّسليم لله ﷻ ولرسوله ﷺ.

فالكتاب والسنة برهان صحيح، فإذا لم تُدرَك العلة فإنّ ذلك ليس معناه أنّه خلل في البرهان إنما هو خلل في التلقي، خلل في إيضاح ذلك البرهان؛ أو لأنّ البرهان الذي هو الدّليل لم يوضح لنا هذه الأسرار.

التعليقات

.... وردَّ علمَ ما اشتَبَهَ عَلَيهِ إلى عَالِمِهِ(١).................

ابن أبي العز الحنفي

..... وإن لم يعلم: هل خالفه أو وافقه - يكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أوقد عرف مراده لكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو بتكذيبه - فإنه يمسك عنه، ولا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون علمًا من غير الرسول، لكن في الأمور الدنيوية، مثل: الطب والحساب والفلاحة، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه العلم فيها ما أخذ عن الرسول لا غير.........

الشيخ صالح

كذلك في أمور العبادات الصلوات ليش خمس؟ ليش أربع؟ الفجر ثنتين ثلاث، لماذا الحجّ على هذه الصفة؟ لماذا الطهارة على هذه الصفة؟ كل هذه مبنية على مقدمة من التّسليم، وهو التسليم للكتاب والسنة؛ فلهذا هذا البحث الذي ذكره الطحاوي في هذه الجمل يسمّيه بعض المعاصرين تسمية حديثة وهي: وحدة مصدر التلقي

فمصدر التّلقي من أهمّ المسائل التي يجب أن يُبحَثَ فيها، فإذا اختلفت أنت وأناس على شيء، فلا بد أن يكون هناك مرجعية في البرهان حتى تنطلقوا منها.

أيضا مرجعية في التلقي، والأمة -كما قلنا- لا يمكن أن يَصلُحَ لها إلا أن تتلقّى من الحق المطلق والبرهان المطلق، الذي هو البرهان الديني، الذي هو الكتاب وسنة النبيّ ﷺ، فما وضح فيهما وما أُبِينَ فيهما وجب اعتقاده والعمل به، وما اشتبه على الفرد -لأنه ليس في الشريعة مُشتَبَه مطلق كما سيأتي في المسائل- إذا اشتبه على الفرد وجب عليه التسليم.

قال: (وَرَدَّ عِلمَ مَا اشتَبَهَ عَلَيهِ إلَى عَالِمِهِ) يعني إذا اشتبه عليك شيء تَرُدَّهُ إلى عالمه؛ لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، دلَّت الآية على أَنَّ القرآن مشتمل على مُحكَم وعلى متشابه وعلى أنّ أهل العلم يقولون: آمنا بالمتشابه، ما اشتبه عليه عِلمُهُ فإنه يَرُدُّهُ إلى عالِمه إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: ولذلك كان النبي ﷺ إذا سأل أصحابه عن بعض الأشياء التي لا يعرفونها قالوا: الله ورسوله أعلم. فلا يدخلون في المتاهات ويتخرصون، فإن وجدت عالمًا موثوقًا يبين لك فالحمد لله، وإلا فابق على تسليمك واعتقادك أنه حق وأن له معنى، ولكن لم يتبين لك.

... ولا تثبتُ قدمُ الأسلامِ إلّا على ظهرِ التَّسليمِ والاستِسلامِ(١)..............

ابن أبي العز الحنفي

.... قوله: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام).

ش: هذا من باب الاستعارة؛ اذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شيء....

الشيخ صالح

قال (**وَلاَ تَثبُتُ قَدَمُ الإسلاَمِ إلّا عَلَى ظَهرِ التَّسلِيمِ وَالِاستِسلاَمِ**) يعني أنَّ من خاض في مسائل الإيمان والإسلام ومسائل الشريعة والعقيدة في الفروع والأحكام، إذا خاض فيها مدقِّقًا ليس مستسلمًا، وإنما مناقشًا في كل مسألة؛ لِمَ؟ فإنه يُحجب عنه الإيمان؛ لأنَّ هذا الدين؛ بل الأديان بعامة مبنية على الاستسلام للغيب.

لهذا أول إيمان في القرآن هو الإيمان بالغيب ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: ١- ٣]، فأصل الدين الذي جاء من عند الله هو الإيمان بالغيب، والإيمان بالله ﷻ، وبالجنة والنار، والملائكة، وبمسائل القدر إلى غير ذلك؛ باليوم الآخر، وبالكتب السّابقة، كل هذه مسائل غيب.

فإذًا (**لاَ تَثبتُ قَدَمُ الإسلام إلاّ على ظَهرِ التَّسليم والاستِسلاَمِ**) فَشَبَّه التسليم والاستسلام بالأرض الصّلبة التي من وَطِئَهَا فإنه لا تَزِلُّ قدمه بل تثبت؛ لأنها أرض قوية صلبة.

أمَّا غير التسليم والاستسلام في مسائل العقيدة وفي مسائل العمل فإنها أرض دحض؛ مزلة أقدام وإنها موطن متعثر للأقدام لمن وطئها ورضي بها، لهذا نقول: إذا تبين لك ذلك فإنَّ هذه الكلمة أو هذه الجمل التي مرت معنا فيها مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ الناس في تلقِّي الشريعة -الناس؛ يعني هذه الأمة، الفرق جميعًا- انقسموا إلى أقسام:

- القسم الأول: من كان عقليًّا محضًا؛ يعني جعل العقل حَكَمًا على الشريعة، وجعل الشريعة تابعة للعقليات.

- القسم الثاني: من جعل الشريعة خالية من البرهان العقلي البتة؛ بل الشريعة جميعًا عندهم ليس فيها عِلَل ولا تعليل بقسميها العقيدة والشّريَعة.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: لا يثبت الإسلام الصحيح إلا بالتسليم لله - عزَّ وجلَّ، قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾.

والاستسلام هو: الانقياد والطاعة لما جاء عن الله ورسوله ﷺ.

..... أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري - رحمه الله- أنه قال: من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. وهذا كلام جامع نافع.

وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل؛ وهو: أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير، فإن العامي يمكنه أن يصير عالمًا، ولا يمكن العالم أن يصير نبيًّا رسولاً.........................

✍ القسم الثالث: من توسّط بين الفئتين، وقال: إنَّ الشّريعة في العقيدة، في الأمور الغيبية وكذلك في العمليات: العقل مفيد فيها، والعقل خادم للشريعة وليس حَكَمًا عليها، فنستفيد من العقل: بيان العلل والأحكام وفهم الشريعة واستخراج الأسرار؛ لأنَّ الله ﷻ جعل القرآن لقوم يعقلون.

هذه الثلاث مدارس كبيرة:

- المدرسة الأولى: يمثلها الجهمية والمعتزلة، والأشاعرة في أصول مباحثهم.
- والمدرسة الثانية: يمثلها الظاهرية في الفقه وكذلك في الاعتقاد، ويمثلها الأشاعرة والماتريدية في مسائل الأسباب.
- والمدرسة الثالثة: منهج أهل السنة والجماعة.

ولتفصيل هذه المدارس الثلاث بحوث تطول نرجئها إلى مواضعها إن شاء الله تعالى.

✍ المسألة الثانية:

أنَّ التسليم لله - عَزَّ وجَلَّ- ولرسوله ﷺ هو تسليم للحق المطلق، والبراهين التي يتعاطاها الناس في العقليات، وفي مصدر التلقي هذه البراهين تختلف -كما ذكرت لك تنقسم إلى أقسام ثلاثة-.

والتسليم يعني أنَّ البرهان الديني الشرعي يقين، وأنَّ البرهان العقلي ناقص، وأنَّ البرهان العاطفي فطري، معنى ذلك أنَّ البرهان الديني يقيني في مُقَدِّمَاته، نصل إلى صدق الكتاب وصدق السُّنَّة بمقدمات[.....]

ابن أبي العز الحنفي

..... فإذا عرف العامي المقلد عالمًا، فدل عليه عاميًا آخر، ثم اختلف المفتي والدال، فإن المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي، دون الدال، فلو قال الدال: الصواب معي دون المفتي؛ لأني أنا الأصل في علمك بأنك مفتٍ، فإذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرف أنه مفتٍ، فلزم القدح في فرعه!

فيقول له المستفتي: أنت لما شهدت له بأنه مفتٍ، ودللت عليه، شهدت له بوجوب تقليده دونك، فموافقتي لك في هذا العلم المعين، لا تستلزم موافقتك في كل مسألة، وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك، لا يستلزم خطأك في علمك بأنه مفت، هذا مع علمه أن ذلك المفتي قد يخطئ ....

الشيخ صالح

[.....]البرهان العقلي يعتمد على أشياء:

- الأول منها: يعتمد على الحس.
- والثاني: يعتمد على التجربة.
- والثالث: يعتمد على تصديق اللاحق بالسابق.

⇐ النوع الأول من البرهان العقلي الذي اعتمدته المدرسة العقلية: (الحس):

فالله ﷻ جعل للإنسان أعضاء: سمعًا، وبصرًا، ولسانًا؛ يعني جعل له حواسًّا كما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨]، فهذه الثلاث هي التي يسميها الفلاسفة والمناطقة وسائل تحصيل المعرفة، هذه وسائل ضرورية حِسِّيَّة؛ يعني بعينك حَصَلَ لك البرهان، بسمعك حَصَلَ لك البرهانَ، بيدك لمست الشيء حَصَلَ لك البرهان، فالمعرفة جاءت من براهين ضرورية مُحَسَّة ليست خارجة عن المحسوس.

ولذلك ما يُجادل أحد في هذا بهذه البراهين إلا طائفة لا يُعبأ بها يجادلون في الضروريات، ثُمَّ بعد ذلك بُنِيَت المعرفة بالحسيات من طريق المقارنة بين هذه المعلومات التي جاءت بالوسائل الحسية.

التعليقات

....

..... والعاقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى، لا يجوز عليه الخطأ، فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره، وقد علمنا بالاضطرار من دين الإسلام أن الرجل لو قال للرسول: هذا القرآن الذي تلقيه علينا، والحكمة التي جئتنا بها، قد تضمن كل منهما أشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا، ونحن إنما علمنا صدقك بعقولنا، فلو قبلنا جميع ما تقوله مع أن عقولنا تناقض ذلك لكان قدحًا في ما علمنا به صدقك.

فنحن نعتقد موجب العقول الناقضة لما ظهر من كلامك، وكلامك نعرض عنه، لا نتلقى منه هديًا ولا علمًا، لم يكن مثل هذا الرجل مؤمنًا بما جاء به الرسول، ولم يرض منه الرسول بهذا، بل يعلم أن هذا لو ساغ لأمكن كل أحد أن يؤمن بشيء مما جاء به الرسول؛ إذ العقول متفاوتة، والشبهات كثيرة، والشياطين لا تزال تلقي الوسواس في النفوس، فيمكن كل أحد أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به!!...............

الشيخ صالح

يعني نأتي نقول: هذا طويل، هذا العمود طويل، الآخر ليس في طوله. عرفنا حجم هذا وطوله بالعين، فصار الحجم وصار الطول مُدرَكًا محسوسًا بأمر ضروري، ثم بعد ذلك يُنسب له الشيء آخر، فإذا رأينا ما هو أقل منه قيل هذا أقصر، ما هو أطول منه قيل هذا أطول، فيأتي أحد وينازعك يقول القصير أطول من الطويل، لا يُقبل، لماذا؟

لأنه المقارنة ما بين هذا وهذا حَصلت بمقدمات يقينية؛ لأنَّ المقدمات الحسية يقينية، مُقَدِّمَة العين أنها حَسَّت بهذا أنه أطول من ذاك، ما يمكن يأتي يجادل ويقول لا هذا أطول، يعني القصير أطول من الطويل؛ لأنَّ هذا شيء مُدرَك بالعين، وهذا ينتج في كل المقدمات الحسّية.

وانتبه لمسألة المقدمات الحسّية؛ لأنها أقوى البراهين التي هي الضروريات، أقوى البراهين.

تشرب ماء تقول هذا بارد يأتي آخر ويقول -إذا كان بارد جدًّا- يأتي آخر ويقول: هذا حار يغلي. لا يمكن، لماذا؟ لأنَّ البرهان عليه الحسّ. فلان مثلاً ملتحٍ، يأتي آخر، يقول: لا هذا حالق لحيته. هذا لا يمكن أن يكون ثَمَّ؛ لأنَّ البرهان حسّي.

ابن أبي العز الحنفي

...... وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾، وقال: ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾، ﴿ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾، ﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [الزخرف: ٢].

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾، ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾، ونظائر ذلك كثير في القرآن ....

الشيخ صالح

كذلك السمع يقول: هذا صوت إنسان، قال الآخر: لا هذا صوت مثلاً إيش؟ صوت سيّارة مثلا، لا يمكن، هذا يتكلم لماذا؟ لأن البرهان جاء سمعيًا. وهذه تعتمدها هذه النقطة؛ لأنها تفيد في قضية الاستسلام. هذا البرهان الحسي هو الذي بنى عليه طائفة من الناس الكلام على نظرية المعرفة وتكلّموا فيه.

قلنا: اعتمدوا على الحس -يعني أهل العقل-: اعتمدوا على الحس، وعلى التجربة، وعلى تقليل، أو متابعة اللاحق للسابق.

⇦ النوع الثاني من البرهان العقلي الذي اعتمدته المدرسة العقلية: (التجربة):

فما يَصلُحُ للتجربة تَكُونُ التجربة برهانًا صحيحًا له؛ لكن ما لا يَدخُلُ تحت التجربة، كيف تكون التجربة برهانًا صحيحًا له؟ ونقول الله ﷻ جَعَلَ الأشياء على قسمين:

- ❑ قسم لا تدخله الأهواء لتُغيِّر حقائقه.
- ❑ وقسم يدخله الهوى ليُغَيِّرَهُ.

والله ﷻ جعل كلماته تامّة: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥].

التعليقات

ابن ابي العز الحنفي

..... فأمر الإيمان بالله واليوم الآخر: إما أن يكون الرسول تكلم فيه بما يدل على الحق أم لا؟ الثاني باطل، وإن كان قد تكلم بما يدل على الحق بألفاظ مجملة محتملة، فما بلغ البلاغ المبين، وقد شهد له خير القرون بالبلاغ، وأشهد الله عليهم في الموقف الأعظم، فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين، فقد افترى عليه ﷺ.........................

الشيخ صالح

ما لا يدخله الهوى لم تأتِ الشرائع ببيانه، وهو غاص فيه الفلاسفة، وغاص فيه العلماء، وغاص فيه الباحثون، لم تأتِ الشرائع ببيانه؛ لأنه لا يدخله الهوى، واحد زائد واحد يساوي اثنين يساوي ثلاثة يساوي أربعة. لم تأتِ به الشرائع؛ لأنَّ هذا الله ﷻ خَلَقَ الأشياء واحد زائد واحد يساوي اثنين، خَلَقَ الله ﷻ الجبل فيه من المكونات كذا وكذا، خَلَقَ الله ﷻ الجاذبية على هذا النحو وقوانين الجاذبية على هذا النحو، لا يمكن لهذه الأشياء أن تدخلها الأهواء؛ ولهذا لم تتعرّض لها الشرائع، ولم تتعرض لها الديانات، وتُرِكَ استنتاجها والبحث فيها للناس؛ لأنَّ هذه سيصلون إليها بالتجربة، سَيُخَطَّأُ المخطئ وسيُصَوَّبُ المصيب؛ لأنّ الشيء ماثل أمامهم، ليس لهم هوى في أن يجعلوا معامل الجاذبية كذا يزيدون واحد ولا ينقصون واحد من عشرة ما لهم، الهوى ما يدخل في هذه المسائل.

إذًا قلنا: إنَّ الشرائع جاءت لما فيه إخراج الإنسان من داعية هواه فالأشياء التي يَتَحَكَّمُ فيها الهوى جاءت الرّسالات لها. يَتَحَكَّمُ الهوى في علاقات الناس بعضهم ببعض، يَتَحَكَّمُ الهوى في العبادة، واحد يريد أن يخرج من التّكاليف، يريد أن يعمل ما يشاء، يفعل ما يشاء، يقتل، يسرق، يفعل ما يشاء، الهوى يدخل في حرّية الإنسان، يدخل في هل يتعبّد أم لا يتعبّد؟، في علاقته بأهله، في علاقته بمجتمعه، في علاقته بأسرته، إلى آخره، هذه أشياء يدخلها الهوى؛ لهذا جاءت الشريعة بضبطها.

إذًا فنقول: التجربة في العقليات صحيحة لكن فيما لا يَدخُلُهُ الهوى، أما ما يَدخُلُهُ الهوى فلا تصح التجارب فيه، لابد أن يُتلقّى من حكَمٍ يفرض على الأهواء لا تتنازع فيه ويسلمون له، ولهذا قال ﷻ: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ [المؤمنون: ٧١]؛ لأنَّ الأهواء غير منضبطة، والحق واحد لا يخضع لهوى تجارب المجربين تصلح إذًا فيما يمكن عمل التجارب عليه لكن الأمور الكونيةمثل الغيب هل ثُمَّ سلطان للتجربة عليها؟ لا، الأمور الكونية لا مجال للتجربة عليها.

التعليقات

ولهذا قال من قال من العلماء المعاصرين في الأمور الدنيوية -الغربيين وغيرهم من الحذاق-: إنَّ المرء كلما أوغل في العلم بالكونيات ازداد معرفة بأنَّ فيها أسرارًا لا تُدرَك؛ ولهذا الأمور الكونية صعب أن تخوض فيها بإدراكٍ تام، تجارب لكن ستبقى تجارب، وإذا كانت ليست مُسَلّمات، فإذًا لا يمكن أن نُخضع لها الحق المطلق.

⇦ النوع الثالث من البرهان العقلي الذي اعتمدته المدرسة العقلية: (أنَّ المتأخر يسلّم للسابق):

انظر مثلاً للمعتزلة، المعتزلة في أصلهم سَلَّمُوا للفلاسفة بصحّة أنواع البرهان العقلي، فإذًا ثَمَّ تقليد. المتأخرون سلّموا لمن قبلهم، الأشاعرة سلّموا للأولين في البرهان، إذًا ثَمَّ تقليد.

فقولهم برهان عقلي، وهذا عقل؛ لأنَّ الشرائع مبنية على التقليد، هذا غير صحيح منطقيًّا؛ لأنه أيضًا أهل البرهان العقلي يسَلِّمُونَ لأوائلهم بصحة في البرهان. فيبتدئ من برهان الأشعري، الأشعري مثلاً بدأ ووصل إلى شيء، فيبتدئ أصحابه من النقطة التي وصل إليها، وينطلقون منها. فإذًا قولهم العقليات تُخلِي من التقليد ومن التسليم ومن الاستسلام وتطلق الحرية، فهذا غير صحيح؛ لأَنَّهُ ما من أحد إلا ويُسَلِّمُ لمقدمات من سبقه، فإذا كان التسليم لبشر ليس معصومًا من الخطأ، فالتسليم لمن هو معصوم من الخطأ من جهة البرهان أَولَى. فإذا كانت المسألة مسألة تسليم واستسلام، فالتسليم لمن لا يُخطِئ أَولَى.

لهذا تجد أنَّ من المتأخرين -حتى في العصر الحاضر من أهل العقليات- تجد أنهم يحيلونك على شيء؛ لكن هذا الشيء بنوه على التقليد، يقولون طبعًا هو كذا، طبعًا في عُرفِ من؟ لماذا هذا صار **طبعًا**؟ **لأنه** شيء غير مشكوك فيه. لماذا صار غير مشكوك فيه؟ إذا كان المرجع إلى حس فلا مجادلة إلى الحسيات. إذا كان المرجع إلى أمور تجريبية أو إلى نظريات فإنَّ الذي يُحيل الأمور في الاستسلام على الدّين أولى فيمن يحيل الأمور في الاستسلام على أصحاب العقليات.

ذلك لأنَّ أصحاب العقليات **يُقَلِّدُ** بعضهم بعضًا، أما أصحاب الديانات فصحيح نقول: المتأخر يسلم للأول براهينه، ولكنه يصل إلى برهان يقيني هو الكتاب والسنة.

وأما تقليد العقليات فإذا كانت راجعة إلى أشياء صحيحة فهذا تسليم لاشك فيه ما نجادل فيه؛ لكنهم في كثير من مباحثهم يتابع المتأخر الأول.

انظر مثلاً إلى قضية ترتيب الأفلاك، الناس قرون بل آلاف منذ بدأ اليونان الكلام على ترتيب الأرض والشمس والكواكب السبعة في الكون وهم على نحو ما، إلى وقت قريب تَغَيَّر.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

هذه الأمم آلاف السنين التي مَرَّت من الفلاسفة والفلكيين الإسلاميين، والفلكيين اليونان والمدرسة الرومانية ... إلى آخره، هذه الأمم والمدرسة الهندية في الأمور العلمية والفلك، التتابع في الطب كذلك، كلّ هذه ألم يسلم المتأخر للأول؟ سَلَّمَ له، وظَهَرَ الآن أَنَّ تلك الأشياء جميعًا غير صحيحة، لماذا كانت غير صحيحة؟

لأنهم -كما ذكرنا لك- وضعوا تجارِبًا؛ لكن التجارِب صارت على أمور خارجة عن حيز التجربة الذي يُنتج نتائج صحيحة. فهذه مسألة عظيمة ما نحب نطيل فيها، هذه المسألة راجعة إلى البرهان الحقّ في أنَّ أقوى البراهين هو البرهان الديني؛ لذلك نقول لك: هذه الثلاثة من الأشياء العقلية:

- البرهان الحسي نقول: صحيح، ما فيه إشكال، وكل المعرفة قامت على هذه البراهين الحسية.
- برهان التجربة منقسم إلى ما يكون ثَمَّ تجربة ناجحة فيه، وما لا تنجح فيه التجربة.
- برهان متابعة اللاحق للسابق، هذا أيضًا لابد يخضع للدراسة؛ لأنه قد يكون الأول مخطئًا في برهانه العقلي، كما هي كثير من الأمور العلمية والنظرية، فضلا عن أمور الغيبيات والإلهيات.

إذًا نستخلص من هذه المسألة الثانية إلى أنَّ أنواع البراهين الثلاثة، من قال البرهان العقلي، هذا تجده عند جميع العقلانيين حتى في العصر الحاضر، وكثير من الناس تعجبه البراهين العقلية، ولكن عندما تخوض في صحة البرهان تجد أشياء.

فإذًا نقول: المنطق أو العقل منقسم إلى ثلاثة أقسام:

- شيء حسي.
- تجربة.
- فيه أشياء فيها تقليد.

كيف عرفت أنّ هذا المنطق؟ قال: فلان، فيحيله على من قبله، فإذًا تكون المناقشة مع من قبله. إذًا تبقى المسألة خاضعة للبحث والرد.

أما المصدر المُتَيَقّن بمقدماته هو مصدر الكتاب والسنة كما ذكرتُ لك:

- وبرهان كون الكتاب من عند الله ﷻ تَقَدَّم.
- برهان وجود الله ﷻ معروف.
- برهان النبي؛ برهان النبوة متقدم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

المسألة الثالثة:

في قوله: (وَرَدَّ عِلمَ مَا اشتَبَهَ عَلَيهِ إِلَى عَالِمِهِ) كلمة (الاشتباه) و(المشتبه) معناها ما لا يُدركُ معه العلم ويُقابَل ما بين المُحكَم والمتشابه. والله ﷻ جعل القرآنَ مُحكَمًا ومتشابهًا؛ يعني صَيَّرَ القرآن مُحكَمًا ومتشابهًا، والقرآن يصحّ أن يقال:

- إِنَّهُ مُحكَمٌ كله.
- وإِنَّهُ متشابهٌ كله.
- وإِنَّهُ محكم ومتشابه.

فالقرآن منه محكم ومنه متشابه، والقرآن محكم كله، والقرآن متشابه كله، بكل قسم باعتبار.

⇦ أما كونه مُحكَمًا كله: فالله ﷻ بيَّن أَنَّهُ أحكم القرآن كما قال: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾ [هود: ١]، فالقرآن مُحكَمٌ كله ﴿ يسٓ ۝ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يس: ٢]؛ يعني المحكم في أحد أوجه التفسير.

⇦ وأما كونه متشابهًا كله: فكما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣]، فالقرآن كله متشابه؛ لكن هذا بمعنى أنَّ بعضه يشبه بعضًا.

لأنَّ المسائل محدودة وبعضه يشبه بعضًا: هذا قصص في سورة، وقصص في سورة، وقصص في سورة، هذا الكلام على الإيمان والإيمان والإيمان، والكلام على الجنة والنار في سور مختلفة، في صفات الله، وأسماء الله ﷻ فهو متشابه.

⇦ وأما كونه منه محكم، ومنه متشابه: وهذا هو الذي أشار إليه الطحاوي في هذا الموضع قال (وَرَدَّ عِلمَ مَا اشتَبَهَ عَلَيهِ إِلَى عَالِمِهِ). (منه محكم) يعني ما معناه واضِحٌ للجميع. (ومنه متشابه) ما يشتبه معناه على البعض. وإذا تبين ذلك فليس ثَمَّ في القرآن إذًا متشابه على كل أحد، ليس ثَمَّ في القرآن متشابه مطلق.

نقول: هذه المسألة متشابهة بمعني أنَّه لا أحد يعلمها، أي في القرآن آية لا أحد يعلم معناها هذا مستحيل؛ لأنَّ الله ﷻ جعل القرآن محكمًا كله، وجعل منه محكمًا ومنه متشابهًا، والراسخون في العلم يعلمون المتشابه الذي هو المعنى. أما المتشابه النسبي فنعم، هذا المتشابه النسبي ما معناه؟

التعليقات

معناه أنَّهُ ما من شيء إلا ويشتبه عليّ أو عليك أو على فلان، فليس ثَمَّ أحد بعد النبي ﷺ عَلِمَ كل شيء، عَلِمَ كل القرآن، عَلِمَ كل السنة، لابد أن يشتبه عليه شيء، بمعنى أن يستسلم لبعض الشريعة؛ فإنه لا يعلم المعنى. وقد جاء عن أبي بكر ﷺ أنه قال عند قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] قال: **أي سماء تظلّني، وأي أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟**

مثلاً: عند قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [الكهف: ٢٢] كم عِدَّة أصحاب الكهف؟ متشابهة؛ يعني أنا لا أعلم، أنت لا تعلم، ابن عباس ﷺ حينما جاء إلى هذه الآية قال: **أنا من القليل الذي يعلمه**، لأنَّهُ متشابه نسبي، فإذًا الذي يقول: إنَّ في القرآن متشابهًا مطلقًا على كل أحد، هذا غير موجود لا في العقائد ولا في العمليات.

لكن هناك متشابهًا على الجميع وهو الكيفيات؛ كيفيات الأشياء، كيفيات الغيبيات؛ ولهذا قال كثير من السلف: إنَّ الوقف على لفظ الجلالة في آية آل عمران: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧]؛ يعني تأويل الآيات، تأويل المتشابه المحكم ما يعلمه إلا الله في أمور الكيفيات، في أمور تمام المعنى، في الجنة جاءت صفتها، نعلم معنى الأنهار ومعنى الشجر؛ لكن كيفية ذلك هذا مشتبه علينا؛ لذلك نقول: الاشتباه نسبي، أما الاشتباه المطلق لا يوجد.

فإذا كان كذلك: لزم أن نَرُدَّ علم ما اشتبه علينا إلى عالمه، نقول: الله أعلم؛ لهذا قال من قال من أهل العلم: **إذا ترك العالم الله أعلم أُصيبَت مقاتله**. وفي رواية قال: **إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله**؛ لأنَّهُ لابد أن يشتبه عليه شيء.

إذا تقرر لك ذلك: فإنّ الاشتباه الحاصل يكون في العقيدة وفي الشريعة؛ فكلّ ما لا تعلم عِلّته أو حكمته أو السِّر فيه فهو متشابه، فَسَلِّم للشريعة، سلِّم للكتاب والسنة الحق وأيقن بذلك ورُدَّ ما اشتبه إلى عالمه.

التعليقات

مثلاً في العقائد يأتينا أنواع الاشتباه في العقائد في مسائل الغيبيات، واحد يشكل عليه في مسائل الغيبيات أشياء: أمر الجنة، أمر النار، أمر الناس كيف يعذّبون في النار بعد الموت؟ تأتيك أسئلة، تأتيك أسئلة كثيرة، هذه الأسئلة، الرؤية مثل التي ذكر، كيف يرى الفرد المؤمن بقواه المحدودة يرى الرب ﷻ الذي السموات مطويات بيمينه وهو سبحانه وسع كل شيء رحمة وعلمًا، كيف يكون؟ ما يتحمل العقل ذلك، العرش كيف أنّ السموات السبع كدراهم سبعة ألقيت في ترس، كيف أنَّ الكرسي وسع السموات والأرض؟ كيف الماء وكان عرشه على الماء؟ تأتي مثل هذه الأسئلة لا تدركها.

فإذا جاء عدم الإدراك في مسائل الإيمان بالغيبيات فيجب أن تُسَلِّم إلى عالمه. في القدر لم كان كذا؟ لم قضى الله كذا؟ لم أغنى الأغنياء؟ لم أفقر الفقير؟ لماذا أمرض؟ لماذا أصاب بكذا؟

إذا بدأت الأسئلة فيأتي بِدء الاعتراض ويُحرم المرء - كما سيأتي في الجملة التالية. فإذًا تحتاج إلى الاستسلام في العقائد أعظم الاستسلام؛ لأنها مبنية على الغيبيات.

والأمور الغيبية برهانها إذا استسلمت للبرهان فصدقه، الأمور الغيبية مبنية على برهان، هل هو البرهان للغيبي نفسه؟ لا، هو برهان لبرهان الغيبيات. برهان الغيبيات هو القرآن والسنة.

عندنا برهان لصحة القرآن والسنة، هذا برهان واضح صحيح؛ لكن البرهان على الغيبيات بأفرادها ما عندنا، لكن عندنا برهان على البرهان الأصلي وهو الكتاب والسنة. بالنسبة لأمور العبادات والفقه تأتي مسائل العلل؛ التعليلات. الشريعة مُعَلَّلَة ولاشك، والله ﷻ جعل الأحكام الشرعية منوطة بعللها.

لكن من العلل ما ظهر، ومنه ما لم يظهر، لهذا تجد أنَّ بعض العلماء يُعَبِّر عن مسائل العلل في العبادات بأنَّ علته قاصرة، فتجده تارةً يقول: (فإنَّ العلة تعبدية)، كما أنَّ هناك عللاً معروفة. فإذًا إذا جاءتك المجاهيل في أمور العبادات فإنك تُسَلِّم دون خوف؛ لأنه ثَمَّ أشياء تغيب عن العبد.

التعليقات

✍ **المسألة الرابعة:**

قوله: (وَلاَ تَثْبُتُ قَدَمُ الإِسلاَمِ إِلاَّ عَلَى ظَهرِ التَّسلِيمِ وَالِاستِسلاَمِ) التسليم والاستسلام هما دين الإسلام.

فإنَّ الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

فإذًا دين الإسلام هو دين الاستسلام؛ ولهذا كل الأنبياء دينها الإسلام يعني دينها الذي دعت إليه الاستسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، نوح - عليه السلام- بُعِثَ بالإسلام، وعيسى بُعِثَ بالإسلام، وموسى - عليه السلام- بُعِثَ بالإسلام، الذي هو الدين العام؛ لكن الشرائع مختلفة.

ودين محمد ﷺ الذي بُعِثَ به هو الإسلام العام الذي اشترك فيه مع جميع الأنبياء والمرسلين والإسلام الخاص الذي هو شريعة الإسلام. كل هذه لا تَثْبُتُ إلا على قدم التسليم والاستسلام. يعني أنَّ من لم يستسلم فهو شاك والشاك ليس بمسلم؛ لأنَّ أصل الديانة مبنية على التسليم، فإذا شك في أمر يجب الإيمان به، فإنَّ الإيمان يجب أن يكون عن يقين، لا تنفع (لا إله إلا الله) إلا بيقين، لا تنفع (محمد رسول الله) إلا بيقين، لا ينفع الإيمان بالجنة والنار إلا بيقين كما جاء في حديث عبادة: «وأن الجنة حق وأن النار حق»، فلا بد من اليقين بذلك بدون تردد. فإذا جاء الشك والارتياب وعدم التسليم والاستسلام، هذا معناه أنَّ الإسلام غير قائم.

وقد يكون الشك في بعض الناس لطلب الحقيقة، فهو يبحث عن جواب، السؤال هذا لا يقدح في دينه؛ لأنه قد يعرض للمرء؛ لكن يجب أن لا يُظهِرَهُ بل يكتم ذلك ويسأل عنه من يثق بعلمه حتى يزيل الشبهة، فمعنى ذلك أنَّ عدم الاستسلام والتسليم ينقسم إلى قسمين:

⇦القسم الأول: الشك المستمر الذي يستكين له صاحبه، وهذا خلاف اليقين الواجب، وهذا ليس بمسلم، عنده الشك في الغيبيات وعنده الشك في الجنة، شك في النار، شك في صدق الرسالة، شك في القرآن، هذا ليس بمسلم.

⇦ القسم الثاني: عنده شك في بعض الأفراد؛ مسألة في السنة، مسألة في القرآن، فليس الشك في الأصل وإنما عنده شك في الأفراد، فهذا يجب عليه أن لا يستسلم لهذا الشك، وأن يبحث عمّن يزيل عنه الشبهة. نكتفي بهذا.

... فَمَن رَامَ علمَ مَا حُظِرَ عنهُ علمهُ، ولَم يَقنَع بِالتَّسلِيمِ فهمُهُ، حَجَبَهُ مرامُهُ عن خَالِصِ التَّوحِيدِ، وَصَافِي المَعرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإِيمَانِ(١)......................

ابن أبي العز الحنفي

.... قوله: (فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان).

ش: هذا تقرير للكلام الأول، وزيادة تحذير أن يتكلم في أصول الدين - بل وفي غيرها- بغير علم. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] ....

الشيخ صالح

قوله: (فَمَن رَامَ عِلمَ مَا حُظِرَ عَنهُ عِلمُهُ، وَلَم يَقنَع بِالتَّسلِيمِ فَهمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَن خَالِصِ التَّوحِيدِ، وَصَافِي المَعرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإِيمَانِ) هذه الجملة فيها النهي عن أن يتعدى المؤمن ما عُلِّمَهُ في الكتاب والسنة وأن يقتصر عليه.

وذلك لأنَّ ما لم يُعَلَّم إياه من أمر التوحيد والإيمان والعقيدة فإنَّ الخير فيما عُلِّمناهُ، والتعدي على ما عُلِّمناه فيه خوض فيما لم يأتِ لنا به علم وهذا منهيّ عنه، كما قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦]، فشيء في أمور الغيبيات لم يرد النص في الكتاب ولا في السنة فإنه يُسكَتُ عنه ولا يُتَكَلَّمُ فيه، وإذا كان معارضًا لما في الكتاب والسنة فيُرَد؛ لأنَّ الحق فيما قال ربنا ﷻ، وقاله رسوله ﷺ.

فقوله: (فَمَن رَامَ عِلمَ مَا حُظِرَ عَنهُ عِلمُهُ) يعني ما لم يأتِهِ به علم، رام شيئًا، أراد علمًا لم يأتنا فيه علم وهو الدليل البرهان من الكتاب والسنة.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: من لم يؤمن بما حجب عنه علمه، مثل علم الكيفية، فالواجب علينا الإيمان بها وردها، أي: رد علمها إلى الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، حجب الله علمه عن الخلق فلا تتعب نفسك، ثم قال: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾، يسلّمون ويستسلمون، ولا يمنعهم عدم معرفة معناه من الإيمان به والتسليم له، أو أن المعنى أنهم يردون المتشابه من كتاب الله إلى المحكم منه ليفسروه ويتضح معناه، ويقولون: ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾..............................=

ابن ابي العز الحنفي

..... وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج: ٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ ﴾**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**» خرجاه في الصحيحين.

الشيخ صالح

(**وَلَم يَقنَع بِالتَّسلِيمِ فَهمُهُ**) كما ذكرنا لكم أنَّ ثمة أشياء قد تشتبه فواجب على المسلم أن يُسلِّم بما جاء في النص من الأمور الغيبية، فإذا لم يقنع بالتسليم الفهم، ورام شيئًا محظورًا عنه، ودخل في أقوال وعقليات وآراء فإن هذا الذي فَعَل يَحجِبُهُ عن خالص التوحيد.

قال: (**حَجَبَهُ مَرَامُهُ**) وهو طلبه لشيء لم يرد فيه العلم.

(**عَن خَالِصِ التَّوحِيدِ**): (**خَالِصِ التَّوحِيدِ**) يعني كامل التوحيد، التوحيد الذي لا شيء يُكَدِّره. خالص: الشيء الخالص الذي لا شيء يكدّره، صافي خالص وسامي.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... ولا شك أن من لم يسلم للرسول نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه، ويقلد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول، فإنه قد اتخذه في ذلك إلها غير الله. قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾، أي: عبد ما تهواه نفسه. وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق، كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها؟!

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله ....

الشيخ صالح

فمن بحث في أشياء لم يأت بها العلم الشرعي لم يأت بها الدليل فإنَّ توحيده ناقص، وهذا يدلّ على أنَّ من خاض في المُشَكِّكات واستمر معها مُتَشكِّكًا ولم يُسَلِّم فإنه لابدّ وأن يُحجب عن خالص التوحيد. ولهذا قال شيخ الإسلام ﷺ في تائيته القدرية:

وأصلُ ضلالِ الخلقِ مِن كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ في فعلِ الإلهِ بعلَّةِ

فإنَّهمُ لم يَفهَمُوا حِكمَةً لَهُ ... فصاروا على نَوعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

خاضوا في شيء لم يأت لهم به خبر ولم يأت لهم به دليل، فخاضوا في أفعال الله ﷻ.

فكل من خاض في أشياء غيبية لم يأت بها الدليل فإنه يُحجَبُ عن خالص التوحيد.

ولهذا واجب في مسائل الإيمان أن لا يُتَجَاوَز فيها ما جاء في الأدلة، واجب في مسائل القدر أن لا يُتَجَاوَز فيها ما جاء في الكتاب والسنة، ولهذا جاء في الحديث الصحيح «**إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا**» يعني أمسكوا عن أن تخوضوا في هذه الأشياء في غير ما عُلِّمتُم، فمن خاض في شيء لم يُعَلَّمهُ فإنه يُحجَبُ عن خالص التوحيد؛ لأنه قد يقوده ذلك إلى الشك وعدم الاستسلام.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وأحبار السوء، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه، ونحو ذلك. والرهبان وهم جهال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه ﷺ، والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس.

فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة! وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل! وقال أصحاب الذوق: إذا تعارض الذوق والكشف، وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف.

ومن كلام أبي حامد الغزالي - رحمه الله- في كتابه الذي سماه إحياء علوم الدين وهومن أجل كتبه، أو أجلها: فإن قلت: فعلم الجدل والكلام مذموم كعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب اليه: ....

الشيخ صالح

قال (وَصَافِي المَعرِفَةِ) المعرفة في كلام أهل العلم تتناوب مع العلم، إذا قيل المعرفة فيراد بها العلم، ولهذا قسَمَ طائفة من العلماء التوحيد إلى قسمين:

- توحيد المعرفة والإثبات.
- توحيد القصد والطلب.

وتوحيد المعرفة والإثبات يعني توحيد العلم؛ يعني التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الطلبي الإرادي. والمعرفة إذا كانت بذلك بهذا المعنى فلا بأس بذلك.

ونبهتكم مرارًا على أنَّ كلمة المعرفة جاءت بمعنى العلم في السنة كما روى أصحاب الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال لمعاذ: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإن هم عرفوا ذلك**» يعني علموا ذلك وأقرّوا به ونحو ذلك، هذا من المعنى الجائز الذي ورد.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

.... فاعلم أن للناس في هذا غلوًّا وإسرافًا في أطراف. فمن قائل: إنه بدعة وحرام، وإن العبد أن يلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل: إنه فرض، إما على الكفاية، وإما على الأعيان، وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات، فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله.

قال: وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أئمة الحديث من السلف وساق الألفاظ عن هؤلاء. قال: وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا. لا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه، قالوا: ما سكت عنه الصحابة - مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم - إلا لما يتولد منه من الشر. وكذلك قال ﷺ: هلك المتنطعون...............

الشيخ صالح

وأكثر ما جاء في القرآن، بل كل ما جاء في القرآن أنَّ المعرفة أضيفت لمن يُذَم وليس لمن يُمدَح، كما قال ﷻ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣]، وكما قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٠]، ونحو ذلك من الآيات، وهذا سبق بيانه.

فإذًا قوله: (وَصَافِي المَعرِفَةِ) يعني وصافي العلم، فالعلم الصافي لا يؤتاه إلا من سَلَّم.

وهذا أمر عجيب؛ لأنَّ العلم الشرعي وخاصَّة التوحيد يؤتاه العبد بشيئين سلوكيين من أعمال القلوب:

○ الأمر الأول: أن لا يعترض، فإذا اعترض حُجِب.

○ والأمر الثاني: أن يعمل، فإذا تعلم الإخلاصَ عَمِلَ به، تُفتح له من أبواب الإيمان والعلم بالإيمان والإخلاص ما لا يُفتح للآخرين؛ بل المرء نفسه يجد في حاله في تارات من حياته أو تارات من طلبه للعلم مرةً يُفتَح له؛ لإخلاص كان عنده وصدق وعمل صالح كان عنده، ومرات يُحجَب عنه كثير من أنواع الإخلاص وأنواع العلوم القلبية والأعمال القلبية.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... أي: المتعمقون في البحث والاستقصاء. واحتجوا أيضًا بأن ذلك لو كان من الدين لكان أهم ما يأمرِ به رسول الله ﷺ، ويعلم طريقه، ويثني على أربابه، ثم ذكر بقية استدلالهم، ثم ذكر استدلال الفريق الآخر.

إلى أن قال: فإن قلت: فما المختار عندك؟ فأجاب بالتفصيل، فقال: فيه منفعة، وفيه مضرة: فهو في وقت الانتفاع حلال أو مندوب أو واجب، كما يقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام.

قال: فأما مضرته، فإثارة الشبهات، وتحريف العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم، وذلك مما يحصل بالابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص؛ فهذا ضرره في اعتقاد الحق، وله ضرر في تأكيد اعتقاد البدعة، وتثبيتها في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل..........

الشيخ صالح

فهذان الأمران مهمان:

- **الأول**: عدم الاعتراض.

- **والثاني**: العمل بمفردات التوحيد ومفردات الإخلاص.

فصفاء العلم يكون بهذين الشيئين، حتى الأمور العملية -أمور الصلاة، الأحكام الفقهية من العبادات في المعاملات وغير ذلك-، إذا علمت شيئًا فَسَلَّمتَ للدليل، وسَلَّمتَ لكلام أهل العلم، فعَمِلتَ بذلك أورثك الله ﷻ ثباتًا في هذا العلم الذي عَلِمتَهُ وفهمًا لِمَا لم تعلم، كما قال بعض السلف: **من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.** وقد قال ﷻ في سورة النساء ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء: ٦٦].

(**لَكَانَ خَيرًا لَهُم**) إذا فعل المرء ما يُوعَظ به؛ يعني في القرآن والسنة خير أن تعمل ما وُعِظتَ به وأشد تثبيتًا للإيمان وللعلم.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... قال: وأما منفعته، فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيئتها، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل أكثر من الكشف والتعريف.

قال: وهذا إذا سمعته من محدث أوحشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام، ثم قاله بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك الى التعمق في علوم أخر سوى نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود.

ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور. انتهى ما نقلته عن الغزالي رحمه الله.

وكلام مثله في ذلك حجة بالغة، والسلف لم يكرهوه لمجرد كونه اصطلاحًا جديدًا على معان صحيحة، كالاصطلاح على ألفاظ العلوم الصحيحة، ولا كرهوا أيضًا الدلالة على الحق والمحاجة لأهل الباطل، بل كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق.

ومن ذلك: مخالفتها للكتاب والسنة وما فيه من علوم صحيحة؛ فقد وعروا الطريق إلى تحصيلها، وأطالوا الكلام في إثباتها مع قلة نفعها، فهي لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى. وأحسن ما عندهم فهو في القرآن أصح تقريرًا، وأحسن تفسيرًا، فليس عندهم إلا التكلف والتطويل و[illegible]ـيد.

الشيخ صالح

ولهذا عدم الاعتراض في أمور العقائد والتوحيد على النصوص يُعطَى العبد به نور ويَخلُص توحيده وتُصَفَّى معرفته وعلمه ويَصِحَّ إيمانه كما ذكر ﷺ.

وكذلك في الأمور الـ[illegible]ـية إذا عَمِلَ بعد العلم وسَلَّم ولم يعترض فإنه يُصَفَّى من جهة العمل، ويكون إيما[illegible] ـحمله داعيًا له إلى العلم وإلى الازدياد من العمل.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من أهل صحة الإيمان وصفاء العلم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... كما قيل:

لـولا التنـافس في الـدنيا لمـا كـت بالتنـاظر لا المغـني ولا
يحللـون بـزعم مـنهم عَقـدًا وبالـذي وضعوه زادت العقـد

فهم يزعمون أنهم يدفعون - بالذي وضعوه- الشبه والشكوك، والفاضل الذي يعلم أن الشبه والشكوك زادت بذلك.

ومن المحال أن لا يحصل الشفاء والهدى والعلم واليقين من كتاب الله وكلام رسوله، ويحصل من كلام هؤلاء المتحيرين، بل الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل، ويتدبر معناه ويعقله، ويعرف برهانه ودليله العقلي والخبري السمعي، ويعرف دلالته على هذا وهذا، ويجعل أقوال الناس التي توافقه وتخالفه متشابهة مجملة، فيقال لأصحابها: هذه الألفاظ تحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول قُبل، وإن أرادوا بها ما يخالفه رُدَّ.

وهذا مثل لفظ المركب والجسم والتحيز والجوهر والجهة والحيز والعرض، ونحو ذلك؛ فإن هذه الألفاظ لم تأت في الكتاب والسنة بالمعنى الذي يريده أهل الاصطلاح، بل ولا في اللغة، بل هم يخصون بالتعبير بها عن معانٍ لم يعبر غيرهم عنها بها، فتفسر تلك المعاني بعبارات أخر، وينظر ما دل عليه القرآن من الأدلة العقلية والسمعية، وإذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل.

مثال ذلك: في التركيب؛ فقد صار له معانٍ:

أحدها: التركيب من متباينين فأكثر، ويسمى: تركيب مزج، كتركيب الحيوان من الطبائع الأربع والأعضاء ونحو ذلك، وهذا المعنى منفي عن الله سبحانه وتعالى، ولا يلزم من وصف الله - تعالى - بالعلو، ونحوه من صفات الكمال، أن يكون مركبًا بهذا المعنى المذكور.

الشيخ صالح

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... والثاني: تركيب الجوار، كمصراعي الباب ونحو ذلك، ولا يلزم أيضًا من ثبوت صفاته - تعالى- إثبات هذا التركيب.

الثالث: التركيب من الأجزاء المتماثلة، وتسمى: الجواهر المفردة.

الرابع: التركيب من الهيولى والصورة، كالخاتم مثلاً، هيولاه: الفضة، وصورته معروفة. وأهل الكلام قالوا: إن الجسم يكون مركبًا من الجواهر المفردة، ولهم كلام في ذلك يطول، ولا فائدة فيه، وهو أنه: هل يمكن التركيب من جزءين، أو من أربعة، أو ستة، أو ثمانية، أو ستة عشر؟ وليس هذا التركيب لازمًا لثبوت صفاته - تعالى- وعلوه على خلقه. والحق أن الجسم غير مركب من هذه الأشياء، وإنما قولهم مجرد دعوى، وهذامبسوط في موضعه.

الخامس: التركيب من الذات والصفات، هم سموه تركيبًا؛ لينفوا به صفات الرب تعالى، وهذا اصطلاح منهم لا يعرف في اللغة، ولا في استعمال الشارع، فلسنا نوافقهم على هذه التسمية ولا كرامة. ولئن سموا إثبات الصفات تركيبًا: فنقول لهم: العبرة للمعاني لا للألفاظ، سموه ما شئتم، ولا يترتب على التسمية بدون المعنى حكم! فلو اصطلح على تسمية اللبن خمرًا، لم يحرم بهذه التسمية.

السادس: التركيب من الماهية ووجودها، وهذا يفرضه الذهن أنهما غيران، وأما في الخارج، هل يمكن ذات مجردة عن وجودها، ووجودها مجرد عنها؟ هذا محال.

فترى أهل الكلام يقولون: هل ذات الرب وجوده، أم غير وجوده؟ ولهم في ذلك خبط كثير، وأمثلهم طريقة رأي الوقف والشك في ذلك، وكم يزول بالاستفسار والتفصيل كثير من الأضاليل والأباطيل..............

الشيخ صالح

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وسبب الإضلال الإعراض عن تدبر كلام الله وكلام رسوله، والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة.

وإنما سُمِّيَ هؤلاء: أهل الكلام؛ لأنهم لم يفيدوا علمًا لم يكن معروفًا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما علم بالحس، وإن كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع آخر، ومع من ينكر الحس.

وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته - مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول - فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلِّم لأمر ربه، بل قال: ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

أقسم - سبحانه- بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكِّموا نبيه، ويرضوا بحكمه، ويسلموا تسليمًا...

الشيخ صالح

....

التعليقات

....

.... فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار(١)، موسوسًا تائهًا، زائغًا شاكًا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا(٢)...............

ابن أبي العز الحنفي

.... قوله: (فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، شاكًا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا).

ش: يتذبذب: يضطرب ويتردد، وهذه الحالة التي وصفها الشيخ - رحمه الله- حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك، كما قال ابن رشد الحفيد - وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم- في كتابه تهافت التهافت: ومن الذي قال في الإلهيات شيئًا يعتد به؟.........

الشيخ صالح

قال **(فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، زائغًا شاكًا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا)** وهذا كثير في الذين عرضت لهم الشكوك، وساروا معها، ولم يقنعوا بما دلهم عليه الكتاب والسنة. فإنهم يبقون متشككين حائرين ليسوا مؤمنين وليسوا كفارًا، تارة ينزع إلى هؤلاء بشكه، وتارة يكون مع أهل الإيمان بتصديقه، وتارة يعرض له التكذيب، وتارة يعرض له التصديق، تارة يعرض له الإقرار وتارة يعرض له الإنكار، فليس في قلبه يقين للحق، ليس في قلبه علم لا شك فيه؛ بل هو متردد، بل هو ذو ريب وذو شك، والله ﷻ وصف المنافقين بأنهم لا يزالون في ريبهم، فقال سبحانه: ﴿ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٥].

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: من لم يُسلِّم لله ولا إلى الرسول، فإنه يحجب عن معرفة الله ومعرفة الحق، فيكون في متاهات وضلالات. وهذه حال المنافقين الذين يتذبذبون، تارة مع المسلمين وتارة مع المنافقين، وتارة يصدقون وتارة يكذبون ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾، أما أهل الإيمان فما عرفوا قالوا به، وما لم يعرفوا وكلوا علمه إلى الله جل وعلا، ولا يكلفون أنفسهم شيئًا لا يعرفونه، أو يقولون على الله ما لا يعلمون -فالقول على الله بغير علم هو عديل الشرك، بل هو أعظم من الشرك، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، فجعل القول على الله بغير علم فوق الشرك بالله، مما يدل على خطورة القول على الله بغير علم.

(٢) الشيخ الفوزان: هذه حالة أهل التردد والنفاق، دائمًا شاكون، دائمًا مترددون ومتذبذبون؛ لأنه ما ثبتت قدم أحدهم في الإسلام ولم يسلم لله ولا إلى رسول الله ﷺ، كما ذكر الله عن المنافقين أنهم ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾، ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

ابن أبي العز الحنفي

..... وكذلك الآمدي - أفضل أهل زمانه- واقف في المسائل الكبار حائر. وكذلك الغزالي - رحمه الله- انتهى آخر أمره إلى الوقوف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح الإمام البخاري على صدره.

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه: أقسام اللذات:

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعًا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

الشيخ صالح

☜ ننبه إلى أنَّ قوله (فَيَتَذَبذَبُ بَينَ الكُفرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصدِيقِ ... مُوَسوَسًا تَائِهًا) ونحو ذلك، الوسوسة هذه لها حالات إذا عَرَضَت فلم يتكلم بها العبد، وحَكَّمَ العلم على قلبه فإنَّ هذه الوسوسة دليل الإيمان، كما قال ﷺ لـمَّا سُئِلَ فقيل له: «إن أحدنا ليجد في نفسه أشياء لا يتجاسر أن يتكلم بها. قال: «أو قد وجدتم ذلك، ذلك صريح الإيمان» يعني أنَّ الشيطان إذا لم يتمكن من العبد إلا أن طَرَحَ في قلبه بعض الوساوس فهذا يدل على أنَّه لم يستطع عليه؛ بل هو مؤمن وهذا دليل صريح الإيمان الذي في القلب.

لكن هذا في حق من؟ من تعرِضُ له هذه الأشياء ثم ينفيها بالعلم، فإنَّ كل أحد لا يسلم من هذه العوارض التي تأتي والشكوك أو الوساوس التي يُلقيها الشيطان لكن صاحب العلم ينفيها ولا يستأنس لها، وأما الذي يستأنس لها ويسير معها ويبحث متشككًا حائرًا كما ذكرنا ولم يستسلم فإنَّ هذا هو الذي وُصِفَ هنا بقوله (فَيَتَذَبذَبُ بَينَ الكُفرِ وَالإِيمَانِ) إلى آخره.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾. ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾.

واقرأ في النفي: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾ [طه: ١١٠].

ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعًا كف حائر ... على ذقن أو قارعًا سن نادم

الشيخ صالح

هذه المسائل - التي سمعتموها- وما سيأتي تأصيلية، في مسائل التلقي والموقف من العقل، والاستسلام للنص، ووحدة مصدر التلقي، وأنَّ العقيدة مأخوذة بالاستسلام، ونحو ذلك والمباحث العقدية يأتي بعد ذلك بقية ما أورده المصنف.

ثم قال رحمه الله: (**وَلاَ يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ لِأَهلِ دَارِ السَّلاَمِ لِمَنِ اعتَبَرَهَا مِنهُم بِوَهمٍ، أَو تَأَوَّلَهَا بِفَهمٍ**) هذا سبق أن ذكرنا الرؤية رؤية الرب ﷻ والمباحث فيها والرد على أهل الزيغ فيها وتقرير مذهب أهل السنة والجماعة أهل الحديث في ذلك، سبق أن ذكرنا ذلك بتفصيل.

قال هنا(**وَلاَ يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ لِأَهلِ دَارِ السَّلاَمِ**) (**دَارِ السَّلاَمِ**) التي هي الجنة ﴿ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [الأنعام: ١٢٧]؛ لأنَّ فيها السلامة بجميع أنواعها؛ السلامة في البدن والسلامة في القلب، والسلامة في الخواطر، حتى اللغو لا يسمعون وحتى كما قال: ﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴾ [الغاشية: ١١]، حتى ما يُؤذي السمع فلا يُسمَع، وخرير الأشجار وحركة الأوراق ألحان في الجنة، فكل ما فيها سلام، وتحية أهلها السلام.

التعليقات

.... وكذلك قال أبو المعالي الجويني: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخلَيت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور.

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي، وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي، لبعض الفضلاء، وقد دخل عليه يومًا، فقال: تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ أو كما قال.

فقال: نعم، فقال: أشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته.

ولابن أبي الحديد الفاضل المشهور بالعراق:

فيك يا أغلوطة الفكر ... حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول ... فما ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الأولى زعموا ... أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا ... خارج عن قوة البشر

وقال الخوفجي عند موته: ما عرفت مما حصلته شيئًا سوى أن الممكن يفتقر إلى المرجح، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت وما عرفت شيئًا.

وقال آخر: أضطجع على فراشي وأضع اللحفة على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء...

ابن أبي العز الحنفي

..... ومن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تزندق، كما قال أبو يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب.

وقال الشافعي رحمه الله: حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام، وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ماظننت مسلمًا يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه - ما خلا الشرك بالله - خير له من أن يبتلى بالكلام. انتهى

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقروا به ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم - إذا سلموا من العذاب - بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب.

والدواء النافع لمثل هذا المرض، ما كان طبيب القلوب - صلوات الله وسلامه عليه- يقوله - إذا قام من الليل يفتتح الصلاة: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**». خرّجه مسلم.

توجه ﷺ إلى ربه بربوبيته لجبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ إذ حياة القلب بالهداية.

وقد وكل الله - سبحانه- هؤلاء الثلاثة بالحياة: فجبرائيل موكل بالوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى أجسادها، فالتوسل إلى الله - سبحانه- بربوبيته لهذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة، له تأثير عظيم في حصول المطلوب. والله المستعان.

الشيخ صالح

....

التعليقات

....

......ولاَ يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ لِأَهلِ دَارِ السَّلاَمِ لِمَنِ اعتَبَرَهَا مِنهُم بِوَهمٍ(١)، أَو تَأَوَّلَهَا بِفَهمٍ(٢)..

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم؛ إذ كان تأويل الرؤية - وتأويل كل معنى يضاف الى الربوبية - بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين، ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه).

ش: يشير الشيخ - رحمه الله- إلى الرد على المعتزلة ومن يقول بقولهم في نفي الرؤية، وعلى من يشبه الله بشيء من مخلوقاته. فإن النبي ﷺ قال: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»، الحديث: أدخل كاف التشبيه على ما المصدرية أو الموصولة بترون التي تتأول مع صلتها إلى المصدر الذي هو الرؤية، فيكون التشبيه في الرؤية لا في المرئي.

الشيخ صالح

قال(**وَلاَ يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ لِأَهلِ دَارِ السَّلاَمِ لِمَنِ اعتَبَرَهَا مِنهُم بِوَهمٍ**) يعني أنَّ الإيمان بالرؤية فرض؛ لأنَّ الله ﷻ ذكرها في كتابه، وذكرها النبي ﷺ في سنته، فهي عقيدة الإيمان بها فرض، فمن تأول الرؤية فلا يصح إيمانه.

وهذا ليس للرؤية فحسب، بل كل من تأَوَّلَ شيئًا من الغيبيات فلا يصح إيمانه به، لأنَّ الإيمان بالأمور الغيبية إيمانٌ بما دلَّ عليه ظاهر اللفظ، إيمانٌ بما دلَّ عليه ظاهر الصفة، إذ كانت قاعدة السلف أَمِرُّوهَا كما جاءت لا يُتجاوز القرآن والحديث.

قال: (**لِمَنِ اعتَبَرَهَا بِوَهمٍ، أَو تَأَوَّلَهَا بِفَهمٍ**). (**اعتَبَرَهَا بِوَهمٍ**) من تخَيَّل شيئًا ما، (**أَو تَأَوَّلَهَا**) يعني سلط على نصوص الرؤية التأويل.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: أي توهم أن الله - تعالى- يرى على صفة كذا فيتوهم تشبيهًا. شرح الطحاوية.

(٢) الشيخ الألباني: أي ادعى أنه فهم لها تأويلاً يخالف ظاهرها وما يفهمه كل عربي عن معناها.

الشيخ الفوزان: دار السلام هي الجنة، فلا يصح الإيمان بالرؤية أي رؤية الله فيها لمن يتوهم ويتأول فيها وينفي حقيقتها، ولم يسلم لله ولا إلى رسوله ﷺ، ويتدخل فيها بفكره وفهمه.

ابن أبي العز الحنفي

..... وهذا بيِّن واضح في أن المراد إثبات الرؤية وتحقيقها، ودفع الاحتمالات عنها، وماذا بعد هذا البيان وهذا الإيضاح؟! فإذا سلط التأويل على مثل هذا النص، كيف يستدل بنص من النصوص؟! وهل يحتمل هذا النص أن يكون معناه: إنكم تعلمون ربكم كما تعلمون القمر ليلة البدر؟!

ويستشهد لهذا التأويل الفاسد بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾، ونحو ذلك مما استعمل فيه (رأى) التي من أفعال القلوب!!

ولا شك أن (ترى) تارة تكون بصرية، وتارة تكون قلبية، وتارة تكون من رؤيا الحلم، وغير ذلك، ولكن ما يخلو الكلام من قرينة تخلص أحد معانيه من الباقي.......

الشيخ صالح

قال في التعليل: (إِذ كَانَ تَأوِيلُ الرُّؤيَةِ وَتَأوِيلُ كُلِّ مَعنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ تَركَ التَّأوِيلِ وَلُزُومَ التَّسلِيمِ) يعني أنَّ تأويل الرؤيا وتأويل الصفات الحق هو ترك التأويل وهذا يأتي بيانه في المسائل، فتأويل الصفات هو ما تؤول إليها حقائقها، والعقل والقلب لا يدرك الغيبيات، فلذلك عدم إدراكه للغيبيات يدلُّ على أنها على ظاهرها.

فقوله هنا (وَلاَ يَصِحُّ الإِيمَانُ) إلى آخره علَّلَهُ بقوله (إِذ كَانَ تَأوِيلُ الرُّؤيَةِ وَتَأوِيلُ كُلِّ مَعنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ) يعني إلى الرب ﷻ من الصفات جميعًا تأويلُ ذلك الحق هو(تَركَ التَّأوِيلِ وَلُزُومَ التَّسلِيمِ، وَعَلَيهِ دِينُ المُسلِمِينَ).

وهذه الجملة من كلامه واضحة المعنى فيما ذكرت لك لكن ينبني عليها لفهم مراده مسائل:

المسألة الأولى:

التأويل لغةً: هو ما تؤول إليه الأشياء، آلَ الأمر إلى كذا؛ يعني صار إلى كذا، والتأويل هو إِيَالُ الأشياء إلى نحو ما، هذا في اللغة.

تأويل الرؤية: ما تَؤُولُ إليه الرؤية، تأويل الطاعة ما تَؤُولُ إليه الطاعة ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٥] يعني وأحسَنُ عاقبة، أَحسَنُ مآلاً. فإذًا كلمة تأويل هذه اسم مصدر: آلَ الشيءُ، يؤُولُ، إِيَالاً، وتَأويلاً، فَإِيَالُهُ؛ نهايته تسمى تأويله، والكل يشترك في المعنى الأول اللغوي الذي ذكرته لك.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وإلا لو أخلى المتكلم كلامه من القرينة المخلصة لأحد المعاني لكان مجملاً ملغزًا، لا مبينًا موضحًا. وأي بيان وقرينة فوق قوله: ترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب؟ فهل مثل هذا مما يتعلق برؤية البصر، أو برؤية القلب؟ وهل يخفى مثل هذا إلا على من أعمى الله قلبه؟

فإن قالوا: ألجأنا إلى هذا التأويل، حكم العقل بأن رؤيته - تعالى- محال لا يتصور إمكانها!

فالجواب: أن هذه دعوى منكم، خالفكم فيها أكثر العقلاء، وليس في العقل ما يحيلها، بل لو عرض على العقل موجود قائم بنفسه لا يمكن رؤيته لحُكِمَ بأن هذا محال.

وقوله: (لمن اعتبرها منهم بوهم)، أي: توهم أن الله - تعالى- يرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهًا، ثم بعد هذا التوهم - إن أثبت ما توهمه من الوصف - فهو مشبه، وإن نفى الرؤية من أصلها لأجل ذلك التوهم - فهو جاحد معطل. بل الواجب دفع ذلك الوهم وحده، ولا يعم بنفيه الحق والباطل، فينفيهما ردًّا على من أثبت الباطل، بل الواجب رد الباطل وإثبات الحق.........................

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

التأويل في استعمال أهل العلم أو فيما جاء في الكتاب والسنة وفيما جرى عليه كلام العلماء ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التأويل بمعنى التفسير. تأويل كذا يعني تفسيرَه، ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ ﴾ [يوسف: ١٠٠] يعني هذا تفسير ﴿ رُءْيَٰيَ ﴾، وذهب قول العلماء في تفسير القرآن **(قول أهل التأويل)**؛ مثل ما يستعمل الإمام ابن جرير في تفسيره ويكثر منه، فيقول: **(قال أهل التأويل)** يعني أهل تفسير القرآن.

القسم الثاني: **تأويل الأخبار وتأويل الأمر والنهي**. تأويل الخبر ما تؤول إليه حقيقة الخبر.

التعليقات

.... إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم(١)، وعليه دين المسلمين(٢)..

ابن أبي العز الحنفي

..... وإلى هذا المعنى أشار الشيخ - رحمه الله- بقوله: ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون الله بهذا النفي! وهل يكون التنزيه بنفي صفة الكمال؟ فإن نفي الرؤية ليس بصفة كمال؛ إذ المعدوم لا يرى، وإنما الكمال في إثبات الرؤية ونفي إدراك الرائي له إدراك إحاطة، كما في العلم، فإن نفي العلم به ليس بكمال، وإنما الكمال في إثبات العلم ونفي الإحاطة به علمًا. فهو - سبحانه- لا يحاط به رؤية، كما لا يحاط به علمًا.........................

الشيخ صالح

يعني أنه إذا ذُكِرَ شيء لك فأُخبرتَ به فتَأوِيلُهُ حينما تراه كما قال ﷻ: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ﴾ يعني تأويل ما ذَكَرَ الله في سورة الأعراف من خبر يوم القيامة من الجنة والنار ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٣] إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ﴾ يعني ما يؤول إليه حقيقة الخبر وهو ما سيراه الناس؛ فتأويل كل خبر في الأمور الغيبية هو حقيقته التي هي عليه. فتأويل الجنة هو حقيقة الجنة، وتأويل النار حقيقة النار.

فهذه الأخبار التي أَخبَرَ الله ﷻ بها من الغيبيات تأويلها هي حقائقها في الأمور الغيبية، ولهذا قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧] على من وقف عند لفظ الجلالة؛ لأنَّ أَحَدًا لا يعلم التأويلَ إلا الله؛ يعني تأويل المتشابه.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: كل هذا تأكيد لما سبق في أنه يجب التسليم لما جاء عن الله - عَزَّ وَجَلَّ- وعن رسول الله ﷺ، ومن ذلك الرؤية، لا نتدخل فيها كما تدخل أهل البدع، بل نثبتها كما جاءت ونؤمن بها، ونثبت أن المؤمنين يرون ربهم في عرصات يوم القيامة قبل دخول الجنة، وبعد دخولهم الجنة يرونه أيضًا، إكرامًا لهم حيث آمنوا به في الدنيا ولم يروه.

(٢) الشيخ الألباني: قلت: وذلك.لأن نفاة الصفا والرؤية من المعتزلة وغيرهم إنما ينفونها تنزيها لله - تعالى- بزعمهم عن التشبيه وهذا زلل وزيغ وضلال؛ إذ كيف يكون ذلك تنزيهًا وهو ينفي عن الله صفات الكمال ومنها الرؤية؛ إذ المعدوم هو الذي لا يرى، فالكمال في إثبات الرؤية الثابتة في الكتاب والسنة والمشبهة إنما زلوا لغلوهم في إثبات الصفا وتشبيه الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى. والحق بين هؤلاء وهؤلاء إثبات بدون تشبيه وتنزيه بدون تعطيل. وما أحسن ما قيل: المعطل يعبد عدمًا والمجسم يعبد صنمًا.............................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وقوله: (أو تأولها بفهم) أي: ادعى أنه فهم لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وما يفهمه كل عربي من معناها، فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل: أنه صرف اللفظ عن ظاهره، وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا: نحن نتأول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف: تأويلاً، تزيينًا له وزخرفة ليقبل، وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾.............................

الشيخ صالح

يُعنى بهذا التأويل ما تؤول إليه حقائق هذه الأشياء، يعني ما هي عليه وهذه لا يعلمها إلا الله، لا يعلم حقيقة الصفات إلا الله، لا يعلم حقيقة الجنة والنار إلا الله، لا يعلم حقيقة يوم القيامة إلا الله، لا يعلم حقيقة ما في السماء إلا الله، لا يعلم حقيقة الصراط وأحوال البرزخ إلا الله ﷻ.

فهذه الحقائق لا يعلمها إلا الله؛ لكن المسلم يعلم المعاني في الأمور الغيبية، أُخبرنا في الأمور الغيبية بأشياء لها معنى فنعتقدها، وأما حقيقة ما هي عليه بكمالها من جهة المعنى والكيفية، هذه لا يعلمها إلا الرب ﷻ.

لهذا صَحَّ عن ابن عباس - رضي الله عنهما- أَنَّهُ قال: «**ليس في الجنة من دنياكم إلا الأسماء**»، يعني أنك تعرف أصل المعنى، أما الحقائق فالمسألة ليست بمقدور الناس أن يفهموا حقيقة ما في الجنة.

حقائق الأخبار إذًا، حقيقة الخبر من جهة تمام المعنى ومن جهة كيفية الأمور الغيبية هذه لا يعلمها إلا الله.

التعليقات

= (١) الشيخ الفوزان: وهذا الأمر عليه دين المسلمين، وهو الإيمان والتسليم لما جاء عن الله ورسوله، وعدم التدخل في ذلك بالأفهام والأوهام والتأويلات الباطلة، والتحريفات الضالة، هذا دين الإسلام، بخلاف غير المسلمين، فإنهم يتدخلون فيما جاء عن الله وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

ابن أبي العز الحنفي

...... والعبرة للمعاني لا للألفاظ، فكم من باطل قد أقيم عليه دليل مزخرف عورض به دليل الحق، وكلامه هنا نظير قوله فيما تقدم: لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ثم أكد هذا المعنى بقوله: إذا كان تأويل الرؤية - وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية: بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين. ومراده ترك التأويل الذي يسمونه تأويلاً، وهو تحريف؛ ولكن الشيخ - رحمه الله- تأدب وجادل بالتي هي أحسن، كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

وليس مراده ترك كل ما يسمى تأويلاً، ولا ترك شيئًا من الظواهر لبعض الناس لدليل راجح من الكتاب والسنة. وإنما مراده ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة، المخالفة لمذهب السلف، التي يدل الكتاب والسنة على فسادها، وترك القول على الله بلا علم.........................

الشيخ صالح

أمَّا الأمرُ والنهي: فالله ﷻ أمَرَ بأوامر ونَهَى عن نواهٍ: **فتأويل الأمر امتثاله، وتأويل النهي الانتهاء عنه**؛ لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]؛ يعني وأحسن امتثالاً لأمر الله ﷻ وأحسن عاقبة.

فإذًا كل من أُمِرَ بِأمرٍ فتأويلُ الأمرِ؛ يعني ما تؤول إليه حقيقة الأمر هو أن يمتثله، فمن لم يمتثل فلم يستسلم للأمر ولم يطع في ذلك، تأويل النهي هو ما تؤول إليه حقيقة النهي وهو امتثاله - امتثال النهي يعني أن يجتنب النهي؛ أي ما نُهِيَ عنه.

ثم يزيد على الأمرين:

- في الامتثال بالأوامر عاقبة أو جزاء الامتثال.

- وفي الانتهاء جزاء الانتهاء عما نُهِي عنه بالنواهي.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... فمن التأويلات الفاسدة، تأويل أدلة الرؤية، وأدلة العلو، وأنه لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً!

ثم قد صار لفظ التأويل مستعملاً في غير معناه الأصلي.

فالتأويل في كتاب الله وسنة رسوله: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام. فتأويل الخبر: هو عن المخبر به، وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به. كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن**». وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾..........

الشيخ صالح

فإذًا التأويل بالأمر والنهي يشمل شيئين:

- الأول: أن يمتثل الأمر ويجتنب النهي.
- والثاني: ما سيراه في الآخرة من جزاء الأمر، وما امتثله، ومجازاة العبد على انتهائه عن ما نهي عنه.

القسم الثالث: **التأويل بمعنىً حادث لم يأتِ في القرآن وفي السنة.**

وهو أن يُصرَف دليل عن ظاهره لِحُجَّة، وهو صحيح إذا كان بضابطه الذي ضبطه به أهل العلم، ويُعَبِّر عنه الأصوليون بقولهم: صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره لقرينة، وهذا للأصوليين فيه تفصيلات حيث إنَّه ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

لكن هذا المعنى من التأويل صحيح، يعني أنَّ النصوص ربما صُرِفَ اللفظ إلى غيره، صُرِفَت دلالة الدليل إلى آخر لدليل آخر لقرينة.

المسألة الثالثة:

هذا التأويل الأخير هو الذي به تسلَّط [.....] [.....] وأوَّلوها بالتأويلات، فنصوص الرؤية حَرَّفُوهَا وسَمَّوا تحريفهم تأويلاً.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ومنه تأويل الرؤيا، وتأويل الـ ، كقوله: ﴿ تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ ﴾.

وقوله: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾.

وقوله: ﴿ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً .

وقوله: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا : ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا .

فمن ينكر وقوع م هذا التأويل، والعلم بما تعلق بالأمر والنهي منه؟ وأما ما كان خبرًا؛ كالإخبار عن الله واليوم الآخر، فهذا قد لا يعلم تأويله، الذي هو حقيقته؛ إذ كانت لا تعلم بمجرد الإخبار، فإن المخبر - إن لم يكن قد تصور المخبر به، أو ما يعرفه قبل ذلك - لم يعرف حقيقته، التي هي تأويله، بمجرد الإخبار...

الشيخ صالح

ونصوص إثبات الصفات من الوجه واليدين والرحمة والرضا من الصفات الذاتية والصفات الفعلية جميعًا حَرَّفُوهَا وسمَّوا تحريفهم لها تأويلاً.

وهذا هو الذي أراده الطحاوي بقوله **(إِذ كَانَ تَأوِيلُ الرُّؤيَةِ وَتَأوِيلُ كُلِّ مَعنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ تَركُ التَّأوِيلِ وَلُزُومِ التَّسلِيمِ)**؛ لأَنَّ تأويلهم له كان باطلاً، وحقيقة التأويل أن يُترَك التأويل. يعني التأويل المطلوب شرعًا أن يُترك التأويل، وهذا يحتاج إلى تطبيق.

فالتعريف، عَرَّف الأصوليون التأويل بأنه صرف اللفظ -يعني الذي جاء بالدليل- عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره لقرينة.

هنا القرينة لابد أن تَدُلَّ على أنَّ الظاهر غير مراد حتى يُمكن أن يُصرَف اللفظ عن ظاهره؛ لأنّ الظاهر هو الأصل.

فإذا أردنا أن نُؤَوِّل الظاهر لابد من قرينة. هذه القرينة هي التي بها قلنا: الظاهر غير مراد. فأتوا بهذه القرينة وسَلَّطُوهَا على نصوص الصفات.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وهذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. لكن لا يلزم من نفي العلم بالتأويل نفي العلم بالمعنى الذي قصد المخاطب إفهام المخاطب إياه، فما في القرآن آية إلا وقد أمر الله بتدبرها، وما أنزل آية إلا وهو يحب أن يعلم ما عنى بها، وان كان من تأويله ما لا يعلمه إلا الله. فهذا معنى التأويل في الكتاب والسنة وكلام السلف، وسواء كان هذا التأويل موافقًا للظاهر أو مخالفا له.

والتأويل في كلام كثير من المفسرين، كابن جرير ونحوه، يريدون به تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف، وهذا اصطلاح معروف، وهذا التأويل كالتفسير، يحمد حقه، ويرد باطله - وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾، الآية - فيها قراءتان، قراءة من يقف على قوله: (إلا الله)، وقراءة من لا يقف عندها، وكلتا القراءتين حق ؛ ويراد بالأولى المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله. ويراد بالثانية المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره، وهو تأويله. ولا يريد من وقف على قوله: (إلا الله) أن يكون التأويل بمعنى التفسير للمعنى، فإن لازم هذا أن يكون الله أنزل على رسوله كلامًا لا يعلم معناه جميع الأمة ولا الرسول، ويكون الراسخون في العلم لا حظّ لهم في معرفة معناها سوى قولهم: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾........................

الشيخ صالح

فقالوا في الرؤية مثلاً: الرؤية ظاهرها يقتضي التجسيم، يقتضي التحيز، يقتضي التشبيه - رؤية الرب ﷻ، يعني أنَّهُ يكونُ مُتَحيِّزًا حتى يمكن أن يراه الناس، لابد أن يكون في جهة حتى يمكن أنَّ الناس يروه، لابد أن يكون في مقابلة العينين حتى تراه العينين، وهكذا.

فلَمَّا كانت هذه القرينة العقلية عندهم وهي أنَّ الله ﷻ لا يشبه المخلوق ولا يماثل المخلوق، قالوا: إذًا الرؤية تُؤَوَّل ؛ لأنَّ معناها الظاهر غير مراد قطعًا ؛ لأنَّ فيه تمثيلاً وتشبيهًا لله بخلقه.

وهذا ينطبق على جميع الصفات، فيمكن أن تُطَبَّق هذه القاعدة على كل ما أُوِّلَ من النصوص في الصفات والأمور الغيبية سواءً كان في الصفات الذاتية أو الصفات الفعلية.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وهذا القدر يقوله غير الراسخ في العلم من المؤمنين، والراسخون في العلم يجب امتيازهم عن عوام المؤمنين في ذلك. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله.

ولقد صدق - رضي الله عنه- فإن النبي ﷺ دعا له وقال: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**». رواه البخاري وغيره. ودعاؤه ﷺ لا يرد. قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس، من أوله إلى آخره، أقفه عند كل آية وأسله عنها. وقد تواترت النقول عنه أنه تكلم في جميع معاني القرآن، ولم يقل عن آية: إنها من المتشابه الذي لا يعلم أحد تأويلها إلا الله.

وقول الأصحاب - رحمهم الله- في الأصول: المتشابه: الحروف المقطعة في أوائل السور، ويروى هذا عن ابن عباس، مع أن هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس، فإن كان معناها معروفا، فقد عرف معنى المتشابه، وإن لم يكن معروفا، وهي المتشابه، كان ما سواها معلوم المعنى، وهذا المطلوب.........

الشيخ صالح

ونناقش هؤلاء -وأنا أريد منكم أن تتابعوا معي؛ لأني أريد كلمة مهمة لبناء ما بعدها عليها: هؤلاء جاءوا بشيء سَمَّوهُ قرينة فحَكَمُوهُ على النص، فسَمَّوا هذا الذي فَعَلُوهُ تأويلا، ونحن بقاعدة الأصوليين -بتعريف الأصوليين- نناقشهم، هل طبقتم التأويل حقا؟ أم أنكم عملتم شيئًا سَمَّيْتُمُوهُ تأويلا؟ القاعدة ما عليها غبار، القاعدة صحيحة.

فنقول هنا (**صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره لقرينة**): لصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره لابد أن يكون الظاهر الذي صُرِفَ عنه معلوم المعنى حتى نصرفه إلى غيره؛ ونقول هذا الظاهر الأول غير مراد لأَنَّهُ لا يصلح، حتى يمكن أن نصرفه. وهذا في التقعيد واضح.

صفات الرب ﷻ في ظاهرها المتبادِر منها أصل المعنى، وليس ظاهرًا في الكيفية، وليس ظاهرًا في كل المعنى. إذًا فعندنا في النص ثلاثة أشياء:

- عندنا أصل المعنى الذي نفهم به، نفهمه من اللغة.
- وعندنا كمال المعنى، تمام الصفة، كمال معنى الصفة.
- وعندنا ثالثًا الكيفية.

التعليقات

...... وأيضًا فإن الله قال: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾، وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العادين.

والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك. وهذا هو التأويل الذي تنازع الناس فيه في كثير من الأمور الخبرية والطلبية، فالتأويل الصحيح منه: الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد، وهذا مبسوط في موضعه.

وذكر في التبصرة أن نصير بن يحيى البلخي روى عن عمرو بن إسماعيل ابن حماد بن أبي يحيى بن محمد بن الحسن رحمهم الله: أنه سئل عن الآيات والأخبار التي فيها من صفات الله تعالى ما يؤدي ظاهره إلى التشبيه؟ فقال: نمرها كما جاءت، ونؤمن بها، ولا نقول: كيف وكيف؟........................

الشيخ صالح

فإذًا ظاهر النص مشتمل على أصل المعنى؛ يعني على إثبات الصفة من حيث الوجود، صفة الرحمة ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ هذا فيه إثبات صفة الرحمة؛ لكن ما هو كمال معنى الرحمة؟ ليس واضحًا في النص؛ إذ النصوص فيها أصل إثبات الصفة.

فإذًا صرف اللفظ عن ظاهره المتبادِر منه إلى غيره لقرينة، هم لم يصرفوا الظاهرَ، وإنما صَرَفُوا شيئًا تَوَهَّمُوهُ زيادةً على الظاهر، فالظاهر يجب الإيمان به والاستسلام له.

فهم تَوَهَّمُوا للظاهر شيئًا زائدًا على دلالة النص، توهموا تمام معنًى وتوهموا كيفيةً.

فإذًا لم يقتصروا على الأمر الأول؛ وهو أنَّ النص جاء في الصفات وفي الأمور الغيبية لأصل المعنى وإنما توَهَمُوا كيفية، فقالوا: كيف أن الإنسان يرى الله ﷻ بعينيه؟

معناه أنَّ الله ﷻ يكون متحيزًا، وسوف يكون في جهة، وسوف يكون ... إلى آخره من الأمور الباطلة، ونقول: هذه زائدة على النص.

التعليقات

....

..... ويجب أن يعلم أن المعنى الفاسد الكفري ليس هو ظاهر النص ولا مقتضاه، وأن من فهم ذلك منه فهو لقصور فهمه ونقص علمه، وإذا كان قد قيل في قول بعض الناس:

وكم من عائب قولاً صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

وقيل:

عليَّ نحت القوافي من معادنها وما عليَّ إذا لم تفهم البقر

كيف يقال في قول الله، الذي هو أصدق الكلام وأحسن الحديث، وهو الكتاب الذي﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾، إن حقيقة قولهم إن ظاهر القرآن، والحديث هو الضلال، وإنه ليس فيه بيان ما يصلح من الاعتقاد، ولا فيه بيان التوحيد والتنزيه؟! هذا حقيقة قول المتأولين، والحق أن ما دل عليه القرآن فهو حق، وما كان باطلاً لم يدل عليه، والمنازعون يدعون دلالته على الباطل الذي يتعين صرفه!

الشيخ صالح

فإذن التأويل الذي سُلِّطَ على النص في الحقيقة سُلِّطَ على ما في الأوهام ولم يُسلَّط على النص، فإنكم تَخَيَّلتُم أنَّ النص يشمل الثلاث هذه جميعًا: في أصل المعنى، وفي تمامه وفي الكيفية، ثُمَّ سَلَّطتُم التأويل عليها، فسلطتم إذًا التأويل ليس على اللفظ وإنما على ما تَوَهَّمتُمُوهُ من اللفظ، فإذًا قاعدة التأويل في الحقيقة لم تُطَبِّقُوهَا وإنما طبَّقتم ما في أذهانكم.

لهذا نقول: إنَّ إثباتَ الصفة هو إثبَاتُ وجودٍ لمعنى وليس إثبات تمام المعنى أو الكيفية. فالقرينة التي بها تَسَلَّطوا على النص هي قرينة المماثلة أو المشابهة.

فيقولون: هذا يقتضي التمثيل، يقتضي التشبيه، يقتضي التجسيم، فلذلك يُؤَوَّل. فالقرينة عندهم عقلية بحتة وليست نصًّا، القرينة عقليةٍ في أنَّ هذه الأشياء ظاهرها يماثل صفات المخلوقين، يشابه صفات المخلوقين، فلذلك يجب أن نَنفِي هذا الظاهر.

وهذا في الحقيقة ليس هو ظاهر النص، ظاهر النص ليس فيه الكيفية، ظاهر النص ليس فيه كمال المعنى، وإنما ظاهر النص الذي يجب الإيمان به أنَّ فيه أصل اتصاف الله ﷻ بالصفة، فنؤمن بأنَّ الله ﷻ ذو وجه ﷻ، وأنه سبحانه مُتَّصِفٌ بصفة السمع.

ابن أبي العز الحنفي

...... فيقال لهم: هذا الباب الذي فتحتموه، وإن كنتم تزعمون أنكم تنتصرون به على إخوانكم المؤمنين في مواضع قليلة خفية: فقد فتحتم عليكم بابًا لأنواع المشركين والمبتدعين، لا تقدرونِ على سده، فإنكم إذا سوغتم صرف القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليل شرعي، فما الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ؟ فإن قلتم: ما دل القاطع العقلي على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه! قيل لكم: وبأي عقل نزن القاطع العقلي؟ فإن القرمطي الباطني يزعم قيام القواطع على بطلان ظواهر الشرع! ويزعم الفيلسوف قيام القواطع على بطلان حشر الأجساد! ويزعم المعتزلي قيام القواطع على امتناع رؤية الله تعالى، وعلى امتناع قيام عالم أو كلام أو رحمة به تعالى!!..............................

الشيخ صالح

لكن كيف يسمع؟ يسمع دبيب النملة على ظهر الصخرة الملساء. كيف حصل هذا السمع؟ تمام معنى السمع لا نستطيع أن ندخل فيه، وإنما نقول: الله ﷻ موصوفٌ بصفة السمع وله من هذه الصفة كمالها؛ كمال هذه الصفة، الكمال المطلق.

لكن هل نستطع أن نخوض في تفصيلاته؟ لا نستطيع. كذلك صفة الوجه، صفة اليدين، إلى غير ذلك من الصفات. فإذًا هو إِثبَاتُ وجود لا إثبات كيفية، إثبات اتصاف بالصفة لا إثبات كيفية.

فإذًا الذين سَلَّطُوا القرينة سَلَّطُوهَا بشيءٍ مُتَوَهَّم، فلهذا لا يَصِحُّ أن يُقَال: إنهم طَبَّقُوا قاعدة التأويل، بل هم حرَّفوا؛ لأنهم جعلوا للنص دِلالَة بأوهامهم خلاف دلالة النص، ثم بعد ذلك سلطوا عليها تأويلهم.

لهذا قال طائفة من أهل العلم: **(كل مُؤَوِّل مُمَثِّل، كل مُؤَوِّل مُشَبِّه)**؛ لأنه لا يمكن أن يُؤَوِّل إلا وقد قام في قلبه من دلالَةِ النص التشبيه أو التمثيل، هذا واحد.

الأمر الثاني نقول لهم: إذا لم تُسَلِّمُوا بذلك، وقلتم: إنَّ تأويلنا كان لأصل المعنى وليس لما قام في أوهامنا وفي أذهاننا. فنقول: يلزم من ذلك أن تُأَوِّلُوا صفة السمع، يلزم من ذلك أن تُأَوِّلُوا صفة البصر، يلزم من ذلك أن تُأَوِّلوا صفة الكلام، فما الفرق بين صفة الكلام لله ﷻ وصفة السمع والإرادة والحياة وصفة الرحمة؟ ما الفرق بينها؟ ما الفرق بين هذه الصفات وبين صفة اليدين؟

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وباب التأويلات التي يدعي أصحابها وجوبها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في هذا المقام، ويلزم حينئذ محذوران عظيمان: أحدهما: أن لا نقر بشيء من معاني الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثًا طويلة عريضة في إمكان ذلك بالعقل!

وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه، فيؤول الأمر الى الحيرة المحذورة.

الثاني: أن القلوب تتخلى عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرسول؛ إذ لا يوثق بأن الظاهر هو المراد، والتأويلات مضطربة، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ الله به العباد، وخاصة النبي هي الإنباء، والقرآن هو النبأ العظيم؛ ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد لا للاعتماد، إن وافقت ما ادعوا أن العقل دل عليه قبلوه، وإن خالفته أولوه! وهذا فتح باب الزندقة، نسأل الله العافية ....

الشيخ صالح

فإذًا في صفة السمع: للمخلوق سمع، فالمشابهة حاصلة بحسب أفهامهم، فالنص الذي به أَثبَتُّم صفة السمع والبصر وصفة الكلام هو النص الذي أُثبِتَت به سائر الصفات.

فلِمَ لم تتعرضوا لهذا بتأويل وتَعَرَّضتُم للآخر بتأويل؟ إن كان الآخر أخذتم كما قلتم أصل المعنى فأوّلتم، فهذه أنتم أخذتم أصل المعنى فيلزمكم التأويل.

إذًا فالحاصل من هذا أنَّ كل مؤول لا يصح أن يقال إنه مُؤَوِّل؛ بل هو مُحَرِّف لأَنَّ التأويل لا ينطبق على قاعدته، لا ينطبق على هذه الحالة. فالنصوص الغيبية بابها باب واحد، تطبيق القاعدة الأصولية التي هي التأويل لا يصلح على هذه المسائل، المسائل الغيبية لما ذكرته لك.

تتميم للمسألة، إذًا قول الطحاوي هنا دقيق للغاية يُتنبه لقوله، قَالَ: **(إِذ كَانَ تَأوِيلُ الرُّؤيَةِ وَتَأوِيلُ كُلِّ مَعنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ تَركَ التَّأوِيلِ)**.

إذا أردت أن تُطَبِّق قاعدة التأويل فتخرج منها وسَتَستَنتِج منها أنَّ التأويل تَركُ التأويل.

كيف؟ إذا قلنا: إنَّ القرينة غير ممكنة؛ لأنَّ هذا المعنى غيبي، فإذًا سينتج منه أنَّ القاعدة غير منضبطة.

فإذًا التأويل سَيُؤَدّيكَ إلى ترك التأويل؛ لأنَّ القاعدة غير جائية وسارية في مسائل الغيبيات.

التعليقات

....

وهذه كلمة دقيقة منه ﷺ (إِذ كَانَ تَأوِيلُ الرُّؤيَةِ وَتَأوِيلُ كُلِّ مَعنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ تَركَ التَّأوِيلِ وَلُزُومَ التَّسلِيمِ)؛ لأنكِ لو طَبَّقتَ قاعدة التأويل نَتَجَ منها تَركُ التأويل. التأويل: يعني أن تترك التأويل.

المسألة الرابعة:

مِثلُ التأويل في تسليطه على نصوص الغيبيات ما يسمى بالمجاز.

والتأويل والمجاز يُستخدَمَانِ في مباحث الصفات والأمور الغيبية بعامة، يستخدمها أهل البدع الذين لم يُسَلِّمُوا للنصوص دلالَتِهَا.

(المجاز) لم يأتِ هذا اللفظ لا في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة ولا في كلام التابعين ولا في كلام تبع التابعين.

يعني انقضت القرون الثلاثة المفضلة ولم يُستعمل هذا اللفظ، فلفظُهُ حادث. والألفاظ الحادثة بحسب الاصطلاح:

- إن كان هذا المصطلح اُستُخدِمَ في شيءٍ سليم، في شيء مقبول شرعًا، فلا بأس به؛ إذ لا مُشَاحَّةَ في الاصطلاح، مِثل ما قالوا: التأويل هو كذا وكذا فَعَرَّفُوهُ، ومثل ما تَعَارَفُوا على أشياء كثيرة في العلوم.

ولهذا استَعمَلَ لفظ المجاز بعض العلماء في معاني صحيحة؛ فَكَتَبَ أبو عبيدة مَعمَر ابن مثنى كتابًا سَمَّاهُ مجاز القرآن، وتجد في ألفاظ لابن قتيبة أيضًا ذِكرًا للمجاز -للمجاز العام-؛ يعني المجاز المقبول؛ وله هو نَظَر في المجاز لا نَعرِضُ له الآن.

إذًا هذا تاريخ اللفظ أنَّ اللفظة حادثة ما كانت مستعملة. ماذا يُقصَد بلفظة (مجاز) من حيث اللغة؟ المجاز يعني: ما يجوز، هذا في اللغة.

ولهذا قال أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾، ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ ﴾ [المؤمنون:٢٨]، قال: مَجَازُهُ علا على العرش، وهذا يعني أَنَّهُ معناه في اللغة؛ يعني ما تُجِيزُهُ اللغة، يعني هذا مجازه اللفظي في اللغة وما أجازته العرب من المعنى، إذا نظرت لذلك وجدت أَنَّ استعمال من استعمل لفظ المجاز غير استعمال المُحَرِّفين، لهذا نقول: المجاز عند أهل التّحريف عَرَّفُوهُ بما يلي:

قالوا: المجاز هو نقل اللفظ من الوضع الأول إلى وَضعٍ ثانٍ لعلاقة بينهما. وعَرَّفَهُ آخرون بقولهم: المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وُضع له. مثاله عندهم، يقول مثلا: ألقَى فلان عَلَيَّ جناحه. فمجاز الجناح هنا قالوا: الجناح يعني كنفه ورعايته ويده ... إلى آخره.

قالوا: أصل الجناح للطائر، جناح الطائر. فلما استُعمِلَ في الإنسان صار استعمال اللفظ لغير ما وُضِعَ له، لهذا سَمَّوهُ مَجَازًا. إذا تبين لك ذلك فنقول:

أولاً: قولهم في تعريف المجاز: إنَّ المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له مَبنِيٌّ على أنَّ الألفاظ موضوعة لمعانٍ. ومن الذي وَضَعَ المعنى أو اللفظ للمعنى؟ من الذي وضع؟ يقولون: العرب وَضَعَت.

التعريف الأول -وهو المشهور عند الأصوليين: المجاز نقلُ اللفظ من وضع أول إلى وضع ثاني.

يعني أنَّ العرب وضعت للألفاظ شيئًا؛ ثم نقلته من الوضع الأول إلى الوضع الثاني. هذا التصور مبني على خيالٍ في أصله، وهو أنه يُطَالَب من عَبَّر هذا التعبير بأن يقال له: من الذي وَضَع الوضع الأول؟ هذا أوّلاً في التعريف؛ لهذا لا تدخل مع الذين يبحثون في المجاز أصلا، يعني في الغيبيات، أما في الأمور الأدبية، هذا الأمر سهل؛ يعني الخلاف الأدبي سهل، لكن إذا أتى المجاز في الأمور الغيبية والصفات فَنَاقِشهُ في التعريف.

الآن ما تعريف المجاز؟ استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ له، أو نَقلُ اللفظ من الوضع الأول إلى الوضع الثاني، هذا الوضع الأول والوضع الثاني كيف عرفنا أنَّ هذا هو الوضع الأول؟

الجواب: لا سبيل إلى الجواب، ليس ثَمَّ أحد يمكن أن يقول هذا اللفظ وُضِعَ لكذا؛ إذ معنى ذلك أَنَّ العرب اتفقت، عَقَدَت مُؤتَمرًا، اجتمعت جميعًا وقالت: الآن نحدد لغتنا في الوضع الأول.

هذا السقف السماء وضعها الأول هو ما علا، الأَرض هي هذه هذا الوضع الأول، السَّيرُ، جَرَى، مَشَى، معناه كذا، جَنَاح هُوَ لهذا الطائر، حَمَام هو لهذا الطائر، وهكذا، فَيُتَصَوَّر من التعريف أَنَّ العرب اجتمعت وجَعَلَت لكل لفظٍ معنًى في لغتها، وهذا خيال؛ لأنّ من عَرَفَ ودرس نشأة اللغات لا يمكن أن يتصوّر أنَّ اللغة العربية نشأت على هذا النّحو.

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

لهذا نقول: أولاً التعريف غير صحيح ؛ لأنَّ الوضع الأول يَحتَاجُ إلى برهان لإثبَاتِ أَنَّهُ وَضعٌ أول، أَثبِت لي أَنَّ هذا هو الوضع الأول ولا بأس، ولا سبيل إلى الإثبات.

لهذا نقول: إنَّ المعاني في اللغة العربية كثيرٌ منها كُلِّيَّة، وكلما ذهبت إلى المعنى الكلي كنت أحذَق وأفهَم للغة.

وهذا ما جرى عليه العالم المحقق ابن فارس في مقاييس اللغة، كتاب سماه (**معجم مقاييس اللغة**) جَعَلَ الكلمات لها معاني كلية، ثم تندرج التفريعات تحت المعنى الكلي، وليس وضعًا أول ثم وضعًا ثانيا، وهذا حقيقة وهذا مجاز، ليس كذلك.

إذا تبين ذلك فنقول: لفظ التأويل ولفظ المجاز يُستَعمَلاَنِ كثيرًا، الظاهر: يقابله التأويل، والحقيقة: يقابلها المجاز.

فيُقَال: هذا حقيقة وهذا مجاز، ويُقَال: هذا ظاهر وهذا تأويل، ولا يقال في التأويل مجاز وللمجاز تأويل، لا، التأويل يختلف عن المجاز كما ذكرته لكم مرارًا.

المجاز كتطبيق لأجل أن تفهم كيف يطبقون المجاز على قاعدتهم؟ وكيف أنَّ هذا الكلام الذي طبقوه غير جيد غير صحيح؟

يقولون مثلاً: الرحمة مجاز عن الإنعام، طيب مجاز عن الإنعام يعني أنَّ لفظ الرحمة وضعته العرب للمخلوق للإنسان، فلما استُعمِلَ في صفات الرب ﷻ نَقَلُوهُ من الوضع الأول إلى وضع ثانٍ وهو الإنعام لأنَّ العرب استعملت الرحمة بمعنى الإنعام.

فإذًا الرحمة تشمل رحمة الأم بولدها، ورحمة الوالد بولده، ورحمة الإنسان بمن يتعرض لشيء أمامه من المكروهات، وتشمل الإنعام. رَحِمَهُ: يعني أنعَمَ عليه، قالوا الإنعام هذا وضع ثانٍ والرحمة التي يجدها الإنسان في نفسه هذا الوضع الأول؛ ففي صفات الرب ﷻ لا نقول: إنه متصف بالرحمة لم؟ قالوا: لأنَّ الرحمة لا تحصل إلا بضعف، إلا بانكسار، وهذا منزه عنه الرب ﷻ. فإذًا نقلوا من الوضع الأول إلى وضع ثانٍ لعلاقة، العلاقة بينهما هي مناسبة هذا لله ﷻ. يعني الإنعام مناسب في هذا وفي هذا. العلاقات عندهم في المجاز نحو ثلاثين علاقة، وأُلِّفَت فيها كتب، يعني من باب الذكر وليست مهمة.

التعليقات

طيب، عندكم الرحمة بمعنى الإنعام، والرحمة حينما فسرتموها قلتم: الوضع الأول في الإنسان لماذا؟ الرحمة هذا اللفظ وُجِدَ مع الإنسان، أليس كذلك؟ وُجِدَ مع الإنسان، أَحَسَّ بهذا الشيء الذي في نفسه وهذا الشيء سُمِّيَ رحمة.

فهل هذه الرحمة حينما وُضع لها هذا المعنى هي في لغة العرب أو هي في اللغات جميعًا؟

الجواب: أنها في لغة العرب؛ يعني من حيث لفظ (رحمة)، وأما المعنى المُشتَرَك لهذه الصفة فهذا عام في جميع اللغات؛ يعني موجود في كل لغة ما يدل عليه.

اللغة هل تضع الأشياء محدودة أو كلية؟ اللغة المفروض فيها أنها تجعل الألفاظ للمعاني الكلية، لا لمعانٍ محدودة، فنأتي للرحمة فنقول: الإنسان عنده هذه الرحمة، وَجَدَ هذه الصفة في نفسه فَسَمَّاهَا رحمة.

لكن لا يوجد تعريف في أي كتاب من كتب اللغة للرحمة بتعريف جامع مانع محدود، كذلك الرأفة، كذلك الوُد، كذلك المحبة، ونحو ذلك؛ فالمعاني النفسية هذه الموجودة في داخل نفس الإنسان هذه لا يوجد تعريف محدّد لها حتى في كتب اللغة.

إذًا فهي ليست موضوعة لما يحسُّهُ الإنسان، وهي إذًا موضوعة لمعانٍ كلّية تشمل هذه الصفة؛ ولهذا نجد أنّ كل الصفات المعنوية لا يمكن تعريفها، لو أتاك أحد وقال: عرف لي هذه الرحمة التي في قلبك؟ لا يُحسِن حتى هؤلاء الذين يَحكُمُون بالمجاز وبالتأويل لا يُحسِنُونَ أَن يُعَرِّفُوا الرحمة بشيءٍ جامعٍ مانع، هات الرحمة بتعريف جامع؟

فيُفَسِّر الرحمة بأثر الرحمة، فيُفَسِّر الرأفة بأثر الرأفة، فيُفَسِّر المحبة بأثر المحبة، لكن كل إنسان في أي لغة إذا طَرَقَ سمعه الرحمة هو يعرف مدلول الرحمة بما يجده في نفسه.

إذًا فالمعاني النفسية هذه التي هي ليست ذوات هذه كليات، والكليات ليست مفردات، الكليات للجميع.

فإذًا جَعلُ الكلية اللغوية مُفردًا في حال الإنسان، و جَعلُ هذه المفرَدَةَ وضعًا أول هذا لاشك أنه ليس له دليل في اللغة وليس له أيضًا برهان وهو تَحَكُّم. فإذًا لكل شيء يناسبه.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

إذا قلت للعربي: رحمة الطير، الطير حينما رَحِمَ، هل كانت الرحمة في الإنسان واستعار للطَّيرِ الرحمة؛ أي جَعَلَهَا في الطير مجازًا؟

الجواب: لا، يقول: لا، الطير فيه رحمة، طيب هذا المعنى الكلي بين الطير والإنسان هل كان في الوضع الأول خاصًّا بالإنسان ثم عُدِّيَ أو كان للجميع ؟ فإن قال للإنسان وحده فإنه لن يقوله؛ لأنه لا يُسَلِّم له.

وإن قال للإنسان والطير وللحيوان فيما يَرحَم، قيل له فإذًا العرب وضعت هذا بالوضع الأول للجميع لهذين فقط، أو وضعت كُلِّيَّة فَطُبِّقَت على الإنسان و على الطير؟ فَمُؤَدَّى الأمرِ أنَّ هذه الكلمات مبنية على برهانين:

➪ البرهان الأول:

معرفة نشأة اللغات، وأنَّ الوضع الأول للأشياء - في الإنسان أو في [illegible] فقط- أنَّ هذا غير جارٍ؛ لأنه ما يُتَصَوَّر -كما قلت لك خَيَالٌ أنَّ العرب [illegible]ت ووضعت هذه الأشياء على هذا النحو.

➪ البرهان الثاني:

أن يُقَال: المعاني الكلية المشتركة هذه لها تعريف عام لُغَوِي، وإذا كان لها تعريف عام، ووجودها في الإنسان تمثيل، ووجودها في الطير تمثيل ووجودها في الأم من الحيوان لولدها تمثيل، وهكذا، فإذًا القضية الكلية أو التعريف الكلي لا يُسَلَّط عليه المجاز بالأمثلة.

هذه القضية كبيرة بلا شك، ولابد منكم لمن أراد التحقيق في علوم العقيدة وفي علوم اللغة أن ينتبه إلى هذه المسألة؛ وهي نشأة اللغات؛ كيف نشأت اللغات؟ كيف نشأت اللغة العربية؟

في اللغة العربية أتى العرب موجودون فكانت أمامهم لغة؟ لا، الأسماء عُلِّمها آدم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]. هذه الأسماء هل كانت باللغة العربية؟ لا، كانت بلغة، ثم بعد ذلك تداخل أولاد آدم تنوعت لغاتهم، اكتسبوا أشياء من الأصوات، اكتسبوا أشياء من الرؤية. كلمة كانت بسبب الصوت مثلاً.

التعليقات

مِثل كلمة جَرَّ، جَرَّ هذه أنتَ لو حَمَلتَ جذع شجرة تحتاجه في إيقاد النار، تأتي به من مكان بعيد عن المكان الذي تطبخ فيه، تسمع صوته في الأرض بهذه الكلمة جَرررر، فتسمع هذه. مثل كلمة خرير؛ خرير الماء هذا الصوت. مثل كلمة وسوسة الصوت هذه الوسوسة مأخوذة بالسمع.

إذًا اللغة تَشَكَّلَت من أشياء، ومَن دَرَسَ نشأة اللغات يقول: إنَّ البرهان على الوضع الأول الذي اعتُمِدَ عليه بالمجاز ممتنع.

وأنا أريد الحقيقة من باب طلب الحق أن يأتي باحث ممن يبحث في اللغة، ويُثبت لي هذا الوضع الأول كيف جاء؟ كيف تواضعت العرب على أنّ الكلمة بهذا المعنى في الإنسان المحدَّد أو في الحيوان إلى آخره.

خذ مثلا كلمة جناح: جناح في اللغة فيها دلالَة علي المَيلِ، ميل واستطالة في الميل؛ يعني مَالَ وثَمَّ زيادة واستطالة في المَيل، ليس ميلا خفيفا لكن فيه استطالة، لهذا قال: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال: ٦١]، ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المتحنة: ١٠]؛ يعني لا إثم عليكم لأنَّ الإثم ميل واستطالة؛ إذًا فتسمية جناح الطائر بجناح، هل هو لأنهم أطلقوا على هذا الجزء؛ يعني قَسَّمُوا الطائر إلى أجزاء، وقالوا هذا سَمُّوهُ جناح؟ أو هو لمعنًى كلي موجود قبلُ وَجَدُوهُ في هذا الجزء من الطائر فَسَمَّوهُ بِهِ؟

هم عندهم الميل، رأوا أَنَّ جناح الطائر فيه استطالة وميل، يمتد ويستطيل ويميل إلى آخره، نفس الجناح، لكن جسم الطائر ثابت، لكن هذا الذي يذهب ويجيء هذا الجناح، فسمّوا هذا الجناح بهذا الاسم.

طيب جاء في الإنسان: الإنسان فيه أيضًا شيء يميل وهو اليد، فاليد تميل؛ إذًا اليد أيضا جناح، ولذلك قول الله ﷻ: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤]، كما قال المفسرون: اخفض لهما جناحك الذليل، ليست استعارة، وليست مجازًا وإنما اليد جناح؛ لأنها فاعلة وتذهب وتجيء، ولهذا قال ﷻ في قصة موسى عليه السلام ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [القصص: ٣٢]. ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ الجناح ما هو؟ اليد ليست استعارة؛ لأنها المعنى الكلي. إذن في هذه المسائل تطول.

.... وَمَن لَم يَتَوَقَّ النَّفيَ وَالتَّشبِيهَ زَلَّ وَلَم يُصِبِ التَّنزِيهَ(١)...............

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه).

ش: النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب، فإن أمراض القلوب نوعان: مرض شبهة، ومرض شهوة، وكلاهما مذكور في القرآن، قال تعالى: ﴿ تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ ﴾.

فهذا مرض الشهوة، وقال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ ﴾.........

الشيخ صالح

يعني العنق سُمِّيَ عنق يعني هكذا أم ثَمَّ معاني نشأت منها اللغات ثم تَوَسَّعَت؟ لهذا نقول: اللغة كليات جاءت أمثلة عليها تطبيقات في الواقع، قواعد عامة، لهذا من عَرَفَ أقيسَةَ اللغة فَهِمَ حقيقتها، أما وجود وضع أول يُبنَى عليه المجاز فهذا غير ممكن.

قال ﷺ بعد ذلك (وَمَن لَم يَتَوَقَّ النَّفيَ وَالتَّشبِيهَ زَلَّ وَلَم يُصِبِ التَّنزِيهَ) وهذا رد على الطائفتين: طائفة المؤولة المحرّفة وطائفة المجسمة، المجسمة شَبَّهُوا، والمُأوِّلَة أو المُحَرِّفَة نَفَوا. فهؤلاء نفوا الصفات، والمجسمة مثَّلوا، فمن كان مُمَثِّلاً أو مُحَرِّفًا فقد زَلَّ ولم يصب التنزيه.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: وذلك لأن نفاة الصفات والرؤية من المعتزلة وغيرهم إنما ينفونها تنزيهًا لله تعالى بزعمهم عن التشبيه، وهذا زلل وزيغ وضلال؛ إذ كيف يكون ذلك تنزيهًا، وهو ينفي عن الله صفات الكمال ومنها الرؤية! إذ المعدوم هو الذي لا يرى، فالكمال لله إثبات الرؤية الثابتة في الكتاب والسنة والمشبهة إنما زلوا لغلوهم في إثبات الصفات وتشبيه الخالق بالمخلوق - سبحانه وتعالى، والحق بين هؤلاء وهؤلاء إثبات بدون تشبيه، وتنزيه بدون تعطيل، وما أحسن ما قيل: المعطل يعبد عدمًا والمشبه يعبد صنمًا.

الشيخ الفوزان: لابد كما سبق من الوسط بين التعطيل وبين التشبيه، فلا يبالغ ويغلو في تنزيه الله حتى يعطل الله من صفاته كما فعل المعطلة، ولا يُثبت إثباتًا فيه غلو حتى يشبه الله بخلقه، بل يعتدل فيُثبت لله ما أثبته لنفسه له رسوله، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تكييف، هذا هو الصراط المستقيم المعتدل.

فالله - سبحانه وتعالى- لا شبيه له، ولا مثيل ولا عديل له، سبحانه وتعالى.

ابن أبي العز الحنفي

...... فهذا مرض الشبهة، وهو أردأ من مرض الشهوة؛ إذ مرض الشهوة يرجى له الشفاء بقضاء الشهوة، ومرض الشبهة لا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته. والشبهة التي في مسألة الصفات نفيها وتشبيهها، وشبه النفي أردأ من شبه التشبيه، فإن شبه النفي رد وتكذيب لما جاء به الرسول ﷺ، وشبه التشبيه غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول ﷺ.

تشبيه الله بخلقه كفر فإن الله تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، ونفي الصفات كفر، فان الله تعالى يقول: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

وهذا أصل نوعي التشبيه، فإن التشبيه نوعان:

تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا الذي يتعب أهل الكلام في رده وإبطاله، وأهله في الناس أقل من النوع الثاني، الذين هم أهل تشبيه المخلوق بالخالق؛ كعباد المشايخ، وعزير، والشمس والقمر، والأصنام، والملائكة، والنار، والماء، والعجل، والقبور، والجن، وغير ذلك.

وهؤلاء هم الذين أرسلت لهم الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ....

الشيخ صالح

ولهذا نقول: إنَّ قوله (وَمَن لَم يَتَوَقَّ النَّفيَ وَالتَّشبِيهَ) أنَّ هذا تحذير حتى للمُوَحِّد.

لا يخطر ببالك أنَّ الله ﷻ في صفته ثمَّ مُشَابَهَة بينه وبين صفة الخلق، وكل ما خطر ببالك فالله ﷻ بخلافه، لا من جهة تمام الصفة ولا من جهة الكيفية، وإنما نثبت كمال الصفة، الكمال المطلق.

لكن كيف هذا الكمال، حدود هذا الكمال؟ لا نستطيع ذلك ....

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

قال رحمه الله: (وَمَن لَم يَتَوَقَّ النَّفيَ وَالتَّشبِيهَ زَلَّ وَلَم يُصِبِ التَّنزِيهَ) هذه العبارة مُقَرِّرَة لقاعدة عامة من قواعد أهل السنة والجماعة: أنَّ صفات الرب ﷻ يجب أن لا يُسَلَّطَ عليها النفي، ولا أن يُعتَقَدَ فيها التشبيه؛ بل يجب على المسلم في إثباته للصفات أن يَتَوَقَّى نفيها بدرجاته، وأن يَتَوَقَّى التشبيه؛ فلا يُثبِت مُشَبِّهًا ولا ينفي مُعَطِّلاً.

قال: (زَلَّ وَلَم يُصِبِ التَّنزِيهَ) لأنه ليس على الطريق الحق، فكلّ من تَعَرَّضَ للصفات بنفي أو بتشبيه فإنّه ليس بموحِّد.

قال: (لَم يُصِبِ التَّنزِيهَ) يعني لم يُصِب التوحيد وتنزيه الرب ﷻ عمّا لا يليق بجلاله وعظمته.

وهذا الأصل معلوم في الكتاب والسنة في مواضع كثيرة:

منها قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص]. وقال سبحانه: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]. وقال أيضًا ﷻ: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الروم: ٢٧] ﷻ، ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ يعني له النعت الأعلى والوصف الأعلى. و﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ يعني يُسَامِيه يُمَاثِلُهُ يُشَابِهُه في كمال أسمائه وما تضمنته من الصفات، فهو سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

إذا تبين لك هذا المعنى العام لهذه الجملة فقوله: (النَّفيَ) و(التشبيهَ) و(التنـزِيهَ) هذه ألفاظ تحتاج إلى شرح، ونتناولها في مسائل:

النفي

المسألة الأولى:

أنَّ النفي يشمل أشياء:

- أن ينفي صفات الله ﷻ كلها.
- أو أن ينفي أكثرها.
- أو أن ينفي بعضًا منها.

التعليقات

- فالذين نفوا كل الصفات هم الجهمية.
- والذين نفوا أكثر الصفات هم المعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية.
- والذين نفوا بعض الصفات طوائف كثيرون من المفسرين ومن شُرَّاح الأحاديث، يَغلَطُونَ فيُثبِتُونَ في موضع ويناقضون أنفسهم فينفون في موضعٍ آخر.

فإذًا النفي من جِهَةِ أصله فيه هذه الدرجات، والدرجة الأخيرة وهي نَفيُ بعض الصفات فأكثر ما يَغلَطُ فيه من غَلِطَ من المفسرين وشُرَّاح الحديث في الصفات التي هي من جهة صفات الأفعال.

وهذه يعني الصفات الاختيارية مثل: الرضا والغضب والنزول والمَقت والأَسَف وأشباه ذلك من الصفات. فالصفات الاختيارية قَلَّ من ينهَجُ فيها منهج السّلف الصالح؛ وذلك لأنَّ الباب بابٌ واحدٌ في الصّفات الذّاتية وفي الصّفات الفعليّة.

المسألة الثانية:

- النفي تارَةً يَتَوَجَّه لأصل الصفة
- وتارَةً يَتَوَجَّه لظاهر الصفة.
- و تارَةً يَتَوَجَّه لكيفية الصفة.
- و تارَةً يَتَوَجَّه إلى معنى الصفة.

المرتبة الأولى توجهه لأصل الصفة: ينفي أَصلاً اتصاف الله ﷻ بالسمع، ينفي أَصلاً اتصاف الله ﷻ بالحكمة، ينفي أَصلاً اتصاف الله ﷻ بالعلم، وهكذا.

المرتبة الثانية توجهه لظاهر الصفة: فيقولون: نثبت الصفة لكن ظاهرها غير مراد، كيف؟ يقولون: نثبت الاستواء لكن ليس على ظاهره، فالاستواء له معنى غير المعنى الظاهر المتبادر منه، له معنى آخر، وهؤلاء على فرقتين:

- منهم من يقول: المعنى كيت وكيت.
- ومنهم من يقول: المعنى لا أحد يعلمه.

فأما الأوّلون فهم المؤولة.

وأما أصحاب القول الثاني فهم أهل التجهيل الذين يسميهم العلماء المُفَوِّضَة، يُثبِتُونَ لكن يُفَوِّضُونَ كل الصفة لله ﷻ، لا يعلمون لها معنى، ولا يعلمون لها كيفية، جميع الصفة منفية؛ يعني مثبتةٌ لكن منفي العلم بها.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

۞ المرتبة الثالثة توجُّهُ لكيفية الصفة: هذا النّفي الذي يتَّجِه إلى كيفية الصفة هذا واجب، وهو منهج أهل السنة والجماعة فإننا ننفي العِلم بالكفية؛ لأنَّ الله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، فنُثبت الصفة مع نفينا للكيفية.

وهذا المعنى ليس مرادًا في قوله: (وَمَن لَم يَتَوَقَّ النَّفيَ)؛ بل هذا نَفيٌ واجب وهو أن نَنفي عِلمَنا بالكيفية؛ فالكيفية لا يعلمها إلا الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧].

۞ المرتبة الرابعة توجُّهُ لمعنى الصفة: والنفي المتجه للمعنى هذا يُثبتُ كثيرون الصفة لكن ينفون المعنى؛ يقولون: ليس لها معنى، ليس لها معنى مطلقا؟

فاسم الرحيم هو العليم، والرحمة هي العلم؛ لكن لَـمَّا تَعَلَّقَت إرادة الله بالمُعَيَّن فَرُحِمَ سُمِّي هذا التَّعَلُّق رحمة؛ لما تَعَلَّقَت به قدرَة سُمِّيَ ذلك قدرة ... إلى آخره.

فيقولون: هي من جهة قيامها بذات الرب ﷻ شيء واحد، ولذلك ننفي أن يكون لهذه الصفات معانٍ متعددة، وهذا يشترك فيه جملة من أصحاب المذاهب المختلفة.

فقوله إذًا: (وَمَن لَم يَتَوَقَّ النَّفيَ) يدل على أنَّ ترك النفي مطلوب وواجب، وهو ألا تُنفَى أصل الصفات، وألا يُنفَى الظاهر، وألا يُنفَى العلم بالمعنى؛ بل يُنفَى شيء واحد وهو الكيفية دونما سواها.

التَّشبيهَ

التشبيه مصدر شبَّهَهُ بغيره تَشبيهًا، أو شَبَّهَ الشيء بكذا تشبيهًا.

فالتشبيه: هو جعل المخلوق مشابهًا لله ﷻ، أو جعل الله ﷻ مُشَابِهًا في صفاته للمخلوقات.

✎ المسألة الثالثة:

التشبيه مراتب أيضًا:

۞ فالمرتبة الأولى التشبيه الكامل وهو المساوي للتمثيل:

يعني أن يقول: يده كيدي، كقول المجسمة والعياذ بالله، وصورته كصورتي والعياذ بالله، وأشباه ذلك، فهذا تشبيه كامل؛ يعني شَبَّهَ الله ﷻ بالمخلوق من جهة الصفة في الكيفية وفي المعنى.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

وهذا كفر بالله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ والمُشبِّهُ يَعبُدُ صَنَمًا، الممثل يَعبُدُ صنمًا. فهو تَخَيَّلَ في نفسه صورة للرب ﷻ فجَعَلَهَا عليه.

وهذا كما قلنا لكم: لا يمكن أن يكون لله ﷻ في ذاته وصفاته شيء يَتَخَيَّلُهُ العبد أو يتصوره؛ لأَنَّهُ كل ما خطر ببالك فالله ﷻ بخلافه، كل ما جاء في بالك فالله ﷻ بخلافه.

لأنَّ المعرفة واستقبال المعارف والإدراكات في الإنسان ستأتي شيئًا فشيئًا. وهو أصلاً جاء من غير إدراك. والله ﷻ جعل له السمع والبصر والفؤاد ليدرك. فإذًا كل المُدرَكات في الإنسان مَجلُوبَةٌ له من واقع ما رأى، ومن واقع ما سمع، أو من واقع ما قارن. والشيء الذي لم يره ولم يسمعه وليس ثَمَّ ما يُقَارَنُ به، فكيف تحصل له معرفته؟ ولذلك تجد أنَّ الإنسان لا يمكن أن يَتَصَوَّر شيئًا ما رآه، أو رأى مثيلاً له أو رأى ما يُقَاسُ عليه؛ ما يجتمع هو وإياه في أشياء.

ما يمكن أن يتصوَّرَ شيء لم يره أصلاً أو لم ير مثيلا له. لكن لو رأى ما يُقَاسُ عليه ممكن، لو رأى مثيلاً له ممكن. مثلاً تقول: الإنسان الياباني مختلف في صورته عنَّا لكن يبقى التَخَيُّل العام عندك أنه ما دام أنه إنسان فهو على هذه الصفة. تقول مثلا: الخبز في بلدٍ له شكل غريب، أنت لا تتصور هذا الشكل لكن تعرف الخبز ما هو من حيث الصفة؛ لأنك تعرف أنَّ ذاك سيكون في مادته مشابِهًا لهذا الذي عرفته.

لو ذُكر لك شيء غريب، مثلاً في بلد من البلاد رأينا بناءً عجيبًا جدًّا، ممكن أن تتصور البناء على نحو ما إذا كنت رأيت شبيهًا له أو ما يقاس عليه؛ أو مُركَّبات هذا البناء وطريقة البناء وأنه أَدوَار مثلاً.

مَثَلاً: شُرِحَ لك عن الأهرامات من صفتها كذا وكذا؛ يمكن أن تتصور لأنَّكَ رأيت مثيلاً له، رأيت ما يُقَاسُ عليه، رأيت ما يمكن أن تُعقَدَ مقارنة فتصل على نوع إدراكٍ لذلك.

أما الرب ﷻ وتقدست أسماؤه وصفاته فلا يقاس بخلقه ولم يُرَ مثيلاً له ﷻ ولا يُقَارَن بشيء، ولذلك كل ما يخطر في البال إنما هو من جَرَّاءِ إدراكات مختلفة لا يمكن أن يكون منها حقيقة الرب ﷻ.

التعليقات

ولهذا كل ما خطر في بالك فالله ﷻ بخلافه، فإذا استرسل مع هذا وشَبَّه فإنّه يعبد صنمًا.

يعني تَخَيَّلَ في نفسه صورة وهيأ له إلهًا يكون على نحو ما فَعَبَدَهُ.

ولهذا قال أئمة السلف: **المشبه يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا.**

هذا التشبيه الكامل هو التّمثيل، وهذا التمثيل أو التشبيه:

- قد يكون في الذات بأجمعها.
- وقد يكون في صفة من الصفات.

قد يقول: الله ﷻ مثلي، على صفتِي -والعياذ بالله- **وهذا كفر**. أو يقول: يده كَيَدِي، وسمعه كسمعي، وعينه كعيني وأشباه ذلك **وهذا أيضًا كفر** بالله ﷻ.

المرتبة الثانية التشبيه في بعض الصفة، لا في الكيفية ولكن في المعنى:

فيقول: الكيفية لا نعلمها لكن معنى الصفة في الله ﷻ هو معناها في المخلوق.

وهذا أيضًا مما ينبغي تَجَنُّبُه؛ لأنَّ صفة الرب ﷻ معناها في حقه كامل لا يعتريه نقص من وجه من الوجوه، وأما في المخلوق فهو فيه الصفة ولكنها ناقصة تناسب نقص ذاته.

ولهذا يقال في مثل هذا: إنَّ الله ﷻ له الكمال المطلق في صفة السمع، والمخلوق متصف بالسمع، أو تقول لله ﷻ سمع، وللمخلوق سمع وليس السمع كالسمع؛ يعني في أصل المعنى موجودٌ سمع وسمع؛ لكن في تمام المعنى وكماله مختلف ليس الاتصاف في الله ﷻ مثل الاتصاف في المخلوق.

المرتبة الثالثة تشبيه العكس وهو تشبيه المخلوق بالخالق والعياذ بالله:

وتشبيه المخلوق بالخالق، يعني أن يَجعَلَ للمخلوق صفة من صفات الله ﷻ.

مثل أن يُغِيث أو أنَّهُ يسمع وهو غائب، أو أنَّ له قدرة أو أنَّ له تصرف في الكون أو أشباه ذلك. وهذا كحال عُبَّاد الأصنام والأوثان والقبور وعُبَّاد عيسى والملائكة وعُبَّاد الأولياء، كلهم على هذه الصفة، يجعلون للمخلوق بعض صفات الله ﷻ. وهذا لاشك أنه تشبيه - وهو في حد ذاته من جهة التشبيه- كفر لمن اعتقده.

التعليقات

فمن وَصَفَ المخلوق بصفة الله ﷻ من تصريف الكون أو يقولون فلان من الأولياء له ربع الكون يتصرّف فيه، أو له نصف الكون يتصرف فيه، أو فلان المَلَك له التَّصَرُّف في الملكوت بنفسه فَيُطلَب منه ويُستَغَاث به ويُسأل أو يُلجَأ إليه ونحو ذلك، من الأموات أو من الغائبين.

فكل هذا تشبيه للمخلوق بالخالق وتمثيل للمخلوق بالخالق وهو شرك بالله ﷻ. لهذا لم يُطلق أكثر السلف نفي التشبيه، وإنما أطلقوا نفي التمثيل؛ لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، ولفظ التشبيه لم يرد فيه النفي في الكتاب ولا في السنة فيما أعلم، وإنما ورد لفظ التمثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾. وفرق ما بين التمثيل وبين التشبيه:

- فالتمثيل: معناه المساواة هذا مثل هذا؛ يعني يساويه في صفة أو في صفات.

- أما التشبيه: فهو من التَّشَابه، وقد يكون التشابه كاملاً، فيكون تمثيلاً، وقد يكون التشابه ناقصًا فيكون في كلّ المعنى أو في أصل المعنى على نحو ما فَصَّلتُ لك، فإذًا إذا قيل: لا نُشَبِّه فلا يندرج في ذلك إثبات أصل المعنى، يعني التشابه في المعنى؛ لأنه لا يستقيم إثبات الصفات إلا بمشابَهَةٍ في المعنى، ولكن ليس مُشَابَهَة في كل المعنى، ولا في الكيفية؛ لأن هذا تمثيل.

فلهذا لا يُطلق النفي للتشبيه، لا نقول التشبيه منتفيًا مطلقًا، كما يقوله من لا يحسن، بل يقال: التمثيل منتفٍ مطلقًا.

أما التشبيه فنقول: التشبيه منتفٍ؛ فالله ﷻ لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء. وينصرف هذا النفي للتشبيه في الكيفية أو في تمام المعنى في كماله.

التنزيه

(التَّنزِيهَ) يعني تنزيه الرب ﷻ عما لا يليق بجلاله وعظمته. قال (لَم يُصِبِ التَّنزِيهَ) فالذي لم يَحذَر النفي ولم يَحذَر التشبيه، فإنه يَزِلُّ ولن يصيب تنزيه الرب ﷻ عما لا يليق بجلاله وعظمته. والتنزيه هو التسبيح؛ فمعنى ذلك أنَّ من نَفَى أو شَبَّهَ فإِنَّهُ لم يُسَبِّح الله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

لأنَّ معنى سبحان الله هو: تَنزيهًا لله، والكون كله يردد: سبحان الله وبحمده، ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فإذن من الواجب أن يُنَزَّه الله ﷻ عما لا يليق بجلاله وعظمته؛ ولهذا نقول: إنَّ اتقاء النفي والتشبيه هو طريق التنزيه والتسبيح الحق لله ﷻ.

فالمعتزلة والجهمية والمبتدعة من الأشاعرة والكلابية وسائر الطوائف التي نفت بعض الصفات هؤلاء لم يُنزِهُوا الرب ﷻ عن ما لا يليق بجلاله وعظمته، بل وقعوا في شيءٍ من عدم التنزيه.

لذلك قال: **(وَلَم يُصِبِ التَّنزِيهَ)** يعني لم يُنَزِّه سواءً أكَانَ مُرادُهُ التنزيه فَأخطأَ أو هو في الحقيقة لم يُنَزِّه؛ لأنه ما نَزَّهَ الله ﷻ عما لا يليق بجلاله وعظمته؛ لأنَّ الله سبحانه له الكمال المطلق في الاتصاف بالصفات.

فمن لم يثبت جميع الصفات، فهو لم يُثبِت الكمال المطلق، فمعناه أَنَّهُ نقص حمده لله ﷻ ومعنى ذلك أنه لم يُنَزِّه الله ﷻ عما لا يليق بجلاله وعظمته.

وهذه الجملة عظيمة من كلام الطحاوي ﵀ **(وَمَن لَم يَتَوَقَّ النَّفيَ وَالتَّشبِيهَ، -يعني من سائر طوائف الضلال- زَلَّ وَلَم يُصِبِ التَّنزِيهَ)** وإن زَعَمَ أنه يُنَزِّه فإنه لم يُصِب، وهذا يكثر في المعطلة وفي المؤولة وفي النفاة، يقولون: نفينا وأوَّلنا وعَطَّلنَا لأجل التنزيه.

وهذا يُرَدُّ عليهم بأنَّ ما فعلتموه هو وصف لله بالنقائص، وليس تنزيهًا للرب ﷻ.

ثم علل ذلك بقوله: **(فَإِنَّ رَبَّنَا ﷻ مَوصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحدَانِيَّةِ، مَنعُوتٌ بِنُعُوتِ الفَردَانِيَّةِ، لَيسَ فِي مَعنَاهُ أَحَدٌ مِنَ البَرِيَّةِ)**.

هذا أخذه من قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾.

قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ﴿ أَحَدٌ ﴾ يعني واحد في أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله، فليس له شريك في ملكه، وليس له مثيل في صفاته وأفعاله، وليس له ند في فردانيته وفي صَمَدانيته ﷻ.

ولهذا بعدها جاء بأنواع التوحيد قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ يعني الذي تَصمُد إليه المخلوقات بأجمعها في طلب ما ينفعها ودفع ما يضرها؛ فإذًا في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ إثبات توحيد الإلهية. قال ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وهذا فيه إثبات التفرد بالربوبية.

التعليقات

.... فَإِنَّ رَبَّنَا ﷻ مَوصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحدَانِيَّةِ(١)، مَنعُوتٌ بِنُعُوتِ الفَردَانِيَّةِ

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية).

ش: يشير الشيخ - رحمه الله- إلى تنزيه الرب تعالى بالذي هو وصفه كما وصف نفسه نفيًا وإثباتًا. وكلام الشيخ مأخوذ من معنى سورة الإخلاص. فقوله: موصوف بصفات الوحدانية. مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ١، ٢]، وقوله: منعوت بنعوت الفردانية. من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٢، ٣]. وقوله: ليس في معناه أحد من البرية من قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾......................

الشيخ صالح

قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وهذا فيه توحيد الأسماء والصفات، فلا أحد يكافئه ويماثله، فلذلك هو ﷻ أحد في أسمائه وصفاته وأفعاله ﷻ.

قال(فَإِنَّ رَبَّنَا ﷻ مَوصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحدَانِيَّةِ) يعني أَنَّهُ متوحد في صفاته، (مَنعُوتٌ بِنُعُوتِ الفَردَانِيَّةِ) يعني أنَّ كل نَعت يُنعَت به الرب ﷻ على أساس أنه منفرد فيه، فهو - سبحانه- فرد في أسمائه وصفاته وذاته، فهو سبحانه وِتر وفرد، وصفاته هو فيها سبحانه فَرد فلا يماثله شيء ولا يشاركه فيها أحد ﷻ.

إذا تبين لك ذلك فالصفة والنعت هنا غايَرَ بينهما قال: (مَوصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحدَانِيَّةِ، مَنعُوتٌ بِنُعُوتِ الفَردَانِيَّةِ)، والصفة والنعت في اللغة متقاربان، وهو لم يُرِد التفريق ما بين الصفة والنَّعت؛ لأنَّ الله سبحانه له الصفات العلى وله النعوت العلى، له المثل الأعلى.

والصفة والنعت هي المثل في القرآن في قوله: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الروم:٢٧]؛ يعني له النعت والصفة العليا ﷻ، أما المخلوق فله الوصف الأدنى الذي يناسب ذاته الوضيعة الضعيفة المحتاجة. صفات الرب ﷻ ونعوته تنقسم إلى أقسام باعتبارات مختلفة:

○ فتنقسم باعتبار قيامها بالرب ﷻ إلى قسمين:

□ إلى صفات ذات. □ وإلى صفات فعل.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: صفات الوحدانية بأن الله واحد لا شريك له، لا في ربوبيته ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، فهو واحد في كل هذه الحقائق.

، ليس في معناه أحدٌ من البريةِ(٢) ....

ابن أبي العز الحنفي

...... وهو أيضًا مؤكد لما تقدم من إثبات الصفات ونفي التشبيه، والوصف والنعت مترادفان، وقيل: متقاربان.

فالوصف للذات، والنعت للفعل، وكذلك الوحدانية والفردانية. وقيل في الفرق بينهما: إن الوحدانية للذات، والفردانية للصفات، فهو -تعالى- موحد في ذاته، منفرد بصفاته. وهذا المعنى حق ولم ينازع فيه أحد، ولكن في اللفظ نوع تكرير..............................

الشيخ صالح

القسم الأول صفات الذات: وهي التي لا ينفكُّ ربنا ﷻ عن الاتصاف بها، لم يزل موصوفًا بها وهو متصف بها دائمًا، مثل الوجه والعينين واليدين، مثل الرحمة والسمع والبصر، فإنَّ الله - سبحانه- لم يزل ذا وجه وذا سمع وذا بصر ﷻ، وكذلك في صفاته الذاتية، ومنها صفة الرحمة، فالله ﷻ متصف بصفة الرحمة وهي ملازمة له ﷻ.

القسم الثاني صفات الأفعال: وصفات الفعل لله ﷻ يسميها بعض الناس من أهل العلم الصفات الاختيارية، وهي التي يفعلها ربنا ﷻ تارة ولا يفعلها تارة، صفات الفعل هي التي تقوم بالرب ﷻ بمشيئته وقدرته ﷻ، وهذه الصفات التي هي الصفات الاختيارية أوَّلُ من نفاها بخصوصها الكُلَّابية، وتبعهم على ذلك أبو الحسن الأشعري؛ يعني ابن كُلَّاب أوَّل من نفاها، ثم تبعه أصحابه، ثم تبعهم أبو الحسن.

○ من جهة أخرى نَقسِم الصفات إلى قسمين:

□ إلى صفات جلال. □ وإلى صفات جمال.

القسم الأول صفات الجلال: هي الصفات التي فيها نعت الرب ﷻ بجلاله وعظمته وقهره وجبروته ﷻ، وهي التي تجلب في قلب الموحد الخوف منه ﷻ، مثل صفة القوة، القدرة، القهر، الجبروت وأشباه ذلك، صفات الجلال يعني من تأمَّلها أجَلَّ الله ﷻ وهابه وخافه ﷻ.

التعليقات

(٢) الشيخ الفوزان: منعوت، أي: موصوف بصفات الكمال، ونعوت الجلال، التي لا يشبهه فيها أحد من خلقه، بل أسماؤه وصفاته خاصة به ولائقة به، وصفات المخلوقين وأسماء المخلوقين خاصة بهم ولائقة بهم، وبهذا يتضح لك الحق والصواب، وتبرأ من طريقة المعطلة ومن طريقة المشبهة.

ابن أبي العز الحنفي

..... وللشيخ نظير هذا التكرير في مواضع من العقيدة، وهو بالخطب والأدعية أشبه منه بالعقائد، والتسجيع بالخطب أليق، و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، أكمل في التنزيه من قوله: ليس في معناه أحد من البرية.............

الشيخ صالح

القسم الثاني صفات الجمال: وصفات الجمال هي الصفات التي تبعث في قلب الموحد [...] الرب ﷻ والأنس به وبلقائه وبمناجاته وبالإنابة إليه، وهذه صفات كثيرة لله ﷻ، مثل صفة الرحمة والرأفة والمغفرة وقَبُول التوبة والسلامة؛ اسم الله السلام، والمؤمن وأشباه ذلك.

فإذًا صفات العَظَمَة هذه يقال لها صفات جلال، وصفات ونعوت الرحمة والمحبة يقال لها: صفات جمال، هذا اصطلاح لبعض علماء السنة وهو اصطلاح صحيح.

ولهذا في الختمة التي تُنسبُ لشيخ الإسلام ابن تيمية رجَّحَ طائفة من أهل العلم أن تكون لشيخ الإسلام لورود هذا التقسيم فيها، وهو قوله في أولها: صدق الله العظيم المُتوحّدُ بالجلال لكمال الجمال تعظيمًا وتكبيرًا.

ولا أعلم من أشهَرَ هذا التقسيم قبل شيخ الإسلام ابن تيمية -يعني تقسيم الصفات إلى صفات جلال وجمال.

وفي هذه الختمة جُمَل معروفة في الاستعمال عن شيخ الإسلام دون غيره، وابن القيم رحمه الله بحث صفات الجلال والجمال في بعض كتبه.

○ التقسيم الثالث للصفات:

□ صفات ربوبية. □ وصفات ألوهية.

هذا باعتبار التوحيد؛ يعني رجوع الأسماء والصفات إلى نوعي التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

القسم الأول صفات ربوبية: وهو ما كان منَ أفراد الربوبية: مثل: المُلك، والهيمنة، والانتقام، والقدرة، والقوة، والإحاطة، وأشباه ذلك.

والقسم الثاني صفات الألوهية: وهي التي وحَّد العبد ربه ﷻ بها مثل اسم الإله وما فيه، مثل الصمد وأشباه ذلك مما فيه توجه من العبد إلى الرب جل جلاله.

التعليقات

... . وَتَعَالَى عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ وَالأَرْكَانِ وَالأَعضَاءِ وَالأَدَوَاتِ(١)، لَا تَحوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبتَدَعَاتِ(٢)..............................

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات).

ش: أذكر بين يدي الكلام على عبارة الشيخ - رحمه الله- مقدمة، وهي: أن الناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهم المتبعون للسلف، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها الا إذا تبين، ما أثبت بها فهو ثابت، وما نفي بها فهو منفي؛ لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام، كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية، فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي.

ولهذا كان النفاة ينفون بها حقًا وباطلاً، ويذكرون عن مثبتها ما لا يقولون به، وبعض المثبتين لها يدخل لها معنى باطلاً، مخالفًا لقول السلف، ولما دل عليه الكتاب والميزان، ولم يرد نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفيًا ولا إثباتًا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون..........

الشيخ صالح

قال بعدها: (وَتَعَالَى عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ وَالأَركَانِ وَالأَعضَاءِ وَالأَدَوَاتِ، لَا تَحوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبتَدَعَاتِ) هنا ذَكَرَ هذه الألفاظ متابَعَةً لما جرى عليه المتكلمون في زمنه، وهو ذَكَرَهَا بعد إثبات، فأثبت الصفات ثم نَفَى.

التعليقات

(١) الشيخ ابن باز: قوله (تعالى عن الحدود والغايات ...) هذا الكلام فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل والإلحاد في أسماء الله وصفاته وليس لهم بذلك حجة؛ لأن مراده رحمه الله تنزيه الباري سبحانه عن مشابهة المخلوقات، لكنه أتى بعبارة مجملة تحتاج إلى تفصيل حتى يزول الاشتباه. فمراده (بالحدود) يعني التي يعلمها البشر، فهو سبحانه لا يعلم حدوده إلا هو سبحانه؛ لأن الخلق لا يحيطون به علما، كما قال عز وجل: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ ومن قال من السلف بإثبات الحد في الاستواء أو غيره فمراده حد يعلمه الله سبحانه ولا يعلمه العباد.

وأما (الغايات والأركان والأعضاء والأدوات) فمراده رحمه الله تنزيهه عن مشابهة المخلوقات في حكمته وصفاته الذاتية من الوجه واليد والقدم ونحو ذلك، فهو سبحانه موصوف بذلك لكن ليست صفاته مثل صفات الخلق.......=

ابن أبي العز الحنفي

.... فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه. والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحًا قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك.........................

الشيخ صالح

وقاعدة أهل السنة والجماعة: أنَّ النفي يكون مُجملاً وأنَّ الإثبات يكون مُفَصَّلاً. ففي قوله هذا نوع مخالفة لطريقة أهل السنة والجماعة؛ لكن كلامه محمول على التنزيه بعد الإثبات. والتنزيه بعد الإثبات يُتَوَسَّعُ فيه؛ لأنَّ طريقة أهل البدع أنهم يُنَزِّهُون أو ينفون بدون إثبات، ينفون مفصلاً ولا يثبتون، ولكن المؤلف أثبَتَ مُفَصَّلاً ونَفَى وكان في نفيه بعض التفصيل.

ولهذا نقول: عند الاختيار لا نقول هذا الكلام -تعالى ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء ونحو ذلك- عند الاختيار لا نقوله كما ذكرت لك وذلك أنَّ هذه الألفاظ فيها مخالفة من أوجه:

⇦ الوجه الأول: أنَّ هذا نفي مُفَصَّل، وهو مخالف لطريقة أهل السنة؛ لأنَّ طريقتهم مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فنَفَى مُجمَلاً وأثبَتَ مُفَصَّلاً.

التعليقات

= ولا يعلم كيفيتها إلا الله سبحانه. وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ لينفوا بها الصفات بغير الصفات التي تكلم الله بها وأثبتها لنفسه حتى لا يفتضحوا وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق. والمؤلف الطحاوي رحمه الله لم يقصد هذا المقصد لكونه من أهل السنة المثبتين لصفات الله وكلامه في هذه العقيدة يفسر بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا ويفسر مشتبهه بمحكمه، وهكذا قوله (لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) مراد الجهات الست المخلوقة، وليس مراده نفي علو الله واستواءه على عرشه؛ لأن ذلك ليس داخلاً في الجهات الست، بل هو فوق العالم ومحيط به. وقد فطر الله عباده على الإيمان بعلوه سبحانه وأنه في جهة العلو، وأجمع أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان على ذلك. والأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة كلها تدل على أنه في العلو سبحانه، فتنبه لهذا الأمر العظيم أيها القارئ الكريم واعلم أنه الحق وما سواه باطل، والله الموفق.

الشيخ الفوزان: هذا فيه إجمال: إن كان يريد الحدود المخلوقة فالله منزه عن الحدود والحلول في المخلوقات، وإن كان يريد بالحدود: الحدود غير المخلوقة، وهي جهة العلو، فهذا ثابت لله جل وعلا وتعالى، فالله لا ينزه عن العلو؛ لأنه حق، فليس هذا من باب الحدود ولا من باب الجهات المخلوقة...=

......والشيخ رحمه الله أراد الرد بهذا الكلام على المشبهة، كداود الجواربي وأمثاله القائلين: إن الله جسم، وإنه جثة وأعضاء وغير ذلك! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا؛ فالمعنى الذي أراده الشيخ رحمه الله من النفي الذي ذكره هنا حق، لكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقًا وباطلاً، فيحتاج إلى بيان ذلك.

وهو: أن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حدًا، وأنهم لا يحدون شيئًا من صفاته. قال أبو داود الطيالسي: كان سفيان وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة - لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث ولا يقولون: كيف؟ وإذا سئلوا قالوا بالأثر.........

⇐ الوجه الثاني: أنَّ هذه الكلمات لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، فلهذا الذي لم يَرِد لا يَحسُن أن ننفيه ولا أن نُثبِتَه؛ لأنَّ طريقتنا هو اقتفاء الكتاب والسنة. فلفظ الحد والغاية والركن والأعضاء والأدوات والجهات، كل هذه ما جاءت في القرآن ولا في السنة، فلذلك لا نثبتها ولا ننفيها.

وليس معنى النفي أَنَّهَا مُحتَمِلَة، فإذا قال أهل السنة (لا ننفيها) لا يُفهم منه يعني أنَّ معناها محتملة، لا؛ ولكن لا ننفيها لأننا لا نتجاوز القرآن والحديث، هذا أمر غيبي كيف نتجاسر عليه بدون دليل؛ فلذلك نقول لا نُثبت إلا بدليل ولا ننفي إلا بدليل.

فإذًا استعمال هذه الألفاظ لا يسوغ، والمؤلف يُؤَاخَذ -رحمه الله- في استعماله هذه الألفاظ؛ لأنها من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة.

التعليقات

= والغايات فيها إجمال أيضًا، فهي تحتمل حقًا وتحتمل باطلاً، فإن كان المراد بالغاية: الحكمة من خلق المخلوقات، وأنه خلقها لحكمة، فهذا حق، ولكن يقال: حكمة، لا يقال: غاية، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، وإن أريد بالغاية: الحاجة إلى المخلوقات، فنعم، هذا نفي صحيح، فالله - عز وجل- لم يخلق الخلق لحاجته وفقره إليهم، فإنه غني عن العالمين

(والأركان، والأعضاء، والأدوات) فيها إجمال أيضًا، إن أُريد بالأركان والأعضاء والأدوات: الصفات الذاتية مثل الوجه، واليدين، فهذا حق، ونفيه باطل. وإن أُريد نفي الأعضاء التي تشابه أعضاء المخلوقين وأدوات المخلوقين فالله سبحانه منزه عن ذلك، فالأبعاض والأعضاء فالحاصل أن هذا فيه تفصيل:

أولاً: إذا أُريد بذلك نفي الصفات الذاتية عن الله تعالى من الوجه واليدين، وما ثبت له سبحانه وتعالى من صفاته الذاتية، فهذا باطل...=

ابن أبي العز الحنفي

.... وسيأتي في كلام الشيخ: وقد أعجز خلقه عن الإحاطة به. فعلم أن مراده أن الله يتعالى عن أن يحيط أحد بحده، لأن المعنى أنه متميز عن خلقه منفصل عنهم مباين لهم. سئل عبد الله بن المبارك: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائن من خلقه، قيل: بحد؟ قال: بحد. انتهى

ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه. فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً؛ فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته....

الشيخ صالح

طبعًا الحد والغاية متقارب في أن يكون له حد ينتهي إليه اتصافه بالصفة، وفي هذا مسألتان:

✍ **المسألة الأولى:**

أنَّ طائفة من العلماء لما ذَكَرُوا الاستواء على العرش لله ﷻ سُئِلُوا: بحدٍّ؟ قالوا: بحد. وهم طائفة من أئمة أهل السنة كابن المبارك والثوري وجماعة من الأئمة، وهذا يُوَجَّه بأنَّ استعمالهم لفظ (الحد) مع أنه لم يأتِ في الكتاب والسنة لأجل أن يبطلوا دعوى الجهمية في أنَّ الله في كل مكان.

التعليقات

= ثانيًا: أما إن أُريد بذلك أن الله منزه عن مشابهة أبعاض المخلوقين وأعضاء المخلوقين وأدوات المخلوقين، فنعم، الله منزه عن ذلك؛ لأنه لا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته.

الحاصل: أن هذه الألفاظ التي ساقها المصنف فيها إجمال ولكن يحمل كلامه على الحق؛ لأنه -رحمه الله تعالى- من أهل السنة والجماعة، ولأنه من أئمة المحدثين، فلا يمكن أن يقصد المعاني السيئة، ولكنه يقصد المعاني الصحيحة، وليته فصّل ذلك وبيّنه ولم يجمل هذا الإجمال.

(٢) الشيخ الألباني: قلت: مراد المؤلف - رحمه الله- بهذه الفقرة الرد على طائفتين:

الأولى: المجسمة والمشبهة الذين يصفون الله بأن له جسما وجثة وأعضاء وغير ذلك تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

والأخرى: المعطلة الذين ينفون علوه تعالى على خلقه وأنه بائن من خلقه، بل يصرح بعضهم بأنه موجود بذاته في كل الوجود وهذا معناه حلول الله في مخلوقاته. وأنه محاط بالجهات الست المخلوقة وليس فوقها فنفى المؤلف ذلك بهذا الكلام. ولكن قد يستغل ذلك بعض المبتدعة ويتأولونه بما قد يؤدي إلى التعطيل كما بينه الشارح - رحمه الله تعالى- وقد لخص كلامه الشيخ محمد بن مانع عليه الرحمة فقال (ص ١٠): (ومراده بذلك الرد على المشبهة، ولكن هذه الكلمات مجملة مبهمة، وليست من الألفاظ المتعارفة عند أهل السنة والجماعة، والرد عليهم بنصوص الكتاب والسنة أحق أولى من ذكر ألفاظ توهم خلاف الصواب...=

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة.

قال أبو القاسم القشيري في رسالته: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، سمعت أبا منصور بن عبد الله، سمعت أبا الحسن العنبري، سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول، وقد سئل عن ذات الله فقال: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان، من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى، ظاهرًا في ملكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالأبصار، من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.........................

الشيخ صالح

وإذا احتاج المُوَحِّد لبيان عقيدته في المناظرة إلى كلمات تُوضِح الأمر فإنه لا بأس باستعمالها للمصلحة؛ لكن لا تُثبَتُ عقيدة مُستقِلة. يعني إذا جاء أحد يقول: ما هي عقيدتك؟ فلا تقل: عقيدتي أنَّ الله مستوٍ على عرشه بحد. إنما نقول: هو ﷻ مستوٍ على عرشه.

إذا احتيج إلى ذلك في مقامه فقد يُقال ذلك؛ لأنَّ لفظ (بحد) يعني أنه ليس مختلطًا بخلقه ﷻ. فهو سبحانه الحدود والغايات التي تنتهي إليها صفاته كما قال (تَعَالَى عَنِ)؛ لأنَّ الله سبحانه ليس لصفاته حد يعلمه البشر.

قال: (تَعَالَى عَنِ الحُدُودِ) يعني المعلومة (وَالغَايَاتِ) المعلومة.

التعليقات

= ففي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المشبهة والمعطلة فلا ينبغي لطالب الحق الالتفات إلى مثل هذه الألفاظ ولا التعويل عليها؛ فإن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت العظمة والجلال فهو سبحانه فوق مخلوقاته مستوٍ على عرشه المجيد بذاته بائن، من خلقه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ويأتي يوم القيامة وكل ذلك على حقيقته ولا نؤوله كما لا نؤول اليد بالقدرة والنزول بنزول أمره وغير ذلك من الصفات، بل نثبت ذلك إثبات وجود لا إثبات تكييف. وما كان أغنى الإمام المصنف عن مثل هذه الكلمات المجملة الموهمة المخترعة ولو قيل: إنها مدسوسة عليه وليست من كلامه لم يكن ذلك عندي ببعيد إحسانًا للظن بهذا الإمام وعلى كل حال فالباطل مردود على قائله كائنًا من كان ومن قرأ ترجمة المصنف الطحاوي لا سيما في لسان الميزان عرف أنه من أكابر العلماء وأعاظم الرجال وهذا هو الذي حملنا على إحسان الظن فيه في كثير من المواضع التي فيها مجال لناقد. انتهى كلام ابن مانع رحمه الله..................................=

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما لفظ الأركان والأعضاء والأدوات - فيستدل بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية، كاليد والوجه. قال أبو حنيفة ﷺ في الفقه الأكبر: له يد ووجه ونفس، كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يقال: أن يده قدرته ونعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، انتهى. وهذا الذي قاله الإمام رضي الله عنه، ثابت بالأدلة القاطعة: قال تعالى: ﴿ مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾، ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾..............................

الشيخ صالح

فإذًا هو بناء شيء على شيء، فلا يُثبَت الثاني لأجل ورود الأول بل الثاني مَنفِي فكذلك الأول نقول ليس له حد. «مَا انتَهَى إِلَيهِ بَصَرُهُ مِن خَلقِهِ» الله ﷻ ينفذُ بصره في جميع بريته ﷻ، وكل ما سواه ﷻ مخلوق. فإذًا بصره ينتهي في جميع مخلوقاته، فإذًا لو كَشَفَ الحجاب لأحرقت سبحات وجهه كل مخلوقاته.

فإذًا هذا ليس فيه إثبات الحد والغاية، وإنما هذا فيه إثبات أنه ﷻ مُطلَق في اتصافه بصفاته لا حد؛ يعني لذلك يُثبت؛ بل نقول: هو سبحانه كامل في صفاته.

قال: (وَالأَركَانِ وَالأَعضَاءِ وَالأَدوَاتِ) هذه الألفاظ الثلاث -الركن والعضو والأداة، هذه راجعة إلى الصفات الذاتية يعني مثل اليد، القدم، العينين ومثل الوجه إلى آخره، فهذا ينفي أن يكون هذا عضوًا أو ركنًا أو أداةً أو نحو ذلك؛ لأنَّ هذه الأشياء في المخلوق فينزّه الرب ﷻ عنها، هذا مراده.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: نقول: هذا فيه إجمال، إن أُريد الجهات المخلوقة، فالله منزّه عن ذلك، لا يحويه شيء من مخلوقاته، وإن أُريد جهة العلو وأنه فوق المخلوقات كلها، فهذا حق ونفيه باطل، ولعل قصد المؤلف بالجهات الست، أي: الجهات المخلوقة؛ لا جهة العلو؛ لأنه مثبت للعلو -رحمه الله- ومثبت للاستواء..............................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال تعالى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾.

وقال ﷺ في حديث الشفاعة لما يأتي الناس آدم فيقولون له: «**خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء ...**»، الحديث. ولا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد: القدرة، فإن قوله: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾.

لا يصح أن يكون معناه بقدرتي مع تثنية اليد، ولو صح ذلك لقال إبليس: وأنا أيضًا خلقتني بقدرتك، فلا فضل له عليَّ بذلك، فإبليس -مع كفره- كان أعرف بربه من الجهمية، ولا دليل لهم في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴾.

لأنه تعالى جمع الأيدي لما أضافها إلى ضمير الجمع؛ ليتناسب الجمعان، فاللفظان للدلالة على الملك والعظمة. ولم يقل: أيدي مضافا إلى ضمير المفرد، ولا يدينا بتثنية اليد مضافا الى ضمير الجمع. فلم يكن قوله: ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ نظير قوله: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾.

وقال النبي ﷺ عن ربه عز وجل: حجابه النور، ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه..

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

يُشكِل على هذا ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم وغيره وهو قوله ﷺ في وصف الرب ﷻ: «**حِجَابُهُ النّورُ، لَو كَشَفَهُ لأَحرَقَت سُبُحَاتُ وَجهِهِ مَا انتَهَى إِلَيهِ بَصَرُهُ مِن خَلقِهِ**»، فهل معنى ذلك أنَّ البصر محدود بالخلق؟

وكما ذكرت لك المُقرَّر أنَّ هذه الأشياء لا تُقال لا نفيًا ولا إثباتًا؛ بل لا نذكر ذلك؛ لأن الله سبحانه أعظم من أن يُنفى عنه استعمال هذه الألفاظ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

قال: (لاَ تَحوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبتَدَعَاتِ). (المُبتَدَعَاتِ) يعني المخلوقات، وقوله: (كَسَائِرِ المُبتَدَعَاتِ) سائر في اللغة تستعمل بمعنى بقية، ولذلك قيل لبقية الشراب: سؤر.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... ولكن لا يقال لهذه الصفات: إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان؛ لأن الركن جزء الماهية، والله تعالى هو الأحد الصمد، لا يتجزأ، سبحانه وتعالى، والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية، تعالى الله عن ذلك، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾.

والجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع. وكذلك الأدوات هي الآلات التي يُنتَفَع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة. وكل هذه المعاني منتفية عن الله تعالى، ولهذا لم يرد ذكرها في صفات الله تعالى.

فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فكذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفيًا ولا إثباتًا؛ لئلاَّ يثبت معنى فاسد، أو ينفى معنى صحيح. وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمحق والمبطل.

وأما لفظ الجهة، فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقًا، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك..

الشيخ صالح

والجواب عن ذلك: أنَّ هذا إحالة على -يعني في قوله: «مَا انتَهَى إِلَيهِ بَصَرُهُ مِن خَلقِهِ»- في أنَّ الإحراق إحراق السبحات لما انتهى إليه البصر، والبصر لا ينتهي لحد، فكذلك الإحراق لا ينتهي لحد.

فكلمة سائر يعني البقية، تقول مثلاً: أتاني محمد وسائر الإخوان، يعني وبقية الإخوان، لكن هنا استعملها بمعنى (كل) (كَسَائِرِ المُبتَدَعَاتِ) يعني ككل المخلوقات. المخلوقات تحويها الجهات الست. (لاَ تَحوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبتَدَعَاتِ) الجهات الست ما هي عندهم؟ الجهات الست أمام وخلف ويمين وشمال وأعلى وأسفل. هذه الجهات الست مخلوقة، وهذه المخلوقة لا تحوي الرب ﷻ؛ بل الله ﷻ فوق مخلوقاته. لكن ما من مخلوق من هذه الجهات الست إلا وهو نسبي إضافي ليس مطلقًا. فما من شيء إلا وأمامه شيء، وهو أمام شيء، وهو يمين شيء وثَمَّ شيء آخر يمين، وهكذا.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وإن أريد بالجهة أمر عدميٌّ، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل: إنه في جهةٍ بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع، عالٍ عليه.

ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو، يذكرون من أدلتهم: أن الجهات كلها مخلوقة، وأنه كان قبل الجهات، وأن من قال: إنه في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم، وأنه كان مستغنيًا عن الجهة، ثم صار فيها. وهذه الألفاظ ونحوها إنما تدل على أنه ليس في شيء من المخلوقات، سواء سُمِّي جهة أو لم يُسَمَّ، وهذا حق. ولكن الجهة ليست أمرًا وجوديًّا، بل أمر اعتباري، ولا شك أن الجهات لا نهاية لها، وما لا يوجد فيما لا نهاية له فليس بموجود...

الشيخ صالح

مثل ما نقول: نحن الآن أسفل -يعني في أرض المسجد-؛ لكن بالنسبة لمن تحتنا -في القَبْو مثلا إذا كان فيه قَبْوٌ- نحن فوق مثلا، واحد ساكن في أدوار الدور الأول فوق الدور الأرضي فهو أعلى؛ لكن هو بالنسبة للدور الثاني أسفل.

إذًا الجهات هذه ليست مطلقة، وإنما هي نسبية، فتقول: يمين، ليس ثَمَّ يمين مطلق في حياة المخلوقات وإنما هو يمين إضافي، لا تقل شمال مطلق إنما هو شمال إضافي، أمام مطلق إنما هو أمام إضافي؛ يعني نسبي تَنسُبُه إليك وتَنسِبُه إليك. تقول أمامي، أمام فلان، يمين فلان إلى آخره.

ولهذا الجهة -جهة العلو- إذا نسبتها للمخلوق فثَمَّ جهة لنا هي حال، وثَمَّ جهة لمن هم في الجهة الثانية من الأرض هي لها حال أخرى، فنحن جهة العلو عندنا فوق، وجهة السُّفل هم، وهم بالعكس يعني الذين في الجهة الثانية من الأرض.

إذًا فجهة العلو وجهة السُّفل هذه نسبية لك، تقول: هذا أعلى، ليس هذا هو العلو المطلق هذا العلو المنسوب إليك. والذي في الجهة الثانية من الكرة الأرضية العلو هو المنسوب إليه. فإذن هذه أمور نسبية في الجهات.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وقول الشيخ رحمه الله: (لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات)، هو حق، باعتبار أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته، بل هو محيط بكل شيء وفوقه. وهذا المعنى هو الذي أراده الشيخ رحمه الله؛ لما يأتي في كلامه: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوقه. فإذا جمع بين كلاميه، وهو قوليه: لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، وقوله: محيط بكل شيء وفوقه - علم أن مراده أن الله تعالى لا يحويه شيء، ولا يحيط به شيء، كما يكون لغيره من المخلوقات، وأنه تعالى هو المحيط بكل شيء، العالي عن كل شيء.

لكن بقي في كلامه شيئان: أن إطلاق مثل هذا اللفظ - مع ما فيه من الإجمال والاحتمال - كان تركه أولى، وإلا تسلط عليه، وألزم بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية ونفي جهة العلو، وإن أجيب عنه بما تقدم، من أنه إنما نفى أن يحويه شيء من مخلوقاته، فالاعتصام بالألفاظ الشرعية أولى..

الشيخ صالح

فإذا أردت المطلق فثَمَّ شيء واحد فقط وهو العلو المطلق على جميع المخلوقات، غير منسوب لطائفة من المخلوقات أو لبعض المخلوقات، وهو علو الرب ﷻ.

إذًا فنقول: هذه الجهات الست إذا أريد بها النسبي، فنقول: نعم الله سبحانه وتعالى لا تحويه الجهات النسبية؛ يميني وفوقي وأمامي وشمالي وإلى آخره، لا تحويه.

لكن المطلق لا نقول: تحوي ولا ما تحوي؛ لأنَّ الله سبحانه فوق مخلوقاته، والمخلوقات هذه محتاجة إليه، لكن له العلو المطلق، هو سبحانه ﷻ كلتا يديه يمين، اليمين المطلق ليس النسبي، وهو سبحانه وسع كل شيء، واسع ﷻ.

فإذًا تنتبه إلى أنَّ هذه المخلوقات نسبية وليست مطلقة. فإذًا قوله: (**لاَ تَحوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ**) ليس في هذا مَنحَى من منحى أهل البدع في نفي العلو، لا؛ لكن هذه يعني بها الجهات الست النسبية كسائر المخلوقات.

كل مخلوق لابد أن يكون محصورًا بهذه الجهات؛ يعني أعلى أسفل يمين شمال والثاني كذلك والثالث كذلك.

التعليقات

....

..... الثاني: أن قوله: كسائر المبتدعات - يفهم منه أنه ما من مبتدع إلا وهو محوي!! وفي هذا نظر. فإنه إن أراد أنه محوي بأمر وجودي، فممنوع، فإن العالم ليس في عالم آخر، وإلا لزم التسلسل، وان أراد أمرًا عدميًا، فليس كل مبتدع في العدم، بل منها ما هو داخل في غيره، كالسماوات والأرض في الكرسي، ونحو ذلك، ومنها ما هو منتهى المخلوقات، كالعرش. فسطح العالم ليس في غيره من المخلوقات، قطعًا للتسلسل، كما تقدم.

ويمكن أن يجاب عن هذا الإشكال: بأن سائر بمعنى البقية، لا بمعنى الجميع، وهذا أصل معناها، ومنه السؤر، وهو ما يبقيه الشارب في الإناء...

وهذه مسألة مهمة تفيدك في كل ما يوصف الرب ﷻ به لا تقسه بالمخلوق؛ اجعله مطلقًا.

مثل الآن مسألة النزول «**ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر**» أو «**في النصف الآخر من الليل**» أو «**آخر كل ليلة**» على اختلاف الروايات والألفاظ.

هذه ثلث الليل هل هو منسوب لك أو منسوب للزمان المطلق؟ هنا ننسبه للزمان المطلق، الذي يدخل فيه الزمان النسبي بالنسبة للمخلوق الواحد. كذلك جهة العلو أنت تدعو ربك ﷻ إلى أعلى، ونعلم أنه فوقنا ﷻ، ومن هو في الجهة الثانية هو فوقه أيضًا وهو في جهة أخرى، نحن مثلاً نتجه كذا وهو في الجهة الثانية من الأرض يتجه عكس الاتجاه، أليس كذلك؟ لكن هذا علو نسبي، وهذا علو نسبي.

وإذا أردت العلو المطلق فتأمل قول الله ﷻ: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، وتأمل أنَّ السموات السبع الأرض بالنسبة لها صغيرة، والسموات السبع بالنسبة للكرسي صغيرة، والكرسي بالنسبة للعرش أيضًا كحلقة ألقيت في ترس صغير.

فإذًا كلها تتلاشى، ويبقى الإطلاق في الزمان وفي المكان بما يجعل معه أنَّ تَصَوُّر العبد لما يوصف الله ﷻ به نسبيٌّ يجني على نفسه ويدخل في النفي أو التشبيه.

فيجب أن يكون ما يؤمن به الموحد من صفات الله ﷻ على ما جاء في الكتاب والسنة، وكل ما جاء هو على الإطلاق، لا على ما تعرفه أنت من نفسك.

ابن أبي العز الحنفي

..... فيكون مراده غالب المخلوقات، لا جميعها؛ إذ السائر على الغالب أدل منه على الجميع، فيكون المعنى: أن الله تعالى غير محوي - كما يكون أكثر المخلوقات محويًا، بل هو غير محوي - بشيء، تعالى الله عن ذلك.

ولا نظن بالشيخ رحمه الله أنه ممن يقول: إن الله تعالى ليس داخل العالم، ولا خارجه بنفي التعيينين، كما ظنه بعض الشارحين، بل مراده: أن الله تعالى منزه عن أن يحيط به شيء من مخلوقاته، وأن يكون مفتقرًا إلى شيء منها، العرش أو غيره.

وفي ثبوت هذا الكلام عن الإمام أبي حنيفة ﷺ نظر، فإن أضداده قد شنعوا عليه بأشياء أهون منه، فلو سمعوا مثل هذا الكلام لشاع عنهم تشنيعهم عليه به، وقد نقل أبو مطيع البلخي عنه إثبات العلو، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وظاهر هذا الكلام يقتضي نفيه، ولم يرد بمثله كتاب ولا سنة، فلذلك قلت: إن في ثبوته عن الإمام نظرًا، وإن الأولى التوقف في إطلاقه، فإن الكلام بمثله خطر، بخلاف الكلام بما ورد عن الشارع، كالستواء والنزول ونحو ذلك ....

الشيخ صالح

والإطلاق اللائق بالله ﷻ يدخل فيه ما يختص بالمعيَّن من المخلوقين، تبارك ربنا وتعاظم وتقدس ﷻ وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وكان الله بكل شيء محيطًا ﷻ وتقدّست أسماؤه.

وأسأل الله سبحانه أن ينفعنا وإياكم في هذه العقيدة، وأن يجعلنا صالحين مصلحين، وأن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

التعليقات

....

.... والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ(١)

ابن أبي العز الحنفي

..... ومن ظن من الجهال أنه إذا نزل الى سماء الدنيا كما أخبر الصادق ﷺ - يكون العرش فوقه، ويكون محصورًا بين طبقتين من العالم! فقوله مخالف لإجماع السلف، مخالف للكتاب والسنة، وقال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: سمعت الأستاذ أبا منصور بن حماد- بعد روايته حديث النزول - يقول: سئل أبو حنيفة رضي الله عنه فقال: ينزل بلا كيف. انتهى.

وإنما توقف من توقف في نفي ذلك؛ لضعف علمه بمعاني الكتاب والسنة وأقوال السلف، ولذلك ينكر بعضهم أن يكون فوق العرش، بل يقول: لا مباين، ولا مجانب، لا داخل العالم ولا خارجه، فيصفونه بصفة العدم والممتنع، ولا يصفونه بما وصف به نفسه من العلو والاستواء على العرش، ويقول بعضهم: بحلوله في كل موجود، أو يقول: هو وجود كل موجود ونحو ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

وسيأتي لإثبات صفة العلو لله تعالى زيادة بيان، عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: محيط بكل شيء وفوقه، إن شاء الله تعالى..................

الشيخ صالح

هذه الجملة من كلامه اشتملت على تقرير الإسراء والمعراج، وأنّ النبي ﷺ أُسرِيَ به من مكة إلى بيت المقدس، وأنه عُرج به ﷺ إلى السماء في اليقظة إلى حيث شاء الله ﷻ من العلو.

وهذه المسألة من المسائل الغيبية؛ يعني أنَّ حقيقة الإسراء وحقيقة المعراج من الغيب الذي لم يُعلم إلا من جهته ﷺ.

التعليقات

=(١) الشيخ الفوزان: معنى الإسراء هو السير ليلاً، فقد أُسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة، أسرى به جبريل بأمر من الله تعالى قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾..............................=

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (والمعراج حق، وقد أُسْرِي بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة، إلى السماء. ثم إلى حيث شاء الله من العلا وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى. فـ ﷺ في الآخرة والأولى).

ش: المعراج: مفعال، من العروج، أي: الآلة التي يعرج فيها، أي: يصعد، وهو بمنزلة السلم، لكن لايعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته.

وقوله: (وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة) - اختلف الناس في الإسراء...

الشيخ صالح

يعني أنَّ الله ﷻ أسرَى بِنَبيِّهِ، ثم عَرَج به إلى السماء، فالعقل لا يدلّ على ذلك ولا يستلزمه، وإنما ذلك سُلِّمَ به وكان حقًّا من جهة أن الله ﷻ أخبر به في كتابه وأخبر به نبينا ﷺ، فالإيمان به واجب، وهو حق لا مِرية فيه.

وثَمَّ كما سمعت ارتباط ما بين الإسراء والمعراج. والإسراء والمعراج معنيان مختلفان:

- فالإسراء: هو المشي في الليل، سَرَى أي: مشى في الليل، وأسرى أي: مشى ليلاً.
- والمعراج: فهو مِفعَال من العروج، وهو اسمٌ للآلة التي عليها عُرِجَ به ﷺ.

والإسراء: هو الانتقال ليلاً من مكة إلى بيت المقدس؛ وكان على دابة بين البغل وبين الحمار تسمى البُرَاق، و العروج إلى السماء فكان على آلة، على سُلَّمٍ خاص وهو المعراج.

فإذن الإسراء اسم للفعل، والمعراج اسم للآلة التي عليها سار ﷺ إلى السماء.

التعليقات

= وهذا من معجزاته عليه الصلاة والسلام؛ لأن هذه المسافة كانت تقطع في شهر أو أكثر، وقطعها النبي ﷺ في ليلة واحدة.

وأما المعراج: فهو آلة الصعود، وعرج يعني صعد ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾، يعني: تصعد، فالعروج معناه: الصعود، والمعراج آلة الصعود التي يصعد بها، وكلاهما ثابت للنبي ﷺ.

فالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما المعراج فمن الأرض إلى السماء، وكل هذا حصل في ليلة واحدة، أُسري به إلى بيت المقدس وصلى فيه بالأنبياء، ثم عرج به إلى السماء وجاوز السبع الطباق، وأراه الله من آياته ما أراه من آياته الكبرى، ثم نزل إلى الأرض، ثم جاء به جبريل إلى المكان الذي أُسري به منه في ليلة واحدة...=

ابن أبي العز الحنفي

..... فقيل: كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده، نقله ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما، ونُقِل عن الحسن البصري نحوه. لكن ينبغي أن يعرف الفرق بين أنْ يقال: كان الإسراء منامًا، وبين أن يقال: كان بروحه دون جسده، وبينهما فرق عظيم.

فعائشة ومعاوية رضي الله عنهما لم يقولا: كان منامًا، وإنما قالا: أسري بروحه ولم يفقد جسده، وفرق ما بين الأمرين: أن ما يراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم في الصورة المحسوسة، فيرى كأنه قد عرج إلى السماء، وذهب به إلى مكة، وروحه لم تصعد ولم تذهب، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال.

فما أراد أن الإسراء منامًا، وإنما أراد أن الروح ذاتها أسري بها، ففارقت الجسد ثم عادت اليه، ويجعلان هذا من خصائصه، فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت.........................

الشيخ صالح

إذا كان كذلك، فالإسراء وهو المشي ما بين مكة إلى بيت المقدس ليلاً في ساعات معدودة ثم الرجوع، هذا أمر غيبي عجيب، لهذا الإيمان به واجب بتفاصيله التي وردت، فيكون له أصل الكلام على الغيبيات.

فما جاء فيه يُصدَّق دون تعرض للعقل فيه؛ يعني أنَّ العقل لا مَسرَح له في الأمور الغيبية فكل ما جاء فيه حق دون تفكير فيه من جهة العقل؛ هل هذا يمكن عقلا أو لا يمكن؟

كذلك المعراج وهو أبلغ في كونه غيبيًا، فإن آلة العروج وذهاب النبي ﷺ إلى السماوات السبع يُستَفتَحُ له من سماء إلى سماء إلى أن بلغ سدرة المنتهى إلى أن كلَّم الرحمن ﷻ، هذا أمر غيبي، ففي أصله وفي تفاصيله مندرِج عليه قاعدة الغيبيات عند أهل السنة والجماعة.

التعليقات

= فالإسراء مذكور في سورة الإسراء، والمعراج مذكور في سورة النجم: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾، يعني: جبريل ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، هذا العروج، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾، من ربه سبحانه وتعالى أو أن جبريل دنا من الرسول ﷺ: ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾.........................=

..... وقيل: كان الإسراء مرتين، مرة يقظة، ومرة منامًا. وأصحاب هذا القول كأنهم أرادوا الجمع بين حديث شريك، وقوله: ثم استيقظت، وبين سائر الروايات. وكذلك منهم من قال: بل كان مرتين، مرة قبل الوحي، ومرة بعده.

ومنهم من قال: بل ثلاث مرات، مرة قبل الوحي، ومرتين بعده. وكلما اشتبه عليهم لفظ زادوا مرة، للتوفيق!! وهذا يفعله ضعفاء أهل الحديث، وإلا فالذي عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة، بعد البعثة، قبل الهجرة بسنة، وقيل: بسنة وشهرين، ذكره ابن عبد البر.

قال شمس الدين ابن القيم: يا عجبًا لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مرارًا! كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسًا، فيقول: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها إلى خمس؟!.........

إذًا فهذا الذي ذكره الطحاوي أصل في الإيمان بالإسراء والمعراج، وأنَّ الإسراء والمعراج أمران غيبيان، وإذا كانا غيبيين فلا يُتعرَّضُ لهما ولا لما جرى فيهما بتأويل أو تحريف يخالف ظاهر ما دلت عليه النصوص، فالنص من الكتاب والسنة دلّ على أنَّ النبي ﷺ أُسرِيَ به ليلاً في وقتٍ قصيرٍ ما بين مكة إلى بيت المقدس.

وأخبر ﷺ أنَّ جبريل جاءه وهو مضطجع في الحطيم، فأخذه فشَقَّ صدره ما بين ثغرة نحره إلى شِعرته إلى أسفل بطنه، وكان أثر المخيط يظهر في صدره ﷺ، فلمَّا شقَّه أخرج قلبه وجيء بطست فيه الإيمان والحكمة، طست من ذهب، قال ﷺ: **«فغُسِلَ قلبي به وحُشي إيمانًا وحكمَة»**، وكان هذا لأجل أن يستعد ﷺ لهذا الأمر الغريب؛ وهو أنه يقطع هذه المسافة الطويلة في الأرض في وقت وجيز، ثم يُصعَد به إلى السماء فيحتاج إلى قلب خاص. ومعلوم أنَّ الإنسان إذا خاف أو استغرب فأَوَلُ ما يتأثر قلبُه.

= فالإسراء والمعراج حق، ومن أنكرهما واستبعدهما فهو كافر بالله عز وجل، ومن تأولهما فهو ضال، ولم ينكره إلا المشركون، فمن يقول: أُسري بروحه دون جسده، أو كان ذلك منامًا لا يقظة، فهذا ضلال؛ لأن الله قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ والعبد اسم للروح والبدن، لا يقال للروح: إنها عبد، وكان الإسراء في حال اليقظة ولم يكن منامًا؛ لأن المنام ليس فيه عبرة، كل الناس يرون الرؤيا ويرون عجائب، وليست خاصة بالنبي ﷺ.

.. وَعُرِجَ بِشَخصِهِ فِي اليَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ(١)..........................

ابن أبي العز الحنفي

..... وقد غلَّط الحفاظ شريكًا في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه، ثم قال: فقدَّم وأخَّر وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث، وأجاد رحمه الله. انتهى كلام الشيخ شمس الدين رحمه الله.

وكان من حديث الإسراء: أنه ﷺ أسري بجسده في اليقظة، على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكبًا على البراق، صحبة جبرائيل عليه السلام، فنزل هناك، وصلَّى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

وقد قيل: إنه نزل بيت لحم وصلى فيه، ولا يصح عنه ذلك البتة، ثم عُرِج من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبرائيل، ففتح لهما، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به، ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عُرِج به إلى السماء الثانية........................

الشيخ صالح

فإذا كان قلبه لا يتأثر من الاختلاف، فإنه يتحمل بدنه ذلك بما أعدَّ الله ﷻ له في ذلك.

قال: «**ثم أخذني جبريل فإذا دابة بين البغل والحمار، فقال: اركب فركبت، ثم سرنا إلى أن وصلنا بيت المقدس**» إلى آخر الحديث.

فهذه الصفات وما جاء فيه مما حصل له في بيت المقدس من لقاء الأنبياء ومن صلاته فيه -يعني صلاته في بيت المقدس- ومن كونه صار إمامًا، واجتماع الأنبياء له، وكونه ﷺ أمَّهُم؛ كل هذا وما ثبت في الأحاديث الصحيحة من الأمور الغيبية التي تجري عليها قاعدة أهل السنة والجماعة في الأمور الغيبية بأنه:

١ - يُسَلَّمُ بها. ٢ - يُؤمَنُ بها.

٣ - ألا يُتعَرَض لها بتأويل يصرفها عن ظاهرها، أو بتحريف يصرفها عن حقائقها.

فنؤمن بها على ما جاء، من جنس جميع الأمور الغيبية التي أخبرنا بها ﷻ، أو أخبرنا بها نبينا ﷺ.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: عُرِج بشخصه، ردٌّ على الذين يقولون: عرج بروحه، بل عرج بشخصه -والشخص اسم للروح والجسم، والله يقول: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

..... ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ العُلاَ، وَأَكرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ(٣)...............

ابن أبي العز الحنفي

..... فاستُفتِح له، فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما، فسلم عليهما، فردا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته، ثم عُرِج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عُرِج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عُرِج به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، فلما جاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك؟

قال: أبكي لأن غلامًا بُعِث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم عرج إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رُفِع له البيت المعمور، ثم عُرِج به إلى الجبار، جل جلاله وتقدست أسماؤه، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بم أُمِرت؟ قال؟ بخمسين صلاة.

فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار: أن نعم، إن شئت، فعلا به جبرائيل حتى أتى به إلى الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه...

الشيخ صالح

المعراج -كما ذكرتُ لك- آلة العُروج وقد جاء وصفها؛ لأنَّ النبي ﷺ لما صلَّى في بيت المقدس أخذه جبريل، قال: «**فوجدتُ سُلَّمين أحدهما ذهب والآخر فضة، فقال لي جبريل: اصعد فصعدتُ**»، وجاء في بعض الروايات أنَّ النبي ﷺ قال في المعراج «**وهذا هو الذي يشخص إليه البصر حين تفارق الروح البدن**» يعني أنَّ هذا المعراج آلة خاصة يُعرج بالبدن وبالروح في السماء بها. فهي إذًا آلة من جنس **الآلات** الله ﷻ أعلم بحقيقتها.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذا المعراج إلى السماء.

. ، وأوحى إليه ما أوحى ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾(١)[النجم: ١١]..............

ابن ابي العز الحنفي

...... هذا لفظ البخاري في صحيحه وفي بعض الطرق - فوضع عنه عشرًا، ثم نزل حتى مر بموسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييت من ربي، ولكن أرضى وأسلم، فلما نفذ، نادى مناد: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي.

وقد تقدم ذكر اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ ربه عز وجل بعين رأسه، وأن الصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه، وقوله: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٣]، صح عن النبي ﷺ أن هذا المرئي جبرائيل، رآه مرتين على صورته التي خلق عليها..........................

الشيخ صالح

إذا تبين ذلك في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في الإسراء والمعراج، على هذا الوجه الإجمالي فثَمَّ هاهنا مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ الإسراء والمعراج يُربطان معًا، وأهل العلم مختلفون في هل تَكَرَّرَ الإسراء والمعراج، أم كانا مرة واحدة؟ على أقوال كثيرة، وأهمها قولان:

- القول الأول: أنَّ الإسراء والمعراج لم يكونا إلا مرة واحدة.
- والقول الثاني: أنَّ الإسراء وقع مرتين، والمعراج وقع مرة واحدة، وهذا هو اختيار الحافظ ابن حجر.

والقول الأول أولى، وهناك من قال: إنَّ المعراج تَكَرَّرَ، وإنَّ الإسراء تَكَرَّرَ ثلاث مرات أو أربع مرات.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: يعني من آيات ربه الكبرى، وأما القول بأنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه ليلتئذ بعينه فلم يثبت كما تقدم التنبيه عليه قريبًا؛ ولذلك قال الشارح وغيره: والصحيح أنه رآه بقلبه ولم يره بعين رأسه.

الشيخ الفوزان: أوحى الله إليه بذلك المكان ما أوحى، وكلمه الله سبحانه ولم ير الله؛ لأن الله لا يُرى في الدنيا، هذا المعراج المذكور في سورة النجم.

.. فَصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى(١).........................

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾، فهو غير الدنو والتدلي المذكورين في قصة الإسراء ؛ فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبرائيل وتدليه، كما قالت عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما، فإنه قال: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم: ٥، ٨].

فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى، وأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء، فذلك صريح في أنه دنو الرب تعالى وتدليه. وأما الذي في سورة النجم: أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، فهذا هو جبرائيل، رآه مرتين، مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى.........

الشيخ صالح

وسبب الاختلاف في تكرر وقوعه هو اختلاف الروايات، فكلما جاءت رواية فيها مُخَالَفة لرواية أخرى مع ثقة النقلة قالوا: إنَّ هذا يُحمل على تعدد الوقوع.

ولكن هذا ليس بجيد ولا بصحيح حيث المنهج ؛ لأنَّ الإسراء - كما هو ظاهر الآية- وقع مرة واحدة ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ [الإسراء: ١].

وقد يكون ثَمَّ احتمال في بعض الروايات أنَّ الإسراء وقع مرتين ؛ لكن الأقرب لظاهر الأدلة أنَّ الإسراء والمعراج وقعا مرة واحدة.

المسألة الثانية:

متى وقع الإسراء والمعراج؟

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذا من حقوقه عليه الصلاة والسلام: أن يصلَّى عليه ويسلم عند ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.

ولما أصبح النبي ﷺ في مكة وأخبر المشركين بهذه الحادثة اشتد كفرهم وتكذيبهم بهذه المناسبة ؛ من أجل أن يشوهوا الرسول ﷺ. ويقولون: نحن نمشي إلى فلسطين مدة شهر فأكثر، وهو يقول: في ليلة واحدة ! فارتد بعض ضعاف الإيمان بسبب هذه الحادثة، وأما أهل الإيمان الصحيح فثبتوا وصدقوا ؛ ولهذا لما قالوا لأبي بكر رضي الله عنه: أما ترى صاحبك كيف يقول؟ قال: وماذا يقول؟ قالوا: إنه يقول: إنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء في ليلة واحدة، قال: فإن كان قاله فهو كما قال ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى. وقال: أنا أصدقه بخبر السماء -أي الوحي- أفلا أصدقه في هذا؟! هذا هو الإيمان الثابت الراسخ الذي لا يتزعزع.

ابن أبي العز الحنفي

...... ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة، قوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾. والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح. فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلاً، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر.

فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء الى بيت المقدس أولاً؟ فالجواب - والله أعلم: أن ذلك كان إظهارًا لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن غيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.....

الشيخ صالح

۞ القول الأول: وهذا عليه أكثر أهل العلم على أنَّ الإسراء والمعراج وقعا قبل الهجرة بسنة، على تباين بينهم في هل السنة تحديدًا أم السنة تقريبًا؟

- فقال بعضهم: سنة إلا شهر.
- وقال بعضهم: سنة إلا شهرين.
- وقال آخرون: ثمانية أشهر قبل الهجرة.
- وقال آخرون: عشرة...إلى آخره.

وإذا تبين هذا الاختلاف في كونه قبل الهجرة بسنة لهذا القول، فإنّ معه عدم تحديد وقوع الإسراء والمعراج في شهر رجب. واشتَهَرَ عند المؤرخين، أصحاب السير أنَّ الإسراء والمعراج وقعا في رجب؛ ليلة السبع والعشرين.

وهذا إنما هو عند طائفة من أهل السّير، وأما أهل العلم المحققون من المحدثين والفقهاء ومن المفسرين فإنهم لا يحملون ذلك على الوقوع في شهر رجب بظهور، وإنما يقولون: وقع قبل الهجرة بسنة. ومعلوم أنَّ الهجرة كانت في شهر ربيع الأول، وإذا كان كذلك فقولهم قبله بسنة يعني أنّ الإسراء والمعراج لم يقع في رجب.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه، لمن تدبره، وبالله التوفيق.........

الشيخ صالح

والأكثرون من أهل العلم على أنه أكثر من سنة: سنة وشهرين، سنة وثلاثة أشهر ونحو ذلك، والقليل من قال: إنه ثمانية أشهر. هذا قول: إنه كان قبل سنة.

القول الثاني: إنه كان قبل ثلاث سنين.

القول الثالث: إنه كان قبل خمس سنين، واستدلّوا على ذلك بأنَّ خديجة صلّت وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين أو بخمس سنين، قالوا: كيف تصلي وإنما فُرضت الصلوات في ليلة المعراج؟ فكونها صلت يدلّ على أن المعراج وقع في حياتها، وهي ماتت قبل الهجرة بثلاث أو بخمس سنين.

والجواب عن هذا: أنَّ الصلاة كانت مفروضة ركعتين ركعتين؛ ركعة أول النهار وركعة آخر النهار، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «**فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ركعتين، فزيد في صلاة الحضر، وأُقرت صلاة السفر**». فخديجة رضي الله عنها كانت تصلي؛ ولكن لم تكن الصلاة المفروضة؛ الصلوات الخمس التي فرضت ليلة المعراج.

المسألة الثالثة:

الإسراء والمعراج هل وقعا بجسد النبي ﷺ أم بروحه؛ يعني بجسده وروحه، أم بروحه فقط، أم كانا منامًا؟ اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك:

- فقالت طائفة: كان الإسراء والمعراج بروحه.
- وقال آخرون: بل بروحه وبجسده.

ولم يقل أحد منهم: إنَّ الإسراء والمعراج كانا منامًا، فلهذا لا يسوغ أن يُنسَب هذا القول للسلف؛ بل قاله بعض العلماء الذين لم يُدَقّقوا الفرِق بين قول من قال: إنه روح وبين أن يكون منامًا.

والصواب الذي عليه عامة أهل السنة؛ أكثر أهل السنة: أنه كان بجسده وروحه معًا في الإسراء والمعراج، ولم يقل أحد من المتسبين لأهل العلم -فيما أعلم-: إنه أُسري بجسده وروحه وعرج بروحه فقط، وإنما ثمَّ اتفاق ما بين الإسراء والمعراج؛ لأنه لم يقل أحد أنه ذهب ونام في بيت المقدس.

التعليقات

إذًا نقول: الصواب أنَّ الإسراء والمعراج كانا بروحه وجسده معًا، ويدلُّ على ذلك أدلة منها:

① أنَّ الله ﷻ قال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

قوله: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ العبد: اسم للجسد والروح معًا، وليس اسمًا للروح، وإنما الروح تُخَصُّ بالإضافة، فيقال: روح العبد، «**روح عبدي فلان**»، كما جاء في بعض الأحاديث، وكذلك الجسد يُخَص، فيقال: جسد فلان، أو جسد عبدي فلان؛ يعني إذا كان من الله ﷻ. أما إطلاق لفظ العبد أو الإنسان فإنه يكون لمجموع الروح والجسد.

فإذًا في قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ دليل على أنَّ الإسراء كان بالروح والجسد معًا، وإذا كان في الإسراء كذلك، فالمعراج كان بهما جميعًا.

② أنَّ النبي ﷺ أخبر أنه كان مضطجعًا في بيته، أو في بيت أم هانئ، ففُرِج السقف فنزل جبريل، وفي رواية «**أنه ﷺ كان مضطجعًا في الحطيم**» -في الصحيحين- **فأخذه جبريل فشق صدره ما بين ثُغرَةِ نحره إلى أسفل بطنه، واستخرج قلبه**... إلى آخره، وهذه إنما تكون للجسد، ولا معنى للإسراء بالجسد بدون روح، فصار ثَمَّ تلازم ما بين الإسراء بالجسد والروح معًا.إلى أدلة أخرى في هذا المقام معروفة.

✍ المسألة الرابعة:

أنَّ الإسراء والمعراج اختلفت فيها الأحاديث. فمن الأحاديث ما أُفرد فيه الإسراء دون المعراج، ومنها ما أُفرد فيه المعراج دون الإسراء، وهي في الصحيح وفي غيره.

وما جرى في الإسراء، وما جرى في المعراج يؤخذ من مجموع الأحاديث؛ يعني أن تُجمع الرّوايات الصحيحة التي جاءت في الإسراء وجاءت في المعراج، ويُنظَر ما حدث في الإسراء والمعراج.

يعني أنَّ بعض الروايات -مثلاً فيما رواه البخاري في صحيحه- قال «**فأتاني جبريل فأخذني فأركبني على البراق فعرجت في السماء -أو فعرج بي إلى السماء- فاستفتح**» وهذا فيه نقص؛ لأنَّ العروج في السماء إنما كان بعد الذهاب إلى بيت المقدس.

الشيخ صالح

وفي بعض الروايات فيها نقص.

المقصود أنَّ الإسراء والمعراج تنوعت الروايات فيه، ونبَّه أهل العلم على أنَّ أحدى الروايات في الإسراء والمعراج -مما رُوِيَ عن أنس ﷺ أنَّ فيها خلطًا، وهي رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر في البخاري وفي غيره.

ومسلم ﷺ حينما ذكر الرواية في صحيحه أشار إلى رواية شريك بن عبد الله عن أنس، وقال: فزاد ونقص -يعني شريكًا- فزاد ونقص وقَدَّمَ وأَخَّرَ ولم يسق روايته، وفي روايته أغلاط عند أهل العلم، خالف فيها مجموع أهل العلم الذين رَوَوا ذلك عن الصحابة. إذًا فمسألة الروايات بها يُعلم ما حصل.

وبالنسبة للمعراج رواية الإسراء فيها يعني الإسراء والمعراج معًا؛ يعني مجموع الروايات، فيه أنَّ فيه وصف الدابة، وفيه تسميتها بالبُراق؛ وتسمية هذه الدابة بالبُراق لأمرين:

❑ الأول: أنها في سرعتها كالبرق، وقد جاء في وصفها أنها -يعني البراق أو أنَّ الدابة- تضع حافرها حيث ينتهي بصرها، ومعلوم أنَّ الإسراء كان بالليل ومعنى ذلك أنها تبصر ليلاً وأنَّ سرعتها عظيمة، فلذلك كان من أوجُهِ تسميتها بالبراق أنَّ سرعتها كالبرق.

❑ الثاني: أنَّ لها بريقًا، ولذلك جاء في وصفها أنها دابة بيضاء بين البغل والحمار، ذلك لأنَّ لها بريقًا والبريق يؤخذ من البياض.

النبي ﷺ في الإسراء به مرَّ على أشياء كثيرة حتى وصل إلى بيت المقدس.

قال طائفة من أهل العلم: ارتبط الإسراء بالمعراج؛ مع أنَّهُ لا رابط بينهما من جهة العروج إلى السماء فإنه يمكن أن يكون العروج إلى السماء من مكة، ارتبط الإسراء بالمعراج لأمورٍ؛ يعني لِحِكَم فيما استظهروه:

➥ الحكمة الأولى: أن يطلع النبي ﷺ في مسيره على الأرض على أشياء تكون أقوى لحجته إذا سأله المشركون، ولو عُرِجَ به إلى السماء مباشرة فإذا سألوه فلن يكون عنده ما يُقَوِّي حجته عليهم بهذا الأمر، ولهذا لما رجع سألوه فأخبرهم عن خبر قافلة، فلما رجع أهل القافلة سألوهم فقالوا: نعم حصل كذا وكذا.

التعليقات

← الحكمة الثانية: أنَّ فيها إظهارًا للترابط ما بين مكة وما بين بيت المقدس، وأنَّ بيت المقدس كان قبلة وأنَّ مكة كانت قبلة، فلم يَتَوَجَّه أتباعُ الأنبياء إلا إلى: بيت المقدس وإلى مكة المكرمة -يعني إلى الكعبة-.

← الحكمة الثالثة: أن يظهر فضل محمد ﷺ حيث يلتقي بالأنبياء في بيت المقدس، ثم يصلي بهم.

وقد جاءت روايات مختلفة صحيحة في دخول النبي ﷺ إلى المسجد الأقصى.

ففيها أنه دخل فقال له جبريل: صَلِّ ركعتين، فصلى ركعتين أو صلى جبريل ركعتين، ثم وجد الأنبياء ووجد صفوفًا خلفه فصف معهم، ثم قَدَّمَه جبريل عليه السلام فصلى بهم.

ففي هذا إظهار لفضله ﷺ ولمكانته ومَزِيَّتِهِ بالإمامة على سائر الأنبياء ﷺ.

أيضًا مما يذكر في الإسراء أنَّه ﷺ مَرَّ بموسى في قبره، قال -كما رواه مسلم- «**مَرَرتُ لَيلَةَ أُسرِيَ بِي بِمُوسَى وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبرِهِ عِندَ الكَثِيبِ الأَحمَرِ**».

وهذا الحديث رواه مسلم في الصحيح، وطائفة من أهل العلم قالوا: إنَّ في هذا الحديث شذوذًا أو نكارة ولم يقبلوه، والأكثرون على قَبوله؛ يعني أن هذا الحديث صحيح، وابن القيم ﷺ وجماعة ممن يميلون إلى أنَّ فيه مقالاً.

أيضا مما حدث في الإسراء أنَّ أهل العلم اختلفوا في الدَّابة: هل رُبطَت أم تُرِكَت؟ فأنكر طائفة أن تكون رُبطَت في الصخرة.

وقَبِلَ هذه الرواية أكثر أهل العلم فقالوا: إنَّ جبريل وَخَزَ الصخرة فانثقبت فربط الدابة فيها.

أما المعراج فلما عُرِج به ﷺ أتوا إلى السماء الأولى فاستفتح جبريل. فقيل له: «أمعك أحد؟ قال: نعم. قيل من؟ قال: محمد بن عبد الله. فقيل له: أَوَقَد بعث؟ أو أَوَقَد أرسل؟ أو أَوَقَد أوحي إليه؟ فقال: نعم، فَفُتِح له».

قال النبي ﷺ: «فلما ولجنا السماء وجدتُ فيها آدم عليه السلام -يعني السماء الأولى- إلى آخره، فقيل لي: هذا أبوك آدم فسلِّم عليه. قال: فسلمت عليه، ثم ردَّ عليَّ السلام، فقال: مرحبًا بالابن الصالح والعبد الصالح».

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

ثُم عُرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح -يعني حصل مثل الذي حصل: من معك؟، أوَقد أرسل؟ إلى آخره- فوجد في السماء الثانية عيسى عليه السلام ويحيى وهما ابنا خالة، ثُم إلى السماء الثالثة وجد فيها يوسف، ثُم السماء الرابعة وجد فيها إدريس، ثُم السماء الخامسة وجد فيها هارون، ثُم السماء السادسة وجد فيها موسى عليهم جميعًا السلام، ثُم السماء السابعة وجد فيها إبراهيم، وكل يقول له: مرحبًا بالأخ الصالح والعبد الصالح، إلا آدم وإبراهيم فيقولان: مرحبا بالابن الصالح والعبد الصالح.

ولما مَرَّ على موسى عليه السلام وسلم عليه ورد عليه موسى، قال ﷺ: فلما انصرفت أو فلما ذهبت إذا بموسى عليه السلام يبكي فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أبكي أن بُعِثَ غلام من بعدي يكون من يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي.

ثُم لقي إبراهيم الخليل عليه السلام في السماء السابعة، قال: «ثم رُفِعَت لي سدرة المنتهى، فإذا نبتُهَا مثل قلال هجر وإذا ورَقُهَا مثل آذان الفيلة. قال: ثم رُفِع لي نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت: فقيل لي النهران الباطنان من الجنة، والنهران الظاهران النيل والفرات، ثم أُتِيتُ بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فشربت الإناء من اللبن، فقيل لي: هُدِيت للفطرة، أو هذه الفطرة فيك وفي أمتك. أو كما قال ﷺ ...» إلى آخر الحديث.

المقصود أنَّ هذا حديث المعراج وما فيه، هذه إحدى الروايات، والروايات في ذلك كثيرة، باختلاف أماكن الأنبياء، واختلاف المقالة، اختلاف ما حصل وكذلك في ما حصل في السماء السابعة، إذا تبين ذلك فثَمَّ كلام هنا على لُقيا النبي ﷺ للأنبياء والمرسلين.

المسألة الخامسة:

هل لقي النبي ﷺ أجسادَ الأنبياء مع أرواحهم؟ أم إنه ﷺ لقي أرواحهم دون أجسادهم؟

العلماء لهم في ذلك قولان:

- القول الأول: قال طائفة من أهل العلم: لَقِيَ أرواحًا وأجسادًا، واستدلوا على ذلك بدليلين:

□ الدليل الأول: أن هذا هو الظاهر من الجَمع - يعني من أنهم جُمِعُوا له وأنه كلّم آدم وكلّم فلانًا وكلّم فلانًا ... إلى آخره.

التعليقات

□ والدليل الثاني: أنه جاء في أحد الروايات قوله: (وبُعِثَت لي الأنبياء) وبَعثَةُ الأنبياء له، تدل على أنَّ ذلك خاصَ في ذلك الموقف الخاص.

القول الثاني: إن ذلك إنما هو للأرواح دون الأجساد حاشا عيسى عليه السلام فإنه رُفِعَ إلى السماء بروحه وجسده.

وفي إدريس قولان؛ إدريس عليه السلام في السماء الرابعة فيه قولان، هل كان رفعه للسماء الرابعة بروحه فقط أم كان بروحه وجسده؟ وفي ذلك خلاف عند المفسرين وعند أهل العلم مأخوذ أو تجده عند قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧] في قصة لا تثبت؛ يعني في قصة لسبب الرّفع لا تثبت.

والأظهر من القولين عندي أنَّ ذلك كان بالأرواح دون الأجساد خلا عيسى عليه السلام؛ وذلك أنَّ النبي ﷺ حين التقى بالأنبياء وصلوا معه ﷺ:

□ إما أن يُقال: صَلُّوا معه بأجسادهم، وقد جُمِعَت أجسادهم له من القبور، ثم رَجعت إلى القبور وبقيت أرواحهم في السماء.

□ وإما أن يُقال: هي بالأرواح فقط؛ لأنَّهُ لقيهم في السماء.

ومعلوم أنَّ الرّفع إنما خُصَّ به عيسى عليه السلام إلى السماء رَفعًا حيًّا، وكونهم يُرفَعُون بأجسادهم وأرواحهم إلى السماء دائمًا ولا وجود لهم في القبور، هذا لا دليل عليه؛ بل يخالف أدلة كثيرة أنَّ الأنبياء في قبورهم إلى قيام الساعة.

فمعنى كونهم ماتوا ودُفنوا أنَّ أجسادهم في الأرض، وهذا هو الأصل.

ومن قال بخلافه: قال هذا خاص بالنبي ﷺ أنه بُعِثَت له الأنبياء فَصَلَّى بهم ولقيهم في السماء.

وهذه الخصوصية لابد لها من دليل واضح، وكما ذكرت لك فالدليل التأمُّلي يعارضه.

وعلى كل هما قولان لأهل العلم من المتقدمين والمتأخرين.

المسألة السادسة

النبي ﷺ حين رُفع إلى ما فوق السماء السابعة، ورأى البيت المعمور، ورأى سدرة المنتهى، رأى أشياء من آيات الله الكبرى، كما قال ﷻ: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨].

التعليقات:

ابن أبي العز الحنفي
الشيخ صالح

والنبي ﷺ رأى هذه الأشياء بقلبه ورآها بعينه، كما قال ﷻ: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [النجم:١١]، فصار للفؤاد رؤية، وقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم:١٧] فصار للبصر رؤية.

لهذا نقول: رؤية النبي ﷺ لآياتِ رَبِّهِ الكبرى لما فوق السماء السابعة، وفي السماء السابعة وما رأى صار بشيئين: بالبصر وبالقلب جميعًا، ولا يقال بالبصر وحده، ولا يقال بالفؤاد وحده؛ بل رأى بهما جميعًا.

وهذا يعني أَنَّهُ قد يكون ثَمَّ أشياء رآها ببصره وقلبه جميعًا، وثَمَّ أشياء رآها بفؤاده دون بصره، لهذا قال من قال من أهل العلم: إن النبي ﷺ رأى ربه ﷻ بفؤاده، وهذا يجرنا إلى المسألة المشهورة: هل رأى نبينا ﷺ ربه أم لا؟ في قولين للصحابة:

- منهم من قال: رأى ربه.
- ومنهم من قال: لم يره.

كما هما قولان لعائشة وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

والصحيح من ذلك أن النبي ﷺ لم يرَ ربه وإنما سمع كلامه، ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:١٠]، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قيل له: «هَل رَأَيتَ رَبّكَ؟ قال: **نُورٌ فأنّى أراهُ**»؟

يعني ثَمَّ نور وهو الحجاب، حجاب الرب ﷻ نور، قال: **«ثم نور أنى أراه»**، وفي رواية أخرى قال **«رأيت نورًا»**؛ يعني نور الحجاب.

إذًا فالصحيح أنَّ النبي ﷺ حصلت له أنواع رؤية:

- منها رؤية أشياء بالبصر.
- ورؤية أشياء بالقلب، بالفؤاد.
- ورؤية أشياء بهما جميعًا.

وأما الله ﷻ فلم يره، وإنما سمع كلامه ﷺ.

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

✍ **المسألة السابعة:**

من المشهور المعروف في قصة الإسراء والمعراج المراجعة التي حصلت بين النبي ﷺ وموسى في فرض الصلاة؛ فإنَّ الله ﷻ فَرَضَ الصلاة المفروضة على هذه الأمة خمسين صلاة، ثم رجع جبريل مع النبي ﷺ ثم لَمَّا لَقِيَ النبي ﷺ موسى سأله فقال: «**فرض علي خمسين صلاة**»، فقال: إنها لكثيرة وقد عالجت من أمر أمتي ما علمتُ أنَّ أمتك لن تطيق ذلك، فارجع فاسأل ربك التخفيف. ﷺ: «**فاستأذنت جبريل فأذن لي فسألت ربي التخفيف**».

هنا وقع خلاف في الروايات: هل صار التخفيف خمسًا خمسًا؟ أم كان التخفيف عشرًا عشرًا حتى وصلت إلى خمس في آخرها؟

☜ والصواب والأصح أنَّ التخفيف وقع عشرًا عشرًا؛ يعني كانت خمسين ثُمَّ خُفِّفَ عنه عشرٌ فصارت أربعين، ثُمَّ خُفِّفَ عنه عشرٌ فصارت ثلاثين، ثم خُفِّفَ عنه عشرٌ فصارت عشرين، ثم خُفِّفَ عنه عشرٌ فصارت عشرٌ، ثم خُفِّفَ عنه خمسٌ، ثم لما رجع إلى موسى قال: إنها كثيرة إنَّ أمتك لن تطيق ذلك، فقد عالجتُ من أمر أمتي ما عالجت أو كما قال، فقال نبينا ﷺ: «**لقد استحييت من ربي**» قال: «**فسمعت من يقول لقد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي**». هذه بعض المسائل المشهورة في مسألة الإسراء والمعراج، ولا ندري هل غُطِّيَت أم لا؟ نرجع إلى ألفاظ المؤلف.

قال(**وَالمِعرَاجُ حَقٌّ، وَقَد أُسرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعُرِجَ بِشَخصِهِ فِي اليَقَظَةِ**). (**فِي اليَقَظَةِ**) يعني ليس في المنام. (**وَعُرِجَ بِشَخصِهِ**) يعني بجسده يعني بروحه، فنفهم من قوله: (**وَعُرِجَ بِشَخصِهِ**) أنه عروج بالرّوح والجسد معًا. وقوله: (**فِي اليَقَظَةِ**) أنها ليست في المنام. وقوله: (**وَقَد أُسرِيَ وَعُرِجَ**) نفهم منه أنهما متلازمان كما قررتُ لك سالفًا.

قال: (**إِلَى السَّمَاءِ**) والمقصود بـ(**السَّمَاءِ**) جنس السماء وهي السموات.

قال (**ثُمَّ إِلَى حَيثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ العُلاَ**) يعني مما فوق السماء السابعة.

قال (**وَأَكرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ**) يعني من تكليمه، ومن أنه رأى ﷺ أشياء لم يرها غيرُه ﷺ وما حباه الله ﷻ به.

قال: (**وَأَوحَى إِلَيهِ مَا أَوحَى**) في شأن الصلاة وفي غيره.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم:١١]. ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ هذه قد تُفهَم على أنَّهُ رأى ربَّهُ بفؤاده، يعني من حيث صياغة المؤلف.

وقد يُفهَم أنه أراد الاستشهاد بالآية ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ يعني ما رآه في أثناء الوحي من الأنوار والآيات العظام.

المسألة الثامنة:

في قوله: (**فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي الأَخِرَةِ وَالأولَى**) (**صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ**) الصلاة هنا على النبي ﷺ من الله ﷻ معناها الثناء عليه ﷺ فإنَّ الصلاة لها استعمالات:

- فالصلاة من الله ﷻ على عبده، على الأنبياء والمرسلين وعلى المؤمنين ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُه ﴾ [الأحزاب:٤٣]، تكون الصلاة من الله ﷻ بمعنى الثناء؛ يعني يُثني على نبيه في الملإ الأعلى. (**اللهم صلِّ على محمد**) يعني اللهم أثنِ على محمد في الملإ الأعلى بما هو أهله ﷺ.

- والصلاة من الملائكة على المؤمنين هو الدعاء لهم والاستغفار ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُه ﴾ يعني الملائكة تدعو لابن آدم: اللهم اغفر له اللهم ارحمه، تستغفر له كما قال ﷻ: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر:٧].

- والصلاة من العبد للعبد: اللهم صلِّ على فلان؛ يعني اللهم أثنِ على فلان، صليتُ عليك أو لك؛ يعني دعوت لك، لهذا قال ﷻ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة:١٠٣].

إذا تبين ذلك، فالصلاة من الله ﷻ مُختَصَّة بالأنبياء والمرسلين.

يعني لا يقال على وجه الانفراد (**اللهم صلِّ على فلان**) إلا أن يكون نبيًا أو رسولاً. أما غيرهم فلا يُصَلَّى عليه على وجه الانفراد.

التعليقات

.... **وَالحَوضُ الَّذِي أَكرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ(١)**..........

ابن أبي العز الحنفي

.... قوله: (والحوض - الذي أكرمه الله تعالى به غياثًا لأمته - حق).

ش: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضعة وثلاثون صحابيًا، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير، تغمده الله برحمته، في آخر تاريخه الكبير، المسمى بـ البداية والنهاية.

فمنها: ما رواه البخاري رحمه الله تعالى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**»..........

الشيخ صالح

وقد يصلَّى عليه على وجه التَّبع: (اللَّهُم صلِّ على محمد وعلى آل محمد)، (اللهمَّ صلِّ على محمد وآله وصحبه)، (صلى الله عليه وآله وصحبه)، هذا يجوز من جهة التّبع، أما من جهة الاستقلال فلا يقال: (صلى الله على آل محمد،) فقط، (صلى الله على الصحابة) فقط. وقد يجوز على المفرد إذا لم يكن شعارًا، مَرَّة مرتين تارةً تارتين، ونحو ذلك، ولا يكون شعارًا، كما قال ﷺ لما جاءه ابن أبي أوفى بالصدقة قال «اللهمَّ صلِّ على آل أبي أوفى»، هذا دعاء لهم، هذا يكون على وجه الانفراد، ولا يكون شعارًا.

فإذًا لا يكون شعارًا أنَّا نُصلِّي على عَليٍّ ﷺ، كُلَّمَا ذُكِر علي ﷺ قلنا: عليه السلام، أو بعض الآل نقول عليهم الصلاة والسلام أو نحو ذلك، فهذا مخالف للهدي هدي الصحابة رضوان الله عليهم.

تجوز الصلاة على المفرد بشرطين -ذكرتهما لك:

- الشرط الأول: ألا تكون دائمًا، بمعنى أن تكون أحيانًا.
- الشرط الثاني: أن لا تكون شعارًا على شخص أو على مجموعة؛ مثل الأئمة (صلى الله على الأئمة)، هذه كلها من شعارات أهل البدع، هذا ما يتعلَّق بهذه الجُمَل.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: والأحاديث التي جاء ذكر الحوض فيها كثيرة جدا بلغت مبلغ التواتر كما صرح بذلك جمع من الأئمة ورواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا وقد استقصى طرقها الحافظ ابن كثير في (النهاية) في آخر تاريخه وعقد لها الحافظ ابن أبي عاصم في (كتاب السنة) سبعة أبواب (رقم ١٥٥ - ١٦١) ورقم الأحاديث (٧٣٤ (ا) - ٧٧٦ - بتحقيقي) أشار في آخرها إلى تواترها بقوله: والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي صلى الله عليه وسلم توجب العلم ....=

ابن أبي العز الحنفي

...... وعنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ علي ناس من أصحابي، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» رواه مسلم.

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك، قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاة، فرفع رأسه مبتسمًا، إما قال لهم، وإما قالوا له: لِمَ ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه أنزلت عليَّ آنفًا سورة، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [آية: ١]، حتى ختمها، ثم قال لهم: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»..

الشيخ صالح

قال الطحاوي رحمه الله: (وَالحَوضُ الَّذِي أَكرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ.) هذه الجملة مشتملة على تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الحوض، فقال: إنَّ الحوض حقّ.

ومعنى أنّ الحوض حق يعني أنه كما أخبر نبينا ﷺ حَقٌّ، كما أخبر على ظاهر ما ورد فيه في صفته، وفيما جاءت الأخبار، فليس ثَمَّ شيء من ذلك يُرَد ولا يُؤَوَّل على خلاف ظاهره، فإنه حقّ يجب اعتقاد ما دلَّ عليه الدليل في ذلك، والحوض هذا أكرم الله ﷻ به محمدًا ﷺ.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: من جملة ما يعتقده أهل السنة والجماعة ما صح فيه الخبر عن رسول الله ﷺ من أمور يوم القيامة، وما يحدث في يوم القيامة من أمور، فمن ذلك:

الحوض: فإن النبي ﷺ أخبرنا أن له حوضًا في يوم القيامة في المحشر يرده أتباعه الذين آمنوا به واتبعوه، فيشربون منه، فإذا شربوا منه شربة واحدة لم يظمئوا بعدها أبدًا؛ وذلك لأن يوم القيامة يوم شديد وعصيب وفيه حر شديد.

فيحصل الظمأ الشديد، فجعل الله هذا الحوض غياثًا لأمة محمد ﷺ يغيثهم به، ومعلوم أن الغيث الذي ينزله الله من السماء تحيا به الأرض وتحيا به النفوس، فكذلك الحوض فإنه غياثٌ يغيث الله به العباد عند شدة حاجتهم إلى الماء...=

ابن أبي العز الحنفي

وروواه مسلم، ولفظه: «**هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، والباقي مثله**». ومعنى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض، والحَوض في العرصات قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا فرطكم على الحوض**» والفرط: الذي يسبق إلى الماء. وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**»......................

الشيخ صالح

لهذا نقول: إنَّ الحوض من المسائل العظيمة التي يبحثها أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، وبَحثُهُم لها من جهات؛ يعني سبب بحثهم له في العقائد من جهات:

○ الجهة الأولى: أنَّ الحوض أمر غيبي، والأمور الغيبية الإيمان بها واجب، فإنَّ الله سبحانه أثنى على خاصة عباده بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٢- ٣]، فجعل أخَصَّ صفاتهم الإيمان بالغيب.

○ الجهة الثانية: أنَّ الحوض دَلَّت عليه الأدلة من السنة بما يبلغ حد التواتر -التواتر النقلي والتواتر المعنوي؛ لأنها رُويت من طريق أكثر من خمسين صحابيًا، وبعض أهل العلم أوصلها إلى طريق ثمانين صحابيًّا، كما سيأتي بعد مزيد بيان لذلك.

○ الجهة الثالثة: أنَّ الحوض خالف فيه المبتدعة من الخوارج والرافضة والمعتزلة.

- خالف المعتزلة في إنكارهم للحوض أصلاً.
- وخالف الروافض والخوارج في فهم أحاديث الحوض، كما سيأتي بيانه.

التعليقات

= والحوض هو مجمع الماء، وقد وصفه عليه الصلاة والسلام بأنه حوض عظيم، طوله شهر، وعرضه شهر، وآنيته عدد نجوم السماء، وأن من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل..=

ابن أبي العز الحنفي

..... قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، سمعته وهو يزيد: فأقول: «**إنهم من أمتي**» فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فقال: «سحقًا سحقًا لمن غير بعدي» سحقًا أي: بعدًا.........................

الشيخ صالح

فإذن مسألة الحوض من المسائل العقدية التي ترتبط بأمر غيبي، وبنقل متواتر لا يجوز رَدُّهُ، وبمخالفة المبتدعة من أصحاب الفرق الضالة.

قال الطحاوي: (**وَالحَوضُ الَّذِي أَكرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ.**) فذكَرَ أنَّ الحوض إكرام لنبينا ﷺ به، أكرم الله نبيه بهذا الحوض. وإكرامه بهذا الحوض لا يعني أن الحوض خاص بالنبي ﷺ؛ بل قد جاء في الحديث: «**إنّ لكل نبي حوضًا**»وهذا يناسب ما سيأتي بيانه من أنَّ النبي ﷺ يذودُ الناسَ عنه؛ يعني ممن ليس من أمته صارفًا لهم عن إتيان حوضه إلى الذهاب إلى أحواض الأنبياء كما وَجَّهَهُ طائفة من أهل العلم.

فإذًا الحوض إكرام للنبي ﷺ، وفي إكرَامِهِ إكرامٌ لأمته ﷺ بذلك الحوض الذي سيأتي وصفه إن شاء الله تعالى.

قال: (**غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ**)، وكلمة (**غِيَاثًا**) هذه نفهم منها أنَّ الطحاوي ﵀ أراد أنَّ الحوض تُغاثُ به الأمّة، وكون الأمّة تُغاث بالحوض يعني بماء الحوض؛ يعني أنها تُغاث به وقت حاجتها إلى الحوض.

التعليقات

=وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه يرده أقوامٌ، ثم يذادون ويمنعون من الشرب منه، فيقول الرسول ﷺ: «**يارب، أمتي، أمتي**» فيقول الله عز وجل: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» فيقول عليه الصلاة والسلام: «سُحقًا وبُعدًا لمن بدّل وغير»، ويمنع من وروده أهل البدع المضلة المخالفون لرسول الله ﷺ الذين كفروا وارتدوا على أعقابهم، تاركين السنة، وذاهبين بأهوائهم وآرائهم المذاهب المنحرفة، هؤلاء يمنعون من حوض النبي ﷺ؛ لأنهم بدلوا وغيروا من هدي النبي ﷺ، ولا يرده إلا من كان متبعًا لسنة رسول الله ﷺ قولاً وعملاً واعتقادًا، وبعض العلماء يرى أن الكوثر المذكور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ [الكوثر: ١]، هو الحوض، وبعض العلماء يرى أن معنى الكوثر: الخير الكثير، ولا شك أن الحوض يدخل في هذا الخير الكثير؛ لأنه خير لهذه الأمة، فهذا هو حوض النبي ﷺ، فيجب الإيمان به واعتقاده، وأن يتمسك الإنسان بالسنة، حتى يرد هذا الحوض، ولا يُردّ عنه يوم القيامة.

ابن أبي العز الحنفي

..... والذي يتخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر.............

الشيخ صالح

وهذا يدلُّ على أنَّ الطحاوي يذهب إلى أنَّ الحوض يكون في عَرَصَات القيامة قبل ورود الصراط، وقبل العبور على النار، وقبل تجاوز الصراط، يكون قبل ذلك إذا اشتدّ بالنّاس الحاجة إلى أن يشربوا من ذلك الحوض؛ فإنَّ مقام الساعة عظيم والزمن طويل يلبث الناس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويشتدّ عليهم البلاء، ويشتدّ عليهم الكرب، فيكرم الله ﷻ نبيّه ﷺ بالحوض، ويُكرِمُ أُمَّتَهُ بأن يجعله غياثًا لهم، فمن شرب منه شربة في ذلك اليوم العصيب لم يظمأ بعدها أبدًا، فهذا معنى قوله: (غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ).

قال: (حَقٌّ) يعني أنه واقع وحاصل، وأنه موجود، وأنّ الإيمان به فرض، وأنّ غير ذلك باطل، إذا تبيّن ذلك في بيان معنى ما قاله الطحاوي ﷺ ففي مسألة الحوض مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ الحوض دلَّ عليه القرآن باحتمال، ودلَّت عليه السنة بقطع: أما القرآن فدليل الحوض فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر]، وقد ثبت في الصحيح أنَّ النبي ﷺ فَسَّرَ الكوثر بأنه **حوض أعطاه الله إياه**، وهناك عدة تفاسير للكوثر منها أنه نهر في الجنة، وقد جاء أيضًا أنَّ الحوض يُسكَبُ فيه من الكوثر ميزابان يعني يغذونه بماء الكوثر.

وأما من السنة فقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في وجود الحوض وفي صفته، وقد رواها عنه ﷺ أكثر من خمسين صحابيًّا، ولهذا نقول: هي متواترة نقلاً ومتواترة تواترًا معنويًّا، فجمعت بين نوعي التّواتر، وهذا النقل جاء عن أفاضل الصحابة وعن أكمل الصحابة.

فمرويات الحوض ثابتة عن الصحابة عن أبي بكر رضي الله عنه وعن عمر وعن عثمان وعن علي وعن فقهاء الصحابة كابن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأبي هريرة إلى غير هؤلاء.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ و قضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء. وقد ورد في أحاديث: أن لكل نبي حوضًا، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا. جعلنا الله منهم بفضله وكرمه...

الشيخ صالح

فجُلة الصحابة رووا أحاديث الحوض على خلاف بينهم في ألفاظها، والنّبي ﷺ كان يكرّر الكلام عن أحاديث الحوض كما روى أبو داوود في سننه عن أحد الصحابة أنه قال: **سمعته مرارا لا أقول مرة أو مرتين**. يعني عن النبي ﷺ، فكان يكرر الأحاديث في الحوض فلذلك حصل فيها بعض الاختلاف كما سيأتي فيما نستقبل.

المسألة الثانية:

أنَّ صفة الحوض التي دل عليها الدليل من صحيح السنة.

أولاً: من حيث شكله: هو مربع زواياه سواء وأضلاعه متساوية، وقد ثبت في الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «**طوله شهر وعرضه شهر زواياه سواء**» فهذا يدل على أنَّ شكل الحوض مربع، وأنَّ زواياه قائمة، وأنَّ طوله وعرضه واحد وهو شهر.

واختلفت الروايات كثيرًا في طوله وعرضه، ومُحَصَّلُها ما ذكرتُ لك من أنه شهر في شهر، وقد جاء في بعض الروايات قال: «**هو كما بين المدينة وبيت المقدس**»، وفي رواية قال: «**هو كما بين المدينة وعُمَان**»، أو قال: «**عَمَّان**»، وفي رواية قال: «**هو كما بين المدينة إلى صنعاء**»، وفي رواية قال: «**هو كما بين أيلة إلى صنعاء**» وثَمَّ غير ذلك.

وإذا قلنا: مسيرة شهر في شهر، فالمراد بالشهر بسَير الجمال السّير المعتاد؛ لأنه هو الفصل في التقدير.

هذا من حيث طوله وعرضه وشكله، شكله مربع وطوله وعرضه شهر في شهر.

ثانيًا: من حيث مكانه: مكانه هو في الأرض المُبَدَّلَة، يعني يوم يبدّل الله الأرض غير الأرض والسموات، هو في الأرض المُبَدَّلَة.

التعليقات..

ابن أبي العز الحنفي

..... قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في التذكرة: واختلف في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل: الميزان، وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل.

قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم، كما تقدم فيقدم قبل الميزان والصراط.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله، في كتاب كشف علم الآخرة: حكى بعض السلف من أهل التصنيف، أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله......

الشيخ صالح

ثالثًا: من حيث آنيته: آنيته وصفَها ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر بن العاص وغيره قال: «**آنيته كنجوم السماء**» وهذا التشبيه بقوله: «**كنجوم السماء**» نفهم منه صفتين:

- الصفة الأولى: الكثرة، في أنَّ كثرتها كثرة نجوم السماء، وهذا يدل على مزيد راحة وطمأنينة في الشرب منه وتناوله، وألا يكون هناك تزاحم على كيزانه، أو أنَّ الناس يشربون بأيديهم.

- والصفة الثانية: أنَّ كيزانه أو كيسانه أو أباريقه أو نحو ذلك كنجوم السماء في الإشراق والبهاء والنور.

فنجوم السماء فيها صفة الكثرة وفيها صفة النوروالبهاء، هذا من جهة وصف كيزانه من حيث العدد، ومن حيث الشكل.

رابعًا: من حيث مائه: ماؤه من حيث اللون أشد بياضًا من اللبن، كما ثبت في الحديث قال: «**حوضي طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللّبن، وأحلى من العسل**»، وقد جاء في رواية قال: «**ماؤه أشدّ بياضًا من الورِق**» يعني من الفضة، ورائحة مائه قال: «**رائحته كرائحة المسك**».

ومصدر مائه من الكوثر؛ النهر الذي في الجنة، قال ﷺ: «**الكوثر نهر أعطانيه الله في الجنة**». وقد جاء في صفة الحوض: «**يشخب فيه من الكوثر ميزابان**». هذه من جملة صفاته.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... قال القرطبي: هو كما قال، ثم قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء. انتهى

فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر!..

الشيخ صالح

المسألة الثالثة:

اختلف العلماء: أين يكون الحوض؟ هل هو قبل الصراط أم بعد الصراط؟ على قولين:

◄ القول الأول: وهو قول جمهور أهل العلم على أنّه قبل الصراط وليس بعد الصراط؛ لأنّ الأحاديث التي فيها صفة الحوض فيها ذُكِرَ أنَّ أناسًا يُذَادُون عنه ويُدفَعُون ويُؤخَذ بهم إلى النار، فيقول النبي ﷺ: «**ربي أُصَيْحابي أُصَيْحَابي**»، أو قال «**أصحابي أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

◄ القول الثاني: وبه قال طائفة من أهل العلم إنَّ الحوض حوضان: حوض قبل الصراط، وحوضٌ بعد الصراط، فمن لم يشرب منه قبل الصراط بأن أُخِذَ للعذاب من هذه الأمة ثم نَجَى بعد ذلك، فَثَمَّ حوض آخر بعد الصراط يشرب منه.

ولكن الذي تدل عليه الأحاديث بظهور وكثرة أنَّ الحوض يكون قبل الصراط لا بعده.

ثُمَّ القائلون بأنه قبل الصراط أيضًا اختلفوا: هل هو قبل الميزان، أم بعد الميزان؟

على قولين لأهل العلم، والأكثر أيضًا أنّه قبل الميزان، وأنّه في العرصات قبل أن يأتي الله ﷻ لفصل القضاء، وقبل أن تتطاير الصحف، وإلى آخر ذلك.

ولشدة طول [.....] الناس فإنّ الله يكرم نبيه ﷺ بهذا الحوض حتى يشرَب منه المؤمنون فلا يظمئون ولا يقلقون في شدة هول الموقف.

فإذًا نقول: الصواب أنَّهُ قبل الصراط، وأيضًا أنه قبل الميزان.

التعليقات

....

الشيخ صالح

قال القرطبي صاحب كتاب التذكرة في الكلام المشهور عنه يتناقله العلماء قال: **والمعنى يقتضي هذا؛ لأنَّ الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا فإذا وافوا الموقف فإنهم يحتاجون مع طول الموقف إلى ما به ذهاب ظمئهم وصدورهم، وهذا يناسب أن يكون إكرام النبي ﷺ بالحوض قبل الميزان.**

المسألة الرابعة:

جاء في الأحاديث أنَّ الحوض يُذاد عنه، فقد جاء أنَّ النبي ﷺ يذود أناسًا عن الحوض. وجاء في أحاديث أخرى أنَّ النبي ﷺ يأتيه قوم فيعرفهم فيُذادُون عن الحوض؛ يعني يذودهم غيره ﷺ، فيقول «**يا ربي أُصَيْحابي أُصَيْحابي**» إلى آخر الأحاديث التي سيأتي توجيهها، وهذا يدلّ على أنّ التحقيق أنّ الذَّود عن الحوض نوعان:

الأوّل ذود عام: وهو ذود النبي ﷺ غير أمته أن يستقوا من الحوض فيدفعهم، أو يمنعهم ويذودهم عن الحوض الخاص بأمته ﷺ، وهذا الذّود العام منه ﷺ وإبعاد الناس عن حوضه إلا أمته يفيد فائدتين:

- الفائدة الأولى: أنه ﷺ للمؤمنين به في هذه الأمة رؤوف رحيم، فيريد أن تختص أمته بحوضه، وذلك فيه إكرام لهم ومزيد عناية بهذه الأمة.

- الفائدة الثانية: أنه قد جاء -كما ذكرنا- أن لكل نبي حوضًا، والنبي ﷺ يريد من كل كل تابع لنبي ومؤمن بنبي من إخوانه الأنبياء والمرسلين، يريد أن يذهب إلى النبي؛ ليكون أبلغ في ظهور عظم الرسالة -رسالة النبي إلى قومه- ورأفة قومه به، وإظهار لمن آمن بكل نبي على من لم يؤمن بذلك النبي. وهذا توجيه جيد أفاده عدد من أهل العلم منهم الحافظ ابن حجر ؒ ومن تبعه.

الثاني ذودٌ خاص:

فهذا يُذاد عن الحوض طائفة قليلة بالنسبة إلى كثرة من يرده، قد جاء فيه أحاديث كثيرة عنه ﷺ متعددة: أنه إذا ورد الحوض ورد عليه أناس يعرفهم ويعرفونه ثم يُذَادُونَ عن الحوض؛ يعني يُدفَعُونَ بشدة فيقول: «**يا ربي قومي قومي**».

التعليقات

وفي رواية «أصحابي»، وفي رواية لأنس في الصحيح «أُصَيْحابي أُصَيْحابي»، فينادي المنادي: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وفي رواية: «إنهم لم يزالوا مرتدّين على أدبارهم مذ تركتهم»، فهذا دَفعٌ بشدة عن الحوض لطائفة من المرتدّين ومن المُحدِثِين؛ ولهذا اختلف أهل العلم في هؤلاء الذين يُدفعون عن الحوض من هم؟ على أقوال:

القول الأول: إنّ الذين يُذادُونَ عن الحوض هم الذين ارتدوا من الصحابة بعده ﷺ، كالذين تبعوا مسيلمة الكذاب أو سجاح أو كَفَرُوا وارتَدُّوا بعد ذلك، وهم قليل.

ويدل على قلتهم أنه ﷺ قال: «يذاد قوم» أو يؤتى كما في رواية أخرى، قال: «فيأتيني قوم فيُذادون عن الحوض» وهذا يدل على قلّتهم، ويدل على ذلك أيضًا قوله: «يا ربي أُصَيْحابي أُصَيْحابي».

فقال أهل العلم: إنَّ كلمة (قوم)، و(أصيحابي) ونحوهما، يدل على قلة العدد لا على كثرتهم.

وهذا يناسب هذا القول؛ لأنَّ عدد الذين ارتدوا بعد النبي ﷺ ممن صحبوه أو حجوا معه حجة الوداع قليل من شرذمة من الأعراب الذين لم يؤمنوا به حق الإيمان.

القول الثاني: إنَّ الذين يُذادون عن الحوض هم المنافقون. والنبي ﷺ لم يعرف المنافقين جميعًا فقد قال الله ﷻ له: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠] فيأتون يوم القيامة وعليهم سيما أهل الإيمان أو أنهم مع المؤمنين فيظنّهم ﷺ من المؤمنين به ظاهرًا وباطنًا، ثم يُذادون فيُدفَعُونَ عن الحوض بشدة، ويساقون إلى النار فيقول: «أصحابي أصحابي» باعتبار ما كان عليه ظاهر أمرهم، فيقول: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، «أو إنهم لم يزالوا مرتدين على أدبارهم مذ تركتهم»، يعني ظَهَرَ نفاقهم واستبان بعد وفاته ﷺ.

القول الثالث: إنَّ الذين يذادون هم كل من أحدث بعده ﷺ حدثًا فغَيَّرَ في دينه إمَّا بالارتداد عن الإسلام إلى الكفر، أو بما هو دون ذلك من المحدثات كالبدع المضلّة من أنواع البدع المضلة كبدعة الرَّفض والسبئية والخوارج والنّصب والاعتزال، كل هذه من أنواع المحدثات.

والنبي ﷺ قال في وصف من يُذاد: «فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وهذه من جملة أنواع المحدثات.

☜ **وهذا القول الثالث هو أظهر الأقوال لشموله للقولين السابقين، فنقول:**

❑ أولاً: الذين يُذادون كما جاء في بعض الأحاديث الذين ارتدوا ممن شارك في حجة الوداع، أو صحب النبي ﷺ ولم يؤمن به إيمانًا حقيقيًا، فهؤلاء يذادون.

❑ ثانيًا: [illegible]د المنافقون.

❑ ثالثًا: و[illegible] يذاد كل أصحاب الفرق الضالة كالخوارج والمعتزلة والرافضة، وأشباه هؤلاء من الفرق الذين ضلوا، وأحدثوا في الدين، وابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

قال بعض أهل العلم: ويُلحَق بذلك أيضًا من افترى على الله ﷻ في دينه؛ يعني كَذَبَ في أمر الدين.

ويدل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده، ونحو ذلك بألفاظ متقاربة من أنَّ النبي ﷺ قال: «**سيكون بعدي أمراء فمن صدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظُلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد عليَّ الحوض**».

قال في وصف هؤلاء: «**فمن صدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم**» يعني يكذبون على الدين وهذا يُصَدِّقُهُم على ذلك ويعينهم على الكذب على الدين، ويعينهم على الظّلم، فهذا مُحدِث، ولهذا أُلحق بتلك الفئات بقوله ﷺ: «**فليس مني ولستُ منه ولن يرد عليّ الحوض**».

✍ المسألة الخامسة:

خالف في الحوض طوائف من أهل البدع، خالف فيه المعتزلة والخوارج والرّافضة.

① المعتزلة

أما المعتزلة فخالفوا في إنكاره أصلاً فأنكروا الحوض، وقالوا: هذه الصفة التي وردت لا تُعقَل، فردُّوا الأحاديث المتواترة المتطابقة المتتابعة لفظًا ومعنًى، رَدُّوهَا بالعقل، فقالوا: الحوض لا يُعقَل وإنما له معنى يُؤَوَّل إليه. فليس عندهم حوض موجود يوم القيامة وإنما هو معنًى من المعاني.

قالوا: فكيف يكون الحوض قبل الصراط وبين الناس وبين الجنة جهنم الكبيرة، ويكون الحوض يُغذَى من الجنة، والصراط على جهنم؟

يعني أنهم تخيَّلُوا ما ورد في صفة يوم القيامة بعقولهم، ثم بعد ذلك ردُّوا ذلك، ردُّوا بعض الأحاديث مما لا يتناسب مع الوصف العام الذي تخيّلوه.

ومن المعلوم أنَّ السنة إذا ثبتت ولو بالآحاد، فكيف إذا كانت بالتواتر اللفظي والمعنوي، إذا ثبتت فلا يجوز أن يُسَلَّطَ عليها العقل؛ لأنّ الأمر أمرٌ غيبي.

والمعتزلة كما هو معلوم في قاعدتهم يُؤَوِّلُونَ الغيبيات: فأنكروا الصراط وأوّلوا الميزان، وأوّلوا الصحف، وأوّلوا الحوض إلى غير ذلك، على أساس قاعدتهم من تسليط العقل على النّقل، فإذًا مخالفتهم مردودة.

وقال بعض أهل العلم: من أنكر الحوض بعد علمه بالتواتر فإنّه يكفر، ولكن هذا فيه نظر من جهة تطبيقه؛ لأنَّ التواتر قسمان: تواتر لفظي، وتواتر معنوي، وقد يُسَلِّمُونَ بصحة النقل لكن لا يُسَلِّمُونَ بصحة الدّلالة.

② الخوارج والرافضة

أما الخوارج والرافضة: فمخالفتهم ليست في إثبات الحوض، ولكن في أنهم جعلوا أحاديث الحوض على غير ما هي عليه من جهة الصحابة رضوان الله عليهم.

فقالت الخوارج والرافضة: إنَّ الذين ارتَدُّوا فلم يَرِدُوا على الحوض هم الصحابة، وأولئك جمع كبير من الصحابة.

فيؤمن الخوارج والرافضة بالحوض، لكن يقولون، هؤلاء الذين رُدُّوا هم الصحابة، ويحتجون بأحاديث الحوض على تكفير الصحابة.

فيقول الرافضة مثلا: إنَّ هؤلاء هم أصحاب النبي ﷺ فإنه لم يُسلِم أو لم يبق على الإيمان بعده ﷺ من الصحابة إلا نفر قليل، والأكثرون كَفَرُوا والعياذ بالله.

ابن أبي العز الحنفي
الشيخ صالح

والرَّد على هذه الفرية من أوجه:

الرد الأول: الألفاظ المختلفة تدلُّ على تقليل العدد، فقال ﷺ:

«فيُذاد قوم عن حوضي» هذا في لفظ. والثاني«فيذاد أناس عن حوضي».

وفي الثالث قال «فأقول: يا ربي أصحابي». وفي الرابع قال«فأقول: يا ربي أصيحابي».

فدل ذلك بمقتضى اللغة على أنَّ قوله: «يذاد أناس فأقول: يا ربي أصيحابي» على أنَّ العدد قليل كما يقول القائل في اللغة: (أتاني بنو تميم، إلا قوم منهم لم يأتوا)، يعني إلا قليل منهم.

فإذا أتت الجملة الكثيرة، ثم استثني قوم دلَّ على قلة أولئك كيف، وقد جاء الحديث فيه ذكر التقليل لقوله: «أصيحابي أصيحابي».

الرد الثاني: أنَّ الذين نقلوا أحاديث الحوض عن النبي ﷺ هم الذين زعمت الرافضة أنهم كَفَرُوا، وهم جمعٌ كبيرٌ أكثر من خمسين صحابيًّا يقول الرافضة: إنَّ هؤلاء كفروا، وهم الذين نقلوا أحاديث الحوض.

فنقول: إن كنتم صَدَّقتم بأنَّ ما نقله هؤلاء من صفة الحوض وأحاديث الحوض وأنها صحيحة، فكيف تقبلون أحاديث من كفر عندكم؟

وإن كان النقل عندكم إنما هو للتكاثر، فكيف يَنقُلُ هؤلاء الجلة من الصحابة والعدد الغفير أحاديث فيها تكفيرُهم؟

لا شك أنَّ فهم الجمع الغفير، بل عامة الصحابة، بل كل الصحابة لأحاديث الحوض، وكونهم رَوَوهَا وتناقَلُوهَا جميعًا -جميع الصحابة وجميع التابعين- نَقَلُوهَا وتَنَاقَلُوهَا مع تَرَضِّيهم عن الخلفاء الأربعة جميعًا، وعن العشرة المبشرين بالجنة ما يَدُلُّ دلَالَةً قاطعةً على أَنَّ هذا الفهم لتلك الأحاديث لم يكن معروفًا عند الصحابة، ولا التابعين، ولا تبع التابعين.

وكون فَهمٍ في الأحاديث يكون غائبًا عن الصحابة جميعًا وعن التابعين وعن تَبَع التابعين، ولا يظهر هذا الفهم إلا بعد مائتي سنة يدلّ على أنَّ هذا الفهم مردود؛ لأنه لم يفهمه أجيال من المسلمين.

التعليقات

وإذا كان كذلك فالقاعدة المتفق عليها: **أنَّ الفهم إذا كان مُحدَثًا، وغابت القرون المفضلة ولم تَفهَم هذا الفهم؛ فإنَّ معنى ذلك أنَّ هذا الفهم غير صحيح.**

وهذا هو الذي يلاحظ في الواقع، فإنَّ الذين ارتدوا مِن أصحاب النبي ﷺ ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم نفر قليل ممن قاتلوا مع مسيلمة أو كَفَرُوا بعد إسلامهم من شذاذ الأعراب وطوائف ممن قال الله فيهم: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

وكلام الرافضة لهم كلام طويل في الاستدلال بأحاديث الحوض على مسألة تكفير الصحابة ليس هذا محل بسطها وبيانها.

المسألة السادسة:

أنَّ الشرب من الحوض -ورود الحوض- له أسباب في هذه الدنيا ينبغي؛ بل يجب على الموحّد أن يحرص عليها، بل يجب على كل مسلم أن يحرص عليها:

① أن يكون غير مُحدِث في الدين حَدَثًا؛ يعني كلُّ ما لم يكن على عهده ﷺ من أنواع الاعتقاد والعلم فإنه يجب ردُّه، يعني أن لا يَعتَبِرَهُ حقًّا.

فإذًا العقيدة والدين هو الذي كان عليه ﷺ وأصحابه في عهده، فكلّ من أتى بشيءٍ جديدٍ فإنّه لا يأمَن أن يكون داخلا في قوله: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، حتى إنَّ أهل العلم أدخَلوا في ذلك كما سمعت كل من أَحدَثَ بِدعَة في الاعتقاد من: المرجئة والخوارج والمعتزلة والكلاّبية والرّافضة والسّبئية إلى غيرها من الفرق الغالية والمتوسطة والخفيفة، كل من أحدث حدثًا يدخل في ذلك.

فلهذا يجب على الموحد وعلى المؤمن أن يحرص تمامًا على أن يحظى بهذه التّكرمة العظيمة وهو ورود حوض النبي ﷺ الذي «**من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا**» وأمِن في يوم الفزع، أمن في يوم الحزَن؛ حيث قال الله ﷻ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ومن أسباب عدم الحَزَن أنه يأمن قبل تطاير الصحف بأن يشرب من حوض النبي ﷺ؛ لذلك صار اهتمام المهتم بالتوحيد وبالعقيدة وبالدين الصحيح لأجل أن يأمن على نفسه، وأن يحظى بهذه التّكرمة العظيمة يوم القيامة.

التعليقات........

② أن يُخَلِّصَ قلبه من الغش والغل لخيرة هذه الأمة وهم صحابة رسول الله ﷺ، فإنَّ النبي ﷺ معه من أحب، والصحابة معه يوم القيامة كما ثبت: «**أنت مع من أحببت**»، وإذا كان كذلك فلا يجوز لأحد أن ينتقد الصحابة أو أن يُبغض بعضًا منهم، أو نحو ذلك؛ بل يجب عليه أن يحب الجميع فلعله أن يحشر في زمرتهم وأن يرد حوض نبيه ﷺ معهم.

③ أن يكون بعيدًا عن الافتراء في دين الله ﷻ؛ كما ذكرت لك من الحديث الصحيح أن النبي ﷺ ذَكَرَ أنَّ من صفة الذين لا يردون عليه الحوض قال: «**يكون بعدي أمراء فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد عليّ الحوض**»، وهذا الأمر شديد في أنَّ المرء لا يكذب على اسم الله، وأيضًا إذا خالط أحدًا فلا يصدقه على كَذِبِه، فلا يصدّق من يكذب على دين الله. ولهذا المسألة العظيمة هي هذه؛ في أنَّ المرء يَعلَم الدين، ويعتقد الاعتقاد الصحيح، و يَعلَم الشريعة، ولا يعين المرء المسلم مَن كَذَبَ على الدين؛ بل يجب عليه أن لا يُصَدِّقَ أحدًا في كَذِبِه وأن لا يُعِينَ أحدًا على ظلمه، بل يسأل الله ﷻ السلامة والعافية. وأكثر ما يورد الناس النار يوم القيامة اللسان، فذلك ينتبه المرء بأنه لا يقول شيئًا يكون كذبًا على الدين، يعني قد تقول لا أدري و المسألة سهلة، أو إن استطعت أن تنطق بالحق، فهذا يعني فيمن كذب على دين الله فهذه مرتبة عظمى.

أما أن يقول المرء في دين الله ﷻ بما لا يعلمه فهذا قد يكون افتراء على الدين، ولهذا ذكر السَّفَّاريني ﷫ في عقيدته المعروفة في منظومته ذكر جملة هذه الصفات بقوله:

عنه يُذادُ المفتري كما ورد ... ومن نحا سبل السلامة لم يُرَد

أي أَنَّهُ يُذاد عن الحوض المُفتَري على الله ﷻ؛ يعني من كَذَبَ على الله ﷻ في العقيدة أو في الدين؛ فنسب شيئًا إلى الله ﷻ أو إلى دينه إنما هو محض تَخَرُّص منه، ما اجتَهَدَ اجتِهَادًا أخطأَ فيه أو هو معذور في اجتهاده؟ لا، وإنما هو مَحضُ تَخَرُّص واستهانة وعدم مبالاة بما ينسبه للشريعة وللدين، وهذا أمرٌ يجب على المرء أن يحافظ على لسانه من أن يفتري على الله ﷻ، والله سبحانه نَهَى عن أن يُقَال عليه ما ليس للمرء به علم فقال: ﴿ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فقَرَنَ بين الشرك وبين القول على الله بلا علم.

التعليقات

... وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُم حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الأَخبَارِ(١)...............

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار).

ش: الشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهي العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين. في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة، ﷺ أجمعين، أحاديث الشفاعة.................

الشيخ صالح

④ أن يبتعد المرء عن الكبائر والذنوب؛ عن المداومة عليها، وإذا أَذنَبَ يرجع ويستغفر؛ لأنَّ جمعًا من أهل العلم قالوا: إنَّ الذين يُلاَزِمُونَ الكبائر لا يرِدُون الحوض، وأخذوا ذلك من قوله ﷺ فيقال: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، والناس في عهد النبي ﷺ كانوا إذا أذنَبُوا استَغفَرُوا ولم يكن بينهم -يعني من الصحابة- ممن هو مداوم على الكبيرة غير تائب منها؛ لهذا يحرص المرء على أن يأتي بالسبب الذي به غفران الله ﷻ، وأن يُكرِمَهُ الله بحوض نبيه ﷺ في أنه يبتعد عن الكبائر والموبقات والآثام، وأنّه إذا غشي شيئًا من المعاصي فُيُنيب ويستغفر ويُتبِع السَّيِّئة الحسنة لتُمحى عنه السيئات؛ أسال الله ﷻ أن يجعلني وإياكم ممن أُكرِمَ بالورود على حوض النبي ﷺ، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد. مباحث الحوض كثيرة لو نسيت شيئًا منها ستجدونه إن شاء الله في الكتب المختصّة.

الحمد لله، وبعد: **قال العلامة أبو جعفر الطحاوي** ﷺ **في هذه العقيدة المباركة (وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُم حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الأَخبَارِ)**. قوله: **(الشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا)** يعني ادَّخرها رسول الله ﷺ. **(لَهُم)** يعني لأمته. **(حَقٌّ)** يعني ثابتة كَمَا رُوِيَ فِي الأَخبَارِ.

وأراد بقوله: **(ادَّخَرَهَا)** ما جاء في الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة مجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي مُدرِكة منهم من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه**»، وفي رواية قال: «**وإني أخَّرتُ شفاعتي**».

التعليقات

= (١) الشيخ الألباني: قلت: وهي متواترة أيضًا وقد عقد لها ابن أبي عاصم في (السنة) ستة أبواب (١٦٣ - ١٦٨) رقم الأحاديث (٧٨٤ - ٨٣٢) وساق طائفة منها الشارح رحمه الله في شرحه تضمنت أن شفاعته صلى الله عليه وسلم ثمانية أنواع فليراجع من شاء البحث والتحقيق؛ فإنه هام..............=

ابن ابي العز الحنفي

...... منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم، فدفع إليه منها الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: **«أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح**..

الشيخ صالح

(أخَّرت شفاعتي)، أو (اختبأت دعوتي)، هذا يدل على أَنَّهُ ادَّخَرَهَا لهم؛ يعني جعلها مُدَّخَرَةً مُرجَأةً إلى يوم القيامة. فالله ﷻ جعل لكل نبيٍ شفاعةً تحصل له جزمًا بإكرام الله ﷻ له وإذنِهِ ومحضُ تَفضُّلِهِ سبحانه.

والنبي ﷺ لأجل شِدَّةِ رحمته ورأفته بالمؤمنين ومعرفته بما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة أخَّرَ هذه الشفاعة إلى يوم القيامة.

التعليقات

الشيخ الفوزان

= : الشفاعة أيضًا من مسائل العقيدة المهمة؛ لأنه قد ضل في إثباتها أناس، وغلا في إثباتها أناس، وتوسط فيها أناس.

فالشفاعة يوم القيامة الناس فيها على ثلاثة أقسام: قوم غلوا في إثباتها حتى طلبوها من الأموات ومن القبور ومن الأصنام والأشجار والأحجار ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، وطائفة غلت في نفي الشفاعة كالمعتزلة والخوارج، فإنهم نفوا الشفاعة في أهل الكبائر، وخالفوا ما تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة.

وأهل السنة والجماعة توسطوا فأثبتوا الشفاعة على الوجه الذي ذكره الله ورسوله، وآمنوا بها من غير إفراط ولا تفريط.

والشفاعة في اللغة: مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، فالوتر هو الفرد الواحد. والشفع هو أكثر من واحد، اثنين أو أربعة أو ستة، وهو ما يسمى بالعدد الزوجي.

وشرعًا: الوساطة في قضاء الحاجات، وساطة بين من عنده الحاجة وصاحب الحاجة، وهي على قسمين: شفاعة عند الله، وشفاعة عند الخلق.. =

ابن أبي العز الحنفي

..... فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.....

الشيخ صالح

قال: (حَقٌّ) يعني ثابتة (كَمَا رُوِيَ فِي الأَخبَارِ). والشفاعة هذه التي ادَّخرها لهم يُعنَى بها أول ما يُعنَى الشفاعة العامة لأهل الموقف أن يُعجِّل الله ﷻ لهم الحساب فيستريحون من العناء ويعرف كلٌّ منزلته. هذا معنى قوله: (وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُم حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الأَخبَارِ). وفي هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

الشفاعة في اللغة: من الشَّفع وهو الزوج ضد الفرد؛ لأنَّ الدّاعي أو المُتَوسِّط صار زَوجًا للسائل بعد أن كان السائل فردًا، فَسُمِّيَ شَفِيعًا؛ يعني سُمِّيَ شَفِيعًا لأنه شفع؛ يعني صار زوجًا له؛ يعني صار ثانيًا معه.

وحقيقة الشفاعة في اللغة هي السؤال، سؤال الشافع للمشفوع له في حاجةٍ ما وطلب ذلك.

التعليقات

= فالشفاعة عند الخلق على قسمين: شفاعة حسنة، وهي الأمور الحسنة النافعة المباحة، تتوسط عند من عنده حاجات الناس من أجل أن يقضيها لهم، قال سبحانه: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء». هذه شفاعة حسنة وفيها أجر؛ لأن فيها نفعًا للمسلمين في قضاء حاجاتهم وحصولهم على مطلوبهم الذي فيه نفع لهم، وليس فيها تعدّ على أحد، أو ظلمٌ لأحد ....=

ابن ابي العز الحنفي

...... فيأتون موسى: فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، قال: هكذا هو، وكلمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبًا، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ.......................................

الشيخ صالح

فَرَجَعَت في اللغة إلى معنى السؤال والدعاء، فمن قال لأحد اشفع لي عند فلان؛ يعني اسأل لي واطلب لي، توسط لي ونحو ذلك.

وأما في الاصطلاح: فالشفاعة اسم عام لكل دعاء للنبي ﷺ يوم القيامة لأمته؛ فكل دعوى يدعو بها ﷺ في العرصات يوم القيامة فإنها تعدُّ من الشفاعة.

يعني أنه إذا جاء في الحديث: فسألت الله لأمتي كذا، أو أسأل الله لأمتي، أو فأدعو الله لأمتي، هذه كلها شفاعة. ولهذا أهل العلم جعلوا -لأجل ما جاء في الأحاديث- الشفاعة عدة أقسام لتنوع العبارات في ذلك.

التعليقات

= **والقسم الثاني**: شفاعة سيئة، وهي التوسط في أمور محرمة، كالشفاعة في إسقاط الحدود إذا وجبت، وهذا يدخل فيمن لعنه النبي ﷺ في قوله: **«لعن الله من آوى محدثًا»**. والشفاعة أيضًا في أخذ حقوق الآخرين وإعطائها لغير مستحقها، قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾.

أما الشفاعة عند الله فليست كالشفاعة عند المخلوق، فالشفاعة عند الخالق: أن يكرم الله جل وعلا بعض عباده في أن يدعو لأحد المسلمين المستحقين للعذاب بسبب كبيرة ارتكبها، فيشفع عنده الشافع في أن يعفو عنه ولا يعذبه؛ لأنه مؤمن موحد، فيشفع الشافع عند الله جل وعلا بأن يعفو عنه، أو فيمن دخل النار في معصية فيشفع الشافع عند الله في أن يخرج ويرفع عنه العذاب، وهي ما تسمى بالشفاعة في أهل الكبائر.........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فأقوم، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقول: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى». أخرجاه في الصحيحين بمعناه، واللفظ للإمام أحمد..............

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

أنَّ الشفاعة في أحكامها قسمان:

- شفاعة في الدنيا.
- وشفاعة في الآخرة.

والذي أراده الطحاوي هنا الشفاعة في الآخرة؛ لأنه عبَّر بقوله: (الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُم حَقٌّ).

التعليقات

= لكن الشفاعة عند الله يشترط لها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذن، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، أما من قبل أن يأذن فلا أحد يتقدم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾، وليس كالمخلوق الذي يتقدم الناس للشفاعة عنده وإن لم يأذن، فالله جل وعلا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد وأهل الإيمان، ممن يرضى الله عنهم قولهم وعملهم، ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾، أي: رضي الله قوله وعمله، وجاء الشرطان في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾، أن يأذن الله هذا الشرط الأول، ويرضى هذا الشرط الثاني.............................. =

...... والعجب كل العجب، من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصور، فإنه المقصود في هذا المقام، ومقتضى سياق أول الحديث.

فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا الى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار........

الشيخ صالح

ولكن لما كان ثَمَّ من يخالف في أحكام الشفاعة في الدنيا والآخرة وفي تأصيلها وفي العقيدة الصحيحة فيها يذكر العلماء هنا ما يتّصل بالشفاعة في الآخرة وأيضًا الشفاعة في الدنيا، ويبيِّنون أحكام ذلك بالنسبة للنبي ﷺ ولعموم المكلّفين.

المسألة الثالثة

الشفاعة في الآخرة اختلف فيها الناس إلى أقوال متعددة:

- فَثَمَّ شفاعة مُجمَع عليها، وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف كما سيأتي.
- وهناك شفاعة أنكرها المعتزلة والخوارج وطوائف وهي الشفاعة لأهل الكبائر من الأمة في أن يعفو الله ﷻ عنهم، وأن يخرجهم من النار.
- وهناك أنواع من الشفاعة يختلف فيها نَظَرُ العلماء من أهل السنة ومن غيرهم لأجل ورود الدّليل عليها.

التعليقات

= أما الكافر فإنه لا تنفعه الشفاعة ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾، ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، فالشفاعة في القرآن شفاعتان: شفاعة منفية وهي التي انتفت شروطها، وشفاعة مثبتة وهي التي تحققت شروطها.

فالكافر لا تنفعه الشفاعة؛ لو شفع فيه أهل السماوات وأهل الأرض ما قبل الله فيه شفاعتهم؛ لأنه مشرك كافر بالله عز وجل، لا يرضى الله قوله ولا عمله، إلا ما جاء في شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب، فهي شفاعة خاصة، وأيضًا ليست شفاعة من أجل خروجه من النار، إنما هي شفاعة من أجل تخفيف العذاب عن هذا الرجل؛ لما حصل منه من مؤازرة النبي ﷺ وحمايته له -عليه الصلاة والسلام- والمدافعة عنه، فالنبي ﷺ يشفع في تخفيف العذاب عنه فقط.......................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وكان مقصود السلف - في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث - هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم، فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث.

وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور، ولولا خوف الإطالة لسقته بطوله، لكن من مضمونه: أنهم يأتون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم يأتون رسول الله محمدًا ﷺ، فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له: الفحص، فيقول الله: ما شأنك؟ وهو أعلم........

الشيخ صالح

وهذه الثالثة لا تُعَدُّ من الخلاف في العقيدة؛ لأنّه قد يُثبتُ الشفاعة من رأى صحة حديث، وقد ينفيها آخر لعدم ثبوت الدليل عنده بذلك، فهي إذًا مأخذ اجتهاد.

المسألة الرابعة:

أنَّ الشفاعة التي للنبي ﷺ بما جاء في الأخبار يوم القيامة أنواع:

أولاً: الشفاعة العظمى: وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف أن يُحَاسَبُوا، فإنَّ الناس يوم القيامة يمكثون زمانًا طويلاً في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ينتظرون الفرج وهم في شدة كرب وشدة حر وخوف وهلع، ينتظرون الحساب، وينتظرون تبيين المنازل، فيأتون إلى الأنبياء، يأتون إلى آدم يستغيثون به يطلبونه أن يشفع لهم، قال: «**فيأتون إلى آدم فيقولون له: أنت أبونا ألا ترى ما نحن فيه؟ اشفع لنا**» فيعتذر عن ذلك متذكرًا ذنبه عليه السلام، ثم يأتون إلى نوح فيسألونه، ثم يأتون إلى إبراهيم ثم يأتون إلى موسى ثم يأتون إلى عيسى عَلَيهِم جميعًا السَّلاَمُ، كل أولئك يعتذرون وبعضهم يذكر سؤالاً له وبعضهم يذكر ذنبًا له، كما جاء في الحديث الطويل المعروف حديث الشفاعة.

التعليقات

= هذه هي الشفاعة الثابتة بشروطها، وهي أنواع: منها أنواع خاصة بالنبي ﷺ، وأنواع مشتركة بينه وبين غيره من الأنبياء، والملائكة والصالحين والأفراط الذين ماتوا قبل البلوغ، كل هؤلاء يشفعون عند الله سبحانه وتعالى..=

ابن أبي العز الحنفي

..... قال رسول الله ﷺ، فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني، في خلقك، فاقض بينهم، فيقول سبحانه وتعالى: شفعتك، أنا آتيكم فأقضي بينهم، قال: فأرجع فأقف مع الناس، ثم ذكر انشقاق السموات، وتنزل الملائكة في الغمام، ثم يجيء الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، والكروبيون والملائكة المقربون يسبحون بأنواع التسبيح.........................

الشيخ صالح

ثم يأتون إلى النبي ﷺ فيقول ﷺ: «**أنا لها، أنا لها**»، **فيذهب فيخر تحت العرش بعد نزول الجبار** ﷻ)، قال ﷺ «**فأحمد الله بمحامد يفتحها عليّ لا أحسنها الآن**» فيقال: «**يا محمد ارفع رأسك وسل تُعطَ واشفع تشفع** ...» الحديث. وهذا فيه من جهة السياق ما يدل على أنَّ المراد من هذا السؤال أن يشفع لهم ﷺ في تحقيق ما طلبوا، وإن لم يرد له ذِكرٌ في الحديث، في تحقيق ما طلبوا وهو أن يحاسبوا، وأن يرتاحوا من الموقف.

فهذه هي الشفاعة العظمى جاءت فيها عدة أحاديث، وعليها التفسير في قوله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وكما جاء في دعاء المجيب للأذان: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه اللهمَّ مقامًا محمودًا الذي وعدّته**».

التعليقات

= وأما الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ فهي أنواع: **أولها**: شفاعته عليه الصلاة والسلام في أهل الموقف إذا طال الموقف يوم القيامة، واشتد الكرب، واشتد الزحام، ودنت الشمس من الرءوس، وحصل الكرب العظيم، أهل المحشر يريدون من يشفع لهم لفصل القضاء بينهم وصرفهم من هذا الموقف: إما إلى جنة وإما إلى نار؛ فيذهبون إلى آدم عليه السلام فيعتذر لهيبة المقام وجلالته، ثم يذهبون إلى نوح عليه السلام أول الرسل فيعتذر، ثم يذهبون إلى موسى كليم الله فيعتذر، ثم يذهبون إلى عيسى عليه السلام فيعتذر أيضًا، ثم يذهبون إلى محمد ﷺ فيقول: «أنا لها، أنا لها» ثم يأتي فيخر ساجدًا بين يدي الله عزَّ وجلَّ، ويحمده ويثني عليه ويدعوه حتى يقال له: «ارفع رأسك، وسل تُعطه، واشفع تشفع» بعد الدعاء والاستئذان، **لا** يشفع مباشرة، بل يسجد ويدعو ويثني على الله ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ثم يؤذن له بالشفاعة، ثم يشفع للفصل بين الخلائق فيقبل الله شفاعته، ويأتي سبحانه وتعالى لفصل القضاء بين عباده، قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾، وقال سبحانه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، هذه شفاعته عليه الصلاة والسلام في الفصل بين الخلائق، وهي مقام عظيم شرّف الله به النبي ﷺ، وهي المقام المحمود الذي قال الله سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾؛ لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون، ويظهر فضله عليه الصلاة والسلام في هذا الموقف العظيم....... =

...... قال: فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يقول: إني أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع أقوالكم، وأرى أعمالكم، فأنصتوا إلي، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، إلى أن قال: فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة، قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم، إنه خلقه الله بيده، ونفخ فيه روحه، وكلمه قبلاً، فيأتون آدم، فيطلبون ذلك إليه، وذكر نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد ﷺ... إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: فآتي الجنة، فآخذ بحلقة الباب، ثم استفتح، فيفتح لي، فأحيا ويرحب بي، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي عز وجل خررت له ساجدًا، فيأذن لي من حمده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول الله لي: ارفع يا محمد، واشفع تشفع، وسل تعطه، فإذا رفعت رأسي، قال الله – وهو أعلم: ما شأنك؟ فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله عز وجل: قد شفعتك، وأذنت لهم في دخول الجنة... الحديث. رواه الأئمة: ابن جرير في تفسيره، والطبراني، وأبو يعلى الموصلي، والبيهقي وغيرهم...

الشيخ صالح

«المقام المحمود» هو المقام الذي تحمده عليه الخلائق جميعًا، ويُثني عليه به ﷺ جميع الخلائق الذين وقفوا في الحساب، وهو مقام الشفاعة العظمى؛ لأنه بدعائه ﷺ وشفاعته يرتاح الناس من ذلك الموقف العظيم الذي لا يُتصوَّر؛ ولا يَعرف هوله إلا من قام فيه، أعاننا الله ﷻ على كرباته، وأمننا وإياكم من الفزع الأكبر.

التعليقات

= **الشفاعة الثانية**: الخاصة بالنبي ﷺ: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فأول من يستفتح باب الجنة هو محمد ﷺ، وهو أول من يدخلها، وأول من يدخلها من الأمم أمته عليه الصلاة والسلام.

الشفاعة الثالثة: الخاصة بالنبي ﷺ: شفاعته لأهل الجنة بأن يرفع الله منازلهم ودرجاتهم، فيشفع في أناس في أن يرفع الله درجاتهم في الجنة، فيرفعهم الله بشفاعته عليه الصلاة والسلام.........................=

..... النوع الثاني والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار، أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.......................

⇦ ثانيًا: شفاعته ﷺ في أهل الكبائر: وهذه قد جاء بها الدليل الخاص في قوله ﷺ **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**.

وقد سأل أبو هريرة ﷺ نبينا ﷺ فقال له: **«يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»** خَرَّجَاه في الصحيحين، فقوله: **«أسعد الناس بشفاعتي»** يعني سعيد الناس بشفاعتي، فـ«أسعد» أَفعَل على غير بابها بمعنى (فَعِيل)، يعني سعيد الناس بشفاعتي كما قال سبحانه: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤]، ليس معناه أنهم أحسن مقيلاً من أهل النار، فيشترك أهل النار معهم في حُسنِ مقيل، بل معنى قوله: ﴿ أَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ يعني حَسَنٌ مقيلهم. فأفعل ليس على بابها في المفاضلة؛ ولكنها بمعنى المصدر يعني حَسَنًا مقيلهم، سعيد الناس بشفاعتي ونحو ذلك.

= **الشفاعة الرابعة**: -وهي مشتركة- الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، وفي من دخلها أن يخرج منها، وهذه هي محط الخلاف بين الفرق؛ فالجهمية والخوارج وأضرابهم أنكروها وقالوا: من دخل النار لا يخرج منها، وأهل السنة والجماعة أثبتوها كما جاءت واعتقدوها، ويجب على المسلم أن يعتقدها ويؤمن بها، وأن يسأل الله أن يُشفع فيه نبيه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه بحاجة إليها.

الشفاعة الخامسة: وهي خاصة بالنبي ﷺ، وهي شفاعته في عمه أبي طالب، أبو طالب مات على الشرك وعلى دين عبد المطلب المشرك، قال: هو على ملة عبد المطلب، ومات على ذلك، فصار من أهل النار الخالدين فيها. ولكن الله عَزَّ وجَلَّ يشفع رسوله عليه الصلاة والسلام في تخفيف العذاب عنه، فيكون في ضحضاح من نار، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، مع أنه أهون أهل النار عذابًا...............=

ابن أبي العز الحنفي

...... النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مخرَّج في الصحيحين.

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه، ثم قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع: فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾. قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة..

الشيخ صالح

وهذه الشفاعة لأهل الكبائر لها نوعان؛ يعني لعموم اللفظ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» نوعان:

← النوع الأول: قوم أهل كبائر رَجحت سيئاتهم على حسناتهم، فأُمِرَ بهم إلى النار فَيَشفع فيهم ﷺ في أن لا يدخلوا النار، فيُشفَّع فيهم ﷺ.

←النوع الثاني: في أقوامٍ دخلوا النار فيشفع فيهم ﷺ أن يخرجوا منها، فيخرجون منها كأنهم الحِمَم فيوضعون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبَّة في جانب السيل.

⇦ ثالثًا: **شفاعته ﷺ في أن يدخل أقوام الجنة بغير حساب ولا عذاب**: وهذه يُستدلّ لها بقول عُكَّاشة في حديثه: (**يا رسول الله أدعوا الله أن يجعلني منهم**) قال: (**أنت منهم**).

⇦ رابعًا: **شفاعته ﷺ في رفع درجات بعض أهل الجنة**: وهذه يذكرها أهل العلم، ولم يورِدُوا عليها دليلاً بيِّنًا، وهي شفاعة متفق عليها حتى عند أهل البدع. فيُستَدَلُّ لها:

١ - بالاتفاق.

التعليقات

= والشفاعة في أهل الكبائر مشتركة، فالملائكة يشفعون، والأنبياء يشفعون، والأولياء والصالحون يشفعون، والأفراط يشفعون لآبائهم.

..... النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، كما تقدم. وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول شفيع في الجنة».

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث. وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك؛ جهلاً منهم بصحة الأحاديث، وعِنادًا ممن علم ذلك واستمر على بدعته.

وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضًا. وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات.

ومن أحاديث هذا النوع، حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. رواه الإمام أحمد رحمه الله.......

٢ – بما استدل به ابن القيم رحمه الله في شرحه على تهذيب سنن أبي داوود حيث قال: ويستدل لها بقوله ﷺ لما صلى على أبي سلمة: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين**»، فقوله «وارفع درجته» دعاء في الدنيا له وهذا معنى الشفاعة.

⇦ خامسًا: **شفاعته ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم وصاروا على الأعراف، في أن يعفو الله ﷻ عنهم ويُدخلهم الجنة**: فهؤلاء يدخلون في عموم قوله ﷻ: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ [الأعراف: ٤٦]، على أحد أوجه التفسير من أنَّ أصحاب الأعراف هم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيُجعلون على رأس جبل بين الجنة والنار لأجل التساوي، إذا نظروا يمنة إلى الجنة سُرُّوا، وإذا نظروا شمالاً إلى النار خافوا، فَيُشَفَّع فيهم ﷺ إكرامًا له في أن يجعلهم الله ﷻ من أهل الجنة.

...... وروى البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي، قال: اجتمعنا، ناس من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه، يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة.

فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة، جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد ﷺ، قال: «**إذا كان يوم القيامة، ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيأتون موسى**..........

⇦ سادسًا: **شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة:**

فإنَّ الناس إذا جاوزوا الصراط يُحبسون في عرصات الجنة مدة، ثم يأتي ﷺ فيقرع باب الجنة فيُفتح له، ويسأل الله ﷻ قبل ذلك أن يأذن لأهل الجنة بدخولها، فيدخلون برحمة الله ﷻ، ثم بشفاعته ﷺ، وهو ﷺ أول شافع وأول مُشَفَّع؛ يعني من حيث الجنس هو أول شافع وأول مُشَفَّع.

⇦ سابعًا: **شفاعته ﷺ لأبي طالب عمِّه في أن يخفف الله ﷻ عنه العذاب:**

فيُشَفَّع فيه فيكون في ضحضاح من نار نعلاه من نار يغلي منهما دماغه، نعوذ بالله من عذابه. هذه سبعة أنواع وبعض أهل العلم يجعلها ثمانية؛ لأجل أنَّ أهل الكبائر -كما ذكرنا لكم- نوعان، فيجعل شفاعته لأهل الكبائر يعدها نوعين من الشفاعة؛ وهي واحدة لأن الدليل فيها واحد.

...... فيقول: لست لها، لكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذنَ لي، ويلهمني محامد أحمده بها، لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخرُّ له ساجدًا، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، واشفع تُشَفَّع، وسل تُعْطَ، فأقول: يا ربِ أمتي أمتي.

فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجدًا، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسْمَعُ لك، واشفَع تُشَفَّع، وسَلْ تُعْطَ، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسْمَعُ لك، وسل تُعطَ، واشفع تُشَفَّعْ.................

الشيخ صالح

المسألة الخامسة:

الشفاعة يوم القيامة ليست خاصة بالنبي ﷺ ولا بالأنبياء؛ بل تَشفع الملائكة ويَشفع المؤمنون بدرجاتهم: العلماء والشهداء والصالحون يشفعون؛ كما ثبت في الصحيح أنَّ الله ﷻ يقول يوم القيامة: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين فيأمر الله ﷻ بأقوام في النار لم يعملوا خيرًا قطُّ أن يخرجوا**» إلى آخر الحديث.

يعني أنَّ الشفاعة ليست خاصة بالأنبياء؛ بل الملائكة تشفع كما قال ﷻ في وصف الملائكة من حملة العرش وغيرهم: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥]، وهذا استغفار قبل معاينة المصير والعذاب، وهم أرحم ومُتَوَلِّينَ لأهل الإيمان إذا رأوا العذاب ورأوا المصير. قال: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون**» فإذًا الشفاعة عامة؛ فكل مؤمن صالح يشفع؛ يشفع في قريبه، يشفع في من شاء.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... **فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل.** قال: فلما خرجنا من عند أنس، قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن، وهو متوار في منزل أبي خليفة، فحدثناه بما حدثنا به أنس بن مالك، فأتيناه، فسلمنا عليه، فأذن لنا، فقلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه؟ فحدثناه بالحديث، فانتهى الى هذا الموضع، فقال: هيه؟

فقلنا: لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميع، منذ عشرين سنة، فما أدري، أنسي أم كره أن تتكلوا؟ فقلنا: يا أبا سعيد، فحدثنا، فضحك وقال: خُلِقَ الإنسان عجولاً! ....

الشيخ صالح

المسألة السادسة:

الشفاعة لا تنفع عند الله ﷻ مطلقًا كما قال سبحانه: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨]، فليس كل شافع يُشفَّع، وليست كل شفاعة تُقبل، بل لا تنفع الشفاعة لا من الأنبياء ولا من الملائكة إلا بوجود شرطين فيها:

- الشرط الأول: أي يأذن الله للشافع أن يشفع.
- الشرط الثاني: رضا الرحمن ﷻ عن المشفوع له.

كما قال سبحانه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦]، يعني فيمن تنفعه الشفاعة؛ لهذا قال العلماء يُشترط لحصول الشفاعة وقبولها:

١ - إذن الله ﷻ. ٢ - الرضا.

التعليقات

....

ابن ابي العز الحنفي

...... ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم، حدثني كما حدثكم به، قال: **ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع، وسَل تُعطَه، واشفع تُشفّع.**

فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله». وهكذا رواه مسلم ....

الشيخ صالح

◄ أولاً: إذن الرحمن ﷻ. المقصود بالإذن: الإذن الشرعي والإذن الكوني، فإنَّ العبد لا يبتدئ بالشفاعة كونًا إلاَّ بعد أن يشاء الله ﷻ أن تقع منه الشفاعة كونًا؛ يعني في الدنيا وفي الآخرة، وكذلك لا بد لتحقيق هذا الشرط من الإذن الشرعي، فإذا شفع في من لم يُؤذَن شرعًا بالشفاعة فيه؛ فإن الشفاعة لا تُقبَل.

مثاله شفاعة إبراهيم في أبيه قال: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] فلم تنفعه، وقال سبحانه في حقه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، فلما تبين له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه.

كذلك شفع نوح عليه السلام في ابنه: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥] فأجابه الرحمن ﷻ فـ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦].

وكذلك شَفَعَ النبي ﷺ في عمِّه وقال: «**لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عن ذلك**»، فنزل قول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. فإذًا: ولو وقعت الشفاعة بإذن الله الكوني فإنها لا تنفع حتى يكون إذن الله الشرعي؛ يعني حتى تكون الشفاعة موافِقَةً للشرع، موافِقَةً للشرع يعني الإذن الشرعي في صفتها، وفي المشفوع له، وفيما يكون في ذلك، وهذا الشرط مهم فيما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وروى الحافظ أبو يعلى عن عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**». وفي الصحيح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا، قال: فيقول الله تعالى: «**شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط**»، الحديث.

ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال: فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم: يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر..

الشيخ صالح

← ثانيا الرضا: كما قال سبحانه: ﴿ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]، وقال ﷻ في سورة الأنبياء في ذكر الملائكة: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، هذا الرضا هو:

١ - رضا الله ﷻ عن الشافع. ٢ - رضا الله ﷻ عن المشفوع له.

- فرضا الله عن الشافع في قوله: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

- ورضا الله عن المشفوع له في قوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾، وآية النجم في قوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦] كذلك.

إذًا فالرضا شرط: ١ - رضاه سبحانه عن الشافع، ولذلك الكافر لا يشفع.

٢ - رضا الله ﷻ عن المشفوع له.

ويرد على هذا شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب، فهي مستثناة من هذا الشرط لأجل أنَّ الله ﷻ رضي نصرته للنبي ﷺ، فحصل من أبي طالب مِنَ الفعل ما فيه نوع رضا لله ﷻ عن الفعل لا عن الفاعل؛ فإذًا هو إيراد على الشرط، والجواب أنَّ هذا استثناء وسبب الاستثناء ما ذُكِر.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وأما أهل السنة والجماعة، فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر، وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حدًّا، كما في الحديث الصحيح، حديث الشفاعة: **إنهم يأتون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، فيقول لهم عيسى عليه السلام: اذهبوا إلى محمد، فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأذهب، فإذا رأيت ربي خررت له ساجدًا، فأحمد ربي بمحامد يفتحها عليَّ، لا أحسنها الآن، فيقول: أي محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع، واشفع تُشفَّع، فأقول: ربي: أمتي، فيحد لي حدًا، فأدخلهم الجنة، ثم أنطلق فأسجد، فيحد لي حدًا** ذكرها ثلاث مرات..................

الشيخ صالح

المسألة السابعة :

أنَّ الشفاعة من المباحث العظيمة التي ضلَّ فيها فئام من الناس.

فضلت النصارى فيها، وضل مشركو العرب فيها، وضلّ مشابهو مشركي العرب من الذين يغلون في الأولياء والأنبياء والقبور فضلوا فيها، والجميع لسانهم قول المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ولهذا الشفاعة كما ذكرت لك لها جهتان في بحثها:

١ – جهة تتعلق بالعقيدة والآخرة؛ وهي ما قدمنا ملخصًا ومختصرًا في يوم القيامة.

٢ – جهة تتعلق بما يتصل بتوحيد العبادة وطلب الشفاعة من الأموات.

وتحقيقا لذلك المقام فنقول: إنّ طلب الشّفاعة من الإنسان أو من المخلوق هذه منقسمة إلى قسمين:

الأولى : شفاعة أَذِنَ بها الشرع.

الثانية : شفاعة نهى عنها الشّرع.

أما التي أذن بها الشرع فهي طلب الشفاعة ممن يملكها ويستطيع أداءَها وهو الحيّ الحاضر الذي يسمع، ولهذا سأل الصحابة النبي ﷺ أن يشفع لهم في حياته ﷺ؛ لأنه حي حاضر يسمع.

التعليقات

....

..... وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء، ففيه تفصيل: فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين: أحدهما: أنه أقسم بغير الله. والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقًا.

ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وكذلك ما ثبت في الصحيحين من ﷺ لمعاذ رضي الله عنه، وهو رديفه: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**...

وقد ثبت في الصحيح أن عمر ﷺ لما جاءت المجاعة وأصاب الناس الكرب في عام الرَّمادة أنه قال لما استسقى بالناس: «**اللهم إنا كنا إذا أجدبنا استسقينا بنبيك، وإنا الآن نستسقي بعم نبيك اللهمَّ فأسقنا، يا عباس قم فأدعُ ربَّك**». فدل هذا على أنهم كانوا يطلبون الشفاعة من النّبي ﷺ. وطلب الشفاعة منه في حياته بمعنى طلب أن يدعو لهم ربّه ﷻ، والنبي ﷺ دعواته الأصل فيها أنها مجابة، وقد يُرَدُّ بعضها لحكمة الله ﷻ.

وأما التي نهى عنها الشرع فهو طلب الشفاعة من المخلوق الذي ليس بحي - ميت- أو هو غائب فإنه شرك بالله ﷻ. لماذا؟ لأنه طلب؛ لأنَّ حقيقة الشفاعة دعاء وطلب، فإذا سأل غيره الشفاعة، فهو سأل وطلب من المسئول أن يسأل.

فإذًا حقيقة طلب الشفاعة أنها دعاء، ولذلك من طلب من الميت أن يدعو له، فإنه يدخل في عموم نصوص الدّعاء؛ لأنّ الطّلب دعاء.

ولهذا نقول: كل طلب شفاعة من الأموات أو الغائبين ممن لا يملكها أو لا يستطيعها أو لم يُؤذن له فيها شرعًا في حياة البرزخ فإنّ هذه من الشرك بالله ﷻ.

ابن أبي العز الحنفي

...... **قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم»**. فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئًا كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به، ولا أن يسأل بسببه ويتوسل به؛ لأن السبب هو ما نصبه الله سببًا.

وكذلك الحديث الذي في المسند من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ، في قول الماشي إلى الصلاة: أسألك بحق ممشاي هذا، وبحق السائلين عليك، فهذا حق السائلين، هو أوجبه على نفسه، فهو الذي أحق للسائلين أن يجيبهم، وللعابدين أن يثيبهم، ولقد أحسن القائل:

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم السامع ....

الشيخ صالح

لكنّ الشُّبهَة في الشفاعة كبيرة، وتحتاج إلى إقامة الحجة على المخالف أكثر من غيرها من مسائل العقيدة.

المشركون لم يكونوا يطلبون من آلهتهم الدّعاء، لم يكونوا يطلبون من أوثانهم لتشفع ولكن كانوا يتقربون إليها لتشفع. فإذن صورة طلب الشفاعة من الميّت محدثة. ولهذا يُعَبِّر كثير من أهل العلم عن طلب الشفاعة من الأموات بأنها بدعة محدثة؛ لأنّها لم تكن فيما قبل الزمان الذي أُحدثت فيه تلك المحدثات في هذه الأمة.

فإذًا تعبير بعض أهل العلم عنها بأنها بدعة، لا يعني أنها ليست بشرك؛ لأنَّ البِدَعَ منها ما هو كفري شركي ومنها ما هو دون ذلك. تفاصيل مسألة الشفاعة من حيث تعلقها بتوحيد الإلهية مبسوط في شرح كتاب التوحيد كما هو معروف، والمقام في شرح العقيدة العامة لا يتسع لتفصيل الكلام على ذلك.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... فإن قيل: فأي فرق بين قول الداعي: بحق السائلين عليك وبين قوله: بحق نبيك أو نحو ذلك؟

فالجواب: أن معنى قوله: بحق السائلين عليك أنك وعدت السائلين بالإجابة، وأنا من جملة السائلين، فأجب دعائي، بخلاف قوله: بحق فلان - فإن فلانًا وإن كان له حق على الله بوعده الصادق - فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل. فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي! وأي مناسبة في هذا؟ وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء! وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة الأعراف آية: ٥٥].

وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية. والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع..............

الشيخ صالح

المسألة الثامنة:

احتج المعارض والمخالف من المعتزلة والخوارج في أنَّ الشفاعة لأهل الكبائر لا تنفع، الشفاعة لمن في النار لا تنفع، بقول الله ﷻ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

ووجه الاستدلال عندهم من الآية أنَّهُ قال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ بالجمع، والذين يشفعون يوم القيامة هم الذين أذن الله لهم بالشفاعة وهم الأنبياء والمؤمنون، قالوا: فدلت الآية على أنَّ من في النار لا تنفعه الشفاعة -شفاعة الشافعين؛ لأجل عموم لفظ الشافعين فهو عام في كل من يشفع. والجواب عن ذلك:

○ أولاً: أنَّ هذه الآية جاءت في سياق ذكر الكفار وأنهم في النار، فقال ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢- ٤٨].

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضًا؛ لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟! وقد قال ﷺ: **من حلف بغير الله فقد أشرك.**

ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك حتى كره أبو حنيفة ومحمد رضي الله عنهما أن يقول الرجل: اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك، ولم يكرهه أبو يوسف رحمه الله لما بلغه الأثر فيه.

وتارة يقول: بجاه فلان عندك، يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك. ومراده أن فلانًا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا....

الشيخ صالح

فقوله ﴿ فَمَا ﴾ الفاء هنا ترتيبية تُرَتِّبُ النتيجة التي بعدها على الوصف الذي قبلها، والوصف الذي قبلها في الكافرين الذين وصفهم بقوله: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾، ووصفهم بقوله: ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ وهؤلاء هم الكفار. والمسألة التي هي الشفاعة لأهل الكبائر هي في مَن كان مسلمًا، أما المكذّب بيوم الدين والذي لم يصحَّ إسلامُه فإنه ليس هو محل البحث.

فإذًا استدلالهم بالآية في غير محله؛ لأنَّ الآية يقول بها من يثبت الشفاعة لأهل الكبائر في أنَّ المشركين ولو شفع بعضهم لبعض، وظنوا أنَّ آلهتهم تشفع فما تنفعهم شفاعة الشافعين؛ لأنهم مشركون كفرة، والكافر لم يرضَ الله ﷻ عنه، ومن شرط الشفاعة الرضا.

فلو شفع على فرض أنَّ أحدًا شفع لهم من أقربائهم فإنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين، والله سبحانه إنما تنفع الشفاعة عنده لمن يأذن الله ﷻ له ولمن يرضى.

○ ثانيًا: أنَّ قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح بمجموع طرقه: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» هذه نص وليست بالظاهر؛ يعني لا يحتمل التأويل.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وهذا أيضًا محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره.

فلما مات ﷺ قال عمر ﷺ - لما خرجوا يستسقون: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا. معناه بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله، ليس المراد أنا نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك؛ إذ لو كان ذلك مرادًا لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس.........

الشيخ صالح

وكذلك قوله: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه ومن نفسه**» هذا فيه ظهور في الدلالة؛ لأنها تعم من قال لا إله إلا الله مخلصًا وصاحب الكبيرة قالها، وقد قال ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال**» يعني الذي قال، ومن المقرر أنَّ الاسم الموصول في العربية وعند الأصوليين يعم ما كان في حيِّز صلته بظهورٍ في العموم.

ولهذا نقول: إنَّ من مَنَعَ الشفاعة لأهل الكبائر من المعتزلة والخوارج هذا لأجل مذهبهم الرّديء في أنَّ فِعلَ الكبيرة كُفر، وأنه يوم القيامة يكون من أهل النار والعياذ بالله، وهذا باطل كما هو مقرّر في موضعه من مباحث الأسماء والأحكام في الإيمان.

المسألة التاسعة:

أنّ الشارح ابن أبي العز ﷺ في شرحه ذَكَرَ في هذا الموضع مسائل التوسّل بالجاه والتوسّل بالحق -يعني قول القائل: (بحق فلان)، (بحق نبيك)، (بحق عمر) ونحو ذلك، والتوسل بجاه فلان- وبَحَثَهَا بحثًا جيدا مُلَخَصًا من كتاب التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، فلابد من الاطلاع على ذلك الكلام، ومراجعة كتاب التوسل والوسيلة؛ لأنَّ لفظ التوسل يشتبه بالشفاعة، فبعضهم يجعل (أتوسّل إليك) بمعنى الشفاعة، فيكون توسلاً متضمنًا الشفاعة، أو متضمنًا التّشفع، أو طلب التشفع.

ولهذا في قول القائل: أسألك بحق فلان، هذا فيه تفصيل ويُرجَع فيه إلى شرح الطحاوية وإلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنه لا يناسب المتن؛ يعني لفظ الشفاعة التي ذكرها الطّحاوي ﷺ، فهي فائدة استطرادية.

التعليقات

..... وتارة يقول: باتباعي لرسولك ومحبتي له وإيماني به وسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم، ونحو ذلك. فهذا من أحسن ما يكون في الدعاء والتوسل والاستشفاع.

فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال، غلط بسببه من لم يفهم معناه: فإن أريد به التسبب به لكونه داعيًا وشافعًا، وهذا في حياته يكون، أو لكون الداعي محبًّا له، مطيعًا لأمره، مقتديًا به، وذلك أهل للمحبة والطاعة والاقتداء، فيكون التوسل إما بدعاء الوسيلة وشفاعته، وإما بمحبة السائل واتباعه، أو يراد به الإقسام به والتوسل بذاته، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه.........................

المسألة العاشرة:

الأسباب التي بها يُحَصِّل المرء المسلم شفاعة نبيه ﷺ جاءت بها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ. ونذكر منها سببين:

○ السبب الأول: وهو أعظم الأسباب وأرجاها وهو التوحيد وإخلاص الدين والعمل لله ﷻ وإسلام الوجه لله ﷻ. وهذا قد دلَّ عليه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ أنه سأل النبي ﷺ فقال: **«يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال** ﷺ **له «لقد علمت أن لن يسألني أحد عن هذا قبلك، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»**، ومثله قوله ﷺ: **«لكل نبي دعوة مجابة وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي مدركة منهم من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ونفسه»** أو كما قال ﷺ.

○ السبب الثاني: متابعة المؤذن فيما يقول كما دل عليه الحديث الذي رواه البخاري وغيره أنه ﷺ قال: **«من سمع النداء فقال مثل ما يقول المؤذن، ثم قال: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إلا حلت له شفاعتي يوم القيامة».**

...... وكذلك السؤال بالشيء، قد يراد به التسبب به؛ لكونه سببًا في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام به.

ومن الأول: حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما، فإن الصخرة انطبقت عليهم، فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة الخالصة، وكل واحد منهم يقول: فإن **كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون.**

فهؤلاء: دعوا الله بصالح الأعمال؛ لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله، ويتوجه به إليه، ويسأله به؛ لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله.

فالحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعة في الطلب، بمعنى أنه صار شفعًا فيه بعد أن كان وترًا، فهو أيضًا قد شفع المشفوع إليه، وبشفاعته صار فاعلاً للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب منه، والله تعالى وتر، لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه...

فمن أسباب نيل شفاعته ﷺ متابعة المؤذن بإخلاص وصدق؛ لأنّ ذلك دالٌّ على التوحيد وعلى الاستسلام لله ﷻ في شرعه وأمره، فيقول مثل ما يقول المؤذن، ثم إذا ختم لا إله إلا الله قال مثل ما يقول، ثم يقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته. وهنا فيه زيادات مروية في بعض الروايات في دعاء مجيب المؤذن منها: آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة **«والدرجة العالية الرفيعة»**، وهذه الزيادة ضعيفة.

...... فسيد الشفعاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى فقال له الله: **ارفع رأسك، وقل يُسمَع، واسأل تُعطَه، واشفع تُشفَّع، فيحد له حدًّا فيدخلهم الجنة...**»، فالأمر كله لله. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه لمن يشاء، ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته، كما قال ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء**». وفي الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «**يا بني عبد مناف، لا أملك لكم من الله شيئًا، ياصفية يا عمة رسول الله ﷺ لا أملك لك من الله شيئًا، ياعباس عم رسول الله، لا أملك لك من الله شيئا**».

وفي الصحيح أيضًا عن النبي ﷺ: «**لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، أو شاة لها يعار، أو رقاع تخفق، فيقول: أغثني، فأقول: قد أبلغتك، لا أملك لك من الله من شيء**». فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به: **لا أملك لكم من الله من شيء** فما الظن بغيره؟

وإذا دعاه الداعي، وشفع عنده الشفيع، فسمع الدعاء، وقبل الشفاعة، لم يكن هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق في المخلوق، فإنه سبحانه وتعالى هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه. وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء.

وكذلك زيادة أخرى: وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته «**إنك لا تخلف الميعاد**». وهذه رواها البخاري في صحيحه في رواية الكُشميهَني وهي عند المحققين شاذة لا تصحّ عن البخاري لمخالفة الكشميهَني لجميع رواة الصحيح.

وثَمَّ أسباب أخرى تجمعونها إن شاء الله تعالى فإنها من نفيس العلم جعلني الله وإياكم ممن ينال هذا الحظ العظيم وهو شفاعته ﷺ. لعلَّ في هذا القدر كفاية.

... والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق(١)................

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق).

ش: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾. أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو. وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم: ....

الشيخ صالح

قال ﷺ (**وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ**). (**الْمِيثَاقُ**) يُذْكَرُ في بعض كتب العقائد لا في كلِّها؛ بل كثيرٍ منها أو الأكثر لا يذكرون مسألة الميثاق، والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته متّصل بمسألة القَدَرْ؛ بل هو مبحوث في القَدَر، ولذلك لا يستقل بحثُهُ عن مسألة القَدَر؛ بل هو مرتبط بالقَدَر، وذلك أنَّ الروايات والأحاديث التي فيها أخْذُ الميثاق من آدم وذريتِه فيها أنّه جعل فئة إلى الجنة وفئة إلى النار وأنَّ النبي ﷺ سُئل فيم العمل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خُلِقَ له**» ونحو ذلك.

فالأحاديث الصحيحة التي فيها ذِكْرُ الميثاق متصلة بالقَدَرْ وليس فيها تقرير لمسألة الميثاق في نفسه بكونه أمرًا غيبيًّا، أو لكونه حجةً على العباد دون مسألة القَدَر؛ بل هي المراد بها القَدَر.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت : يشير إلى بعض الأحاديث المصرحة بأن الله تعالى استخرج الذرية من صلب آدم عليه الصلاة والسلام وقد ذكر في الشرح أربعة منها وهي مخرجة في تعليقي عليه وفي (تخريج السنة) (رقم ١٩٥ - ٢٠٥)، وقد كنت استثنيت في التعليق المشار إليه (ص ٢٦٦ - الطبعة الرابعة [شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٤] من الصحة مسح الظهر الوارد في حديث عمر وكان ذلك سهوًا مني، أسأله تعالى أن يغفره لي فقد تنبهت إلى أن له شاهدًا حسنًا من حديث أبي هريرة وهو مذكور في (الشرح) وآخر من حديث ابن عباس بسند ضعيف خرَّجته في (السنة) (٢٠٣) فاقتضى التنبيه.......... =

ابن أبي العز الحنفي

.......فمنها: ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلاً، قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا ... إلى قوله: المبطلون**». ورواه النسائي أيضًا، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وروى الإمام أحمد أيضًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال: «**إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون**.........................

الشيخ صالح

ولذلك الطحاوي رحمه الله جعل مسألة الميثاق مقدمة لبحثه في القدر؛ فقال: (**وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ. وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلاَ يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُ.**) فهذا العلم مذكور في أحاديث الميثاق. هذا الميثاق من الأمور الغيبية والاعتقاد؛ اعتقاد ذلك موافقٌ أو مُرَتَّبٌ على معرفة ما جاءت به السنة.

وأما القرآن الكريم فليس فيه ذِكْرٌ للميثاق الذي أخذه الله ﷻ من آدم وذريته، وإنما جاء ذلك في عددٍ من الأحاديث في الصحيحين وفي غيرهما. ومسألة الميثاق من المسائلِ التي يتَّفِقُ عليها أرباب الفِرَقْ المختلفة، فلا خلاف في أنّ الميثاق أُخِذ؛ لكن كيف يُفسَّر؟ يختلفون فيه كما سيأتي.

التعليقات

= (١) الشيخ الفوزان: الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا حق، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ أخبرنا أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره كأمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم بالوحدانية، وأخذ عليهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، فنحن نؤمن بذلك، وهذا العهد والميثاق لا يكفي، بل لابد معه من إرسال الرسل، ولذلك أرسل الله الرسل، ولو كان هذا يكفي وحده لما أرسل الله الرسل، ولكن أرسل الرسل من أجل أن تذكر به وتدعو الناس إلى ما تضمنه.............................=

ابن أبي العز الحنفي

..... ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار».

ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن حبان في صحيحه ....

الشيخ صالح

وكذلك أهل السنة والجماعة اختلفوا جدًّا في مسألة الميثاق مع اتفاقهم على حصول الاستخراج من ظهر آدم وأخذ الميثاق عليه. إذا تبين هذا الإجمال في هذه المسألة المُشْكِلَة فإنَّ بحثها يكون في مسائل:

المسألة الأولى:

الميثاق ذُكِرَ في القرآن بمعنى العهد الشديد المؤكد كما في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٤]، وكما في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧]، والآيات في ذكر الميثاق متنوّعة كثيرة.

التعليقات

= وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾، فذهب بعض المفسرين إلى أن هذا هو العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم والميثاق، وليس كذلك، بل هذا شيء آخر، والله يقول: ﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ ولم يقل: من ظهر آدم، وتكملة الآية: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾، وقال بعض العلماء: معنى ذلك: الفطرة التي فطرهم الله عليها، والآيات الكونية التي نصبها الله لهم؛ ليعرفوا منها ربهم، فالله سبحانه فطرهم على التوحيد وعلى الإسلام: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾، وهي دين الإسلام ودين التوحيد، فالإسلام معناه التوحيد الذي جاءت به الرسل، ومعناه: عبادة الله وحده لا شريك له، هذا هو الدين القيم ....=

ابن أبي العز الحنفي

..... وروى الترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم مسح على ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب، من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، قال: رب، كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم، جاء ملك الموت، قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال فجحد! فجحدت ذريته، ونسي آدم، فنسيت ذريته، وخطىء آدم، فخطئت ذريته**». ثم قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**. ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.............

الشيخ صالح

ومعنى الميثاق هو العهد الشّديد المؤكّد ومنه قوله ﷻ في سورة يوسف: ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾؛ يعني عهدًا شديدًا مؤكّدا من الله ﷻ تُشهدُون عليه ربّنا، تشهدون عليه الله ﴿ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف: ٦٦].

المسألة الثانية:

أنَّ الميثاق الذي أُخِذَ من آدم معناه على ما جاء في بعض الأحاديث: أنَّ الله ﷻ استخرج ذرية آدم من ظهره؛ استخرج صورهم، وأنَّ هذا الاستخراج لأجل ظهور عِلْمِ الله ﷻ فيهم ولأجْلِ أخْذ العهد عليهم بما يشاؤه الله ﷻ.

التعليقات

= ومع هذا نصب الأدلة على ربوبيته فيما يشاهدونه في أنفسهم من خلقهم العجيب، وما فيهم من الآيات العجيبة التي تدل على الخالق سبحانه وتعالى، وكذلك ما نصبه أمامهم من السماوات والأرض والمخلوقات التي تدل على الخالق، إن هذه المخلوقات لابد لها من خالق، لم توجد صدفة أو توجد بدون خالق ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾.

فيا غجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد؟!

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد .....=

..... وروى الإمام أحمد أيضًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء، أكنت مفتديًا به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي شيئًا**». وأخرجاه في الصحيحين أيضًا.

وذكر أحاديث أخرى أيضًا كلها دالة على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميز بين أهل النار وأهل الجنة.

ومن هنا قال من قال: إن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد.........................

والأحاديث في هذا متعارضة متنوعة مختلفة، لهذا يُدْخِلُ أهل العلم تارةً في بحث الميثاق دليل من القرآن على ذلك -وهو ليس بدليل في المسألة- وهو قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢- ١٧٤]، فيجعلون هذه الآية لأجل اختلاف الأحاديث وتنوع العبارات فيها يجعلونها من أدلة هذا الميثاق، وسيأتي بيان أنَّ هذا ليس بصحيح، وأنّ الميثاق الذي أخذه الله من آدم و ذريته لا دليل عليه من القرآن.

الأحاديث تحتاج إلى عناية وإلى جمع، والاختلاف فيها كما ذكرنا والاضطراب والشذوذ كثير، فلعله أن يُجمَع ما صَحَّ من ذلك في الصحيحين ويُطَرح الضعيف أو المضطرب أو المختلف، مع أنَّ كثيرًا من العلماء دخل عليهم بعض تلك الألفاظ في بعض؛ ولذلك اضطربت أقوالهم في المسألة. هذا ذكر سبب الاضطراب في هذه المسألة العظيمة......

= كل ما أمامك يدل على وحدانية الله، ويشهد لله بالانفراد في خلق هذه المخلوقات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾، فالخالق الله سبحانه، ولا أحد يخلق معه، فكيف يُعبد غيره ممن لا يخلق ولا يرزق ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟! فمعنى الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، شهادة الفطرة وشهادة الكائنات على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد أن يعتذر يوم القيامة ويقول: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، فالاحتجاج بالتقليد لا يصلح أمام البراهين القاطعة والأدلة الساطعة...........................=

ابن ابي العز الحنفي

...... وهذه الآثار لا تدل على سبق الأرواح الأجساد سبقًا مستقرًّا ثابتًا، وغايتها أن تدل على أن باريها وفاطرها سبحانه صور النسمة وقدر خلقها وأجلها وعملها، واستخرج تلك الصور من مادتها، ثم أعادها إليها، وقدَّر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، ولا يدل على أنها خلقت خلقًا مستقرًّا واستمرت موجودة ناطقة كلها في موضع واحد ثم يرسل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة، كما قاله ابن حزم، فهذا لا تدل الآثار عليه.

نعم، الرب سبحانه يخلق منها جملة بعد جملة، كما قاله على الوجه الذي سبق به التقدير أولاً، فيجيء الخلق الخارجي مطابقًا للتقدير السابق، كشأنه سبحانه في جمع مخلوقاته، فإنه قدر لها أقدارًا وآجالاً، وصفات وهيئات، ثم أبرزها إلى الوجود مطابقة لذلك التقدير السابق؛ فالآثار المروية في ذلك إنما تدل على القدر السابق، وبعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.

وأما الإشهاد عليهم هناك، فإنما هو في حديثين موقوفين على ابن عباس وعمررضي الله عنهم. ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرتهم على التوحيد، كما تقدم كلام المفسرين على هذه الآية الكريمة في حديث أبي هريرةرضي الله عنه. ومعنى قوله: (شهدنا): أي قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا. وهذا قول ابن عباس وأبي بن كعب..........

الشيخ صالح

فإذًا الميثاق أمرٌ غيبي، والأخذ من آدم وذريته على ما جاء في الأحاديث حق وصواب، وأنّ هذا الميثاق لأجل مسألة القدَر ولأجل العهد عليهم وهذا العهد أمر غيبي وليس متّصلاً بآية الأعراف.

المسألة الثالثة:

أنّ آية الأعراف التي ذكرنا وهي قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ لا يصح بها الاستدلال على ما أَوْرَدَهُ هنا الطحاوي في قوله (**وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ**).

التعليقات

..... وقال ابن عباس أيضًا: أشهد بعضهم على بعض. وقيل: (شهدنا) من قول الملائكة، و الوقف على قوله: (بلى)، وهذا قول مجاهد والضحاك وقال السدي أيضًا: هو خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. والأول أظهر، وما عداه احتمال لا دليل عليه، وإنما يشهد ظاهر الآية للأول.

واعلم أن من المفسرين من لم يذكر سوى القول بأن الله استخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم، كالثعلبي والبغوي وغيرهما. ومنهم من لم يذكره، بل ذكر أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله فيهم، كالزمخشري وغيره، ومنهم من ذكر القولين، كالواحدي والرازي والقرطبي وغيرهم، لكن نسب الرازي القول الأول إلى أهل السنة، والثاني إلى المعتزلة.........................

الشيخ صالح

والطحاوي في كتابه مُشْكِل الآثار ذَهَبَ إلى تفسير الآية بالميثاق الذي أخذه ربنا من آدم وذريته، فَجَعَلَ الآية مُفَسَّرَةً بما جاء في السنة من حديث عمر وحديث ابن عباس وحديث عبد الله بن عمرو في أنَّ الميثاق مأخوذٌ من آدم وذريته تفسيرًا لقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فقال: إنّ التفسير الصحيح هو ما جاءت به السنة من أنَّ آية الأعراف هذه تُفسَّر بالميثاق وأن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾؛ لأنَّ آدم هو السبب، فَذُكِرَ المُسَبَّب وهم بنو آدم ولم يذكر آدم؛ لأنه هو السَّبَبْ كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ويعني بذلك آدم عليه السلام ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ [الأعراف: ١١]، يعني آدم عليه السلام.

ولأجل هذا المأخذ من الطحاوي ذكر الشارح ابن أبي العز عندك هذه الآية في أول بحثه على هذه المسألة لأجل أنَّ الطحاوي نفسه ولأنَّ كثيرين جدًّا من أهل العلم يوردون الآية دليلاً.

التعليقات

..... ولا ريب أن الآية لا تدل على القول الأول، أعني أن الأخذ كان من ظهر آدم، وإنما فيها أن الأخذ من ظهور بني آدم، وإنما ذكر الأخذ من ظهر آدم والإشهاد عليهم هناك في بعض الأحاديث، وفي بعضها الأخذ والقضاء بأن بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار، كما في حديث عمر رضي الله عنه، وفي بعضها الأخذ وإراء آدم إياهم من غير قضاء ولا إشهاد، كما في حديث أبي هريرة.

والذي فيه الإشهاد - على الصفة التي قالها أهل القول الأول - موقوف على ابن عباس وعمر، وتكلم فيه أهل الحديث، ولم يخرجه أحد من أهل الصحيح غير الحاكم في المستدرك على الصحيحين، والحاكم معروف التساهل رحمه الله.

والذي فيه القضاء بأن بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار دليل على مسألة القدر. وذلك شواهده كثيرة، ولا نزاع فيه بين أهل السنة، وإنما يخالف فيه القدرية المبطلون المبتدعون..

وهذا الاستدلال من الطحاوي المُصَنِّفْ ومن عدد كثير من أهل العلم فيه نظر على هذه المسألة.

فالميثاق كما ذكرنا أمرٌ غيبي، وأما الآية فليس فيها ذكر الميثاق بل قال الله ﷻ فيها ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ فهذا الذي في الآية:

١) أنَّ الله سبحانه أَخَذَ من بني آدم، ولم يأخذ من آدم.

٢) وأَخَذَ من الظهور على صفة الجمع ولم يأخذ من الظهر -ظهر آدم.

٣) وأنه أشْهَدَ بعضهم على بعض ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ وهذا ليس موجودًا في مسألة الميثاق.

٤) وأنَّ هذا الاشهاد هو متعلق بمسألة الربوبية ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾، وأنهم أجابوا بـ﴿ بَلَىٰ ﴾.

.... وأما الأول: فالنزاع فيه بين أهل السنة من السلف والخلف، ولولا ما التزمته من الاختصار لبسطت الأحاديث الواردة في ذلك، وما قيل من الكلام عليها، وما ذكر فيها من المعاني المعقولة ودلالة ألفاظ الآية الكريمة.

قال القرطبي: وهذه الآية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها، فنذكر ما ذكروه من ذلك، حسب ما وقفنا عليه. فقال قوم: معنى الآية: أن الله أخرج من ظهر بني آدم بعضهم من بعض، ومعنى﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. دلهم على توحيده؛ لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربًّا واحدًا سبحانه وتعالى قال: فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾، ذهب إلى هذا القفال وأطنب...

الشيخ صالح

لهذا نقول: إنَّ الآية ليس فيها مسألة الميثاق، وإنما دَلَّهُم على أَنَّها مسألة الميثاق وجعلوها دليلاً على تلك المسألة ورتَّبوا عليها أشياء لأجل أمور:

الأمر الأول: أن الصيغة متشابهة ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ وأَنَّهُ جاء في الأدلة في السنة أنَّ الله سبحانه أخرج ذرية آدم من ظهره كهيئة الذَّرِّ، فلما جاء هنا ذِكْرُ الظهر والاستخراج فجعلوا هذا تفسيرًا لهذا كما ذكرت لكم من كلام الطحاوي ومن كلام كثيرين من أهل العلم من السلف والخلف.

الأمر الثاني: لأجل الربط ما بين الآية وبين مسألة الميثاق أَنَّهُ قال: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ والإشهاد معناه الشهادة وهذا يقتضي أن يكون الاستخراج على ما جاء في الأحاديث، وأنَّ الله خاطبهم وأنهم ردوا عليه ... إلى آخره.

الأمر الثالث: هو أَنَّهُمْ أجابوه بالقول: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ وهذا صريح في القول دون غيره.

التعليقات
....

...... وقيل: أنه سبحانه وتعالى أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها، ثم ذكر القرطبي بعد ذلك الأحاديث الواردة في ذلك، ... إلى آخر كلامه.

وأقوى ما يشهد لصحة القول الأول: حديث أنس المخرَّج في الصحيحين! الذي فيه: «**قد أردت منك ما هو أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي**». ولكن قد روي من طريق أخرى: «**قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيرد الى النار**». وليس فيه: **في ظهر** آدم. وليس في الرواية الأولى إخراجهم من ظهر آدم على الصفة التي ذكرها أصحاب القول الأول............................

☜ والجواب: أنَّ هذه الأمور اشتبهت على من استدل بالآية على مسألة الميثاق، والآية ليست دليلاً على مسألة الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم و ذريته، وأنَّ تفسير الآية اخْتُلِفَ فيه على قولين:

❑ القول الأول: هو الذي ذكرنا من أنَّ الله استَخْرَجَ من ظهر آدم ذريته إلى آخره، وجعلوا السنة تفسيرًا لما جاء في الآية والآية دليلاً، فلم يُفرِّقوا بين هذا وهذا.

❑ والقول الثاني: وهو قول جماعات كثيرة من أهل العلم من جميع المذاهب والفِرَقْ والمحققين من أهل العلم أيضًا فقالوا: إنَّ الآية تفسيرها هو: أنَّ الله أخذ من بني آدم من ظهورهم يعني:

(**أَخَذَ**) يعني خَلَقَ وجَعَلَ، فجعلهم يتناسلون، و (**أخذ بعضهم من بعض**) يعني أنشأ بعضهم من بعض كما قال سبحانه: ﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٣]. ﴿ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ يعني بما خَلَقَ من السبب من إراقة الماء في الأرحام إلى الحمل إلى الولادة. فقوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ لمَّا ذَكَرَ الربوبية هنا في الأخذ دلَّ على أنَّ معنى الأخذ هنا الخلق. قال: ﴿ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ يعني خَلَقَ ربك.

...... بل القول الأول متضمن لأمرين عجيبين:

أحدهما: كون الناس تكلموا حينئذ، وأقروا بالإيمان، وأنه بهذا تقوم الحجة عليهم يوم القيامة.

والثاني: أن الآية دلت على ذلك، والآية لا تدل عليه لوجوه: أحدها: أنه قال: من بني آدم، ولم يقل: من آدم.

الثالث: أنه قال: من ظهورهم، ولم يقل: من ظهره، وهذا بدل بعض، أو بدل اشتمال، وهو أحسن.

الرابع: أنه قال: ذرياتهم ولم يقل: ذريته.

الخامس: أنه قال: وأشهدهم على أنفسهم، ولا بد أن يكون الشاهد ذاكرًا لما شهد به، وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار- كما تأتي الإشارة إلى ذلك - لا يذكر شهادة قبله.....................................

(من ظهور بني آدم ذريتهم) هذا سبك الآية ﴿ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾. فتكون ﴿ من ظُهورِهمۡ﴾ **(مِنْ ظُهُورِهِمْ)** بدل بعض من كل من بني آدم. ﴿مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ ؛ لأنَّ أصلاب الرجال فيها الماء فقال ﴿ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾. يعني خلق الذرية من الماء الذي في ظهور الآباء.

(أخذهم) يعني أخَذَ بعضهم من بعض وهذا يُطْلَق من هذا، وهذا يوجد بسبب هذا. ﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ﴾ هنا الإشهاد في القرآن له معنيان:

❑ إشهاد بلسان المقال بأن يَشْهَدَ بقوله: (اشهد أنه كذا وكذا قولاً).

❑ والثاني إشهاد بلسان الحال، يعني أنَّ حالته تشهد.

التعليقات

....

ابن ابي العز الحنفي

...... السادس: أنه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة للحجة عليهم؛ لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾، والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها، كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾.

السابع: تذكيرهم بذلك؛ لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾، ومعلوم أنهم غافلون عن الإخراج لهم من صلب آدم كلهم وإشهادهم جميعًا ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم.

الثامن: قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾، فذكر حكمتين في هذا الإشهاد: لئلا يدعوا الغفلة، أو يدعوا التقليد؛ فالغافل لا شعور له، والمقلد متبع في تقليده لغيره. ولا تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل والفطرة.

التاسع: قوله: ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾، أي توعدهم بجحودهم وشركهم لما قالوا ذلك، وهو سبحانه إنما يهلكهم بمخالفة رسله وتكذيبهم، وقد أخبر سبحانه أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار بإرسال الرسل..

الشيخ صالح

والإشهاد هذا بلسان الحال بمعنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:١٧] فشهودهم على أنفسهم بالكفر هو بلسان حالهم من تأليههم غير الله وعبادتهم لغير الله، أمّا هم فلا يقولون عن أنفسهم: إنهم كفار؛ بل يقولون: نحن الحنفاء. وكذلك في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [العاديات:٦، ٧] يعني شاهد بلسان حاله بأفعاله أنه كنود جاحد لنعمة الله ﷻ.

التعليقات

....

...... **العاشر:** أنه سبحانه أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليه بهذا في غير موضع من كتابه، كقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾، فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرتهم بها رسله، بقولهم: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

الحادي عاشر: أنه جعل هذا آية، وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها، وهذا شأن آيات الرب تعالى، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

وإنما ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، فما من مولود إلا يولد على الفطرة، لا يولد مولود على غير هذه الفطرة، هذا أمر مفروغ منه، لا تبديل ولا تغيير. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا. والله أعلم.....

الشيخ صالح

وهذا أيضًا في مثل قول الله تعالى: ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء: ١٣٥] . هنا ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ يعني بلسان الحال أو بلسان المقال. فدل إذًا على أنَّ الإشهاد في القرآن له هذان المعنيان.

ولهذا لَمَّا كان الإشهاد على هذين المعنيين صار تفسير الآية ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِم محتمل أن يكون بلسان المقال أو بلسان الحال.

ولَمَّا كان أول الآية فيه الأخذ بالخلق صار الإشهاد على الربوبية بلسان الحال لا بلسان المقال.

﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني بحالهم وما جَعَلَ الله ﷻ فيهم، في كل الأنفس من دلائل ربوبيته ووحدانيته التي تؤدي وتدل على أَنَّهُ سبحانه هو المستحقَ للعبادة وحده دونما سواه.

﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بما جعل في أنفسهم من العبرة والدلالة على أَنَّ الذي خلقهم وفَطَرَهُمْ وأوجدهم وأَبْدَعَهُم وبَرَأَهُمْ هو الله ﷻ كما قال سبحانه ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]، وكما قال: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وقد تفطن لهذا ابن عطية وغيره، ولكن هابوا مخالفة ظاهر تلك الأحاديث التي فيها التصريح بأن الله أخرجهم وأشهدهم على أنفسهم، ثم أعادهم. وكذلك حكى القولين الشيخ أبو منصور الماتريدي في شرح التأويلات ورجح القول الثاني، وتكلم عليه ومال إليه.........................

الشيخ صالح

فإذًا تكون هنا الشهادة ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني جَعَلَ حالهم وما هم مُرَكَّبُونَ عليه دال على الوحدانية، وأيضًا جعل بعضهم دليلاً على بعض. ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني جَعَلَ هذه الذّرية بعضها شاهدًا على بعض بما أودع الله ﷻ في الناس من دلائل وحدانيته وآثار ربوبيته ومعالم صنعته وبرءه ﷻ؛ لهذا قاله سبحانه هنا ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فذكَرَ الربوبية التي هي الخلق وما يترتّب عليه. ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ يعني أنهم جميعًا جميع هذه الذرية إذا رجعوا لدلائل الوحدانية التي يشهدونها بلسان الحال فإنهم مقرون بالربوبية.

وهذا هو الذي ذَكَرَهُ الله ﷻ عن جميع الفئات والمشركين في أنّهم مقرون بالربوبية منكرون للإلهية، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ وجهان من الوقف:

الوجه الأول: أن يُوقَفَ على ﴿بَلَىٰ﴾، ثم تستأنف ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

الوجه الثاني: أن يُوقَفَ على شهدنا ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ ثم تقف، وتقول بعدها: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

والوجه الأول وهو أن يكون الوقف على ﴿بَلَى﴾ هذا أولى وأظهر في معنى الآية، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾.

﴿شَهِدْنَا﴾ هذا من كلام بعضهم لبعض يعني بلسان الحال شهادة الحال، شهد بعضهم على بعض بلسان الحال، لم؟

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... ولا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك حادث طارىء، والأبناء تقلَّدوه عن الآباء، فإذا احتجوا يوم القيامة بأن الآباء أشركوا ونحن جرينا على عادتهم كما يجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن، يقال لهم: أنتم كنتم معترفين بالصانع، مقرين بأن الله ربكم لا شريك له، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم؛ فإن شهادة المرء على نفسه هي إقراره بالشيء ليس إلا، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ﴾.

وليس المراد أن يقول: أشهد على نفسي بكذا، بل من أقر بشيء فقد شهد على نفسه به، فَلِمَ عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك؟ بل عدلتم عن المعلوم المتيقن إلى ما لا يعلم له حقيقة، تقليدًا لمن لا حجة معه، بخلاف اتباعهم في العادات الدنيوية، فإن تلك لم يكن عندكم ما يعلم به فسادها، وفيه مصلحة لكم، بخلاف الشرك؛ فإنه كان عندكم من المعرفة والشهادة على أنفسكم ما يبين فساده وعدولكم فيه عن الصواب.........................

الشيخ صالح

ليكون ذلك دليلاً من الأدلّة التي تكون دافعةً لاحتجاجهم يوم القيامة؛ فإنّ الله ﷻ جعل دَفْع احتجاج المشركين يوم القيامة وتَنَصُّلِهِم من التّكليف ورغبتهم في عدم التّعذيب، جَعَل ثَمَّ حُجَجًا منها هذا الإشهاد؛ أنّ بعض هذه الذّرية شاهد على بعض.

فهذه الآية فيها ذِكْرُ الشهداء وهم الذين يأتون يوم القيامة في قوله: ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [الزمر: ٦٩] يشهد بعضهم على بعض بأنّ الدلائل ظاهرة، وأنّكم مُقِرُّونَ بالربوبية، مُقِرُّونَ بالوحدانية، ويشهد الآباء على الأبناء، ويشهد الأبناء على الآباء، ويشهد بعضهم على بعض، حتى لا تكون ثَمَّ حجة.

لكن هذه ليست الحجة التي يُحاسَبُون عليها ويُعَذَّبُونَ عليها، وإنما هي دليل لقطع معذرتهم مع الدّليل الآخر وهو الأعظم وهو بعث الرسل؛ لهذا هذه الآية فيها ذِكْرُ دليل، وما رُتِّبَ على هذا الإشهاد إنما هو مع بعثة الرسل.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... فإن الدين الذي يأخذه الصبي عن أبويه هو: دين التربيه والعادة، وهو لأجل مصلحة الدنيا؛ فإن الطفل لا بد له من كافل، وأحق الناس به أبواه، ولهذا جاءت الشريعة بأن الطفل مع أبويه على دينهما في أحكام الدنيا الظاهرة، وهذا الدين لا يعاقبه الله عليه - على الصحيح -حتى يبلغ ويعقل وتقوم عليه الحجة، وحينئذ فعليه أن يتبع: دين العلم والعقل، وهو الذي يعلم بعقله هو أنه دين صحيح، فإن كان آباؤه مهتدين، كيوسف الصديق مع آبائه، قال: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾، وقال ليعقوب بنوه: ﴿ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾، وإن كان الآباء مخالفين الرسل، كان عليه أن يتبع الرسل، كما قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾، الآية..

الشيخ صالح

وتأمل حين قال: ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ من الذي شَهِدَ؟ الذرية شَهِدَ بعضهم على بعض ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾.

﴿ عَنْ هَٰذَا ﴾ الإشارة إلى أي شيء؟ لدليل الربوبية، ودليل الربوبية هو الذي احتجّت به الرسل على ما جاءت به وهو توحيد الإلهية.

فإذًا في قوله: ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ ﴾ يعني أَشهد الله بعض الذرية على بعض على مسألة الربوبية؛ لئلا يقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين. والرّسل جاءت بتقرير الحجة التي بعدها العذاب، مستمسكة الرسل بالأصل الذي شهد بعضهم على بعض فيه بلسان الحال وهو الإيمان بالربوبية؛ لهذا صارت الآية دليلا على الربوبية وهذه حجة عليهم؛ ولكنها ليست الحجة التي بها يُعَذّبون، ولكنها قاطعة لنزاعهم ورغبتهم في التنصّل من العذاب.

والثاني: أنَّ في قوله: ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ يعني عن هذا الدليل الذي هو التوحيد -توحيد الربوبية أو الفطرة- الذي ذُكِّرَتْ به الرسل أو الذي جاءت الرسل بإحيائه في الأنفس ليدلّ الناس على ما يستحقه الله ﷻ من توحيد العبادة.

التعليقات

....

ابن ابي العز الحنفي

..... فمن اتبع دين آبائه بغير بصيرة وعلم، بل يعدل عن الحق المعلوم إليه، فهذا اتبع هواه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وهذه حال كثير من الناس من الذين ولدوا على الإسلام، يتبع أحدهم أباه فيما كان عليه من اعتقاد ومذهب، وإن كان خطأ ليس هو فيه على بصيرة، بل هو من مسلمة الدار، لا مسلمة الاختيار، وهذا إذا قيل له في قبره: من ربك؟ قال؟ هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

فليتأمل اللبيب هذا المحل، ولينصح نفسه، وليقم معه، ولينظر من أي الفريقين هو؟ والله الموفق؛ فإن توحيد الربوبية لا يحتاج إلى دليل، فإنه مركوز في الفطر...

الشيخ صالح

﴿شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ ﴾ يعني الذين يحتجون بالغفلة، أو يحتجون بالتقليد، ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ فهم احتجوا إما بالغفلة أو احتجوا بعدم الشرك، بمتابعة الآباء وهذا لو حصل يوم القيامة أنْ احتجوا به فإن الله سبحانه أقام عليهم الحجة بالشهداء وأقام عليهم الحجة بالرسل والعذاب إنما يكون بـ [.....].

دلائل الصّنعة وما أقام الله ﷻ في الإنسان من عقل وفِكْرٍ بحيث يستدل بهذه المخلوقات على خالقها ﷻ، وإنما بالثاني مع الأول وهو بعثة الرسل.

إذا تبيّن لك ذلك فإنّ:

⇦ أولاً : الآية إذًا ليس فيها حجة لمن ذهب بأنَّ هذه الآية في الميثاق، ليس فيها دليل على الميثاق.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كان نطفة، وقد خرج من بين الصلب والترائب، والترائب: عظام الصدر، ثم صارت تلك النطفة في قرار مكين، في ظلمات ثلاث، وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق، ولو كانت موضوعة على لوح أو طبق، واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئًا لم يقدروا.

ومحال توهم عمل الطبائع فيها؛ لأنها موات عاجزة، ولا توصف بحياة، ولن يتأتى من الموات فعل وتدبير، فإذا تفكر في ذلك، وانتقال هذه النطفة من حال الى حال، عُلِم بذلك توحيد الربوبية، فانتقل منه إلى توحيد الإلهية.

فإنه إذا علم بالعقل أن له ربًّا أوجده، كيف يليق به أن يعبد غيره؟ وكلما تفكر وتدبر ازداد يقينًا وتوحيدًا، والله الموفق، لا رب غيره، ولا إله سواه......

الشيخ صالح

⇦ ثانيًا: الآية ليس فيها حجة لمن قال: إنه بالفطرة أو بالتوحيد أو بما أُخِذَ من الميثاق الأول أنَّ هذا كافٍ عن إقامة الحجة على العباد، وأنّه بذلك الميثاق وذلك الإشهاد وإقرارهم على أنفسهم والشّهادة في الربوبية والعبادة؛ لأنه إذا لم تبلغهم الرّسالات ولم تأتِهم الرسل أنَّ تلك الشهادة كافية في تعذيبهم، فليس فيها دليل على أنّ هذه حجة كافية في تعذيبهم، بل لابد من إقامة الحجة الرّسالية.

لذلك ترى أن أئمة أهل العلم المحققين كشيخ الإسلام وأئمة الدعوة دائمًا يذكرون الحجة الرّسالية، لابد من إقامة الحجة الرّسالية.

لماذا لفظ الرّسالية؟ حتى لا يَتَوَهَّمْ الُمتَوَهِّم أنَّ الحجة الفطرية كافية. إذا تبين ذلك فإنَّ تفسير الشهادة هنا وهذه الآية عند المحققين من أهل العلم على ما ذكرنا هو بالفطرة؛ الفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، وهي الفطرة في الربوبية التي تدل على الألوهية، وهي في معنى قوله ﷻ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، وفي معنى قوله ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة»**.

التعليقات

وهذا الذي ذَكَرْتُ من تفسير الآية على وجه التفصيل والبسط هذا هو مذهب واختيار أئمة أهل السنة ؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير ﷫ في تفسيره، وشارح الطحاوية، وأئمة الدعوة، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره، وهو تفسير جماعات كثيرة من أهل العلم.

وهو الذي يتعيَّن في الموافقة مع أصول التوحيد وأصول العقيدة بعامة.

وهو الذي يتعين مُوَافَقَةً لحكمة الله ﷻ.

وهو الذي يتعين مُوَافَقَةً لما هو مقرر في الشريعة من مسألة إقامة الحجة في أحكام المرتد.

لهذا غَلِطَ في هذه الآية جماعات، ومن المعاصرين جماعات أيضًا فجعلوها حجَّةً على أنَّهُ ليس ثَمَّ حاجة لإقامة الحجة على العباد؛ بل الفطرة كافية، والعهد الأول كافٍ وإلى آخره. وهذا ولاشك ليس بمرضيّ.

والحجة لا تقوم على العباد بشيءٍ لا يتذكرونه أصلاً، وإنما العباد أمامهم الدّلائل. أما تَذَكُّر ميثاق وتَذَكُّرْ شهادة وتَذَكُّرْ هذه الأشياء، فإنّ أحدًا لا يتذكر ذلك، وإنما الرسل تُذَكِّرُهُمْ بذلك فتكون الحجة بالرسل، لا بذلك الأمر الأول.

لهذا ذكرتُ لك في أول البحث أنَّ مسألة الميثاق مرتبطة بالقدر، وليست متصلةً بالتكفير، ليست متصلةً بالحجة، ليست متصلة بهذه المسائل، وإنما هي -يعني الميثاق- مرتبط بالقدر لا غير، وليس حجة على خلاف القدر، إنما هو دليلٍ على القدر فقط دون ما سواه، تقرءون الكلام الطويل الذي ذكره شارح الطحاوية وفيه طُول.

والمسألة بما ذكرتُ لك تكون قريبةً واضحة، ولا يكون ثَمَّ إشكال في هذه الآية ولله الحمد، وهي من الآيات المُشْكِلَة كما ذكرتُ لك ؛ لكن بتأمل قول المحققين والنّظر في تصحيح الأحاديث وعِلَلِهَا وأنَّ الأحاديث التي فيها الرّبط ما بين الآية والميثاق فيها اضطراب وفيها ضَعف في بعضها ضعف في الإسناد، وفي بعضها علّة بالوقف، وثَمَّ أشياء أُخر لا نطيل بالكلام عليها.

بعدها ذَكَرَ مسألة القدر، مسألة القدر يطول الكلام عليها، ولعلنا نبحثها إن شاء الله.

التعليقات

... وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُ(١)................

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه. وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه).

ش: قال الله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾. ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾، فالله تعالى موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلاً وأبدًا، لم يتقدم علمه بالأشياء جهالة، وما كان ربك نسيًّا.......................................

الشيخ صالح

هذه الجُمل من هذه العقيدة المباركة شروعٌ من الطحاوي رحمه الله في مسألة القَدَرْ.

ومسألة القَدَرْ والبحث فيها من المسائل العظيمة جدًّا؛ لأنَّ الخلاف فيها بين أهل السنة والجماعة وبين المخالفين كثير ومتنوّع، والطّحاوي لم يُرَتِّب الكلام على مسألة القَدَرْ ولم يتناوله تناولا منهجيًّا واضحًا بيِّنًا بل فرَّقَهُ و ذَكَرَ جُمَلاً منه؛ ولهذا فإننا سنذكر إن شاء الله تعالى كل ما يتصل ببحث القدر في هذا الموضع إنْ اتسع له الوقت، ونُحيل فيما نستقبل على هذا الموضع الذي نأتيه عند قوله: (**وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ**).

قال: (**وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلاَ يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ**) هذه الجملة أخذها انتزاعًا من عدد من أحاديث المصطفى ﷺ.

التعليقات

(١) الألباني: يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبد الله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟** فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى: **هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا**، ثم قال للذي في شماله: **هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا** فقال أصحابه: ففيم العمل إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: **سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل**، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فنبذهما ثم قال: **فرغ ربكم من العباد ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾**». أخرجه الترمذي (ا) وصححه هو وغيره، وهو مخرج في (الصحيحة) (٨٤٨).........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: **ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة**، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟...

الشيخ صالح

وتلك الأحاديث متنوعة وثابتة في أنَّ الله ﷻ خَلَقَ الجنة وخَلَقَ لها أهلاً وعَلِمَ ما هم عاملون، وخَلَقَ النار و خَلَقَ لها أهلاً وعَلِمَ ما هم عاملون، وأنَّ الله سبحانه قَبَضَ قَبْضَةً إلى النار، وقبض قبضة إلى الجنة، وأنّ الله سبحانه لما استخرج ذرية آدم من ظهره قال: «**هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار**» فلا يُزاد من ذلك العدد ولا يُنقَص، والأحاديث في هذا كثيرة متنوعة، لكن المراد من ذلك هو ذِكْرُ أعظم مراتب الإيمان بالقدر ألا وهي مرتبة العلم، حيث ذَكَرَ أنَّ الله سبحانه عَلِمَ عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار، وكذلك عَلِمَ أفعالهم.

(**فعَلِمَ العدد**): يعني عَلِمَ الأفراد وعَلِمَ الأعمال، والأعمال يدخل فيها القول والعمل والاعتقاد والأحوال جميعا، من جميع تصرفات أصحاب الجنة وأصحاب النار.

وهذا فيه إجمال لذكر هذه المرتبة العظيمة وهي مرتبة **العلم**؛ ولهذا نقول: إنَّ هذه الجملة فيها تقريرٌ لمرتبة العلم، والكلام على هذه المرتبة يمكن أن نرتّبه لك في مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ عِلْمَ الله ﷻ كما ذكر (**عَلِمَ اللَّه فِيمَا لَمْ يَزَلْ**) يعني أنَّ عِلْمَ الله أزلي وأبدي، وأنَّ عِلْمَهُ سبحانه أوّل، وهذه كلّها بمعنى واحد.

المسألة الثانية:

أنّ عِلْمَ الله ﷻ من حيث هو صِفَةٌ له سبحانه مُتَعَلّقٌ بكل شيء، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢].

التعليقات

= الفوزان: هذا الكلام وما بعده من كلام الشيخ -رحمه الله- كله في موضوع القضاء والقدر.
والإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، وفي القرآن قوله جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾، وقوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾.........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... فقال: **من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، ثم قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ:** ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾ **[الليل: ٥ - ١٠]**، خرجاه في الصحيحين.................

الشيخ صالح

وقال: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وقال أيضًا ﷻ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ **[الأحزاب: ٤٠]**، وقال سبحانه: ﴿ وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ **[غافر: ٧]**، ونحو ذلك من الآيات. فعِلْمُ الله ﷻ متعلق بكل شيء، وكلمة ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ هذه فيها شمول للأشياء. والشيء يُعرَّف بأنه ما يصح أن يُعلَمَ، أو ما يصح أن يَؤُولَ إلى أن يُعْلَم.

فإذًا ما سيقع سواءً كان من جليل الأمر، أو من حقيره هذا سَيَؤُولُ إلى العلم، وأيضًا يصح أن يُعلم ويصح أن يؤول إلى العلم ما لم يقع.

لهذا نقول: إنَّ علم الله ﷻ بالأشياء شامل، وأنَّ عِلْمَ الله ﷻ بالأشياء أَوَّل؛ لكن بَدَأَ حيث أراد الله ﷻ أن يوجَد ذلك الشّيء، أو أن يكون الأمر على هذا النّحو، أو أن لا يكون هذا الأمر.

يعني أنّ الله ﷻ عَلِمَ أحوال الأشياء على التفصيل وعلى الإجمال لَمَّا أراد خلقها وإيجادها ﷻ.

التعليقات

= فليس هناك شيء بدون تقدير، أو أن هناك أشياء تقع صدفة، أو أن الأمر أُنف؛ إن كل شيء يحدث فإنه مقدر ومكتوب.

والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربع درجات، نلخصها فيما يلي:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء، وأن الله علم الأشياء أزلاً، علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، لا يخفى على علمه شيء سبحانه وتعالى.

وهي الكتابة العامة الشاملة لكل شيء، وفي الحديث: «**إن أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

المرتبة الثانية: أن الله جلَّ وعلا كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق، بعد أن علمها سبحانه............=

والله سبحانه يعلم تلك الأشياء على ما هي عليه، وعِلْمُهُ بها أوَّل، وإذا قلنا: إنَّ علمه ﷻ بها شامل، وإنه ﷻ عَلِمَ تلك الأشياء، إذْ تَوَجَّهَتْ الإرادة إليها فإنَّ ذلك العلم لم يسبقه جهالة.

وهذه من أصول المسائل أيضًا؛ لأنّ عِلْمَ الله ﷻ لم يسبقه جهالة، وهذه تنفعك في البحث مع القدرية؛ نفاة العلم.

وقولنا: لم يسبقه جهالة؛ يعني لا في الأزل، فإذا قلنا: عَلِم، ليس معناه أنه قبل ذلك كان جاهلاً بهذا الشيء، لِمَ؟

لأنه لم يكن شيئًا إلا لـمَّا تَوَجَّهَت الإرادة إليه، فلما توجهت الإرادة إليه بأنه يكون أو لا يكون، أو إذا كان كيف يكون فإنه سبحانه عِلْمُه بذلك سابق.

فإذًا عِلْم الله ﷻ لم يسبقه جهالة، لا حين توجه إلى الإرادة ولا حين وقع مشيئةً كونية.

والإرادة في قولنا: توجّهت إليه الإرادة، ليست هي الإرادة الكونية المتعلقة -يعني التي تعرفونها التي هي المشيئة، إذا تعلقت بشيء كان- وإنما هي إرادة القدر؛ يعني تقدير الأشياء بأنَّ هذا سيكون أو لا يكون وأن هذا سيخلقه الله أو لا يخلقه الله؛ يعني الإرادة المرتبطة بالحكمة والتقدير في إيقاع الأشياء في أوقاتها.

المسألة الثالثة:

أنَّ مرتبة العلم من أنْكَرَهَا كفر، ومراتب القدر أربعة كما تعلمون:

- أولها العلم.
- ثم الكتابة.
- ثم عموم المشيئة.
- ثم عموم خلق الله ﻷ للأشياء.

التعليقات

= **المرتبة الثالثة**: مرتبة المشيئة، لا يكون في هذا الكون شيء إلا بإرادة الله ومشيئته مما هو في اللوح المحفوظ، وفي علمه سبحانه وتعالى، لا يحدث شيء بدون إرادته، ولا يكون في ملكه ما لا يريد سبحانه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾، ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾، فما يحدث في هذا الكون من حياة وموت، وغنًى وفقر، وإيمان وكفر، كل ذلك شاءه الله وأراده، شاء الخير وشاء الشر، وشاء الإيمان وشاء الكفر، فدخل في مشيئته كل شيء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد، فما شاءه وأراده فإنه يوجده ويخلقه ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾، ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ ﴾، وأدلة العلم أدلة كثيرة جدًّا...=

والمرتبة الأولى وهي العلم من أنْكَرَهَا كَفَر.

وعِلْمُ الله ﷻ -كما ذكر لك الطحاوي- أنه عَلِمَ أهل الجنة وعَلِمَ أهل النار؛ يعني عَلِمَ حال المكلفين وعددهم وصفاتهم، وعَلِمَ أيضًا أعمالهم، هذا القدر المتعلق بالمكلَّفين. وأيضا علم الله ﷻ بكل شيء حتى بغير المكلفين على التفصيل.

المسألة الرابعة:

أنَّ المنكرين للعلم -علم الله ﷻ السابق- خَرَجُوا في زمن ابن عمر ﷺ، فقال ابن عمر في حقهم لمن سأله: (**أعلمهم أني منهم بريء**) وذكر حديث الإيمان -يعني حديث جبريل الطويل المعروف، وفيه من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره.

وهؤلاء كانوا يقولون: إنّ الله ﷻ لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها؛ يعني أنّ الأمر أُنُف مُستأنَفَ يقع ثم يُعْلَم.

وشبهتهم -شبهة القدرية هؤلاء- أنهم قالوا: إنّ الله سبحانه عَلَّقَ أشياء في القرآن بالعلم الذي ظاهره أنَّه لم يكن قبل ذلك عالمًا، وذلك من مثل قوله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة:١٤٣]، وهذا فيه تعليق الأمر بعلمٍ سيحصل، قال: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ يعني أنه قبل ذلك -يعني كما يقولون- لم يكن يعلم من سيتّبع ممن سينقلب على عقبيه. وهذا الإيراد في الاستدلال بالآية هو استدلال بالمتشابه وترك للمحكمات.

التعليقات

= ومن جملة الذي وصف الله به نفسه، العلم، فإنه سبحانه وتعالى يعلم عدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار، وذلك في علمه الأزلي.

وأن ما قدره الله تعالى، لا يزاد فيه ولا ينقص، ومن ذلك: أنه يعلم أهل الجنة وأهل النار، ويعلم ما هم عاملون، نؤمن بذلك ونتجه إلى العمل، ولا نتناقش في القضاء والقدر: كيف؟ ولماذا؟ وكيف يُحاسبُ على شيء قد قدره؟ إلى آخر الهذيانات وإضاعة الأوقات، والاعتراض على الله عزَّ وجلَّ.

الواجب عليك فعل الطاعات واجتناب المعاصي، فليس شأن العبد التفتيش في سر الله عزَّ وجلَّ ومخاصمة الرب جلَّ وعلا، إنما شأنه العمل، ولذلك لما أخبر النبي ﷺ أصحابه أن ما منهم من أحد إلا مكتوب مقعده من الجنة أو مقعده من النار، قالوا: يا رسول الله، ألا نتكل على كتابنا ونترك العمل؟ قال: «لا، اعملوا فكل ميسر لما خُلق له»، قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ السبب من العبد نفسه، إما أن يسعد وإما أن يشقى ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، فالمطلوب منا العمل الصالح وترك العمل السيئ.............=

ولهذا يُرَدُّ عليهم هذا الاستدلال بأنَّ هذه الآية تُفهَم مع الآيات الأُخَر التي فيها عِلْمُ الله ﷻ بكل شيء، حتى قبل وقوع الأشياء كما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وكما ذكرتُ لك أنَّ الشيء يُعرَّف بأنه ما يؤول إلى العلم؛ ما يصح أن يُعْلَم أو يؤول إلى العلم.

وكذلك يُسْتَدَلُّ عليهم بقوله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣] والأحاديث الكثيرة التي فيها عِلْمُ الله ﷻ بأهل الجنة، و عِلْمُ الله ﷻ بأهل النار، وعلمه بعمل العاملين، ونحو ذلك قبل خلق الخلق.

ويُستَدَلُّ أيضًا عليهم بقوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾، وبقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢]، والآيات في ذلك كثيرة التي فيها ذكر العلم بلفظ ﴿ وَكَانَ ﴾؛ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾. إذًا يكون الرد على القدرية من وجهين:

- الوجه الأول: هو أنَّ ذلك اتِّباع للمتشابه، وترك للمحكم، وذكرنا المُحْكَمَات.

- الوجه الثاني: أنَّ معنى الآية ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾، وقوله: ﴿ ٱلْـَٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [الأنفال: ٦٦]، ونحو ذلك هو ظهور علم الله ﷻ؛ لأنَّ علم الله ﷻ خفي، ولا يُحَاسِب العبد إلا على ما ظهر من علم الله ﷻ المتعلق بالعبد، وإلا فلو أُنِيط ذلك بعلم الله الباطن دون ظهور الشيء في الواقع المتعلق بالمكلف لكان للمكلف حجة في رد التكليف. ولهذا الآيات التي فيها ذِكْرُ العِلْم اللاحق، أو ما سيأتي المقصود منه ظهور العلم.

التعليقات

= أما الاحتجاج بالقضاء والقدر فليس بعذر، فإن الله عزَّ وجلَّ قد بين لنا الخير والشر فليس هناك عذر؛ فالناس يقعون في مشاكل بسبب دخولهم في أشياء ليست من اختصاصهم، فيقول: إن كان الله قد كتب لي أن أدخل الجنة دخلتها، وإن كان قد كتب لي أن أدخل النار دخلتها، ولا يعمل شيئًا.

فيقال له: أنت لا تقول بهذا في نفسك، هل تقعد في البيت وتترك طلب الرزق وتقول: إن كان الله قد كتب لي رزقًا فسييسره لي؟ أو تخرج وتسعى وتطلب الرزق؟ البهائم والطيور لا تقعد في أوكارها، بل تخرج وتطلب الرزق، وجاء في الحديث: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا»، فالله فطرها على طلب الرزق، وعلى فعل الأسباب، وهي بهائم، وأنت رجل عاقل!

وأيضًا: لو أن أحدًا سرق منك شيئًا، هل تقول: هذا قضاء وقدر، أم تشتكيه؟ بل تشتكيه وتطلب وتخاصم، ولا تحتج بالقضاء والقدر!.......................................=

..... وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ(١)، ....

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

(العلم الذي سيأتي) يعني العلم الذي سيظهر. أما علم الله ﷻ المشتمل على ما خَفِيَ وما ظَهَرَ، أو عِلْمُ الله السّابق واللاّحق فهذا [.....] بعلم الله ﷻ للأشياء الذي هو مرتبة من مراتب القدر. فإذًا في قوله: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ يعني إلا ليظهر علمنا في المكلفين، فيظهر علمنا فيمن اتبع الرسول ممن انقلب على عقبيه؛ حتى تكون حجة على هذا العبد.

كذلك ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ هذا مرتبط بالتّشريع. وعِلْمُ الله ﷻ الشّامل -يعني الظاهر والباطن- هذا متّصف الله ﷻ به؛ لكن لا يكون معه التّدرج في التشريع.

فالله ﷻ جعل العبد المؤمن يقاتل عشرة، ثم ظَهَرَ عِلْمُهُ فيهم أنهم ضعفاء فخفّف، فالتخفيف إذًا مسألة شرعية لما ظَهَرَ عِلْمُ الله الباطن بحالهم فهنا شَرَعَ لهم التّخفيف. وهذا يعني أنّ الآيات هذه تدل على ظهور علم الله ﷻ، وظهور علم الله ﷻ فيهم مُناط بأمرين:

- الأمر الأول: أن تنقطع الحجة من العبد على التكليف والحساب.
- الأمر الثاني: أن يُشَرّع وتظهر الشريعة، أو تُسن الأحكام.

وهؤلاء القدرية هم الذين قال فيهم السلف: (ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروه كفروا وإن أقرّوا به خُصِمُوا).

والقدرية هؤلاء سُمُّوا قَدَرِيَّة؛ لأنهم ينفون القَدَر. ونفي القَدَر قد يتوجه إلى نفي مرتبة من مراتبه، أو إلى نفي أكثر من مرتبة.

فَمِمَّنْ نفى أكبر المراتب وأعظمها وهي العلم، هؤلاء هم القدرية الأوائل الذين يقال لهم القدرية الغلاة، ومن هؤلاء - يعني من القدرية- الذين ينفون مرتبة عموم الخلق كالمعتزلة.

والقدرية في ذلك مراتب، وقد لخّصَ شيخ الإسلام أصناف القدرية بقوله في تائيته القدرية:

ويدعي خصوم الله يوم معادهم ... إلى النار طُرًّا معشر القدرية

سواء نفوا أو سعوا ليخاصموا ... به الله أو ماروا في الشريعة

التعليقات

(١) الفوزان: أي: علم أفعالهم في الأزل.

يعني أنَّ أعظم تلك الفرق التي تُدْعَى القدرية، الذين ينفون القدر، وهم الغلاة نفاة العلم أو المتوسّطون وهم المعتزلة ومن شابههم.

المسألة الخامسة:

أنّ عِلْمَ الله ﷻ شامل لكل شيء، هذا يفيد المؤمن في إيمانه بالقدر، وهو أنه سبحانه عَلِم الأشياء، وعَلِمَ حال العبد، وعَلِمَ ما ستكون عليه هذه الأمور جميعًا من دقائقها وتفاصيلها وإجمالها. وهذا يعني أنه ليس ثمَّ شيء يقع على وجه الصدفة بلا ترتيب سابق ولا تقدير سابق.

فإذا كان الله عَلِم فإنَّ معنى ذلك أنه سبحانه جعل هذا الذي عَلِمَ أنَّهُ سيقع على وفق ما يشاؤه، على وفق الحكمة البالغة؛ لأنَّ الرب المتصرف ذا الملكوت لا يقع في ملكه إلا ما يشاء أن يقع، فإذا كان عَلِم، وأيقن العبدُ هذا العلم الشامل الكامل فإنه يوقن بعده بالحكمة العظيمة.

و لهذا مسألة الحكمة من وجود الأشياء مرتبطة بالقدر عِلْمًا ونفيًا:

- فحكمته ﷻ مرتبطة بالقدر علمًا؛ لأنَّ الله ﷻ عليم؛ ولأنه سبحانه ما شاء كان.
- ومرتبطة بالقدر نفيًا في أنَّ الخوض في الحكمة خوضٌ في القدر.

ولهذا قال الطحاوي في آخر كلامه: **(وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهَ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ)** وقال في آخرها أيضًا: **(فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَّ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ)** إلى أن قال **(فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ)**، وهذه هي التي يُشكِلُ على البعض كيف دَخَلَتْ في القدر، وهي مسألة الحكمة.

إذا قال المرء: لم حصل كذا؟ ولم قُدِّرَ كذا؟ أو لم صار الأمر على هذا النحو؟ لم صار هذا غنيًّا وهذا فقيرًا؟ ولم صار هذا مريضًا وصار ذاك صحيحًا؟ كيف انتقل هذا السؤال في القَدَر، وصار المتشكك من القدرية؟

التعليقات

لأنَّ المتشكك ينفي الحكمة، ولو أيقن بعموم العلم وعموم المشيئة لأيقن بحكمة الله ﷻ الماضية، وأنَّهُ لا شيء يقع إلا والله ﷻ عَلِمَهُ قبل أن يقع وأَرَادَهُ كَونًا وشَاءَهُ، وهذا يعني أنه لن يقع إلا على وفق حكمة الله ﷻ، فلهذا صار السائل في مسائل القدر بـ: لِمَ؟ مُعَارضًا للقدر.

و لهذا قال لك ابن تيمية في البيت الذي ذكرته لك آنفًا: (أو ماروا في الشريعة) يعني أنَّ القدرية منهم من يُمَارِي في الشريعة، يماري يعني يشكك ويجادل ويسأل وكذلك قال بعدها:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ في فعْلِ الإلهِ بعلَّةِ

فإنَّهمُو لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ ... فصاروا على نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

فأهل الجاهلية عارَضُوا الشريعة بـ: لم؟ والمتشككون عارَضُوا أفعال الله ﷻ بـ: لم؟

إذًا فمِن أعظم مراتب الإيمان بالقدر، الإيمانُ بعلم الله ﷻ الشامل للأشياء، الشامل لكل شيء.

فإذا أيقن العبد بهذا، بعموم العلم، وعَلِمَ معنى ذلك، أيقن أيضًا بحكمة الله ﷻ واستسلم لقدر الله ولم يخض فيه بالسؤال؛ **لأنَّ** القدر سر وهو مرتبط بعلم الله ﷻ.

يوضّح لك ذلك أنَّ الله ﷻ قصَّ علينا في القرآن قصة الخَضِر مع موسى عليه السلام أو عليهما السلام.

فالخَضِر مع موسى اختلفا، واعترض موسى علي الخَضِر، وسبب الاعتراض عدم العلم، لـمَّا كان موسى في تلك المسائل أنْقصَ علمًا من الخضِرْ واعْتَرَضَ حُجِبَ عن علمٍ زائد.

ولذلك صار السؤال -سؤال الاعتراض- مُرْتَبِطًا بالعلم، فإذا كان الخَضِر أعلم من موسى، وموسى حُجِبَ بالسؤال فدلَّ على أنَّ السؤال في أفعال الله، أو السؤال في قدر الله، أو السؤال في تصرفات خلق الله ﷻ أنَّ هذا اعتراض على العلم.

وإذا كان الله ﷻ هو العليم بكل شيء فإنَّهُ لا يجوز للعبد أن يعترض على علمه وعلى حكمته بـ: لِمَ؟

لهذا قال في آخر الكلام هنا: **(فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)** يعني قوله: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ **[الأنبياء: ٢٣]**.

هذه بعض المسائل في كلامه على مرتبة العلم.

التعليقات

.... **وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**(١)،

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله).

ش: تقدم حديث علي ﷺ وقوله ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»، وعن زهير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**»، قال: ففيم العمل؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر**». رواه مسلم ....

الشيخ صالح

قال بعدها: (**وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**) هذه الجملة ثبتت في الحديث عن النبي ﷺ حيث قال ﷺ: «**اعْمَلُوا فكُلٌّ مُيَسرٌ لما خُلِقَ لَه**» يعني بذلك قول الله ﷻ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ** ﴾ [الليل: ٥- ٧].

ومعنى «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» أنَّ الله ﷻ خَلَقَ الجنة وخَلَقَ لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، فهؤلاء أهل السَّعادة سَيُيَسَّرُونَ لعمل أهل السعادة، خَلَقَ النار وخَلَقَ لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، فهؤلاء سَيُيَسَّرُونَ للعسرى؛ لعمل أهل الشَّقاوة. وقوله «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ**» لا تفيد الجَبْر؛ وإنما يعني أنَّ الله سبحانه علِمَ أنّ هؤلاء سيعملون بعمل أهل النار وكَتَبَهُمْ من أهل النار، وأنهم لِمَا في نفوسهم من الخُبْث سيكونون من أهل النار، فسيتركهم الله ﷻ لأنفسهم؛ يعني سيخْذُلُهُمْ، فإذا خذلهم يُسِّر لهم سبيل الضلال؛ يعني أنَّ التيسير لأهل الجنة فيه زيادة فضل، والتيسير لأهل النار فيه سلب الفضل.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: هو قطعة من حديث علي المروي في (الصحيحين)، وقد خرجته في (تخريج السنة) برقم (١٧١). وقد صح أن بعض الصحابة لما سمعوا هذا الحديث منه صلى الله عليه وسلم قالوا: إذًا نجتهد. وفي رواية: فالآن نجد الآن نجد. انظر: (السنة) (١٦١ - ١٦٧) ففيه رد صريح على الجبرية المتواكلة الذين يفهمون من الحديث خلاف فهم الصحابة فتأمل.

الشيخ الفوزان: قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾........................=

....والأعمالُ الخَواتِيم(١)..............................

ابن أبي العز الحنفي

..... وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»، خرجاه في الصحيحين، وزاد البخاري: وإنما الأعمال بالخواتيم..........

الشيخ صالح

وهذا يعني أنْ لا جَبْرَ، وأَنَّ الجميعِ مُعامَلُون بعدل الله ﷻ، وأنَّ أهل الجنة عاملهم الله ﷻ زيادة على عدله بأن منحهم فضلاً ويَسَّرَ لهم وأعانهم على الخير.

قال: «**وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**» الأعمال بالخواتيم يعني بذلك ما جاء في قول النبي ﷺ «**فإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهلِ الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلُها، وإنّ أحدهم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**» لهذا كان كثير من السلف إذا ذَكَرُوا الخاتمة بَكَوا كثيرًا، وقال بعضهم: **قلوب الأبرار مُعَلَّقَةٌ بالخواتيم يقولون: بماذا يُختَمُ لنا؟**

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: هذا طرف من حديث لسهل بن سعد الساعدي أخرجه أحمد والبخاري وهو مخرج في المصدر السابق (٢١٦).

الشيخ الفوزان: (والأعمال بالخواتيم): الإنسان لا يغتر بعمله وإن كان أصلح الصالحين، بل يخاف من سوء العاقبة، ولا يحكم على أحد بأنه من أهل النار بموجب أفعاله؛ لأنه لا يدري بماذا يختم له، ويوضح ذلك حديث النبي ﷺ من حديث ابن مسعود: «**إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**».

فالإنسان يخاف من سوء الخاتمة، ولا يحكم على أحد بسوء الخاتمة؛ لأنه لا يدري بما يختم له. فالتوبة تجبُّ ما قبلها: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾............=

ابن أبي العز الحنفي

..... وفي الصحيحين أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**». والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وكذلك الآثار عن السلف.

قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد: قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها، وبالله العصمة والتوفيق.....

الشيخ صالح

وهذا التعلق بالخواتيم، وهذا الإيمان بهذا النوع من القدر، يجعل العبد المؤمن صاحب يَقَظَة وحرص على إيمانه؛ لأنّ الله سبحانه لا يظلم النّاس شيئًا، والعبد يُيسَر لعمل أهل الشقاوة إذا اختار هذا الطّريق، فإذا جاهد نفسه فإنّ الله سبحانه أعظم فَضْلاً ومِنَّةً وكرمًا، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧].

[.....]. يعني مدافعة نوازع الباطن في النفس.

التعليقات

= فالأعمال بالخواتيم، ولكن من لطف الله عزَّ وجلَّ بعباده أن من عاش على الخير فإنه يختم له بالخير، ومن عاش على الشر فإنه يختم له بالشر، فالإنسان يعمل الأسباب ويحسن الظن بالله عز وجل.

وبعض الناس يقول: أتوب قبل الموت، فنقول له: وهل تدري متى تموت؟ يمكن أن تموت في لحظة لا يمكن معها التوبة، ولا تدري هل التوبة مقبولة أم لا؛ لأن التوبة لها شروط.

... وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ(١)، وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ(٢)..................................

ابن أبي العز الحنفي

..... وقوله: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فان الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين).

ش: أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى. قال علي كرم الله وجهه، ورضي الله عنه: القدر سر الله فلا نكشفه. والنزاع بين الناس في مسألة القدر مشهور.........

الشيخ صالح

قال: (**وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ**) يعني أنَّ السّعيد هو من جعله الله سعيدًا؛ إذْ قَضَى عليه أنْ يكون من المخلوقين، وهذا يُشير به إلى حديث: «**نفخ الروح وأنَّ الملك يأتي إلى الجنين، ويقول: يا ربي شقي أو سعيد؟ ويؤمر بكَتْب أربع كلمات، بكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد**».

وهنا في قوله: (**بِقَضَاءِ اللَّهِ**)، (**مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ**) يعني به القدر. وهذا على أحد الوجهين، أو أحد القولين في أنَّ القضاء والقدر بمعنى واحد، وسيأتي تفصيل لهذه الجملة والفرق بين القضاء والقدر. وهذا أيضا هو معنى قوله: (**وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ**).

التعليقات

(١) **الألباني**: هذا معنى حديث أخرجه البزار وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه. وسنده صحيح كما بينته في «الروض النضير» (١٠٩٨) و«تخريج السنة» (١٨٨).

الشيخ الفوزان: لا يشقى بقضاء الله عزَّ وجلَّ، إنما يشقى بعمله الذي قدره الله له. من قدر الله أنه يشقى أو يسعد فسييسره له.

(٢) **الشيخ الفوزان**: أي: لن تصل إلى سره، مهما حاولت التفتيش في القضاء والقدر. فلا تكلف نفسك، ولكن آمن بالقضاء والقدر، واعمل الأعمال الصالحة واجتنب الأعمال السيئة، وأما أن تبحث عن أسرار القدر فهذا ليس من اختصاصك، ولا هو من شأنك، وما كلفت به.

.... لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل(١) ....

ابن أبي العز الحنفي

...... والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد. قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾. قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾، وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كونًا، ولا يرضاه دينًا.

وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا: أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر؛ فردوا إلى هذا لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه! ولكن صاروا: كالمستجير من الرمضاء بالنار!. فإنهم هربوا من شر فوقعوا فيما هو شر منه! فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه - على قولهم - والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى!! وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل........................

الشيخ صالح

ثم قال: (**وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**) يعني أنَّ القدَر -وهو تقدير الأشياء- هذا سِر إذ هو تصرُّف الرب ﷻ في ملكوته، وتصرف الرب ﷻ في ملكوته مما يختص به الله ﷻ فلم يُطْلِع عليه أحدًا ولم يطَّلِع أحد على ذلك، حتى أكرمُ عباده من الملائكة لا يدرون ما مصيرهم، لا يدرون ماذا يقضي الله في السماء، لا يدرون ما مصير أهل الأرض إلى غير ذلك، وكذلك أنبياء الله لا يدرون، ولا يدرون عن الغيب ولا متى يموتون، إلى آخر ذلك.

المقصود أنّ القدَر -وهو كما سيأتي تعريفه تقدير الله للأشياء- أنَّ هذا مما اختص الله ﷻ به، فلا أحد يعلم ما القدَر؟ وما الذي قُدِّر؟ وما الذي كُتِب؟ وما الذي جعله الله ﷻ مكتوبًا في اللوح المحفوظ؟ أو مكتوبًا في صحف الملائكة؟ هذا عِلْمُهُ عند الله ﷻ، وهو من مفاتح الغيب العظيمة التي قال الله فيها: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذا من شأن الله عز وجل، ومن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه غيره، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم، وأفضل الرسل يقول: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾.

ابن أبي العز الحنفي

..... روى اللالكائي، من حديث بقية عن الأوزاعي، حدثنا العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد المكي: عن ابن عباس قال: قيل لابن عباس: إن رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه، وهو يومئذ قد عمي، فقالوا له: ما تصنع به؟ فقال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته بيدي لأدقنها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج، تصطفق ألياتهن مشركات، هذا أول شرك في الإسلام، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يقدر الخير، كما أخرجوه من أن يقدر الشر. قوله: وهذا أول شرك في الإسلام... إلى آخره، من كلام ابن عباس.........................

الشيخ صالح

و القَدَر معنى كونه سرًّا أنّه لا يمكن أن يُطَّلَعَ عليه؛ إذ هو سرٌّ عند الله ﷻ، والله سبحانه لم يُطْلِع على ذلك أحدًا فمعنى ذلك أنّه لن يَطَّلِعَ أحد على ذلك ولو خاض فيه. ومبنى القدر على صفات الله ﷻ:

- مبنى القدر على العلم.
- مبنى القدر على عموم المشيئة.
- مبنى القدر على عموم الخلق.
- مبنى القدر على حكمة الله ﷻ.

[.....] وعموم مشيئته، وإلى أي شيء تَتَوَجَه لا يعلمها العبد، وعموم خلقه ﷻ من أشياء إذا توجّه الشيء لا يعلمه العبد إلا بعد أن يقع، وحكمة الله لا يعلمها العبد.

إذًا فصارت أنحاء القدر الأربعة لا يعلمها العبد، فكيف إذًا يمكن له أن يخوض في القَدَر؟

فصار الأمر إذًا إلى الاستسلام.

وهذا هو الذي أراده الطحاوي فيما قال، قال: (**وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ**) يعني في القدر المبني على الأربعة أشياء التي ذكرتُ لك: (**التَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ**). إذا تبين هذا فيمكن أن نُجْمِل أو نُقَسِّم الكلام على القدر في مسائل كثيرة، نذكر منها ما يناسب الوقت بعض الأشياء.

قال: (**وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ**) نقول: إنه تحتها مسائل، هي مسائل بحث القدر جميعًا يمكن أن نجعلها في هذا الموضع.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وهذا يوافق قوله: القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده.

وروى عمرو بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة، وصحبنا فيها قدري ومجوسي، فقال القدري للمجوسي: أسلم، قال المجوسي: حتى يريد الله، فقال القدري: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد! قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان! هذا شيطان قوي!! وفي رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما!!

ووقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد، فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعوا الله أن يردها علي، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت، فارددها عليه! فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك! قال: ولم؟ قال: أخاف - كما أراد أن لا تسرق فسرقت - أن يريد ردها فلا ترد!!........

الشيخ صالح

المسألة الأولى:

القَدَر في **اللغة** بمعنى ترتيب الشيء ليكون على وَجْهٍ ما، فيُقَال: قَدَّرْت، أو تقول: قَدَّرْتُ أن يكون الأمر كذا وكذا، إذا رَتَّبْتَ أن يكون الأمر على هذا المنوال.

فإذًا القَدَر في معناه اللغوي يدخل فيه الفعل، ويدخل فيه الإرادة والمشيئة، ويدخل فيه العلم، ويدخل فيه أيضا الحكمة بحسب من قَدَّر.

وأما في **الشريعة** فالقَدَر يجمع أربعة أشياء:

- يجمع العلم السابق
- والكتابة السابقة
- وعموم مشيئة الله ﷻ
- وعموم خلقه ﷻ للأشياء.

ولهذا عرَّفَ بعض أهل العلم القَدَر بأنَّ القَدَر: **هو علم الله بالأشياء قبل وقوعها وكتابته لها في اللوح المحفوظ وعموم مشيئته لما يقع وخلقه ﷻ للأشياء كلها.**

وهذا في الواقع تعريفٌ من باب ليس حدًّا، يعني على صناعة الحدود ولكنه تعريف يشمل مراتب الإيمان بالقدر الأربعة ولِيُدْخِلَ ذلك في تعريف القدر عند أهل السنة والجماعة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال رجل لأبي عصام القسطلاني: أرأيت إن منعني الهدى، وأوردني الضلال ثم عذبني، أيكون منصفًا؟ فقال له أبو عصام: إن يكن الهدى شيئًا هو له فله أن يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء.

وأما الأدلة من الكتاب والسنة: فقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾. ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.............

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

الإيمان بالقدر إيمانٌ بما دَلَّ القرآن والسنة عليه مما يتصل بالقدر، وذلك إيمانٌ بأربع مراتب:

- المرتبة الأولى: **العلم**
- المرتبة الثانية: **الكتابة.**
- المرتبة الثالثة: **عموم المشيئة.**
- المرتبة الرابعة: خلق الله ﷻ للأشياء كلها.

أما المرتبة الأولى العلم: فأدلتها كثيرة ذكرنا لكم بعضًا منها.

المرتبة الثانية الكتابة: ثمَّ أدلة كثيرة عليها، منها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٣]، ودلّ عليه قول النبي ﷺ: «**قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**».

ومعنى الكتابة أنّ الله سبحانه كَتَبَ كلَّ شيء في اللوح المحفوظ، سواء ما يتعلق بالمكلفين أو ما يتعلق بغير المكلّفين؛ وذلك لعموم قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ﴾ [الحج: ٧٠] يعني ما في السماء والأرض.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾.

ومنشأ الضلال: من التسوية بين: المشيئة، والإرادة، وبين: المحبة، والرضى، فسوى الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا:

فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوبًا مرضيًّا.

وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه. وقد دل على الفرق بين: المشيئة، والمحبة. الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة.

أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب، فقد تقدم ذكر بعضها..........

الشيخ صالح

والكتابة هذه المقصود بها الكتابة في اللوح المحفوظ؛ كتابة مقادير الأشياء في اللوح المحفوظ.

ومن هذه الكتابة ثَمَّ أنواع من الكتابة تفصيلية لها: منها الكتابة العُمْرية، والكتابة السنوية، والكتابة اليومية، وأشباه ذلك مما دلت عليه الأدلة في القرآن والسنة.

المرتبة الثالثة مرتبة المشيئة: ويُعْنَى بها أنَّ ما شاء الله ﷻ كان، لا تُرَدُّ مشيئة الله ﷻ، وأنَّ الذي لا يشاؤه الله سبحانه ولو شاءه العبد ورَغِبَ فيه فإنه لا يقع، ودليلها قوله سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

والمشيئة مرتبطة بالكون؛ يعني أنَّ المشيئة كونية، فإذا شاء الله أن يقع هذا الشيء في هذا الوقت على هذه الصفة فإنّه يقع على ما شاءه الله ﷻ وأراده كونًا. والمشيئة تساوي الإرادة الكونية. ولهذا يُبْحَث هنا في مرتبة المشيئة الفرق ما بين المشيئة والإرادة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وأما نصوص المحبة والرضى، فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾. ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾.

وقال تعالى عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»..

الشيخ صالح

وأهل السنة على أنّ مشيئة الله ﷻ هي إرادته الكونية، وأنّ الإرادة منقسمة إلى: إرادة شرعية دينية وإلى إرادة كونية، وأنَّ الله سبحانه قد يشاء الشيء كونًا؛ يعني يريده كونًا فيقع ولا يريده دينًا وشريعة.

فيجتمع إذًا في بعض الحالات إرادة وعدم إرادة، فيكون الفعل المعيّن مُرَاد وغير مُرَاد.

شاءه الله فوقع وأراده فوقع؛ ولكن لم يُرِدْهُ سبحانه دينًا وشريعة، وهذا فيما يَكرهه الله ولا يرضاه دينًا مثل كفر الكافر، معصية العاصي، ضلال الضال ... إلى آخره.

فإنّ الله سبحانه شاء الكفر من الكافر؛ لأنّه ما دام وَقَعَ فإنه قد شاءه وأراده كونًا؛ لأنه لا يحصل في ملكوته إلا ما أراده ﷻ كونًا؛ ولكن ما لم يرضه لم يُرِدْهُ دينًا؛ لأنَّ الله نهى في كتابه وعلى ألسنة رسله عن الكفر والفساد وبيَّن أنه لا يرضى ذلك ولا يحبه، كما قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر:٧]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وهذه هي المسألة المعروفة لدى كثير منكم بالفرق ما بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، وسيأتي لها مزيد بيان عند ذكر الرد على المخالفين في القدر إن شاء الله تعالى.

۞ **المرتبة الرّابعة مرتبة عموم خلق الله ﷻ للأشياء:** وأنَّ الله سبحانه خالق كل شيء، وأنَّ طاعة المطيع خَلَقَهَا الله ومعصية العاصي خَلَقَهَا الله وأنَّ صلاة المصلي خَلَقَهَا الله كما خلق ذاته؛ يعني ذات المصلي فإنه يخلق أعمالهم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وفي المسند: إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته. وكان من دعائه: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك. فتأمل ذكر استعاذته بصفة الرضى من صفة السخط، وبفعل المعافاة من فعل العقوبة. فالأول: الصفة، والثاني: أثرها المرتب عليها، ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده لا إلى غيره، فما أعوذ منه واقع بمشيئتك وإرادتك، وما أعوذ به من رضاك ومعافاتك هو بمشيئتك وإرادتك، إن شئت أن ترضى عن عبدك وتعافيه، وإن شئت أن تغضب عليه وتعاقبه، فإعاذتي مما أكره ومنعه أن يحل بي، هي بمشيئتك أيضًا، فالمحبوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك، فعياذي بك منك، وعياذي بحولك وقوتك ورحمتك مما يكون بحولك وقولك وعدلك وحكمتك، فلا أستعيذ بغيرك من غيرك، ولا أستعيذ بك من شيء صادر عن غير مشيئتك، بل هو منك. فلا يعلم ما في هذه الكلمات من التوحيد والمعارف والعبودية، إلا الراسخون في العلم بالله ومعرفته ومعرفة عبوديته.........

الشيخ صالح

وهذه يُستَدَلُّ لها بقول الله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، وبنحو قوله سبحانه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٢]، ونحو ذلك من الآيات.

وفي خصوص عموم خلق الله للعمل يُستدل بقوله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وفي هذه الآية دليل على أنَّ عمل العامل خَلَقَهُ الله. وذلك أنَّ كلمة (مَا) في الآية ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فيها وجهان:

□ الوجه الأول: أنها مصدرية بمعنى أنّها تُقَدَّر مع ما بَعْدَهَا بمصدر؛ يعني يكون سبك الآية (والله خلقكم وعملكم)، وهذا الوجه هو ﷻ الأصح فيها.

□ الوجه الثاني: أنَّ (مَا) هنا موصولة بمعنى الذي فيكون المعنى **(والله خلقكم والذي تعملونه)**.

☜ وهي على كلٍّ من الوجهين دالة على المراد في عموم خلق الله ﷻ للعبد. ووضوح الدليل الأول يعني في كونها مصدرية، وقد يكون ثَمَّ بعض الاعتراض على الاستدلال بالوجه الثاني.

التعليقات

ابن ابي العز الحنفي

...... **فإن قيل:** كيف يريد الله أمرًا ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويكونه؟ وكيف يجمع إرادته له وبغضه وكراهته؟ قيل: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقًا، وتباينت طرقهم وأقوالهم. فاعلم أن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره.

فالمراد لنفسه: مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد. والمراد لغيره: قد لا يكون مقصودًا لما يريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده؛ فيجتمع فيه الأمران: بغضه، وإرادته، ولا يتنافيان؛ لاختلاف متعلقهما.

وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة، إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه..

الشيخ صالح

المسألة الثالثة:

القَدَر مرّ بك تعريفه. وأما القضاء فإنه في اللغة بمعنى إنهاء الشيء، وقد يكون الإنهاء إنهاء عمل وقد يكون إنهاء خبر، ولهذا جاء في القرآن تنوّع معنى القضاء إلى عدة معان:

◄ **المعنى الأول**: أنَّ القضاء يكون بمعنى **الإنهاء** كما قال سبحانه: ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، وقال: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ [سبأ: ١٤].

◄ **المعنى الثاني**: أنَّ القضاء بمعنى **الوحي** وذلك إذا عُدّي بـ(إلى)، قضينا إلى، قَضَى إلى، يكون إنهاء الخبر بالوحي كما قال ﷻ: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [الإسراء: ٤] يعني أوحينا إلى بني إسرائيل وأعلمناهم وأخبرناهم، وقال أيضًا ﷻ: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٦٦] ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾ يعني أوحينا إليه، وأنهينا إليه ذلك الخبر بالوحي.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف ممن لا يخفى عليه خافية. فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سببًا إلى أمر هو أحب إليه من فوقه.

من ذلك: أنه خلق إبليس، الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، وعملهم بما يغضب الرب سبحانه تبارك وتعالى وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها...

الشيخ صالح

⬅ المعنى الثالث: أنَّ القضاء يكون بمعنى القَدَر كما قال ﷻ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢]، يعني قَدَّرَ ذلك وخلقه وفعله، وكما في قوله أيضًا: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ﴾ [سبأ: ١٤]، على أنَّهُ بمعنى القَدَر؛ لأنَّ الإنهاء يدخل في القَدَر.

ولهذا المعنى قال جمع من أهل العلم إنَّ القضاء و القَدَر بمعنى واحد؛ لأجل أنهم لحظوا أنَّ معنى القضاء داخل في معنى القَدَرْ، وأنَّ القدر و القضاء لا فرق بينهما.

ممن ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم منهم ابن الجوزي وكثير من العلماء السابقين.

☜ وأما فيما دَلَّتْ عليه نصوص الكتاب والسنة فإنَّ القَدَر غير القضاء، وهذه الغيرية بمعنى أنَّ القَدَر أعم من القضاء، والقضاء قد يكون بعض مراتب القَدَر من حيث الإطلاق.

ولهذا قال بعض أهل العلم في تبيين ذلك: إنَّ القضاء هو القَدَر إذا وقع، وقبل وقوع المقدر لا يسمى قضاء.

ذلك لأنَّ كلمة قضاء -كما رأيت في معناها في اللغة وفي استعمالات القرآن- أنها بمعنى الإنهاء، إنهاء الشيء، إنهاء الخلق ... إلى آخره.

و القَدَر إذا وقع وانتهى صار قضاءً، قُضِيَ ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، يعني انتهى ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، يعني احكم بما شئت وأنهِ الأمر على أي وجه شئت.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... منها: أنه يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذا الذات، التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كل شر، في مقابلة ذات جبرائيل، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير، فتبارك خالق هذا وهذا. كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والدواء والداء، والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر. وذلك أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه؛ فإنه خلق هذه المتضادات، وقابلها بعضها ببعض، وجعلها محال تصرفه وتدبيره؛ فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير ملكه.

ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل: القهار، والمنتقم، والعدل، والضار، والشديد العقاب، والسريع العقاب، وذي البطش الشديد، والخافض، والمذل......

الشيخ صالح

فإذًا يكون القضاء هو إنهاء القَدَر، وهذا يتبيّن بأنَّ مراتب القَدَر الأربعة التي سيأتي بيانها منها مرتبتان سابقتان وهي مرتبة العلم والكتابة، ومنها مرتبتان -وهي عموم المشيئة وعموم الخلق لله ﷻ- هاتان المرتبتان مقارنتان لوقوع المقدر.

ولهذا إذا نُظِرَ لوقوع المُقَدَّر من جهة عموم الخلق وعموم المشيئة؛ فإنَّهُ حينئذٍ يكون قضاءً لله ﷻ لهذا الشيء. قضى الله ﷻ الأمر على كذا وكذا بمعنى خلقه وشاءه.

ولهذا نظر من نَظَر في أنَّ القضاء داخل في القَدَر فلذلك قالوا: القضاء والقدر بمعنى واحد.

لكن على التحقيق ليس القضاء والقدر بمعني واحد، وإنما القضاء هو وقوع المُقَدَّر، فإذا وقع القَدَر السابق وانتهى سُمِّيَ قَضَاءً، قضِيَ وانتهى وهو المُقَدَّر، ولاشك أنَّ الذي يقع مقدر ويكون قضاء؛ ولهذا نقول: القضاء، و القَدَر بينهما فرق فإن:

- القَدَر أعم، والقضاء أخص.
- و القَدَر سابق، والقضاء لاحق.
- و القَدَر فيه عدة صفات لله ﷻ: العلم والكتابة والمشيئة والخلق، وأما القضاء قضاء الله ﷻ للشيء في نفسه يدل على خلقه ﷻ للشيء ومشيئته له.
- لهذا على الصحيح أنَّ القضاء و القَدَر ليسا بمعنى واحد ولا يتواردان، يعني ما يُسْتَعْمَل أحدهما بمعنى الآخر؛ بل القَدَر أعم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... فإن هذه الأسماء والأفعال كمال، لا بد من وجود متعلقها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد.

وقد أشار النبي ﷺ الى هذا بقوله: لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم..

الشيخ صالح

المسألة الرابعة:

منشأ الضلال في القدر، منشأ ضلال الفرق: الجبرية، والقدرية يرجع إلى عدة أسباب:

○ **السبب الأول: قياس أفعال الله ﷻ وتصرفاته سبحانه بأفعال الخلق؛** فيجعلون ما كان محمودًا في الخلق محمودًا في فِعْلِ الله ﷻ، وما كان مَذْمُومًا في الخلق فيكون مَذْمُومًا في فعل الله ﷻ.

فعندهم أنَّ العدل محمود، والظلم مذموم، فيجعلون العدل بتفسيره في الخَلْق والظلم بتفسيره في الخَلْق في حق الله، فما اقتضى العدل في المخلوق جَعَلُوهُ لله، وما اقتضى الظلم في المخلوق جعلوه منفِيًّا عن الله ﷻ؛ ولذلك نفوا عموم المشيئة ونَفَوا عموم الخلق؛ لأنهم جَعَلُوا أنَّ إِذْنَ الله ﷻ بالكفر يقتضي الظلم؛ لأنه معناه الإلزام.

وجعلوا خلق الله ﷻ لمعصية العاصي ولكُفْرِ الكافر جعلوا ذلك ظلمًا؛ لأنَّهُ في حق الإنسان إذا جَعل غيره يفعل ذلك الشيء فإنَّهُ قَهَرَهُ عليه وأَجْبَرَهُ عليه أو أنه أَذِنَ له به وهذا ظلم في حق الإنسان فيما بينهم.

فيقولون: إِذْنُ ما كان عدلاً في الإنسان فهو عدل في الله وما كان ظلمًا في الإنسان فهو ظلم في الله؛ لأنَّ تعريف العدل والظلم فيما جاء في النصوص هو التعريف اللغوي وهو الذي يشمل الإنسان ويشمل الله ﷻ، **وهذا في الحقيقة هو أعظم أسباب الضلال في هذه المسألة.**

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

.... ومنها: ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة؛ فإنه الحكيم الخبير، الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك.

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة، لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر؛ لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح، التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه.........................

الشيخ صالح

○ السبب الثاني: **عدم التفريق ما بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية**؛ فيجعلون الإرادة والمشيئة شيئًا واحدًا، فما نُفِيَ مما لم يُرِدْهُ الله ﷻ شرعًا جعلوه مَنْفِيًّا كونًا. فالله ﷻ لم يرد الكفر فجعلوه ﷻ لم يشأ الكفر؛ لأنَّ الإرادة عندهم قسم واحد، لم يرد المعصية فجعلوه لم يشأ المعصية، لم يرد الكبيرة جعلوه لم يشأ الكبيرة. والإرادة كما ذكرنا منها إرادة شرعية ومنها إرادة كونية، و الإرادة الكونية هي المشيئة، وأما الإرادة الشرعية فهي التي تدخل فيها صفة المحبة والرضا لله ﷻ.

○ السبب الثالث: **دخول العقل في التحسين والتقبيح**؛ **فيجعلون الأفعال التي تقع** في ملكوت الله، وتقدير الله ﷻ للأشياء يدخل فيه **العقل مُحَسِّنًا ومُقَبِّحًا**؛ وذلك لأنَّ العقل عندهم أصل، فقالوا: العقل يُعْمَلُ في أفعال الله فما حَسَّنَهُ العقل في أفعال الله صار حسنًا وما قَبَّحَهُ العقل في أفعال الله ﷻ وجب نفيه عن الله ﷻ، وهذه هي المسألة المشهورة بالتحسين والتقبيح العقليين التي لها صلة بالأصول وبالفقه يعني بالتكليف ولها صلة أيضا بمبحث القضاء والقدر.

التعليقات

... والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان(١)..

ابن أبي العز الحنفي

...... ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالات لله سبحانه وتعالى والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه. إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها.

فإن قيل: فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب؟ فهذا سؤال فاسد! وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب. والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب......................

الشيخ صالح

○ السبب الرابع: **الدخول في أفعال الله ﷻ، وعدم التسليم لمراد الله ﷻ**، يعني الخوض في أفعال الله ﷻ. والخوض في أفعال الله ﷻ كما ذكر لك الطحاوي في ذلك: (**ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ**).

(**ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ**) يعني وسيلة لأن يُخْذَل العبد؛ لأنه معناه أنك تريد أن تصل إلى معرفة سر القَدَر، وهذا لا يمكن. (**سُلَّمُ الْحِرْمَانِ**) لا يمكن أيضًا أن تدخل في أفعال الله فَتُحْرَم؛ ولأنَّ هذا سُلَّمُهُ الحرمان فتصل إلى أن تكون محرومًا.

وكذلك أنَّه (**دَرَجَةُ** —من درجات— **الطُّغْيَانِ**)؛ لأنَّ الإنسان رفع نفسه فوق ما لها، طَغَى وجاوز حَدَّه، فحَدُّهُ أن يتعبد الله ﷻ بالإيمان والتسليم ﴿ **لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فإذًا السؤال بـ(لِمَ؟) هذا من منشأ الضلال فيمن ضَلَّ في الجبرية وفي القدرية وفي المتحيرين المتشككين الذين أنكروا الشريعة وضَلُّوا وألْحَدُوا بسبب الدخول في القَدَر.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذا كلام عظيم، أي: التعمق في القضاء والقدر ومسائله، وإشغال الوقت والنفس والقلب، مما يورث الشكوك ويخذل عن العمل، فهذا من اللعب والخذلان، إذا خذل الله العبد شغله في هذه الأمور، وإذا أكرم الله العبد شغله في طاعته، واغتنام وقته.

فنحن لنا حدود لا نتعداها، فالله ما كلفنا بالبحث في القضاء والقدر، ولكن كلفنا باعتقاد ذلك بالعمل الصالح وترك العمل السيئ.

ابن أبي العز الحنفي

.... فإن قيل: فإذا كانت هذه الأسباب مرادة لما تفضي إليه من الحكم، فهل تكون مرضية محبوبة من هذا الوجه، أم هي مسخوطة من جميع الوجوه؟ هذا السؤال يرد على وجهين:

أحدهما: من جهة الرب تعالى، وهل يكون محبًّا لها من جهة إفضالها إلى محبوبه، وإن كان يبغضها لذاتها؟

والثاني: من جهة العبد، وهو أنه هل يسوغ له الرضى بها من تلك الجهة أيضًا؟ فهذا سؤال له شأن.

فاعلم أن الشر كله يرجع الى العدم، أعني عدم الخير وأسبابه المفضية إليه، وهو من هذه الجهة شر، وأما من جهة وجوده المحض فلا شر فيه.

مثاله: أن النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة، وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها، فإنها خلقت في الأصل متحركة، فإن أعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت به، وإن تركت تحركت بطبعها إلى خلافه....

الشيخ صالح

من المعلوم أنَّ القَدَر فيه العِلْم، والعلم يتفاوت فيه الناس، والله ﷻ يعلم ما يوافق حكمته ﷻ. الحكمة أين هي؟ ما يريده الله ﷻ من الابتلاء في خلقه.

الله ﷻ يعلم ذلك، فأَوْقَعَ في خلقه ما يوافق الحكمة له؛ يعني ما يوافق مراداته في خلقه وحصول الابتلاء في ذاته، والإنسان قد ينظر فيكون علمه قاصرًا فلا يصل إلى حقيقة الإدراك.

ولهذا قال بعض السلف وتُنْسَب إلى أبي بكر ﷺ: **(العجز عن الإدراك إدراك)** لِمَ؟ لأنَّ إدراكات الذكي غير إدراكات البليد، فإذا اعْتَرَضَ البليد على الذكي بأنَّ هذا الشيء ليس كذلك؛ لأنَّ هذا ما يُعْقَل، وهذا ما يحصُل فيكون هذا اعتراض لا عن علم، وإنما عن جهل فَيُرَد على صاحبه فيكون هو المحروم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وحركتها من حيث هي حركة: خير، وإنما تكون شرًّا بالإضافة، لا من حيث هي حركة، والشر كله ظلم، وهو وضع الشيء في غير محله، فلو وضع في موضعه لم يكن شرًا، فعلم أن جهة الشر فيه نسبية إضافية. ولهذا كانت العقوبات الموضوعة في محالها خيرًا في نفسها، وإن كانت شرًا بالنسبة إلى المحل الذي حلت به، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة مستعدة له، فصار ذلك الألم شرًا بالنسبة إليها، وهو خير بالنسبة إلى الفاعل حيث وضعه في موضعه، فإنه سبحانه لم يخلق شرًا محضًا من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن حكمته تأبى ذلك.

فلا يكون في جناب الحق تعالى أن يريد شيئًا يكون فسادًا من كل وجه، لا مصلحة في خلقه بوجه ما، هذا من أبين المحال، فإنه سبحانه الخير كله بيديه، والشر ليس إليه، بل كل ما إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه، فلو كان إليه لم يكن شرًا، فتأمله؛ فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شرًا.

فإن قيل: لم تنقطع نسبته إليه خلقًا ومشيئة؟ قيل: هو من هذه الجهة ليس بشر، فإن وجوده هو المنسوب إليه، وهو من هذه الجهة ليس بشر، والشر الذي فيه من عدم إمداده بالخير وأسبابه، والعدم ليس بشيء، حتى ينسب إلى من بيده الخير...

الشيخ صالح

مثل جهل بعض الناس مثلاً ببعض الأجهزة. الكفار من النصارى أوَّل ما اخترع المسلمون الساعة أنكروها وخافوا منها، ورَجَعَ الأمر إلىَ أنَّ في بعض المخترعات للكفار في العصر الحديث رفضه بعض المسلمين وخافوا منه؛ وذلك لأنَّ ذلك فيه عَجْزًا عن إدراك حقيقته، فرفضوا لأنهم عجزوا عن الإدراك.

وهذا إذا كان في المخلوق فالله ﷻ له العلم الكامل وله العلم بكل شيء ﷻ يعلم الأشياء على تفاصيلها. والإنسان علمه قاصر، فإذًا إذا خاض في القدر بعلمه القاصر فلاشك أنه سيعترض؛ لأنه لا يعلم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... فإن أردت مزيد إيضاح لذلك، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد. فإيجاد هذا خير، وهو الى الله، وكذلك إعداده وإمداده، فإن لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل، وإنما إليه ضده.

فإن قيل: هلا أمده إذا أوجده؟ قيل: ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده، وإنما اقتضت إيجاده وترك إمداده؛ فإيجاده خير، والشر وقع من عدم إمداده.

فإن قيل: فهلا أمد الموجودات كلها؟ فهذا سؤال فاسد، يظن مورده أن التسوية بين الموجودات أبلغ في الحكمة! وهذا عين الجهل! بل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الذي بين الأشياء، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه تفاوت، والتفاوت إنما وقع لأمور عدمية لم يتعلق بها الخلق، وإلا فليس في الخلق من تفاوت. فإن اعتاص عليك هذا، ولم تفهمه حق الفهم، فراجع قول القائل:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

فإن قيل: كيف يرضى لعبده شيئًا ولا يعينه عليه؟ قيل: لأن إعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة...

الشيخ صالح

وإذا اعترض على الله ﷺ فإنه سيُخْذَل، ويُحْرَم، ويَتِيه، ويُخْذَل، ويضل الطريق كما حصل أنَّ أناسًا كثيرين ضلوا بسبب خوضهم في أفعال القدر.

هذه وقد ذكرنا لكم كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية في تائيته القدرية قال:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ في فعْلِ الإلهِ بعلَّةِ

فإنَّهمُو لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ ... فصاروا على نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

هذه بعض أسباب ومنشأ الضلال في باب القَدَر.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ الآيتين.

فأخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم إلى الغزو مع رسوله، وهو طاعة، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه، ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التي تترتب على خروجهم مع رسوله، فقال: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾، أي: فسادًا وشرًا، ﴿ وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ ﴾، أي: سعوا بينكم بالفساد والشر، ﴿ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾، أي: قابلون منهم، مستجيبون لهم، فيتولد من سعي هؤلاء وقبول هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم، فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه، فاجعل هذا المثال أصلاً، وقس عليه.

وأما الوجه الثاني، وهو الذي من جهة العبد: فهو أيضًا ممكن، بل واقع. فإن العبد يسخط الفسوق والمعاصي ويكرهها؛ من حيث هي فعل العبد، واقعة بكسبه وإرادته واختياره، ويرضى بعلم الله وكتابه ومشيئته وإرادته وأمره الكوني، فيرضى بما من الله ويسخط ما هو منه، فهذا مسلك طائفة من أهل العرفان، وطائفة أخرى كرهتها مطلقًا، وقولهم يرجع إلى هذا القول؛ لأن إطلاقهم الكراهة لا يريدون به شموله لعلم الرب وكتابه ومشيئته. وسر المسألة: أن الذي إلى الرب منها غير مكروه، والذي إلى العبد مكروه.........

الشيخ صالح

المسألة الخامسة:

أنّ الناس في القَدَر الذين خالفوا أهل السنة والجماعة، لهم فِرَق كثيرة وهذه الفرق ترجع إلى فرقتين:

- **الأولى القدرية.**
- **الثانية الجبرية.**

ويُعنى بالقدرية: الذين أنكروا القدر، إما أنكروا كل المراتب، أو أنكروا بعض مراتب القَدَر التي ذكرنا لك.

التعليقات

..... فإن قيل: ليس إلى العبد شيء منها. قيل: هذا هو الجبر الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق، والقدري المنكر أقرب إلى التخلص منه من الجبري. وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية أسعد بالتخلص من الفريقين.

فإن قيل: كيف يتأتى الندم والتوبه مع شهود الحكمة في التقدير، ومع شهود القيومية والمشيئة النافذة؟ قيل: هذا هو الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الأمر على غير ما هو عليه، فرأى تلك الأفعال طاعات، لموافقته فيها المشيئة والقدر، وقال: إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته! و في ذلك قيل:

أصبحت منفعلاً لمـــا يختـــاره ... مني ففعلي كلـــه طاعـــات!

وهؤلاء أعمى الخلق بصائر، وأجهلهم بالله وأحكامه الدينية والكونية؛ فإن الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي، لا موافقة القدر والمشيئة، ولو كان موافقة القدر طاعة لكان إبليس من أعظم المطيعين له، ولكان قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقوم فرعون - كلهم مطيعين!

وهذا غاية الجهل، لكن إذا شهد العبد عجز نفسه، ونفوذ الأقدار فيه، وكمال فقره إلى ربه، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين، كان بالله في هذه الحال لا بنفسه، فوقوع الذنب منه لا يتأتى في هذه الحال البتة، فإن عليه حصنًا حصينًا، «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي»، فلا يتصور منه الذنب في هذه الحال.......

الشيخ صالح

ويُعنى بالجبرية: الذين يزعمون أنَّ الإنسان لا اختيار له وأنه مجبور.

أولاً: القدرية: القدرية فرق يُلَخَّص اختلافهم في أنَّ:

الفرقة الأولى: هم الغلاة الذين كانوا يُنكرون عِلْمَ الله ﷻ السابق فيقولون: إنَّ الله ﷻ لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه والأمر أُنُف، كما كان يقول معبد الجُهَني وغيلان الدمشقي وجماعة من الأولين.

التعليقات

...... فإذا حجب عن هذا المشهد وبقي بنفسه، استولى عليه حكم النفس، فهنالك نصبت عليه الشباك والأشراك، وأرسلت عليه الصيادون، فاذا انقشع عنه ضباب ذلك الوجود الطبعي، فهنالك يحضره الندم والتوبة والإنابة، فإنه كان في المعصية محجوبًا بنفسه عن ربه، فلما فارق ذلك الوجود صار في وجود آخر، فبقي بربه لا بنفسه.

فإن قيل: إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره، ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله، فكيف ننكره ونكرهه؟!

فالجواب: أن يقال أولاً: نحن غير مأمورين بالرضى بكل ما يقضيه الله ويقدره، ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة، بل من المقضي ما يُرضَى به، ومنه ما يُسْخَطُ ويُمْقَت، كما لا يرضى به القاضي لأقضيته سبحانه، بل من القضاء ما يُسْخَط، كما أن من الأعيان المقضية ما يُغْضَب عليه ويُمْقَت ويُلعَن ويُذَمّ.

ويقال ثانيًا: هنا أمران: قضاء الله، وهو فعل قائم بذات الله تعالى. ومقضي: وهو المفعول المنفصل عنه. فالقضاء كله خير وعدل وحكمة، نرضى به كله. والمقضي قسمان: منه ما يُرضَى به، ومنه ما لايرضى به.

ويقال ثالثًا: القضاء له وجهان: أحدهما: تعلقه بالرب تعالى ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يُرضَى به. والوجه الثاني: تعلقه بالعبد ونسبته إليه، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يُرضَى به وإلى ما لا يُرضَى به. مثال ذلك: قتلِ النفس، له اعتباران: فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونهاية لعمره - يرضى به، ومن حيث صدر من القتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله - نسخطه ولانرضى به.........

الشيخ صالح

وهؤلاء هم الذين أنكروا علم الله السابق، فقالوا: إنَّ الله لا يعلم الأشياء حتى تقع والأمر أنف؛ يعني مستأنف جديد غير معلوم وغير مُقَدَّر له قبل ذلك.

التعليقات

.... فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً(١)..............

ابن أبي العز الحنفي

...... وقوله: (والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان)...إلى آخره - التعمق: هو المبالغة في طلب الشيء. والمعنى: أن المبالغة في طلب القدر والغوص في الكلام فيه ذريعة الخذلان. الذريعة: الوسيلة. والذريعة والدرجة والسلم - متقاربة المعنى، وكذلك الخذلان والحرمان والطغيان متقاربة المعنى أيضًا. لكن الخذلان في مقابلة الظفر. والطغيان في مقابلة الاستقامة.

وقوله: (فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة). عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: «**وقد وجدتموه؟** قالوا: نعم، **قال: ذلك صريح الإيمان**». رواه مسلم.

الإشارة بقوله: «**ذلك صريح الإيمان**» إلى تعاظم أن يتكلموا به. ولمسلم أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، **قال:** سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة؟ فقال: تلك محض الإيمان. فهو بمعنى حديث أبي هريرة، فإن وسوسة النفس أو مدافعة وسواسها بمنزلة المحادثة الكائنة بين اثنين، فمدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريح الإيمان ومحض الإيمان..................

الشيخ صالح

وهؤلاء هم الذين كفَّرَهُم السلف وكفَّرَهُم الصحابة كابن عمر وابن عباس وغير أولئك؛ وذلك لأنهم أنكروا مرتبة العلم، والله ﷻ ذكر عِلْمَه، فمعنى ذلك أنهم ردُّوا حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب فهو من الكافرين. وهؤلاء هم الذين قال فيهم السلف: (**ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خُصِمُوا وإن جحدوه كفروا**). وهذه الفرقة ذهبت ولا يُعْرَف أنها عقبَت وارثًا في الأعْصُر المتأخرة.

❁ الفرقة الثانية: وهم القدرية المتوسطة: المعتزلة، والشيعة الرافضة، والزيدية، ومن نحا نحو أولئك.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: وهذا التعمق هو المراد - والله أعلم - بقوله صلى الله عليه وسلم: «... وإذا ذكر القدر فأمسكوا». وهو حديث صحيح روي عن جمع من الصحابة وقد خرجته في (الصحيحة) (٣٤).

(١) الشيخ الفوزان: أي احذر من هذه الأمور، والنظر في هذه الأمور، والتفكير فيها، والوسوسة وهي: التردد والشك، اترك هذه الأمور، وسد هذا الباب أصلاً.

ابن أبي العز الحنفي

...... هذه طريقة الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان، ثم خلف من بعدهم خلف، سودوا الأوراق بتلك الوساوس، التي هي شكوك وشبه، بل وسودوا القلوب، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، ولذلك أطنب الشيخ رحمه الله في ذم الخوض في الكلام في القدر والفحص عنه.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا داود ابن أبي هند، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، ، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: «**ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم**».

قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله لم أشهده، بما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده. ورواه ابن ماجه أيضًا.......................

الشيخ صالح

وهؤلاء لا يُنْكِرُونَ جميع المراتب؛ ولكن يُنْكِرُونَ بعض الأشياء في بعض المراتب. فيقولون: إنَّ المشيئة ثابتة لكن ليست عامة. ويقولون: إنَّ الخلق ثابت ولكن ليس عامًّا. وسُمُّوا بالقدرية، لأنهم ينفون بعض مراتب القدر.

وهذه الفرقة باقية إلى الآن المعتزلة موجودة الآن؛ الزيدية، والرافضة، والفرق موجودة في أمصار كثيرة من بلاد المسلمين، وهؤلاء هم الذين يأتي إن شاء الله ذكر بعض شبههم والرّد عليها بإذنه تعالى.

⇦ ثانيًا: الجبرية: أما الجبرية فهم أيضًا فِرَقٌ منهم:

۞ الفرقة الأولى: هم الغلاة، وهم الذين يقولون: إنَّ الإنسان مجبور على كل شيء، وحركاته كحركة الريشة في مهب الهواء، وكحركة الخشبة في البحر، فإنَّ الأمواج تتقاذفها وليس لها اختيار، وكذلك الريشة يُقَلِّبُهَا الهواء وليس لها اختيار العبد.

التعليقات

..... وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾، الخلاق: النصيب، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾، أي: استمتعتم بنصيبكم كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبهم وخضتم كالذي خاضوا، أي: كالخوض الذي خاضوه، أو كالفوج أو الصنف أو الجيل الذي خاضوا.

وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض ؛ لأن فساد الدين إما في العمل وإما في الاعتقاد، فالأول من جهة الشهوات، والثاني من جهة الشبهات.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لتأخذن أمتي مأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**، قالوا: فارس والروم؟ قال: **فمن الناس إلا أولئك**.......................................

الشيخ صالح

يقولون: ليس له اختيار وإنما هو مفعول به في كل أحواله، سواء من ذلك الطاعات والمعاصي، فَصَلَّى مجبورًا، وصام مجبورًا، وسرق مجبورًا، وغشّ مجبورًا.

ويقولون: إنَّ أفعال الله ﷻ غير مُعَلَّلَة، فقد يُدْخِل الله ﷻ إبليس الجنة، وقد يُدْخِل آدم النار؛ يعني من لازِمِ مذهبهم؛ فإنه لا تعليل في أفعال الله، قد يُعَذّب المطيع الصالح، وقد يُعْطِي ويُنَعِّم الكافر الطاغوت. لماذا؟

لأَنَّهُ يقول هؤلاء فَعَلُوا بغير اختيارهم، فالله ﷻ هو الذي أَجْبَرَ هذا أَجْبَرَ هذا، فله أن يَقْلِبَ الأمور؛ لأنَّ هذا ما فعل الذنب باختياره، نعوذ بالله من الأقوال الضالة، وهؤلاء يمثّلهم -يعني الجبرية- يمثلهم طوائف من الصّلحاء في الزمن الأول ممن رأوا الفَنَاء في شهود الأمر الكوني.

وممن قال أيضًا بهذا القول جهم ومن اتَّبَعَهُ، وأيضًا قال به طوائف من غلاة الصوفية يرون أنهم ليس لهم فعل البتة، فأفعالهم الظاهرة كحركة أمعائهم لا اختيار لهم فيها.

ابن أبي العز الحنفي

..... وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان من أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**». رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**». رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح...

الشيخ صالح

✌ الفرقة الثانية: و هم الأشاعرة، والماتريدية، ومن نحا نحوهم ممن غَلَوا في إثبات المشيئة، مشيئة الله ﷻ وخلقه: وقالوا إنَّ الإنسان ليس مجبورًا على كل حال؛ ولكن هو مجبور باطنًا لا ظاهرًا؛ يعني في الباطن مجبور ما يتحرك بإرادته ولكن في الظاهر تصرفاته بإرادته، فَيُحَاسَبُ على تصرفاته الظاهرة، وأما الذي دَفَعَهُ في الحقيقة فهو أمر باطن مُجْبَر عليه من الله ﷻ. وهذا في الحقيقة قولٌ بالجَبْرْ، ومشهور أنَّ الأشاعرة جبرية.

ولهذا لما عُرِضت هذا الاعتراضات، اعتُرِض على الأشعري في الحساب والعقاب والثواب قال: إنَّ الأفعال يُحَاسَب عليها العبد ويُنَعَّم ويُعَذَّب؛ لأنه كسبها، وكَسْبُهُ لها من فعله. فإذًا يُعَاقَب ويُثَاب على ما كسب، والله ﷻ يقول: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فأخذ من لفظ (كَسَبَ) في القرآن أنَّ الفعل الظاهر كَسَبَهُ العبد، يعني عمله فهو يحاسب على ما ظهر.

وهذا الكسب عنده في الواقع ابتدأه أبو الحسن الأشعري دون سابق في هذه الأمة، فلهذا نَظَرَ أصحابه في تعريف الكسب، إيش معنى الكسب هذا الذي أحدثه الأشعري لقاء قوله بالجبر الباطن؟ يقول: إنَّ الإنسان يُفعل به وهو يَفْعَل، والأمر يحصل عند حركة الإنسان، مثل قطع السكين للخبزة، أو تكسير العصا للحجر، فإذا ضَرَبَ الإنسانُ الحجر بالعصا، يقول: إنَّ الحجر تنكسر لا بالضرب؛ ولكن عند الضرب، يعني كَسَرَ الله الحجر لا بِضَرْبِ الإنسان ولكن عند ضربه.

التعليقات

.... وعن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة. يعني: الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**».

وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة: مسألة القدر. وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع..

الشيخ صالح

يعني أنَّ الحجر ليس له خاصية الانكسار بضرب العصا، والعصا ليست لها خاصية الكَسْر -كسر الحجر، والإنسان ليس فيه خاصية أنَّهُ يحمل العصا على الحقيقة ويكسر على الحقيقة.

ولهذا سماهم السلف نفاة التعليل ونفاة الأسباب، يعني ليس ثَمَّ شيء يُنْتِجُ شيئًا، ليس ثم سَبَب يُنْتِجُ مُسَبَّبًا

عندهم كل شيء يحصل بخَلْقٍ له منعزل عن غيره، لا بأسباب غيره؛ فالماء إذا نزل على الأرض نبت العشب لا بالماء، ولكن عند الالتقاء، وما جاء في القرآن من ذكر حرف الباء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾ [النمل: ٦٠] يعني لفظ (بِهِ) هذا يفسرونه بعنده، هذا كثير في التفاسير فتنتبه لهم. إذًا خلصوا إلى أنَّ الإنسان يكسب العمل.

وتفسير الكسب، كيف يَجْمَع ما بين الجبر الظاهر والجبر الباطن بالكسب اختلف فيه الأشاعرة على أقوال كثيرة وخلاصتها أنه لا مُحَصَّلَ لها وأنه مجبور لا مختار.

ولهذا قال القائل في البيت المعروف في بعض كتب العقائد المطولة قال:

مما يقال ولا حقيقة تحته ... معقولةً تدنو لذي الأفهام

والكسب عند الأشعري والحال ... عند البهشمي وطفرة النظام

هذه ثلاثة أشياء لا حقيقة لها اخترعها أصحابها دون حقيقة.

التعليقات

....

.... فإنَّ اللهَ تعالى طوى علمَ القَدرِ عنْ أنامِهِ(١)، ونهاهُمْ عنْ مرامِهِ(٢)،........

إذا تبين لك ذلك فلفظ الكسب له عدة استعمالات، أو الكسب عند الناس له ثلاثة استعمالات، أو الناس في الكسب لهم ثلاثة أقوال -يعني بما تراه:

- الأول: الكَسْب عند الأشاعرة هذا أوضحناه لك.
- الثاني: كَسْبٌ بمعنى العَمَل، ما يعمله الإنسان باختياره ورغبته يكون كَسْبًا له؛ لأنه حَصَّلَهُ.

مثل ما تقول: كسبتُ مثلا كذا من المال، لأنّه.... عمل شيئًا فَحَصَّل هذا المال. كذلك الأعمال الصّالحة كَسْبٌ له؛ لأنه بذل فيها وعمل فكسب. وكذلك الأعمال السيئة عليه؛ لأنه كسبها بجهده.

وهذا هو المعنى الذي جاء في الكتاب والسنة، فمن استعمل الكسب في هذا المعنى فهو صحيح؛ لأنه قد جاء في القرآن والسنة مثل ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولفظ الكسب في القرآن كثير. فإذًا هذا المعنى واضح وصحيح.

ترجعون في تقسيم الكسب إلى الأقوال الثلاثة والحُجَج فيه؛ لأنه مهم إلى كتاب ابن القيم شفاء العليل.

المسألة السادسة:

لفظ الكَسْب جاء في القرآن في ذِكْرِ ما للمكلف وما عليه، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١، آل عمران: ١٦١] وقال ﷻ: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٥] ونحو ذلك من الآيات.

ولـمَّا جاء لفظ الكسب في القرآن وفي السنة أيضًا جاء مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات كَسْب المرء وتفسير الكَسْب بما دلت عليه النصوص وهو أنَّ كَسْبَ المرء هو عمله. فالكسب هو العمل والفعل.

التعليقات

(١) الفوزان: هذا تأكيد لما سبق (القدر سرُّ الله تعالى) ومعنى طوى: أخفى، فطوى الله هذه المعلومات عن خلقه؛ لأنه ليس لهم فيها مصلحة.

(٢) الفوزان: عن مرام القدر أن يبحثوا فيه، والنبي ﷺ غضب لما رأى الصحابة يتساءلون في هذا فقال: «أبهذا أُمرتم؟ أم لهذا خُلقتم؟».

فقوله سبحانه: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يعني لها ما عملت، فالعمل هو الكَسْب، ودلّ على ذلك أنه ﷻ قال: ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ [النحل:١١١]، وفي الآية الأخرى ﴿ مَا كَسَبَتْ﴾ فدلّ على أنَّ الكَسْب هو العمل.

والناس أعني المذاهب الثلاثة المشهورة في باب القَدَر وهي مذهب الجبرية والقدرية وطريقة أهل السنة والحديث كلٌّ فسر الكَسْب على حسب معتقده:

① مذهب القَدَرِيَّة: فسّرَ القدرية -وهم نُفاة القدر الذين يقولون: إنَّ العبد يخلق فعلِ نفسه وأنَّ الله ﷻ لا يخلق فعل العبد من المعتزلة ومن شابههم- قالوا: إنَّ معنى الكسْب في هذه الآيات هو إيجاد العبد للفعل، وشَبَّهُوهُ بكسب التجارة؛ فإنَّ كسب التجارة فعل، كما قال ﷻ: ﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٦٧] فما كَسَبَ الإنسان من التجارة أنفقوا من طيبات ما كسبتم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:٢٦٧]، فذَكَر الكسب في معرض التجارة فقالوا كذلك هو في فعله يكسب العمل الصالح كما يجتهد في كَسْب التجارة. فإذًا جعلوا الكَسْب هو إيجاد العبد الفعل على مذهبهم في خلق أفعال العباد. وذلك أنَّ لفظ الكَسْب فيه شيء من الاحتمال، ولهذا فسرته كل طائفة على مذهبها.

② مذهب الجبرية: والجبرية -كما ذكرنا لكم طرفًا من مذهبهم في قول الأشاعرة والجهمية- الجبرية فَسَّرُوا الكَسْب بأشياء كثيرة وبعبارات متنوعة لا حاصل معها على التحقيق، وذكرت لكم قول الشاعر، أو قول أحد العلماء:

ممـــا يقـــال ولا حقيقـــة تحتـــه	معقولـــة تـــدنو لـــذي الأفهـــام
الكـسب عنـد الأشـعري والحــال	عنـــد البهـــشمي وطفـــرة النظـــام

فحين اخترع الأشعري مذهبه الذي هو جَبْرٌ باطن لا جَبْرٌ ظاهرٌ، لما [.....] ووجد في لفظ الكَسْب في الكتاب والسنة مخرجًا له فقال: الأعمال كسب.

كيف يتوافق هذا مع قوله في القَدَر؟ قال: الكَسْب عبارة عن تعلق القُدْرَة بالحال أو غير ذلك من التفاسير.

.. كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣](١)....

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

واختلف أصحابه في تفسير الكَسْب على هذا الاصطلاح الذي هو كسب الجبر. كيف يكون للإنسان كسب وهو مجبور؟ اختلفوا في تفسير الكَسْب على أوجه كثيرة أكثر من عشرة أوجه، وكلها راجعة إلى نوع من التعلق ما بين القدرة والإرادة والعمل والتكليف، وهذا فيه صعوبة في الربط بينها؛ ولذلك أهل العلم حتى الأشاعرة قال محققوهم: إنه لا حصيلة تحت هذه العبارة التي هي عبارة الكَسْب على خلاف معنى العمل.

③ مذهب أهل السنة والجماعة: أما القول الثالث في الكَسْب فهو قول أهل العلم والسنة والحديث من الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم فإنهم قالوا: إنَّ الكَسْبَ هو العمل وهو الفعل، والله ﷻ قال: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾، وفَرَّقَ ما بين الكَسْب والاكتساب مع أنَّ كثيرًا من أهل العلم يجعلون الكَسْبَ والاكتساب بمعنى واحد؛ لكن في الآية قال: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يعني في الخير، ﴿ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ فجعل الاكتساب فيه زيادة في المَبْنَى؛ لأنّ فيه نوع كُلْفَة، فالخير موافق للفطرة فَيَكْسَبُهُ الإنسان لموافقته لفطرته مع أنَّه تكليف، وأمّا الشر والرَّدَى والضلال فإنه مخالف لفطرته.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: أي لكمال حكمته ورحمته وعدله لا لمجرد قهره وقدرته كما يقول جهم وأتباعه. كذا في (الشرح)[(كذا وقع هنا وهو بمعنى رواية " فقال له " . لكن الراجح عندي الرواية الأخرى بلفظ: " ثم قال له " كما كنت حققته في " تخريج شرح الطحاوية " ص ٢٩٤ - ٢٩٥ [٢٦٤ - ٢٦٥ من الطبعة التاسعة طبع المكتب الإسلامي] . وله شاهد عن ابن عباس خرجته في الصحيحة (١٣٣)] وراجع فيه تحقيق أن مبنى العبودية والإيمان على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع فإنه مهم جدًا لولا ضيق المجال لنقلته برمته لنفاسته وعزته، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في (مجموع الفتاوى) (١ / ١٤٨ - ١٥٠) باختصار بعض الفقرات: والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة **الأولى**: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق «فأول ما خلق الله القلم قال له (ا) : «اكتب قال : ما أكتب؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف» كما قال وتعالى : **﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾**..................................=

لذلك إتيان المحرمات، وإتيان الموبقات، ونحو ذلك على ما في الإنسان ربما من الشهوة لبعض ذلك لكن يحتاج معه إلى أن يُعْمِلَ نفسه، يعني أن يُتْعِبَ نفسه ويخالف فطرته في أن يأتي تلك الموبقات، لذلك زاد المبنى ليدل على أنها فيها نوع كَلَفَة ومشقّة في ما يعمله المرء من الشر، قال: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ يعني من الشر؛ فجعل أهل السنة الكسب بمعنى العمل.

المسألة السابعة:

وهذه المسألة متعلقة بمعنى خلق الله ﷻ لفعل العبد، وتحقيق مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك. فقد قلنا: إنَّ الإنسان عَمَلُهُ من خير أو شر يضاف إليه حقيقة، فهو الذي عَمِلَ الخير حقيقة وهو الذي عَمِلَ الشر حقيقة. ومع ذلك لا يقال: إنه خَلَقَ فعله، بل هو عَمِلَهُ ويُضَافُ إليه؛ لأنه كَسَبَهُ وعَمِلَه.

وأما خَلْقُ الفِعْلِ فالله ﷻ هو الذي خَلَقَ ﷻ.

التعليقات

= وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكًا فيؤمر بأربع كلمات.
اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ونحو ذلك فهذا القدر ينكره غلاة القدرية قديمًا ومنكره اليوم قليل.
وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات.
ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد. والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

قلت: ويشير بكلامه الأخير إلى الأشاعرة فإنهم هم الذين غلوا وأنكروا الحكمة على ما فصله ابن القيم في (شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل). فراجعه فإنه هام جدًّا..........................=

وبيان ذلك في الفَرْق ما بين أهل السنة والجماعة وما بين مذهب القدرية و المعتزلة وأشباه هؤلاء: أنَّ العبد كَسَبَ العمل وعَمِلَ العمل حقيقة؛ لأنَّ ذلك العمل نتج عن شيئين فيه من الصفات لا يمكن له أن يُحْدِثَ العَمَل إلا بوجود هاتين الصفتين:

فالصّفة الأولى: هي صفة القدرة التامة.

والصّفة الثانية: هي الإرادة الجازمة.

فإذا كان عند العبد قدرة تامة وإرادة جازمة حَصَلَ له الفعل.

تَوَجَّهَتْ قدرته التامة -يعني ليس بعاجز- وإرادته الجازمة -يعني ليس بمتردد- تَوَجَّهَتْ للشيء فعمله. فيكون الفعل حدث: بقدرة العبد وبإرادته.

١ - بقدرته التامة.

٢ - وبإرادته الجازمة.

فالذي تكون قدرته ناقصة لا يُحْدِث الفعل، والذي تكون إرادته مترددة لا يُحْدِث الفعل.

مثلاً الإتيان إلى المسجد للصلاة: شخص لا يستطيع أن يأتي إمَّا لمرض أو لغير ذلك فهذا ربما عنده إرادة لكن ليس عنده قدرة، ولذلك لا يحصل منه (الفعل-العمل-الكسب) وهو إتيان المسجد.

آخر عنده قدرة تامة ولكن ليس عنده إرادة البتة ليس عنده إرادة لإتيان المسجد فلا يمكن بالقدرة أن يُحْدِث الإتيان. وقد يكون عنده إرادة لكن عنده تردد، ما جَزَمَ على الإتيان فلا تتحرك جوارحه وآلاته؛ لأنَّ إرادته ليست جازمة.

فإذًا العمل -فعل العبد- عند أهل السنة والجماعة لا يمكن أن يحدث إلا بقدرة تامة وإرادة جازمة. وقدرة العبد صفة من صفاته لم يُقْدِر هو نفسه باتفاق الناس.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: أنت لا تسأل الله ولا تناقشه عن أفعاله وعن قضائه وقدره، تأدب مع الله؛ لأنك عبد، فلا تتدخل في شئونه جلَّ وعلا، فالله لا يُسأل عما يفعل؛ لأن الله لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، والحكمة قد تظهر وقد تخفى علينا، فنؤمن بأن الله لا يفعل شيئًا عبثًا؛ إنما يفعله لحكمة، سواءً ظهرت لنا، أو لم تظهر.
فالإنسان مسئول عن عمله، ليس مسئولاً عن أعمال الله عزَّ وجلَّ، فاعتن بما أنت مسؤول عنه يوم القيامة، وهو عملك، فعلى العبد التسليم لله...=

... فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ(١)، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٢)..

ابن أبي العز الحنفي

...... **وقوله:** (فمن سأل: لم فِعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين).

اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله - على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع.

ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت، وما عرفت من الحكمه عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلت ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك، كما في الإنجيل: يا بني اسرائيل لا تقولوا: لِمَ أمر ربنا؟ ولكن قولوا: بِمَ أمر ربنا؟ ولهذا كان سلف هذه الأمة، التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلومًا- لا تسأل نبيها: لِمَ أمر الله بكذا؟ ولِمَ نهى عن كذا؟ ولِمَ قَدَّر كذا؟ ولِمَ فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم.........................

الشيخ صالح

وإرادة العبد صفة من صفاته لم يُحْدِث- إرادة نفسه ويختار الإرادة يعني أن يكون مريدًا بنفسه، وإنما الله ﷻ هو الذي خَلَقَ فيه القدرة وآلات القدرة، وخلق فيه الإرادة وله الإرادة ومقتضيات الإرادة.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: أي قال: لم فعل الله كذا؟ لم قدّر الله كذا وكذا؟ فمن قال هذا، فقد رد حكم الكتاب؛ لأن الله يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾.

(٢) الشيخ الفوزان: فمن رد حكم الكتاب والسنة، واعترض على ذلك، وذهب إلى العقل والتفكير صار من الكافرين ؛ لأن الإيمان بالكتاب والسنة هما ركنان من أركان الإيمان.

...... فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به، والحذر عن القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورًا، بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته - فإن ظهرت له فعله وإلا عطله، فإن هذا ينافي الانقياد، ويقدح في الامتثال.

قال القرطبي ناقلاً عن ابن عبد البر: فمن سأل مستفهمًا راغبًا في العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثًا عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العي السؤال. ومن سأل متعنتًا غير متفقه ولا متعلم، فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره..

فإذًا ما نَتَجَ عن خلق الله ﷻ في الأمرين فهو مخلوق لله ﷻ؛ ففعل العبد نتج عن الإرادة والقدرة وهما مخلوقان؛ فنتج شيء عن خلق الله ﷻ، فإذًا هو مخلوق لله ﷻ؛ لأنَّ الله ﷻ جعل العمل نتيجة للقدرة والإرادة. مثل النبات: أنزل الله ﷻ من السماء ماءً فأَنْبَتَ به أزواجًا من نبات شتى. الماء نَزَل، والأرض موجودة، فبِسَبَبِ الماء، وبسبب الأرض خرج النبات.

فهل يقال: إنَّ النبات خلقه الماء والأرض؟ ليس كذلك باتفاق المسلمين، باتفاق الناس، لِمَ؟ لأنَّه نتيجة لنزول الماء الذي هو مخلوق باتفاق القدرية وأهل السنة، ونتيجة لنزول الماء على الأرض والتراب، والتراب والأرض مخلوق باتفاق أهل السنة والجماعة والقدرية والناس جميعًا.

فإذا كان كذلك كان ما ينتج عنهما وهو النبات مخلوق؛ لأنه نتج عن شيئين اجتمعا (الماء والتراب) وما نتج عن مخلوقين فإذًا له نفس الحكم.

إذا تبين ذلك فإذًا نقول: أهل السنة والجماعة في تقريرهم في خلق أفعال العباد استدلوا بالآية كما ذكرنا لكم من قبل ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وبقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وأيضًا استدلوا بهذه القاعدة وهو أنَّ عمل العبد لا ينتج إلا عن هاتين الصفتين.

ابن أبي العز الحنفي

...... قال ابن العربي: الذي ينبغي للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة، وإيضاح سبل النظرة، وتحصيل مقدمات الاجتهاد، وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد. قال: فإذا عرضت نازلة، أتيت من بابها، ونشدت من مظانها، والله يفتح وجه الصواب فيها. انتهى.

وقال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». رواه الترمذي وغيره......

الشيخ صالح

لهذا إذا لم يعط الله ﷻ العبد القدرة فإنه يرفع عنه التكليف «**صلِّ قائما فإن لم تستطع فقاعدًا**»، ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وإذا لم يُعْطِهِ الإرادة كأن يكون مجنونًا لا يريد، أو كان صغيرًا إرادته لا تتوجه إلى شيء بجَزْم مع عقل فإنه أيضًا يكون التكليف مرفوعًا عنه؛ لأنَّ الفعل لا يتوجه إليه. الحقيقة إذًا أنَّ العبد ابْتُلِيَ بهذه الصفات التي فيه. ابتلي بالصفات الجسمانية هذه كلها ومنها صفة القدرة وصفة الإرادة.

إذًا فَتَحَصَّلَ لك أنَّ معنى خلق أفعال العباد والدليل عليها هو ما ذكرنا من الأدلة من القرآن.

ومن السنة قوله ﷺ: «**إن الله صانع كل صانع وصنعته**» يعني صَنَع الناس وصَنَعَ أيضًا ما يصنعون.

ولهذا نقول إنَّ الدليل على خلق أفعال العباد واضح من الكتاب والسنة، وأيضًا مما قرّرنا لك من صفات الإنسان وما ينتج عن ذلك من الدليل العقلي، وثَمَّ بسط كثير في الاستلال على هذه المسألة محله المطولات.

هذه ألفاظ ترد معك في مباحث القدر لا بد أن تعرفها بوضوح، ثم بعد ذلك إذا قرأت ما شئت من الكتب في باب القدر ستكون واضحة إن شاء الله تعالى لك.

المسألة الثامنة:

معنى الاستطاعة التي وَصَفَ الله ﷻ بها المكلف ونفاها عن بعض فقال في النفي: ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [البقرة: ٢٦٧]، والعبد مستطيع: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٦].

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ولا شك في تكفير من رد حكم الكتاب، ولكن من تأوَّل حكم الكتاب لشبهة عرضت له، بين له الصواب ليرجع إليه، فالله سبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل؛ لكمال حكمته ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره وقدرته، كما يقول جهم وأتباعه. وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قول الشيخ: (ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله)........................

الشيخ صالح

فالعبد أُثْبِتَتْ له استطاعة ونُفِيَتْ عنه استطاعة. والاستطاعة التي أثْبَتَها ربنا ﷻ للعبد غير الاستطاعة التي نفاها. وهذه المسالة مسألة الاستطاعة فيها بحثٌ طويل مع القدرية والجبرية معًا، وسيأتي تفصيل الكلام عليها إن شاء الله تعالى في آخر شرح الطحاوية؛ لأنه تعرض لها الطحاوي في أواخر هذه العقيدة المختصرة.

المسألة التاسعة:

في معنى إضلال الله ﷻ من أضَل، وهدايته من هَدَى. إذا كنا نقول: إنَّ الإنسان غير مجبور على الضلال وغير مجبور على الهدى.

فما معنى قوله: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [النحل: ٩٣] وهذا من احتجاجات الجبرية؟ ما معنى ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩]؟

ما معنى ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ [الكهف: ١٧]؟ ما معنى ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي ﴾ [الأعراف: ١٧٨]؟ ما معنى ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٦]؟

ونحو ذلك من الآيات التي فيها لفظ الإضلال والاهتداء لله ﷻ وفق مشيئته ﷻ وإرادته. هذه المسألة ضل فيها الناس ومن أجلها ضَلَّت الجبرية والقدرية، وهي مرتبطة في بيانها بمسألة التوفيق والخذلان. فالله ﷻ عَلَّقَ الإضلال بمشيئته وعلق الهداية بمشيئته.

ونعلم أنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما شاء الله ﷻ خَلَقَهُ، الذي يشاؤه ﷻ أن يكون فإنه يكون، والذي يشاء الله ﷻ ألا يكون فإنه لا يكون.

التعليقات

إذا كان كذلك فإنَّ حدوث الهداية وحدوث الضلال نتيجة لأشياء؛ ولذلك جاء لفظ التوفيق والخذلان في النصوص. جاء لفظ التوفيق في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [هود:٨٨]، ونحو ذلك فالله ﷻ يوفّق من يشاء، ويخذل ﷻ من يشاء ما معنى وَفَّقَ وخَذَلَ؟ وما صلتهما بيهدي الله من يشاء ويضل من يشاء؟

إذا تبين لك معنى التوفيق والخذلان؛ فإنه سيَتَبَيَّن لك بوضوح معنى أنَّ الله ﷻ يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﷻ.

☜ **التوفيق**: عند أهل السنة والجماعة هو إمداد الله ﷻ بعونه، إمداد الله ﷻ العبد بعونه -يعني بإعانته- وتسديده وتيسير الأمر وبذل الأسباب المعينة عليه. فإذًا التوفيق فَضْل؛ لأَنَّهُ إعانة.

☜ وأما الخذلان: فهو سلب التوفيق، فهو سلب الإعانة. يعني التوفيق إعطاءٌ، مَنٌّ، كَرَمٌ. وأما الخذلان فهو عَدْلٌ وسلبٌ؛ لأنَّ العبد أعطاه الله ﷻ القُدْرَة، أعطاه الصفات، أعطاه ما به يُحَصِّلُ الهدى، أعطاه الآلات، يَسَّرَ له، أنزل عليه الكتب، فلذلك هو بالآلات التي معه قامت عليه الحجة؛ لكِنَّ الله ﷻ يُنعم على من يشاء من عباده بالتوفيق فيعينهم ويسدِّدُهُم ويفتح لهم أسباب تحصيل الخير.

ويمنع من شاء ذلك فلا يُسَدِّدُهُ ولا يُعِينُهُ ولا يفتح له أسباب الخير، بل يتركه ونفسه. وهذا معنى أنه ﷻ يخذل؛ يعني لا يُعِين، يترك العبد وشأنه ونفسه. ومعلومٌ أنّ العبد عنده آلات يُحَصِّلُ بها الأشياء لكن هناك أشياء ليست في يده. هناك أشياء لا يمكن له أن يُحَصِّلَهَا، فهذه بيد من؟ بيد الله ﷻ؛ لأنَّ الإنسان مرتبط قَدَرُه بأشياء كثيرة من الأسباب التي تفتح له باب الخير. مثل أن يكون ذا أصحابٍ أو أن يُيَسَّرَ له أصحاب يعينونه على الخير.

مثل أن لا يكون في طبعه الخَلْقِي مزيدِ شهوة، إما شهوة كِبر من كبائر القلوب أو من كبائر البدن، هذه الأشياء موجودة فيه خَلْقًا، خارجة عن اختياره وتصرفه.

فالله ﷻ يُوَفِّق بعض العباد بمعنى يعينهم على الأمر الذي يريدونه، إذا انفَتَحَ له بابُ خَيرٍ وأَرادَهُ فَيُحِسُّ العبد أنه أُعين على ذلك، إذا أَرادَ فِعْلَ أَمْرٍ ما من الخير يَسَّرَ الله ﷻ له أسبابًا تعينه؛ فانفتح له طريق الخير.

التعليقات

وآخرُ حَضَرَتْهُ الشياطين وغلبته على مُرَادِهِ وأَطَاعَهَا ؛ لأنه لم يُزَوَّد بِوقَايَة ، بإعانة ، بتوفيق يمنعه من ذلك. فإذًا صار عندنا أنَّ مسألة إضلال الله ﷻ مَن يشاء هو بخذلان الله ﷻ العباد، وهداية الله ﷻ من يشاء بتوفيق الله ﷻ بعض العباد، يعني أعان هذا وترك ذاك ونفسه ؛ كونه ﷻ أعان هذا هو بمشيئته.

فإذًا من يشأ الله يُضْلِلْهُ يعني: يَسْلُبُ عنه التوفيق فيَخْذُلُهُ ؛ فينتج من ذلك أنَّ الله ﷻ سَلَبَ عنه إعانته، سَلَبَ عنه تسديده، سَلَبَ عنه أسباب الخير، سَلَبَ عنه غَلْق أبواب الشر من الكفر وما دونه.

فإذًا يكون ضالاًّ، لاهيًا هو بفعل نفسه ؛ لأنَّهُ وُكِلَ إلى نفسه ؛ لأنَّ الله ﷻ لم يَمُنَّ على هذا بمزيد توفيق. فإذًا مسألة الإضلال في كلام أهل السنة والجماعة عدل، ومسألة الهداية فضْل ؛ ولهذا أعظم الفضل والنعمة والإحسان نعمة التوفيق، الذي هو في الحقيقة نعمة الهداية.

فإذًا نقول: إنّ ربنا ﷻ مَنَّ على عباده المؤمنين فوفّقهم، أَعَانَهُم، سَدَّدَهُم، هَيَّأَ لَهُمْ الأسباب التي توصلهم إلى الخير، حبَّبَ لهم العلم، حبّب لهم الجهاد، حبّب لهم الحكمة، حبّب لهم الأمر والنهي، حبّب لهم أهل الخير إلى آخره، حبّب لهم كتاب مثل ما جاء، وهذا التوفيق درجات أيضًا ففي البداية يكون فتح باب:

- وبعض الناس إذا انْفَتَحَ له باب التوفيق، نَفْسُهُ فيها قُبح ؛ فتنازعه للشر ؛ فيكون بين هذا وهذا.

- وآخر نَفْسُهُ فيها خير، فَمِنَ الخير الذي معه أنَّهُ ينتقل من توفيقٍ إلى توفيق أعظم منه حتى يصل بسبب عمله أنَّ الله ﷻ يُنْعِم عليه بتوفيقٍ زائد، ثم بتوفيقٍ زائد ثم بتوفيقٍ زائد، مثل ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره: «**وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه** -يعني وُفّقَ في سمعه- **الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**» هذا كله توفيق، مزيد إعانة في هذه الجوارح، الجوارح هذه هي التي عليها الحساب والتي يُحَاسب العبد على ما صنعت جوارحه.

إذًا فحقيقة إضلال الله ﷻ من شاء ليست جبرًا، وهداية الله ﷻ من شاء ﷻ ليست جبرًا.

وإنما العبد عنده آلات، خوطب بالتكليف وعنده الآلات، ولو كانت جبرًا لصارت التكاليف -بعث الرسل، إنزال الكتب، الأمر والنهي، الجهاد- لكان كل ذلك عبثًا.

والله ﷻ منزّه عن العبث ؛ لأنَّ العبث سلب الحكمة وشر ، والله ﷻ الشر ليس إليه ، لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته ﷻ ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٧ - ١٨]. فالله ﷻ مُنَزّهٌ عن العبث.

يُضلِ جبرًا ويسلب العبد الاختيار بالمرة ، ثم يُحَاسبه ويُنْزِل عليه الكتب ، ويرسل الرسل ، ويأمره بالتكاليف كيف يكون ذلك؟ يكون كالغريق الذي يقال له : إياك أن تبتل بالماء.

وهذا والعياذ بالله هو حقيقة قول الجبرية الذين قال قائلهم :

وألقاه في اليمّ مكتوفًا وقال له ... إيَّاك إيَّاك أن تبتلَّ بالماء

وهذا يُنَزَهُ عنه الحكيم الخبير ﷻ. فمن عَرَفَ صفات الله ﷻ وعَلِمَ حكمته ، فإنَّ القول بالجبر في حقيقة الأمر إبطال للتكاليف أو رجوع إلى أفعال الله ﷻ بأنها لعب ولا حكمة فيها ولا تُوافق غاياتٍ محمودة ، والله ﷻ منزه عن ذلك.

المسألة العاشرة:

وهي في إثبات الأسباب ، وأنَّ أفعال الله ﷻ مُعَلَّلَة ، وأنَّ الله ﷻ يفعل الفعل لعِلَّة ، ويأمر بالأمر لعلة.

وهذه العلة هي حكمته ﷻ لإيجاد ذلك الشّيء. وهذا في الأمور الكونية وفي الأمور الشرعية. فما أحْدَثَه الله ﷻ في ملكوته أمْرًا فحَدَث فَلَهُ حِكْمَة ﷻ من إيجاده. وما أمَرَ الله ﷻ به في الشرع من الأحكام التشريعية أو نهى عنه فهو لعلة. فالله سبحانه يأمر في الشرع بما مصلحته راجحة أو تامة ، وينهى في الشرع عن ما مفسدته تامة أو راجحة ، فإذًا أهل السنة والجماعة يُثبتون التعليل في أفعال الله ﷻ ، وأنّ أفعال الله ﷻ الكونية وأوامره الكونية والشرعية كلّها مرتبطة بحِكَم عظيمة كما قال سبحانه : ﴿ حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر: ٥].

إذا تبين ذلك ففي القرآن إثبات أفعال الله ﷻ مُعَلَّلَة ، وتنزيه الله ﷻ عن أن يفعل الفعل ، لا لعلة كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٦ - ١٨].

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

وقال أيضًا ﷻ للسموات والأرض: ﴿ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الدخان: ٣٩]، وقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وفي الأشياء الشرعية -الأوامر والنواهي- الأدلة على التعليل كثيرة جدًّا جدًّا.

المقصود من هذا أنَّ الله ﷻ إذا كانت أفعاله مُعَلَّلَة، فأفعاله ﷻ لم يفعلها في مخلوقاته مباشرة دون وسائط؛ بل جَعَلَ الله ﷻ إيصال الفعل إلى نهايته مَنُوطًا بأسباب، وكلُّ سَبَبٍ يُحدِثُ مُسَبَّبًا.

ولهذا قال أهل السنة بإثبات التعليل في أفعال الله ﷻ والأسباب. وأما أهل البدع من الجبرية وغيرهم فإنهم ينفون العِلَل، وبالتالي ينفون الأسباب؛ ولذلك يقال للجبرية -الأشاعرة ومن نحا نحوهم- **يقال لهم: نُفَاة الأسباب.**

وهم في الحقيقة نُفَاةُ التعليل، يقولون: أفعال الله ﷻ غير معللة. فإذًا السبب لا يُنْتِجُ المُسَبَّب؛ ولكن يَحْدُثُ عنه المُسَبَّب عند الالتقاء. وهذا القول -يعني في نفي الأسباب والتعليل- قول ابن حزم وجماعة من الذين ظاهرهم متابعة الحديث.

إذا تبين ذلك فإنَّ حقيقة السبب؛ بأنَّ الله ﷻ يخلق شيئًا ويأمر بشيء أمرًا كونيًّا ويكون ذلك سببًا لأشياء كثيرة. فمثلاً إنزال المطر من السماء، الله ﷻ أمَرَ بإنزاله، وفي إنزاله حِكْمَةٌ لله ﷻ.

وأمْرُهُ ﷻ بأن يُنزِلَ هذا الماء على الأرض مرتبط بعلة؛ لأنَّ الأرض حياتها بالماء، وأيضًا إنزال المطر على هذه الأرض المعينة مرتبط بعلة الله ﷻ يعلمها، وكما قال في بعض حكمته: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٠].

إذا تبين ذلك فالماء ينتج عنه شيء آخر، الماء سَبَب، والله ﷻ بَيَّنَ أنه أَنْبَتَ النبات بالماء ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩٠]، ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾، إذًا صارت كلمة ﴿ بِهِ ﴾ هذه تدل على أنَّ الإخراج بالماء، وأنَّ الماء بسببه صار الإخراج؛ يعني الماء أنتج الإخراج.

التعليقات

أما غير أهل السنة فماذا يقولون؟ يقولون عند التقاء الماء بالأرض حَصَلَ النبات، فيُفَسِّرُونَ حرف (بـ) بنحو كلمة (عند) مِنَ الكلمات. فإذًا عندهم عِنْدِيَّة؛ ولذلك ينفون السبب.

يقولون: الماء لم يُنْبِت إلا على المَجَاز العقلي، كما تقولُ: أَنْبَتَ الماء البقلَ والمنبتُ هو الله ﷻ؛ ولذلك يذكرون هذه القاعدة في كتب العقائد وفي كتب البلاغة الذي يسمونه المجاز العقلي: أنبت الربيع البقل أو نحو ذلك.

فإذًا نقول: إنَّ الله ﷻ من حكمته أنه خلق الأشياء وجعلها أسبابًا لأشياء. خَلَقَ ماء الرجل وجعله سببًا لحمل المرأة، خَلَقَ اللباس وجعله سببا للدفء، خَلَقَ السّرابيل لِعِلَّة، خَلَقَ الأشياء لعلة، وهكذا فما من شيء تراه إلا وله حكمة، حتى في المُؤْذِيَات، حتى الهوام، حتى الحشرات، حتى ما تتأذى منه وتظن أَنَّهُ لا حكمة فيه، فإنَّ فيه حكمة بالغة لله ﷻ، وتقدست أسماؤه، هذه كلها أسباب والأسباب تُحْدِث المسببات.

إذًا حقيقة قول نفاة الأسباب أنهم يقولون: إنَّ السبب يُحدِث المُسَبَّب عند الالتقاء؛ لكن لا يُنْتِجُهُ بالاقتِضَاءْ، يعني لا ينتجه بما جعل الله ﷻ فيه من التأثير، ويمثّلون لذلك بالسكين التي يحملها الحامل لقطع الخبز، فيقولون: هذه السّكين لَمَّا أَمَرَّهَا الحامل على الخبز قَطَعَتْ الخبز.

فإذًا الواقع السكين ما قَطَعَتْ الخبز عندهم حسب ما يُقَرِّرُونَ -والعياذ بالله- يقولون إنَّ الذي قَطَعَ في الواقع هو الحامل الذي حَمَلَ السكين، لكن صارت هذه لما التقت السكين بالخبز انقطع لأجل أنَّ الحامل أَمَرَّهَا.

فيقولون: لما التقى الرجل بالمرأة، جامَعَ الرجل المرأة وأَذِنَ الله بالحمل حَمَلَتْ، سواء بماء أو بغير ماء، فالماء عنده حَصَلَ الحمل، لما نزل الماء على الأرض نبتت، فإذًا عندهم عندية. وهؤلاء نفاة الأسباب وكثير من التفاسير مشحونة بهذا في مسائل القدر.

☜ وأنا يعني أردت بمزيد من هذه التفاصيل إلى أنكَ تنتبه للتفاسير.

كثير من الناس يَحْذَر مسائل التأويل، ومعلوم أنَّ مذهب أهل السنة والجماعة وما في النصوص ليست هي مسائل التأويل فقط، يعني المخالف خالف في التأويل.

لكن مسائل القدر أهم، مسائل القدر في التفاسير أهم؛ ليس لأنها أعظم من مسائل الصفات، ولكن لأجل خفائها على الناس فهي خفية.

الآيات: آيات الإضلال، الهداية، آيات الأسباب، آيات أفعال الله ﷻ، الصفات، كلها تجد في كتب التفاسير فيها خلطٌ وخبطٌ وخروجٌ عن طريقة أهل السنة والجماعة، رَفَعَ الله مراتبهم. وأنتَ وبعد ذلك أقول تستفصل إن شاء الله وتزداد من هذه الأصول.

المسألة الحادية عشر:

في أنواع التقدير، ذكرنا لك أنَّ التقدير أربعة مراتب ومنها مرتبة الكتابة.

ومرتبة الكتابة جاء في ا لدي أنها التقدير كما في قوله ﷺ: «**قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**» يعني كَتَبَ، ولهذا نقول مراتب التقدير يعني مراتب الكتابة.

فالله ﷻ جعل كتابته للأشياء لها خمس أحوال:

- الكتابة الأولى: وهي أوَّلُها وأقدمها وأعظمها كِتَابَةُ الله ﷻ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة في اللوح المحفوظ، وهذه هي الكتابة التي كانت قبل الخلق، وهذه الكتابة لا تتبدل ولا تتغير، رُفعت الأقلام وجفّتْ الصحف. فيجد العبد ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ من خير أو شر. وهذه مر معنا جُمَل الأدلة عليها وبعض التفصيل لها.

- الكتابة الثانية: كِتَابَةٌ لمقادير الخلق من حيث الشّقاوة والسعادة، ونعني بالخلق خاصةً المكلفين.

وهذه التي تأتي فيها أحاديث الميثاق، وأنَّ الله ﷻ استخرج ذرية آدم من صلبه فنثرهم أمامه كهيئة الذّر وأخذ عليهم أن لا يشركوا به شيئًا ﷻ، وقَبَضَ قبضة إلى الجنة وقبضة إلى النار وكتب أهل الجنة وكتب أهل النار، ونحو ذلك مما جاء في السّنة من بيان ذلك. هذا تقديرٌ بَعْدَ الأول، وهو قبل أن يُخْلَقَ جِنْسُ المكلفين، أي: من الإنسان. لما خلق الله ﷻ آدم حصل ذلك، حصل هذا التقدير العام لهم.

- الكتابة الثالثة: وهي التقدير العُمري، والعُمري هو الذي يكون والإنسان في بطن أمه فإنَّ النطفة إذا صارت في الرحم وبلغت ثنتين وأربعين ليلة أتاها ملك، فأمره الله ﷻ بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد.

التعليقات

وهذه أيضا جاءت في حديث ابن مسعود المشهور الذي فيه: «**أنَّ الملك يأتي بعد أربعين وأربعين وأربعين؛ يعني بعد عشرين ومائة، فيأتي فيكتب رزق الإنسان وأجله وعمله وشقي أو سعيد، يؤمر بِكَتْبِ هذه الكلمات الأربع**». هذه الكتابة العُمرية هي تفصيلٌ لما في اللوح المحفوظ؛ لأنَّ الذي في اللوح المحفوظ شامل لكل المخلوقات، وهذا مُتعلِقٌ بهذا المخلوق المعين وحده.

لهذا قال العلماء: إنَّ هذه تفصيل، فذاكَ فيه الجميع، وهذا للإنسان المعين بخصوصه، قالوا: تفصيل، ولك أن تقول: تخصيص.

- الكتابة الرابعة: الكتابة السنوية، والكتابة السنوية هي التي تكون في ليلة القدر قال ﷻ: ﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ١- ٤].

وهذه تُكْتَب فيها المقادير في تلك السَّنَة. من السَّنَة إلى السَّنَة. إيش معنى ذلك؟ معناها أنَّ الله ﷻ يوحي إلى ملائكته بأن يكتبوا أشياء مما في اللوح المحفوظ فتكون بأيديهم مما سيحصل للناس.

- الكتابة الخامسة: هي التقدير الأخير وهي التقدير اليومي. واستدل له أهل العلم بقوله سبحانه: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩].

إذا تَبَيَّنَتْ هذه المراتب فإنه قد ثبت في السنة أنَّ الله ﷻ يزيد في العُمُر، ينْسَأُ في الأَثَر، يبسط في الرزق، فقال ﷺ: «**من سرّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**» يعني الرزق صار يتغير والأثر العمر صار يتغير، وقال أيضًا في الحديث الآخر: «**إنَّ العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه**» فمعناه فيه حرمان لبعض الرزق.

وهذا معنى قول الله ﷻ في آية سورة الرعد: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩].

فنظر أهل العلم في ذلك فقالوا: إنَّ المراتب الثلاث **الأُوَل** هذه **لا** تتغير ولا تتبدل؛ يعني:

- الأول السابق القديم الذي في اللوح المحفوظ.
- وهؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار.
- وكذلك كتب الملك الكلمات الأربع.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

لهذا جاء في آخر الحديث مُؤَكِّدًا ﷺ على أنها لا تتغير «**وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»، الثلاث الأُولْ هذه ما تتغير.

إيش الذي يَتَغَيَّر ويتبدل ويحدث فيه المَحْوُ والإثبات والزيادة إلى آخِرِه ويؤثر فيه الدعاء، وتؤثر فيه الأعمال الصالحة؟ هذا التقدير السنوي.

والتقدير السنوي في الحقيقة هو من التقدير الأوّل، هو مِنَ اللوح المحفوظ؛ لكنه في اللوح المحفوظ وُجِدَ مُعَلَّقًا فصار بأيدي الملائكة مُعَلَّقًا.

وأما التقدير العمري فهو ما فيه النهاية؛ يعني ما كَتَبَهُ الله ﷻ بما فيه نهاية العبد، وما فيه نتيجة أثر الدعاء، وأثر الأعمال إلى آخره مما قد يكون مُتَغَيِّرًا.

إذًا فقوله ﷻ: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ يعني مما في أيدي الملائكة من الصحف ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ وكذلك من التقدير اليومي.

إذا كان كذلك فهذا به تَفْهَمُ الأحاديث التي فيها تغيير الرزق، وتغيير العمر، والنَّسْء في الأثر، أو حرمان الرزق بالذنب، ونحو ذلك، ومنه أيضًا تفهم قول عمر ﷺ فيما جاء عنه: **اللهم إن كنت كتبتني شقيًا فاكتبني سعيدا؛ يعني بما يتعلق بتلك السنة من الإضلال والهداية.**

هذه إحدى عشرة مسألة لعل فيها بيانًا لما تحتاج إليه في هذا الركن من أركان الإيمان. لعل في هذا كفاية إن شاء الله تعالى.

وأسأل الله سبحانه أن ينور قلبي وقلوبكم بعلم سلفنا الصالح، وأن يزيدنا من العلم النافع وأن يوفقنا لحسن الظن به ﷻ، وحسن التوكل عليه، وعِظَمْ العلم به، وحسن العمل إنه سبحانه جواد كريم سميع قريب. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

التعليقات

...... فَهَذَا(١) جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى(٢)..

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود).

ش: الإشارة بقوله: (فهذا). إلى ما تقدم ذكره، مما يجب اعتقاده والعمل به، مما جاءت به الشريعة. وقوله: (وهي درجة الراسخين في العلم): أي علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلاً، نفيًا وإثباتًا.

ويعني بالعلم المفقود: علم القدر الذي طواه الله عن أنامه، ونهاهم عن مرامه....

الشيخ صالح

هذه الجُمَل من كلام الطحاوي ﵀ بَسَطَ فيها جُمَلاً من آداب الإيمان بِقَدَرِ الله ﷻ.

وعلى خلاف العادة في المختصرات والمتون التي يراد حفظها وانتشارها فإنه قد أفاض في الكلام مما لا يدخل كله في ضمن القواعد والأصول والعقائد، وإنما فيه جمل من ذلك وأكثره تفصيل وزيادة في البيان.

ولهذا سنطوي -إن شاء الله- بيان الجمل على تفاصيلها، ونذكر ما اشتملت عليه من العلوم والعقائد؛ لأنّ المقصود هو العلم والإيمان بقَدَرِ الله ﷻ ومعرفة منهج السلف الصالح وعقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسائل العظام.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قال الشارح : يشير إلى ما تقدم ذكره مما يجب اعتقاده والعمل به مما جاءت به الشريعة. وقوله : (وهي درجة الراسخين في العلم) أي: علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلاً نفيًا وإثباتًا. ويعني بالعلم المفقود علم القدر الذي طواه الله عن أنامه ونهاهم عن مرامه . ويعني بالعلم الموجود علم الشريعة أصولها وفروعها فمن أنكر شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كان من الكافرين ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين.

(٢) الشيخ الفوزان : أي يحتاجه في أمور القضاء والقدر، فأنت تؤمن بالقدر ومراتبه الأربع؛ تؤمن بتفاصيلها التي جاءت في الكتاب والسنة، ولا تدخل في المناقشات والاعتراضات، بل تعمل العمل الصالح والأسباب المناسبة.

. ، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ(١) ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ(٢)، ....

ابن أبي العز الحنفي

...... ويعني بالعلم الموجود: علم الشريعة، أصولها وفروعها، فمن أنكر شيئًا مما جاء به الرسول كان من الكافرين، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين.

قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٧]، الآية...............

الشيخ صالح

لَمَّا ذَكَرَ ما ذَكَر، وقد ذكرنا لكم جُمَلاً من المسائل التي بها تعلم اعتقاد أهل السنة والجماعة في قضاء الله ﷻ وقدره.

قال بعدها: **(فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ)** أراد بذلك أنّ ما ذكَرَه في القدَر وما ذكرناه لك من المسائل هذا من العلم الذي علّمنا ربنا ﷻ ورسوله ﷺ مع أنَّ الأصل أن القدر سِرُّ الله تعالى وغيبه الذي لم يُطْلِعْ عليه مَلَكٌ مقرب ولا نبي مرسل.

ولهذا أمر نبيُّنا ﷺ بأنه إذا ذُكِرَ القَدَر أمسكنا فقال ﷺ: «**وإذا ذكر القَدَر فأمسكوا**» يعني أمسكوا عن الخوض فيه بما لم تُوقَفُوا فيه على علم.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: الراسخون، يعني: الثابتين في العلم، الذين عندهم علم راسخ، وليس عندهم شكوك ولا جهل، فهم يؤمنون بالقضاء والقدر، ويعملون الأعمال الصالحة، ويتركون الأعمال السيئة، ولا يتدخلون مع الله في سر من أسراره، ولا يناقشونه ويعترضون عليه، هذا شأن الراسخين في العلم، وأما الجهّال فيدخلون في ضلالات وأمور ابتدعوها.

(٢) الشيخ ابن باز: مراده رحمه الله بالعلم المفقود هو علم الغيب وهو مختص بالله عز وجل، ومن ادعاه من الناس كفر؛ لقول الله سبحانه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية، وقوله عز وجل: ﴿ قل لا يعلم من في السموات والإرض الغيب إلا الله ﴾ الآية، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ الآية»..............................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾.

ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته.....

الشيخ صالح

فعلم القَدَر نوعان:

- علم في الخلق موجود.
- وعلم في الخلق مفقود.

وهذا التفسير أنسب عندي لأجل أن نُعَلِّقَ تقسيم العلم إلى علم موجود وعلم مفقود فيما يتصل بالقَدَر لا في أصل العلوم؛ لأنه أشار في ذلك إلى ما سبق فقال: (**فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ**). ومعلومٌ أنه لم يذكر كل ما يحتاج إليه من هو منوّر قلبه في مسائل العقائد؛ لأنه بقي كثير ستأتي في هذه الرسالة، فإرجاع قوله: (**فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ**) إلى مسائل القَدَر منضبط.

أما إذا قيل: إنه إلى علم العقيدة جميعًا فإنه لم يذكر أشياء كثيرة وستأتي بعد الكلام على مسائل القدر كما ستراه إن شاء الله تعالى، فإذًا نقول: إنَّ الطحاوي ﷺ أراد أنَّ العلم بالقَدَر على نوعين:

علم في الخلق موجود: وهو ما عَلَّمَنَا الله ﷻ إياه في كتابه وما علمنا رسوله ﷺ.

التعليقات

= والأحاديث صحيحة وكثيرة وردت في الباب تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب مع أنه أفضل الخلق وسيد الرسل فغيره من باب أولى. وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم من ذلك إلا ما علمه إياه سبحانه، ولما تكلم أهل الإفك في عائشة رضي الله عنها لم يعلم ببراءتها إلا بنزول الوحي، ولما ضاع عقدها في بعض أسفاره صلى الله عليه وسلم بعث جماعة في طلبه ولم يعلم مكانه حتى أقاموا البعير فوجدوه تحته، والأدلة من الكتاب والسنة في هذا كثيرة والحمد لله.

الشيخ الفوزان: العلم علمان: علم استأثر به الله، فلا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، وهو علم الغيب.

وعلم في الخلق موجود، علّمهم الله إياه، وهو ما لهم فيه مصلحة وذلك بما أنزل الله من الكتاب، وما أرسل به الرسول ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾، الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، وقيل: الفقه في دين الله فالله علمنا والرسول علمنا ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾.

... فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ(١)................

ابن أبي العز الحنفي

..... ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلق الحيات والعقارب والفأر والحشرات، التي لا يعلم منها إلا المضرة: لم ينف أن يكون الله تعالى خالقاً لها، ولا يلزم أن لا يكون فيها حكمة خفيت علينا، لأن عدم العلم لا يكون علما بالمعدوم.....................

الشيخ صالح

وهذا كما قال (فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ) إذا تبين أَنَّهُ من عند الله ﷻ وليس ثَمَّ شبهة ولا تأويل فإنّ إنكار العلم الموجود كفر؛ لأنه تكذيب لله ﷻ ولرسوله ﷺ.

والعلم الموجود في القَدَر كما رأيت مما جاء في الكتاب والسنة يعلَمُهُ الراسخون في العلم، وأما من ليس بذي رُسُوخٍ في العلم فإنه في مسائل القَدَر لا يزال على اشتباه وعلى عدم وضوح.

فالواجب على من لم يكن من الراسخين في العلم من عامة أهل الإيمان أن يقول: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:٧]، كما وصف الله ﷻ الراسخين مع علمهم أنهم قالوا ذلك ليقْتَدِيَ بهم الناس فيما لم يعلموا، قال سبحانه: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾، يعني آمنا بالمُحْكَم وآمنا بالمتشابه كلّ من عند الله ﷻ لا نفرق بين كلام الله ﷻ.

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ هم أهل الثُّبوتْ والقوة في العلم الموروث عن النبي ﷺ؛ لأنَّ الرسوخ هو الثبات والاستقرار والقوة والتمكن.

فهؤلاء يعلمون لأنَّ وصفهم بكونهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون؛ لأنَّ الذي لا يعلم لا يُوصَف بالرسوخ في العلم، وهم متميزون عن غيرهم بالعلم والإيمان.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: إنكار العلم الشرعي وما فيه من الأمر والنهي والإخبار عن الماضي والمستقبل، إنكاره كفر.

وادعاء علم الغيب كفر ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وأكمل الخلق عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾، فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾.

.. وَلاَ يَثْبُتُ الإيمَانُ إلاَّ بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ..........

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

والرُّسُوخُ في العلم هو الرُّسُوخُ في أنواع العلم الثلاثة:

١ - العلم بالتوحيد. ٢ - العلم بالفقه. ٣-العلم باليوم الآخر والغيبيات.

فهؤلاء هم الراسخون في العلم، وقد يكون الرُّسُوخُ في العلم يتنوع أيضًا، ولكن من لم يصحّ علمه بالتوحيد فإنه ليس بذي رسوخ في العلم مهما كان؛ لأنّ أصل الأصول هو الاعتقاد، أصل الأصول هو التوحيد الذي معه يصح الفقه، يصح العمل، تصح العبادة، يصح الحكم والإفتاء إلى آخره.

فإذًا أهل الرسوخ في العلم يعلمون أنَّ العلم-مما في القَدَر- علمان: علم في الخلق موجود، يعني جعله الله ﷻ موجودًا في الخلق بما أنزل في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

وشيء كثير من مسائل القَدَر حجبها الله ﷻ، لهذا فإنَّ أهل الرسوخ في العلم يبسطون من مسائل القَدَر بما جاء في الأدلة، ويطوون من مسائل القَدَر ما لم يأتِ في الأدلة.

ولذلك كل ما لم يكن مبسوطًا عند أهل العلم الراسخين من أهل الحديث والسنة والجماعة، فإنَّ هذا العلم -يعني الذي تكلم فيه الآخرون- ينبغي أن لا يتكلم فيه كل أحد.

لأنَّ ما طوى الله ﷻ عنا عِلْمَهُ فإنَّ الخير في أن لا نبحث فيه، لهذا قال: (**وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ**) يعني في النوع الذي هو من العلم المفقود (**ذَرِيعَةُ الْخِذْلاَنِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ**).

قال الطحاوي ؒ: (**وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ**) لأنه غيبي، ومن ادَّعى الغيب الذي اختصَّ الله ﷻ به فإنه كافر، وذلك لقوله ﷻ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾ [الجن:٢٦- ٢٨]، ﷻ وقال سبحانه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩].

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: لا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وهو علم الكتاب والسنة، وترك علم الغيب لله ﴿ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ ﴾...=

.... وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ(١) وَالْقَلَمِ(٢)...

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم).

ش: قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢٢]. وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال: إن الله خلق لوحًا محفوظًا، من درة بيضاء، صفحاتها ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور، لله فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاؤه..............................

الشيخ صالح

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]، فهذه الخمس اختصّ الله ﷻ بها.

لهذا علم القَدَر من علم الغيب، وعلم الغيب عام يشمل القَدَر ويشمل غيره؛ **لهذا قال ؒ: (وَلاَ يَثْبُتُ الإِيمَانُ إِلاَّ بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ)** فالمؤمن الحق لا يخوض في القَدَر إلا بحثًا عن العلم الموجود فيؤمن به وأما العلم المفقود فيترك طلبه.

قال بعد ذلك ؒ: (وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ). (نُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ) اللوح والقلم تَعَلَّقَ بالقَدَر من جهة أنَّ القَدَر من مراتب الإيمان به الكتابة، والكتابة كانت بالقلم في اللوح، ولهذا لا يتم الإيمان بالكتابة إلا بالإيمان باللوح والقلم.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ ﴾ وهو من الغيب الذي يجب الإيمان به ولا يعرف حقيقته إلا الله واعتقاد أن بعض الصالحين يطلعون على ما فيه كفر بالآيات والأحاديث المصرحة بأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى.

(٢) الشيخ الألباني: قلت: ذكر الشارح هنا أن العلماء اختلفوا هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟ على قولين لا ثالث لهما، وأنا وإن كان الراجح عندي الأول كما كنت صرحت به في تعليقي عليه (ص ٢٩٥) [٢٦٤ - ٢٦٥] فإني أقول الآن: سواء كان الراجح هذا أم ذاك فالاختلاف المذكور يدل بمفهومه على أن العلماء اتفقوا على أن هناك أول مخلوق والقائلون بحوادث لا أول لها مخالفون لهذا.....=

ابن أبي العز الحنفي

..... اللوح المذكور هو الذي كتب الله مقادير الخلائق فيه، والقلم المذكور هو الذي خلقه الله وكتب به في اللوح المذكور المقادير، كما في سنن أبي داود، عن عُبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وما ذا اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة.

واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ على قولين، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني، أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء. فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا..................

الشيخ صالح

والله ﷻ أقسم بالقلم فقال سبحانه: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١]. ﴿ وَٱلْقَلَمِ ﴾ هذا هو القلم الذي كُتِبَ به القضاء، كُتِبَ به القَدَر في أحد وجهي التفسير.

واللوح ذكره الله ﷻ في كتابه في غير ما آية كقوله ﷻ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١- ٢٢]، وسماه سبحانه كتابًا مكنونًا فقال: ﴿ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٨- ٧٩]، وسماه ﷻ أم الكتاب فقال سبحانه ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩]، وسُمِّيَ لوحًا لما فيه من البهاء والنور والإضاءة لأنه يَلُوحُ بمعنى أنه يظهر ويبين لما فيه من النور. فالإيمان باللوح والقلم من الإيمان بكتابة الله ﷻ.

التعليقات

= الاتفاق؛ لأنهم يصرحون بأن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق وهكذا إلى ما لا أول له كما صرح بذلك ابن تيمية في بعض كتبه فإن قالوا: العرش أول مخلوق كما هو ظاهر كلام الشارح نقضوا قولهم بحوادث لا أول لها. وإن لم يقولوا بذلك خالفوا الاتفاق فتأمل هذا فإنه مهم. والله الموفق..........................=

. وبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ(١)..

ابن أبي العز الحنفي

...... ولا يخلو قوله: «أول ما خلق الله القلم» ... إلخ - إما أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة، وهو الصحيح، كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب، كما في اللفظ: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب »بنصب أول والقلم، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع أول والقلم، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان؛ إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم.................

الشيخ صالح

(وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ) كل ما كتبه الله ﷻ نؤمن به، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وما كتبه الله لابُدَّ أَنَّهُ كائِنٌ؛ لهذا قال بعده: (**فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ**) إلى آخر كلامه. إذا تبيّن هذا ففي مسألة اللوح والقلم عدة مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ اللوح جاء وصْفُهُ في حديث حَسَّنَهُ طائفة من أهل العلم، ويحتاج في بحث إسناده إلى مزيد نظر، فيه أنَّ اللوح كما جاء في الحديث «**خلق الله اللوح من دُرَّةٍ بيضاء**» ووصفه بأنَّ حافتيه الدر والياقوت؛ يعني غطاء هذا اللوح أو دفتا هذا اللوح من دُرٍّ وياقوت، وصفحات هذا اللوح حمراء.

جعل الله ﷻ هذا اللوح -كما وصفه بعض السلف- على يمين العرش، وهو بين جبين إسرافيل لا يَنْظُرُ فيه، وجاء أيضًا أنَّ الله خَلَقَ القلم وجعله من نور، وأنَّ طوله ما بين السماء والأرض، وأنَّ اللوح المحفوظ طوله ما بين السماء والأرض وعرضه كما بين المشرق والمغرب. وهذا -كما ذكرتُ لك- يحتاج إلى مزيد بحث لكن يذكره العلماء من أهل السنة وتتابعوا عليه في حديث رواه -يعني في أصل وصف اللوح والقلم- رواه الطبراني وغيره وحُسِّنَ إسناده كما ذكرت لك، وقد ساقه أو ذكر الحديث شارح الطحاوية وغيره.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذا تابع لما سبق من الكلام عن القضاء والقدر، وقد سبق أن من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر: الإيمان بما كتب في اللوح المحفوظ، وأن الله لما علم كل شيء كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وذلك أن الله خلق الخلق، وأول ما خلق القلم، فقال له: «اكتب»، قال: ما اكتب؟ قال: «اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»، فجرى القلم بأمر الله بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة.............................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وفي اللفظ الآخر: لما خلق الله القلم قال له: اكتب، فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها. وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسمَ الله به في قوله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾.

والقلم الثاني: قلم الوحي: وهو الذي يكتب به وحي الله إلى أنبيائه ورسله، وأصحاب هذا القلم هم: الحكام على العالم. والأقلام كلها خدم لأقلامهم. وقد رفع النبي ﷺ لله ليلة أسري به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها، أمر العالم العلوي والسفلي........................

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

أنَّ القلم الذي كَتَبَ الله ﷻ به القَدَر كُتِبَ به ما يتعلق بهذا العالم. يعني كُتِبَ به القَدَر إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث الصحيح حديث عبد الله بن عمرو أنّ النبي ﷺ قال: «**قدر الله مقادير الخلائق** -يعني كتب مقادير الخلائق- **قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**» فالقلم متعلقة كتابته في اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى قيام الساعة.

المسألة الثالثة:

أنّ القلم لـمَّا خَلَقَهُ الله ﷻ أمره أن يكتب، فجَرَى بما هو كائنٌ إلى قيام الساعة، كما جاء ذلك في حديث عُبادة بن الصامت الذي رواه أبو داوود والترمذي والإمام أحمد وجماعة بألفاظ متقاربة، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة**». وهذا لفظ أبو داود وغيره.

وجاء أيضا بلفظ «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة**»؛ ولهذا اختلف العلماء هنا في هل هذا الحديث على ظاهره في أنَّ أول المخلوقات القلم أو أنَّ هذا الحديث له معنىً آخر؟ وجعلوا هذا الحديث وحديث عبد الله بن عمرو من الأحاديث التي ينبغي الجمع بينها وهذا هو المسألة الرابعة وهو الجمع ما بين الحديثين.

التعليقات

= كما جاء في الحديث. ولا يعلم كيفية اللوح والقلم إلا الله، وهما مخلوقان من مخلوقات الله عز وجل، نؤمن بذلك، ولذلك قال المؤلف: (نؤمن باللوح والقلم وبما فيه قد رقم)؛ يعني اللوح المحفوظ، والكتابة فيه. وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، وهي: الإيمان بالكتابة في اللوح المحفوظ.

المسألة الرابعة:

تلحَظُ أَنَّ حديث عبد الله بن عمرو فيه قال: «**قدر الله مقادير الخلائق**» ولما قَدَّر -يعني كتب- كان عرشه على الماء، وفي حديث عبادة قال «**إن الله أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب**» فيقتضي حديث عبادة أنَّ الأمر بالكتابة كان مُرَتَّبًا على ابتداء خلق القلم، وتقدير القَدَر كان قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة والعرش على الماء، فدل حديث عبد الله بن عمرو على وجود تقدير وعلى وجود العرش -خلق العرش- وعلى خلق الماء.

ودلَّ حديث عبادة على أنَّ خَلْق القلم تَبِعَهُ قول الله ﷻ للقلم: «اكتب فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة»، وهذا الترتيب جاء في حرف الفاء الذي يدل في مثل هذا السياق على أنَّ هذا بعد هذا دون تراخٍ زمني؛ ولهذا اختلف العلماء في هذه المسألة في الجمع بين هذين الحديثين هل القلم هو أول المخلوقات أم العرش خُلِقَ قبله؟ على قولين للسلف فمن بعدهم:

* القول الأول: إنَّ العرش قبل القلم وكذلك الماء قبل القلم. والقول الأول هو قول جمهور السلف كما نسب ذلك إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

* القول الثاني: أنَّ القلم هو أول المخلوقات والعرش والماء بعد ذلك وهو قول طائفة من أهل العلم.

الترجيح ما بين هذين القولين هو أنَّ الأحاديث يجب الجمع بينها وعدم تعارضها، وحديث عبادة بن الصامت في قوله ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب**» يقتضي أنَّ الكتابة كانت بعد خلقه.

وحديث عبد الله بن عمرو يقتضي تقدم وجود العرش والماء على حصول الكتابة. فدلّ هذان الحديثان على أنَّ العرش والماء موجودان قبل، وأنَّ خلق القلم تبعته الكتابة.

ولهذا نسبه شيخ الإسلام إلى جمهور السلف بأنَّ القلم موجود بعد العرش والماء. وهذا تدل عليه رواية «**أَولَ ما خلق الله القلم قال له اكتب**» يعني حين. «**أَولَ**» بمعنى حين.

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

«أَوَّلَ ما خلق الله القلم قال له: اكتب» حين خَلَقَهُ قال له اكتب، وهذا هو معنى «إن أَولَ ما خلقه الله القلم فقال له: اكتب» لأنَّ الجمع بين الروايات أولى من تعارضها.

وقد ذكر ابن القيم ﵀ في كتابه التِّبْيَان أنَّ قوله: «**إن أَولَ ما خلق الله القلم**» ورواية «**أَولَ ما خلق الله القلم**» إما أن تُجعل جملتين أو جملة واحدة، وقد ذكر هذا النقل شارح الطحاوية فلترجع إليه، وخلاصة البحث هو ما ذكرت لك من التقدير، فإن قوله «**إن أَولَ ما خلق اللهُ القلمُ**» هنا برفع القلم يكون خبر (إنَّ).

يعني: إنَّ أَولَ الذي خلق الله، «**إن أَولَ المخلوقات القلمُ فقال له: اكتب**»، وإذا كان أَوَّل المخلوقات فكيف يُفسَّر مع حديث «**وكان عرشه على الماء**» الذي ذكرته لك.

فقوله (**إنَّ أَوَّلَ المخلوقات أو أَوَّلَ ما خلق الله أو أَوَّلَ الذي خلقه الله**)، يُفهم على أنَّ القلم جرى بما هو كائن إلى قيام الساعة قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

فالقلم متعلّق بما كُتِبَ في اللوح المحفوظ، مُتَعَلِّقًا بما يحدث في هذا العالم المخصوص لا في مطلق الأشياء، ولهذا عُلِّق بأنه إلى قيام الساعة.

فإذًا يُفهم لـمَّا كان تعلق الكتابة بهذا العالم الذي جرى التقدير عليه إلى قيام الساعة، يُفهم أنَّ القلم لـمَّا تَعَلَّقَ بهذا العالم كتابةً لِتَقْدِيرِهِ ولِقَدَرِهِ ولآجاله ... إلى آخره فإنه من هذا العالم؛ لأنّ العوالم أجناس والله ﷻ جعل لمخلوقاته أقدارًا وأجناسًا.

فإذًا يُفهم قوله «**إن أَوَّلَ ما خلق الله القلم**» يعني من هذا العالم.

فالقلم قبل السموات وقبل الأرض وقبل الدخان المتعلّق الذي خُلِقَ منه السموات والأرض وكل ما يتصل بهذا العالم المرئي الـمُشاهَد، فالقلم هو أول المخلوقات أما العرش والماء فليسا مُتَعَلِّقَينِ بهذا العالم.

فإذًا إعمال الحديثين مع ما يتّفق مع عقيدة أهل السنة والجماعة واضح لا إشكال فيه، فيكون ذلك هو تقرير هذه المسألة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

وقد لخّص ابن القيم المسألة في نونيته وبحثها مفصلاً في كتابه التبيان في أقسام القرآن، وفي غيره فقال في النونية رحمه الله:

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمذاني

والحق أن العرش قبل لأنه ... عند الكتابة كان ذا أركان

وهذا القول كما ترى من تقريره مع دليله هو الصحيح، وهو الموافق لفقه النص وفقه خلق العالم وآثار فعل الله ﷻ في ملكوته، ومتّفق مع القول بأن الله ﷻ فعّالٌ لما يريد، وأن قَبْلَ هذا العالم، ثمَّ عوالم أخرى، والله ﷻ يخلق ما يشاء ويختار، وأنّه ثَم أشياء أخرى بعد قيام الساعة، والقلم مُتَقَيِّدٌ بما خلقه الله ﷻ له، والله سبحانه له الأمر كله يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد ﷻ.

المسألة الخامسة:

جاء في حديث أنس الذي رواه البخاري وغيره في قصة الإسراء أنَّ النبي ﷺ ذكَرَ عروجه إلى الله ﷻ ليلة المعراج، ثم قال في وصف ارتفاعه ﷺ: «**ثم إني رُفِعْتُ لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام**»، وهذه الأقلام غير القلم الذي كُتِبَ به القَدَر فإنَّ ذلك القلم من نور كُتِبَ به القَدَر في اللوح المحفوظ، وأما هذه الأقلام فهي التي بأيدي الملائكة، أقلامٌ يُكْتَبُ بها وحي الله ﷻ إلى ملائكته مما يُوَكَّلُونَ به من الأشياء.

فهم يكتبون أَمْرَ الله ﷻ، وله سبحانه وتعالى كلمات لا تنقضي كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فالله ﷻ كلماته الكونية لا تنفد يأمر وينهى ﷻ في ملكوته والملائكة تكتب، فهذه الأقلام نوع آخر.

ولك أن تقول: هذا هو النوع الثاني وهي أقلام الوحي التي بأيدي الملائكة يكتبون ما يوحي الله ﷻ به في سَمَائه.

التعليقات

... فَلَو اجْتَمعَ الْخَلْقُ كُلُّهمْ علَى شَيءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلوهُ غَيرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَو اجْتَمعُوا كُلُّهمْ عَلَى شَيءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ تَعالَى فِيهِ؛ لِيَجْعَلُوهُ كائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ(١)..

ابن ابي العز الحنفي

...... قوله: (فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن، ليجعلوه غير كائن - لم يقدروا عليه. ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه، ليجعلوه كائنًا - لم يقدروا عليه. جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة).

ش: تقدم حديث جابر عن رسول الله ﷺ، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم، أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما استقبل؟ قال: لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير..........................

الشيخ صالح

قال ﷺ بعد ذلك **(فَلَوِ اجْتَمعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ** -يعني في اللوح- **أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ؛ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ)**.

وهذه العقيدة هي حقيقة الإيمان بالقضاء والقَدَر. هي أنْ يعلم العبد أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لو فَعَلَ ما فَعَل فإنه لن يَحْجِبَ قضاء الله ﷻ وقدره، لم؟ لأنه لا يمكن أن يفعل خلاف ما قدَّرَ الله ﷻ؛ لهذا وجب التسليم لله ﷻ في أمره، ووجب في أَمْرِ المصائب التي لا اختيار للعبد فيها أن يُسَلِّمَ لله ﷻ ذلك، وأن يؤمن بقضاء الله ﷻ الذي يقضيه. وقضاء الله ﷻ كما ذكرت لك هو إنفاذه ما قدَّر ﷻ.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: الكتابة التي كتبها الله تعالى في اللوح المحفوظ لا يقدر أحد على تغييرها، فلو اجتمع الخلق على أن يغيروا شيئًا كتبه الله لما استطاعوا، ولو اجتمعوا على أن يوجدوا شيئًا لم يكتبه الله في اللوح المحفوظ لم يوجدوه، كما جاء ذلك في حديث ابن عباس لما قال له النبي ﷺ: «واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». فلا تغيير ولا تبديل لما كتبه الله جلَّ وعلا في اللوح المحفوظ.

جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ(١)..............................

ابن أبي العز الحنفي

...... وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: يا غلام ألا أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف.

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية غير الترمذي: احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم لكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا...................

الشيخ صالح

وهذا القضاء له جهتان:

١ - **جهة متعلقة بالله ﷻ، وهي فعله ﷻ.** وفعله بأن يقضي صفة من صفاته، فهذه يجب على العبد أن يُحِبَّهَا وأن يرضى بها؛ لأنها صفة من صفات الله ﷻ.

٢ - **جهة متعلقة بالعبد لا بالرب، فيكون مَقْضِيًّا على العبد.**

والمقضي على العبد نوعان:

- مقضي عليه من جهة المصائب.
- ومقضي عليه من جهة المعايب.

والمصايب ربما كان لا اختيار له فيها، والمعايب فَعَلَهَا بإرادته؛ لهذا بَحَثَ العلماء مسألة الرّضا بالقضاء وهل القضاء تسليم له، يعني الرضا به؟ وتحقيق القول في هذه المسألة أنْ تَعْلَمَ أَنَّ القضاء غير المَقْضِي.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: هذا طرف من حديث ابن عباس المشهور بلفظ: « احفظ الله يحفظك . . . » الحديث. وهو حديث صحيح كما ذكرت في " التخريج " [شرح العقيدة الطحاوية برقم ٢٧٤ طبع المكتب الإسلامي].

..... وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ(١)...........

ابن أبي العز الحنفي

...... وقد جاءت الأقلام في هذه الأحاديث وغيرها مجموعة، فدل ذلك على أن للمقادير أقلامًا غير القلم الأول، الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ.

والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة، وهذا التقسيم غير التقسيم المقدم ذكره:

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح.

القلم الثاني: خبر خلق آدم، وهو قلم عام أيضًا، لكن لبني آدم، ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم، عقيب خلق أبيهم...

الشيخ صالح

المقضي هذا تَعَلُّق القضاء بالعبد. والقضاء هو قضاء الله ﷻ وهو فعله. وقد يقال فيما يتعلق بالعبد: هذا قُضِيَ عليه وصار قضاءً عليه، فيكون قَضَاء بالنسبة للعبد وهو مَقْضِي.

لهذا نقول: جهة الرب ﷻ في القضاء هذه نرضى بها ونحبها. وأما ما يقضيه الله ﷻ على العبد فإنه ما كان من المعايب من المعاصي والآثام التي تقع منه فإنه يجب عليه أن لا يرضى بها. يعني وَقَعَتْ عليه لكن يجب عليه أن يكره ذلك الذي وقع منه ولو كان قضاءً، ويجب عليه أن يسارع بالانسلاخ من آثاره بالتوبة والإنابة، فلا يُحِبُّ هذا العيب ولا هذا الذنب مع أنه قضاء ولا يرضى به؛ بل يسارع في تخليص نفسه منه.

وأما ما كان من قبيل المصائب التي يُصاب بها العبد فإنّ الرضا بها مُسْتَحَب غير واجب.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: هذا من تمام حديث ابن عباس المشار إليه آنفًا في رواية عنه.

الشيخ الفوزان: هذا معنى الإيمان بالقضاء والقدر، أن تعلم أنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإذا أصابتك مصيبة مما تكره، فإنك تعلم أن هذا مكتوب في اللوح المحفوظ، ولابد أن يقع، فتتسلى بذلك عن الجزع والسخط، وتؤمن بالله عز وجل..........=

ابن ابي العز الحنفي

...... القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة. واذا علم العبد أن كلاً من عند الله، فالواجب إفراده سبحانه بالخشية والتقوى. قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾. ﴿فَٱرْهَبُونِ ﴾. ﴿ وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾. ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾. ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾..

الشيخ صالح

إذا أُصِيبَ بمصيبة فإنَّ الرضا بها مستحب، كما قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، قال علقمة ﷺ: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم. فالرضا بالمَقْضِيِّ الذي هو من المصائب مستحب لا واجب بالنظر إلى تعلقه بالعبد وهو المقْضِي.

أما بالنظر إلى تعلقه بالله فسواء كان من المصايب أو من المعايب فإنه يجب الرّضا عن الله ﷻ بأفعاله وصفاته ومحبة أفعال الله ﷻ؛ لأنّ الله ﷻ يفعل ما يفعل عن حكمة عظيمة، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾ [التوبة: ٤٦- ٤٧].

التعليقات

= وما أخطأك لم يكن ليصيبك، لو حرصت على طلب شيء وبذلت كل وسعك وجهدك فلن تحصل عليه، فإذا فعلت السبب وبذلت كل شيء ولم تحصل عليه، فإنك تسلم وتؤمن بالقضاء والقدر، ولا تنزعج ويكون عندك هواجس وهموم، فالنبي ﷺ يقول: «احرصَ على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنّني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»، إذا علمت هذا هان عليك الأمر. ولا يحصل منك جزع، ولا تحسر، الأمور بيده سبحانه، نعم أنت تفعل الأسباب وتحرص على ما ينفعك، ولكن النتائج من لدن الله عز وجل، وما تدري ما الخيرة؟ فلا يعطيك الله عز وجل ذلك الشيء؛ لأنك لو حصلت عليه يكون عليك منه ضرر، فالله يعلم، وأنت لا تعلم، عليك أن ترضى بقضاء الله وقدره......................=

ابن ابي العز الحنفي

..... ونظائر هذا المعنى في القرآن كثيرة. ولا بد لكل عبد أن يتقي أشياء، فإنه لا يعيش وحده، ولو كان ملكًا مطاعًا فلا بد أن يتقي أشياء يراعي بها رعيته. فحينئذ فلا بد لكل إنسان أن يتقي، فإن لم يتق الله اتقى المخلوق، والخلق لا يتفق حبهم كلهم وبغضهم، بل الذي يريده هذا يبغضه هذا، فلا يمكن إرضاؤهم كلهم، كما قال الشافعي رضي الله عنه: رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بالأمر الذي يصلحك فالزمه، ودع ما سواه فلا تعانه. فإرضاء الخلق لا مقدور ولا مأمور، وإرضاء الخالق مقدور ومأمور. و أيضًا فالمخلوق لا يغني عنه من الله شيئًا، فإذا اتقى العبد ربه كفاه مؤنة الناس. كما كتبت عائشة الى معاوية، روي مرفوعًا، وروي موقوفًا عليها: من أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس له ذامًّا.

فمن أرضى الله كفاه مؤنة الناس ورضي عنه، ثم فيما بعد يرضون؛ إذ العاقبة للتقوى، ويحبه الله فيحبه الناس. كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: إذا أحب الله العبد نادى: يا جبرائيل، إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي جبرائيل في السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وقال في البغض مثل ذلك.....

الشيخ صالح

فالله ﷻ يقضي بحكمته ما يشاء، وله الحكمة البالغة، لا يُسْألُ عما يفعل وهم يسألون. فإذًا تَلَخَّصَ من ذلك أنَّ ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ويتصل بهذا البحث، أو نطويه لأنه قد يطول علينا. مباحث القدر طويلة ترجعون إليها إن شاء الله تعالى.

التعليقات

= وفي القرآن الكريم يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾. ويقول ردًّا على الكفار لما قالوا في شأن الذين قتلوا في يوم أحد: ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ ﴾، قال عز وجل: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾. فما كُتب على الإنسان لابد من نفاذه فيه، ولو تحرز وتحصن وعمل من الاحتياطات ما عمل، لم يمنعه ذلك من قضاء الله وقدره، قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾.

...... فقد بين أنه لا بد لكل مخلوق من أن يتقي إما المخلوق، وإما الخالق. وتقوى المخلوق ضررها راجح على نفعها من وجوه كثيرة، وتقوى الله هي التي يحصل بها سعادة الدنيا والآخرة، فهو سبحانه أهل التقوى، وهو أيضًا أهل المغفرة، فإنه هو الذي يغفر الذنوب، لا يقدر مخلوق على أن يغفر الذنوب ويجير من عذابها غيره، وهو الذي يجير ولا يجار عليه.

قال بعض السلف: ما احتاج تقي قط، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٣]، فقد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجًا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك دل على أن في التقوى خللا، فليستغفر الله وليتب إليه، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾، أي فهو كافيه، لا يحوجه إلى غيره.

وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب! وهذا فاسد، فإن الاكتساب: منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، كما قد عرف في موضعه.

وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب، حتى قال الكافرون: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾.

ولهذا تجد كثيرًا ممن يرى الاكتساب ينافي التوكل يرزقون على يد من يعطيهم، إما صدقة، وإما هدية، وقد يكون ذلك من مكّاس، أو والي شرطة، أو نحو ذلك، وهذا مبسوط في موضعه، لا يسعه هذا المختصر............

الشيخ صالح

التعليقات

.... وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه(١).......

ابن أبي العز الحنفي

..... وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الأقوال التي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾، ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فقال البغوي، قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت! قال المفسرون: من شأنه أنه يحيي ويميت، ويرزق، ويعز قومًا ويذل آخرين، ويشفي مريضًا، ويفك عانيًا، ويفرج مكروبًا، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنبًا، إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء.

قوله: (وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه).

ش: هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة، ولقد أحسن القائل حيث يقول:

ما قضى الله كائن لا محالة ... والشقي الجهول من لام حاله

والقائل الآخر:

اقنع بما ترزق يا ذا الفتى ... فليس ينسى ربنا نملة

إن أقبل الدهر فقم قائمًا ... وإن تولى مدبرًا نم له....

الشيخ صالح

قال رحمه الله بعد ذلك: (وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلاَ مُعَقِّبٌ) يعني ليس له ناقض ولا معقب.

(وَلاَ مُزِيلٌ وَلاَ مُغَيِّرٌ، وَلاَ نَاقِصٌ وَلاَ زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَذَلِكَ) يعني هذا الذي أشار إليه.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذه هي المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر: على العبد أن يؤمن ويعتقد أن الله علم ما كان وما لم يكن بعلمه الأزلي، الذي هو موصوف به أبدًا وأزلاً، علم الأشياء كلها بعلمه المحيط قبل وقوعها، فلابد من اعتقاد ذلك.

.. فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحكَمًا مُبْرَمًا(١)، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلاَ مُعَقِّبٌ، وَلاَ مُزِيلٌ وَلاَ مُغَيِّرٌ، وَلاَ نَاقِصٌ وَلاَ زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ(٢).........

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرًا محكمًا مبرمًا، ليس فيه ناقض، ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه).

ش: هذا بناء على ما تقدم من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها، كما قال ﷺ: قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء. فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم. فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها. قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾..

الشيخ صالح

(مِنْ عَقْدِ الإِيمَانِ) يعني مما يجب أن يُعْقَدَ عليه القلب إيمانًا به، وقال: (عَقْدِ الإِيمَانِ) يعني من ما يجب في الإيمان يكون عقيدة يُؤْمِنُ بها.

(وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ) يعني أصول العلم بالله ﷻ.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: عَلِمَهُ سبحانه وتعالى وقدّره ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾، فالأمور ليست فوضى أو ليست لها ضوابط، كلها مرتبة ومنضبطة بقضاء الله وقدره وكتابته، والله منزه عن الفوضى والعبث.

(٢) الشيخ الفوزان: لا أحد يتصرف، فيغير ما قضاه الله وقدّره، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾، فلا أحد ينقص شيئًا من قضاء الله، ولا يزيد شيئًا أبدًا، هذا شيء قضي منه وانتهى منه. إذا اعتقد المسلم ذلك أراحه من كثير من الشكوك والأوهام، ولكن ليس معنى ذلك أنه يتكل على القضاء والقدر والكتاب، ويترك العمل، هو مأمور بالعمل وطلب الرزق وفعل الأسباب، هذا من ناحية العمل، وأما من ناحية النتائج فهي بيد الله عز وجل.

..... وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالمًا في الأزل، وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا كفروا.

فإن الله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه؛ فإنما يعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه.

وإذا قيل: فيلزم أن يكون العبد قادرًا على تغيير عالم الله؛ لأن الله علم أنه لا يفعل، فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله؟ قيل: هذه مغالطة، وذلك أن مجرد مقدرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، وإنما يظن من يظن تغيير العلم إذا وقع الفعل، ولو وقع الفعل لكان المعلوم وقوعه لا عدم وقوعه، فيمتنع أن يحصل وقوع الفعل مع علم الله بعدم وقوعه، بل إن وقع كان الله قد علم أنه يقع، وإن لم يقع كان الله قد علم أنه لا يقع.

ونحن لا نعلم علم الله إلا بما يظهر، وعلم الله مطابق للواقع، فيمتنع أن يقع شيء يستلزم تغيير العلم، بل أي شيء وقع كان هو المعلوم، والعبد الذي لم يفعل لم يأت بما يغير العلم، بل هو قادر على فعل لم يقع، ولو وقع لكان الله قد علم أنه يقع، لا أنه لا يقع.

وإذا قيل: فمن عدم وقوعه يعلم الله أنه لا يقع، فلو قدر العبد على وقوعه قدر على تغيير العلم؟ قيل: ليس الأمر كذلك، بل العبد يقدر على وقوعه وهو لم يوقعه، ولو أوقعه لم يكن المعلوم إلا وقوعه، فمقدور العبد إذا وقع لم يكن المعلوم إلا وقوعه.......................................

...... وذلك من عقد الإيمان، وأصول المعرفة(١)........................

ابن أبي العز الحنفي

...... وهؤلاء فرضوا وقوعه مع العلم بعدم وقوعه! وهو فرض محال. وذلك بمنزلة من يقول: افرض وقوعه مع عدم وقوعه! وهو جمع بين النقيضين.

فإن قيل: فإذا كان وقوعه مع علم الرب عدمٍ وقوعه محالاً لم يكن مقدورًا؟ قيل: لفظ المحال مجمل، وهذا ليس محالاً لعدم استطاعته له ولا لعجزه عنه ولا لامتناعه في نفسه، بل هو ممكن مقدور مستطاع، ولكن إذا وقع كان الله عالمًا بأنه سيقع، وإذا لم يقع كان عالمًا بأنه لا يقع، فإذا فرض وقوعه مع انتفاء لازم الوقوع صار محالاً من جهة إثبات الملزوم بدون لازمه. وكل الأشياء بهذا الاعتبار هي محال! مما يلزم هؤلاء: أن لا يبقى أحد قادرًا على شيء، لا الرب، ولا الخلق، فإن الرب إذا علم من نفسه أنه سيفعل كذا لا يلزم من علمه ذلك انتفاء قدرته على تركه، وكذلك إذا علم من نفسه أنه لا يفعله لا يلزم منه انتفاء قدرته على فعله، فكذلك ما قدره من أفعال عباده. والله تعالى أعلم.

قوله: (وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: وخلق كل شيء فقدره تقديرًا. وقال تعالى: وكان أمر الله قدرًا مقدورًا).

ش: الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها...

الشيخ صالح

....

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذه العقيدة، عقيدة القضاء والقدر، من عقيدة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فالذي لا يكون مؤمنًا بالقضاء والقدر لا يكون مؤمنًا بالله جل وعلا، بل كان متنقصًا لله عز وجل، فالإيمان به من العقيدة وليس من الأشياء الثانوية أو الفرعية، فالإيمان بالقضاء والقدر من صميم العقيدة، وهو ركن من أركان الإيمان، كما قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

... وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِرُبُوبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، **وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾** [الأحزاب: ٣٨] **(١) ....**

ابن أبي العز الحنفي

...... قال ﷺ في جواب السائل عن الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. وقال ﷺ في آخر الحديث: يا عمر أتدري من السائل؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبرائيل، أتاكم يعلمكم دينكم. رواه مسلم.

وقوله: والإقرار بتوحيد الله وربوبيته، أي لا يتم التوحيد والإقرار بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقا غير الله فقد أشرك، فكيف بمن يزعم أن كل أحد يخلق فعله؟! ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة، وأحاديثهم في السنن. وروى أبو داود عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم.

وروى أبو داود أيضًا عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال......................

الشيخ صالح

(وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ) يريد بتوحيد الله تعالى في هذا الموطن توحيد الله ﷻ في تَصَرُّفِهِ في مُلْكِهِ وفي عبادته، فإنَّ العبد إذا اعترف بأنَّ الله ﷻ هو المتَصَرِّفُ في ملكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّهُ هو المدبر وهو الرب ﷻ فإنه يُوَحِّدُ الله في قَدَرِهِ، و يُوَحِّدُ الله ﷻ في أفعاله كما يُوَحِّدْ الله ﷻ في ربوبيته بعامة.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: الإيمان بالقضاء والقدر يدخل في توحيد الربوبية؛ لأنه من أفعال الله جل وعلا، فمن جحد القضاء والقدر لم يكن مؤمنًا بتوحيد الربوبية. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، هذه الآيات الثلاث مع غيرها من الآيات تدل على الإيمان بالقضاء والقدر ﴿مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾. يعني اللوح المحفوظ.

...... وروى أبو داود أيضًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: صنفان من بني آدم ليس لهم في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية.

لكن كل أحاديث القدرية المروعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها: فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده.

وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الايمان بعلم الله القديم وما أظهر من علمه الذي لا يحاط به وكتابة مقادير الخلائق

وقد ضل في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم، ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر.

وأما قدرة الله على كل شيء فهو الذي يكذب به القدرية جملة، حيث جعلوه لم يخلق أفعال العباد، فأخرجوها عن قدرته وخلقه......................

الشيخ صالح

ففي الحقيقة من تأمل توحيد الربوبية وآمَنَ حَقًّا بربوبية الله ﷻ فإنه يؤمن بالقَدَر؛ لأنَّ الإيمان بالقدر من ثمرات الإيمان التام بربوبية الله ﷻ، فإنَّ المؤمن بالربوبية، بأنَّ الله ﷻ هو الرب المتصرف في ملكه، هو السيد المطاع، هو الذي لا معقب لحكمه ولا راد لأمره، هو الذي ما شاء كان، هو الذي لا يُغالَب في ملكه، هو الذي يعطي ويمنع ويخلق ويرزق ويميت ويحيي، من آمن بالربوبية على تفاصيلها فإنه لن يجادل في القدر؛ لأنه يعلم أنه مربوب مستسلم لله ﷻ.

التعليقات

....

ابن ابي العز الحنفي

..... والقدر، الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه، وأن الذي جحدوه هم القدرية المحضة بلا نزاع: هو ما قدره الله من مقادير العباد. وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء، كقول ابن عمر رضي الله عنهما، لما قيل له: يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف: أخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني براء.

والقْدر، الذي هو التقدير المطابق للعلم: يتضمن أصولاً عظيمة: أحدها: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيثبت علمه القديم، وفي ذلك الرد على من ينكر علمه القديم. الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، ومقاديرها هي صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله قد جعل لكل شيء قدرًا، قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾، الخلق يتضمن التقدير، تقدير الشيء في نفسه، بأن يجعل له قدرًا، وتقديره قبل وجوده. فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته، كان ذلك أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعينة، خلافًا لمن أنكر ذلك وقال: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات! فالقدر يتضمن العلم القديم والعلم بالجزئيات. الثالث: أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخبارًا مفصلاً، فيقضي أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها علمًا مفصلاً، فيدل ذلك بطريق التنبيه على أن الخالق أولى بهذا العلم، فإنه كان يعلم عباده بذلك فكيف لا يعلمه هو؟! الرابع: أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله، محدث له بمشيئته وإرادته، ليس لازما لذاته. الخامس: أنه يدل علي حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه...

الشيخ صالح

ختم ذلك بقول (كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨]).

التعليقات

..فويلٌ لمن صار لله تعالى في القدر خصيمًا(١)، وأحضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا(٢)........

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيمًا، وأحضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًا كتيمًا، وعاد بما قال فيه أفكًا أثيمًا).

ش: اعلم أن القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن. قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أي كان ميتًا بالكفر فأحييناه بالإيمان. فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر. وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه...........................

الشيخ صالح

قال (**فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهَمِهِ**) (**الوَهَمْ**) بالتحريك، وَهَمْ: هو الفَهْمْ أو الإدراك أو الذهن أو ما أشبه ذلك. و(**الوَهْمْ**) بالسكون: هو الغفلة عن الشيء، يقال هذا وَهْمٌ يعني هذا غلط وغفلة ونحو ذلك، أما الوَهَمْ فهو الإدراك والفهم إلى آخره.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: الذي يدخل في أمور القضاء ويشكك فيه خصيم الله، ولا يصح الإيمان إلا بالإيمان بالقضاء والقدر بمراتبه الأربع، حسب ما جاء في الكتاب والسنة، ولا تتدخل في السؤالات والإشكالات والشكوك والأوهام، فإن هذا معناه مخاصمة الله عز وجل، فالذين تدخلوا في القضاء والقدر لم يتوصلوا إلى شيء، بل وقعوا في حيرة واضطراب وإفساد للعقيدة.

(٢) الشيخ الفوزان: فأمور القضاء والقدر وشؤون الله عز وجل لا يدركها النظر والتفكير والعقل، فلا تكلف عقلك شيئًا لا يستطيعه، فالعقل محدود، لا يمكنه أن يدرك كل شيء، فلا تدخله في متاهات وأمور لا يطيقها.

... ، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا(١) ، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا(٢)......

ابن ابي العز الحنفي

..... ومرض القلب نوعان، كما تقدم: مرض شهوة، ومرض شبهة، وأردؤها مرض الشبهة، وأردأ الشبه ما كان من أمر القدر.

وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يشعر به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة.

فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه، وتألم بأهله بالحق بحسب حياته.

مـــا لجـــرح بميـــت إيـــلام

وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها، فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أصعب شيء على النفس، وليس له أنفع منه، وتارة يوطن نفسه على الصبر، ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه، لضعف علمه وبصيرته وصبره، كمن دخل في طريق مخوف مفض إلى غاية الأمن، وهو يعلم أنه إن صبر عليه انقضى الخوف وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة صبر وقوة يقين بما يصير إليه....

الشيخ صالح

قال: (لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ) يعني بذهنه وبفهمه وتفكيره.

(فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.) فأسأل الله ﷻ أن يكتب لي ولكم الإيمان التام بقدر الله ﷻ، وأن يجعلنا ممن سَلَّمُوا لله ﷻ، وآمنوا بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته حقًّا وصدقًا دون تردد ولا ريب ودون معارضة لما أمر الله ﷻ به وقضى.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: لأن القضاء والقدر سر الله جل وعلا في خلقه، فلا تبحث عنه، ولا تُكلف بذلك، إنما كُلفت بالعمل والطاعة والامتثال.

(٢) الشيخ الفوزان: أي يكون كل كلامه وكل بحثه إفكًا، يعني: كذبًا وإثمًا -والعياذ بالله- لأنه فعل ما لم يؤمر به، وتدخل فيما ليس من شأنه.

..... ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق ولم يتحمل مشقتها، ولا سيما إن عدم الرفيق واستوحش من الوحدة وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي أسوة بهم! وهذه حال أكثر الخلق، وهي التي أهلكتهم.

فالصابر الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول، ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾.

وما أحسن ما قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة - في كتاب الحوادث والبدع: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيرًا؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: السنة - والذي لا إله إلا هو - بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعتهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك فكونوا.

وعلامة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة، إلى الأغذية الضارة، وعدوله عن دوائه النافع، إلى دوائه الضار.

فههنا أربعة أشياء: غذاء نافع، ودواء شاف، وغذاء ضار، ودواء مهلك..

ابن أبي العز الحنفي

..... فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي، على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك.

وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين وأضل الضالين، فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾، ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾، ﴿ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.

ومن في قوله: من القرآن لبيان الجنس، لا للتبعيض. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به. وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه: لم يقاوم الداء أبدًا.

وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها؟! فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهمًا في كتابه.

وقوله: (لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًّا كتيمًا). أي طلب بوهمه في البحث عن الغيب سرًا مكتومًا، إذ القدر سر الله في خلقه، فهو يروم ببحثه الاطلاع على الغيب، وقد قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٧]، إلى آخر السورة.

وقوله: (وعاد بما قال فيه)، أي في القدر: أفاكًا كذابًا أثيمًا، أي مأثومًا..........

الشيخ صالح

التعليقات

...... وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ حَقٌّ(١)..............................

ابن ابي العز الحنفي

..... وقوله: (والعرش والكرسي حق).

ش: كما بين تعالى في كتابه، قال تعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾. ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، في غير ما آية من القرآن: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾، ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾، ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾..............................

الشيخ صالح

قال ﷺ: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ.) قدَّمتُ لك معنى قوله: (حَقٌّ) فيما سبق وأنَّ معنى ذلك أنّ العرش والكرسي يُؤْمَنُ به على ظاهره كما جاء في النصوص، وأنَّهُ ليس بالباطل؛ بل هو موجود كما وصف الله ﷻ، فهو حق ثابت لا مِرية فيه.

قال هنا ﷺ: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ) وسبب إدخاله هذه المسألة في العقائد أنَّ أهل البدع خالفوا أهل السنة في تفسير العرش وفي تفسير الكرسي، فلما كانوا مخالفين لما دَلَّ عليه الدليل وكان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان، رضي الله عن الصحابة ومن تبعهم، فإنهم قد خالفوا في أمرٍ غيبي، ومن خالف في أمرٍ غيبي فقد خالف ما يجب معه عقد الإيمان.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: اعلم أن العرش خلق عظيم جدًّا كما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولذلك أضافه تعالى إلى نفسه في قوله: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ وفيه آيات أخر تجدها في " الشرح ". وهو لغة سرير الملك ومن أوصافه في القرآن: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ وأنه على الماء وفي السنة أن أحد حملة العرش ما بين شحمة إذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وأن له قوائم وأنه سقف جنة الفردوس. جاء ذلك في أحاديث صحيحة مذكورة في الشرح وذلك كله مما يبطل تأويل العرش بأنه عبارة عن الملك وسعة السلطان..............................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وفي دعاء الكرب المروي في الصحيح: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم».

وروى الإمام أحمد في حديث الأوعال عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين ركبهن وأظلافهن - كما بين السماء والأرض ، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك، ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء»......

الشيخ صالح

لأنَّ من سمة المؤمن بما أثنى الله ﷻ عليه أن يؤمن الغيب كما قال ﷻ في الثناء على خاصة عباده ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢- ٣].

فوصف المتقين بأخص الصفات وهي الإيمان بالغيب، وهذه صفة أهل الإيمان. جَعَلَ الله ﷻ أهل الإيمان لا يرتابون في الكتاب وسبب ذلك أنهم يؤمنون بالغيب فمدارُهُ على التسليم.

لذلك فإنَّ المخالفين للكتاب الذين عقدوا ألوية البدعة تَأَوَّلوا وحَرَّفوا أكثر الأمور الغيبية كما سيأتي بيانه. لذا كان لإدخال الإيمان بالعرش والكرسي في هذه العقيدة المختصرة مَأْخَذُهُ. ولا شكّ أنَّ الإيمان بالعرش والكرسي حقٌّ على ما جاء في ظاهر الأدلّة.

التعليقات

= وأما الكرسي ففيه قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ والكرسي هو الذي بين يدي العرش وقد صح عن ابن عباس موقوفا عليه من قوله : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى. وهو مخرج في كتابي (مختصر العلو للذهبي) يسر الله طبعه (١) ولم يصح فيه مرفوعا سوى قوله عليه الصلاة والسلام : «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة» . وذلك مما يبطل أيضا تأويل الكرسي بالعلم . ولم يصح هذا التأويل عن ابن عباس كما بينته في (الصحيحة) (١٠٣) [الصحيح هو برقم (١٠٩) الصفحة ١٧٣ طبع المكتب الإسلامي] ....=

ابن أبي العز الحنفي

...... ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وروى أبو داود وغيره، بسنده إلى رسول الله ﷺ، من حديث الأطيط، أنه ﷺ قال: إن عرشه على سمواته لهكذا، وقال بأصابعه، مثل القبة. الحديث، وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن. يروى وفوقه بالنصب على الظرفية، وبالرفع على الابتداء، أي: وسقفه......................

الشيخ صالح

دلّ قوله (**وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ**) على أنّ معتقد أهل السنة والجماعة أنَّ العرش غير الكرسي فالعرش شيء والكرسي شيء آخر وكلاهما حقٌّ. إذا تبين هذا كتقريرٍ لهذه الجملة، فإنَّ بحثها يمكن أن يكون في هذه المسائل:

أولاً العرش

المسألة الأولى:

أنَّ العرش حق لأنَّ الله ﷻ ذكره في كتابه في آيات كثيرة فقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ووَصَفَ العرش بأنه عظيم، فقال: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] ووصف عرشه ﷻ بأنه مجيد، ووصف عرشه بأنه يُحْمَلْ فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر: ٧]، ووصف عرشه أيضا بأنَّهُ يستوي عليه ﷻ، وأنَّ عرشه ﷻ موصوف بصفات العظمة التي فاق بها سائر العروش.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: الله سبحانه وتعالى خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق الكرسي، وخلق العرش، كلها مخلوقات لله عز وجل، السماوات فوق الأرض، وفوق السماوات البحر، وفوق البحر الكرسي، وفوق الكرسي العرش، فهو أعلى المخلوقات، وذلك كما جاء في الحديث: «إن السماوات السبع بالنسبة للكرسي كسبع دراهم ألقيت في ترس»، يعني: السماوات السبع وعظمها وما فيها - مقارنة بالكرسي - كسبعة دراهم ألقيت في مثل الصحن الذي يتترس به المقاتل، فما نسبة سبعة دراهم في ترس مستدير؟ نسبتها قليلة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، والعرش أعظم من الكرسي، فالكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، كما جاء في الحديث، فلو ألقيت حلقة في أرض واسعة فما نسبتها إلى هذه الفلاة؟ لا شيء.......................... =

ابن أبي العز الحنفي

...... وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه: الفلك الأطلس، والفلك التاسع! وهذا ليس بصحيح، لأنه قد ثبتَ في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال ﷺ: فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور.

والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾..

الشيخ صالح

فإذًا وُصِفَ بهذه الصفات، وجاء في السنة مزيد في وصفه بأنَّ العرش له قوائم تحمله الملائكة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**يُصعق الناس فأكون أول من يُفيق، فإذا بموسى باطشٌ** -أو قال آخذٌ- **بقائمة من قوائم العرش**».

فالعرش إذًا مخلوق من مخلوقات الله ﷻ العظيمة، ومن عِظَمِهْ أنه قال فيه ﷺ: «**مثل السموات السبع للعرش كمثل حلقة ألقيت في فلاة ومثل الكرسي للعرش كذلك**» يعني كحلقة ألقيت في فلاة وهذا الحديث صححه وقواه جمع من أهل العلم، وروي من طرق كما ذكر الإمام ابن تيمية ؒ والبحث يقتضي ذلك.

التعليقات

= هذه مخلوقات عظيمة وواسعة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى. فالعرش أعلى المخلوقات، والله سبحانه عالٍ فوق عرشه فوق مخلوقاته. والكرسي تحت العرش، وجاء في الأثر أنه موضع القدمين، فالكرسي مخلوق، وليس المقصود به العلم، كما نسب ذلك لابن عباس رضي الله عنه، أنه قال في قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾ أي: علمه، أي: وسع علمه السماوات والأرض. المعنى صحيح، ولكن ليس هذا المقصود من الآية، فالكرسي مخلوق، والعلم صفة من صفات الله عز وجل ليست من مخلوقاته، فيجب الإيمان بالعرش وبالكرسي، هذا حق على حقيقته، وليس العرش كما يقوله الأشاعرة -ومن نحا نحوهم- إن العرش هو الملك، فيقولون في قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، أي: استولى على الملك، وهذا ضلال، فالعرش مخلوق: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، فالعرش تحته الكرسي، والكرسي تحته السماوات، والأرض تحت السموات. في الحديث: «فإذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن» فالفردوس هو أعلى الجنان وفوقه عرش الرحمن...=

ابن أبي العز الحنفي

...... وليس هو فلكًا، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات.

فمن شعر أمية ابن أبي الصلت:

مجـدوا الله فهـو للمجـد أهـل ... ربنـا في الـسماء أمـسى كـبيرًا

بالنـاء العـالي الـذي بهـر النـا ... س وسوى فوق السماء سريرا

شـرجعًا لا ينالـه بـصر العـ ... ـين ترى حوله الملائك صورا

الصور هنا: جمع: أصور، وهو: المائل العنق لنظره إلى العلو. والشرجع: هو العالي المنيف. والسرير: هو العرش في اللغة.........................

الشيخ صالح

وصْفُ العرش في النص جاء بأنه مجيد؛ يعني أنه ذو سَعَةْ، وأنه ذو جمال، وجاء بأنه عظيم؛ يعني أنه أعظم من غيره، وجاء في وصف العرش أنه كريم؛ يعني أنه فاق جنس العروش والمخلوقات في البهاء والحُسْنِ والعظمة؛ لأنَّ لفظ كريم في اللغة تعني أنه فاق غيره في الأوصاف التي يُحْمَدُ فيها، فقول العرب للإنسان الجواد الذي يبذل الندى ويبذل الطعام للأضياف أنه كريم داخلٌ في قاعدةٍ كبيرة في معنى كلمة كريم في لغة العرب.

ولهذا من فاق غيره في الأوصاف فإنه كريم، ومن أسماء الله ﷻ الكريم الذي بلغ المنتهى في علو صفاته وحُسْنِ أسمائه بحيث لا يشابهه ولا يماثله شيء فيما وُصِفَ به ﷻ، و وُصِفَ النبي ﷺ بأنه كريم لذلك؛ بل وُصِفَ في القرآن أنَّ النبات كريم لأجل ذلك، فقال سبحانه: ﴿ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]، يعني الأزواج التي تفوق غيرها وجنسها في النضرة والبهاء وما خلقه الله ﷻ.

التعليقات

= فعرشه مخلوق وله حملة، وهم طائفة من الملائكة: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾، قبل يوم القيامة يحمله أربعة، فإذا جاء يوم القيامة تضاعفوا وصاروا ثمانية، فكل واحد من الملائكة لا يُتصور خلقه وعظمته وقوته. وهل يقال: إذا قيل إن العرش هو الملك. إن المُلك تحمله الملائكة؟

ابن أبي العز الحنفي

...... ومن شعر عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه، الذي عرض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا

ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة، وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام. ورواه ابن أبي حاتم ولفظه: تخفق الطير سبعمائة عام.

وأما من حرف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾، وقوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾..

الشيخ صالح

فإذًا يقتضي وصف العرش في النص بأنه كريم ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٦] في الحديث، يقتضي ذلك أنَّ العرش من جنس العروش. يعني أنَّ له صفة العروش. يعني أنه عرش على ظاهره لكنه فاقها في جميع الصفات التي توصف بها العروش.

فإذًا هو عرش على الحقيقة ليس على المعنى، هو عرش على الحقيقة، وفاق جنس العروش، والله ﷻ في القرآن ذكر العرش، عرش المخلوقين وعرش الملوك في آيات كثيرة فقال مثلاً في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقال سبحانه في وصف عرش بلقيس قال: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل:٢٣]، وقال سبحانه: ﴿ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا ﴾ [النمل:٤١] ونحو ذلك.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء! ويكون موسى عليه السلام آخذًا من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!

وأما الكرسي فقال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

وقد قيل: هو العرش، والصحيح أنه غيره، نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره.

روى ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش، والحاكم في مستدركه، وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، أنه قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى. وقد روي مرفوعًا، والصواب أنه موقوف على ابن عباس...

الشيخ صالح

فإذًا العرش هذا معناه، فيما جاء في الأدلة، وهذا عرش الرحمن، و وُصِفَ في الأدلة في الكتاب والسنة بهذه الأوصاف، وأنَّ العرش يُحْمَل، وأنَّ له قوائم، وأنه يُدَار حوله من الملائكة، وأنه مُقَبَّب كالقبة فوق سماواته، كما جاء في الحديث الذي في السنن واعتمد ما دلَّ عليه في جهة العرش أهل العلم لما جاء عن الصحابة في تقوية ذلك بأنَّ عرشه على سمواته هكذا وأشار بيديه مثل القبة، فقال أهل العلم إن العرش مُقَبَب.

وكونه مُقَبَّبًا لا يعني أنه أصغر كما يدل عليه النظر العقلي، مثل تقبيب سطح الأرض على مستوى النصف فيها فإنه مُقَبَّب عليها وهو أعظم منها فكيف بالعرش.

المسألة الثانية:

العرش في اللغة مأخوذ من الرفع والارتفاع كما قال ﷻ في ذكر فرعون: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، يعني يَبْنُونَ ويرفعون من الأبنية، وقال ﷻ: ﴿ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ ﴾ [الأنعام: ١٤١]، المعروشات يعني التي جُعِلَ لها البناء الذي يسمى تعريش أو العريش.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وقال السدي : السماوات والأرض في جوف الكرسي بين يدي العرش.

وقال ابن جرير : قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض.

وقيل: كرسيه علمه، وينسب الى ابن عباس والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبي شيبة ، كما تقدم. ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن. والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم، كما قيل في العرش. وإنما هو- كما قال غير واحد من السلف: بين يدي العرش كالمرقاة إليه............................

الشيخ صالح

ولأجل هذا الارتفاع والعلو سُمِّيَ العرش عرشًا.

فكلمة عرش والتعريش ونحو ذلك مأخوذة أو أصلها الارتفاع، ولهذا حتى في أكل اللحم إذا أراد أن يأخذ اللحم إلى فِيْهِ ويأكله بفيه بدون أن يقتطع منه يقال عَرَشَهُ، عَرَشَ اللحم أو عَرَشَ اللحم على العظم ونحو ذلك؛ لأنه يرفعه على هذا النحو.

فإذًا مادة العرش في اللغة ترجع إلى الارتفاع وهذا التحليل اللغوي المختصر يفيد في الرد على المخالفين في مسألة العرش.

المسألة الثالثة :

أنَّ العرش دَلَّتْ الأدلة على هذا الوصف، أما المخالفون فلهم في العرش أقوال:

القول الأول : أنَّ العرش هو فَلَكٌ من الأفلاك، وهو نهاية الأفلاك مستديرٌ حولها.

وهذا هو قول أهل الكلام المدون في كتبهم، ويُسَمُّونَ الفلك التاسع عندهم الأطلس، يعني الذي ليس فيه خروق ولا نجوم، قالوا: وهو المسمى في الشريعة العرش لأجل علوه وارتفاعه على سائر الأفلاك.

وهذا على أصلهم لأنهم جعلوا الأفلاك سبعة ثم الثامن ثم التاسع وهو الفلك الأطلس، ولأجل عُلُوِّهِ وارتفاعه جمعوا ما بين الشريعة والفلسفة فقالوا: هو هذا الفلك التاسع الذي تسميه الفلاسفة وأهل الهيئة -وهم جزء من الفلاسفة- يسمونه الفلك التاسع أو الأطلس هو العرش.

التعليقات

....

وهذا القول يُرَدُّ عليه بردود واضحات وهي:

➪ الرد الأول: أنَّ أهل الهيئة سَمَّوا فلكهم التاسع أطلس ولم يزعموا -يعني قبل الإسلام- أنَّهُ هو العرش، والعرش في النصوص له صفة أخرى غير صفة الفلكية، فوُصِف بأنَّ له قوائم وأنَّ الملائكة تحمله وأنه على السموات على هذه الصفة وأنه مُفَضَّلٌ على العروش ... إلى آخره، فدلَّ على أنه ليس بفلك، والفلك مسارٌ من المسارات وكرة من الكرات التي تكتنف الأفلاك الأخرى. فإذًا من جهة دلالة النص تُبطِلُ هذه الدلالة.

➪ الرد الثاني: أنَّ الدلالة العقلية أيضًا تُبْطِلْ ذلك ودليله أَنَّ أهل الهيئة والفلاسفة لم يُقدِّموا باتفاقهم برهانًا قطعيًّا على أنه ليس وراء الفلك التاسع كما سَمَّوهُ فلك، وإنما قالوا هذا نهاية ما رأينا بوضع الخسوفات، وتَقَدَّمَ هذا على هذا... إلى آخره، فَرَتَّبُوهَا بحكم مشاهدة، ولم يقولوا: إنه ليس وراء الفلك التاسع فلك؛ لكن على هذا رتبوا، ولهذا لم يقولوا -يعني بالبرهان القاطع- وإنما قالوا: إنَّ الفلك التاسع هذا هو آخر الأفلاك بحكم ما شاهدنا؛ لكن قد يكون ثم شيء آخر وراءه.

وهذا يخالف ما فَهِمُوهُ من كلمة العرش؛ لأنهم أرادوا أن يجعلوا صِلَة بين العرش وبين كلام الفلاسفة، والعرش هذا الذي ذُكِرَ في النصوص لا يوافق هذا المبدأ؛ لأنه آخر المخلوقات والعرش أعظم المخلوقات وما تحته صغيرٌ بالنسبة إليه وليس دائريًّا كما ذكروا.

فإذًا كلامهم من الجهة العقلية لَمَا لم يأتوا ببرهان يدلُّ على أنه ليسَ وراء الفلك التاسع شيء ببرهان قطعي عقلي وإنما قالوا: هذا الذي يظهر من جهة النظر، فإنَّ هذا يدل على أنَّ تسمية الفَلك التاسع بالعرش أنه ليس بصواب، وهذا واضح **لكن لأنك قد تجده في بعض كتب التفسير فانتبه من ذلك.**

♕ القول الثاني: أنَّ العرش هو عبارة عن المُلْك ولكن عَبَّرَ عن الملك بالعرش لتلازمهما، فكما أنَّ لملوك الأرض عرشًا يجلسون عليه فإنَّ الله ﷻ جعل لنفسه عرشًا، وهذا العرش هو مُلْكُهُ، لكن من قبيل تعظيم الأمر.

وهذا القول أيضًا باطلٌ ومردود؛ لأنَّ مُلْكُ الله ﷻ لا يوصف بتلك الصفات في الشريعة، فإنَّ المُلْك لا يُحمَلْ، والمُلْك ليس له قوائم، والمُلْك ليس ثَمَّ ملائكة تدور حوله ونحو ذلك، والمُلْك لا يأتي يوم القيامة محمول ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٧]، إلى آخره، أيضًا المُلْك مرتفع معنىً والعرش مرتفع حِسًّا يعني من جهة دلالة اللغة وهذا فرق بَيِّن.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

✍ القول الثالث : أنَّ حقيقة العرش هي الكرسي ، وأنَّ الكرسي والعرش شيء واحد، وأنَّ الكرسي الذي وَسِعَ السموات هو العرش ، وهذا قولٌ هنا وقولٌ في أقوال الكرسي يأتي بيانه إنْ شاء الله تعالى ، وهذا القول منسوب إلى الحسن البصري وهو قول ضعيف ؛ لأنَّ :

- ❑ الله ﷻ وَصَفَ العرش بصفات ليست هي صفات الكرسي.
- ❑ ثم مادة العرش غير مادة الكرسي ؛ يعني من جهة الاشتقاق.
- ❑ ثم الآثار عن السلف متضافرة في أنَّ العرش شيء والكرسي شيء آخر.

ولهذا عطف الطحاوي الكرسي على العرش فقال : **(وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ)** ؛ لأنَّ العطف بالواو يقتضي المغايرة ، مغايرة الذوات بين الكرسي والعرش.

○ **أما بالنسبة لمذهب الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم فإنهم في العرش مضطربون ، ليس لهم مذهب واضح :**

- ❑ منهم من ينحو منحى أهل الكلام.
- ❑ ومنهم من يقول : العرش مخلوق من مخلوقات الله لا نعرف حقيقة تكوينه ، ولا معنى الاستواء عليه ونحو ذلك.
- ❑ ومنهم من يقول : إنَّ العرش هو الملك.
- ❑ ومنهم من يقول : العرش تمثيل ، أصلاً ليس فيه عرش وليس ثَمَّ شيء وإنما هو تقريب ، تمثيل للأفهام.

◆ ثانيًا : الكرسي

المسألة الأولى :

الكرسي ذَكَرَهُ الله ﷻ في آية واحدة في القرآن سُمِّيَتْ بآية الكرسي لقوله ﷻ فيها : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وهذه الآية هي أعظم آية في كتاب الله ، قال ﷺ لأبي : «**أي آية في كتاب الله أعظم؟**» فقال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، قال : «**ليهنك العلم**» ؛ لأنَّ هذا يعني أنه فَقِهَ معنى هذه الآية ؛ لأنَّهُ لا يدرك كون هذه الآية أعظم ما في القرآن إلا أنَّهُ عَلِمَ معانيها ولا شك أنَّ هذه تعني علمًا عظيمًا.

التعليقات

وفي السنة جاء بيان حجم الكرسي بالنسبة للسموات بأنَّ السموات السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض والكرسي بالنسبة إلى العرش مثل ذلك.

وجاء في أثر عن ابن عباس موقوف يصح عنه موقوفًا، وروي مرفوعًا ولا يصح مرفوعًا، وهو قوله ﷺ: **الكرسي موضع القدمين لله ﷻ**. وهذا يعني أنَّ الكرسي مخلوق من مخلوقات الله عظيم جدًّا، جعله الله بهذا العِظَمْ، وأنه وسع السموات والأرض، وأكثر من ذلك السموات صغيرة بالنسبة لكرسي الرحمن ﷻ.

المسألة الثانية:

أنَّ كلمة كرسي من جهة اللغة مأخوذة من الكَرْسِ، و الكَرْسِ هو الجمع في اللغة، ويقال للكرسي المعروف إنه كرسي لأجل أنَّ أعواده تُجمَع على هيئة ما.

فالكرسي يختلف عن المقعد الآخر بأنَّهُ أعواد مجموعة في اللغة، ومنه سُمِّيَ العلماء أيضًا كَرَاسِيٍ لأجل أنهم جَمَعُوا العلم، لأجل معنى الجمع، وكذلك قيل للوَرَق المجموع على نحوِ ما كُرَاسة؛ لأنها أوراق جُمِعَتْ.

فمادة الجمع مادة الكَرْس تعود إلى الجمع، ويقال تَكَرَّسَ فلان بالشيء إذا جَمَعَهُ أو تكرَّس فلان الشيء إذا جمعه إلى صدره أو جمعه إليه.

فإذًا مادة الكرسي مأخوذة من الجمع.

وهذا يدل على أنَّ كرسي الرحمن ﷻ وتقدست أسماؤه له من الصفات العظيمة ما يختلف به عن صفة العرش؛ لأنَّ الله ﷻ سَمَّى العرش عرشًا وهذه لها دلالتها في اللغة، وسَمَّى الكرسي كرسيًّا وهذه لها دلالتها في اللغة.

المسألة الثالثة:

الناس لهم في الكرسي أربعة أقوال-يعني غير أهل السنة:

- القول الأول: وهو قول الحسن وهو أنَّ الكرسي هو العرش وهذا قول ضعيف، الآثار ترده كما قلت لك.

- القول الثاني: أنَّ الكرسي لـمَّا ذُكِر في آيةٍ واحدة هي آية الكرسي في سورة البقرة، أنَّهُ تمثيل وأنه ليس ثمَّ حقيقة للكرسي؛ ولكن هو تمثيل لتقريب عظمة الله ﷻ.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

وهذا هو قول الذين ينفون كثير من الصفات التي تدل على عظمة الله وقدرته كقوله: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧]، ونحو ذلك فيقولون: إنَّ هذا كله تخييل؛ بل قالوا: إنَّ كل نص جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل فإنه لأجل التخييل لا تُقْصَدُ حقائقه، وإنما المقصود تعظيم الناس لله ﷻ وإلا فهذه ليست على حقائقها.

وهذا القول معروف من أقوال المعتزلة وطائفة من الأشاعرة، **ومن المعاصرين قرَّرَهُ في تفسيره سيد قطب في ظلال القرآن وجعله قاعِدَةً كلية في آخر سورة الزّمر عند قوله تعالى:** ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِ ﴾.

وفي الحقيقة أنَّ القول بأنَّ هذا كله على جهة التخييل إلغاء لكل الدلالات الشرعية للألفاظ وإلغاء لكل الغيبيات؛ لأنه يكون المقصود في كل هذا التمثيل.

وهذا القول قَدَّمَهُ الزمخشري في الكشاف وكأنه يميل إليه، وعلى قاعدتهم في أنَّ كل النصوص من هذا الباب على وجه التوهم والتخييل.

وهذا القول كما ذكرت لك غلط عظيم؛ لأنَّ معناه نفي كل الأمور الغيبية هذه على هذه القاعدة، فما كان من الأمور الغيبية يدل على عظمة الله وكان فيها تمثيل بأشياء موجودة عند البشر فتُنْفى ويكون المقصود التمثيل لا الحقيقة.

القول الثالث: أنَّ الكرسي هو العلم، فكرسي الرحمن ﷻ هو عِلْمُهُ، وقوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ يعني وسع علمه السموات والأرض. وهذا القول مروي عن ابن عباس ولكن الصحيح عن ابن عباس خلاف هذا القول. ويُرَد على هذا القول بأمور:

١ – أنَّ مادة الكرسي للجمع، والعلم شيء آخر، هذا من جهة اللغة.

٢ – أنَّ الله ﷻ ذكر أنَّ الكرسي وسع السموات والأرض؛ ولكن علمه ﷻ وسع كل شيء، قال سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧]، وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وعِلْمُ الله ﷻ يشمل علمه بذاته ﷻ وبأسمائه وصفاته وأفعاله وعلمه ﷻ الذي يسع السموات والأرض وعلمه ﷻ الذي يسع الجنة والنار وعلمه ﷻ بعد تغير السموات والأرض وقبل خلق السموات والأرض.

التعليقات

فإذًا تفسير الكرسي بأنه العلم هذا يضاد أنَّ العلم يسع كل شيء ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، وأما كرسي الرحمن ﷻ فقال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

٣ - أنَّ قولهم: إنَّ الكرسي هو العلم وأنَّ مادة تَكَرَّسَ راجعة إلى العلم، والعلماء سُمُّوا كراسي لأجل العلم ونحو ذلك من الاحتجاجات واحتجاجهم بقول الشاعر يصف قنصه لفريسته:

فلما احتازها تكرَّسا ... قالوا: يعني علم. فهذا من الجهة اللغوية فيه ضعف، وذلك أنَّ العلم ليس راجعًا إلى الجمع والعلماء صحيح أنهم جمعوا علومهم لكنَّ العلم من حيث هو يَحْصُلُ بتلقي المعلوم ثُمَّ العِلْمُ به والمعرفة به، فليس كل علم ناتجًا عن جمع؛ بل يكون ناتجًا عن تصور الخَبَر، فيكون معلومًا له.

وهذا هو المقرر في اللغة وعند أهل نظرية المعرفة، فإن المرء يعلم بدون جمع، والله ﷻ وَصَفَ الصغير بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل:٧٨]، فكُلَّمَا عَلِمَ المخلوق، كلما علم الصغير شيئا صار عالمًا به ولو لم يجمعه إلى غيره، فمادة الجمع غير مادة العلم، مادة الكَرْس غير مادة العلم والعلم ما صار علمًا للجمع، وإن كان العلماء سُمُّوا كراسي لأجل جمعهم العلم.

فإذًا راجعٌ تفسير كلمة التكرس إلى كلمة الجمع، واحتجاجهم بقول الشاعر كما ساقه ابن جرير الطبري في تفسيره:

فلما احتازها تكرَّسا ... يدل على أنَّ التكرس بمعنى الجمع لا بمعنى العلم لم؟ لأنه قال: (فلما احتازها) يعني صارت في حوزته.

(تَكَرَّسَا) وهو عَلِم بأنه قَنَصَهَا لَمَّا صارت في حوزته.

يكون تكرسه شيئًا جديدًا زائدًا على ما حَصَلَ له منَ الحيازة، فالحيازة بها عَلِم وزاد بعد الحيازة أن ضَمَّهَا وجمعها إليه.

فإذًا من حيث اللغة فإنَّ دلالة التَّكَرُّس على العلم دلالة ضعيفة؛ بل الصواب أنَّ التَّكَرُّس ومادة كَرَسَ راجعة إلى الجمع في اشتقاقاتها جميعًا.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

القول الرابع: أنَّ الكرسي عبارة عن المُلْك كما قالوا في العرش، وقالوا: إنَّ الكرسي إذا قيل: إنَّ كرسي الملِك واسع فهذا يدل على سعة مُلْكِهِ وعلى عُلُوِّ شأنه وقُوَّتِهِ. فيقولون: الله ﷻ قال: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، يعني أنَّ سلطانه وملكه وسع السموات والأرض. وهذا ليس بجيد أيضًا؛ لأنَّ:

١ –الكرسي من جهة دلالة اللغة غير دلالته على الملك.

٢ –أنَّ الكرسي موصوف في السنة وفي آثار السَّلف بأنه غير الملك، فدلَّ ذلك على أنَّ تفسيره بالملك تفسير حادث، والتفسير الحادث بعد زمن الصحابة رضوان الله عليهم لا يُصَارُ إليه في تفسير القرآن.

المسألة الرابعة:

وهذه المسألة متصلة بالعرش والكرسي جميعًا، وهي راجعة إلى أثر الإيمان بالعرش والكرسي؛ فالمؤمن إذا آمن بأنَّ عرش الله ﷻ حق، وأنَّ هذه التي ذُكرت هي صفة العرش، وأنَّ عرش الله عظيم جدًّا وأنه مجيد وأنه كريم، وأنَّ النبي ﷺ حَدَّثَ عن أحد حملة العرش بأنَّ مسيرة ما بين عاتقه إلى شحمة أذنه مسيرة خمسمائة عام، وأنَّ السموات بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وأنَّ الكرسي بالنسبة إلى العرش كذلك، وأنَّ الكرسي موضع قدمي الرحمن ﷻ، فلا شك أنَّ هذا يَئولُ بالمؤمن الحق إلى اعتقاد عظمة الله ﷻ، وإلى أنَّ الله سبحانه تتناهى المخلوقات عنده في الصِّغَر، وأنه ﷻ كما وصف نفسه بقوله: ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، وجاء في الأثر في تفسير ذلك أنه يرمي بها يوم القيامة كما يرمي الصغير بالكرة فيقول: أنا الله الواحد أنا الملك ... إلى آخره.

فمعرفة صفة الكرسي وصفة العرش، ويبتدئ المرء من نفسه التي يُعَظِّمُهَا وكيف هو على هذه الأرض العظيمة جدًّا وهو صغير جدًّا جدًّا، هذه الأرض، حتى إنَّ المدن الكبار إذا صعدت بالطائرة تراها صغيرة جدًّا وهي تحوي ملايين الناس، فكيف بالفرد والأرض هذه بالنسبة للسماوات صغيرة، والسماوات السبع على سعتها وعِظم ما فيها من الأفلاك والنجوم والسيارات بالنسبة للكرسي صغيرة كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، والكرسي بالنسبة إلى العرش كذلك، والله ﷻ فوق العرش مستغن عن العرش.

التعليقات

كل شيء محتاج إليه، والله سبحانه محيط بكل شيء إحاطة سعة وقدرة وذات وشمول ﷻ وتقدست أسماؤه فإنَّ المرء ولاشك يصيبه، بل يحصل له في قلبه نوع عظيم من الذل لله ﷻ، ونوع عظيم من احتقار النفس ومعرفة قدر الإنسان كيف هو، وأنه شُرِّفَ أعظم تشريف أَنْ جعله الله ﷻ عبدًا له سبحانه، ولهذا ينظر المرء إلى عِظَم المخلوقات هذه ويؤمن بها فيُعَظِّمْ الله ﷻ.

حقيقةُ الإيمان بأسماء الله ﷻ وصفاته يُثْمِرُ ثمراتٍ عملية في القلب من وَجَلِ القلوب، من إجلال الله ﷻ، وحب القلوب لجمال الله ﷻ، وأنواع ما يحدث في القلب من الإيمان، ومدارج الإيمان التي تتصل بالإيمان بالأسماء والصفات، كذلك الإيمان بالجنة والنار، كذلك الإيمان بالعرش والكرسي لمن تأمله فإنه يجعل القلب خاضعا لربنا ويجعل القلب مُخْبِتًا مُنِيبًا لله ﷻ فإنْ غَفَلَ جاءه تعظيمه وإيمانه وعقيدته بالإنابة السريعة بالاستغفار الحق.

إذًا حين نبحث هذه المباحث في العقيدة ليست كما يبحثها أهل الكلام المذموم في كونها أشياء لا ثَمَرَةَ لها على الإيمان والعمل الصالح وتَعَبُّد المرء لله ﷻ، فإنَّ كل شيء وَصَفَهُ الله ﷻ لنا من الأمور الغيبية لم يُقْصَدْ إيماننا به واعتقادنا له من جهة الوجود دون جهة الإيمان وما يُثْمِرُ منه؛ بل قُصِدَ الإيمان به -يعني بوجوده وأثر الإيمان الذي يُحْدِثُهُ في النفس- لأنَّ المقصود إصلاح القلوب بالله ﷻ.

وأنت سمعت قول أولئك من المعتزلة وطوائف من المبتدعة إنَّ هذه الأشياء تمثيل لأجل إصلاح الناس وإيمانهم بعظمة الله ﷻ، والواقع أننا إذا قلنا بما جاء في الأدلة من الكتاب والسنة فإنها في تحصيل الإيمان وفي إحداث الإيمان في النفوس وتقوية الإيمان أعظم من أن تكون للتمثيل؛ لأنَّ ذِكْرَهَا على الحقيقة وعلى هذه الصفات يجعل المرء على الحقيقة يتصور كيف هذه المخلوقات جميعًا والأرض هذه الكبيرة وما فيها ثُمَّ السموات ثم الكرسي بعد ذلك، ثم العرش ثم الملائكة الحافين من حول العرش لاشك يُحْدِث له أنواعًا من الإيمان والوجل والخوف وحب الله ﷻ وتعظيمه والإنابة إليه، وهذا لاشك كله من المقاصد الشرعية.

فإذًا الإيمان بهذه يحتاج منك إلى تأمل و تدبر في أن تُعْمِلَ في قلبك هذه الأشياء وتتذكر عظمة الله ﷻ.

.... وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ(١)........................

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه).

ش: أما قوله: وهو مستغن عن العرش وما دونه. فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا؛ لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش؛ ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالي، محيطًا به، حاملاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه..................

الشيخ صالح

هذه بعض المباحث المتعلقة بقوله: (**وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ**) وثَمَّ مباحث زائدة يعني قد تدخل في مباحث الكلام المذموم، فالذي يهمنا هو تقرير ما دل عليه الكتاب والسنة وما يجب اعتقاده أنَّ العرش والكرسي حق، وأنَّ العرش موصوف بتلك الصفات والكرسي موصوف بتلك الصفات، وأنَّ الأقوال الباطلة في العرش والكرسي متعددة والجواب عليها، وأسأله ﷻ لي ولكم التوفيق والسداد.

وفي هذا القدر كفاية عسى الله ﷻ أن يرحمنا برحمته وأن يجعلنا من المنيبين إليه المتقين. نكتفي بهذا القدر، لا تنسونا من صالح الدعاء.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قال الشارح رحمه الله تعالى: وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا؛ لأنه لما ذكر العرش والكرسي ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه ليس لحاجته إليه بل له في ذلك حكمة اقتضته وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاويا للعالي محيطًا به حاملاً له ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؛ فالرب تعالى أعظم شأنًا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه وهي حمله بقدرته للسافل وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل وإحاطته عز وجل به فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته وغناه عن العرش وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به وحصره للعرش وعدم الحصر للعرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.......=

ابن أبي العز الحنفي

...... فانظر إلى السماء، كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟ فالرب تعالى أعظم شأنًا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عز وجل به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له. وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

ونفاة العلو، أهل التعطيل، لو فصلوا بهذا التفصيل، لهدوا إلى سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلوا عن سواء السبيل. والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وغيرها: كيف استوى؟ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول. ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا إلى النبي ﷺ..............

الشيخ صالح

قال العلاّمة الطحاوي في هذه النُّبْذَةْ المختصرة في وصف الله ﷻ قال: (**وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ. مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ**).

يريد بهذا الكلام أَنَّهُ لَمَّا أَثْبَتَ عرش الرحمن ﷻ وأَثْبَتَ الكرسي على ما جاء في النصوص وما في ذلك من الاستواء على العرش كما يليق بجلال الله ﷻ، بَيَّنَ أنَّ خلق العرش واستواء الرب ﷻ على العرش كما يليق بجلاله وعظمته ليس لحاجَةٍ من الله ﷻ لما خَلَق للعرش، ولكن الله ﷻ هو الغني ﷻ، وهو مستغنٍ عن جميع المخلوقات؛ بل العرش وما دونه مفتقر إلى الرب ﷻ، إذْ ربُّنا ﷻ به تقوم الأشياء.

التعليقات

= ونفاة أهل العلو التعطيل لو فصَّلوا بهذا التفصيل لهدوا إلى سواء السبيل وعلموا مطابقة العقل للتنزيل ولسلكوا خلف الدليل ولكن فارقوا الدليل فضلوا عن سواء السبيل . والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، وغيرها : كيف استوى ؟ فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول..................................=

فلا أحد يقوم ولا شيء يقوم إلاّ بالربّ ﷻ، والعرش من ذلك؛ فإنه مفتقر في قيامه وفي استمراريته وفيما عليه شأنه مفتقر إلى الربّ ﷻ، فالله سبحانه هو الذي يحفظه، وهو الذي بقدرته يحمله ﷻ، إلى غير ذلك.

فإذًا استواء الربّ ﷻ على العرش ليس استواءً كما يظنه الجهلة وأهل البدع لـمّا نفوا الاستواء أنَّ ذلك يقتضي الحاجة إليه، لا وكلاّ؛ بل هذا فِعْلٌ فَعَلَهُ الله ﷻ وصِفَةٌ اتصف الله ﷻ بها، والله سبحانه يتّصف بما يشاء ﷻ وتقدّست أسماؤه، والعرش شَرُفَ وعَظُم؛ لأنَّ الله ﷻ جعله مكانًا لاستوائه عليه ﷻ.

لأجل مخالفة المخالفين ولأجل الرد على جَهَالَةْ الجاهلين قال الطحاوي هنا: **(وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ)** يعني أنَّ الله ﷻ موصوف بالغِنَى المُطْلَق من كل وجه، كما وصف بذلك نفسه في القرآن، وهو مستغن عن أعظم المخلوقات وأعلى المخلوقات وفوق المخلوقات وهو العرش، فاستغناؤه ﷻ عما دون ذلك الخلق العظيم وهو العرش لاشك أنه من باب أولى.

قال رحمه الله **هنا في وصف الله: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ)** وذلك لكمال غنى الرب ﷻ، وكمال جلاله وكمال قدرته سبحانه وكمال قهره، ولعلو ذاته ﷻ وأنه الحي القيوم.

(القيوم) يعني أنَّ كل شيء إنَّمَا قيامه بالله ﷻ، فأي شيء في هذه الدنيا بل أي شيء من مخلوقات الله ﷻ لو تَخَلَّى ربنا ﷻ عنه لباد ولهلك ولما استقام له شأن.

التعليقات

= الشيخ الفوزان لا تتصور أن معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، أنه محتاج إلى العرش كاستواء المخلوق على المخلوق، بل الله عز وجل مستوٍ على العرش، وهو غني عن العرش وما دون العرش.

جميع المخلوقات محتاجة إلى الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾، فهو الذي يمسك العرش، ويمسك السماوات، ويمسك الأرض والمخلوقات، بقدرته وعزته، فهي المحتاجة إليه، وهو غني عنها سبحانه وتعالى، ولا يلزم من كون الشيء فوق الشيء أن يكون الأعلى محتاجًا إلى ما تحته، فالسماوات فوق الأرض وليست محتاجة إلى الأرض.

.... مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ(١)........................

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما **قوله:** (محيط بكل شيء وفوقه)، وفي بعض النسخ: محيط بكل شيء فوقه، بحذف الواو من قوله: فوقه، والنسخة الأولى هي الصحيحة، ومعناها: أنه، تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء. ومعنى الثانية: أنه محيط بكل شيء فوق العرش. وهذه - والله أعلم - إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهوًا، ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة، أو أن بعض المحرفين الضالين أسقطها قصدًا للفساد، وإنكار لصفة الفوقية! وإلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات وليس فوقه شيء من المخلوقات، فلا يبقى لقوله: محيط - بمعنى: محيط بكل شيء فوق العرش، والحالة هذه: معنى! إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحيط به، فتعين ثبوت الواو. ويكون المعنى: أنه سبحانه محيط بكل شيء، وفوق كل شيء...

الشيخ صالح

ولهذا كان من دعاء أعرف الخلق بربه وأعلم الخلق بربه ﷺ أنه يقول: «**ولا تكلني لنفسي طرفة عين**» فهذا فيه التَّخَلِّي عن كل حول وقوة وعن أنْ يُوكَلَ العبد إلى نفسه طرفة عين.

فإذًا كلّ الخلق قيامهم بالله ﷻ، وكل الخلق فقراء إلى الله ﷻ ومن ذلك العرش، والربّ سبحانه هو الغني الحميد المستغني عن كل ما عداه والمفتقر إليه كل شيء ﷻ.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: اختلفت النسخ في هذه الكلمة (وفوقه) ففي نسخة الشارح كما ترى وكذلك في مخطوطتي (أ، ب) ومطبوعة الشيخ ابن مانع وفي مخطوطة (ج) ومطبوعة (خ): (فوقه) بحذف الواو العاطفة وشذت مخطوطة (غ) فوقع فيها (وبما فوقه) ولا شك في شذوذها هي والتي قبلها رواية ومعنى. أما الرواية فلمخالفتها لأكثر النسخ وأما المعنى فقد بينه الشارح بقوله (ص ٣١٤ [٢٨١] والنسخة الأولى هي الصحيحة. ومعناها: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء. ومعنى الثانية أنه محيط بكل شيء فوق العرش. وهذه - والله أعلم - إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهوًا ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة أو أن بعض المحرفين الضالين أسقطها قصدا للفساد وإنكارًا لصفة الفوقية وإلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات وليس فوقه شيء من المخلوقات فلا يبقى لقوله: «محيط» - بمعنى: محيط بكل شيء فوق العرش - والحالة هذه معنى؛ إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما شيء فوق العرش - والحالة هذه معنى إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحيط به فتعين ثبوت الواو ويكون المعنى: أنه سبحانه محيط بكل شيء وفوق كل شيء........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... أما كونه محيطًا بكل شيء، فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾، ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾، وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. وإنما المراد: إحاطة عظمته. وسعة علمه وقدرته، وأنها بالنسبة إلى عظمته كخردلة.

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن - إلا كخردلة في يد أحدكم....

الشيخ صالح

قال: (**مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ**) يعني أنَّ الربّ ﷻ موصوف بإحاطته لكل شيء، وأنَّهُ سبحانه فوق كل شيء. وهذه الإحاطة يأتي بيانها بالتفصيل، ومعناها أنّ الرب ﷻ محيط بصفاته بكل شيء بعظمته ﷻ وبقدرته وبعلمه فهو سبحانه بكل شيء محيط.

قال: (**وَفَوْقَهُ**) يعني أنَّ الله ﷻ موصوف بالعلو المطلق؛ علو الذات والفوقية المطلقة؛ فوقية الذات له سبحانه وكذلك علو وفوقية الصفات.

قال بعدها: (وَقَدْ أَعْجَزَ ﷻ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ) يعني أنَّ الله ﷻ لِعِظَمِ قدرته ولكمالِهِ في غناه لا أحد ولا شيء يحيط به كما قال ﷻ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ **[الأنعام:١٠٣]**، وقال ﷻ لموسى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ **[الأعراف:١٤٣]**.

- فإحاطة الرؤية بالله ﷻ ممتنعة.
- وإحاطة العلم بالله ﷻ ممتنعة.
- وإحاطة القدرة بالله ﷻ ممتنعة.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: محيط بكل شيء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾، وإحاطته بالأشياء: علمه بها، وإلا فالله عز وجل في جهة العلو.

ابن أبي العز الحنفي

.... ومن المعلوم - ولله المثل الأعلى - أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها، عال عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف؟! فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فإنه لا يتجدد به إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره.

وفي حديث أبي رزين المشهور الذي رواه عن النبي ﷺ في رؤية الرب تعالى: فقال له: أبو زرين: كيف يسعنا -يا رسول الله - وهو واحد ونحن جميع؟ فقال: سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: هذا القمر، آية من آيات الله، كلكم يراه مخليًا به، والله أكبر من ذلك، وإذا أفل تبين أنه أعظم وأكبر من كل شيء. فهذا يزيل كل إشكال، ويبطل كل خيال.............

الشيخ صالح

إذًا فالعباد مهما بلغ شأنهم فيما أعطاهم الله من القوة فإنهم أحقر وأضعف وأذل لله ﷻ من أن يحيطوا به ﷻ علمًا أو يحيطوا به وصفًا أو يحيطوا به ﷻ قدرةً إلى آخر ذلك؛ بل هو سبحانه المتصف بصفات الكمال.

وهذا من الطحاوي ﷀ تَقْرِيرٌ لعقيدةٍ عظيمةٍ من عقائد أهل السنة والجماعة مُخَالَفَةً للمعتزلة والخوارج والرافضة والأشاعرة وطوائف كثيرة من الصفاتية ومن غيرهم.

وفي هذه الجملة مسائل لبسط الكلام عليها:

المسألة الأولى:

في قوله: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ)، (مُسْتَغْنٍ) من الغِنَي وهو عدم الحاجة. والله ﷻ سَمَّى نفسه بالغني كما في قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾وفي قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وفي قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] وفي قوله أيضا ﷻ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدا﴾ [النساء: ١٣١]، ونحو ذلك من الآيات، فهو سبحانه موصوف بالغنى، ومن أسمائه الغَنِي.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... وأما كونه فوق المخلوقات، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾.

وقال ﷺ في حديث الأوعال المتقدم ذكره: والعرش فوق ذلك، والله فوق ذلك كله. وقد أنشدعبد الله بن رواحة شعره المذكور بين يدي النبي ﷺ، وأقره على ما قال: وضحك منه، وكذا أنشده حسان بن ثابت ﷺ قوله:

شهدت بإذن الله أن محمدًا	رسول الله الذي فوق السماوات
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما	له عمل من ربه متقبل
وأن الذي عادى اليهود ابن مريم	رسول أتى من عند ذي العرش
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم	يجاهد في ذات الإله ويعدل

فقال النبي ﷺ: وأنا أشهد.

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

استغناؤه ﷻ عن العرش وما دونه يقتضي أنَّ العرش وما دونه محتاج إليه ومفتقر إلى الربّ ﷻ، وهذا له جهتان:

- الجهة الأولى: أنَّ العرش وما دونه مُفْتَقِر لله ﷻ؛ لأنَّهُ لا قَوَامَةَ لَهُ ولا قيام له بنفسه، فهو محمولٌ، له قوائم كما مَرَّ معنا في وصفه، وهو محمول والذي يحمله خَلْقٌ سَخَّرَهُمْ الله ﷻ لحمله وأقْدَرَهُمْ على ذلك، فقدْرَتُهُم في حمل العرش واستقراره وفي بقائه وقيامه إنما هو بقدرة الله ﷻ، فهذا نوع من الحاجة.

- الجهة الثانية: أنَّ كلّ شيء عبدٌ لله ﷻ، ومن ذلك العرش، فالعرش من مخلوقات الله التي تَعْبُدُهُ وتُسَبِّحُهُ وتذِلُ له ﷻ، وكذلك حملة العرش، وكذلك من في السموات ومن في الأرض، وكذلك ما في السموات وما في الأرض، وقد قال ﷻ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وقال أيضًا: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ هذه نكرة جاءت في سياق النفي بـ (إنْ)، لأنَّ (إنْ) هنا بمعنى ما و(إلاَّ) بعدها حاصرة أو قاصرة، فيكون المعنى: ما من شيء إلا يسبّح بحمده.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي سبقت غضبي وفي رواية: تغلب غضبي رواه البخاري وغيره.

وروى ابن ماجه عن جابر يرفعه، قال: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا إليه رءوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾.

فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه.

وروى مسلم عن النبي ﷺ، في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ بقوله: أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء..

الشيخ صالح

والعرش شيء، وتسبيحه بحمد الله ﷻ نوع من الذل والعبودية له ﷻ، والعبودية والذل معنىً من معاني الافتقار إلى الرب ﷻ وتقدست أسماؤه.

وفي هذا تنبيه للعباد بعامة أنّ هذا المخلوق العظيم الذي الكرسي بالنسبة إليه كالحلقة الملقاة في فلاة من الأرض، (والكرسي) والسموات السبع بالنسبة إليه كما جاء في كلام السلف كدراهم سبعة ألقيت في تُرْسْ أو كحلقات ألقيت في ترس، والأرض صغيرة بالنّسبة للسموات، فإنّ هذا يعني أنك أيها العبد أيها الإنسان المخلوق الضعيف الذي تعرف ضعفَك، تنظر إلى العرش الذي هو مفتقر إلى الله ﷻ مُسَبِّحٌ ذالٌّ منيبٌ إلى ربه ﷻ، كيف أنه لا يستغني عن مولاه، وكيف أنه يُسَبِّحُ ويحمد ويَذِلُّ لله ﷻ، فهذا المخلوق الضعيف جدًّا الذي هو الإنسان وأُبتلي بالتكليف لاشك أنه أولى بالذل لله؛ لأنه ضعيف جدًّا ومفتقر للغاية.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... والمراد بالظهور هنا: العلو. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾، أي يعلوه.

فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته، واسمان لعلوه وقربه.

وروى أبو داود عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال رسول الله ﷺ: ويحك! أتدري ما تقول؟ وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك! أتدري ما الله؟ إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته، وقال بأصابعه! مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب....

الشيخ صالح

فإذًا النظر إلى العرش وفَقْر العرش إلى الله ﷻ، وأنَّ قوامَةَ العرش على عِظَمِهِ وعِظَم خلق السموات وضعف نِسْبَةِ خلق السموات إلى العرش جدًّا، كيف الإنسان ينظر إلى نفسه لاشك أنه يستفيد من هذا في قلبه وعمله أنه أولى بالافتقار إلى الله وأولى بالذل إلى الله، وأولى بالعبودية لله ﷻ وتقدّست أسماؤه وهذا من ثمرات التّفكر الشّرعي والنظر في ملكوت السموات والأرض، والنظر أيضًا فيما ذكر الله ﷻ في كتابه من أنواع خلقه التي لم نر ومنها عرشه ﷻ وتقدست أسماؤه.

المسألة الثالثة:

في قول المؤلف هنا في وصف الرب ﷻ: (**مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ**). (**مُحِيطٌ**) هذا الوصف الإحاطة قد جاء وصف الله ﷻ به في القرآن في عدة آيات كما في قوله سبحانه في آخر سورة فُصّلت: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت: ٥٤]، وكذلك في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾ [النساء: ١٢٦]، وكذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ [البروج: ٢٠]، ونحو ذلك، والإحاطة في اللغة: هي الإتيان بالشيء من جميع جهاته.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وفي قصة سعد بن معاذ يوم بني قريظة، لما حكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، فقال النبي ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات.

وهو حديث صحيح، أخرجه الأموي في مغازيه، وأصله في الصحيحين. وروى البخاري عن زينب رضي الله عنها، أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

وعن عمر رضي الله عنه: أنه مر بعجوز فاستوقفته، فوقف معها يحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، حبست الناس بسبب هذه العجوز؟ فقال: ويلك! أتدري من هذه؟ امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة التي أنزل الله فيها. ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾أخرجه الدارمي..............................

الشيخ صالح

يعني من جميع الجوانب يكون مُطَوَّقًا كما في قوله تعالى: ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف: ٢٩]، يعني جاءهم من كل جهة.

وتفسير إحاطة الله ﷻ بكل شيء السلف والمفسرون منهم من يمضي -وهم الأكثر- عن الدخول في هذا الوصف؛ -وصف إحاطة الله ﷻ بكل شيء-، وكأنهم هربوا من أن يُظَنَّ أنَّ الإحاطة إحاطة ذات، كإحاطة الفَلَك بما فيه وإحاطة السموات بالأرض ونحو ذلك.

ولاشك أنَّ معنى إحاطة الذات ليس مُرَادًا؛ فإنّ الله ﷻ فوق مخلوقاته والمخلوقات صغيرة بالنسبة لذات الله ﷻ. و لهذا أعرضوا عن الخوض في تفسيرها.

وفَسَّرَهَا طائفة من العلماء تفسيرًا يوافق ما قاله السلف وما يعتقده أئمة أهل السنة في ذلك بقولهم: إنَّ الإحاطة أنواع:

- إحاطة بمعنى أنها إحاطة عَظَمَة لله ﷻ.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وروى عكرمة عن ابن عباس، في قوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾، قال: ولم يستطع أن يقول من فوقهم؛ لأنه قد علم أن الله سبحانه من فوقهم.

ومن سمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف، وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر. ولا ريب أن الله سبحانه لما خلق لم يخلقهم في ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فتعين أنه خلقهم خارجًا عن ذاته، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم، لكان متصفًا بضد ذلك؛ لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية: السفول، وهو مذموم على الإطلاق؛ لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده.........................

الشيخ صالح

❐ إحاطة بمعنى أنها إحاطة سعة، فالله سبحانه وَصَفَ كرسيه بأنه وسع السموات والأرض ووصف نفسه ﷻ بأنه واسع ﷻ الذي وسع كل شيء.

❐ إحاطة بمعنى أنها إحاطة صفات، إحاطة علم، إحاطة قدرة، إحاطة قهر، إحاطة مُلْك إلى غير ذلك.

فهذه كلها من معاني إحاطة الرب ﷻ عباده، ولهذا أين المفر؟ فكل أحد يُفَرُّ منه إلى غيره؛ ولكن الله ﷻ ولإحاطته بخلقه وإحاطته بجميع ملكوته ﷻ-إحاطة عظمة وسَعَة وقدرة وعلم إلى غير ذلك- فإنّه سبحانه إذا فررت منه فإنك لن تجد إلا أن تفر إليه ﷻ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

ويقول القائل يوم القيامة أين المفر؟ لا مفر من الله إلا إليه. وهذا إذا نَظَرَ إليه العبد مع التَّفكُّرْ وَجَدَ نفسه تتصاغر جدًّا أمام ربه ﷻ، فَيعْظُمُ الإيمان في قلبه، ويعْظُمُ اليقين، ويعْظُمُ توكله على الله، فيأنس بالله ﷻ وبما جاء من الله ﷻ حتى يصير راضيًا بكل ما جاء من الله ﷻ ذالاً لربه ﷻ.

التعليقات

...... فإن قيل: لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها. قيل: لو لم يكن قابلاً للعلو والفوقية لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها، فمتى أقررتم بأنه ذات قائم بنفسه، غير مخالط للعالم، وأنه موجود في الخارج، ليس وجوده ذهنيًّا فقط، بل وجوده خارج الأذهان قطعًا، وقد علم العقلاء كلهم بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك فهو: إما داخل العالم وإما خارج عنه، وإنكار ذلك إنكار ما هو أجلى وأظهر من الأمور البديهيات الضرورية بلا ريب، فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمباينة أظهر منه، وأوضح وأبين.

وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال، لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصًا، ولا يوجب محذورًا، ولا يخالف كتابًا ولا سنة ولا إجماعًا، فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلاً..................

وكلمة (شَيءٍ) في قوله: (بِكُلِّ شَيءٍ) -ذكرنا لكم- أنها تُفسَّر بأنَّ الشيء ما يصح أن يُعْلَمَ أو يؤول إلى أن يُعْلَمْ.

والله ﷻ إحاطته بالأشياء منها -كما ذكرنا- إحاطة علم وإحاطة قدرة، فهو ﷻ عالم بكل شيء، قدير على كل شيء، فإذًا كلمة (كُلِّ شَيءٍ) هنا لأجل ما جاء في الآيات ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ ونحو ذلك لأجل ما جاء في الدليل.

المسألة الرابعة:

وهي أعظم المسائل وأَجَلُّهَا في كلام الطحاوي هذا، وهي قوله في وصف الله ﷻ: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ وَفَوْقَهُ).

كما ذكرتُ لك أنَّ الإحاطة قد يتبادر إلى بعض الأذهان أنها إحاطة ذاتٍ، بمعنى أنَّ الأشياء جميعًا الله سبحانه بذاته محيط بها من كل جهة، وهذه قد نفاها العلماء ولم يجعلوها تفسيرًا للإحاطة؛ لهذا قال بعدها: (وَفَوْقَهُ) يعني أنَّهُ مع إحاطته بكل شيء فهو فوق جميع الأشياء.

....

ابن أبي العز الحنفي

...... فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله، والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله: إلا بذلك؟ فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، التي تقرب من عشرين نوعًا:

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونًا بأداة: من، المعيَّنة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾.

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾.

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾.

وقوله ﷺ: يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم..

الشيخ صالح

والفوقية هنا هي المسألة المشهورة العظيمة في هذه الأمة وهي مسألة علو الله ﷻ على خلقه وفوقية الرب ﷻ على خلقه.

والفوقية بمعنى العُلو، فالآيات التي فيها ذِكْرُ الفوقية تُفَسَّرُ بالعلو، والآيات التي فيها العلو تُفَسَّرُ بالفوقية، ففوقية الرب ﷻ هي علوه سبحانه على جميع خلقه.

وفي قوله: (وَفَوْقَهُ) مسائل لبسط الكلام عليها.

المسألة الأولى:

أنَّ العلو والفوقية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- إلى علو الذات.
- وعلو القهر.
- وعلو القَدْر والشرف.

وكذلك الفوقية:

- فوقية الذات
- وفوقية القهر
- وفوقية القَدْر والشَرَف.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... الرابع التصريح بالصعود إليه. كقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

الخامس التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾. وقوله: ﴿ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾.

السادس التصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾. ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾. ﴿ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

السابع التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾، ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾، ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ١ – ٥]........................

الشيخ صالح

وبعض أهل العلم يقسمها إلى قسمين:

- إلى فوقية الذات.
- وإلى فوقية الصفات

وكذلك العلو:

- علو ذات.
- وعلو صفات.

والأول هو الأكثر في تفسير أهل العلم الذين دوَّنوا شرح عقائد أهل السنة والجماعة.

أولاً: **علو الذات وفوقية الذات**: وهذه معناها أنَّ الله ﷻ فوق جميع الأشياء وأنه الأعلى سبحانه، وهذا هو الذي فسّره به ﷺ، فَفَسَّرَ الآية وهي آية سورة الحديد ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، فسّر ﴿ وَٱلظَّٰهِرُ﴾ فقال: **«وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»** ﷺ.

التعليقات

......الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقولهِ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾، ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾.

ففرق بين من له عمومًا وبين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصًا، وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: أنه عنده فوق العرش.

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون في بمعنى على، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونًا بأداة على مختصًّا بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحبًا في الأكثر لأداة: ثم الدالة على الترتيب والمهلة............

الشيخ صالح

ثانيًا: **فوقية القهر وعلو القهر**: وهذه معناها أنه ﷻ لا يُغْلَب ولا يُرَامُ جنابه؛ بل هو ﷻ هو الذي يَقْهَرُ من عداه، يُمْلِي ويستدرك ويَقْهَر ويَأْخُذُ على غِرَّة، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]، فهو ﷻ عالٍ علو القهر، وهو فوق خلقه فَوقِيَّةَ قهر وجبروت وعظمة للمولى ﷻ.

ثالثًا: **علو القَدْر وفوقية القَدْر**: وهذا المعنى هو الذي يُثْبِتُهُ المبتدعة من العلو فلا ينازعون في علو القَهْرْ والقَدْرْ والشَّرَفْ.

فيقولون: معنى الله فوق خلقه كقول القائل: المَلِكُ فوق شَعْبِهِ، أو الأمير فوق رعيته؛ يعني من جهة قَدْرِهِ، وكقولهم: العالم فوق عامة الناس، من جهة القَدْر، وكقول القائل: الذّهب فوق الحديد؛ يعني من جهة المنزلة والقَدْر. وهذا تفسير ناقص، كما سيأتي في هذه المسائل إن شاء الله تعالى.

التعليقات

..... الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ: «إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا».

والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط - باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داع، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسًّا إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: «أنتم مسئولون عني، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت»، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعًا لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلاً: «اللهم أشهد». فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: «اللهم اشهد»، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذلقة المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين..

المسألة الثانية

العلو والفوقية لله ﷻ ثابت بدليل القرآن والسنة والعَقل والفطرة.

بل قال بعض العلماء: إنَّ في القرآن والسنة ألف دليل لإثبات علو الله ﷻ بذاته وفوقيته بذاته على خلقه.

وهذا يعني أنَّ أمر العلو ومسألة العلو والفوقية من المسائل المتواترة العظيمة التي دلالتها صريحة؛ بل دلالتها نصية فدلالتها إذًا قطعية.

ابن أبي العز الحنفي

......الرابع عشر : التصريح بلفظ: الأين كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بيانًا عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه: «أين الله؟»، في غير موضع.

الخامس عشر : شهادته ﷺ لمن قال: إن ربه في السماء - بالإيمان.

السادس عشر : إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ [غافر: ٣٧]. فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبته فهو موسوي محمدي.........................

الشيخ صالح

ولهذا دخل عدد من أهل العلم؛ بل صَرَّحَ عدد من أهل العلم بتكفير من أنكر علو الله ﷻ على خلقه لأجل عِظَم الأدلة في هذا كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

الأدلة التي دَلَّتْ على علو الله ﷻ على خلقه وعلى أنه سبحانه فوقهم بذاته وصفاته كثيرة جدًّا.

لهذا ابن القيم جعلها أنواع لأجل كثرتها، جعلها ثمانية عشر نوعًا كل نوع تحته جملة من الأدلة في الكتاب والسنة، ونذكر بعضا منها، وترجعون إلى الباقي:

① أنَّ الله ﷻ صرَّحَ سبحانه، ونص على أنه فوق عباده في قوله في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾.

② أنه جاء التصريح بـ﴿مِّن﴾ قبل الفوقية في قوله سبحانه في سورة النحل ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

ومن مقتضيات اللغة أنَّ مجيء (من) قبل الظرف (فوق) تدل بظهور على أنَّ الفوقية فوقية ذات؛ لأنَّ فوقية الصفة أو القَهْر أو القَدْر لا يُؤتى فيها بـ(من)، فلا يُقَال الذهب من فوق الحديد ويُعنى به صفاته، أو الملك من فوق الرعية ويعنى بها من الصفات.

التعليقات

..... السابع عشر: إخباره ﷺ: أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار.

الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى، من الكتاب والسنة، وإخبار النبي ﷺ أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، فلا يرونه إلا من فوقهم، كما قال ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾.

ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم» رواه الإمام أحمد في المسند، وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه..........

إذا أُتيَ بـ(من) في اللغة قبل الظرف (فوق) فإنها تدل على فوقية المكان أو فوقية الذات لله ﷻ. يعني فوقية الذات لأي شيء، وفي الآية فوقية الذات لله ﷻ.

فإذًا قوله سبحانه لما وصف الملائكة بأنَّهم [...] إلى السماء وأنهم يسبحون قال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ يعني الذي هو فوقهم بذاته ﷻ وتقدست أسماؤه.

③ أنه سبحانه ذَكَرَ أنَّ الملائكة تعرج إليه فقال سبحانه: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾ [المعارج: ٤]، عروج الملائكة يعني صعودها، عروج الملائكة يعني ارتقاءها إلى أعلى وإلى فوق، وهذا يدل على فوقية الذات لله ﷻ.

④ أنه سبحانه ذَكَرَ ونصَّ على أنَّ العمل الصالح يصعد إلى الرب ﷻ، والأعمال الصالحة تُرۡفَعُ إليه ﷻ، كما جاء في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، فقوله: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ﴾ يعني لا إلى غيره لأنه سبحانه هو المتفرد بعلو الذات على خلقه جميعًا.

ابن أبي العز الحنفي

..... ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية؛ ولهذا طرد الجهمية الشقين، وصدق أهل السنة بالأمرين معًا، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو مذبذبًا بين ذلكَ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء! وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك!

وكلام السلف في إثبات صفة العلو كثير جدًّا: فمنه: ما روى شيخ الإسلام أبو اسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق، بسنده إلى مطيع البلخي: أنه سأل أبا حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سماواته، قلت: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر؛ وزاد غيره: لأن الله في أعلى عليين، وهو يدعى من أعلى، لا من أسفل. انتهى........................

الشيخ صالح

⑤ أنَّ الله سبحانه ذكَرَ أنَّهُ اختَصَّ بعض عباده بأن جعلهم عنده، ومن ذلك الملائكة، فالملائكة في السماء؛ ولكن هم متنوعون أيضًا في سُكناهم للسماء، فجعل ﷻ بعضهم مختص بأنه عنده سبحانه، وهذه العندية هي عندية علو وفوقية، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، ونحو ذلك من الآيات، فالعندية -عندية الملائكة- يعني كون الملائكة عند الله ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يقتضي أنه سبحانه شرَّفَهُمْ وخَصَّهُمْ بشيء وهو أنهم عنده؛ يعني في عُلاهُ ﷻ.

وكذلك ما وصف الله ﷻ به الشهداء في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ هم بين الخلق جَسَدًا ولكنهم عند ربهم روحًا يعني في العلا تكريمًا لهم وتعظيمًا لأجرهم وثوابهم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته. وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم. وقصة أبي يوسف في استتابة بشر المريسي، لما أنكر أن يكون الله عز وجل فوق العرش: مشهورة، رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره.

ومن تأول فوق، بأنه خير من عباده وأفضل منهم، وأنه خير من العرش وأفضل منه، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم: فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة، وتشمئز منه القلوب الصحيحة!..........

الشيخ صالح

⑥ما ذكر الله ﷻ من تنزيله للكتاب من عنده، كقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١] وكقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]، وكقوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، وكقوله سبحانه: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، ونحو ذلك من الآيات.

وهذه كلها ذكرها ابن القيم تحفظونها؛ لأنها نافعة في الحجاج ومجادلة من ينكرون علو الله ﷻ.

والأنواع كثيرة يمكن أن تطلبوها، وفيها أقوى دلالة وأوضح برهان على أنَّ الله سبحانه هو العالي فوق خلقه بذاته ﷻ.

المسألة الثالثة:

دلالة السنة على فوقية الله ﷻ أيضًا جاءت الأدلة فيها كثيرة جدًّا.

كقوله ﷺ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»، وكقوله: «**والعرش فوق سمواته والله فوق ذلك**» في الحديث الذي مرَّ معنا البحث فيه وأنَّ أهل السنة يستدلون منه بهذا القَدْر لثبوته في أدلةٍ أخرى.

وكذلك قوله ﷺ في حجة الوداع يشير إلى السماء ثم ينكث بإصبعه الأرض: «**اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد**».

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

......فإن قول القائل ابتداء: الله خير من عباده، وخير من عرشه: من جنس قوله: الثلج بارد، والنار حارة، والشمس أضوأ من السراج، والسماء أعلى من سقف الدار، والجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي، والسماء فوق الأرض!! وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه! فكيف يليق بكلام الله، الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا؟! بل في ذلك تنقص، كما قيل في المثل السائر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا ما قيل إن السيف أمضى

ولو قال قائل: الجوهر فوق قشر البصل وقشرالسمك! لضحك منه العقلاء، للتفاوت الذي بينهما، فإن التفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم، بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن كان احتجاجًا على مبطل، كما في قول يوسف الصديق عليه السلام: ﴿ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾...............

الشيخ صالح

وكذلك قوله ﷺ في حديث الجارية لما سألها «أين الله؟» قالت: في السماء. قال ﷺ لسيدها «أعتقها فإنها مؤمنة»، والأدلة على علو الله ﷻ في السنة كثيرة.

المسألة الرابعة:

وهي في الدّلالة العقلية، دلالة العقل على علو الله ﷻ بذاته على خلقه.

ودلالة العقل متنوعة وكثيرة؛ لكن نكتفي منها بدليل عقلي واحد، وهو أنّ الله ﷻ موجود ﷻ بالاتّفاق، يعني كل من أثبت الله ﷻ أثبت وجوده، حتى جهم الذي ينفي جميع الصفات يثبت وجود الله ﷻ.

فنقول لجميع هذه الفئات أنّ الوجود قَدْرٌ مشترك، فالله ﷻ موجود، وخلق الله ﷻ أيضا موجودون. وهذان الوجودان إما أن يتمايزا وإما أن يتداخلا، فإن تداخلا -يعني صار أحدهما داخل الآخر-: إما أن يكون الخَلْقُ محيطون والله ﷻ في داخل خلقه. وإما أن يكون الخَلْقُ في داخل الله ﷻ.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات.

ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص، وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه.

فإن قالوا: بل علو المكانة لا المكان؟ فالمكانة: تأنيث المكان، والمنزلة: تأنيث المنزل، فلفظ المكانة والمنزلة تستعمل في المكانات النفسانية والروحانية، كما يستعمل لفظ المكان والمنزل في الأمكنة الجسمانية، فإذا قيل: لك في قلوبنا منزلة، ومنزلة فلان في قلوبنا وفي نفوسنا أعظم من منزلة فلان، كما جاء في الأثر: إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه.

فقوله: (منزلة الله في قلبه): هو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك..........

الشيخ صالح

خَلْق الله ﷻ والكائنات منها أشياء مستقبحة ومستقذرة وقبيحة مثل النجاسات، ومثل القاذورات، ومثل الأشياء التي لا يُصَرَّحُ بها ونحو ذلك استقذارًا واستهجانًا وبعض المخلوقات السيئة ونحو ذلك، وهذه لا أحد – من جميع من يبحث هذه المسائل- يقول بجواز أن تكون في داخل الله ﷻ.

فإذًا تَحَصَّلَ الأمر إلى أنَّه يتعَيَّن أن يكون الله ﷻ عاليًا على خلقه، لأنَّ الاختلاط يقتضي هذا المعنى العقلي الفاسد، وكون الله ﷻ في داخل خلقه هذا فيه نَقص لله ﷻ.

وهذا برهان عقلي صحيح ؛ وذلك لأنه مبني على مقدمتين وهاتان المقدمتان إثباتهما مُشْتَرَك بين جميع الجهات:

– المقدمة الأولى: وجود الله ﷻ.

– المقدمة الثانية: تنزه الله ﷻ عن أن يكون في داخله شيء مما يُسْتَقْبَح أو يُسْتَقْذَر.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... فإذا عرف أن المكانة والمنزلة: تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرع على المذكر في اللفظ والمعنى، وتابع له، فعلو المثل الذي يكون في الذهن يتبع علو الحقيقة، إذا كان مطابقًا كان حقًّا، وإلا باطلًا.

فإن قيل: المراد علوه في القلوب، وأنه أعلى في القلوب من كل شيء. قيل: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء، فإن لم يكن عاليًا بنفسه على كل شيء، كان علوًّا، في القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى...

الشيخ صالح

المسألة الخامسة:

وهي في الدليل الفطري، والدليل الفطري لعلو الله ﷻ هو أنه كل أحد يحس من فطرته سواء عَلِمَ الدين أو لم يعلم الدين، عُلِّم أو لم يُعلَّم أنَّ قلبه عند الحاجة وعند الرّغب إلى لله ﷻ وعند اقتطاع الأسباب وبقاء لطف الله ﷻ أنه يتجه القلب إلى العلو، وهذا شيء فطري مغروس في الإنسان.

ولهذا ذَكَرَ شارح الطحاوية وقد نقله أيضًا غيره قصة الزاهد الأثري الهمذاني مع أبي المعالي الجويني الذي يُلَقَّبُ بإمام الحرمين، حيث ذكر إمام الحرمين في درسه نَفْيَ علو الله ﷻ على خلقه -علو الذات- وأنَّ المراد بذلك علو القهر وعلو القدر.

فقال له: الشيخ الهمذاني: يا أستاذ -وكلمة أستاذ في الزمن الأول تطلق على من أجاد فنًّا من الفنون، وأما كلمة الشيخ فتطلق على من له مكانة وديانة وورع وخوف من الله ﷻ-، فقال له: يا أستاذ -لإجادته فن الكلام- أخبرني عن هذه الضرورة التي أجدها في نفسي وهي أني أطلب العلو إذا احتجت إلى الله ﷻ.

فقال أبو المعالي: حيرني الهمذاني، حَيَّرَني الهمذاني؛ لأنَّ قوله بنفي العلو لله ﷻ هذا منافٍ للفطرة، فلما استدل عليه بالفطرة قال: حيرني الهمذاني.

وقد ذكر بعض من صَنَّفَ في الرحلات كما ذكرته لكم في هذه الدروس، ذَكَرُوا أنَّ وَفْدًا من الخليفة العباسي ذَهَبَ إلى روسيا يعني إلى بلاد الترك التي هي روسيا الآن، وقالوا: وجدنا أناسًا لا يعبدون الله ﷻ وليس عندهم رسالة يريدون أن يشرحوا لهم الإسلام.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع، ثابت بالعقل والفطرة، أما ثبوته بالعقل فمن وجوه:

أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما ساريًا في الآخر قائمًا به كالصفات، وإما أن يكون قائمًا بنفسه بائنًا من الآخر.

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجًا عن ذاته، والأول باطل: أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانيًا: فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. والثاني يقتضي كون العلم واقعًا خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة؛ لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه - غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه: يقتضي نفي وجوده بالكلية، لأنه غير معقول: فيكون موجودًا إما داخله وإما خارجه، والأول باطل فتعين الثاني، فلزمت المباينة...

الشيخ صالح

قالوا: ولكنا وجدناهم أنهم إذا أصابتهم شدة وعواتي إما من المطر ونحوه ومن قحط ونحو ذلك خرجوا إلى الفلاة ورفعوا أيديهم إلى السماء ونظروا إلى السماء يهمهمون، كأنهم يطلبون الفرج مِمَنْ هو في السماء، وهذا أمر مركوز في الفطرة كما ذكرنا لك.

إذًا دليل علو الله ﷻ وفوقية الرب ﷻ دليل من القرآن والسنة -ومن العقل- ومن الفطرة.

المسألة السادسة:

هي أنَّ نفاة العلو لربنا ﷻ يُعْنَى بهم من ينفي علو الذات لربنا ﷻ. أما علو القَهْر والقَدْر فهذا يُثْبِتُهُ الجميع، فإذا قيل نفاة العلو فيُعْنَى بهم من ينفي علو الذات لله ﷻ.

والذين نَفَوا علو الذات لربنا ﷻ خالفوا الأدلة التي ذكرناها لكم من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، وأيضًا احتجوا هم بأدلةٍ عقلية لنفي علو الله ﷻ، تعالى الله عن قولهم.

التعليقات

....

ابن ابي العز الحنفي

..... وأما ثبوته بالفطرة، فإن الخلق جميعًا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى.

وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل! وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمداني حيرني! أراد الشيخ: أن هذا أمر فطر الله عليه عباده، من غير أن يتلقوه من المرسلين، يجدون في قلوبهم طلبًا ضروريًّا يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو..........

الشيخ صالح

والدليل العقلي الذي من أجله نفوا صفة العلو لله ﷻ قالوا: إنَّ عُلُوَّ الذات يعني أنَّ الله ﷻ عالٍ على خلقه بذاته هذا يقتضي أن يكون في جهة؛ لأنَّ العلو أحد الجهات الست، والجهات الستّ هي أمام خلف يمين شمال تحت وفوق، فإثبات الفوقية وإثبات العلو يقتضي أن يكون الرحمن ﷻ في جهة من الجهات، وإثبات الجهة -على أصلهم- يقتضي أنه جسم.

طيب إذا كان جسمًا عندكم، بحسب تأويلكم، هل هذه النهاية؟ قالوا: لا، إذا كان جسمًا، إذا وصلنا إلى هذا فمعناه أننا نبطل الدليل الذي أثبتنا به وجود الرب ﷻ.

ما معنى هذا الكلام؟ معناه أنَّ الجهمية والمعتزلة، ومن نحا نحوهم أثبتوا وجود الرب ﷻ عن طريق حلول الأعراض في الأجسام، وقالوا:

إنَّ جعل الجسم مُحْدَثًا له مُحْدِث إنَّمَا تَبيَّنَّاه بأنْ أثبتنا أنَّهُ جسم، وكيف أثبتنا أنّه جسم؟

قالوا: بحلول الأعراض فيه. حلول الأعراض فيه إيش معناها؟

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... قد اعترض على الدليل العقلي بإنكار بداهته ؛ لأنه أنكره جمهور العقلاء، فلو كان بديهيًا لما كان مختلفًا فيه بين العقلاء، بل هو قضية وهمية خيالية؟

والجواب عن هذا الاعتراض مبسوط في موضعه، ولكن أشير إليه هنا إشارة مختصرة، وهو أن يقال: إن العقل إن قبل قولكم فهو لقولنا أقبل، وإن رد العقل قولنا فهو لقولكم أعظم فإن كان قولنا باطلاً في العقل، فقولكم أبطل، وإن كان قولكم حقًا مقبولاً في العقل، فقولنا أولى أن يكون مقبولاً في العقل..

الشيخ صالح

معناها أنَّ هذا الجسم يتصف بصفات لا تُرَى، يحل فيه أشياء تُغَيِّرُهُ وتُسَمَّى الأعراض، تَعرِضُ له وتزول عنه، فمثلاً البرودة هذا عَرَض على حد كلامهم، والحرارة عَرَض، أيضًا الانتقال عَرَض، التقدم والتأخر عَرَضٌ، الانخفاض عَرَض، العلو عَرَض.

فهذه الصفات يجعلونها أعراض، وهذه الأعراض إنما تقوم بالأجسام.

فلمّا كان الجسم لا يقوم بنفسه، يحتاج إلى أعراض حتى تُمَيِّزَه وحتى يكون فاعلاً، استدللنا على أنّه يُفْعَلُ به ؛ لأنه هُوَ لم يجلب الأعراض بنفسه في الجسم، وإنّما جُلِبَتْ إليه فمعناه أنه محتاج فقير يُفعَلُ به.

فإذًا ثَمَّ فاعل وثَمَّ مُحْدِث إلى آخره. فاستقام لهم بهذا أنَّ جميع الأجسام الموجودة ثَبَتَتْ جِسْمِيَّتُهَا بحلول الأعراض فيها، وما دام أنّه حلّت الأعراض فيها فثَمَّ من أَحَلَّ الأعراض فيها وأوجد الأعراض فيها والتي منها العلو والنزول والتقدم والتأخّر والمشي والهرولة والأخذ والرّد إلى آخره. فلهذا جعلوا هذا قاعدة -تنتبه لها- فيما نفوا من الصفات.

يقولون: الدليل العقلي يُبطل الاتصاف بهذه الصفة، أي دليل عقلي؟ هو الدليل العقلي الذي هو حلول الأعراض في الأجسام الذي به أثبتوا أنّ الله ﷻ موجود.

فإذًا قالوا: لو أثبتنا العلو، لو أثبتنا أنَّ الله عالٍ بذاته ﷻ، لعَادَ هذا الإثبات على دليلنا بالإبطال ؛ لأننا أثبتنا حدوث الأجسام بالأعراض.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... فإن دعوى الضرورة مشتركة، فإنا نقول: نعلم بالضرورة بطلان قولكم، وأنتم تقولون كذلك، فإذا قلتم: تلك الضرورة التي تحكم ببطلان قولنا هي من حكم الوهم لا من حكم العقل؟ قابلناكم بنظير قولكم، وعامة فطر الناس -ليسوا منكم ولا منا- موافقون لنا على هذا، فإن كان حكم فطر بني آدم مقبولاً ترجحنا عليكم، وإن كان مردودًا غير مقبول بطل قولكم بالكلية، فإنكم إنما بنيتم قولكم على ما تدعون أنه مقدمات معلومة بالفطرة الآدمية، وبطلت عقلياتنا أيضًا، وكان السمع الذي جاءت به الأنبياء معنا لا معكم، فنحن مختصون بالسمع دونكم، والعقل مشترك بيننا وبينكم.

فإن قلتم: أكثر العقلاء يقولون بقولنا؟ قيل: ليس الأمر كذلك، فإن الذين يصرحون بأن صانع العالم شيء موجود ليس فوق العالم، وأنه لا مباين للعالم ولا حال في العالم: طائفة من النظار، وأول من عرف عنه ذلك في الإسلام جهم ابن صفوان وأتباعه..

الشيخ صالح

طيب هذا عَرَضْ وهذه صفة تدل على أنه في جهة، وإذا صار في جهة معناه أَنَّهُ متحيّز، وإذا صار متحيز معناه أَنَّهُ جسم، إذا صار علوًّا أيضًا عَرَضْ حلَّ في جسم، إذا صار جسمًا معناه أنَّ ثمة شيئًا فَعَلَ به، فهذا إبطال للربوبية وتوحُّد الله ﷻ في الخلق.

ولهذا نفوا كل صفة من الصفات تكون من الأعراض أو تكون من الحوادث.

ولهذا يَتَّسِم الصفاتية عمومًا؛ بل وجَهْم قبلهم وهو الذي أنشأ هذا البرهان الباطل يَتَّسِمون بهذه السمة وهي أنهم يقولون: الدليل العقلي يمنع الاتصاف بهذه الصفة، ويعنون به الدليل العقلي على إثبات وجود الله ﷻ.

وهذه الجملة اليسيرة فصَّلتها لكم أظن في أحد الشروح أظن في شرح الواسطية بتفصيل، وهي سبب ونشأة القول بنفي الصفات، كيف ظهر القول بنفي الصفات؟

لماذا اختلفت الأمة؟ وما هو منشأ الضلال فيها؟ وكيف تَفَرَّعَتْ؟ ذكرناها لكم أظن في دروس الواسطية أو في غيرها.

التعليقات

...... واعترض على الدليل الفطري: أن ذلك إنما لكون السماء قبلة للدعاء، كما أن الكعبة قبلة للصلاة، ثم هو منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض! وأجيب على هذا الاعتراض من وجوه:

أحدها: أن قولكم: إن السماء قبلة للدعاء - لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحث للداعي أن يستقبل القبلة، وكان النبي ﷺ يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة، فمن قال: إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو أن له قبلتين: إحداهما الكعبة والأخرى السماء: فقد ابتدع في الدين، وخالف جماعة المسلمين.....

إذًا فالشّبهة التي من أجلها نفوا العلو، هي أنَّ العلو جهة، وكون الرحمن في جهة معناها أَنَّهُ مُتَحَيِّز، فإذا كان مُتَحَيِّزًا فمعناه أنه جسم ... إلى آخره؛ وهذه كلها ناشئة من اعتقادهم صحة الدليل الأول.

والدليل الأول الذي هو إثبات وجود الرب ﷻ عن طريق حلول الأعراض في الأجسام لا نُسَلِّمُهُ، نقول هذا دليل أصلاً باطل ودليل غير صحيح ولا يستقيم لإثبات وجود الرب ﷻ.

بل أعظم إثبات لوجود الرب ﷻ هو الدليل القرآني وهو قول الرب ﷻ في كتابه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥- ٣٦]، ليس ثَمَّ إلا احتمالان:

- إما أن تكون خالقًا. - أو مخلوقا.
- والسموات والأرض إما أن تكون خالقة - أو مخلوقة.

ابن أبي العز الحنفي

..... الثالث: أن القبلة: هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء، والذكر والذبح، وكما يوجه المحتضر والمدفون، ولذلك سميت وجهة.

والاستقبال خلاف الاستدبار، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازًا؛ فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازًا، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقل السماء بوجهه، بل نهوا عن ذلك..............................

الشيخ صالح

تكون خالقة هذا ممتنع لأدلة كثيرة، فلابد أن تكون مخلوقة. كذلك الشجر، كذلك النبات، كذلك المياه، كذلك أجزاء بدنك، كذلك كل تنظيم تراه ثَمَّ احتمالان:

- إما أن يكون خالقًا.
- وإما أن يكون مخلوقًا.

والأدلة على إثبات وجود الله ﷻ وأنه سبحانه المتفرّد بتصريف الملك أكثر من أن تُحْصَر وفطرة الإنسان تأبى أن يقول بغير ذلك.

المقصود هذه شُبْهَةْ من نَفَى العلو، ولهذا نقول لهم: إِنَّهُم بنوا بنيانهم هذا على شفا جُرُفٍ هار، بَنَوهُ على قاعدة باطلة وعلى مقدمة باطلة، فَيُرَدُّ عليهم بإبطال مقدمتهم.

يعني هذا من جملة أدلتهم العقلية، ثَمَّ أدلة متنوعة من يريد المزيد يرجع لها في المطولات.

المسألة السابعة:

ثَمَّ كلمة عند المتكلمين وطائفة من نُفَاة العلو وهي أنهم يقولون: **إنَّ السّماء قبلة الدعاء.**

إذا قال لهم قائل: فطرة الإنسان أَنَّهُ إذا أراد أن يدعو اتَّجَهَ إلى السماء؛ قالوا: هذا لأنَّ السماء قبلة الدعاء.

التعليقات

....

..... ومعلوم أن التوجه بالقلب، واللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري، يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل، وأكثر ما يفعله المضطر والمستغيث بالله، كما فطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله، مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة.

وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز في الفطر، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض؛ فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا أن يميل إليه إذ هو تحته! هذا لا يخطر في قلب ساجد، لكن يحكى عن بشر المريسي أنه سمع وهو يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل!! تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا. وإن من أفضى به النفي إلى هذه الحال حري أن يتزندق، إن لم يتداركه الله برحمته، وبعيد من مثله الصلاح، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾..

الشيخ صالح

وهذه الكلمة ربما ردَّدَها بعض المنتسبين إلى السنة قالوا: إنَّ السماء قبلة الدعاء.

وهذا باطل، الكلمة هذه باطلة، فالسماء ليست قبلة الدعاء، فأعظم الدعاء الصلاة، والصلاة سُمِّيَتْ صلاةً لما فيها من دعاء العبادة ودعاء المسألة، ومع ذلك جُعِلَت قبلة الصلاة إلى بيت الله ﷻ الحرام، فقبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، وهي قبلة الميّت التي يُوَجَّهُ إليها عند احتضاره و يُوَجَّهُ إليها عند دفنه، وهي مكة أو الكعبة التي شرّفها الله ﷻ.

فإذًا لا يصح قول من يقول: إنَّ السماء قبلة الدعاء، بل المشروع للدَّاعِي أنَّهُ إذا أراد أن يدعو أن يتوجه إلى القبلة، هذا أكمل حالات الدعاء، إذا دعا يتوجه إلى القبلة، ثُمَّ إذا رفع يديه فإنه يرفعها ويتجه ببصره وقلبه إلى القبلة، يتجه بوجهه وببصره إلى القبلة، قد يرفع وجهه إلى السماء، مثل ما حصل فالنّبي ﷺ في بدر رفع يديه شديدًا حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فقال له أبو بكر: «يا رسول الله مهلاً بعض مناشدتك ربك فإنه منجزٌ لك ما وعدك».

التعليقات

....

.... **وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلْقَهُ**(١)..........................

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ ﴾، فمن لم يطلب الاهتداء من مظانه يعاقب بالحرمان. نسأل الله العفو والعافية.

وقوله: (وقد أعجز عن الإحاطة خلقه) — أي: لا يحيطون به علمًا ولا رؤية، ولا غير ذلك من وجوه الإحاطة، بل هو سبحانه محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء..

الشيخ صالح

ورَفْعُ وَجْهِهِ هذا لأجل الإلحاح في طلب الفرج من الله ﷻ، وليس لأجل أنَّ السّماء قبلة؛ لأنَّ أكثر دعاء النبي ﷺ لا يرفع فيه وجهه إلى السماء؛ بل في الصلاة -وهي دعاء- نهى فيها نبينا ﷺ عن رفع البصر إلى السماء.

المسألة الثامنة:

في قول الطحاوي رحمه الله: **(وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلْقَهُ)** الإحاطة المقصود بها: إحاطة الخلق بالله ﷻ.

فالخلق لا يحيطون بالله ﷻ لا بذاته ولا بصفاته. والإحاطة لا تعني عدم العلم بالشيء وإنما تعني العلم الكلّي به أو الإحاطة به من جميع جهاته سواء كان من الصفات أم من غيرها فالله ﷻ أعظم وأجلّ أن يحيط به أحد من خلقه ﷻ لا في ذاته ولا في صفاته؛ بل هو الذي يحيط بكل شيء سبحانه ولا يحيط به شيء، بل **(أَعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلْقَهُ)** يعني في قوله سبحانه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾، ونحو ذلك من الأدلة.

الإحاطة ذكرنا لكم معناها -أظن في أول الكلام.

وحاصل المعنى أنَّ الإحاطة -يعني في اللغة- هي إدراك الشيء من جميع جهاته. وقد يكون هذا الشيء معنىً وقد يكون ذاتًا. فالله ﷻ ذكر أنّ عباده لا يحيطون به علمًا وهذا لكمال صفاته ﷻ وعجز البشر عن أن يدركوا تمام صفاته.

ومن جهة اللغة إحاطة الذات كما في قوله ﷻ: ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف: ٢٩]، يعني صار من جميع الجهات.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: فالله سبحانه وتعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، فالله محيط بكل شيء علمًا ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾.

.... وَنقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا(١)..

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (ونقول: ان الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليمًا، إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا).

ش: قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾. الخلة: كمال المحبة.

وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين، زعمًا منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم، كما تقدم، وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط، خطب الناس يوم الأضحى فقال: أيها الناس ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا، ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم، فجزاه الله عن الدين وأهله خيرًا...

الشيخ صالح

فإدراك الشيء من جميع جهاته المعنوية أو الذاتية يقال له في اللغة العربية: إحاطة؛ ولهذا سَمَّى بعض علماء الاختصاص البحار العظيمة محيطات لأجل المعنى اللغوي في أنها تحيط ببقع كبيرة من الأرض من جميع جهاتها.

الإعجاز: كونه ﷻ **(أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)** هذا في الدنيا وفي الآخرة. فالخلق لا يحيطون بالله ﷻ علمًا في الدنيا، وكذلك المؤمنون إذا رأوه يوم القيامة فإنها رؤية بصر، رؤية عين، وليست رؤية إحاطة ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ ﷻ.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: مِن عقيدة المسلمين أن الرسل أفضل الخلق وأن الرسل يتفاضلون فهم يعتقدون أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾، والخلة هي أعلى درجات المحبة، فالله جل وعلا يحب عباده المؤمنين والمتقين والمحسنين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين، ولكن الخلة لم يحصل عليها إلا اثنان من العالم: إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلاً»..........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وأخذ هذا المذهب عن الجعد - الجهم بن صفوان، فأظهره وناظر عليه، وإليه أضيف قول: الجهمية.

فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد، وظهر قولهم في أثناء خلافة المأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام، ودعوهم إلى الموافقة لهم على ذلك. وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة، وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلاً وموسى كليمًا، لأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني ... ولذا سمي الخليل خليلاً

ولكن محبته وخلته كما يليق به تعالى، كسائرصفاته. ويشهد لما دلت عليه الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»، يعني نفسه..................................

الشيخ صالح

قال بعدها ﷺ: (**وَنقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا**) يريد بذلك أنّ أهل السنة والجماعة المتّبعين لسلف هذه الأمة وأئمة الحديث والعلم أنهم يُصدِّقون ويؤمنون بما أخبر الله ﷻ في كتابه من صفاته ومن اصطفائه لبعض خلقه، ومن ذكر الغيبيات بأنواعها كما قال سبحانه في وصف أهل الإيمان: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣]، فكل الغيب يؤمن به أهل السنة والجماعة دون تفريق ما بين مسألة ومسألة ودون خوض في التأويل بما يصرفها عن ظاهرها.

التعليقات

= ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، ففضل بعض النبيين على بعض، وإن كانوا كلهم بالمرتبة العليا، لكن الله جل وعلا فضل بعضهم على بعض ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾، فكل نبي يعطيه الله عز وجل تفضيلا خاصًا به، فضل إبراهيم ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام بالخلة، وفضل موسى بأنه كلمه تكليمًا بدون واسطة الملك، وسمع موسى كلامه، ناداه سبحانه وناجاه؛ والمناداة: الصوت المرتفع...=

ابن أبي العز الحنفي

..... وفي رواية: «إني أبرأ إلى كل خليلٍ من خلته، ولو كنت متخذًا من أهلِ الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً». وفي رواية: «إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلاً».

فبين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً، وأنه لو أمكن ذلك لكان أحقَّ الناس به أبو بكر الصديق. مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصًا، كقوله لمعاذ: «والله إني لأحبك». وكذلك قوله للأنصار.

وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ، وابنه أسامة حبه. وأمثال ذلك. وقال له عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها...

الشيخ صالح

وقد ذكر الله ﷻ لنا في القرآن أنَّهُ تَّخَذَ إبراهيم خليلاً.

قال سبحانه في سورة النساء: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وكذلك اتخذ نبينا ﷺ خليلاً وكَلَّمَ الله ﷻ موسى تكليمًا، كلَّمَهُ فَسَمِعَ موسى كلام الربّ ﷻ، وكذلك ربنا ﷻ كلم نبينا محمدًا ﷺ تكليمًا ليلة المعراج، فجمع الله ﷻ لنبينا ﷺ ما اختص به إبراهيم وما اختص به موسى من بين أهل زمانهم فجعله ﷺ كليمًا خليلاً.

هذه الجملة وهي (وَنقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) دُوِّنَتْ في العقائد لأجل مخالفة الجهمية والجعدية وأشباه هؤلاء في إثبات خُلّة الله ﷻ وفي إثبات الكلام لله ﷻ.

ومن أعظم المقالات شناعة في الإسلام مقالة الجعد بن درهم الذي زعم أنَّ الله ﷻ لم يتّخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلّم موسى تكليمًا فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير مكة يوم عيد الأضحى تقربًا إلى الله ﷻ بإراقة دم ذلك الكافر الذي كذَّبَ الله ﷻ وكَذَّبَ رسوله ﷺ.

التعليقات

= والمناجاة: الصوت الخفي، كل هذا حصل لموسى عليه الصلاة والسلام، وهذه فضيلة لم يحصل عليها غيره، وقال: ﴿تَكۡلِيمًا﴾ للتأكيد، حتى لا يقول أحد: إن هذا مجاز، فلما أكده بالمصدر، دل على أنه تكليم حقيقي من الله عز وجل، وهذا فيه إثبات الكلام لله عز وجل، وفيه إثبات الفضيلة لموسى عليه الصلاة والسلام على غيره من النبيين في هذه الخصلة، ولا يلزم إذا كان عند نبي من الأنبياء ميزة خاصة أن يكون أفضل من غيره على الإطلاق، بل هو أفضل من غيره من الأنبياء في هذه الخصلة.

...... فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكمالها يكون محبًّا لذاته، لا لشيء آخر؛ إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة، لتخللها المحبة، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب.

ولذلك لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولدًا صالحًا، فوهب له اسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه، ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله، فظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إيثارًا لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم؛ لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح نفسه مفسدة، فنسخ في حقه، وصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة.........

الشيخ صالح

وهذه المقالة وَرِثَهَا الجهمية، ثم وَرِثَهَا من يُؤَوِّل الصفات فينفون صفة الخُلَّة وينفون صفة الكلام لله ﷻ.

قوله: (إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا) هذه الكلمات الثلاث متغايرة، فالإيمان والتّصديق والتّسليم تتداخل، فمن آمن فقد سَلَّم، ومن صَدَّقَ فقد آمن، ومن آمن فهو مُصَدِّق؛ ولكن من جهة الحقيقة فإنّ المؤمن -يعني من قال هذا الكلام إيمانًا به- قد يكون إيمانًا لكن ليس تصديقًا باتخاذ الخلة كقول المفوضة فإنهم يؤمنون باللفظ وبالآية دون التصديق بالمعنى الذي فيه، والتّسليم تسليمٌ بأن الله ﷻ يتصف ﷻ بالصفات، نُسَلِّمُ لربنا ﷻ ما اتصف به من صفات الجلال والكمال والمحبة والخلة إلى آخر ذلك.

التعليقات

...... وكما أن منزلة الخلة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ كما تقدم، كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء.

وهنا سؤال مشهور، وهو: أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ، فكيف طلب له من الصلاة مثل ما لإبراهيم، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟ وكيف الجمع بين هذين الأمرين المتنافيين؟ وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة عديدة، يضيق هذا المكان عن بسطها.

وأحسنها: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حصل لآل محمد ما يليق بهم؛ لأنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لمحمد ﷺ، فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره......

فإذًا (إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا) ظاهرها التقارب في المعنى، والذي يظهر أنه أراد لكل كلمة معنى أخص. هذه الجملة فيها مسائل تفصيلية:

المسألة الأولى:

الله ﷻ اتخذ إبراهيم خليلاً، بمعنى أنه ﷻ اتَّصَفَ بأنه أَحَبَّ إبراهيم عليه السلام، وأَحَبَّهُ حتى جعله خليلا له وهو الحِبُّ الخاص.

والمحبة هي القَدْر المشترك بين معان كثيرة، وقد ذكر ابن القيم وجماعة أنَّ المحبة لها عشر مراتب وفصَّلوها؛ لكن هذا لا يعنينا في هذا المقام، وإنما الذي يعني أنَّ الخلة أخص من المحبة.

فصفة محبة الرب ﷻ لعباده المؤمنين هذه ثابتة بالكتاب والسنة في أحاديث كثيرة وفي آيات كثيرة، كقول الله ﷻ: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهذه محبة الرب ﷻ لهؤلاء، وكذلك في صفات من يُحِبُّهُم الله ﷻ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ونحو ذلك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وأحسن من هذا: أن النبي ﷺ من آل ابراهيم، بل هو أفضل آل ابراهيم، فيكون قولنا: كما صليت على آل ابراهيم - متناولاً الصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم وهو متناول لإبراهيم أيضًا.

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

فإبراهيم وعمران دخلا في آل ابراهيم وآل عمران، وكما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾. فإن لوطًا داخل في آل لوط.

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة: ٤٩] وقوله: ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ فإن فرعون داخل في آل فرعون.

ولهذا والله أعلم، أكثر روايات حديث الصلاة على النبي ﷺ إنما فيها كما صليت على آل إبراهيم..

الشيخ صالح

فالمحبة صفة جاءت في أدلة كثيرة، كذلك في السنة كما في حديث سهل بن سعد المعروف أنَّ النبي ﷺ لمَّا ذَكَرَ في فتح خيبر قال: **«لأعطين الراية غدًا رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه»** فكان علي بن أبي طالب ﷺ.

فصفة المحبة ثابتة، أما الخُلَّة فهي محبة خاصة، ولذلك كل من نَفَى المحبة فإنه ينفي الخُلَّة؛ لأنَّ الخُلَّة أخص، وليس كل من نَفَى الخُلَّة فإنه ينفي المحبة؛ لأنهم قالوا: إنَّ الخلة تتخلل النفس وفيها نوع من المعنى الذي لا يليق بالرب ﷻ.

ولهذا نقول: إنَّهُ في صفات الرب ﷻ لما ثَبَتَتْ صفة المحبة بالكتاب والسنة فإنَّ صفة الخُلَّة واتخاذ إبراهيم عليه السلام خليلاً واتخاذ محمدٍ ﷺ خليلاً كما في حديث **«ولكن صاحبكم خليل الرحمن»** هذا في المعنى واحد؛ لأنَّ أصل الصفة وهي المحبة ثابت باضطراد.

فالخلة محبة خاصة نثبتها كما جاء في الكتاب والسنة.

التعليقات

....

...... وفي كثير منها: كما صليت على إبراهيم ولم يرد: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إلا في قليل من الروايات وما ذلك إلا لأن في قوله: كما صليت على إبراهيم، يدخل آله تبعًا.

وفي قوله: كما صليت على آل إبراهيم، هو داخل آل إبراهيم.

وكذلك لما جاءأبو أوفى ﷺ بصدقة إلى النبي ﷺ دعا له النبي ﷺ وقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى». ولما كان بيت إبراهيم عليه السلام أشرف بيوت العالم على الإطلاق، خصهم الله بخصائص:

منها: أنه جعل فيه النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من أهل بيته.

ومنها: أنه سبحانه جملهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة، فكل من دخل الجنة من أولياء الله بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم............

الشيخ صالح

المسألة الثانية:

أنَّ صفة المحبة والخُلَّة ثبَتَتْ في النصوص، أما غَيْرُهَا من معاني المحبة إذا لم يجئ في الدليل فإنه لا يُثْبَتُ لله ﷻ، وكذلك ينبغي أن لا يستعمله العبد في حُبِّهِ لله ﷻ تعبيرًا عن ذلك.

ويُمثِّل العلماء على ذلك بلفظ العشق، حيث إنه معلوم أنَّ العشق محبة عظيمة واستعمله الصوفية بأنَّ فلانًا يعشق الله أو هذا عاشق الرحمن أو مات من العشق ونحو ذلك من الكلمات التي يتداولونها.

والعشق لا شك أنه محبة خاصة وزائدة؛ لكن هل يُطلق على أنَّ العبد، يعشق الله؟ أو أنّ الله ﷻ يعشق عبده؟ هذا اللفظ لم يأتِ به الدليل لا في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة ولا في أقوال كبار التابعين إلى أن جاءت الصوفية.

وسبب المنع من إطلاق هذا اللفظ في صفات الله ﷻ، أو أن يقول العبد هذا عاشق أو هذا شهيد العشق الإلهي ونحو ذلك من الألفاظ الباطلة، أنّ العشق حتى في عُرْفِ أهل اللغة وعند العرب لا يخلو من تَعَدٍّ، فالذي تصل به المحبة إلى حد العشق فإنه إذا عَشِقَ فلا بد أن يكون ثَمَّ تعدٍّ معه، إما تَعَدٍ على نفسه بالإيغال في هذه المحبة حتى العشق، وإما أن يوصله العشق إلى التعدي على غيره.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... ومنها: أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين، كما تقدم ذكره. ومنها: أنه جعل صاحب هذا البيت إمامًا للناس. قال تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ومنها: أنه أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قيامًا للناس ومثابة للناس وأمنًا، وجعله قبلة لهم وحجًّا، فكان ظهور هذا البيت في الأكرمين.

ومنها: أنه أمر عباده أن يصلوا على أهل البيت. إلى غير ذلك من الخصائص....

الشيخ صالح

ومحبة الله ﷻ لعباده مبنية على كمال العدل وكمال الجمال والرحمة بعباده المؤمنين، ومحبة العبد لربه ﷻ مبنية على تعظيم الله ﷻ وعلى توقيره ﷻ، فلفظ العشق لمَّا كان غير وارد في الدليل والنص واشتمل على هذا المعنى الباطل وهو أنه يُشْعِرُ بالتعدي إما على النفس أو على الغير فإنه يمتنع إطلاقه على الرب ﷻ أو من العبد على ربه ﷻ.

المسألة الثالثة:

كلمات المحبة التي يستعملها بعض المتصوفة ويستعملها بعض أهل السلوك والتربية حتى من المعاصرين، هذه تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: نقول: يجوز إطلاقه؛ يعني من العبد لربه ﷻ، وذلك إذا كان في معنى المحبة ولم يترتب عليه مخالفة للغة من جهة ما يليق بالله ﷻ من الصفات والكمال والجلال.

والقسم الثاني: يُمنع وهو ما لم يَرِدْ به الدليل، وكان مشتملاً على معانٍ باطلة، من ذلك؛ من الألفاظ التي تمتنع: العشق والغرام والتتيم ونحو ذلك.

ومن الألفاظ التي لا تمتنع: لفظ المودة والشوق وأشباه ذلك من المعاني، يعني الضابط فيها: المحبة ثابتة في أصلها فهل يُخْبَرُ عن الله ﷻ، أو العبد يُخْبِرُ عن محبته لربه بلفظ لم يرد؟

نقول: هذه الألفاظ التي يُخْبِرُ بها العبد إما أن تشتمل على معنى صحيح وليس فيها تعدٍ فتجوز، وإما أن تشتمل على معنى باطل فلا تجوز.

التعليقات

وترجعون في ذلك في تفصيله إلى قاعدة في المحبة للشيخ تقي الدين ابن تيمية ﷺ.

ذكَرَ بعد ذلك صفة الكلام فقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ وصفة الكلام لربنا ﷻ نجعلها المسألة الرابعة.

المسألة الرابعة:

صفة الكلام لله ﷻ نؤمن بها، لأنَّ الله ﷻ أثبتها لنفسه في النصوص.

والكلام الذي هو صفة الله ﷻ عند أهل السنة والجماعة كلام قديم وحادث، قديم النوع حادث الآحاد.

ويعنون بقديم النوع حادث الآحاد: أنَّ الله ﷻ لم يزل مُتَكَلِّمًا، يتكلم متى شاء، فهو سبحانه لم يزل مُتكلِّمًا وكلامه ﷻ من صفاته.

وكلامه لم ينقطع؛ بل أفراده وآحاده يعني لا تزال متجددة.

وهذه -يعني الآحاد- تنقسم إلى قسمين:

- الأول: **الكلام الشرعي**: وهو القرآن والتوراة ونحو ذلك من كتب الله ﷻ.
- الثاني: **الكلام الكوني**: وهو الذي يأمر الله ﷻ به في ملكوته كما قال سبحانه: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [الكهف: ١٠٩]، وكذلك قوله في لقمان: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧]، يُعْنَى بها الكلمات الكونية.

ولهذا سَمَّى الله ﷻ كلامه مُحْدَثًا يعني حَدِيثًا في قوله في أول سورة الأنبياء ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ [الإسراء: ٢] مُحْدَث يعني حَدِيْث جَدِيْد، كذلك آية الشعراء ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴾ [الشعراء: ٥].

.... **وَنُؤمِنُ بِالْمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ(١)**

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين).

ش: هذه الأمور من أركان الإيمان. قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ **الآيات.**

وقال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ **الآية، فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله:** ﴿ يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ ....

الشيخ صالح

فالمُحْدَثْ ليس بمعناه المخلوق تعالى الله ﷻ عن ذلك، ولكن بمعنى الحَدِيْث الجَدِيْد، ولهذا قال ﷺ في وصف ابن مسعود: «**من سره أن يقرأ القرآن غضًّا طريًّا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**».

صفة الكلام وما يتصل بها مرَّ معنا أشياء تتعلق بذلك، لعله أن يأتيَ لها مزيد تفصيل. لكن المقصود هنا ليس إثبات الصفة من جملة الصفات؛ ولكن المقصود المخالفة في إثبات الخلة والكلام لموسى عليه السلام إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا. سبق لنا الكلام عن صفة الكلام عند قوله (**وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ**) في تفصيل الكلام على صفة الكلام، نكتفي بهذا القدر.

هذه الجملة من كلام العلامة الطحاوي ؒ ذكَرَ فيها أصول الدين وأركان الإيمان فقال: (**وَنُؤْمِنُ بِالْمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**).

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذا من أركان الإيمان، التي أولها: الإيمان بالله، وثانيًا: الإيمان بالملائكة، وهم عالم من عالم الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، خلقهم الله تعالى من النور؛ لعبادته وتنفيذ أوامره في مخلوقاته، أوكل إليهم أعمالاً يقومون بها وينفذونها في مخلوقاته، منهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بالقطر والنبات، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، ومنهم الموكل بحفظ أعمال بني آدم، ومنهم الموكل بالجبال، ومنهم الموكل بالأجنّة في بطون الحوامل، كما في حديث ابن مسعود (ثم يرسل إليه الملك فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال ﷺ، في الحديث المتفق على صحته، حديث جبرائيل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكارًا الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء.

فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله سبحانه موجود لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته...

الشيخ صالح

فبعد أن ذكَرَ تفصيل الكلام على الصفات وعلى القَدَر وعلى العرش والكرسي وإحاطة الله ﷻ بكل شيء وعلو الرب ﷻ والخلّة، وما في ذلك من المباحث التي هي متصلة بركنين من أركان الإيمان، وهما الإيمان بالله والإيمان بالقدر خيره وشرّه من الله تعالى، ذكر بقية أركان الإيمان فقال: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) وذلك أنّ أركان الإيمان التي جاءت في القرآن وفي سنة النبي ﷺ ستة من الأركان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله ﷻ.

التعليقات

= فهم موكلون بأعمال يقومون بها كما أمر الله تعالى بها: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾، فهم يعبدون الله عبادة متواصلة ومع ذلك يقومون بما أوكل إليهم من تنفيذ الأوامر في المخلوقات ولهم مهام عظيمة، وخلقتهم لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، تختلف عن خلقة بني آدم ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾، ولبعضهم أكثر من ذلك ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ فجبريل عليه السلام له ستمائة جناح، كل جناح منها سد الأفق، فلا يعلم خلقتها ولا كيفيتها إلا الله...=

ابن أبي العز الحنفي

...... وإنما العالم عندهم لازم له أزلاً وأبدًا، وإن سموه مفعولاً له فمصانعة ومصالحة للمسلمين في اللفظ، وليس عندهم بمفعول ولا مخلوق ولا مقدور عليه، وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته! فهذا إيمانهم بالله. وأما كتبه عندهم، فإنهم لا يصفونه بالكلام، فلا يكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول.

والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته؛ لينال من العلم أعظم ما يناله غيره! وقوة النفس، ليؤثر بها في هيولى العالم يقلب صورة إلى صورة! وقوة التخييل، ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم!..............................

الشيخ صالح

لهذا قال: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) والإيمان بهذه المسائل من المُتَّفَقِ عليه بين المنتسبين إلى القبلة، فإنّهم يؤمنون بأركان الإيمان السّتّة من الفِرَق الثلاث وسبعين، فإنَّ الجميع يؤمن بذلك على اختلافٍ بينهم في تفسير بعض المسائل فيها، وذلك لكثرة النصوص الدّالة على الإيمان بهذه الأركان السّتّة.

فمن الأدلّة التي دلت على أنَّ هذه الأركان الستة من الإيمان بل هي الإيمان:

① قول الله ﷻ ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] والبّر من الإيمان أو هو اسم للإيمان؛ لأنه يُطلق فيشمل الإيمان جميعًا ويُطلق البر ويشمل بعض خصال الإيمان.

② **قوله ﷻ في آخر سورة البقرة** ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ **[البقرة: ٢٨٥] الآية.**

التعليقات

= أما البشر فلا يستطيعون رؤية الملك على صورته، وإنما يأتي الملك في صورة إنسان كما كان جبريل يأتي إلى النبي ﷺ في صورة إنسان، ويجلس إليه ويكلمه، ولم يره النبي ﷺ على صورته الملكية إلا مرتين، مرة وهو في بطحاء مكة رآه في الأفق، ومرة عند سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج، وما عدا هاتين المرتين فإن جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة إنسان، وكثيرًا ما يأتي في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه..............................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان. وأما اليوم الآخر، فهم أشد الناس تكذيبًا وإنكارًا له في الأعيان، وعندهم أن هذا العالم لا يخرب، ولا تنشق السماوات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم ويبعثون إلى جنة ونار!

كل هذا عندهم أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهم منها أتباع الرسل. فهذا إيمان هذه الطائفة - الذليلة الحقيرة - بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهذه هي أصول الدين الخمسة.........

الشيخ صالح

③ قول الله ﷻ في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

④ الحديث المشهور عندكم وهو حديث جبريل في سؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان فقال له ﷺ: **«الإيمان أنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، و بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**، فقال جبريل عليه السلام: **«صدقت»**. ثم في آخره قال: **«هَذَا جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ»**.

فهذا القَدْر مُجمَعٌ عليه بين الفِرَق الثلاث وسبعين جميعًا، فكل فرقة من الفِرَق الثلاث والسبعين في هذه الأمة تؤمن بالملائكة والنبيين وتؤمن بالكتب؛ لكن هناك قدر يختلفون فيه في بعض تفصيلات الكلام على هذه المسائل.

التعليقات

= وقوله: (والنبيين) النبيين جمع نبي وهو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ويجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، ومن آمن ببعضهم وكفر ببعضهم فهو كافر بالجميع ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾.

وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ(١)..........

ابن ابي العز الحنفي

..... وقد أبدلتها المعتزلة بأصولهم الخمسة التي هدموا بها كثيرًا من الدين: فإنهم بنوا أصل دينهم على الجسم والعرض، الذي هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجوا بالصفات التي هي الأعراض، على حدوث الموصوف الذي هو الجسم، وتكلموا في التوحيد على هذا الأصل، فنفوا عن الله كل صفة، تشبيهًا بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام، ثم تكلموا بعد ذلك في أفعاله التي هي القدر، وسموا ذلك العدل، ثم تكلموا في النبوة والشرائع والأمر والنهي والوعد والوعيد، وهي مسائل الأسماء والأحكام، التي هي المنزلة بين المنزلتين، ومسألة إنفاذ الوعيد، ثم تكلموا في إلزام الغير بذلك، الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه جواز الخروج على الأئمة بالقتال. فهذه أصولهم الخمسة، التي وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة التي بعث بها الرسول.........................

الشيخ صالح

بعض العلماء يُعَبِّرُ عن هذه الأركان بأنها الأركان الخمسة، أركان الإيمان الخمسة، أو يجعلها أصول الدين الخمسة، وبعضهم يجعلها أصول الدين الستة أو الأركان الستة، وبعضهم يجعلها سبعة ونحو ذلك وهي كلها متقاربة إما بِحَذْفِ القَدَر لأجلِ أنَّ الآيات ليس فيها ذِكْرُ القَدَر، فيجعلونه موافِقًا للآيات، وإما أن تُجْعَلَ جميعًا مع القَدَر كما دلّ عليه حديث جبريل المعروف، وأما من قال سبعة ففيه توسع بذكر الجنة والنار كما قاله بعض المتصوفة فإنهم قالوا: أركان الإيمان سبعة فذكروا اليوم الآخر والجنة والنار، والجنة والنار هي من الإيمان باليوم الآخر.

التعليقات

(١)الشيخ الفوزان : من أصول الإيمان وأركانه: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على الرسل لهداية الخلق ؛ فالله تعالى أنزل الكتب على الرسل من كلامه ووحيه وتشريعه، أنزلها على الرسل ليبلغوها إلى أممهم، فيها الأوامر وفيها النواهي، وفيها شرع الله جل وعلا.

منها ما سماه الله في القرآن ومنها ما لم يسمه، ونحن نؤمن بجميع الكتب، ما سماه لنا وما لم يسمه، كالتوراة التي أنزلها على موسى، والإنجيل الذي أنزله على عيسى، والقرآن الذي أنزله على محمد ﷺ ، والزبور الذي أنزله على داود ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾، وصحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فنؤمن بها كلها وأنها في مصلحة الخلق وهداية الخلق وإقامة الحجة، فمن آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها فهو كافر بالجميع ؛ لأنها كلها من كلام الله فلا يجوز الإيمان ببعضها والكفر بالبعض الآخر، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾..........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... والرافضة المتأخرون، جعلوا الأصول أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة.

وأصول أهل السنة والجماعة تابعة لما جاء به الرسول. وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول، كما تقدم بيان ذلك، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة - لما تضمنتا هذا الأصل: لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، ففي الصحيحين عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «بينا جبرائيل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الارض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته»..

الشيخ صالح

هذا ما يتعلّق بهذه الجملة إجمالا، وتحتها مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ الإيمان بهذه الأمور -الملائكة والنبيين والكتب المُنَزَّلَة على المرسلين- معناه التصديق الجازم بأنَّ ما أخبر الله ﷻ به عن هذه الأشياء فهو حق وأنَّ الملائكة كما سيأتي حق إجمالاً وتفصيلاً، وأنَّ النبيين حق إجمالاً وتفصيلاً، وأنَّ الكتب من عند الله ﷻ منزلة حق إجمالاً وتفصيلاً.

التعليقات

= وكذلك الكتاب الواحد يجب الإيمان به كله والعمل به كله، فلا نأخذ ما يوافق شهواتنا وندع ما يخالفها.فمن جحد كتابًا من كتب الله، أو بعضًا من الكتاب، أو كلمة من الكتاب، أو حرفًا من الكتاب، فهو كافر بالله عز وجل.

..... وقال أبو طالب المكي: أركان الإيمان سبعة، يعني هذه الخمسة، والإيمان بالقدر، والإيمان بالجنة والنار. وهذا حق، والأدلة عليه ثابتة محكمة قطعية. وقد تقدمت الإشارة إلى دليل التوحيد والرسالة.

وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾. ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾، وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم.

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ....

الشيخ صالح

هذا معنى الإيمان بهذه الأشياء؛ يعني يؤمن بالملائكة، بوجود الملائكة إجمالاً وتفصيلاً، يؤمن بالنبيين كما سيأتي إجمالاً وتفصيلاً ويؤمن بالكتب أيضًا إجمالاً وتفصيلاً.

و هذا الإيمان مرتبتان:

① **منه قَدْرٌ** واجب لا يصح الإيمان إلا به فمن لم يأتِ بالقَدْرِ الذي سيأتي بيانه فإنه لم يؤمن بالملائكة ولم يؤمن بالنبيين ولم يؤمن بالكتب.

② **ومنه قَدْرٌ** مستحب وهو الذي يتنافس فيه أهل العلم في إدراكه والعلم به والعمل بما تحته عمل من ذلك.

قال: **(وَنُؤْمِنُ بِالْمَلائِكَةِ)** ندخل في تفصيل الكلام على هذه المسائل، **وأولها الإيمان** بالملائكة. و الإيمان بالملائكة نجعله على مسائل:

المسألة الأولى:

في معنى الملائكة: الملائكة في اللغة جمعٌ لِـ: مَلْأَك، و مَلْأَك قال العلماء: إنها مقلوبة من مَأْلَك. وأصل مألك -هذا مصدر- فيه معنى الأَلُوكَةْ وهي الرسالة. لهذا مادة الأَلُوكَة هي الرّسالة، وأَلَكَ فلانًا بكذا يعني أرسله بكذا.

التعليقات
....

..... ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة. فالملائكة أعظم جنود الله:

ومنهم: ﴿ ٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ **[المرسلات: ١]** و﴿ ٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾ **[المرسلات: ٣]** و﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ **[المرسلات: ٤]** و﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ **[المرسلات: ٥]**................

أمَّا فيما دلَّت عليه الأدلة فالملائكة عباد من عباد الله ﷻ، خَلَقَهُمْ الله ﷻ من نور، وجعلهم مُتَفَرِّغين لعبادته مُوَكَّلين بشؤون ملكوته.

وهم ليسوا بِبَنَاتٍ لله ﷻ، وليسوا بأولادٍ له ﷻ، وإنما هم عباد مُكْرَمُونَ، يَعْمَلُون بما يأمُرُهُم به ربهم ﷻ.

فهم عِبَادٌ يَعْبُدُونَ ولا يُعْبَدُون مُكْرَمُونَ مُطَهَّرُون ليسوا بذوي نقص لا في خِلْقَتِهِمْ ولا في خُلُقِهِمْ ولا في عبادتهم لربّهم ﷻ.

المسألة الثانية:

الملائكة درجات وطبقات، فأعْظَمُ الملائكة قَدْرًا الثلاثة الذين خَصَّهُم النبي ﷺ في دعائه في الليل -يعني في صلاته في الليل- حيث كان يدعو ﷺ بقوله: **«اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اللهم اهدني فيما اختلف فيه من الحق بإذنك فإنك تهدي إلى صراط مستقيم»** فنصَّ على هؤلاء الثّلاثة لفضلهم ولرفعتهم عند الله ﷻ.

وهؤلاء الثلاثة أفضلهم **جبريل** ثم **ميكائيل** ثم **إسرافيل**. أما **جبريل** عليه السّلام وميكائيل وإسرافيل فهم مُوَكَّلُونَ بأنواع الحياة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... ومنهم: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴾ [النازعات: ١] و﴿ ٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴾ [النازعات: ٢] و﴿ ٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴾ [النازعات: ٣]، و﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴾.

ومنهم: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ [الصافات: ٣].

ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التي مفردها: فرقة وطائفة وجماعة، ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقدير، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله........

الشيخ صالح

أما جبريل مُوكَّلٌ بحياة القلوب لأنَّهُ ينزل بالوحي من الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢].

وأما ميكائيل مُوكَّلٌ بأمر حياة الإنسان، يعني وسائل حياة الإنسان والحيوان من المطر والنبات والرياح، وما أشبه ذلك مما فيه حياته واستقامة أمره.

وأما إسرافيل فهو المُوكَّلُ بالنفخ في الصور، إذْ به إعادة الناس إلى حياة جديدة بعدها لا موت.

فإذًا الجميع يشتركون في أنّهم يُحيُون أو أنَّ معهم أسباب الحياة، ولذلك صاروا سادة الملائكة وأكابر الملائكة عليهم السلام.

هم طبقات يختلفون -يعني في فضلهم- ويختلفون في قُرْبِهم من الله ﷻ، وأيضًا يختلفون في وظائفهم وما وُكِّلُوا به.

ولفظ التوكيل -أنَّ المَلَك مُوكَّل- يعني أنَّ الله ﷻ أوْكَلَ إليه أن يعمل هذا العمل، وذلك لقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١].

فالله ﷻ جَعَلَ ملك الموت مُوكَّلاً بالإنسان، وكل سيِّد من الملائكة معه كثير من الملائكة يأتمرون بأمره وينتهون عن نهيه ويفعلون ما يأمرهم أميرهم أو قائدهم أو المطاع فيهم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾. ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبرائيل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم........................

الشيخ صالح

لهذا صار ملك الموت معه رُسُل كما قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] في سورة الأنعام، الرسل: يعني الذين هم أعوان ملك الموت، كذلك قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥]، يعني ملائكة الموت.

كذلك الله ﷻ سمَّى الملائكة الذين سَخَّرَهُمْ بالريح ووكَّلهم وهم جنود ميكائيل عليه السلام سمَّاهم بصفَاتِهم، فقال ﷻ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، وقال: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ [المرسلات: ٣- ٤]، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١]، ونحو ذلك وهؤلاء جنود مُوكَّلُون.

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾، ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ قال طائفة من العلماء في التفسير: إنها الرِّياح، وقال طائفة: هي الملائكة، من الصَّحابة ومن التابعين.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطت السماوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم. والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص.

قال تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾.﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾، ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾...

الشيخ صالح

والقولان متقاربان؛ لأنَّ الرياح لا تفعل هذه الأشياء من ذات أنفسها؛ بل هي مَسُوقة، مثل ما ترون اليوم يقولون ما تُمْلِيهُ الأرصاد فيما يرون ويَسْتَنْتِجُونَ وُجِد منخفض جوي في المكان الفلاني ومُرْتَفَع، منخفض في الهند ومُرْتَفَع ما أدري إيش، وسَبَّب وجود الرياح مشيها كذا والسحاب مشى كذا.

وهذه كلها في ما يعتقده المؤمن أنَّ الله ﷻ هو الذي فعل هذه الأشياء، وأنه أَمَرَ الملائكة المُوكَّلِين بهذه الأمور أن تفعل هذه الأشياء، ثُمَّ الناس ينظرون إلى الأسباب، ينظرون إلى المُسَبَّبَات ولا ينظرون إلى الفعل الحقيقي، فيرون النّتيجة، يقولون: اتجه بسبب المُنْخَفَض.

لكن لماذا حصل المنخفض، كيف حصل؟ ونحو ذلك؛ لا يعرفون لأنهم عن ربهم معزولون.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾.
﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾.

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾.

﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾، ﴿ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾، ﴿ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾، ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾.

وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم. فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان..............................

الشيخ صالح

إذًا الملائكة وكَّلَهُم الله ﷻ بأمورِ ملكوته ولم [.....] حاجَةً منه ﷻ لهم تعالى الله ﷻ عن ذلك بل هو الغني. والملائكة يَشْرُفُونَ بِعَمَلِ ما يَأْمُرُهُم به ﷻ؛ لكن لِيَظْهَرَ فَضْلُهُم ولينشغلوا بعبادة الله ﷻ وبامتثال أمره وبخوفه والانتهاء عن نهيه ونحو ذلك من المعاني.

المسألة الثالثة:

الملائكة خُلِقُوا من نور ومَلَئُوا السَّماء، وهم كما قال ﷻ عن قولهم: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصافات: ١٦٤]، يعني في السماء ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥- ١٦]، فهم ملئوا السماء، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**أطت السماء وحُقَّ لها أن تئط ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع**».

والملائكة لـمَّا كانوا مخلوقين من نور فإنهم إذا مَلَئُوا السَماء ليس مَلْأً أجسامٍ تَحُولُ دون العُبُورِ في السماء؛ بل هذه أجسام نور، الله ﷻ أعلم كيف تكوينها وكيف صفاتها على وجه الكمال.

ثُمَّ كتب كثيرة أُلفت في ذكر الملائكة ولا أدري هل يناسب أن نطيل الحديث حولها أو أحيلكم على بعض الكتبِ التي فيها ذكر تفصيلٍ للملائكة منها: شرح الطحاوية الذي عندكم فيه بيان لا بأس به. وكذلك نَقَلَ عنه صاحب معارجِ القبول وزاد بعض الأدلة. ومن الكتب المعاصرة كتاب الدكتور الأشقر عالم الملائكة وهو كتاب جيد في بابه يمكن أن ترجع إليه.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة.

وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً.

وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة. وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية...

الشيخ صالح

المسألة الرابعة:

أنَّ الإيمان بالملائكة رُكْنٌ من أركان الإيمان، ومعنى كونه رُكْنًا أَنَّ الإيمان لا يوجد إذا فُقِدَ رُكْنُهُ؛ لأنَّ الركن هو ما يقوم عليه الشيء، فإذا فُقِد فإنه لا قيام للشيء بدونه.

وهذا الكلام في تعريف الركن يَصْدُق على الإيمان -أركان الإيمان- وأما أركان الإسلام ففيها بحث في هل الركن فيها ما هو بهذا المعنى أم ثَمَّ معنى آخر؟

ربما يأتينا في موضع آخر إن شاء الله.

لكن بإجماع أهل العلم أنَّ من لم يؤمن بالملائكة فلم يؤمن بالله وهو كافر؛ لأنَّ الله ﷻ ذكَرَهُمْ في كتابه فهو كافر بالله، كذلك من لم يؤمن بالنبيين، كذلك من لم يؤمن بكتب الله ﷻ المنزلة.

هذا الإيمان الذي هو فرض وركن وواجب له حالان:

- الحالة الأولى الإيمان الإجمالي.
- الحالة الثانية الإيمان التفصيلي.

فمعنى الإيمان الإجمالي أن كل أحد عليه فرض:

① أن يؤمن بوجود الملائكة.

② أن يؤمن أَنَّ الملائكة عباد وليسوا ببنات لله ﷻ ولا يُعْبَدُون.

هذا القَدْر واجب على كل أحد أن يؤمن به إجمالاً.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة. ومن الناس من فصَّل تفصيلاً آخر. ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر: إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة، لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني، و«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

والشيخ رحمه الله لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفي ولا إثبات، ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصدًا، فإن الإمام أبا حنيفة ﷺ وقف في الجواب عنها على ما ذكره في مآل الفتاوى، فإنه ذكر مسائل لم يقطع أبو حنيفة فيها بجواب، وعد منها: التفضيل بين الملائكة والأنبياء.

وهذا هو الحق، فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصًّا.

وقد قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [سورة المائدة آية: ٣]. ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾..........

الشيخ صالح

⇦ **ومعنى الإيمان التفصيلي أن كل أحد يجب عليه:**

أن يؤمن بكل ما أخبر الله ﷻ به في كتابه أو أخبر به نبيه ﷺ في سنته الثابتة من ذِكْرِ الملائكة.

ففي القرآن لو قال لنا قائل: أنا أؤمن بالملائكة لكن جبريل ما أدري إيش جبريل؟ لأنه ما قرأ القرآن، فإنه إذا قرأ القرآن وسمع باسم جبريل وأنه ملكٌ هنا وجب عليه الإيمان تفصيلاً بجبريل.فمن كَفَرَ بجبريل فقد كَفَرَ ببقية الملائكة وكذلك وبالإيمان الإجمالي أصلاً.

وكذلك من كَفَرَ بميكال، وكذلك من كفر بإسرافيل، وكذلك من كفر بملك الموت إلى آخره. فإذًا الإيمان الإجمالي هذا هو ركن الإيمان الواجب على كل أحد، ثُمَّ كُلُّ من سمع نَصًّا ودليلاً فيه ذِكْرُ الإيمان بالملائكة من القرآن فإنه يجب عليه أن يؤمن بهذا على وجه بالتفصيل.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وفي الصحيح: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء - رحمة بكم غير نسيان - فلا تسألوا عنها». فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا والحالة هذه أولى.

ولا يقال: إن هذه المسألة نظير غيرها من المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة، لأن الأدلة هنا متكافئة، على ما أشير اليه، إن شاء الله تعالى. وحملني على بسط الكلام هنا: أن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم: كان الملك خادمًا للنبي ﷺ! أو أن بعض الملائكة خدام بني آدم!! يعنون الملائكة الموكلين بالبشر، ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع، المجانبة للأدب.........................

الشيخ صالح

فلا يجب على كل أحد -يعني من المسلمين- أن يعلم أنَّ ميكال مثلا هو المُوكَل بالقَطْر، أو أنَّ إسرافيل مُوكَّل بالنفخ في الصور.

فلو قال لك قائل من العامة أو من جملة الناس مثلاً: أنا لا أدري، لا أعرف هذا، المهم أنا أومن بالملائكة.

فهذا يكفي في الإيمان، ثُمَّ مَنْ عَلِم كل حالة أو كل اسم ملك أو دليل في ذلك وَجَبَ عليه الإيمان به.

المسألة الخامسة:

الإيمان بالملائكة تَبَعٌ للعلم، وكلما زَادَ العِلْمُ بالعقيدة وبالنصوص زَادَ الإيمان بالملائكة لمن وفّقَهُ الله ﷻ.

ولهذا نقول: الناس متفاوتون في إيمانهم بملائكة الله ﷻ وليسوا جميعًا سواء في ذلك، والتفاوت سَبَبُهُ تفاوت العلم، فكلما كان العلم أكثر كان الإيمان أكثر؛ لأنَّ الإيمان هنا معناه التصديق، فإذا عَلِمَ فَصَدَّقَ وآمَنَ جزمًا فإنَّ إيمانه يزيد على غيره. وهذا من أَوْجُهِ معنى زيادة الإيمان ونقصانه في مجموع خصال الإيمان.

التعليقات

....

ابن ابي العز الحنفي

...... والتفضيل إذا كان على وجه التنقص أو الحمية والعصبية للجنس: لا شك في رده، وليست هذه المسألة نظير المفاضلة بين الأنبياء، فإن تلك قد وجد فيها نص، وهو قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾.

وقد تقدم الكلام في ذلك عند قول الشيخ: وسيد المرسلين، يعني النبي ﷺ.

والمعتبر رجحان الدليل، ولا يهجر القول؛ لأن بعض أهل الأهواء وافق عليه، بعد أن تكون المسألة مختلفًا فيها بين أهل السنة. وقد كان أبو حنيفة ﷺ يقول أولاً بتفضيل الملائكة على البشر، ثم قال بعكسه، والظاهر أن القول بالتوقف أحد أقواله. والأدلة في هذه المسألة من الجانبين إنما تدل على الفضل، لا على الأفضلية، ولا نزاع في ذلك.

وللشيخ تاج الدين الفزاري رحمه الله مصنف سماه الإشارة في البشارة في تفضيل البشر على الملك، قال في آخره: اعلم أن هذه المسألة من بدع علم الكلام، التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كبير من المقاصد......................................

الشيخ صالح

لهذا نقول: الإيمان بالملائكة المستحب درجات كثيرة؛ السعي في البحث عن ذلك هذا من الإيمان المستحب، ثُمَّ إذا علم وَجَبَ عليه أن يؤمن.

وطلب العلم في هذا ومعرفته ومعرفة أحوال الملائكة وكيف يعبدون الله ﷻ ويخافونه وخوفهم من الله ﷻ وامتثالهم لأوامره ونحو ذلك، طلب ذلك والسعي فيه هذا من العلم المستحب، فإذا عَلِمَ شيئًا من ذلك وجب عليه الإيمان به؛ لأنَّ الحجة قامت عليه.

مِنَ المسائل أيضًا المتصلة بزيادة الإيمانِ بالملائكة وتفاوت الناس فيه أنَّ الإيمان بالملائكة له أَثَرٌ على العبد المؤمن. وهذا الأثر تارَةً يرجع إلى التّوحيد والعلم، وتارَةً يرجِع إلى السلوك والعمل، وتارة يرجع إلى خصال الإيمان أو أركان الإيمان الأخرى.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... ولهذا خلا عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع من الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه، لم يخل كلامه عن ضعف واضطراب. انتهى والله الموفق للصواب.

فمما استدل به على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، وذلك دليل على تفضيله عليهم، ولذلك امتنع إبليس واستكبر وقال، ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾.

قال الآخرون: إن سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر ربهم، وعبادة وانقيادًا وطاعة له، وتكريمًا لآدم وتعظيمًا، ولا يلزم من ذلك الأفضلية، كما لم يلزم من سجود يعقوب لابنه عليهما السلام تفضيل ابنه عليه، ولا تفضيل الكعبة على بني آدم بسجودهم إليها امتثالاً لأمر ربهم. وأما امتناع إبليس، فإنه عارض النص برأيه وقياسه الفاسد بأنه خير منه، وهذه المقدمة الصغرى، والكبرى محذوفة، تقديرها: والفاضل لا يسجد للمفضول!.......

الشيخ صالح

ﻟ الجهة الأولى التوحيد والعلم: فإنَّهُ يعلم أنَّ الملائكة كما وصفهم الله ﷻ بأنهم عباد ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦]، وأنهم مع كونهم ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦]؛ لكنهم يخافون الله ﷻ ويعبدونه عبادة دائمة، وخوفهم من الجليل ﷻ مع قربهم منه ﷻ، وهذه فيها إبطال لدعوى من عَبَد الملائكة أو قال: إنهم بنات الله كما وصف الله ﷻ قولهم بقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصافات:١٥٨]، و﴿ ٱلْجِنَّةِ ﴾ هنا هم الملائكة في أحد الأقوال وأصح الأقوال، والنَّسَب يعني أنَّ الملائكة بنات الله، وهذه جاء مُصرَّحًا بها في آيات كثيرة كما في قوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ [الزخرف:١٩]، وكذلك قوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل:٥٨]، إلى آخر الآيات في هذا.

التعليقات

...... وكلتا المقدمتين فاسدة:

أما الأولى: فإن التراب يفوق النار في أكثر صفاته، ولهذا خان إبليس عنصره، فأبى واستكبر، فإن من صفات النار طلب العلو والخفة والطيش والرعونة، وإفساد ما تصل إليه ومحقه وإهلاكه وإحراقه، ونفع آدم عنصره، في التوبة والاستكانة، والانقياد والاستسلام لأمر الله، والاعتراف وطلب المغفرة، فإن من صفات التراب الثبات والسكون والرصانة، والتواضع والخضوع والخشوع والتذلل، وما دنا منه ينبت ويزكو، وينمي ويبارك فيه، ضد النار.

وأما المقدمة الثانية، وهي: أن الفاضل لا يسجد المفضول: فباطلة، فإن السجود طاعة لله وامتثال لأمره، ولو أمر الله عباده أن يسجدوا لحجر لوجب عليهم الامتثال والمبادرة، ولا يدل ذلك على أن المسجود له أفضل من الساجد، وإن كان فيه تكريمه وتعظيمه، وإنما يدل على فضله. قالوا: وقد يكون قوله: ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾، بعد طرده لامتناعه عن السجود له، لا قبله، لينتفي الاستدلال به..

المقصود أنَّ في الإيمان بالملائكة إبطال لدعوى كل من عَبَدَ غير الله ﷻ؛ لأنهم يعبدون غير الله ﷻ إما في ظَنِّهِمْ أنهم عبدوا الملائكة وهم يعبدون الجن أو عبدوا الأشجار والأوثان وهم يعبدون في الحقيقة أهواءهم والجن سيطرت عليهم، فكلُّ عبادة تَوَجَّهَت إلى غير الله ﷻ فإنّ الإيمان بالملائكة ومعرفة ما عليه الملائكة يدل على بطلان تلك العبادة.

ولهذا ذكر الله ﷻ في آخر سورة سبأ إشارَةً إلى هَذا الأصل الذي يحتاج بيانه إلى تفصيل لقوله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠- ٤١]، وهذا يعم جميع أنواع عبادة غير الله ﷻ.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ومنه: أن الملائكة لهم عقول وليست لهم شهوات، والأنبياء لهم عقول وشهوات، فلما نهوا أنفسهم عن الهوى، ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل.

وقال الآخرون: يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة وتحمل العبادة وترك الونى والفتور فيها: ما يفي بتجنب الأنبياء شهواتهم، مع طول مدة عبادة الملائكة. ومنه: أن الله تعالى جعل الملائكة رسلاً الى الأنبياء، وسفراء بينه وبينهم. وهذا الكلام قد اعتل به من قال: إن الملائكة أفضل، واستدلالتهم به أقوى، فإن الأنبياء المرسلين، إن ثبت تفضيلهم على المرسل إليهم بالرسالة، ثبت تفضيل الرسل من الملائكة إليهم عليهم، فإن الرسول الملكي يكون رسولاً الى الرسول البشري.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾، الآيات........................

الشيخ صالح

كذلك في توحيد الله ﷻ في خصال العبادة من الخوف والمحبة واتباع الأمر والنهي هذه كلها الإيمان بالملائكة ومعرفة أحوال الملائكة تزيد العبد معرفةً بخصال التوحيد؛ لأنَّ أهل السماء الذي هم ملائكة الله ﷻ كاملو توحيد الله ﷻ واتِّباعِهِمْ لأمره ونهيه ﷻ.

الجهة الثانية وهي جهة السلوك والعمل: فللإيمان بالملائكة أثر، وذلك أنَّ الملائكة لمن آمن بهم على وجه التفصيل فإنَّهُ يعلم أنَّ ثَمَّ ملائكة يكتبون ما يصدر من الإنسان كما قال سبحانه: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١١- ١٢] فكونهم يكتبون، وكذلك ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، هذا يجعل إحسانه للعمل ومراقبته لربه في لفظه وفي عمله أعظم؛ لأنه يعلم أنه معه قرين يلازمه لا ينفكّ عن كتابة شيء.

ولذلك يُحْسِنُ قوله و يُحْسِنُ عمله ما استطاع، وإذا أذْنَبَ فإنه يستغفر وطوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا؛ لأنّ الملائكة تكتب هذا وهذا و﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤].

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... قال الآخرون: وهذا دليل على الفضل لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله، وليس الخضر أفضل من موسى، بكونه عالمًا ما لم يعلمه موسى، وقد سافر موسى وفتاه في طلب العلم إلى الخضر، وتزود لذلك، وطلب موسى منه العلم صريحًا، وقال له الخضر: إنك على علم من علم الله، الى آخر كلامه. ولا الهدهد أفضل من سليمان عليه السلام، بكونه أحاط بما لم يحط به سليمان عليه السلام علمًا.

ومنه: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾.

قال الآخرون: هذا دليل الفضل لا الأفضلية، وإلا لزم تفضيله على محمد ﷺ.

فإن قلتم: هو من ذريته؟ فمن ذريته البر والفاجر، بل يوم القيامة إذا قيل لآدم: ابعث من ذريتك بعثًا إلى النار، يبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحدًا الى الجنة. فما بال هذا التفضيل سرى إلى هذا الواحد من الألف فقط.

ومنه: قول عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ، الحديث، فالشأن في ثبوته وإن صح عنه فالشأن في ثبوته في نفسه، فإنه يحتمل أن يكون من الإسرائيليات..........................

الشيخ صالح

ﻟ الجهة الثالثة وهي أَنَّ الإيمان بالملائكة له أثر في أركان الإيمان الأخرى: فإنَّ الملائكة لمن آمن بهم عَلِم أَنَّ منهم المُوكَل بالوحي، وجبريل عليه السلام هو المُوكَل بالوحي.

وهذا الوحي ما هو؟ هو كُتُبُ الله ﷻ ووحيه على أنبيائه، فصار ثَمَّ صلة بين الإيمان بالملائكة والأنبياء، الإيمان بالملائكة والكتب؛ ولهذا المعنى جَمَعَ الطحاوي -فيما يظهر لي- بين هذه الثلاثة في هذا الموضع؛ لأنَّ كل واحدة منها تدل على الأخريتين البقيتين، الإيمان بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة، وكل واحدة تدل على البقية.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... ومنه: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إن الملائكة قالت: يا ربنا، أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة؟ قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان. أخرجه الطبراني.

وأخرجه عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل عن عروة بن رويم، أنه قال: أخبرني الأنصاري، عن النبي ﷺ: «أن الملائكة قالوا، الحديث، وفيه: وينامون ويستريحون، فقال الله تعالى: لا، فأعادوا القول ثلاث مرات، كل ذلك يقول: لا». والشأن في ثبوتهما، فإن في سنديهما مقالاً، وفي متنهما شيئًا، فكيف يظن بالملائكة الاعتراض على الله مرات عديدة؟

وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون؟ وهل يظن بهم أنهم متبرمون بأحوالهم، متشوفون الى ما سواها من شهوات بني آدم؟...

الشيخ صالح

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة الإيمان بالكتب، ومن ثمرات الإيمان بالكتب الإيمان بالأنبياء وإلى آخره، فهذه كلها متصلة جميعًا.

من الملائكة من هو مُوكَل -وهو إسرافيل- مُوكَل بالبعث يعني بالنفخ في الصور، منهم الموكل بالموت إلى آخره، هذا يرجع إلى الإيمان باليوم الآخر.

ميكائيل مُوكَل بالقطر وهذا يرجع إلى الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

منهم الموكل بالأجنة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٦] يأتي ملك فيقول: يا ربي أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ أمريض أم سليم؟ فيقضي الله ما يشاء ويكتب الملك، فإذًا لها صلة بالقَدَر.

التعليقات

....

.... والنوم أخو الموت، فكيف يغبطونهم به؟ وكيف يظن بهم أنهم يغبطونهم باللهو، وهو من الباطل؟ قالوا: بل الأمر بالعكس، فإن إبليس إنما وسوس إلى آدم ودلاه بغرور، إذ أطمعه في أن يكون ملكا بقوله: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾.

فدل أن أفضلية الملك أمر معلوم مستقر في الفطرة، يشهد لذلك قوله تعالى، حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند رؤية يوسف: ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١]. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾.

قال الأولون: إن هذا إنما كان لما هو مركوز في النفس: أن الملائكة خلق جميل عظيم، مقتدر على الأفعال الهائلة، خصوصًا العرب، فإن الملائكة كانوا في نفوسهم من العظمة بحيث قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا...

فلهذا نقول: إنَّ الإيمان بالملائكة صار من أركان الإيمان:

- لكثرة الأدلة الدالة على ذلك.
- ولأن الإيمان بالملائكة يدل على الإيمان بجميع الأركان الأخرى.

لهذا صار الإيمان بالملائكة بعد الإيمان بالله مُبَاشَرَةً. الإيمان بالله هذا يدل على الجميع، والإيمان بالملائكة يدل على الجميع. و كذلك الإيمان بالكتب يدل على الجميع، والإيمان بالرسل يدل على البقية، والإيمان باليوم الآخر يدل على الإيمان بالقدر.

هذه كلمات مختصرة حول الإيمان بالملائكة؛ لكن الموضوع طويل ومهم ولابد أن تطّلِعُوا عليه بتوسع في بعض الكتب التي ذكرت لكم، خاصة كتاب الدكتور الأشقر فإنه مفيد جدًّا في هذا الباب.

ابن أبي العز الحنفي

..... ومنه: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

قال الآخرون: قد يذكر العالمون، ولا يقصد به العموم المطلق، بل في كل مكان بحسبه، كما في قوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾. ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾.

والبرية: مشتقة من البرء، بمعنى الخلق، فثبت أن صالحي البشر خير الخلق....

الشيخ صالح

هناك مسألة تَطَرَّقْ إليها الشارح وهي مسألة المفاضلة بين الملائكة والأنبياء.

و الشارح قال: كان الأَوْلَى أن لا أدخل فيها، شيخ الإسلام قال: كنتُ أظُنُّ أنَّ البحث فيها، أنَّ المسألة من المسائل المبتدعة -يعني التفضيل- حتى رأيت البحث فيها سُنِّيًّا أثريًّا ومع ذلك فإني لا أحب الخوض في هذه المسألة؛ لأنه لا يندرج تحتها عمل.

ومن أراد الإطلاع ينظر في الفتاوى في بحث في نحو أربعين صفحة أو أكثر في هذه المسألة.

لكنّ الذي يهمّ طالب العلم في العقيدة السلفية أن لا يُقِر من قال بتفضيل الملائكة مُطْلَقًا، فهذا القَدْرْ مهم أن لا يُقِرِّ بِهِ، إمَّا أن يُسْكَتْ عنها، وإما أن يقال: فيها بقول جمهور أهل السنة وهو بتفضيل الأنبياء وصالح المؤمنين على الملائكة، وأما الخوض في الزيادة والأدلة والتفصيل والردود هذا من العلم الذي يُترك لعدم الحاجة إليه الآن.

يعني أركان الإيمان وأدلّة ذلك من الكتاب والسنة، وْذكرنا بعض المسائل المتعلقة بالملائكة، وذكرنا لكم أنّ الكلام على الملائكة فيه تفصيل كثير يُطلَبُ من كتب التفسير ومن كتب الحديث والعقيدة ومن الكتب المصنّفة في هذه العقيدة؛ عقيدة الإيمان بملائكة الرحمن ﷻ وتقدست أسماؤه.

التعليقات

...... قال الآخرون: إنما صاروا خير البرية لكونهم آمنوا وعملوا الصالحات، والملائكة في هذا الوصف أكمل، فإنهم لا يسأمون ولا يفترون، فلا يلزم أن يكونوا خيرًا من الملائكة.

هذا على قراءة من قرأ البريئة، بالهمز وعلى قراءة من قرأ بالياء، إن قلنا: إنها مخففة من الهمزة، وإن قلنا: إنها نسبة إلى البرى وهو التراب، كما قاله الفراء فيما نقله عنه الجوهري في الصحاح: يكون المعنى: أنهم خير من خلق من التراب، فلا عموم فيها، إذ الغير من خلق من التراب.

قال الأولون: إنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كملوا، ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، وحباهم الرحمن بمزيد قربه، وتجلى لهم ليستمتعوا بالنظر إلى وجهه الكريم......................................

قال (وَالنَّبِيِّينَ) الإيمان بالنبيّين يعني الإيمان بالأنبياء والمرسلين؛ لأنّه إذا أُطلق النّبي في الإيمان فيُراد به الإيمان بالأنبياء والمرسلين، وذلك من جهتين:

- الجهة الأولى: أنَّ قول كثير من أهل العلم أنَّ كل رسول نبي، فإذا قلنا: نؤمن بالأنبياء فمعنى ذلك نؤمن بالرسل لأنَّ كل رسول نبي.

- الجهة الثانية: أنَّ القرآن الكريم جاء فيه ذِكْرُ المُرْسَلِينَ بِذِكْرِ الأنبياء؛ يعني سُمِّيَ المرسلون أنبياء، سورة الأنبياء من وَرَدَ فيها جُلُّهم مرسلون: أولهم محمد ﷺ، ثم إبراهيم الخليل ثم لوط، ثم نوح، ثم داود، وسليمان، وأيوب إلى آخره.

ولهذا قوله: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ) يعني بالرسل والأنبياء جميعًا. والتعبير بالرُّسُلِ أولى؛ لأنه هو الذي جاء في الأدلة في الكتاب والسنة ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، قال: أخبرني عن الإيمان. قال «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ» وفَرْض الإيمان أن يُؤْمَن بالأنبياء والرسل جميعًا لأنّ الله ﷻ أمرنا بذلك.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وقال الآخرون: الشأن في أنهم هل صاروا إلى حالة يفوقون فيها الملائكة أو يساوونهم فيها؟ فإن كان قد ثبت لهم أنهم يصيرون إلى حال يفوقون فيها الملائكة سلم المدعى، وإلا فلا.

ومما استدل به على تفضيل الملائكة على البشر قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقد ثبت من طريق اللغة أن مثل هذا الكلام يدل على أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه، لأنه لا يجوز أن يقال. لن يستنكف الوزير أن يكون خادمًا للملك، ولا الشرطي أو الحارس! وإنما يقال: لن يستنكف الشرطي أن يكون خادمًا للملك ولا الوزير. ففي مثل هذا التركيب يترقى من الأدنى إلى الأعلى، فإذا ثبت تفضيلهم على عيسى عليه السلام ثبت في حق غيره؛ إذ لم يقل أحد إنهم أفضل من بعض الأنبياء دون بعض..........

الشيخ صالح

وتحت هذا الأصل والركن وهو الإيمان بالنبيين مسائل:

المسألة الأولى:

في تعريف النبي: النَّبِيُّ في القرآن جاء فيه قراءتان ﴿النّبي﴾ والقراءة الأخرى ﴿النبيء﴾ بالهمز ﴿يا أيها النبيّ﴾، والقراءة الثانية ﴿يا أيها النبيء﴾ كما هي قراءة نافع وغيره. وفرق ما بين النبي والنبيء:

فالنبيء: هو مَنْ نُبِّئَ.

والنبي: من صار في نَبْوَةٍ؛ يعني في ارتفاع عن غيره.

فإذًا نقول: (النبي) و(النبيء) هو من اختصه الله ﷻ بالإنباء والوحي، فصار مرتفعًا عن غيره في المقام لأجل ما أوحى الله ﷻ إليه. هذا ليس تعريف -يعني حد- ليس حدًّا ولكن هذا تقريب.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... أجاب الآخرون بأجوبة، أحسنها، أو من أحسنها: أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه، وفي العبودية خضوع وذل وانقياد، وعيسى عليه السلام لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾، ومثل هذا يقال بمعنى: إني لو قلت ذلك لادعيت فوق منزلتي، ولست ممن يدعي ذلك.

أجاب الآخرون: إن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٧]. فأمر أن يقول لهم: إني بشر مثلكم أحتاج الى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب، لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب، فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

ومنه ما روى مسلم بإسناده، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»......

الشيخ صالح

أما الرُّسُل، الرسول، فظاهرٌ من اللفظ أَنَّهُ أُرْسِل.

فلفظ نبيء ونبي من جهة اللغة واللفظ الذي جاء في القرآن هذا فيه الإنباء وفيه الرفعة، والرسول فيه الإرسال؛ ولهذا اختلف العلماء هل النبي والرسول واحد أو بينهما فرق؟

على أقوال كثيرة مر معنا تفصيل الكلام عليها في عدد من الشروح وأقربها شرح الواسطية و غيره؛ لكن نذكر لك ملخص الكلام:

• القول الأول: من أهل العلم من قال النبي والرسول بمعنىً واحد، فكل رسول نبي وكل نبي رسول، وذهب إلى هذا جمع من أهل العلم من المفسّرين ومن الفقهاء وغيرهم.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... ومعلوم أن قوة البشر لا تداني قوة الملك ولا تقاربها.

قال الآخرون: الظاهر أن المراد المؤمن من البشر- والله أعلم - فلا تدخل الملائكة في هذا العموم.

ومنه :ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال فيما يروي عن ربه عز وجل، قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»، الحديث. وهذا نص في الأفضلية.

قال الآخرون: يحتمل أن يكون المراد خيرًا منه للمذكور لا الخيرة المطلقة......

الشيخ صالح

✍ القول الثاني: هو أنَّ النبي غير الرسول، ودلّ على الفرق بينهما:

① قول الله ﷻ في سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢]، قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فدلَّ ظاهر الآية قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ أنَّ النبي غير الرسول، وظاهر الدلالة على أنَّهُ ثَمَّ فرق بينهما، ولو كان النبي هو الرسول لما صح أن يُقَال: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ لأنَّ النبي هو الرسول كيف يقول: ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾، قد يكون بالعطف بالواو من رسول ونبي فتكون هنا مُغَايَرَةْ، في الصفات، لكن لـمَّا أُدْخِلَتْ ﴿وَلَا﴾ دل على أنَّ هذا غير هذا ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾.

② أنَّ النبي ﷺ ذكَرَ الرسل والأنبياء الذين يأتون يوم القيامة فقال: **«يأتي النبي ومعه الرهط، ويأتي النبي ومعه كذا، ويأتي النبي وليس معه أحد»**، ووجه الدِّلالة من الحديث أنّ قوله **«ويأتي النّبي وليس معه أحد»** يحتمل:

- ❑ أن يكون لم يُرْسَلْ إلى أحد.
- ❑ ويحتمل أن يكون لم يستجب له.

التعليقات

...... ومنه: ما رواه إمام الأئمة محمد بن خزيمة، بسنده في كتاب التوحيد عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا جالس إذ جاء جبرائيل، فوكز بين كتفي، فقمت إلى شجرة مثل وكري الطير، فقعد في إحداها، وقعدت في الأخرى، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين، وأنا أقلب بصري، ولو شئت أن أمس السماء مسست، فنظرت إلى جبرائيل كأنه حلس لاطئ، فعرفت فضل علمه بالله علي»، الحديث. قال الآخرون: في سنده مقال فلا نسلم الاحتجاج به إلا بعد ثبوته.

وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل. ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، وتوقف أبو حنيفة ﷺ في الجواب عنها، كما تقدم. والله أعلم بالصواب...

ويتجه الاحتمال أنه لم يرسل إلى أحد؛ بل هو نبيّ لقوله ﷺ: «**ما بعث الله من نبي إلا وأعطاه من الآيات ما على مثله آمن البشر وكان الذي أوتيته وحيًا يُتلى**» الحديث الذي رواه مسلم في الصحيح حديث عياض بن حمار المجاشعي، فدلّ على أنّ كل نبي أعطي آية وآمن من آمن بتلك الآية.

لهذا نقول: قوله ﷺ: «**ويأتي النبي وليس معه أحد**» هذا لأجل قَصْر الرسالة على هذا النبي وحده؛ يعني أنَّهُ ليس مُرْسلاً إلى غيره.

③ حديث أبي ذر المشهور الذي رواه ابن حبان في الصحيح ورواه غيره من أنَّ النبي ﷺ ذكَرَ عِدَةَ الأنبياء، هو حديث طويل منه جمل ثابتة صحيحة بشواهدها، ومنه جمل مُخْتَلَف فيها، فمنها أنَّهُ ذكَرَ عِدَّةَ الأنبياء و ذكَرَ عِدَةَ المرسلين، فقال في عدد الأنبياء: إنهم مائة وأربعة وعشرين ألف، وقال في عدة المرسلين: إنهم كعدة أهل بدر يعني نحو أربعة عشر وثلاثمائة رسول، فدلّ الحديث على الفرق بينهما، وكون هذا هو العدد أو أقل ليس هو هذا محل.

ابن أبي العز الحنفي

...... وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص. وقد قال تعالى: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾. وعلينا الإيمان بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانًا لا يسع أحدًا ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه. قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾. ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾. ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾..................

الشيخ صالح

الشاهد، وإنما قوّى صحة التّفريق ما بين النبي والرسول أنه في الحديث الاختلاف في العدد، ودِلالة الآية والحديث الذي قبله يقوي الاستدلال بحديث أبي ذر هذا.

المقصود دلّت هذه على ترجيح قول من قال: إنَّ الرسول والنبي مختلفان وهذا ظاهر في الاستدلال كما ترى. ما الفرق بينهما في التعريف؟ اختلف العلماء في تعريف النبي والرّسول فقال مِمَّن قَالَ بالفرق بينهما:

- **فقالت طائفة كثيرة من أهل العلم:**

إنّ النبي: هو من أُوحِيَ إليه بشرع ولم يُؤْمَر بتبليغه.

والرسول: من أُوحِيَ إليه بشرع وأُمِرَ بالتبليغ.

فجعلوا الفرق ما بين النّبي والرّسول هو الأمر بالتبليغ.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وأما أولو العزم من الرسل. فقد قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم. قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾.

وأما الإيمان بمحمد ﷺ، فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى........

الشيخ صالح

← وقالت طائفة أخرى، وهو قولٌ أيضًا مشهور عند عدد من المحققين وهو الذي اختاره ابن تيمية رحمه الله في أول كتاب النبوات أنَّ الرسول والنبي يشتركان في وقوع الإرسال عليهما.

الرسول مُرْسَل والنبي مُرْسَل لظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢]، فالرسول مُرْسَل والنبي أيضا مُرْسَل لكن جهة الإرسال مختلفة، قال:

الرسول: يُرْسَل إلى قوم يخالفونه في أصل الدين فيأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك.

وأما النبي: فإنه يُرْسَل إلى قوم موافقين يُجَدِّدُ بإرساله شِرْعَةَ الرسول الذي أُمروا باتباعه.

مثل أنبياء بني إسرائيل كلما مات نبي خلفه نبي وكُلُّهُم تَبَع لموسى عليه السلام.

وهذا التعريف أو هذا التقريب لتعريف الرسول والنبي هذا أقرب للدليل وأوضح في فهم الأدلة الشرعية.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، و اتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب. فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء. قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾. إلى قوله: ﴿ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾.

﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢]. إلى قوله: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾.........

الشيخ صالح

ولذلك نقول هو المختار في أنَّ: النبي مُوحَّى إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه إلى قوم موافقين أو لم يُؤْمَرْ بالتبليغ. قد يكون مُقْتَصِرْ على نفسه وقد يُؤْمَر بالتبليغ إلى من يوافقه. يوافقه في أي شيء ؟ في اتِّبَاعِ الرسول الذي يَتَّبِعُهُ النبي و يَتَّبِعُهُ الناس.

و أما الرسول فمن أوحي إليه بشرع أو بكتاب وأُمِرَ بإبلاغه أو بتبليغه إلى قوم مخالفين له يعني في أصل الدين.

المسألة الثانية:

الأنبياءُ والرُّسُلُ درجات في الفضل والمنزلة عند الله ﷻ، وهذا التفضيل جاء في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فنُؤْمِنُ بأنَّ الرسل والأنبياء بعضهم أفْضَلُ من بعض، وليسوا على مرتبة واحدة.

أوّل الأنبياء آدم عليه السلام، وآخر الأنبياء محمد ﷺ. وأوّل الرسل نوح عليه السلام، وآخر المرسلين محمد ﷺ. فآدم نبي كما جاء في الحديث الصحيح «آدم نبي مكلّم» وينطبق عليه حد النبي: لأنَّ الله ﷻ أوْحَى إليه وكَلَّمَهُ ﷻ.

من الأنبياء والمرسلين أولو العزم من الرسل وهم الذين جاء فيهم قول الله ﷻ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده. وفي ذلك إثبات صفة الكلام والعلو..............

الشيخ صالح

واختلف العلماء في أولي العزم من الرسل من هم؟ على أقوال كثيرة:

القول الأول: أنَّ كل رسول هو من أولي العزم، ومعنى أُولِيْ العَزْم يعني أولي الصبر والمصابرة والجَلَدْ والتجلد في دين الله ﷻ، فهم أهل عزم قوي في مواجهة أعداء الله وأهل صبر ومصابرة. فهذا القول أنَّ كل رسول هو من أولي العزم.

ما معنى قوله إذًا: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾؟ قالوا (مِن) هنا ليست تبعيضية بل بيانية، مثل ما تقول الرجل من القوم.

يعني فاصبر كما صبر أولو العزم من الناس؟ لا؛ من الرسل. والرسل كلهم على هذا، فتكون (مِنَ) هنا على هذا التفسير بيانية لا تبعيضية.

القول الثاني: أنَّ أولي العزم من الرسل هم ثماني عشرة رسولاً وهم المذكورون في سورة الأنعام.

القول الثالث: أنَّ أولي العزم من الرسل خمسة وهم المذكورون في سورة الأحزاب وسورة الشورى، قال ﷻ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣]، فَجَمَعَ خمسة الرسل وهم المذكورون أيضًا في سورة الأحزاب.

وهذا القول بأنهم الخمسة هؤلاء، هو الأظهر والأرجح ويَدُلُّ له ويُقَوِّيه أنَّ هؤلاء الخمسة هم الذين يستغيث الناس بهم يوم القيامة من شدة الحساب أو من شدة هول الموقف وطول المقام في طلب تعجيل المحاسبة والقضاء بين الخلق، أعاننا الله جل وعلا على شدائد ذلك اليوم، في حديث الشفاعة الطويل المعروف، يأتون آدم ثم قال: يأتون نوحًا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ.

آدم خَرَجَ؛ لأنه ليس برسول بقي الخمسة لأنهم مرسلون.

التعليقات

....

ابن ابي العز الحنفي

.... وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]. ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾.﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾. ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾، ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾. وأمثال ذلك في القرآن كثيرة.........................

الشيخ صالح

المسألة الثالثة:

الأنبياء يُعْطِيهُم الله ﷻ آيات، فنُؤْمِن بالأنبياء ونؤمن بآيات الأنبياء.

وهذه الآيات كما جاء في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال «**ما بعث الله من نبي إلا وأعطاه من الآيات ما على مثله آمن البشر**». فما يؤتيه الله ﷻ المرسلين أو الأنبياء للدّلالة على صدقهم في دعوى الرسالة أو دعوى النبوة، هذه تسمّى آيات وتسمّى براهين في الكتاب والسنة.

وأما تَسْمِيَتُهَا معجزات فهذا لفظٌ حادثٌ بعد ظهور علم الكلام وخاصةً من جهة المعتزلة.

ولا نمتنع من إطلاقه؛ لكن يُقَيَّدُ بتقييده الشرعي الصحيح؛ **لأنها** هي معجزات لكنها آيات وبراهين والفرق بينهما:

أولاً: أنَّ الآية والبرهان جاء الدليل بها، والمعجز لم يأت الدليل به.

ثانيًا: أنَّ اللفظ (معجزة) فيها إجمال؛ ووجه الإجمال يقال معجزة لمن؟

هل هي معجزة للإنسان؟ معجزة للقوم الذين بُعِثَ فيهم النبي، أو معجزة للناس أجمعين؟ أو معجزة للجني والإنس؟ أو معجزة للجن والإنس والملائكة؟ فهذه فيها إجمال ولذلك ما جاء بها الدليل.

التعليقات

ومن أطلقها اختلفوا فيها، هذا الإعجاز، هل هو إعجاز للناس أو إعجاز لأهل زمانهم دون غيرهم؟ والصحيح عند أهل السنة والجماعة أو الصحيح في قول أكثر أهل السنة والجماعة أنّ المعجزة هي ما صار الإعجاز به للجن والإنس جميعًا لا لطائفة منهم، فهي معجزة للجن والإنس جميعًا لا يستطيعون أن يأتوا بمثل ذلك.

ودلّ على هذا قول الله ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وتسميتها آية وبرهان، هي آية يعني دليل واضح يُلزِم بنتيجته وهو قبول دعوى من كانت معه هذه الآية، وبُرهان وهو الدليل الواضح الجلي الذي هو كضوء الشمس في وضوحه ونصاعته وجلائه مما لا يُجَادَلُ فيه.

و هذا هو الذي جاء في القرآن بتسميتها آيات وبراهين ﴿ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾ [النمل: ١٢]، وقال ﷻ أيضا: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [القصص: ٣٢]، وقال ﷻ: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ [طه: ٢٢- ٢٣] ونحو ذلك.

فهي إذًا في القرآن والسنة مُسمَاة آيات وبراهين، وهذه التسمية شرعية، ولا يَرِدُ عليها ما يَرِدُ على لفظ المُعْجِزْ مما ذكرناه لك.

الآيات والبراهين تختلف، فهي معجزات وهي تختلف، وثَمَّ بحث طويل فيها ربما يأتي في موضع آخر.

المسألة الرابعة:

معنى الإيمان بالأنبياء والمرسلين أننا نؤمن بأنَّ الله ﷻ بَعَثَ وأَرْسَلَ مُرْسَلين وأيّدَهُم وكانوا أصلح أهل زمانهم وأيدهم بالآيات والبراهين الدّالة على صدقهم، وأنهم أتقى الخلق، أتقى الناس لربهم، وأعرف وأعلم الناس بربهم ﷺ.

فنؤمن بكل نبي عَلِمْنَاه أو لم نعلمه؛ لأنَّ الأنبياء منهم من قُصَّ علينا والمرسلين ومنهم من لم يُقصَّ علينا، قال ﷻ: ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨].

فإذًا الإيمان بالأنبياء والمرسلين على درجتين:

① **إيمان إجمالي:** وهو الإيمانَ بكل رسول أرسله الله ﷻ وكل نبي، علمنا أو لم نعلم.

② **إيمان تفصيلي:** بأنَّ كلَّ من عَلِمْنَا رِسَالَتَهُ ونُبُوَّتَهُ بالدليل والقرآن فهذا يجب علينا أن نؤمن به وأن نتولاه وأن نحبه؛ لأنَّ «**الأنبياء إخوة لِعَلات دينهم واحد**»، فكلُّهم أكمل الخلق توحيدًا وإيمانًا بالله ﷻ وطاعة له وخوفا منه ﷻ.

ثُمَّ ثَمَّ إيمان خاص بهذه الأمّة، أُمَّة الإجابة أُمَّة الدعوة، أنه يجب على الجميع الإيمان بمحمد بن عبد الله الهاشمي القرشي الذي أرسله الله ﷻ للنّاس أجمعين؛ بل للجن والإنس أجمعين، فيجب الإيمان به ﷺ؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأنَّهُ بُعِثَ بالإسلام، وأنَّ الإسلام نَسَخَ ما عداه من الأديان، وأنَّ كلّ دعوى للدين غير ما جاء به محمد ﷺ فهي باطلة وردّ، ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فبه خُتِمَتْ النبوة وأعطاه الله ﷻ الإسلام وأنزل عليه القرآن حجة له ولأمته إلى قيام الساعة.

و **من الإيمان بالنبي ﷺ تحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله وهي:** طاعَتُهُ فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهى عنه وزجر وأن لا يُعبد الله ﷻ إلا بما شرعه رسوله ﷺ.

المسألة الخامسة:

من كَذَّبَ برسول بعد العلم به فإنه مُكَذِّبٌ بجميع الأنبياء والمرسلين، فمن قال أُكَذِّبُ بفلان من الرسل وأومن بمحمد ﷺ فهو كافر؛ لأنه من كَذَّبَ برسول فقد كذّب بجميع المرسلين إذا بلغه العلم وقامت عليه الحجة، قال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء١٠٥- ١٠٦]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فنحن اتَّفَقْنَا على أنَّ نوح عليه السلام كان أوّل رسول، قال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لأنهم لَمَّا كَذَّبوا نُوحًا فإنهم كَذَّبوا بِتَكْذِيبِهم نوحًا جميع المرسلين؛ لماذا؟

لأنّ دينهم واحد وهو توحيد الله ﷻ والبراءة والكفر بالطاغوت، كذلك قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وكذلك قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠] إلى آخره.

التعليقات

نتنقل إلى التي بعدها، قال: (وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) قوله: (وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) خَصَّ إنزال الكتب بالمرسلين؛ لأنهم هم الذين يؤتيهم الله ﷻ الكتاب.

وأنزل الله ﷻ كُتُبًا كثيرة منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم، وقد أمر الله ﷻ عباده أن يؤمنوا بكل كتاب كما قال سبحانه: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ [الشورى: ١٥] الآية، والإيمان بالكتب ركن الإيمان كما ذكرنا وأَصْلٌ من أصوله، فلا يصحّ إيمان أحد حتى يؤمن بالكتب التي أنزل الله ﷻ.

وتحت هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

الكتاب الذي أنزله الله ﷻ هو وَحْيُهُ ﷻ لرسوله الذي أعطاه الله ﷻ ذلك الكتاب، ووحيه:

- قد يكون بواسطة الرسول الملكي إلى الرسول البشري.
- وقد يكون أنّ الله ﷻ أَوْحَى إليه مباشرة.

فوَحْيُ الله ﷻ بِكُتُبِهِ ينقسم كما قال الله ﷻ في آخر سورة الشورى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥١]، فَجَعَلَها ثلاثة أقسام:

- فمنها ما كتبه الله ﷻ بيده كما هي صحف موسى عليه السلام والتوراة خَطَّهَا الله ﷻ بيده الكريمة العظيمة ﷻ.
- ومنها ما نزل به جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ.

كُتُبُ الله ﷻ من جهة أنها كلامه مُتَّفِقَة -يعني كلها كلام الله ﷻ-، فالله ﷻ تَكَلَّمَ بما تَكَلَّمَ به وسَمِعَهُ جبريل منه فأنزله على رسوله.

تَكَلَّمَ بالقرآن فنزل به جبريل على محمد ﷺ.

و تَكَلَّمَ بالإنجيل فنزل به على عيسى.

وتكلم بالتوراة ﷻ فنزل بها على موسى عليه السلام.

التعليقات

المسألة الثانية:

كُتُبُ الله ﷻ هي من آياته التي أعطاها الرسول؛ يعني لأنّها من الوحي.

وموضوعات الكتب مختلفة:

- فمنها ما هو مواعظ ورقائق.
- ومنها ما هو شريعة.
- ومنها ما هو خَبَر وأَمْر ونَهي -يعني أخبار وإنشاءات وأوامر ونواهي، فهي مختلفة في موضوعاتها.

الأنبياء دينهم واحد وشرائعهم شتى: فمن جهة التوحيد الكتب متفقة، والأنبياء دينهم واحد في توحيد الله ﷻ.

واتفاق الكتب والأنبياء في التوحيد يُعْنَى به شيئان:

الأول: أنّ أَصْلَ التوحيد وهو عبادة الله ﷻ وحْدَهُ، ورَدُّ عِبَادَة غيره، والكفر بالطاغوت، والبراءة من الشّرك وأهله، هذا قَدْرٌ مشترك في رسالة جميع الأنبياء، قال ﷻ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [الممتحنة:٤]، يعني من المرسلين ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]، فهذا قدْرٌ مشترك بين جميع الأنبياء والمرسلين، والكتب دَلّتْ على هذا وحضّت عليه وأمرت به.

الثاني: هو أصول الإيمان الستة، أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، وهذا مُتّفَقٌ عليه أيضًا بين الأنبياء لا خلاف فيه.

وذلك أنَّ جهة الإيمان بهذه الأشياء الخَبَر، والخبر لا يُنْسَخْ ولا يُكْذَبُ فيه والله ﷻ إذا أخبر نبيًا بشيء من أمر الغيب فهو على ذلك.

فالأنبياء في كتبهم وما أُرْسِلُوا به متفقون على هذين الأصلين العظيمين:

- توحيد الله ﷻ على نحو ما ذكرت لك.
- وأمور الغيب الستة هذه، أمور الإيمان الستة؛ ولذلك معنى قوله: «الدين واحد» يعني هذين الأصلين.

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

والكتب تختلف في الشرائع: تختلف في القَصَص، ما يُقَصُّ به في كتابٍ يكون مُفَصَّلاً وكتاب يكون مختصرًا.

تختلف في الشرائع والأمْر والنَّهْي، تكون التوراة شريعتها شديدة وفيها قُوَّة في الطَّهَارة وفي الصلاة وفي الجهاد وفي أشياء كثيرة، فهي شريعة فيها الشِدَّة ولا يَصْبِر عليها إلا صادق ولذلك ما صَبَرَ عليها بنو إسرائيل. والإنجيل فيه الرقة والوعد والتسامح وإلى آخره وتحليل بعض ما حَرَّمَ الله ﷻ على بني إسرائيل.

يعني أنَّ موضوعات كتب الله ﷻ مختلفة، والله ﷻ يُوحِي بما يشاء وفق حكمته ﷻ وَوفْقَ ما يريد من عباده ﷻ.

فشرائع الأنبياء شتى، والكتب مختلفة باختلاف الشرائع، وأيضًا مختلفة فيما قَصَّ الله ﷻ في تلك الكتب؛ لأنَّ القَصَصْ للعبرة والناس يختلفون في الأمم بما يُصلحهم من أمور القصص وما يُحْدِثُ عندهم العبرة.

المسألة الثالثة:

الإيمان بالكتب على نحو ما ذكرنا سالفًا في الإيمان بالملائكة والنبيين ينقسم إلى:

- إيمان إجمالي.
- وإيمان تفصيلي.

الإيمان الإجمالي: يجب على كل أحد أن يؤمن بِكُلِّ كتابٍ أنزله الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال ﷻ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فكل كتاب يجب على العباد أن يؤمنوا به عَلِمُوهُ أو لم يعلموه، فنؤمن بالتوراة ونؤمن بالإنجيل ونؤمن بالزبور ونؤمن بالقرآن ونؤمن بكل كتاب أعطاه الله ﷻ أنبياءه -يعني رسله-.

الإيمان التفصيلي: وهو أنَّ كل كتاب عَلِمْناهُ في الدليل، كل كتاب سَمِعَ المسلم بِذِكْرِهِ في كتاب الله ﷻ أو في سنة النبي ﷺ فيجب أن يؤمن به على وجه التفصيل، التوراة ذُكِرَت، صحف موسى ذُكرت، صحف إبراهيم عليه السلام ذُكرت، الزبور ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] الزبور ذُكِرْ، الإنجيل ذُكِرْ، وهكذا، فهذه نؤمن بها على وجه التفصيل. فَكُلُّ كتاب ذَكَرَهُ الله ﷻ في كتابه وجب علينا الإيمان به تفصيلاً.

التعليقات

ثُمَّ الإيمان بالكتب ثُمَّ مرتبة واجبة وأكيدة وهي آكدها وأعظمها وهي الإيمان بهذا القرآن، الإيمان بكتاب الله ﷻ الخاتَمْ الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ.

والإيمان بالقرآن يشمل أشياء:

⇦ أولاً: الإيمان بأنَّ القرآن كلام الله ﷻ وليس بقول البشر؛ كلام الله ﷻ أوحَاهُ إلى عبده محمد ﷺ.

⇦ ثانيًا: أنَّ القرآن ناسخٌ لما قبله من الكتب فليس لأحَدٍ أن يَتَّبِعَ غير القرآن؛ بل الواجب أن يُصَدَّق بكل خبرٍ في القرآن ويُعْتَقَد، وأن يُعْمَل بكل أمرٍ ونهيٍ جاء في القرآن، وذلك بامتثال الأمر وانتهاء النهي.

⇦ ثالثًا: أن يُعْلَمْ أنَّ القرآن جعله الله ﷻ مهيمنًا على الكُتُبِ وشاهدًا عليها، كما وصفه بذلك في سورة المائدة، وهذا يدلّ على أنَّ الناس واجب عليهم ألا يلتفتوا عن هذا القرآن إلى غيره متى ما سمعوا هذا القرآن.

لذلك الآن الكتاب من جهة السماع بالقرآن تكاد الحجة قامت من جهة السماع لهذا الوحي وأنه كلام الله ﷻ على أكثر الخلق.

المسألة الرابعة:

الكُتُبُ التي أنزلها الله ﷻ على المرسلين اختلف العلماء هل يدخل فيها الصحف، أم أنَّ الكتب غير الصحف؟ على قولين:

- من أهل العلم من قال: الصحف هي الكتب.
- ومنهم من قال: لا؛ الصحف غير الكتاب.

ويَتَّضِحْ الفرقِ في صحف موسى عليه السلام والتوراة، فإنَّ الله ﷻ أعطى موسى عليه السلام صُحُفًا وأعطاه أيضًا التوراة، فهل هما واحد أم هما مختلفان؟

خلاف:

والقول الأول: أنهما واحد لأنَّ صحف موسى هي التوراة وهي التي كتبها الله ﷻ بيده.

القول الثاني: أنَّ الصحف غير الكتب، **وهذا القول هو الصحيح وهي أنَّ كتب الله ﷻ غير الصحف.**

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

ويدل على هذا الفرق أنَّ الله ﷻ أعطى موسى صُحُفًا عليه السلام و كَتَبَ له ذلك في الألواح كما قال: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وأوحى الله ﷻ إليه بالتوراة أيضًا.

فقوله: ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٩]:

- صحف إبراهيم: ذَكَرَ الله ما فيها في سورة النجم قال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم: ٣٧- ٤١]، إلى آخره، فهذه كانت مما في صحف إبراهيم عليه السلام.

- وفي صحف موسى: ما كتبه الله ﷻ له.

وأما التوراة: فهي وحْيٌ وكتَابٌ مستقل غير صحف موسى عليه السلام أوحاها الله ﷻ إليه. صحف موسى بالذات وَقَعَ فيها الاشتباه من جهة أَنَّهُ ظاهر القرآن أنَّ الله ﷻ كَتَبَ الصحف لقوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وجاء في الحديث أنَّ الله ﷻ كتب التوراة لموسى بيده، فمن هذه الجهة وقع الاشتباه، هل هما واحد لأجل أن هذه كُتِبَتْ وهذه كُتِبَتْ. والأظهر كما ذكرتُ لك من سياق الآيات في سورة الأعراف أن الكتب غير الصحف.

المسألة الخامسة:

يدخل في الكلام على الكتب الكلام على القرآن، وعلى إعجاز القرآن، وعلى بحث هذه المسألة؛ لأنّ القرآن آية محمد ﷺ.

وقد قَدَّمْنَا لك تفصيل الكلام على إعجاز القرآن في درس مستقل أظن عند قول الشيخ الطحاوي ﷺ في أول الكلام: (**فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ**) إلى قوله: (**عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ. وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ**)، ومسألة إعجاز القرآن ومعرفة القرآن ووجه كونه آية وما فيه، هذا من أعظم المسائل في هذا الباب.

التعليقات

إذا تبين ذلك فنقول: الإيمان بأركان الإيمان الستة -إذا أخرجنا الإيمان بالقَدَر- فإنَّ بعض أهل العلم يسميها أصول الدين الخمسة، وذلك لمجيئها في أكثر الآيات دون ذكر القَدَر، والقَدَر جاء منفصلا في القرآن وجاء مع بقية الأركان في السنّة.

هذه الأصول الخمسة تَبِعَ الإيمان بها أنَّ أهل البدع أصّلُوا أُصُولا في مقابلة هذه الأصول الخمسة: فجاء المعتزلة مع إيمانهم بِجُمَلِ هذه الأصول الخمسة لكن جعلوا لهم أصولاً خمسة لتُمَيِّزَهُمْ عن غيرهم، وهذه المعروفة بالأصول الخمسة عند المعتزلة، وكَتَبَ فيها عبد الجبار كتابه الأصول الخمسة، ويعتني بها المعتزلة والإباضية والزيدية والرّافضة.

الأصول الخمسة هذه هي:

- الأول: التوحيد.
- والثاني: العدل.
- والثالث: الوعد والوعيد.
- والرابع: المنزلة بين المنزلتين.
- والخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والرافضة يعتقدون مُعْتَقَد المعتزلة في الغالب، فجعلوا لهم أصولاً أربعة في مقابلة ذلك وهي:

- التوحيد
- والعدل
- والنبوة
- والإمامة.

يُدخلون في هذه الأصول عقائدهم في تدريس عقائدهم المخالفة لما دَلَّ عليه الكتاب والسنة. وهذه الجملة تحتاج إلى تفصيل طويل يمكن أن ترجع لها في الشرح أو في المطولات.

المقصود أن لفظ الأصول الخمسة أو أركان الإيمان الستة أو الخمسة -يعني بخلاف الإيمان بالقدر- هذه جُعِلَ في مقابلتها أشياء وَضَعَهَا أهل البدع للتعليم وللتميّز لِيُعَلِّمُوا على أساسها وليتميزوا عن غيرهم.

ولاشك أنَّ الذي دلّ عليه الكتاب والسنة وقول سلف الأمة إلى أنْ ابتدعت المعتزلة بدعتها هو أنّ أركان الإيمان ستة، ولا دخل لتلك المسائل التي ذَكَرُوهَا من الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل هذه لا أصل لها في الكتاب والسنة؛ يعني في كونها من أركان الإيمان أو من أصول الدين. في هذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى.

.... ونُسمّي أهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ(١)........................

ابن ابي العز الحنفي

...... قوله: (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين).

ش: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا»..................................

الشيخ صالح

ونقف عند قولنا: (**وَنُسمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ**).

فيه مسائل -ذكّرني بعض الإخوان بها جزاهم الله خيرًا- وهي تحتاج منا إلى أنكم تقتفون أثر ما ذكرناه في الملائكة وهو ما في كل مسألة في الإيمان بالكتب والإيمان بالأنبياء ثُمَّ مسألتان: **المسألة الأولى**: تفاضل الإيمان بأجمعه بتفاضل الإيمان بالأنبياء والمرسلين. هذه مسألة. **المسألة الثانية**: أثر الإيمان بالمرسلين جميعًا على الإيمان العام.

كذلك في الكتب تأتيك الفقرتان جميعًا: تفاضل الإيمان بالكتب، والثانية أثر الإيمان بكتب الله ﷻ على الإيمان. يمكن أنتم تستنتجونها وتبحثونها إن شاء الله تعالى.

قال ؒ: (**وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ**) يريد الطحاوي ؒ أنَّ أهل السنة والجماعة يُسَمُّونَ أهلَ القبلة وهم من تَوَجَّهَ في صلاته إلى الكعبة بيت الله الحرام، يُسَمُّونَهُم مسلمين مؤمنين؛ لأنّ هذا هو الأصل، فاستقبال القبلة دليل على تميُّزِ من استقبلها عن المشرك الوثني الأصلي؛ لأنه لا يستقبل القبلة يعني لا يُصَلِّي مثل مشركي قريش، وعن اليهودي والنصراني؛ لأنهم يستقبلون جهة الشّرق، فالذي يستقبل الكعبة هذا يُسَمَّى مسلمًا كما جاء في الأحاديث الصحيحة **«من أكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا له ما لنا وعليه ما علينا»**.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هذا من العقيدة، أنه من نطق بالشهادتين واستقام عليهما فإنه مسلم، ولو صدر منه بعض المعاصي، ولو كانت من الكبائر، وما دامت المعاصي دون الشرك، ولكن يكون مسلمًا ناقص الإسلام وناقص الإيمان وفاسقًا، ولكنه لا يُحكم بكفره إن كانت معاصيه دون الشرك، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، لا يُكفِّرون بالمعاصي التي هي دون الشرك، ولكن ينقص بها الإيمان، وصاحبها يفسق بها الفسق الأصغر الذي لا يخرج من الملة. خلافًا للخوارج الذين يُكفّرون بالكبائر ويخرجون بها من الملة، ويخلدون صاحبها في النار..................................=

ابن أبي العز الحنفي

..... ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله.

والمراد بقوله: أهل قبلتنا، من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يُكذِّب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ...

الشيخ صالح

لكن هذا ليس وصفًا مانعًا من خُروجه من الدّين، لهذا اشترط له شرطًا فقال: (**مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ** ﷺ **مُعْتَرِفِينَ**) يعني لو أنْكَرُوا ما جاء به النبي ﷺ أو شيئًا مما جاء به ﷺ فإنهم لا يُسَمَّونَ مسلمين مؤمنين، وقال: (**وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ**) يعني إذا كانوا لم ينكروا شيئا مما جاء به النبي ﷺ.

ويريد بهذه الجملة أيضًا مخالفة الخوارج والمعتزلة ومن شابههم ممن يكفرون بالذنوب ويسلُبون عن صاحب الكبيرة والمعصية، يسلبون عنه اسم الإسلام أو اسم الإيمان.

التعليقات

= وخلافًا للمعتزلة الذين يُخرِجون صاحب الكبيرة من الإسلام، ولكن لا يدخلونه في الكفر، ويقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، ولكن لو ماتوا على الكبيرة فالمعتزلة مثل الخوارج في الحكم عليهم، وخلاف عقيدة المرجئة الذين يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، من صدق بالله عز وجل فإنه يكون مؤمنًا، وإن فعل ما فعل، ولو ترك جميع أركان الإسلام عندهم لا يكون كافرًا، المهم التصديق والاعتقاد، أما الأعمال فلا تزيد في الإيمان ولا تنقصه وليست منه، فهو مؤمن تام الإيمان ما دام مصدقًا.

هذا مذهب المرجئة، وهو مذهب ضال فهم مع الخوارج على طرفي نقيض؛ قوم تشددوا، وهم الخوارج، وقوم ذابوا وماعوا وقالوا: إن هذه المعاصي لا تضر، وهم المرجئة، وأما أهل السنة والجماعة فتوسطوا، ومذهبهم مأخوذ من الكتاب والسنة، وهو العدل، وفيه الجمع بين الأدلة. أما الخوارج والمعتزلة فأخذوا نصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد، وأما المرجئة فأخذوا بنصوص الوعد وتركوا نصوص الوعيد، لكن أهل السنة والجماعة أخذوا بنصوص الوعد وبنصوص الوعيد، وجمعوا بينها، وهذا الحق ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ [آل عمران: ٧]، فيردون هذا إلى هذا، ولا يأخذون بطرف ويتركون الطرف الآخر كما هو مذهب أهل الزيغ ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ**﴾ [آل عمران: ٧] يأخذون بالمتشابه ويتركون المحكم الذي يفسر المتشابه.

وقول المصنف: (مسلمين مؤمنين) ليس على إطلاقه؛ لأنهم قد يكونون ناقصين في الإسلام والإيمان، ومتوعدين من الله عز وجل.

. ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ(١)..

ابن ابي العز الحنفي

..... وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ: ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. وعند قوله: والإسلام والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء...

الشيخ صالح

وتحت هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

قوله: (**أَهْلَ قِبْلَتِنَا**) هذه الكلمة (أهل القبلة) لم ترد في النصوص في تحديد المراد بها؛ يعني في أن يكون لها اصطلاح شرعي؛ ولكن جاء في النص وفي الأحاديث ذِكْرُ من استقبل القبلة، ولهذا جُعِلَ هذا الاسم (أهل القبلة) بمعنى من استقبل القبلة، فكل من استقبل القبلة في صلاته فهو من أهل القبلة.

وسبب هذه التسمية (أهل القبلة) هوما جاء في الأحاديث في الصحيح في البخاري وفي غيره «**من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا**»، (**استقبل قبلتنا**) لأنه تميز باستقبال القبلة في عهد النبي ﷺ عن الكفار إذْ يُصلُّون، وعن اليهود والنصارى إذ قبلتهم مختلفة.

و(أهل القبلة) إذًا يشمل كل أهل الأهواء، كل الفِرَق الثلاث والسبعين التي أخبر بها وعنها النبي ﷺ في قوله: «**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**» فهذه الفرق الثلاث والسبعين كلها تدخل عند أهل العلم تحت هذا الاسم (أهل القبلة).

ويدخل تحت هذا الاسم أيضًا المنافقون؛ لأنهم كانوا يستقبلون القبلة في عهد النبي ﷺ واسم الإسلام الظاهر ينطبق عليهم.

لهذا اسم أهل القبلة كاسم المسلم ينطبق على من استقبل القبلة بصلاته ولو كان من أهل البدع أو من أهل الأهواء أو ممن يعتقد في الباطن اعتقادًا مُكَفِّرًا مناقضًا للدين، فالأصل فيه أنه من أهل القبلة.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قال الشارح: يشير الشيخ رحمه الله إلى أن الإسلام والإيمان واحد وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله . والمراد بقوله: (أهل قبلتنا) من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم..=

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

وهذا يتّضح بأن نقول أهل القبلة لفظ يُطْلَقُ على طائفتين:

⇦ الطائفة الأولى: هم أهل الإسلام الصحيح الذين كانوا على مثلِ ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه، وهذا يدخل فيه -يعني هذه الطائفة- يدخل فيها دخولاً أوَّليًا صحابة رسول الله ﷺ والتابعون وتبع التابعين وكل من كان على منهجهم.

فأولى الناس بهذا الوصف من كان على عقيدة الصحابة رضوان الله عليهم، وما أعظم قوله ﷺ: «**من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ فلا تُخفروا الله في ذمته**».

ويدخل في هؤلاء من تبعهم بإحسان على عقيدة أهل السنة والجماعة من أهل التوحيد الذين حَقّقُوا كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلم يعبدوا إلا الله ولم يُحكِّمُوا إلا شرع محمد ﷺ، وهؤلاء في الحقيقة هم أهل القبلة؛ لأنهم أولياء البيت، وهم الحقيقون بوصف المتقين، قال ﷻ لَمَّا ذكر المشركين في سورة الأنفال قال: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ٣٤]، يعني أولياء البيت ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، فأولياء البيت الحرام؛ أولياء القبلة يعني الذين يحبونها حقيقة وينصرونها، وثَمَّ ولاَيَة هم أهل البيت، هم أهل القبلة.

⇦ الطائفة الثانية: هم كل منتسب إلى الإسلام سواءٌ كان فيه مُكَفِّرٌ باطنًا أم ليس فيه مُكفِّر، فيدخل في ذلك أهل البدع والأهواء من فرق الضلال كالمعتزلة والخوارج والمرجئة والقدرية و ... إلى آخره وغلاة الصوفية، كل من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة، وكذلك يدخل فيه المنافقون.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: أما لو جحدوا شيئًا مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعترفوا، صاروا كفارًا، ولو آمنوا ببعض ما جاء به، فإن جحدوا بعضه فهم كافرون بجميع ما جاء به، فالواجب الإيمان به كله، سواء وافق أهواءنا أو خالفها؛ لأنه حق.

أما من كذب ببعض الأحاديث الصحيحة فهو كافر، فلو رد حديثًا في البخاري، والحديث صحيح، وقال: أنا لا أومن بهذا الحديث ولا أصدقه؛ لأنه يخالف العلم الحديث، فسبحان الله! كلام النبي ﷺ يُتهم، وكلام البشر لا يتهم؟ ....=

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

فإذًا اسم الإسلام، المسلم، واسم أهل القبلة يشمل المبتدعة وأهل الأهواء والعصاة، ويشمل المنافقين في دار الإسلام؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يكن يميز ما بين المنافق وغير المنافق في الوَلاية الظاهرة؛ يعني في كونه له ما له وعليه ما عليه؛ لأنَّ المنافق له حكم الإسلام ظاهرًا؛ لأنه أظهر الإسلام، وكذلك أهل البدع والأهواء لهم حكم المسلم ظاهرًا؛ لأنَّهُم أَظْهَرُوا الإسلام واستقبلوا القبلة.

إذا تبين ذلك، فإذًا هذا الوصف أهل القبلة ليس وصفًا لطائفة واحدة؛ بل هو وصف متميّز ومُتَمَايزٌ أهله فيه، فالوَلاَيَة لأهل القبلة والنُّصرَة لأهل القبلة والمحبة لأهل القبلة ليست على درجة واحدة:

- فكل من كان مُتَحَقِّقًا بوصف الطائفة الأولى فله الوَلاية الخاصة لمن كان على مثل ما عليه ﷺ وأصحابه.

- ومن كان من أهل البدع والأهواء فله حكم الإسلام وله حكم أنه من أهل القبلة، فلا يُستَباح دمه ولا يُكفَّر ولا يُخرَج من الدين إلا إذا أتى مُكَفِّرًا.

فإذًا هذا الاسم واللقب أهل القبلة هذا فيه نوع اختلاط، وتعلمون أنَّ زمن المؤلف وما قبله لم يكن فيه إلا ما ذكرنا لك من هاتين الطائفتين:

- طائفة من كان على منهاج أهل السنة والجماعة.

- والطائفة الثانية طائفة أهل البدع والأهواء والمنافقون.

التعليقات

= أيضًا العلم الحديث قد لا يخالف الأحاديث الصحيحة، والحمد لله، فمثلاً ورد في حديث الذباب الذي ينكره هؤلاء أن في أحد جناحيه داءً وفي الآخر دواءً، والطب يقر بهذا أن السم يعالج بضده، وبما يناقضه، والذباب فيه النقيضان، فإنه إذا وقع في الماء فإنه يرفع الجناح الذي فيه الدواء، ويغمس الجناح الذي فيه السم، فالنبي ﷺ أمر بغمسه بجناحه الذي فيه الدواء، فيغالب السم، فهذا يقره الطب ولا يرده، ولكنه لما خالف أذواق هؤلاء الجهال صاروا يتكلمون بهذا الكلام، وهذا كفر والعياذ بالله، ولهم مقالات شنيعة نحو السنة، يردونها ويشككون فيها، ويقولون: إن النبي ﷺ قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»، يقولون هذا وهم يدعون أنهم دعاة للإسلام، وهذا موقفهم من سنة النبي ﷺ، فهؤلاء الجهال يقولون: هذه من أمور الدنيا، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «أنتم أعلم بأمر دنياكم» فمعناه: أنهم يُجهِّلون النبي ﷺ...=

المسألة الثانية:

ظَهَرَ بعد زمان المؤلف المشرَكون -الشرك الأكبر- الذين يعبدون مع الله غيره ويدعون غير الله ويستغيثون بغير الله ويذبحون لغير الله ويعبدون غير الله ﷻ.

فهل هؤلاء يصدق عليهم اسم أنَّهم من أهل القبلة أم لا يصدق عليهم أنهم من أهل القبلة؟

على قولين لأهل العلم:

القول الأول: ليسوا من أهل القبلة لأنَّ صلاتهم باطلة؛ لأنَّ المشرك لا تُقبَلُ صلاته، فيكون استقباله للقبلة لَغْوًا؛ يعني ليس من أهلها، كما كان المشرك من قريش، ومن العرب يتوجه إلى الكعبة بالطواف ويؤدون عندها بعض العبادات ونحو ذلك، ولكنهم لم يكونوا موحدين فلم يتصفوا بوصف أنهم يستقبلون القبلة في الأحاديث.

القول الثاني: أنَّ الأصل في المسلم الإسلام حتى يَثْبُتَ عنه أو منه ما يُخرِجُهُ من الدين.

وهؤلاء إنْ أُطلِقَ عليهم أنَّهم كَفَرُوا -يعني صار عليهم اسم الكفر- سُلِبَ عنهم اسم أهل القبلة. وإن لم يُطْلَقْ عليهم الكفر -يعني ليسوا بكفار- فإنهم يبقون في الطائفة الثانية من التقسيم الأول؛ يعني في أهل البدع والأهواء والمنافقين وأشباه هؤلاء؛ لأنه لا يُكفَّر أَحَد إلا بعد أن تقوم عليه الحجة الرسالية التي يَكْفُرُ جاحدها، أو يَكْفُرُ منكرها، أو يَكْفُرُ رادُّها.

وهذا القول الثاني هو الأَوْلى وذلك أنَّ الأصل فيمن استقبل الكعبة أنه مسلم حتى يثبت عنه ما يخرجه من الإسلام.

العلماء -خاصةً بعض علماء الدعوة- بحثوا هنا في مسألة الكافر الأصلي، يعني من نشأ، بَلَغ وهو يعبد الأوثان وهو يعبد الأضرحة وهو يعبد غير الله ﷻ، ومن كانت هذه الأمور عارضةً له، بَحَثُوا في هذه المسألة في بعض الردود؛ لكن ليس بحثها مؤثرًا على التقسيم الذي قلناه.

التعليقات

= وقوله: (معترفين) (مصدقين) لا يكفي الاعتراف والتصديق إلا على مذهب المرجئة، بل لابد مع ذلك من العمل بما جاء به، ولابد من الإخلاص في ذلك.

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

المقصود أنَّ اسم أهل القبلة مثل اسم المسلم؛ يعني لا يترتب على هذا اللفظ (أهل القبلة) لا يترتب عليه حقوق إلا حقوق المسلم، فما دام أنه مسلم فله حق الإسلام له حقوق المسلم، إذا كان مسلمًا مطيعًا فله حق المسلم المطيع، مسلمًا عاصيًا صاحب كبيرة، مسلمًا مبتدع، مسلمًا ظاهرًا منافق باطنًا فهذا له حقوقه.

المسألة الثالثة:

قوله: (مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ) هذا الوصف: (مسلم)، (مؤمن)، هذا بناءً على أنَّ الإسلام والإيمان عند الطحاوي واحد وأنَّه لا فرق ما بين الإسلام والإيمان. وهذا القول ليس بجيد؛ بل مخالفٌ للأدلة ويأتي بحثه في الكلام على الإيمان.

وهناك وِجْهَة أخرى ظهرت لي أثناء تَأَمُّل كلمته أنه وإن قال ذلك لكن هذه الكلمة ليست مُلْزِمَة له بهذا القول؛ يعني لا نفهم منها أنه يُسَوِّي ما بين المسلم والمؤمن؛ لأنَّ من جهة التسمية نسميهم مسلمين أو نسميهم مؤمنين فالإسلام والإيمان إذا تفرّقا اجتمعا، فإذا قلنا: هو مؤمن مع كونه مسلمًا صحيح، وحتى صاحب الكبيرة نقول: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

فإذًا هذه الكلمة (مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ) لا تدل بنفسها على أَنَّهُ يجعل الإسلام والإيمان واحد وأنَّ المسلم هو المؤمن، ويأتي بيان أنَّ قول أهل السنة والجماعة -يعني جمهور أهل السنة والجماعة- والراجح عندهم أنَّ الإسلام غير الإيمان، والله ﷻ فرَّقَ بينهما في كتابه فقال ﷻ: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤]، وهذا دليلٌ واضحٌ على التفريق ويأتي بقية الأدلة في موضعها.

المسألة الرابعة:

أنَّ هذا الاسم أهل القبلة واسم المسلم والمؤمن لابد مَن بقاء ما دلَّ عليه، وهذا هو ما ذَكَرَهُ بعد ذلك بقوله: (**مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ**) يعني أَنَّهُ لو ارْتَكَبَ مُكفِّرًا فإنه يَخْرُجُ من اسمه مسلم ومن اسمه مؤمن ولو استقبل القبلة، ولو كان السجود في جبهته فإِنَّهُ ما دام أنه ثَبَتَ عنه بيقين ما حكَمَ عليه عالم أو قاضي بكفره فإنه يكون حينئذ ليس له حكم المسلم المؤمن ولو كان مستقبل القبلة.

التعليقات

قال: (مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ) معنى الاعتراف هنا هو الإقرار بأنَّ ما جاء به النبي ﷺ في كل مسألة حق. لكن فَرْقٌ هنا ما بين الجحد وما بين التأويل: فإنَّ من جحد أمرًا جاء به النبي ﷺ وكان ثابتًا عن النبي ﷺ وكانت د لته قطعية فإنه يكفر بذلك، مثل «عثـ ان في الجنة» هذا د لته قطعية «عثـ ان في الجنة» ما تحتمل معنى آخر، فإذا قال: ، هذا يدل على أنه يُحْكَم له بالجنة، أنا ما أحكم لعثمان بالجنة مع أنَّ النبي ﷺ حَكَمَ له، أنا أَرُد كون عثمان ﷺ في الجنة، أدري هو من أهل الجنة أو من أهل النار، هذا ردٌّ لخبر د لته قطعية.

فإذًا قوله: (مَا دَامُوا بِـ ـا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ) هنا ا عتراف بمعنى الإقرار بهذا الخبر وبما جاء به ﷺ، وهذا الإقرار فيما كانت د لته قطعية، أما إذا كانت د لته محتملة وصار ثمَّ للتأويل مَسْرَحْ؛ فإنه يُسلب عنه اسم الإسلام والإيمان.

ولهذا نصَّ أهل العلم من أئمة الدَّعوة ومن غيرهم على أنَّ متأولة الصفات ليسوا كمنكري الصفات، يعني ليس الأشاعرة مثل الجهمية، ليس المعتزلة مثل الجهمية في هذا الباب، الصفاتية الذين أثبتوا أصل الصفات وتأوَّلوا بعضًا هؤ ء لهم شُبْهَة التأويل فلم يُكَفِّرْهُمْ أهل السنة والجماعة في هذا الباب؛ لأنَّهم معترفون بأصل ما جاء به النبي ﷺ في هذا الباب؛ لكن تَأَوَّلُوهُ إلى جهةٍ أخرى. فإذًا يُفَرَّق هنا ما بين الرد وما بين التأويل، فا عتراف هو الإقرار.

كذلك يُفَرَّقُ هنا ما بين الإقرار الذي يقابله الجحد، وما بين الالتزام الذي يقابله الامتناع:

⇦أولاً **(الإقرار أو الاعتراف) الذي يقابله الجحد:** فا عتراف الذي هُوَ الإقرار يقابله الجحد، يقالُ أَقَرَّ واعترف أو جَحَدْ. أقر بأنَّ النبي ﷺ أَمَرَ بكذا، أو جَحَدَ أنَّ الصلاة واجبة، جَحَدَ أنَّ الزكاة واجبة، جَحَدَ أنَّ أَكْل نوع من المأكو ت المباحة أنَّهُ حلال، جَحَدَ أن الخمر محرم، فهذا جحد يناقض ا عتراف، يعني أصلاً ما يقر بالتحريم أصلاً.

⇦ ثانيًا **الالتزام الذي يقابله الامتناع:** قد يُقرُّ ولكنه يلتزم. وقد يجحد ولكنه يمتنع. وا لتزام واجب وا متناع مُكَفِّر.

ما معنى الامتناع؟ الامتناع أن يقول: أنا لا أدخل في هذا الخطاب، وهذا معنى قول العلماء: الطائفة الممتنعة، وقول إذا امتنع أحد عن كذا يعني لم يلتزم، فَجَعَلَ فِعْلَهُ غير داخل في هذا الخطاب. مثل حديث أبي بردة بن نيار المعروف (**أنَّ النبي ﷺ بعثه في رجل نكح امرأة أبيه فأمره أن يقتله وأن يُخَمِّسَ** ماله). هذا رجل نَكَحَ امرأة أبيه، الفعل معصية كبيرة، كبيرة بشعة أن ينكح امرأة أبيه؛ لكن النبي ﷺ أمره أن يقتله وأن يخمّس ماله؛ يعني جعله مرتدًا لم؟ لا لكونه جَحَدَ ولكن لكونه امتنع.

فإذًا هنا في الاعتراف (**مَا دَامُوا مُعْتَرِفِينَ**):

- فيه الإقرار ويقابله الجحد.
- وفيه الالتزام ويقابله الامتناع

الالتزام: أن يعتقد أنه مخاطب.

والامتناع: أنا غير مخاطب بذلك، مثل فعل مانعي الزكاة، فيقولون: الزكاة واجبة وأَدُّوهَا لكن نحن بذاتنا لا نحن لسنا داخلين في هذا الخطاب.

فالرجل ظَنَّ أنه لا يدخل في هذا الخطاب في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢]، فهو مُقِرٌّ بوجوبها بدخوله في الإسلام أصلاً، مُقِرٌّ بهذه الآية بدخوله؛ لكنه امْتَنَعَ من الالتزام بها لأجل أنَّ هذه كانت فِعْلَة أهل الجاهلية، فكان من إكرام الرّجل لأبيه أن ينكح امرأة أبيه لأنَّ هذا يدل على بِرِّهِ، يدل على صلته، ويدل على شرفه، ويدل على أشياء عندهم، فلما أَنَّهُ امتنع، يعني كان أَخْذُهُ إذًا مَأْخَذ الحكم الجاهلي ما دام أنه لم يلتزم.

إذًا في هذه الصورة لم يلتزم -هو مقر معترف- لكنه لم يلتزم، بمعنى امتنع، **وليست المسألة مسألة تكفير بالعمل أو أن فِعْلَهُ دَلَّ على استحلاله.**

ليست من هذا الباب، إنما هي من باب الامتناع فمن عَرَفَ واقع أهل الجاهلية في نكاح امرأة الأب إلى آخره وسبب نزول الآية ودلالة ذلك عرف.

التعليقات

المقصود من هذا أنَّ قول الطحاوي: (**مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ**): الاعتراف هو الإقرار، والإقرار يقابله الجحد. ويأتي الكلام على الاستحلال في قوله: (**وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ**).

فإذًا صارت عندك هنا أنَّ النسبة إلى الإسلام، النسبة إلى أهل القبلة يأتي الخروج منها بأشياء. وأما العمل فيأتي الكلام عليه (**وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ**)؛ لهذا هنا علقها بالاعتقادات (**مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ**).

المسألة الخامسة:

هذا الباب، باب الإيمان، والخروج من اسم الإسلام واسم الإيمان ومِنْ معنى أهل القبلة، هذا من المواضع التي تَزِلُّ فيها الأقدام؛ ولهذا الذي يجب على كل طالب علم أن يعلم:

- ما قاله أهل السنة والجماعة في بيان الإيمان وبيان ضده.

- وأنَّ الإيمان والإسلام إذا قامت بالشخص -يعني وُصِفَ أحد بالإسلام والإيمان-، المسلم والمؤمن لا يُخْرَجُ من إسلامه وإيمانه حتى يأتي بمُكَفِّرٍ واضِحٍ مثل وضوح ما أدخله في الإيمان.

فهو دخل باعتقادٍ واضح، دخل بكلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، دخل أيضا بِعَمَلٍ بالأركان، فلا بد أن:

- يكون الاعتقاد مضاد للأصل -الإيمان بالله وملائكته ورسله إلى آخره.

- كذلك القول يكون مضاد للأصل؛ يعني مواجه للأصل، مضاد للتوحيد، لكلمة التوحيد؛ يعني من الأقوال الشركية.

- كذلك العمل يكون مضادًا لما دلَّ عليه العمل من الاستسلام لله ﷻ.

وهذه المسألة يأتي لها مزيد تفصيل فيما نستقبل إن شاء الله تعالى. فإذًا معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أنَّ من ثَبَتَ في حقه اسم الإسلام والإيمان فإنَّهُ يبقى على هذا الاسم ما لم يأتِ بشيء من الأقوال أو الأعمال أو الاعتقادات تَرُدُّ هذا الأصل بوضوح لا باحتمال؛ لأنَّ الواضح البَيِّن اليقيني لا يزيله إلا يقيني.

.... وَلا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ(١).........................

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمهم، فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾......................

الشيخ صالح

قال بعدها **(وَلاَ نَخُوضُ فِي اللَّهِ، وَلاَ نُمَارِي فِي دِينِ اللَّهِ). (لاَ نَخُوضُ فِي اللَّهِ)** يعني في ذات الله ﷻ. **(وَلاَ نُمَارِي فِي دِينِ اللَّهِ)** يعني لا نلقي الأُغْلُوطاتْ والشُّبَه والشكوك في دين الله ﷻ، فأصل الإسلام مبني على الاستسلام، والاستسلام لله ﷻ فيما أخبر به في أمور الغيب، فيما أنزله على رسوله ﷺ جملةً وتفصيلاً.

فإذًا لا نخوض في الله -يعني في ذات الله ﷻ- بل نتكلّم عن الذات العَلِيَّة ﷻ وعن صفاته ﷻ بما جاء في الكتاب والسنة؛ لهذا أَصْلُ أهل السنة مخالف لأهل الأهواء في هذا الأَصْل.

فأهل الأهواء والبدع يخوضون في الله وفي صفاته ولذلك سُمُّوا أهل الكلام؛ لأنهم في كل مسألة يخوضون؛ فلو راجعت كتاب الأشعري(مقالات الإسلاميين) لوجدت أنَّهُ قسمه إلى قسمين:

- القسم الأول جليل الكلام.
- والقسم الثاني دقيق الكلام.

دخلوا في أشياء هي خَوضٌ في الله ﷻ وفي صفاته بغير ما أنزل على رسوله ﷺ؛ إذًا قوله: **(وَلاَ نَخُوضُ فِي اللَّهِ)** يريد به مفارقة أهل الكلام ومفارقة أهل البدع والأهواء في أننا نتأدب مع الرب ﷻ فلا نخوض في شيءٍ إلا بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: لا نخوض في الله، بل نؤمن به وبصفاته وأسمائه، ولا نؤولها ونصرفها عن ظاهرها، ونأتي بمعانٍ ما أرادها الله ولا أرادها النبي ﷺ، اتباعًا لأهوائنا وعقولنا القاصرة، وهذا كفر بالله عز وجل.

وكذلك في دين الله لا نماري -أي نجادل- ونقول: هذا نؤمن به وهذا نتوقف في الإيمان به، فما دام ثبت في الكتاب والسنة فليس فيه مجال للخوض، بل نؤمن به ونُسَلّم، وإن كان في عقولنا ما لا يدرك هذا الشيء، فعقولنا قاصرة، ولو كانت كاملة لما احتاجت إلى النبي ﷺ، ولما احتاجت البشرية إلى الرسل، فدل على أن العقول قاصرة، وأنه لابد من إرسال الرسل؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

ابن أبي العز الحنفي

...... وعن أبي حنيفة رحمه الله، أنه قال: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه.

وقال بعضهم: الحق سبحانه يقول: من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي ألزمته الأدب، ومن كشفت له حقيقة ذاتي ألزمته العطب، فاختر الأدب أو العطب.

ويشهد لهذا: أنه سبحانه لما كشف للجبل عن ذاته ساخ الجبل وتدكدك ولم يثبت على عظمة الذات..

الشيخ صالح

(وَلاَ نُمَارِي فِي دِينِ اللَّهِ) يعني بإلقاء الشبه والشكوك إلى آخره ولو لقصد المناظرة؛ بل المِرَاءْ مذموم بأنواعه. وتحتها مسائل:

المسألة الأولى:

الخوض في ذات الله محرمة، وكذلك التفكر في ذات الله أيضًا منهيٌّ عنه؛ لكن المأمور به أن يُفَكِّرْ المرء في آلاء الله ﷻ؛ قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا**».

فالمأمور به العبد أن يتفكّر في آلاء الله، وآلاء الله ﷻ يعني في آياته. آيات الله ﷻ نوعان:

- آيات مرئية وهي ملكوته في السموات وفي الأرض وما خَلَقَ الله من شيء.
- وآيات متلوة وهي القرآن.

فمن تفكر في آلاء الله دلَّهُ على عِظَمِ ربه ﷻ وأصابه طمأنينة وسكينة وخشوع وخضوع للرب ﷻ.

لهذا أمرنا ربنا سبحانه بالتفكر في آلائه وملكوته وآياته، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩١]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ [الروم: ٨].

التعليقات

...... قال الشبلي: الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب. وقوله: ولا نماري في دين الله.

معناه: لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم، التماسًا لامترائهم وميلهم؛ لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبيس الحق، وإفساد دين الاسلام...

وقال سبحانه أيضًا: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١]، وقال ﷺ: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سبأ:٤٦]، تقف هنا ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [سبأ:٤٦]، والنبي ﷺ حُبِّبَ إليه الخلاء، حُبِّبَ إليه أن يدخل غار حراء ويمكث فيه الليالي ذوات العدد يَتَحَنَّث ويتأمل في ملكوت الله ﷻ.

وهذا يُحدِث من حقائق الإيمان في النفس ومن الارتباط والذل لله ﷻ ما يُحدث؛ ولهذا كان من هدي السلف رضوان الله عليهم قلة الكلام والتفكر في آلاء الله ﷻ.

قالت أم الدرداء في وصف زوجها أبي الدرداء: **كانت أكثر عبادة أبي الدرداء التفكّر.**

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: **عاملنا القلوب بالتفكر فأورثها التَذكُر، فرجعنا بالتَذكُر على التفكر وحركنا القلوب بهما، فإذا القلوب لها أسماع وأبصار.**

هذه كلمة عظيمة، الناس قلوبهم مُضْغَة كلها تتحرك وتقذف الدم؛ ولكن القلب الحي ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا ﴾ [يس:٧٠]، صاحب القلب الحي هذا يكون قلبه له سمع وبصر؛ يعني يرى أشياء و يتفرس في الأشياء ويكون له مرئيات، يرى ما لا يراه الآخرون.

قال: (**عاملنا القلوب بالتفكر**)، التفكر في آلاء الله، وليس التفكر في الله ولا في ذات الله إنما التفكر في آلاء الله ﷻ، فيما خلق، في آياته التي أعطاها المرسلين، في آياته المتلوة، القرآن إلى آخره، يعني في المنظورة والمقروءة.

(**فأورثها التَذكُر**)؛ يعني تَذكَر العبد، إذا تفكر وخلا بنفسه فإنه سيتذكر؛ لكن تَذَكُرُهُ سيكون ضعيفًا؛ لأنه بدايات التذكر بعد التفكر.

قال (فرجعنا) -هو يحكي حال السلف. الحسن البصري يقول: (**عاملنا**) يعني السلف يعني طبقة التابعين، قال (**فرجعنا بالتَذكُر**) هذا الذي تذكرناه وصار في القلب نوع حياة رجعنا به على التَفكُر، تَفكَّرنا من جديد، نظرنا في الملكوت، في آلاء الله، في تصرف الله ﷻ في خلقه، في آيات الله في القرآن.

(**فرجعنا بالتذكر على التفكر وحركنا القلوب بهما**)، يعني مرة وراء مرة، هذا تذكر بعد تفكر، تذكر بعد تفكر، يبقى العبد في الإيمان.

قال: (**فإذا القلوب لها أسماع وأبصار**)، ينفتح القلب من معارف الله ﷻ ومن الأُنْسِ به ومن لذة مناجاته ومن إيثار ما عنده على ما في هذه العاجلة، وعلى إيثار مَحَابِّهِ ﷻ على أهواء النفس ما لا يدركه إلا من وفّقه الله ﷻ.

لهذا قال: (**وَلاَ نَخُوضُ فِي اللَّهِ**) سمة أهل السنة والجماعة أنهم لا يخوضون في الله، ولا يخوضون في صفات الله وإنما يذكرون ما دَلَّ عليه الكتاب والسنة ويُعَلِّمُونَ ذلك، وإنما المهم العمل، المهم هذا القلب أن يكون صالحًا، أن يكون خاشعًا لله، منيبا لله ﷻ، ولهذا صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»، وقال في السبعة الذين يظلهم الله في ظلهم: «**ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**».

فمن أعظم العبادات التَفكُّر، تَفكَر في القرآن، تُرَدِّد الآيات لتؤثر على قلبك، التَفكُّر في ملكوت الله، في هذه السماء العجيبة، الأرض، في الخلق، هذا من سمة وخصال أهل السنة والجماعة، مخالفين بذلك لطريقة الصوفية الذين أورثهم العزلة التفكر والخوف في الله ﷻ والكشف؛ كشف الحُجُب ونحو ذلك مما زلَّتْ به أقدامهم.

المسألة الثانية:

على قوله: (**وَلاَ نُمَارِي فِي دِينِ اللَّهِ**) المِرَاء مذموم. والمراء ضابطه هو أن يُورِد الشيء بقصد الانتصار للنّفس أو إضعاف من أمامه. يعني المغالبة، يريد يغالب، يريد يشككك، الشبه يوردها.

هذا من الأمور المذمومة لأنّ أصل الدين مبني على الاستسلام، فالمراء في الدّين محرم وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**أنا زعيم ببيت في أعلى الجنّة لمن ترك المراء وهو محقّ وأنا زعيم ببيت بوسط الجنة لمن ترك المراء**».

.... ولَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١)..............

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله: (ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمدًا ﷺ. وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين).

ش: فقوله: (ولا نجادل في القرآن)، يحتمل أنه أراد: أنَّا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، بل نقول: إنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، إلى آخر كلامه...........

الشيخ صالح

[.....] إيش، المقصود الحديث اشتبه عليّ لفظه، «**أنا زعيم في بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء**». النبي ﷺ تَكَفَّلَ ببيت لمن ترك المراء وإن كان محقًا -ببيتٍ في الجنة- لماذا؟

لأنَّ المراء أحيانًا وأنت تماري يأتيك الحق معك لكن تغلبك نفسك للانتصار لنفسك لا للحق، والإنسان بين هذه وهذه يكون عنده شيء -يعني بين الانتصار للحق وبين الانتصار لنفسه-، وكثيرًا ما تشتبه على أكثر الناس؛ يعني تختلط هذه بهذه، أنت ستنتصر لنفسك أو ستنتصر للحق، ولهذا يسمى هذا مراء، إذا صارت مجادلة وخشيت أن تنتصر فيها لنفسك، فالسكوت أفضل لأنَّ الانتصار لنفسك من المراء في دين الله ﷻ.

فإذًا من صفة أهل السنة والجماعة ومن سماتهم أنهم لا يمارون في دين الله، لهذا قال الإمام مالك ﵀ لما سُئِل: **الرجل تكون عنده السنة أيجادل عليها؟** قال: **لا، يخبر بالسنة فإن قُبِلَتْ منه وإلا سكت.**

لأنَّ المراء في ذلك يورث العداوة قد يورث الانتصار للنفس، وذلك كله مذموم. نقف عند هذا، وأسأل الله ﷻ لي ولكم الهدى والرشاد، وأن يحبب إلينا الإيمان ويزيّنه في قلوبنا. كما أسأله ﷻ أن يُكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

نكتفي بهذا القدر، وفقكم الله.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت : إن من أكبر الفتن التي أصابت بعض الفرق الإسلامية بسبب علم الكلام أنه انحرف بهم عن الإيمان بأن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين حقيقة لا مجازا أما المعتزلة الذين يقولون بأنه مخلوق فأمرهم في ذلك واضح مفضوح ....=

ابن أبي العز الحنفي

..... ويحتمل أنه أراد: أنَّا لا نجادل في القراءة الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح. وكل من المعنيين حق. و يشهد بصحة المعنى الثاني، ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: «سمعت رجلا قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهة، وقال: كلاكما محسن، لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» رواه مسلم.........

الشيخ صالح

الحمد لله رب العالمين، وبعد: فهذه الجملة من هذه العقيدة التي ألّفها العلاّمة أبو جعفر الطحاوي ؒ قال فيها: (**وَلاَ نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلاَمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُوَ كَلاَمُ اللَّهِ تَعَالَى لاَ يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلاَ نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلاَ نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ**). وهذه الجملة مشتملة على عقيدة مباركة عظيمة في القرآن.

والإيمان بالقرآن فرضٌ ورُكْنُ الإيمان؛ لأنَّ من أركان الإيمان الإيمان بكتب الله المنزلة، وأعظمها الكتاب الذي جعله الله مهيمنًا على كل كتاب وهو هذا القرآن العظيم. فالإيمان به ركنُ الإيمان، والإيمان به عند أهل السنة والجماعة يشمل:

- ❑ الإيمان بأنه كلام الله تعالى.
- ❑ وأنه منزّل من رب العالمين.
- ❑ وأنَّ محمدًا ﷺ عَلَّمَهُ إياه جبريل، وجبريل سَمِعَهُ من رب العالمين ﷻ وتقدست أسماؤه.

التعليقات

= لكن هناك طائفة تنتمي إلى السنة وترد على المعتزلة هذا القول وغيره مما انحرف فيه عن الإسلام ألا وهم الأشاعرة والماتريدية فإنهم في الحقيقة موافقون للمعتزلة في قولهم بخلق القرآن وأنه ليس من قول رب العالمين إلا أنهم لا يفصحون بذلك ويتسترون وراء تفسيرهم للكلام الإلهي بأنه نفسي قديم غير مسموع من أحد من الملائكة والمرسلين وأنه تعالى لا يتكلم إذا شاء وأنه متكلم منذ الأزل وقد رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بحثًا هامًّا في إبطال تفسيرهم هذا فقال بعد أن أثبت قدم الكلام: والكلام صفة كمال فإن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم كما أن من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر، والذي يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته وأكمل ممن يتكلم بغير مشيئته وقدرته إن كان ذلك معقولا.

ويمكن تقريرها على أصول السلف بأن يقال: إما أن يكون قادرًا على الكلام أو غير قادر فإن لم يكن قادرًا فهو الأخرس وإن كان قادرًا ولم يتكلم فهو الساكت ....=

ابن أبي العز الحنفي

...... نهى رسول الله ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع صاحبه من الحق ؛ لأن كلا القارئين كان محسنًا فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا.

ولهذا قال حذيفة رضي الله عنه، لعثمان رضي الله عنه: أدرك هذه الأمة لا تختلف كما اختلفت الأمم قبلهم........................

الشيخ صالح

❐ وأنَّ هذا القرآن لا يشبهه شيء من كلام المخلوقين، لا يماثله ولا يدانيه.

❐ وأنه غير مخلوق ؛ لأنه صفة الله ﷻ، وصفات الله ﷻ كذاته العَلِيَّة، فهو سبحانه الخالق ﷻ وغيره مخلوق.

وهذا التقرير من العلامة الطّحاوي مأخوذٌ من النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة التي تدلّ على هذه الأصول كقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣]، وكقوله ﷻ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢]، وكقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٢- ١٩٥]، وكقوله ﷻ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة:٦]، وغير ذلك من الآيات التي فيها أنَّ القرآن كلام الله، وأنه مُنَزَّلٌ من عنده وأنّ جبريل عليه السلام هو الذي نَزَلَ به على قلب محمد ﷺ.

التعليقات

= وأما الكلابية (متبوع الأشاعرة في هذه المسألة) فالكلام عندهم ليس بمقدور فلا يمكنهم أن يحتجوا بهذه فيقال هذه قد دلت على قدم الكلام لكن مدلولها قدم كلامٍ معين بغير قدرته ومشيئته أم مدلولها أنه لم يزل متكلمًا بمشيئته وقدرته ؟

والأول: قول الكلابية .

والثاني: قول السلف والأئمة وأهل الحديث والسنة فيقال مدلولها الثاني لا الأول، لأن إثبات كلام يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته غير معقول ولا معلوم والحكم على الشيء فرع عن تصوره .

فيقال للمحتج بها : لا أنت ولا أحد من العقلاء يتصور كلاما يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته فكيف تثبت بالدليل المعقول شيئًا لا يعقل ....=

ابن أبي العز الحنفي

..... فجمع الناس على حرف واحد اجتماعًا سائغًا. وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب، ولا فعل لمحظور؛ إذ كانت قراءة القرآن على سبعة أحرف جائزة لا واجبة، رخصة من الله تعالى، وقد جعل الاختيار إليهم في أي حرف اختاروه.........

الشيخ صالح

قال: (وَلاَ نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ) المُجَادَلَة في القرآن دَلَّتْ السنة على أنها مذمومة ومحرّمة، وذلك كما روى مسلم في الصحيح أنَّ النبي ﷺ خَرَجَ عليهم يوما وهم يتجادلون في القرآن هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان -يعني من الغضب- عليه الصلاة والسلام فقال لهم: «**اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا**» أو كما جاء عنه ﷺ، وقد جاء أيضًا أنَّ نبينا ﷺ نهى أن يَجْهَرَ بعض الناس على بعض في القراءة؛ وذلك لأجل التأدب مع القرآن وأن لا تكون القراءة سببًا للتخاصم أو للمجادلات؛ يعني بسبب القرآن أو في القرآن.

التعليقات

= وأيضًا فقولك: لو لم يتصف بالكلام لاتصف بالخرس والسكوت. إنما يعقل في الكلام بالحروف والأصوات فإن الحي إذا فقدها لم يكن متكلمًا فإما أن يكون قادرا على الكلام ولم يتكلم وهو الساكت وإما أن لا يكون قادرا عليه وهو الأخرس وأما ما يدعونه من الكلام النفساني فذاك لا يعقل أن من خلا عنه كان ساكتا أو أخرس فلا يدل بتقدير ثبوته على أن الخالي عنه يجب أن يكون ساكتًا أو أخرس وأيضا فالكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو ؟ بل ولا تصورتموه وإثبات الشيء فرع تصوره فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته ولهذاكان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة (يعني الأشاعرة) وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيء يعقل، بل يقول هو: معنى يناقض السكوت والخرس.

والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام فالساكت هو الساكت عن الكلام والأخرس هو العاجز عنه أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام وحينئذ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس .

فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يثبتوه بل هم في الكلام يشبهون النصارى في (الكلمة) وما قالوه في (الأقانيم) و(التثليث) و(الاتحاد) فإنهم يقولون ما لا يتصورونه ولا يبينونه والرسل عليهم السلام إذا أخبروا بشيء ولم نتصوره وجب تصديقهم .

وأما ما يثبت بالعقل فلابد أن يتصوره القائل به وإلا كان قد تكلم بلا علم فالنصارى تتكلم بلا علم فكان كلامهم متناقضًا ولم يحصل لهم قول معقول كذلك من تكلم في كلام الله تعالى بلا علم كان كلامه متناقضا ولم يحصل له قول يعقل ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام كلام الله وكلام جميع الخلق بقول شاعر نصراني يقال له الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما … جُعِل اللسان على الفؤاد دليلا

وقد قالت طائفة إن هذا ليس من شعره وبتقدير أن يكون من شعره فالحقائق العقلية أو مسمى لفظ الكلام الذي يتكلم به جميع بنى آدم لا يرجع فيه إلى قول ألف شاعر فاضل دع أن يكون شاعرًا نصرانيًا اسمه الأخطل . . . " انتهى ملخصًا من "مجموعة الفتاوى" (٦ / ٢٩٤ - ٢٩٧)..........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... كما أن ترتيب السور لم يكن واجبًا عليهم منصوصًا؛ ولهذا كان ترتيب مصحف عبد الله على غير ترتيب المصحف العثماني، وكذلك مصحف غيره. وأما ترتيب آيات السور فهو ترتيب منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية، بخلاف السور......................

الشيخ صالح

والمِرَاء مذمومٌ مُطلقًا سواء أكان بحق أو بغير حق، وهو المُرَادُ به نُصْرَةُ النفس والاستعلاء، ولو كان بالقرآن، فلا نجادل في القرآن؛ يعني في أدلته، ولا نجادل في القرآن في صفته؛ بل نُسَلِّم للقرآن أنه كلام الله ﷻ، ونستسلم لدليل الرحمن ﷻ، فالقرآن آيات الرب ﷻ.

فالتجادل بالاختلاف في القرآن المبني على الأهواء هذا ليس من صفة أهل الإيمان، وإنما -كما سيأتي- المجادلة تكون لبيان الحق ولبيان وجه الدليل وهذا هو المحمود، فالمجادلة في القرآن مذمومة، ولهذا قال الطحاوي هنا: (**وَلاَ نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ**).

(**وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلاَمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) يعني نُعلِنُ ونُخبر مع اعتقادنا ويقيننا بأنه ليس كَلاَمَ مَخْلُوق بل هو كلام رب العالمين؛ أي أنه كلام الله ﷻ.

التعليقات

=الشيخ الفوزان: قوله: (لا نجادل في القرآن) يشمل عدم القول بأنه ليس من عند الله، كما يقوله الكفار، ويقولون: هو من عند محمد ﷺ.

وكذلك الجدال في تفسير معاني القرآن، فلا نفسر القرآن من عند أنفسنا، فالقرآن لا يفسر إلا بما جاء في كتاب الله أو ما جاء في سنة رسول الله ﷺ، أو ما قاله الصحابة أو ما قاله التابعون، أو ما اقتضته اللغة العربية التي نزل بها.

فلا نقول فيه بعقولنا القاصرة، إنما يفسره الله سبحانه الذي نزله، أو النبي عليه الصلاة والسلام الذي وُكل إليه بيانه، أو الصحابة الذين تتلمذوا على المصطفى عليه الصلاة والسلام، أو التابعون الذين رووا عن تلاميذ النبي ﷺ، أو اللغة التي نزل بها؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين. أما تفسيره بما يقوله الطبيب الفلاني أو المفكر الفلاني أو الفلكي الفلاني، فالنظريات تختلف، فاليوم نظرية وغدًا نظرية تبطلها؛ لأنها من عمل البشر، فلا يُفسَّر كلام الله بهذه الأشياء التي تتبدل وتتغير كما يفعله الجهال اليوم ويقولون: هذا من الإعجاز العلمي.

قوله: (ونشهد أنه كلام رب العالمين) نشهد أن القرآن كلام الله تكلم الله به حقيقة، وسمعه جبريل من الله، وبلغه إلى النبي ﷺ، وبلغه محمد عليه الصلاة والسلام إلى أمته، وبلغته أمته كل جيل إلى الجيل الذي بعده، نحن نكتبه ونقرؤه ونحفظه، وهو بذلك كلام الله ما هو بكلامنا، ولا كلام النبي ﷺ، ولا كلام جبريل عليه السلام.

... ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ (١)................

ابن أبي العز الحنفي

..... فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إن لم تجتمع على حرف واحد - جمعهم الصحابة عليه.

هذا قول جمهور السلف من العلماء والقراء. قاله ابن جرير وغيره: منهم من يقول: إن الترخص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام، لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولاً، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيرًا عليهم، وهو أوفق لهم: أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الأخيرة.

وذهب طوائف من الفقهاء وأهل الكلام إلى أن المصحف يشتمل على الأحرف السبعة؛ لأنه لا يجوز أن يهمل شيء من الأحرف السبعة.

وقد اتفقوا على نقل المصحف العثماني. وترك ما سواه. وقد تقدمت الإشارة إلى الجواب، وهو: أن ذلك كان جائزًا لا واجبًا، أو أنه صار منسوخًا. وأما من قال عن ابن مسعود إنه كان يجوز القراءة بالمعنى! فقد كذب عليه، وإنما قال: قد نظرت إلى القرأة فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو كقول أحدكم: هلم، وأقبل، وتعال، فاقرءوا كما علمتم. أو كما قال..

الشيخ صالح

(**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**) الروح الأمين الذي هو جبريل، نزل به من رب العالمين، نزل به سَمَاعًا، سَمِعَهُ جبريل عليه السلام من رب العالمين، وأمره الله ﷻ أن ينزل به وحيًا على سيّد المرسلين (**فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ**).

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: الروح الأمين هو جبريل؛ وسمي بهذا لأنه مؤتمن لا يغير ولا يبدل، مؤتمن على ما حمله الله، لا يتهم بالخيانة كما تقوله اليهود يقولون: جبريل عدونا. أو كما يقوله غلاة الشيعة: إن الرسالة لعلي ولكن جبريل خان وبلغها إلى محمد ﷺ. فهذا تكذيب لله؛ لأن الله سماه أمينًا.

فأنزل الله في اليهود: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، ثم قال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾.

من عادى جبريل، أو ملكًا من الملائكة، فإن الله عدوه وكذا من عادى رسولاً من الرسل، فهو كافر، ومن عادى وليًا من أولياء الله فإنه مبارز الله بالمحاربة، كما صح في الحديث، فجبريل علمه للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ وضمير المفعول في ﴿عَلَّمَهُ﴾ راجع إلى النبي ﷺ، و﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾: جبريل عليه الصلاة والسلام، فعلّم النبي ﷺ بأمر الله.

..... والله تعالى قد أمرنا أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فكيف بمناظرة أهل القبلة؟ فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب، فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هي أحسن، وليس إذا أخطأ يقال: إنه كافر، قبل أن تقام عليه الحجة التي حكم الرسول بكفر من تركها.

والله تعالى قد عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان. ولهذا ذم السلف أهل الأهواء، وذكروا أن آخر أمرهم السيف. وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان، إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: ونرى الجماعة حقًا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا.

وقوله: (ونشهد أنه كلام رب العالمين)، قد تقدم الكلام على هذا المعنى عند قوله: وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً.

وقوله: (نزل به الروح الأمين)، هو جبرائيل عليه السلام، سمي روحًا لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أمين حق أمين، صلوات الله عليه. قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [سورة التكوير آية: ١٩، ٢١]. وهذا وصف جبرائيل. بخلاف قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة: ٤١]، الآيات. فإن الرسول هنا هو محمد ﷺ.

وقوله: (فعلمه سيد المرسلين)، تصريح بتعليم جبرائيل إياه، إبطالاً لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوره في نفسه إلهامًا.........

... وَهُوَ كَلامُ اللهِ تَعَالى لا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلامِ المَخْلُوقِينَ(١)، وَلا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ (٢)..............................

ابن أبي العز الحنفي

..... وقوله: (ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين)، تنبيه على أن من قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين، فإن سلف الأمة كلهم متفقون على أنه كلام الله بالحقيقة غير مخلوق، بل قوله: ولا نخالف جماعة المسلمين، مجرى على إطلاقه. أنا لا نخالف جماعة المسلمين في جميع ما اتفقوا عليه فإن خلافهم زيغ وضلال وبدعة..............................

الشيخ صالح

(**وَلاَ نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلاَ نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ**) هذا منه تقرير لما أجمع عليه أهل السنة، وذلك خلافًا للمعتزلة والعقلانيين والخوارج والرافضة الذين قالوا بخلق القرآن كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. هذا الأصل الذي ذكره الطحاوي وهذه العقيدة المباركة تحتها مسائل:

المسألة الأولى:

المجادَلَةُ: عُرِّفَتْ بأنها إيراد الحجة على القول المخْتَلَفِ فيه مِن المُخْتَلِفِينَ. فإذا اختلفوا في مسألة؛ هذا يُورِدُ حُجَّتَهُ تقريرًا لقوله وهذا يُورِدُ حُجَّتَهُ تقريرًا لقوله، فتصير مجادلة. وفي الشرع المجادلة قسمان:

① **مجادلة مذمومة**: وهي التي يُرادُ بها الانتصار للنفس وللقول دون تحرٍّ للحق.

② **مجادلة محمودة**: وهي المجادلة بالتي هي أحسن؛ يعني التي الغَرَضُ منها الوصول إلى الحق وإرشاد الضال وتبيين حجة الله ﷻ، وهي مأمور بها في الشرع.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: هو كلام الله، تكلم به سبحانه حقيقة، وسمعه جبريل من الله حقيقة، وبلغه إلى النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾، ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ فالرسول يبلغ القرآن، لا ينقص ولا يزيد ولا يبدل ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾. وهو كلام الله، سبحانه وتعالى كما نزل، فالله حفظه من الزيادة والنقص: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾..............................=

وهذه هي التي أثنى الله ﷻ على عباده بها، وأمرهم بها في قوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وكقوله سبحانه في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ويَشْتَبِهُ بالمجادلة الجَدَل، والجَدَلُ قال بعض أهل العلم: إنه هو المجادلة؛ لأنه مأخوذ من الجَدْلْ، جَدْلْ الحبل، وهو لَفٌّ بعضه على بعض كأنَّ الأقوال التَفَّ بعضها على بعض من الإيراد، والأظهر أنَّ الجَدَلْ نوعٌ من الخصومة؛ لكن لم يُمْدَحْ في القرآن، فذمّه الله لأ في قوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧- ٥٨].

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ يعني في ذلك ذم لهذا الإيراد؛ لأنَّهم ما أرادوا المجادلة ولا أرادوا دفعًا للشُّبْهَة أو الوصول إلى الحق، وإنما هو جَدَل. وهنا ثَمَّ بعض البحوث التي كتِبَتْ في هذا الموضوع خاصَّةً عند المعاصرين باسم الجَدَل، (الجَدَل في القرآن).

والجَدَلْ إذا كان يصل معه المتجادلون إلى حقيقة فإنه في الحقيقة مُجَادَلَة ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١]، فهي مجادَلات في القرآن.

وإذا كان المقصود بالجَدَل في القرآن المجادلات فإنَّ هذا مقبول؛ لكن تكون تسميتها بالجدل هذه يكون فيها بحث اصطلاحي.

التعليقات

=(٢) الشيخ الفوزان: لا نقول: القرآن مخلوق، كما تقول الجهمية، فهذا كفر وجحود لكلام الله، ووصف لله بالنقص وأنه لا يتكلم، والذي لا يتكلم يكون ناقصًا ولا يكون إلهًا.

ولهذا لما قال قوم السامري: هذا إلهكم وإله موسى، يعنون العجل أو التمثال، قال الله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، فقال: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يتكلم، فدل على بطلان عبادتهم له.

وفي الآية الأخرى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾، والكلام صفة كمال، وعدم الكلام صفة نقص، فالله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص، ومتصف بصفات الكمال.........................=

وإذا كان المقصود بالجَدَل في القرآن -مثل ما كتبوا- ما ضُرِبَ جَدَلاً لغيرِ وصولٍ إلى الحق، فهذا لا يدخل فيه المجادلات التي للوصول للحق، لأنَّهم يُدْخِلُونَ فيها ما أقام الله ﷻ به الحُجَّة مثل مجادلة الملك مع إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [البقرة:٢٥٨]، هذه يُدْخِلُونَهَا في الجدل.

فقوله هنا: **(وَلاَ نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ)** المجادلة -كما ذكرنا- إذا كانت بالتي هي أحسن للوصول إلى الحق فهذه مطلوبة شرعًا، وأمر الله ﷻ بها عباده. لكنهم يجادلون بالقرآن لا فيه. يعني يُجَادِلُ غيره بحجة القرآن. وفَرْقٌ ما بين المُجَادَلَة بالقرآن وبين المُجَادَلَة في القرآن:

← **فالمجادلة بالقرآن:** أن تُورد الحجة من كتاب الله ﷻ وتُورِد وجه الاستدلال من ذلك.

← **أما المجادلة في القرآن:** فهو أن يُخْتَلَف في حُجِّيَّتِهِ، أو تُضْرَبُ بعض الآيات ببعض، أو أنْ لا يُرَد المتشابه إلى المُحْكَم أو أن يُخَاضَ في الأمور الغيبية بأمور عقلية ونحو ذلك.

فالمجادلة بالقرآن محمودة لإقامة الحجة، وأما فيه فإنها مذمومة.

المسألة الثانية:

الذين جادلوا في القرآن في هذه الأمة، أمَّة الإجابة كثيرون. فكل طوائف الضلال ممن لم يستسلم لنص القرآن والسنة فإنه جادَلَ في القرآن. وذلك أنهم أسَّسُوا مذاهب لهم واعتقادات، فإذا جاءهم الدليل من القرآن على خلاف ما أَلِفُوا أو ما هَوَوهُ فإنهم يجادلون فيه. يعني يَرُدُّونَ حُجَّةَ الله ﷻ التي في القرآن ويأتون بآية تضرب هذه الآية. والنبي ﷺ أتى بعض الصحابة- وهم يتجادلون في القرآن فغضب كما ذكرنا لك. فالتأدب مع القرآن أن يكون الإيراد به -يعني إيراد الدليل به- فإن اختلفت الأدلة وَجَبَ رد المتشابه إلى المحكم. فالقرآن حَقٌ كله لا يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ بل بعضه يدل على بعض.

التعليقات

= (ولا نخالف جماعة المسلمين) فجماعة المسلمين يؤمنون بأنه منزل حقيقة غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هذه عقيدة المسلمين في القرآن. وكذلك لا نخالف جماعة المسلمين في كل ما اجتمعوا عليه من أمور الدين. قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.

(من الله بدأ) وليس كما يقول بعض الضلال: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، بل سمعه من الله مباشرة، (وإليه يعود) أي: في آخر الزمان، يرفع القرآن إلى الله عز وجل، وهذا من علامات الساعة، فيُنزع القرآن من المصاحف وصدور الرجال، فلا يبقى في الأرض.

① فالقرآن مُحْكَمٌ كُلُّهُ: جعله الله مُحْكَمًا كما قال: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:١]، وكما قال ﷻ: ﴿ يسٓ ۝ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يس:١- ٢]، ﴿ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ يعني: المُحْكَمْ في أحد أوجه تفسير (القُرْآنِ الحكِيمِ).

② وكذلك القرآن مع كونه مُحْكَمًا فإنه أيضًا متشابه؛ متشابه كله: فالقرآن مُحْكَمٌ كله وأيضًا هو متشابهٌ كله؛ لأنَّ بَعْضَهُ يشبه بعضًا. متشابه يعني يُشْبِهُ بَعْضُهُ بعضًا، وذلك لقوله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر:٢٣]، يعني يشبه بعضه بعضًا؛ هذه آية في صفات الله وهذه آية في صفات الله، هذه آيات في تقرير التوحيد -توحيد الربوبية توحيد الألوهية- وهذه آيات من مثلها، وهذه آيات في الحِجاج مع المشركين، وهذه آيات في الحجاج مع المشركين، هذه آيات في قصص الأنبياء وهذه آيات في قصص الأنبياء، ونحو ذلك من المعاني. فهو متشابه، موضوعاته متشابهة مع اختلاف الآيات في ذلك.

③ أن القرآن مُحْكَمٌ بعضه: يعني بعض آياته مُحْكَمَة، ومنه ما هو متشابه. وهذا هو المَعْنِيْ في قوله سبحانه في أول سورة آل عمران: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]، لاحظ قوله: ﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾ يعني أنَّ بعضًا منه آيات محكمات ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ يعني يُرْجَعُ إليها في تفسير الكتاب ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران:٧]، وقوله: ﴿ وَأُخَرُ ﴾ يدل على قلة المتشابه بالنسبة إلى المحكم.

فإذًا أقسام القرآن ثلاثة:

① محكم كله. ② متشابه كله. ③ منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه.

وكلٌ من هذه الأقسام دلَّتْ عليها آية أو آيات من القرآن العظيم.

المحكم والمتشابه الذي هو الأخير:

عُرِّفَ المُحْكَم بأنه: ما اتضحت دلالته.

وهو يختلف عن المُبَيَّن عند الأصوليين -يعني المجمل والمبين-؛ لأنَّ ذاك من عوارض الألفاظ يعني ما اتضحت دلالة لفظه وهذا ما اتضحت دلالة الآية في معناه.

والثاني المتشابه: وهو ما اشتبهت دلالته. والمتشابه للعلماء في تفسيره وبيان نوعه أقوال كثيرة. لكن المُحَقَّق عند أهل السنة والجماعة أنَّ المتشابه في القرآن إنما هو متشابه على من نُزِّلَ عليه. متشابه على بعض هذه الأمّة.

أما المتشابه الكلي بحيث إنه يوجد في القرآن ما لا يُعَلَمُ معناه ولا يُعْلَمُ تأويله مطلقًا لِكُلِّ الأمة، فإنَّ هذا ممتنع؛ لأنَّ القرآن جاء بلسان عربي مبين.

وما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما ساقه ابن كثير وغيره في(أنَّ من القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله) -يعني لا أحد يعلم تأويله، فيريد به نوعًا من التأويل والتفسير.

فالمتشابه مُتَشَابِهٌ نسبي. **المُتَشَابه الكلي**: آية لا أحد يعلم معناها لا النبي ﷺ ولا صحابته ولا العلماء إلى وقتنا الحاضر، فهذا ممتنع. حتى الأحرف المقطعة فإنَّ دلالتها عَلِمَهَا بعض هذه الأمة.

وأما المشتبه النسبي، اشْتَبَهَ عليّ، اشتبه على من هو أعظم وأجل، على بعض الصحابة، فهذا موجود. أبو بكر ﷺ سأل عن الأب ما (الأب)؟ ثم قال: **(أيّ سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم)**. عمر ﷺ سأل الصحابة عن بعض الآيات. وابن عباس خَفِيَ عليه بعض الآيات وسأل عنها وهكذا.

فالمتشابه النسبي الذي يشتبه معناه، تشتبه دلالته، إما لعدم معرفة معنى اللفظ أو لمعارضة آية لها أخرى تحتاج إلى تَأَمُل، فإنَّ هذا يكون نسبيًّا.

مثل ما سئل ابن عباس أنَّ الله ﷻ أخبر أنَّ الناس في يوم القيامة يُوقَفُونَ فَيُسْأَلُونَ ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤] وفي آيات أُخَر أَخْبَرَ الله ﷻ أنهم لا ينطقون ولا يُسْأَلُون ونحو ذلك، فكيف يُجمع بينهما؟ هذا متشابه، يعني آيات يَشْتَبِه معناها فيجب رَدُّهَا إلى المحكم.

هذا النوع الثالث المحكم والمتشابه هو الذي تكون فيه المجادلة التي نَهَى عنها الطحاوي هنا، ونهى عنها أئمة أهل السنة جميعًا، المجادلة في القرآن.

لهذا أثنى الله ﷻ على الراسخين في العلم بأنهم يَرُدُّونَ المتشابه إلى المحكم، ويقولون آمنا به.

التعليقات

ما عَلِمْتَ معنى الآية، ما علمت معنى سورة، معنى آية، ما علمت وجهه، ما علمت كيف تجيب عن الإشكال الوارد عليها، فنقول: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، ونعلم أنَّ كلام الله ﷻ مُحْكَم وذلك كما قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]؛ لكن الله ابتلى الأمة بوجود المتشابه لينظر كيف تُسَلِّم وتستسلم لكتاب الله ﷻ.

المقصود من ذلك أنَّ أصل الضلال في الفِرَق وُجِدَ من المجادلة في القرآن، والمجادلة في القرآن بأنهم اعتمدوا المتشابه ولم يُرْجِعُوا المتشابه إلى المحكم. فالخوارج إنما خَرَجَتْ بالمجادلة في القرآن. جادلوا في القرآن فجاءهم ابن عباس ﷺ فجادلهم بالقرآن.

فقالوا: كيف يُحكِّم عَلِيٌّ الرجال والله ﷻ يقول: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

فقال ابن عباس لهم: (**إنَّ الله ﷻ سمَّى بعض الرجال حَكَمًا فقال**: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥])، وحاجَّهُم في ذلك حتى رجع معه ثلث أو أكثر من الخوارج.

المرجئة، القدرية، المعتزلة، كلّهم لم يعتمدوا القرآن كله، وإنما جادلوا فيه فيَدخُلون في عموم قوله: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

المسألة الثالثة:

قال: (**وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) إلى قوله: (**لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ**)، هذا فيه تقرير لعقيدة أهل السنة في أنَّ القرآن كلام الله.

وقد مرّ معنا تفصيل الكلام على هذه الجملة من جهة كون القرآن كلامًا لله وتفاصيل الأقوال في ذلك. وأهل السنة يعتقدون:

- أنَّ القرآن حروف وكلمات وجُمَل وآيات وسور.
- وأنَّهُ ألفاظ ومعاني.
- وأنَّ هذه جميعًا من الله ﷻ.

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

فالقرآن كلام الله ﷻ بحروفه ومعانيه، تَكَلَّمَ به الحق ﷻ، فسمعه منه جبريل عليه السلام، فبلَّغَهُ لنبيه ﷺ كما سَمِع. والقرآن الذي بلّغه جبريل محمدًا ﷺ هو القرآن المسموع، كلام الله المسموع وليس كلامَ الله المكتوب؛ لأنَّ القرآن كتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ جميعًا، كتب القرآن جميعه في اللوح المحفوظ كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٥- ٧٩]. ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ يعني جميع القرآن كريم، هو أعلى وأفضل وأميز الكلام. لأنَّ الكريم من الأشياء هو المتميز على غيره الفاضل الأفضل. قال: ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ يعني في اللوح المحفوظ. ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ الذين هم الملائكة. وكذلك قوله ﷻ في آية الحاقة.

فالقرآن المكتوب في اللوح المحفوظ، جبريل لم يأخذه مكتوبًا وإنما أخذه مسموعًا، فهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة.

فقوله هنا: (نَشْهدُ أَنَّهُ كَلَامُ ربِّ العالمِينَ) يعني بحروفه وكلماته وآياته وسوره هو كلام الله ﷻ، سمعه جبريل فنزل به مسموعًا إلى النّبي ﷺ.

غير أهل السنة لهم في ذلك أقوال كثيرة يأتي ذكر تَعْدَادٍ لها عند قوله: (وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ).

المسألة الرابعة:

في قوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ الروح الأمين هو جبريل عليه السلام، وسُمِّيَ روحًا: لفضله وتَمَيُّزِهِ عن الملائكة ولأنه يَنْزِلُ بالرّوح من أمر الله ﷻ وهو الوحي. وسُمِّيَ الأمين أو نَعَتَهُ الله ﷻ بالأمين في قوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٤]؛ لأنه مُؤْتَمَنٌ على أعظم ما يؤتمن عليه وهو كلام الله ﷻ ووحيه في سماواته.

المسألة الخامسة:

في قوله: (لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ) كلمة (لَا يُسَاوِيهِ) هنا يعني لا يكون مساويًا له أيّ كلامٍ لمخلوق.

وهذا للدلالة على إعجاز القرآن، ولهذا أكد بعد قوله: (كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال: (وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ). وإعجاز القرآن، يعني وَجْهُ كَونِ القرآن مُعْجِزًا للجن الإنس أن يأتوا بمثله من إنزال القرآن إلى قيام الساعة، ما وجه كون ذلك؟

التعليقات

كيف صار القرآن مُعْجِزًا؟ ذكرنا لكم هذا بالتفصيل في درس مستقل. وبيانه هو ما ذكره الطحاوي هنا مُحَقِّقًا بأنه كلام الله تعالى لا يشبه قول البشر. وهذا معنى قوله: **(لاَ يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ الْمَخْلُوقِينَ)** يعني لا يشابهه، لا يدانيه، لا يكون مساويًا له؛ لأنّه مُعْجِزٌ. ولماذا صار معجزا؟لأنه كلام الله.

وهذا هو المراد بقوله: **(لاَ يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ الْمَخْلُوقِينَ)**، وإلا فلو كان المراد التقرير الابتدائي فليس مناسبًا أن يُقال: إنَّ كلام الله لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ابتداءً؛ لأنَّ هذا فيه نوع تركٍ للأدب الواجب مع القرآن، ولقد قال الشاعر:

ألم تَـرَ أنَّ الـسيف يـنقص قـدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

لكن هو لم يُرِدْ هذا المعنى، إنما أراد دليل الإعجاز أنَّ القرآن لا يشبه قول البشر، لا يساويه، ولا يماثله شيء من كلام المخلوقين، لم؟ لأنه كلام الله تعالى.

المسألة السادسة:

قال في آخر هذه الجملة: **(وَلاَ نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلاَ نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ)** في قوله: **(وَلاَ نَقُولُ بِخَلْقِهِ)** بخصوصها يعني:

- أنَّ مُعْتَقَد الصحابة رضوان الله عليهم و مُعْتَقَد التابعين وتبع التابعين وأئمة الإسلام وأئمة أهل السنة والجماعة و مُعْتَقَد عامة المنتسبين إلى الإسلام أنَّ القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ﷻ.

- وأنَّ القول بخلقه ضلال وخروج عن جماعة المسلمين؛ يعني عن ما اجتمع عليه المسلمون من زمن الصحابة إلى زمن المؤلف؛ بل إلى زمننا الحاضر.

والقول بخلق القرآن هذه عقيدة فُتِنَ بها كثيرون؛ لكنهم شواذ وقلة بالنسبة لعموم الأمة.

وأول ما نَشَأ القول بخلق القرآن من جهة الجَعْد بن درهم ثم الجهم بن صفوان ثم أخذه المعتزلة فَنَصَرُوهُ واستدلوا له.

القول بخلق القرآن الكلام عليه يطول جدًّا. ومما يُؤْسَفُ له ويَجِبُ جِهَادُهُ أيضًا أنَّ بعض الضُّلال والمفتونين بَدَءُوا ينشرون لهذه الفكرة عن طريق بعض وسائل الإعلام والقنوات والمناقشة فيها، كما نشرته بعض الإذاعات فيما ذُكِرَ لي في مناظرات تتصل بذلك، وجَعْل الناس -يعني العامة- يتكلمون في هذه المسألة. وهي فتنة مشابهة للفتنة الأولى من حيث الابتداء.

التعليقات

فنسأل الله ﷻ أن يكبتَ شر من يريد صرف الأمة عن حُسن الاعتقاد وإضلال عامّة المسلمين. من قال بخلق القرآن طوائف في هذه الأمة منهم: الجهمية والمعتزلة والخوارج والرّافضة.

والخوارج اليوم يوجد منهم طائفة الإباضية وهم من أخصِّ فرق الخوارج قولاً واعتقادات، ويوجدون في أكثر من مكان في العالم الإسلامي في الجزيرة وفي ليبيا وفي الجزائر وفي أنحاء أُخَر، ولهم كتب كثيرة ومصنَّفَة في العقيدة وفي الفقه يعني تبلغ عشرات المجلدات أو أكثر. هم الذين ينصرون اليوم القول بخلق القرآن في مؤلفاتهم. ومنهم اليوم الرافضة وعقيدتهم أيضًا في القرآن بأنه مخلوق. وكذلك الزيدية يعتقدون هذا الاعتقاد.

ومن العجب أنَّ بعض المتسبين للسنة من أئمة الحديث أو ممن حاربوا التقليد ونصروا الدّليل لأجل ما راج في بلده اشتبهت عليه هذه المسألة، وهو العلامة الشّوكاني ؒ، فإنه اشتبهت عليه مسألة خلق القرآن؛ لأجل ما شاع في بلده وذهب فيها إلى الوَقْف، وذكَرَ ذلك في تفسيره.

فهذه الطوائف المعتزلة، والعقلانيون أيضًا في عصرنا الحاضر جماعة من العقلانيين من المنتسبين إلى الإسلام، يعني من المسلمين، وممن يدَّعون غير ذلك أيضًا هم ينصرون مذهب المعتزلة في خلق القرآن.

فإذًا مسألة خلق القرآن كغيرها من مسائل الاعتقاد لا يُقَالُ ذهبت أبدًا بل هي باقية، فطالب العلم يتعلم أدلة ذلك حتى يجادل بالقرآن من قال بخلقه والعياذ بالله.

وهذه مسائل تحتاج إلى إيضاح طويل وتفصيل للكلام على الأدلة والخلاف في ذلك مما له موضع آخر إن شاء الله تعالى.

المسألة السابعة:

شبهة من قال بخلق القرآن وهم الطوائف الذين ذكرتهم لك قالوا: إنَّ القرآن حروف وكلمات وصوت، فإذا قيل: إنه كلام الله ﷻ الذي هو صفته صار الله ﷻ مَحَلاً لِما هو من صفة الأجسام والتقطع في الكلام؛ لأنَّ القرآن حروف متقطعة؛ يعني حروف تكونت منها الجمل، تكونت منها الآيات.

فنظروا إلى هذا فقالوا: هذا التقطع إنما هو من صفات من له نَفَس، من يُخْرِج الحِرف ثم يَتَنَفَّس، ثم يقول كذا ونحو ذلك، وهذه من صفات المخلوقين، فلهذا جعلوه مخلوقًا. ولهم في تبايُن صفات الخلق، أو كيف خَلَقَهُ؟ و في أي شيء خلقه؟ لهم أقوال كثيرة.

وهذه الشبهة والإيراد مبني أيضًا على اعتقادٍ لهم، وهو أنَّ -أظن أني ذكرته لكم قبل ذلك- حدوث الأجسام إنما كان بدليل الأعراض، يعني حلول العَرَض في الجسم تَبين به حاجة الجسم وافتقار الجسم إلى العرض، والعرض يطرأ ويزول، فلهذا صار الجسم حادثًا مما هو معروف، وقد فصّلته لكم فيما قبل فيما يسمى بدليل الأعراض. وهذا دليلٌ يعتمده المعتزلة وأخذه عنهم كتأصيل الأشاعرة والماتريدية وجماعة.

والقرآن إن قيل: إنه صفة الله ﷻ صار عندهم أنَّ القرآن يكون في حال ولا يكون في حالٌ؛ لأنَّ القرآن تَكَلَمَ الله ﷻ به ليس دَفعة واحدة، وإنما بحسب الوقائع، قالوا: هذا يمتنع معه إلا أن يكون مخلوقًا. والأشاعرة والماتريدية لما سلّموا بأصل البرهان عارضوا ذلك ظاهرًا. عارضوا قول المعتزلة ظاهرًا وسَلَّمُوهُ باطنًا، فقالوا: القرآن قرآنان:

- قرآن قديم وهو الذي تكلم الله ﷻ به.
- وقرآن أُنْزِلَ على محمد ﷺ.

فالقرآن القديم الذي هو صفة الله ﷻ، هذا تكلم الرب ﷻ به دفعة واحدة. والقرآن الذي أُنْزِلَ على محمد ﷺ هذا جُعِلَ في رُوعِ جبريل، ذلك القرآن جُعِلَ في روعه -يعني في نفسه بدون أن يسمع- فنزل به على نبينا ﷺ. وهذا منهم لأجل أن لا يُبطِلُوا الدليل السابق.

واستدلوا على ذلك -يعني المعتزلة- بأدلة كثيرة، موجودة في كتبهم، ليس هذا محل بيانها.

المقصود أنَّ القول بخلق القرآن مبني على شبهة، ولأجل هذه الشُّبْهَة ولأجل إبطالها فإنَّ أئمة أهل الإسلام كفَّرُوا في خلق القرآن بالنوع ولم يُكَفِّرُوا كل أحد قال بخلق القرآن حتى تقوم عليه الحجة لأجل الاشتباه في الدليل.

فإذًا نقول: من قال بخلق القرآن فهو كافر؛ لكن إذا جاء المُعَيَّن لابد من إيضاح الحجة له والرد على شبهته؛ وذلك لأنَّ هذه الفتنة عظيمة.

كذلك من تَوَقَّفَ في ذلك ولم يستبن له الأمر، أو من أجاب في الفتنة -فتنة خلق القرآن- فإنَّ أئمة أهل السنة والجماعة لم يُكَفِّرُوا أحدًا في ذلك ولم يمتنعوا أيضًا عن الرواية ممن توقف في المسألة أو أجاب لأجل الافتتان.

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

وهذا أصل عظيم مهم في هذا الأصل؛ يعني في مسألة خلق القرآن. فإذًا معتقد أهل السنة والجماعة:

- أنّ القول بخلق القرآن من أبْطَل الباطل.
- وأنَّ القول بخلق القرآن كفر، لأنَّ معنى القول بأنَّ صفة الله مخلوقة، والقرآن صفة الله كلام الله فالقول بأنَّ صفة الله مخلوقة هذا تنقّص عظيم للرب ﷻ، وتنقّص الرب ﷻ كفر بالله ﷻ، فهو أعظم من الاستهزاء المجرّد؛ لأنَّ هذا قول بالتنقص ومسبّة لله ﷻ.

لكن ثَمَّ اشتباه وشبهة الوضع معها ما ذكرته لك آنفًا.

أما الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم فهم يَرُدُّونَ على المعتزلة وعلى العقلانيين وعلى الخوارج وعلى الرافضة في مسألة خلق القرآن، يَرُدُّونَ عليهم بأنواع من الردود.

☜ لكن تنتبه إلى أنَّ مبنى هذه الردود على مذهبهم؛ وهو أنَّ كلام الله قديم وأنَّ الذي أُنْزِلَ على محمد ﷺ إنما كان في روع جبريل أو أخذه من اللوح المحفوظ -أخذه من المكتوب- أو نزل به من بيت العزة أو نحو ذلك من أقوالهم المعروفة.

المسألة الثامنة:

في قوله: (وَلاَ نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ)، (جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ) هذه الكلمة من الكلمات العظيمة التي تَرِد في كتب أهل السنة والجماعة وفي عقائدهم.

والجماعة عندهم يُراد بها نوعان:

- النوع الأول: جماعة الدين.
- والنوع الثاني: جماعة الأبدان.

وكلٌّ منهما مَأْمُورٌ التزامه، وكلٌّ منهما مطلوبٌ التمسك به، جماعة المسلمين في دينهم وجماعة المسلمين في أبدانهم.

وقد فصَّلْتُ لك الأقوال في ذلك في أول شرح الواسطية يمكن أن ترجع إليه للازدياد من هذا الموطن. لجماعة تقابلها الفرقة؛ يعني لماذا قسمناها إلى جماعة دين وجماعة البدن جماعة الأبدان؟ لأنَّه جاء في النصوص الأمر بلزوم الجماعة وجاء في النصوص النهي عن الفُرْقَة.

التعليقات

والنهي عن الفرقة جاء النهي عن الفرقة في الدّين والنهي عن الفرقة في الأبدان، كما في قوله ﷻ: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣]؛ يعني في الدين. والتفرق في الدين يَئُولُ إلى الترفق في الأبدان، فكلٌّ منها له صلة بالآخر، فجماعة الأبدان يقوى معها الاجتماع في الدين، والتفرق في الأبدان يحصل معه تَفَرُّق في الدين، وكذلك الاجتماع في الدين يحصل معه اجتماع في الأبدان، فكل منهما يقود إلى الآخر.

ولهذا لما ظهرت العقائد الباطلة في زمن عثمان و زمن علي رضي الله عنهما ظَهَرَ الافتراقُ في الأبدان والخروج على الأئمة ونحو ذلك، فهذه وهذه كل منهما يئول إلى الآخر.

قول الطحاوي هنا: (**وَلاَ نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.**) هذه عقيدة عظيمة يجب على كل مُعْتِقِدٍ لِمُعْتَقَد أهل السنة والجماعة أن يهتم بها. فجماعة المسلمين (**جماعة الدين**) واجبٌ التزامها، وعدم الخروج عما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم وعما كان عليه السلف الصالح وأئمة الإسلام.

وكذلك (**جماعة الأبدان**) بلزوم إمام المسلمين وولي أمرهم وعدم شقّ الطاعة والسمع والطاعة في المعروف، هذا واجبٌ أيضا الاجتماع عليه والائتلاف على ذلك. وهذا هو الذي كان عليه أئمة أهل الإسلام رحمهم الله تعالى. فإذًا من خالف في عقيدة من عقائد الإسلام ففي الواقع خالف جماعة المسلمين. جماعة المسلمين كانت على شيء قبل أن تَفْسُدَ الجماعة، كانوا على شيء في زمن الصحابة رضوان الله عليهم.

ولذلك تعلمون ما ذَكَرَهُ ابن القيم في أول إغاثة اللهفان وذَكَرَهُ غيره مِن أنَّ الرجل الواحد قد يكون في زمنٍ من الأزمان هو الجماعة، متى؟ إذا كان موافقا لِمُعْتَقد الصحابة رضوان الله عليهم ومُعْتَقد التابعين وأئمة الإسلام ولم يكن معه أحد فهو الجماعة وإن خالفه الناس جميعا، لماذا؟ لأنَّ الجماعة معناها هو مُن كان في العقيدة مع الجماعة، من كان في الاعتقاد مع الجماعة فهو الجماعة.

وفي زمن الإمام أحمد حينما حصلت فتنة القول بخلق القرآن، كان الإمام أحمد ومن معه ممن وقف في وجه أمراء ذلك الوقت في هذه العقيدة، وأقرّوا ما عليه جماعة المسلمين، كانوا هم الجماعة، والمخالفون لهم الأكثر كانوا قد خالفوا الجماعة. وهذه مسألة مهمة في أنَّ الجماعة بمعنى العقيدة هو من كان على الجماعة. فإذًا الجماعة لها إطلاقان:

۞ الإطلاق الأول: الجماعة بمعنى الاجتماع على عقيدة السلف، فمن كان على ذلك الاعتقاد فهو الجماعة في العقيدة وإن كان واحدًا.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

﴿ الإطلاق الثاني: الجماعة في الأبدان وهو أن يلزم إمام المسلمين وجماعتهم فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فيعتزلِ الفرق كلها، ويعبد الله ﷻ على بصيرة، فيكون حينئذ أدى ما يجب عليه أداءه.

فالواجب إذًا على كل طالب علم أن يأخذ بهذه الكلمة، وأن يوصي غيره بها؛ لأنها من أعظم ما يتقرب بها العبد إلى ربه أن يكون مع الجماعة؛ لأنَّ النبي ﷺ بيَّنَ الفرق الضالة، الفرق التي توعدها بالنار قال: «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟

قال: «**هي الجماعة**» وفي الرواية الثانية قال: «**الجماعة من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» أو نحو ذلك.

والرواية الأولى جيدة يعني من حيث الإسناد قال: «**هي الجماعة**» يعني من كان على ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم ومن سار على نهجهم.

وهذا وعد عظيم كلها في النار إلا واحدة.

إذا حصل أنَّ المرء اشتبه عليه شيء في مسائل فما الذي يجب عليه؟

يجب عليه أن يأخذ بما يَتَيَقَّنُهُ من الدين وما يَتَيَقَّنُهُ من عمل أئمة الإسلام، وما دُوِّنَ في العقائد الصحيحة لأهل السنة والجماعة وأن يترك ما اشتبه عليه.

لأنّ الله ﷻ له حدود كما جاء في حديث النعمان بن بشير: «**الْحَلَالَ بَيِّنٌ، والْحَرَام بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ**»، يعني في نفسها، مُشْتَبِهَات على من يريدها أو على من ينظر فيها، وفي رواية أخرى في البخاري: «**وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشَبَّهَاتٌ**»، يعني الله ﷻ جَعَلَهَا كذلك ليختبر العباد، مثل ما جعل بعض الكلام محكمًا وبعض كلامه متشابهًا.

قال ﷺ في المتشابهات: «**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**» يعني طَلَبَ البراءة وهذا هو الواجب؛ لأنه ما كل أحد يأتي للمتشابه يقول لا سَأَعْرِفُهُ.

الذي يشتبه عليك اتركه أسلم لدينك، وخاصَّةً في مسائل الجماعة، في مسائل الاعتقاد، في مسائل الاختلاف؛ لأنك لا تدري ما يئول إليه الأمر.

تَعْرِف أنَّ الخوارج صار معهم بعض من وُلِدَ في زمن النبي ﷺ؛ لكنه لم يكن منهم لكنهم شَبَّهُوا عليه كمحمد بن أبي بكر الصديق ولدته أمه أسماء بنت عميس في الحج - يعني في حجة الوداع- نفست فولدت بمحمد بن أبي بكر.

التعليقات

...... ولا نُكفّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ(١)...............

ابن أبي العز الحنفي

...... قوله (ولا نكفرأحدًا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله).

ش: أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله: ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين، يشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب..

الشيخ صالح

يعني وُلِدَ في زمن النبي ﷺ، وحَصَلَ أنه أتى لعثمان لقوة الاشتباه، أتى لعثمان بعد أن تسلق عليه البيت وهو يتلو القرآن فشده من لحيته، وقال له -يعني وعظه عثمان- فبكى محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ فبكى وترك ذلك وتركهم ثُمَّ قُتِلَ عثمان، **وضلَّ من قال: إنَّ الذي قتله أو ساعد في قتله أنه محمد بن أبي** بكر.

المقصود أنَّ المسائل المشتبهة قد تشتبه على الخيار، فطالب العلم الذي يرغب في سلامة دينه يعتمد ما كانت عليه الجماعة ولا يخالف ما كانت عليه جماعة المسلمين.

وهذا من أعظم فوائد طلب العلم، أنّ المرء يعلم ما به السلامة له في دينه، ويكون مع الفرقة الناجية يوم القيامة، «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هي الجماعة**».

وهذا مما يُرَغِّبُ كل واحد منكم في طلب علم العقيدة؛ لأنَّ معه سلامة القلب ومعه سلامة العمل، ومعه سلامة الخروج بيقين عن الفرق الضالة والالتزام بطريق الجماعة.

فهذه الكلمة كلمة عظيمة (**وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ**) يعني في اعتقادهم ولا في أقوالهم، وكذلك لا نترك جماعة المسلمين في أبدانهم؛ لأنَّ هذا من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة الذين تابعوا الكتاب والسنة ولم يخرجوا عن ذلك أعان الله الجميع على كل خير.

نكتفي بهذا القدر، ونقف عند قوله: (**ولا نُكفّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ**).

التعليقات

(١) الشيخ ابن باز: قوله (ولا نكفر أحدًا ...) مراده رحمه الله أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون المسلم الموحد المؤمن بالله واليوم الآخر بذنب يرتكبه، كالزنا وشرب الخمر وأمثال ذلك، ما لم يستحل ذلك، فإن استحله كفر، لكونه بذلك مكذبًا لله ولرسوله وخارجا عن دينه. أما إذا لم يستحل ذلك فإنه لا يكفر عند أهل السنة والجماعة بل يكون ضعيف الإيمان وله حكم ما تعاطاه من المعاصي في التفسيق وإقامة الحدود وغير ذلك حسبما جاء في الشرع المطهر.........................=

ابن أبي العز الحنفي

...... واعلم - رحمك الله وإيانا - أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم. فالناس فيه، في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم، على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية.

فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحدًا، فتنفي التكفير نفيًا عامًّا، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين..........................

الشيخ صالح

الحمد لله، وبعد: هذه الجملة من كلام العلامة الطحاوي رحمه الله من الأصول العظيمة في معتقد أهل السنة والجماعة، أنهم لا يُكَفِّرونَ أحدًا من أهل القبلة بمجرد حصول الذنب منه إلا إذا اسْتَحَلَّهُ باعتقاد كونه حَلاَلاً لَهُ أو حلالاً مُطْلَقًا.

وكذلك أنهم لا يُخَفِّفُونَ أمر الذنوب بحيث يجعلون الذنب غير مؤثر في الإيمان. ولهذا قالَ تقريراً لهذا الأصل العظيم: (**وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلاَ نَقُولُ: لاَ يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ**).

وهذه الجملة من كلامه أراد بها أنَّ حصول الذنب من أهل القبلة لا يعني تكفيره كما ذهبت إلى ذلك الخوارج، وحصول الذنب من أهل القبلة لا يعني أنَّ هذا المؤمن لم يتأثر بحصول الذنب منه كما تقوله المرجئة. فخالف بهذا القول الخوارج والمعتزلة وخالف أيضًا المرجئة.

التعليقات

= وهذا هو قول أهل السنة خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن سلك مسلكهم الباطل فإن الخوارج يكفرون بالذنوب والمعتزلة يجعلونه في منزلة بين المنزلتين، يعني بين الإسلام والكفر في الدنيا وأما الآخرة فيتفقون مع الخوارج بأنه مخلد في النار. وقول الطائفتين باطل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. وقد التبس أمرهما على بعض الناس لقلة علمه، ولكن أمرهما بحمد الله واضح عند أهل الحق كما بيَّنَّا وبالله التوفيق.................................=

ابن أبي العز الحنفي

...... وأيضًا: فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافرًا مرتدًا.

والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور، كما ذكره الخلال في كتاب السنة، بسنده إلى محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾............................

الشيخ صالح

وهذه المسألة لاشك أنها من المسائل العظيمة جدًّا وهي مسألة تكفير المُنْتَسِب إلى القبلة الذي ثَبَتَ إسلامه وإيمانه إذا حصل منه ذنب. فإنَّ قاعدة أهل السنة والجماعة أنَّ من دخل في الإسلام والإيمان بيقين لم يُخرِجْهُ منه مجرد ذنب حَصَلَ منه، ولا يُخرجُهُ منه كُلُّ ذَنبٍ حَرَّمَهُ الشارع؛ بل لابد في الذنوب العملية من الاستحلال بأن يعتقد أنَّ هذا العمل منه حلالٌ له وليس بذنب وأنه ليس بِمُحَرَّم.

التعليقات

= الشيخ الألباني: قلت: يعني استحلالاً قلبيًّا اعتقاديًّا وإلا فكل مذنب مستحل لذنبه عمليًّا أي مرتكب له ولذلك فلا بد من التفريق بين المستحل اعتقادًا فهو كافر إجماعًا وبين المستحل عملاً لا اعتقادا فهو مذنب يستحق العذاب اللائق به إلا أن يغفر الله له ثم ينجيه إيمانه خلافا للخوارج والمعتزلة الذين يحكمون عليه بالخلود في النار وإن اختلفوا في تسميته كافرا أو منافقا وقد نبتت نابتة جديدة اتبعوا هؤلاء في تكفيرهم جماهير المسلمين رءوسا ومرءوسين اجتمعت بطوائف منهم في سوريا ومكة وغيرها ولهم شبهات كشبهات الخوارج مثل النصوص التي فيها فعل كذا فقد كفر وقد ساق الشارح رحمه الله تعالى طائفة منها هنا ونقل عن أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص - أن الذنب أي ذنب كان هو كفر عملي لا اعتقادي، وأن الكفر عندهم على مراتب: كفر دون كفر كالإيمان عندهم ثم ضرب على ذلك مثالاً هامًا طالما غفلت عن فهمه النابتة المشار إليها فقال رحمه الله تعالى ص ٣٦٣: [٣٢٣] وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة ويكون كفرًا: إما مجازيًّا وإما كفرًا أصغر على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله - فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافرا كفرا مجازيا أو كفرًا أصغر. وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور..............................=

ابن أبي العز الحنفي

..... ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنَّا لا نكفر أحدًا بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج.

وفرق بين النفي العام ونفي العموم. والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب. ولهذا - والله أعلم - قيده الشيخ رحمه الله بقوله: ما لم يستحله.

وفي قوله: (ما لم يستحله) إشارة إلى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية...

الشيخ صالح

وهذا هو طريقة أهل السنة والجماعة بأنهم لا يُكَفِّرُون؛ بل يُخَطِّئُون أو يُضَلِّلُونَ أو يُفَسِّقُون. فنقول: مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته مسلم بما معه من التوحيد؛ ولكنه فاسقٌ لما ارتكب من الكبيرة التي أظهرها ولم يتب منها. فهذه الجملة فيها تقرير لعقيدة أهل السنة ومخالفتهم للخوارج والمعتزلة وكذلك فيها مخالفة أهل السنة للمرجئة. إذا تبين هذا فتحت هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

دليل أهل السنة والجماعة على أنَّ من أصاب ذنبًا من أهل القبلة فإنه لا يُكَفَّر دلَّ على ذلك جملة أدِلَّة من الكتاب والسنة:

① منها قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ومعلومٌ أَنَّ القاتل داخل في هذا الخطاب في النداء بالإيمان، وقال ﷻ بعدها: ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فَسَمَّاهُ أخًا له، فدلَّ على أنَّ حصول القَتْلِ على عِظَمِهِ لم يَنْفِ اسم الإيمان.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: (ولا نكفّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) هنا كما سبق أن الذنب إذا لم يكن كفرًا أو شركًا مخرجًا من الملة، فإننا لا نُكفّر به المسلم، بل نعتقد أنه مؤمن ناقص الإيمان، معرض للوعيد وتحت المشيئة. هذه عقيدة المسلم، ما لم يستحله، فإذا استحل ما حرم الله فإنه يكفر، كما لو استحل الربا أو الخمر أو الميتة أو لحم الخنزير أو الزنا، إذا استحل ما حرم الله كفر بالله، وكذلك العكس: لو حرم ما أحل الله كفر: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾، وجاء تفسير الآية بأنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم.

أما لو فعل الذنب وهو لم يستحله بل يعترف أنه حرام فهذا لا يكفر ولو كان الذنب كبيرة دون الشرك والكفر لكنه يكون مؤمنًا ناقص الإيمان أو فاسقا بكبيرته مؤمن بإيمانه.

وقوله: (لا نكفر بذنب) ليس على إطلاقه، فتارك الصلاة متعمدًا يكفر، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

.... ولا نقولُ: لا يضرُّ معَ الإيمانِ ذنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ (١)..........................

ابن ابي العز الحنفي

...... وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل، وليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع. إلا أن يُضَمَّن قوله: يستحله بمعنى: يعتقده، أو نحو ذلك.

وقوله: (ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ...) إلى آخر كلامه، رد على المرجئة، فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف، فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان..........

الشيخ صالح

② كذلك قوله ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ٩- ١٠]، فَسَمَّاهم مؤمنين وسَمَّاهُمْ إخوة أيضًا ووَصَفَهُمْ بالأخوة، فدل على أنَّ وقوع القتل منهم لم ينفِ اسم الإيمان، مع قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء: ٩٣]، فأثبت له جهنم وعيدًا، وغَضِبَ الله ﷻ عليه واللعنة، ومع ذلك لم ينف عنه اسم الإيمان، فدلَّ على أنَّ وقوع الكبيرة من المسلم لا يسلب عنه الإيمان، ووقوع الذنب ليس مُبيحًا لإخراج هذا المذنب من أصل الإسلام إلى الكفر.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: وذلك لأنه من قول المرجئة المؤدي إلى التكذيب بآيات الوعيد وأحاديثه الواردة في حق العصاة من هذه الأمة وأن طوائف منهم يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة أو بغيرها.

الشيخ الفوزان: كما تقوله المرجئة، يقولون: ما دام مصدقًا بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان، أما الأعمال فأمرها هيِّن، فالذي لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يزكي ولا يعمل شيئًا من أعمال الطاعة، يقولون: هو مؤمن بمجرد ما في قلبه! وهذا من أعظم الضلال..........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر! والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين!! وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار! وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن في الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأولاً، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون: يكفر كل مبتدع.

وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة، فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك. والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه. وسيأتي بعضه عند الكلام على قول الشيخ: وأهل الكبائر في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون.

والمقصود هنا: أن البدع هي من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمنًا باطنًا وظاهرًا، لكن تأول تأويلاً أخطأ فيه، إما مجتهدًا وإما مفرطًا مذنبًا، فلا يقال: إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة.........................

الشيخ صالح

③ ويدل على ذلك أيضًا قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري وغيره حينما أوتي برجل من الصحابة يقال له حمار شرب الخمر فجلده، ثم شربها ثانية فأُتِيَ به فجلده، ثم لما أتي به الثالثة قال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به. فقال نبينا ﷺ: **«لا تقولوا ذلك فإنه يحبّ الله ورسوله»**، فدلّ على أنَّ وجود المحبة الواجبة لله ﷻ ولرسوله ﷺ مع حصول الكبيرة مانِعٌ من لَعْنِهِ، وهذا يعني أنها مانع من تكفيره ومن إخراجه من الدين من باب الأولى.

التعليقات

= فالرد عليهم أن الذنوب تضر على كل حال، منها ما يزيل الإيمان بالكلية، ومنها ما لا يزيله بالكلية بل ينقصه وصاحبها معرض للوعيد المرتب عليها.

...... ولا نقول: لا يكفر، بل العدل هو الوسط، وهو: أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به: يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر، ونحو ذلك، كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها.

وعن [illegible] رحمه الله، أنه قال: ناظرت [illegible] رحمه الله مدة، حتى اتفق رأيي ورأيه: إن من قال بخلق القرآن فهو كافر. وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت..........................

كذلك قال الله ﷻ: ﴿ [illegible] ﴾ [الممتحنة: ١]، فناداهم باسم الإيمان مع حصول الذنب منهم وهو الإلقاء بالمودة إلى عدو الله ﷻ وعدو رسوله ﷺ، فدل على أنَّ إلقاء المودة لأمر الدنيا ليس مُخْرِجًا من اسم الإيمان؛ بل يجتمع معه قال تعالى في آخر الآية: ﴿ [illegible] ﴾ [الممتحنة: ١].

في قصة حاطب بن أبي بلتعة في إسراره للكفار بخبر رسول الله ﷺ ما يدل على وقوع الذنب منه وعلى مغفرة الذنب له؛ لأنه من أهل بدر، قال عليه الصلاة والسلام في حقه: «**لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم**»، وفي الرواية الثانية: «**إن الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

والأدلة على هذا الأصل عند أهل السنة والجماعة كثيرة.

ابن أبي العز الحنفي

.... ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب: باب النهي عن البغي، وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر.

فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا؟ أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»....

الشيخ صالح

⑥ ومما يدل عليه من جهة النظر: أنَّ الكبائر كالسرقة والزنا وشرب الخمر والقتل والقذف ونحو ذلك شُرِعَتْ لها الحدود، والحدود مُطَهِّرَة، والمرْتَدُّ يُقْتَلُ على كل حال، ووجود الحدود هذه دليل ظاهر على أنَّهُ ارتكب فعلاً لم يُخْرِجْهُ من الملة؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: **«من بدّل دينه فاقتلوه»**، وقال: **«والتارك لدينه المفارق للجماعة»** يعني ممن يحلّ دمه، فدل على أن وقوع هذه الذنوب من العبد تُطَهِّرُ بهذه الحدود وليست كفرًا؛ لأنها لو كانت كفرًا لكان يُقْتَلُ ردة لقوله: **«من بدّل دينه فاقتلوه»**.

⑦ ويدلّ عليه أيضا أنَّ ولي الدم في القتل يعفو، له السلطان إن شاءَ عَفَا وإنْ شاءَ أخذ، قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣]، قال: ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ وهنا يدلّ على أنَّ الحق هنا للمخلوق، وأما الرِّدَّة فهي حق لله، يعني أمَّا الردة فجزاؤها حق لله ﷻ ليس لولي المقتول.

فدلّت هذه الأدلة ودلَّ غيرها على بطلان قول الخوارج وعلى ظهور قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة في أنَّ صاحب الذنب من الكبائر العملية التي ذكرنا بعضًا منها أنَّهُ لا يَخْرُجُ من الإسلام بحصول الذنب منه؛ يعني بحصول ذنب منه، أو بحصول كل ذنبٍ، أو أي ذنبٍ منه؛ يعني ليس كل ذنبٍ مخرجًا له من ذلك؛ بل الكبائر العملية ليست كذلك -يعني مُخْرِجَة له من الإسلام- خلافا لقول الخوارج والمعتزلة في التخليد في النار.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أَوْبَقَتْ دنياه وآخرته. وهو حديث حسن، ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص ، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: «إذا مت فاسحقوني ثم اذروني، ثم غفر الله له لخشيته» وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك. لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن عاقبته في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه، ثم إذا كان القول في نفسه كفرًا قيل: إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقًا زنديقًا.

فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقًا زنديقًا. وكتاب الله يبين ذلك، فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف: صنف: كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين...

الشيخ صالح

وأما الجملة الثانية وهي قوله: (وَلاَ نَقُولُ: لاَ يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.) فهذه أيضًا فيها مخالفة للمرجئة الذين يقولون: لا يَضُرُّ مَعَ الإيمَانِ ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

والأدلة دَلَّتْ على أنَّ الذنوب تؤثر في الإيمان، منها:

① قال ﷻ في ذكر القاتل: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣].

② وقال ﷻ في الربا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

③ وقال ﷻ في المرابين: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

التعليقات

....

ابن ابي العز الحنفي

...... وصنف: المؤمنون باطنًا وظاهرًا. وصنف: أقروا به ظاهرًا لا باطنًا. وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة. وكلٍ من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقرًّا بالشهادتين. فإنه لا يكون إلا زنديقا، والزنديق هو المنافق.

[illegible]، فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن، يلزمه أن يكفر أقوامًا ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين.

كما ثبت في [illegible]، عن [illegible] رضي الله عنه، عن [illegible]: «أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه: عبدالله، وكان يلقب: حمارًا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده في الشراب، فأتى به يومًا، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه! ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله ﷺ: لا تلعنه، فو الله ما علمت، إنه يحب الله ورسوله» وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج..............

الشيخ صالح

وشَرَعَ الله ﷻ الحد في السرقة ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨]، وشَرَعَ الجلد في القذف وفي الزنا إلى آخر ذلك، وهذا يدل على أنَّ هذه الأمور أَثَّرَتْ في الإيمان، هذه الكبائر أَثَّرَتْ في الإيمان.

والأحاديث عن النبي ﷺ في هذا الباب كثيرة **«لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»**، **«لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»** وهذا تأثير في الإيمان بسبب هذه الكبيرة.

[illegible]:

هذه الجملة اشتملت على مُعْتَقَدٍ فيه النهي عن التكفير، و تكفير أهل القبلة بأيِّ ذنبٍ حرام، والخوض في مسائل التكفير بلا علمٍ أيضًا حرام، وقد يكون من كبائر الذنوب؛ بل هو من كبائر الذنوب لأَوْجُهٍ:

...... ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع منها. ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير. فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضًا، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.

، يرد على كلام الشيخ رحمه الله، وهو: أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفرًا، قال الله: ﴿ ... ﴾.

وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر». متفق عليه من حديث ... رضي الله عنه، وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» و«إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر - فقد باء بها أحدهما». متفق عليهما من حديث ابن عمر رضي الله عنه........................

: أنَّ الإسلام والإيمان ثَبَتَ في حق الشخص -في حق المعين- بدليل شرعي، فَدَخَل في الإسلام بدليل، فإخراجه منه بغير حجة من الله ﷻ أو من رسوله ﷺ هذا من القول على الله بلا علم ومن التعدى -من تعدي حدود الله-، ومن التقدم بين يدي الله ﷻ وبين يدي رسوله ﷺ، وهذا فيه التحذير من هذا الأمر الجلل وهو مخالفة ما ثبت بدليل إلى الهوى أو إلى غير دليل؛ لهذا يقول العلماء: من ثَبَتَ إيمانه بدليلٍ أو بيقين لم يزل عنه اسم الإيمان بمجرد شُبْهَةٍ عَرَضَتْ أو تأْوِيلٍ تَأَوَّلَه؛ بل لابد من حُجَّةٍ بَيِّنَة لإخراجه من الإيمان، كما يقول ابن تيمية ولابد من إقامة حجة تقطع عنه المعذرة.

الثاني: من الأوجه في خطر التكفير وما تَضَمَّنَتْهُ هذه الكلمة من مُعْتَقَدِ أهل السنة والجماعة: أنَّ التكفير خاض فيه الخوارج وهم أول الفئات التي خاضت في هذا الأمر، والصحابة رضوان الله عليهم أنكروا عليهم أبلغ الإنكار بل عَدُّوهُمْ رأس أهل الأهواء.

وأولُ مسألةٍ خاض فيها الخوارج وسَبَّبَتْ التَّوَسُّع في التكفير هِي مسألة الحكم بغير ما أنزل الله؛ حيث احتجوا على عليٍ ﷺ -وكانوا من جيش علي- بأَنَّهُ حَكَّمَ الرجال على كتاب الله، لمَّا حَصَلَتْ واقعة التحكيم بين أبي موسى الأشعري وبين عمرو بن العاص رضي الله عنهما. فقالوا: حَكَّمَ الرجال على كتاب الله فهو كافر، فَكَفَّرُوا عليا ﷺ، استدلالاً بقوله ﷻ: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة٤٤].

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد».

وقال ﷺ: «بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة». رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «من أتى كاهنًا فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد»..

الشيخ صالح

فذهب إليهم ابن عباس يناظرهم حتى احتَجَّ عليهم بقول الله ﷻ: ﴿ فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥] الآية، فرجع ثلث الجيش وبقي طائفة منهم على ضلالهم وظهرت فِرَق كثيرة من الخوارج.

فيَدُلُّكَ على قُبْحِ الخوض في هذه المسألة بلا علم أنَّها شعار أهل الأهواء؛ أعني الخوارج وهم أول فرقة خرجت في هذه الأمة وخالفت الجماعة، ولا شك أنَّ التزام نهج أتقى أهل الأرض بعد رسول الله ﷺ هو المُتَعَيِّن.

✍ الثالث: من أوجه بيان خطر التكفير والخوض فيه: أنَّ النبي ﷺ قال: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما» يعني إن كان كافرًا فهو كما ادُّعِيَ عليه وإلا عادت إلى الآخر، وهذا وعيد شديد.

- ☐ وقد يكون التكفير مبعثه الهوى.
- ☐ وقد يكون مبعثه الجهل.
- ☐ وقد يكون مبعثه الغَيْرَة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر». رواه الحاكم بهذا اللفظ. وقال ﷺ: «ثنتان في أمتي بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت». ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب: أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرًا ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت: إن الخوارج، إذ لو كفر كفرًا ينقل عن الملة لكان مرتدًّا يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام..

الشيخ صالح

فهذه ثلاثة أسباب لمنشإ التكفير: قد يكون الهوى -يعني التكفير بلا علم-، وقد يكون منشؤه الجهل، وقد يكون منشؤه الغيرة.

أما الأول والثاني: فواضح -يعني الهوى والجهل- وأمثلة أهل الأهواء فيه كثيرة.

وأما الثالث: وهو أنَّ التكفير قد يَحمِلُ المَرْءَ عليه الغَيْرَة على الدين قصة عمر ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة حيث لَمّا حصل من حاطب ما حصل، قال عمر لنبينا ﷺ: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق.

والحكم عليه بالنفاق حكم عليه بإبطانه للكفر، والنبي ﷺ لم يؤاخذ عمر ﷺ بذلك؛ لأَنَّهُ من أهل بدر، ولأنه قالها على جهة الغيرة وخطؤه مغفورٌ له؛ لأنه من أهل الجنة؛ يعني لِسَبْقِ كونه من أهل بدر. فدلَّ هذا على أنَّ الغيرة ليست حجة شرعية في التوسع أو في ابتداء القول في هذه المسائل بلا علم أو في التكلم فيها. الغيرة ليست عُذْرًا، لهذا النبي ﷺ ما عَذَرَ عمر بالغيرة، وإنما عُذِرَ عمر ﷺ:

① لاشتباه المقام أولاً في حق حاطب.

② ثُمَّ لأنَّ النبي ﷺ ما بيّنَ عذره -يعني ما بَيّنَ الرجل للنبي ﷺ عذره-

فقال النبي ﷺ لما أَخَذَ عمر بتلابيب حاطب، قال «**أرسله يا عمر -أو دعه يا عمر-، يا حاطب: ما حملك على هذا؟**» فلما استفصل منه رَجَعَ الأمر إلى الوضوح فيه.

التعليقات

...... ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة. فإن قولهم باطل أيضًا، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ ﴾، إلى أن قال: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ ﴾.

فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخًا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ إلى أن قال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾.

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقي في النار». أخرجاه في الصحيحين .....

[illegible]

[illegible]:

افترقت هذه الأمة في هذه المسألة العظيمة وهي مسألة التكفير إلى ثلاث طوائف:

طائفتان ضَلَّتَا، وطائفة هي الوسط وهي التي على سبيل الجماعة، وهذه الطوائف الثلاث هي:

○ [illegible]: من كَفَّرَ بكل ذنب، وجعل الكبيرة مُكَفِّرَةً وموجبةً للخلود في النار، وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة وطوائف من المتقدِّمين ومن أهل العصر أيضًا ممن يَشْرَكُهُمْ في هذا الأصل والعياذ بالله.

ابن ابي العز الحنفي

..... فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه. وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تعدون المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار، قال: المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، فيأتي وقد شتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار». رواه مسلم. وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾.

فدل ذلك على أنه في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته. وهذا مبسوط في موضعه...

الشيخ صالح

○ الطائفة الثانية: من قالت: إنَّ المؤمن لا يمكن أن يخرج من الإيمان إلا بانتزاع التصديق القلبي منه وحصول التكذيب، وهؤلاء هم المرجئة وهم درجات وطوائف أيضًا.

وهذا مبني على أصلهم في أنَّ الإيمان هو تصديق القلب فلا ينتفي الإيمان عندهم إلا بزوال ذلك التَّصديق. وهذا أيضًا غلط؛ لأدلة ربما تأتي إن شاء الله تعالى.

○ الطائفة الثالثة: وهم الوسط الذين نهجوا ما دلَّتْ عليه الأدلة، وأخذوا طريقة الأئمة التي اقتفوا فيها هدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، فقالوا:

إنَّ المِلِّيَّ والوَاحِدَ من أهل القبلة قد يخرج من الدين بتبديله في الدين ومفارقته للجماعة بقولٍ أو عملٍ أو اعتقادٍ أو شك. وهذا هو الذي أورده الأئمة في باب حكم المرتد، وقالوا:

إنَّ هذا يدخل في تبديل الدّين الذي قال فيه ﷺ: **«من بدّل دينه فاقتلوه»**، ويدخل في قول الله ﷻ: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ [المائدة: ٥٤] وآية البقرة ونحو ذلك، فدل ذلك على أنَّ المؤمن المسلم قد يحصل منه رِدَّة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج. نسميه كافرًا، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقًا، فالخلاف بينهم لفظي فقط.

وأهل السنة أيضًا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص. لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة! وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة: تبينت لك فساد القولين! ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى........................

الشيخ صالح

وهذه الردة لها شروطها ولها موانعها بتفصيلٌ لهم في كتب الفقه في باب حكم المرتد. فعند أهل السنة والجماعة:

- لا يُتَسَاهَلْ في أمر التكفير بل يُحذَّر منه ويُخوَّف منه.

- وأيضا لا يَمْنَعُونَ تكفير المُعَيَّنِ مُطْلَقًا؛ بل من أَتَى بقول كفري يخرجه من الملة أو فِعْلٍ كفري يُخْرِجُهُ من الملة أو اعتقاد كفري يُخْرِجُهُ من الملة أو شك وارتياب يُخْرِجُهُ من الملة، فإنه بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع يَحْكُمُ عليه العالم أو القاضي بما يجب من الردة ومن القتل بعد الاستتابة في أغلب الأحوال.

المسألة الرابعة:

دلّ القرآن والسنة على أنَّ الناس ثلاثة أصناف لا رابع لهم، وهم: المؤمنون، الكفار، المنافقون.

← والمؤمن المسلم هو من دَخَلَ في الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأتى بلوازم ذلك.

← **والكافر الأصلي** قد يكون كِتَابِيًّا وقد يكون مشركًا وثنيًا، كأهل الكتاب مثل اليهود والنصارى، وقد يكون وثنيًّا مثل المجوس وعبدة الكواكب والأوثان ومشركي العرب وأشباه ذلك.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... ثم بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافًا لفظيًا، لا يترتب عليه فساد، وهو: أنه هل يكون الكفر على مراتب، كفرًا دون كفر؟ كما اختلفوا: هل يكون الإيمان على مراتب، إيمانًا دون إيمان؟ وهذا اختلاف نشأ من اختلافهم في مسمى الإيمان: هل هو قول وعمل يزيد وينقص، أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافرًا نسميه كافرًا، إذ من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافرًا - ولا نطلق عليهما اسم الكفر. ولكن من قال: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، قال: هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب، كفر دون كفر، كالإيمان عنده.......................

الشيخ صالح

← والمنافق هو من يُبْطِنُ الكفر ويُظهر الإسلام، فيُحْكَمُ بإسلامه ظاهرًا كما فعل النبي ﷺ مع المنافقين، حتى إنه باعتبار الحكم الظاهر ورَّثَهُمْ وَوَرِثَ الصحابة من آبائهم المنافقين، وهم في الباطن كفّار أشد من اليهود والنصارى لقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. فمن حَصَلَ منه ذنب ووقع في ذنب من الذنوب فإنه لا يخلو:

- إما أن يكون من أهل الإيمان.
- وإما أن يكون من أهل الكفر.
- وإما أن يكون ممن أظهر الإسلام وأبطن الكفر.

فمن كان من أهل الإيمان: فإنه ليس كل ذنب يُخرجُهُ من الإيمان، فَلَمَّا شَهِدَ شهادة الحق بيقين وظُهُور فإنه لا يُخرِجُهُ منها إلا يقين مماثل لذلك مع إقامة الحجة ودرء الشبهة.

وهذا التفصيل تنتفع به في مسائل تدل على هذا أو ذاك؛ يعني على أحد الأقسام.

المسألة الخامسة:

من أصول أهل السنة والجماعة في هذا الباب وما خالفوا به الخوارج والمعتزلة والمرجئة في باب الإيمان والتكفير أَنَّهُم فَرَّقُوا بين التكفير المطلق وما بين التّكفير المُعَيَّن، أو ما بين تكفير المطلق من الناس دون تحديد وما بين تكفير المُعَيَّن.

التعليقات



...... ومن قال: إن الإيمان هو التصديق، ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، والكفر هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان، قال: هو كفر مجازي غير حقيقي ؛ إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة.

وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿ ﴾، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، إنها سميت إيمانًا مجازًا، لتوقف صحتها عن الإيمان، أو لدلالتها على الإيمان، إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمنًا. ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا....

فأهل السنة والجماعة أصْلُهُمْ أنهم يُكَفِّرُونَ من كَفَّرَهُ الله ﷻ وكَفَّرَهُ رسوله ﷺ من الطوائف أو من الأفراد.

فيُكَفِّرُونَ اليهود ويُكَفِّرُونَ النّصارى ويُكَفِّرُونَ المجوس ويُكَفِّرُونَ أهل الأوثان من الكفار الأصليين ؛ لأنَّ الله ﷻ شهد بكفرهم.

فنقول: اليهود كفار، والنصارى كفار، وأهل الشرك كفار، يعني أهل الأوثان عباد الكواكب عباد النار عباد فلان إلى آخره هؤلاء كفار وهؤلاء كفار أصليون نزل القرآن بتكفيرهم.

كذلك نقولُ بإطلاقِ القول في تكفيرِ من حَكَمَ الله ﷻ بكفره في القرآن، ممن أنْكَرَ شيئًا في القرآن فنقول:

من أنْكَرَ آيَةً من القرآن أو حَرْفًا فإنه يَكْفُر، نقول من اسْتَحَلَّ الربا المُجْمَع على تحريمه فإنه يكفر، من استحل الخمر فإن، يكفر. من بدّل شرع الله ﷻ فإنه يكفر. من دعا الناس إلى عبادة نفسه فإنه يكفر وهكذا، فيطلقون القاعدة.

وأما إذا جاء التشخيص على معين فإنهم يعتبرون هذا من باب الحكم على المُعَيَّنْ فيُرْجِعُونَه إلى من يصلح للقضاء أو الفتيا.

: وهو التكفير المطلق أو تكفير المطلق دون تحديد هذا مما يَلْزَمُ المؤمن أن يتعلّمه ليُسَلِّمَ لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ، ويعتقد ما أمر الله ﷻ به وما أخبر به.



..... فليس بين فقهاء الأمة نزاع في أصحاب الذنوب، إذا كانوا مقرين باطنًا وظاهرًا بما جاء به الرسول وما تواترعنهم أنهم من أهل الوعيد. ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار، كالخوارج والمعتزلة. ولكن أراد ما في ذلك التعصب على من يضادهم، وإلزامه لمن يخالف قوله بما لا يلزمه، والتشنيع عليه! وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف؟! قال تعالى: ﴿

﴾ [المائدة: ٨] الآية.

، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفرًا: إما مجازيًّا، وإما كفرًا أصغر، على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله: فهذا كفر أكبر.........................

فإنَّ تكفير من كَفَّرَهُ الله ﷻ بالنوع واجب والامتناع عن ذلك من الامتناع عن شرع الله ﷻ. وأمَّا المُعَيَّن فإنهم لا يُكَفِّرُونَه إلا إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع.

وعند من تجتمع الشروط وتنتفي الموانع؟ عند من يُحْسِنُ إثبات البيّنات و يُحْسِنُ إثبات الشرط وانتفاء المانع وهو العالم بشرع الله الذي يَصْلُحُ للقضاء أو للفتيا، فيحكم على كل معين بما يستحقه.

فإذًا من أصولهم التفريق ما بين الحُكْمِ على المُعَيَّن وما بين القول المطلق.

وهذا الأصل دَلَّتْ عليه أدلة من فعل أئمة السلف ومن أقوالهم، فإنَّ الإمام الشافعي مثلاً حَكَمَ على قول حفص الفرد لَمَّا نَاقَشَه بأنه كُفْر ولم يحكم عليه بالردة.

...... وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًا، أو كفرًا أصغر. وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطىء، له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

وأراد الشيخ رحمه الله بقوله: (ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله) - مخالفة المرجئة. وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين، فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك. فإن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة، وتأولوا قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾الآية.

فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا......................................

الشيخ صالح

وكذلك من حكموا على من قَالَ بخلق القرآن أو أنَّ الله لا يُرَى في الآخرة بأنه كافر لم يُطَبِّقُوهُ في حق المعين، لهذا الإمام أحمد لما حَكَى أو قال بتكفير من قال بخلق القرآن لم يُكفِّرْ عينًا أمير المؤمنين في زمانه الذي دعا إلى ذلك؛ بل أمراء المؤمنين الثلاثة المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق حتى جاء عهد المتوكل، فاستدل منه أئمة أهل الإسلام كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: على أنَّ إطلاق الكفر غير تعيين الكافر. ووَجْهُ ذلك ما ذكرته لك من أنَّ التعيين يحتاج إلى أمور؛ لأنه إخراج من الدين والإخراج له شروطه وله موانعه.

المسألة السادسة:

نرجع إلى قول الطحاوي هنا: **(وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ)** أُخِذَ على الطحاوي أنه قال **(بِذَنْبٍ)** وهذا يفيد أنه لا يُكفِّرْ بأي ذنب. قال: **(وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ)** يعني أنَّ أي ذنب لا يُكَفَّرُ به حتى يستحله.

التعليقات

...... وقال عمر لقدامة: أخطأت استك الحفرة، أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر.

وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر، وكان تحريمها بعد وقعة أحد، قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية بَيَّن فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين، كما كان من أمر استقبال بيت المقدس. ثم إن أولئك الذين فعلوا ذلك يذمون على أنهم أخطئوا وأيسوا من التوبة. فكتب عمر إلى قدامة يقول له: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

ما أدري أي ذنبيك أعظم؟ استحلالك المحرم أولاً؟ أم يأسك من رحمة الله ثانيًا؟ وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام....

الشيخ صالح

وهذا ليس هو مُعْتَقَد أهل السنة والجماعة على هذا الإطلاق وإنما يُعَبِّرُونَ بتعبير آخر وهو مراد الطحاوي يقولون: (**ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بمجرّد ذنب**) كما يقوله طائفة من أئمة الدعوة، أو (**لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بكلّ ذنب**) كما يقوله أيضًا طائفة من العلماء المتقدّمين ومنهم شارح الطحاوية تبعًا لغيره.

فإذًا قول الطحاوي: (**وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ**) المقصود به الذنوب العملية من الكبائر كالخمر والزنا والسّرقة وقذف المحصنات والتولي يوم الزحف ونحو ذلك من كبائر الذنوب العملية التي كَفَّرَ الخوارج بها.

ويدل على هذا أنَّ العقيدة مُصَنَّفَة لبيان ما يخالف به أهل السنة أهل البدع والخوارج وما تميزت به الجماعة، ومعلوم أنَّ الخوارج خالفوا في تكفير مرتكب الكبيرة مثل القتل والزنا وشرب الخمر والسرقة وأشباه ذلك، فخالفهم بهذا القول، يعني لا نكفر بهذه الذنوب.

التعليقات

(بِذَنْبٍ) يعني من الذنوب العَمَلِيَّة التي كفَّرَ بها الخوارج أو خلَّدَ أصحابَها في النار المعتزلةُ.

ويدل عليه أنه قال بعدها (مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) والاستحلال غالبه في الذّنوب العملية.

المسألة السابعة:

قوله: (مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) الإستحلال معه يكون مرتكب الكبيرة كافرًا. والاستحلال هو **اعتقاد** كون هذا الفعل حَلاَلاً. قال ابن تيمية ﷺ في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ: والاستحلال أن **يعتقد** أنَّ الله جَعَلَهُ حَلاَلاً أو أنَّ الله لم يحرمه.

فإذا اعتقد أنَّ هذا الشيء حلال، أو أنَّ الله لم يُحَرِّمْ هذا سواءٌ كان حلالاً على الأمة جميعا أو حلالاً عليه هو، وسواءٌ كان عدم التحريم على الجميع أو عليه هو -لأنها صورتان- فإنَّ هذا هو الاستحلال.

فإذًا ضابط الاستحلال المُكَفِّر هو الاعتقاد وذلك أنّ الاستحلال فيه جحد لكون هذا الذنب مُحَرَّمًا، لأنه إذا قال الخمر حلال فإنَّهُ جَحَدَ تحريمها. ويأتي الصلة ما بين الجحد والتكذيب والاستحلال في المسألة التي تليها إن شاء الله تعالى. فإذًا ضابط الاستحلال المكفر أن **يعتقد** كون هذا المحرم حلالاً وله صورتان:

- الصورة الأولى: أن يعتقد كونه حلالاً له دون غيره، وهذه تسمى **الامتناع**.
- الصورة الثانية: أن يعتقد كونه حلالاً مطلقًا له ولغيره، وهذه تسمى **التكذيب أو الجحد المطلق**.

فالاستحلال المكفِّر هو الاستحلال بالاعتقاد. قال بعض أهلِ العلم: وأمَّا ما جاء في حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري الذي في البخاري مُعَلَّقًا بل موصولاً، وهو قوله ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ** -يعني الزنا- **والحرير والخمر والمعازف**»، هل هذا الاستحلال من الاستحلال العملي أو الاستحلال المكفّر؟

قال طائفة -كما ذكرتُ لك وهو ظاهر-: أنَّ هذا الاستحلال عملي وليس باعتقاد كون هذه الأشياء حلالاً:

- فلم يُخْرِجْهُمْ من الإيمان إلى الكفر.
- ولم يُخْرِجْهُمْ من كونهم من هذه الأمة لقوله: «**ليكونن من أمتي**» فجعلهم بعض هذه الأمة.

التعليقات

وهذا يُلْمِعُ إليه كلام ابن تيمية وكذلك للحافظ ابن حجر ولجماعة. وهو ظاهِر في أنَّ المدمن للذنوب يكونُ فِعْلُهُ فِعْلَ المُسْتَحِلْ؛ لكن ليس اعتقاده اعتقاد المُسْتَحِلْ. فقال: «يستحلُّون» يعني يستحلون عَمَلاً لا اعتقادًا لأجل ملازمتهم لها وإدمانهم لهذه الذنوب.

فضابط الكفر في الاستحلال الذي ذَكَرَهُ هنا (**مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ**) يعني ما لم يعتقد أنَّ الله لم يُحَرِّمْ هذا، أو أنَّ الله أباح هذا، أو أنَّ هذا الأمر حلال، أو ليس بحرام إلى آخره.

وهذا القَدْر له ضابط أصلي عام وهو: أنَّ الذي يَنْفَعُ فيه ضابط الاستحلال هي الذنوب المُجْمَع على تحريمها، المعلومة من الدين بالضرورة.

أما إذا كان الذنب مُخْتَلَفًا فيه إما في أصله أو في صورة من صوره فإنه لا يُكَفَّرُ من اعْتَقَدَ حِلَّ هذا الأصل المُخْتَلَف فيه يعني في أصله أو الصورة المختلف فيها.

يُوَضِّح ذلك النبيذ الذي أباحه طائفة من التابعين من أهل الكوفة وأَبَاحَهُ طائفة من الحنفية أو من أباح ما أسْكَرَ كثيره ولم يسكر قليله، فإنَّ أهل العلم من أهل السنة لم يُكَفِّرُوا الحنفية الذين قالوا بهذا القول، وكذلك لم يُكَفِّرُوا من قال به من أهل الكوفة أو غيرهم.

وكذلك من لم يقل بتحريم رِبَا الفضل؛ لأنه فيه اختلاف، وكذلك بعض صور الربا، وكذلك بعض مسائل النظر إلى المحرمات يعني إلى الأجنبيات أو إلى الغلمان ونحو ذلك.

فإذا كان هناك أصلٌ مُجْمَعٌ على تحريمه معلوم من الدين بالضرورة -بالضرورة يعني ما لا يُحْتَاج معه إلى الاستدلال- **فإننا نقول:** من اعتقد إباحة هذا أو حِلَّهُ فإنه يكفر.

مثل الخمر المعروفة يعني في زمن النبي ﷺ التي تُسْكِرُ من شَرِبَهَا؛ تخامر عقله، مثل السرقة، مثل الزنا والعياذ بالله، مثل نكاح ذوات المحارم إلى آخر هذه الصّور.

المسألة الثامنة:

مما له صلة بلفظ الاستحلال واشْتَبَهَ على كثيرين أيضًا الجحد والتكذيب. وطائفة من أهل العلم يجعلون التكذيب والجحد شيئًا واحدًا. وهذا ليس بجيد؛ بل هما شيئان مختلفان، قد يجتمعان وقد يفترقان.

التعليقات

ويدل على ذلك قول الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فَنَفَى عنهم التكذيب وأثْبَتَ لهم الجحد، فدل على أنَّ التكذيب والجحد متغايران.

فما صلتها بالاستحلال؟

الاستحلال: اعتقاد كون هذا الأمر حلالاً، يعني هذا المحرم حلالاً.

والجحد: أن يَرُدَّ الحكم بَأَنَّهُ حلال أو أَنَّهُ حرام.

جَحدَ وجوب الصلاة: يعني رَدَّ هذا الحكم، يعني قال: لا، الصلاة ليست واجبة.

جَحدَ حرمة الخمر قال: الخمر غير محرمة.

☜ **فإذًا الاستحلال وهو اعتقاد كون الشيء المحرم حلالاً، يكونُ مَعَهُ جَحْدٌ قلبي**؛ ولكن ليس معه جحد لساني، قد يكون معه وقد لا يكون؛ لأنَّ ظاهر آية الأنعام ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ يعني في الباطن ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ يعني في الظاهر. فالجحد قد يكون في الظاهر وقد يكون في الباطن، والتكذيب قد يكون في الباطن وقد يكون في الظاهر.

والتكذيب: هو عدم اعتقاد صدق الخبر أو الأمر أو النهي.

ولهذا أَرْجَعَ كثيرٌ من أهل العلم من أهل السنة أكثر مسائل التكفير إلى التكذيب؛ وذلك لأنَّ التكذيب في أصله مناقض للتصديق الذي هو أصل الإيمان.

والمرجئة ومن شابههم قَصَرُوا الكفر على التكذيب فضلوا. وأهل السنة والجماعة جَعَلُوا الخروج من الإسلام والردة يكون بتكذيبٍ ويكون بغيره كما ذكرتُ لك.

فإذًا من الكلمات التي لها صلة بالاستحلال وتُلاَزِمُ الاستحلال أيضا الجحد والتكذيب. ومن الكلمات أيضًا التي لها صلة بالاستحلال الالتزام والامتناع، التَزَمَ وامْتَنَعَ. ومن الكلمات القَبول والرد. وهذه تحتاج في بيانها إلى مزيد وقت وسبق أن أوضحنا لكم بعض هذه المسائل.

✍ المسألة التاسعة:

من أهل العلم من جَعَلَ التكفير في الاعتقادات أو جعله في المسائل العلمية.

ابن أبي العز الحنفي

الشيخ صالح

فقال: المسائل العلمية التي دَخَلَ فيها أهل الأهواء والبدع فإننا نكفّر المخالف فيها، وأما المسائل العَمَلِيَّة لا نكفر فيها إلا بالاستِحْلال. وهذا قال به بعض المتسبين إلى السنة؛ ولكنه مُخَالِفٌ لقول أئمة أهل الإسلام وما تَقَرَرَ من اعتقاد أهل السنة والجماعة، فإنَّ الخطأ والاجتهاد والغلو ونحو ذلك يدخل في المسائل العلمية. فأهْلُ البدع لا يُكفَرُون بإطلاق، فليس كل من خَالَفَ الحق في المسائل العلمية يُعَدُّ كافرًا بل قد يكون مذنبًا، وقد يكون مخطئا وقد يكون مُتَأولاً. وعلى هذه الثلاث حَكَمَ أهل السنة وأئمة الإسلام بأنَّ هذه بدعة:

- قد تكون ذنبًا يوصله إلى الكفر.
- وقد تكون ذنبًا فيما دونه.
- وقد يكون سَلَكَ البدعة عن جهة الغلط منه والخطأ أو الجهل.
- وقد يكون تأول في ذلك.

ويستدلون على هذا بقصة الرجل الذي **(أوصى إذا مات بأن يُحْرَقَ ثم يُذَر رُفَاتُهُ وقال: لئن قَدِرَ الله علي ليعذبني عذابًا لم يعذبه أحدًا من العالمين، فجمع الله ﷻ رفاته وقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إنما فعلته خشية عذابك)**. أو كما جاء.

فَفَعَلَ هذا الفعل الذي أَنْشَأَهُ عنده الجهل أو عدم اعتقاد الحق في صفة من صفات الله ﷻ وهي صفة تَعَلُّق القُدْرَة بِرُفَاتِه هُوَ وبِقُدْرَة الله ﷻ على بعثه.

وعفا عنه رب العالمين لأجل عِظَمِ حسناته الماحية أو لِجَهْلِهِ؛ لأنه قال فعلته من خشيتك أو خوفًا من عذابك أو نحو ذلك، وهذا اعتقاد عظيم وهو حسنة عظيمة قابلت ذلك الاعتقاد السيئ، فدلَّ على أنَّ الاعتقادات البدعية والمخالفة للحق قد يُعْفَى عن صاحبها.

فإذًا قول من قال: إنَّ أهل البدع والضلالات المخالفين في التوحيد أو في الصفات أنهم يُكَفَّرون إذا خالفوا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة هذا قولٌ غلط وليس بصواب عند أئمة أهل السنة والجماعة. بل الصواب تقسيمهم:

- فمنهم من يكون كافرًا إذا قامت عليه الحجة الرسالية ودُفِعَتْ عنه الشبهة وبُيِّنَ له.
- ومنهم من يكون مذنبًا؛ لأنه مُقَصِّرٌ في البحث عن الحق.
- ومنهم من يكون متأولاً.

التعليقات

ومنهم يكون مخطئًا.

ومنهم من له حسنات ماحية يمحو الله ﷻ بها سيئاته.

:

أنَّ تكفير المعين يُشْتَرَطُ فيه إقامة الحجة.

وإقامة الحجة شرطٌ في أمرين:

: في العذاب الأُخْرَوِي؛ يعني في استحقاق العذاب الأخروي.

: في استحقاق الحكم الدنيوي.

والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ ﴾ [الإسراء: ١٥]، وكذلك قوله: ﴿ ﴾ فَشَرَطَ لِتَوْلِيَةِ الْمُشَاق ما تولى وجَعْلِ جهنمَ له وساءت مصيرًا أن يكون تَبَيَّنَ له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين ﴿

﴾ [النساء: ١١٥]، وكذلك قوله ﷻ: ﴿

﴾ [التوبة: ١١٥]، وكذلك قوله ﷻ: ﴿

﴾

[الجاثية: ٢٣]، وكذلك قوله ﷻ: ﴿

﴾ [الأعراف: ١٧٥- ١٧٦]، فهذه كلّها فيها اشتراط العلم وإقامة الحجة، وكُلُّ رسولٍ بُعِثَ لإقامة الحجة على العباد. إذا تبين هذا فإنَّ إقامة الحجة تحتاج:

إلى مقيم.

وإلى صفة.

أما المقيم: فهو العالِمُ بِمَعْنَى الحُجَّة، العالِمُ بحال الشخص واعتقاده.

وأما صفة الحجة: فهي أن تكون حُجَّةً رساليّةً بيِّنةً، قال ﷻ: ﴿

﴾ [إبراهيم: ٤].

واشْتَرَطَ أهل العلم أن تكون الحجة رسالية؛ يعني أن تكون قول الله ﷻ وقول رسوله ﷺ.

يعني أما إن كانت عقليةً وليس المأْخَذُ العَقْلِيُّ من النص فإنّه لا يُكتفى به في إقامة الحجة؛ بل لابد أن تكون الحجة رسالية. لهذا يُعَبِّر ابن تيمية و يُعَبِّر ابن حزم وجَمْعٌ بِأَنْ تكون الحجة رسالية؛ والسبب لأنها يَرْجِعُ فيها مَنْ لم يأخذ بالحجة إلى رَدِّ ما جاء من الله ﷻ ومن رسوله ﷺ. وأما فهم الحجة فإنه لا يُشترَطُ في الأصْلْ.

ومعنى عدم اشتراطه: أننا نقول: ليس كل من كَفَرْ فإنه كَفَرَ عن عناد، بل ربما كَفَرَ بعد إبلاغه الحجة وإيضاحها له؛ لأنَّ عنده مانعًا من هوى أو ضلال مَنَعَهُ من فهم الحجة، قال ﷻ: ﴿ ﴾ [الإسراء: ٤٦]، والآيات في هذا المعنى متعددة. ما معنى فهم الحجة؟ يعني أن يَفْهَمَ وجه الاحتجاج بِقُوَّةِ هذه الحجة على شبهته.

فهوعِنْدَهُ شُبْهَة في عبادة غير الله، عنده شُبْهَة في استحلاله لما حُرِّمَ مما أُجْمِعَ على تحريمه؛ لكن يُبلَّغُ بالحجة الواضحة بلسانه ليفهم معنى هذه الحجة.

فإن بَقِيَ أَنَّهُ لم يفهم كون هذه الحجة رَاجِحَة على حجته فإنَّ هذا لا يُشْتَرَط -يعني في الأصل-؛ لكن في بعض المسائل جُعِلَ عدم فهم الحجة -يعني كون الحجة راجحة على ما عنده من الحُجَج- جُعِلَ مانعًا من التكفير كما في بعض مسائل الصفات.

يعني أنَّ أهل السنة والجماعة من حيث التأصيل اشترطوا إقامة الحجة ولم يشترطوا فهم الحجة في الأصل؛ لكن في مسائل اشترطوا فيها فهم الحجة.

وهذا الذي يَعْلَمُهُ من يقيم الحجة وهو العالم الرّاسخ في علمه الذي يعلم حدود ما أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ.

:

قوله: (وَلاَ نَقُولُ: لاَ يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ) هذا فيه مخالفة للمرجئة.

والمرجئة جَعَلُوا أصل الإيمان التصديق، وجعلوا هذا التصديق لا يتأثر زيادةً ولا نقصًا، وإنما هو شيء واحد. لذلك لم يجعلوا الإيمان يزيد وينقص، ولم يجعلوا التصديق أيضًا واليقين يزيد وينقص بل جعلوه شيئًا واحدًا، لهذا لم يجعلوا ذنبًا يضر مع الإيمان.

والمرجئة في هذا على درجات مختلفة، يأتي بيانُها إن شاء الله تعالى عند قول المؤلف (**وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ**).

المسألة الثانية عشرة:

أَنَّ هاتين المسألتين وهما ما خالف فيه أهل السنة الخوارج وما خالفوا فيه المرجئة فرعٌ لأصل ومثالٌ لقاعدة؛ وهي **قاعدة الوَسَطية** لأهل السنة والجماعة بين فرق الضلال:

فهم وسط في باب الأسماء والأحكام -يعني في أبواب الإيمان والكفر- ما بين الخوارج والمعتزلة الوعيدية وما بين المرجئة في قول أولئك وقول هؤلاء، فهم يحذِّرون من الذنوب ويَتَوَعَّدُونَ بها ويَتَوَعَّدُونَ بالكفر، ولكن لا يُخرجونه من الإيمان إلا بعد تمام الشروط وانتفاء الموانع.

فهم -أعني أهل السنة والجماعة ثَبَّتني الله وإياكم على طريقتهم- لهم في ذلك الطريق الوسط في هذا الباب وفي باب الأسماء والصفات، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي جميع أبواب الدين؛ بل وجميع أبواب الشَّريعة -يعني في أصولها-.

لهذا فالطَّريقة المثلى هي أن يكون المرء بين طَرَفَي الغلو والجفاء، فالغلو مذموم بأنواعه والجفاء مذموم أيضًا؛ لأنه قصورٌ عن أمر الله، والغلو أيضا مذموم؛ لأنه زيادة على أمر الله ﷻ، والحق فيما بينهما.

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين، وأن يُعَلِّمَنَا ما ينفعنا، وأن يزيدنا من الفقه في الدين، ومن متابعة سنة سيد المرسلين، وأن يغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا، وأن يشفي قلوبنا من الأدواء والأهواء، وأن يشفي أبداننا من الأمراض نحن وجميع أحبابنا إنه سبحانه كريم جواد كثير النوال، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

.... نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة(١)..

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم).

ش: وعلى المؤمن أن يعتقد هذا الذي قاله الشيخ رحمه الله في حق نفسه وفي حق غيره. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾. ﴿ فَٱرْهَبُونِ ﴾. ﴿ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾.....

الشيخ صالح

قال العلامة الطحاوي رحمه الله وأجزل له المثوبة: (وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ.) هذه الجملة فيها بيان لما يجب على المرء المؤمن أن يعامل به نفسه وأنْ يعامِلَ به غيره من إخوانه المؤمنين. فمع النفس أهل السنة والجماعة يرجون للمحسن ويخافون على المسيء. هذا أصلهم مخالفين أهل التَّقْنِيط وهم أهل الإفراط، وأهلِ الأَمْن وهم أهل التفريط. وأصل هذا عندهم أنَّ المؤمن وعده الله ﷻ بموعدة لن يُخلِفها إياه؛ لأنَّ وعد الله ﷻ كان مفعولاً ولأنَّ وعد الله ﷻ كان مسئولاً ﷻ.

التعليقات

(١) الشيخ ابن باز: مراده رحمه الله إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة كالعشرة ونحوهم كما يأتي ذلك في آخر كلامه، مع العلم بأن من عقيدة أهل السنة والجماعة الشهادة للمؤمنين والمتقين على العموم بأنهم من أهل الجنة وأن الكفار والمشركين والمنافقين من أهل النار، كما دلت على ذلك الآيات الكريمات والسنة والمتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ وقوله عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ الآية. في آيات كثيرات تدل على هذا المعنى، وقوله سبحانه في الكفار: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ في آيات أخرى تدل على هذا المعنى، وبالله التوفيق.. =

ابن أبي العز الحنفي

...... ومدح أهل الخوف، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٨]. إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾.

وفي المسند والترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «قلت: يا رسول الله، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: لا، يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه». قال الحسن رضي الله عنه: عملوا - والله - بالطاعاتِ، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنًا. انتهى..............

الشيخ صالح

فالله ﷻ وَعَدَ المؤمن الذي مات على الإخلاص بأن يعفو عنه وأن يدخله الجنة برحمته ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وكذلك الله ﷻ تَوَعَّدَ من عصاه، تَوَعَّدَ من خالف أمره واتبع هواه، ووعيده قد يَنْفُذ ﷻ ويقع بمن تَوَعَّدَهُ ﷻ. فلأجل وعيد الله ﷻ فإنَّ من فعل ذنبًا ومعصيةً فإنه يُخافُ عليه ولا يُؤْمَن جانبه أن يكون ممن دخلوا في الوعيد وعاقبهم الله ﷻ.

فأهل الإيمان:

- منهم المحسن.
- ومنهم المسيء.
- ومنهم من خَلَطَ عملاً صالحًا وآخر سيئًا، هذا يغلبه تارة وهذا يغلبه تارة.

فالمحسن المُسَدَدْ نرجو أن يدخله الجنة ربُّه ﷻ برحمته.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قال الشيخ ابن مانع رحمه الله: اعلم أن الذي عليه أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لأحد مات من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله وأخبر عنه بذلك ولكنهم يرجون للمحسن ويخافون على المسيء وبهذا تعلم ما عليه كثير من الناس إذا ذكروا عالمًا أو أميرًا أو ملكا أو غيرهم قالوا: المغفور له أو ساكن الجنان وأنكى من ذلك قولهم: نقل إلى الرفيق الأعلى ولا شك أن هذا قول على الله بلا علم والقول على الله بلا علم عديل الشرك كما قال تعالى: ﴿ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وأما المشرك فنشهد له بالنار؛ لأن الله قال: ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾......................=

...... وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

فتأمل كيف جعل رجاءهم مع إيمانهم بهذه الطاعات؟ فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى، شرعه وقدرته وثوابه وكرامته.

ولو أن رجلاً له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يحرثها ولم يبذرها، ورجا أنه يأتي من مغلها مثل ما يأتي من حرث وزرع وتعاهد الأرض: لعده الناس من أسفه السفهاء!..........................

الشيخ صالح

والمسيء نخاف عليه أن يُؤْخَذَ بجريرته ونستغفر له ولا نُقَنِّطُهُ من رحمة الله لكن نفتح له باب التوبة وباب الرجاء.

هذه الجملة مبنية على أصل خالف فيه أهل السنة والجماعة المعتزلة والخوارج وطائفة من غلاة الصوفية في هذه المسائل. حيث إنَّ أهل السنة أصَّلُوا ما جاءت به الأدلة من أنَّ وعد الله ﷻ مَسْئول ومفعول، وربنا ﷻ لا يُخلف الميعاد، وأنَّ وعيدَه ﷻ قد يُدْرِكُ العبد وقد يتخلف، وذلك لأسباب يأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

من هذه الجملة أنَّ أهل السنة والجماعة يُعْمِلُونَ الوَعْد فيرجون للمحسن، ويُعْمِلُونَ الوعيد؛ لأنه قد يتحقق ويخافون على المسيء.

ولا يفتحون باب الوعد دون نَظَرٍ في الإساءة كحال المرجئة والصوفية وطوائف. ولا يُعْمِلُونَ حال الوعيد ويقولون بإنفاذه قطعًا وأنه لا يتخلَّف كحال الخوارج والمعتزلة.

= : هذا بحث للشهادة لمعين أنه من أهل الجنة، أو أنه من أهل النار، نحن لا نشهد لأحد بجنة أو نار إلا بدليل، إلا من شهد له المصطفى عليه الصلاة والسلام أنه من أهل الجنة، شهدنا له بذلك، ومن شهد له النبي ﷺ بالنار شهدنا له بذلك، هذا بالنسبة إلى المعينين، أما بالنسبة إلى العموم فنعتقد أن الكافرين في النار، وأن المؤمنين في الجنة.

أما على وجه الخصوص فلا نحكم لأحد إلا بالدليل، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء. هذه عقيدة المسلمين..........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وكذا لو رجا وحسن ظنه أن يجيئه ولد من غير جماع! أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام! وأمثال ذلك. فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم، من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.....................

الشيخ صالح

إذا تبين هذا من حيث الإجمال ففي المقام تفصيل نذكره في مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ الرجاء للمحسن بالعفو وعدم الأمن والاستغفار للمسيء والخوف عليه، هذا عقيدة يتعامل بها المرء مع نفسه وكذلك مع المؤمنين:

← فمع نفسه تَسُرُّهُ حَسَنَتُهُ وتَسُوؤُهُ سيئته، ويرجو لنفسه إذا أَحْسَن، ويأمل ويطمع في أن يُدْخِلَهُ الله الجنة برحمته لا بعمله، ولا يأمن على نفسه أن يُقَلِّبَ الله ﷻ قلبه، وكذلك لا ينظر إلى نفسه بِعَمَلٍ صالح عَمِلَه أنَّهُ استوجب به الجنة، فدائمًا ينظر إلى نفسه ما بين إحسانها بأن يطمع بثواب الله ورحمته وإذا أساءت فإنه يخاف ولا يقنط من رحمة الله ﷻ، هذا مع نفسه.

← وكذلك مع المؤمنين فإنه ينظرُ إليهم بهذا الأصل، فمن مات من أهل الإيمان فإنه يرجو أن يعفو الله ﷻ عنهم وأن يدخلهم الله الجنة برحمته، ومن مات من أهلِ الإساءة فإنه يستغفر للمسيء ويخافُ عليه ولا يُقَنِّطُ من أَسَاءَ مِنَ الأحياء وكذلك لا يُقَنِّطُ نفسه في من أساء من أن يعفو الله عن من مات.

المسألة الثانية:

الرجاء للمحسن من المؤمنين بالعفو هذا يشمل كل أحد حتى من لم يَعْرِفْ لنفسه ذنبًا.

وذلك لقول النبي ﷺ للصديق أبي بكر ﷺ بأن يدعو في آخر صلاته: **«اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي فإنك أنت الغفور الرحيم»**.

فقول أبي بكر: **«اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا»** هذا تَبَعٌ لهذا الأصل، وهو أنَّ المحسن من المؤمنين حتى صاحب المقامات العالية كالصديق ﷺ يرجو أن يعفوَ الله عنه وأن يدخله الجنة برحمته ولا يأمن، كذلك مَنْ دونه من المؤمنين من أهل الاقتصاد وعدم السبق بالخيرات لابد أن يرجو لنفسه ولا يأمن، ويظن أنه محتاج إلى العفو، يعني يعتقد أنه محتاج إلى عفو الله ﷻ وإلى رحمته.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه أمورًا: أحدها: محبة ما يرجوه. الثاني: خوفه من فواته. الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك، فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر. فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير، مخافة الفوات. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾......................................

الشيخ صالح

المسألة الثالثة:

الجمع ما بين الرجاء للمحسن والاستغفار للمسيء هذا تَبَع لأصل عظيم وهو الجمع في العبادة ما بين الخوف والرجاء. فالمأمور به شرعًا أن يَجْمَعَ العبد ما بين خوفه من الله ﷻ وما بين رجائه في الله ﷻ، والخوف عبادة والرجاء عبادة.

☜ والخوف المحمود: هو الذي يَحْمِلُ على طاعة الله ﷻ بِفِعْلِ أَمْرِهِ وتركِ المحرمات، هذا هو الخوف المحمود، وهو المذكور هنا في قوله: (نَخَافُ عَلَيْهِمْ).

☜ والخوف المذموم: هو الذي يَصِلُ إلى القنوط من رحمة الله ﷻ ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

أولاً: الخوف: الخوف من الله ﷻ عبادة مستقلة تحمل على:

١ - فعل الأمر واجتناب النهي.

٢ - عدم رؤية العمل الصالح -يعني رؤية أثره-، وكذلك على عدم رؤية العمل السيئ في أنه مُوْقِعٌ صاحبه وأنه مُهْلِكٌ له.

والله ﷻ مَدَحَ عباده الذين يخافونه في كتابه في مواضع كثيرة، كقول الله ﷻ في وصف الملائكة: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]، وأمر الله ﷻ بالخوف في قوله: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال: ﷻ: ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦]، وذكَرَ خاصَّةَ عباده من المرسلين بالخوف فقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... فالمشرك لا ترجى له المغفرة ؛ لأن الله نفى عنه المغفرة ، وما سواه من الذنوب في مشيئة الله ، إن شاء الله غفر له ، وإن شاء عذبه.

وفي [illegible] : الدواوين عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا ، وهو الشرك بالله ، ثم قرأ: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾...

الشرح

فَأَصْلُ الخوف من الله ﷻ عبادة عظيمة لا تستقيم العبادة إلا بها ولا يستقيم الإيمان إلا بالخوف. فمن لم يكن عنده خوف أصلاً من الله ﷻ فليس بمؤمنٍ لأَنَّهُ يكونُ آمنًا ، والأمن ينقل عن ملة الإسلام ، يعني الأمن التام بعدم وجود الخوف أصلاً من الله ﷻ.

ثالثا : **الرجاء:** والرجاء : أمل يحدو الإنسان في أن يتحقق له ما يريد.

قال طائفة من العلماء ونقله الشارح عندكم: إنَّ الرجاء لا يكون إلا باجتماع أشياء :

← الأول : المحبة لما رجاه ، وهو يرجو أن يدخل الجنة فلابد أن يُحِب أن يدخل الجنة.

← الثاني : الخوف وهو أن يخاف مما يقطع عليه أمله ، يخاف من الذنوب ، يخاف من الكفر ، يخاف من النفاق أن يقطع عليه أمله في دخول الجنة.

← الثالث : أن يعمل الأعمال الصالحة التي تكون سببًا فيما رجا ، فمن تَرَكَ تقديم الأسباب وفعل الأسباب فلا يكون راجيًا.

قالوا: والفرق ما بين الرجاء والأماني: أنَّ الرجاء يكون معه خوف وعمل ، والأماني إنما هي طمع ليس معها خوف ولا سعي في الأسباب.

والمطلوب شرعًا من العبد المؤمن فيما يراه في نفسه ولإخوانه المؤمنين أن يكون راجيًا ، وليس بذي أماني ، **قال الله ﷻ:** ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ **[النساء: ١٢٣].**

فإذًا دَلّ هذا الكلام من الطحاوي على الأصل الشرعي وهو أنّ العبد ينظر إلى نفسه في عبادته وفي أثر عبادته إلى أنه يجمع ما بين الخوف والرجاء ، وكذلك في نظره إلى إخوانه المؤمنين.

التعليقات

....

..... وديوان لا يترك الله منه شيئًا ، مظالم العباد بعضهم بعضًا. وديوان لا يعبأ الله به ، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه.

وقد اختلفت عبارات العلماء في الفرق بين الكبائر والصغائر ، وستأتي الإشارة الى ذلك عند قول الشيخ رحمه الله: وأهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون...

المسألة الرابعة :

اختلف العلماء في الخوف والرجاء هل يجب تساويهما أم يُرَجَّحُ أحدهما على الآخر على أقوال :

- القول الأول : أن يُغلَّبَ جانب الخوف مطلقًا.
- والقول الثاني : أن يُغلَّبَ جانب الرجاء مطلقًا.
- والقول الثالث : أن يستوي عند العبد الخوف والرجاء.
- والقول الرابع : التفصيل ، ومعنى التفصيل أنّ الخوف قد يُغَلَّبُ في حال ، وقد يُغلَّب الرجاء في حال ، وقد يُطْلَبُ تساويهما في حال.

فَيُغَلَّبْ الخوف على الرجاء في حال أكثر المؤمنين ؛ لأنَّ أكثر أهل الإيمان عندهم ذنوب فيُغَلِّبُونَ حال الخوف في حال الصحة والسلامة ؛ لأنهم لا يخلون من ذنب والخوف يحملهم على ملازمة الطاعة وعلى ترك الذنب.

والرجاء يُغَلَّبُ في حال المرض لقوله ﷺ : «**لا يمت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**» ﷻ وللحديث أيضا الآخر الذي رواه البخاري وغيره «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**» ، فدل هذا على أنَّ رجاء العبد مطلوب وإذا كان في حال المرض المَخُوف أو في أي مرضٍ كان فيه فإنه يُغَلِّب جانب الرجاء على الخوف.

وفي حال يستوي فيه الرجاء والخوف ، وهو في حال التَّعَبُّد ، إذا أراد العبادة ودخل في العبادة ، فإنه يخاف الله ﷻ ويرجو ربه ﷻ ، يخاف العقاب ويرجو الثواب.

ابن أبي العز الحنفي

...... ولكن ثم أمر ينبغي التفطن له، وهو: أن الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقرن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر. وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره..........................

الشيخ صالح

☜ **وهذا القول الأخير هو الصحيح وهو الذي عليه أهل التحقيق.**

ومن قال من أهل العلم أنَّهُ يُغَلِّب جانب الخوف مطلقًا نَظَرَ إلى أنَّ حال أكثر المتسببين حالهم على ذنب وعلى قصور فتغليب جانب الخوف في حقهم يَرُدُّهُمْ إلى الحق.

ومن قال يُغَلِّب جانب الرجاء دائمًا عمم قوله ﷺ: «**قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**».

ومن قال بالاستواء دائمًا نظر إلى قول الله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وكذلك قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

والتفصيل هو الصحيح لأن الأحوال تختلف باختلاف المقامات والناس.

※

قوله: (نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ). قوله: (لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) هذا على موردِ التقسيم من أنَّ أهل الإيمان منهم المحسن ومنهم المسيء.

وليس شرطًا في رجاء العفو أن يكون من أهل الإحسان، وإنما المؤمن إما أن يكون محسنًا وإما أن يكون مسيئًا.

← والمحسن هو من كان من المقتصدين أو من السابقين بالخيرات؛ لأنَّ أهل الإيمان ثلاث مراتب:

- ☐ الظالم لنفسه.
- ☐ والمقتصد.
- ☐ والسابق بالخيرات.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وأيضًا: فإنه قد يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، فإن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة: السبب الأول: التوبة، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ غيرها..

الشيخ صالح

كما دلت عليهم آية فاطر ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢]. والمحسن من المؤمنين أو المسيء من المؤمنين نرجو أن يعفو الله ﷻ عنهم ونخاف على المسيء منهم.

وعفو الرحمن ﷻ عن العبد وعدم مؤاخذته بفعله هذا قد يكون:

① مِنَّةً وتَكَرُّمًا منه ﷻ في غير الشرك به ﷻ، ومعنى مِنَّة، أي: يَمُنُّ على من يشاء، يعني ابتداءً منه ﷻ بدون أن يفعل العبد سببًا يُحَصِّلُ به ذلك

② وقد يكون بسبب.

✧ فأما ما كان مِنْهُ مِنَّةً وتَكَرُّمًا فالله ﷻ وَعَد بل تَوَعَّد أن لا يغفر الشرك به فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ قال: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦] فما دون الشرك يغفره سبحانه لمن يشاء مِنَّةً وتكرمًا منه ﷻ.

✧ وأما ما كان بسببٍ فالعلماء نظروا فيما جاء فيه الدليل من الكتاب والسنة في الأسباب التي تكون رافِعَةً لأثر الذّنب؛ لأنَّ الذنب إذا وقع من العبد فلابد من حصول الجزاء عليه، قال ﷻ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣].

ولَمَّا نَزَلَت هذه الآية شق ذلك على المسلمين مشقة عظيمة، فعرف ذلك منهم ﷺ فخرج عليهم وقال: «**سددوا وقاربوا فما يصيب المسلم**» أو كما جاء في الحديث «**فما يصيب المسلم من مصيبة كانت كفارة له حتى في النكبة يُنْكَبُها وحتى الشوكة يشاكها**» رواه مسلم في الصحيح، فقول الله ﷻ: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ دلَّ على أنَّ هناك ما يُكَفِّرُ الله به هذا السوء الذي حصل من العبد وأنه لا يُجَازَى به، بل يُرْفَع الجزاء بسبب من الأسباب.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... والتوبة النصوح، وهي الخالصة، لا يختص بها ذنب دون ذنب، لكن هل تتوقف صحتها على أن تكون عامة؟ حتى لو تاب من ذنب وأصر على آخر لا تقبل؟ والصحيح أنها تقبل. وهل يجب الإسلام ما قبله من الشرك وغيره من الذنوب وإن لم يتب منها؟..

الشرح: صالح

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، يعني ما أصاب العبد من مصيبة في دنياه فهو بسبب ذنبٍ عمله فتكون كفارةً له ويعفو الله ﷻ عن كثيرٍ من الذنوب التي حصلت من العبد.

إذا تبين ذلك فالأسباب هذه التي يُكَفِّرُ الله ﷻ بها الخطايا أو يمحو بها أثر السيئات ويرفع بها أثر الإساءة على ثلاثة أقسام:

- [illegible]: أسباب يفعلها العبد.
- [illegible]: أسباب من المؤمنين للواحد منهم.
- [illegible]: أسباب من الله ﷻ ابتداءً منه ﷻ.

فالقسم الأول أسباب يفعَلُها العبد:

وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول التوبة: والتوبة مأمورٌ بها إجمالاً وتفصيلاً قال ﷻ: ﴿ [illegible] ﴾ [التحريم: ٨]، هذا إجمالاً، كل مؤمن حتى الصالح حتى الأنبياء مأمورون بالتوبة، كان ﷺ يقول: **«إني ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة»** وكان يُحْسَبُ له ﷺ في المجلس الواحد يتوب إلى ﷻ مائة مرة، وقال سبحانه: ﴿ [illegible] ﴾ [النور: ٣١].

فالتوبة مأمورٌ بها سواء كان العبد مُسَدَّدًا أو كان دون ذلك. فأعظم الأسباب التي يفعلها العبد لمحو السيئات عنه التوبة، فمن فعَلَ سيئة مهما كانت حتى الكفر والشرك فإنَّ الله ﷻ يمحو أثره بالتوبة إليه ﷻ، قال ﷻ بعد أن ذكَرَ أصناف الكبائر في سورة الفرقان: ﴿ [illegible] سَيِّئَاتِهِمْ [illegible] يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧٠- ٧١].

ابن أبي العز الحنفي

..... أم لا بد مع الإسلام من التوبة من غير الشرك؟ حتى لو أسلم وهو مصر على الزنا وشرب الخمر مثلا، هل يؤاخذ بما كان منه في كفره من الزنا وشرب الخمر؟ أم لا بد أن يتوب من ذلك الذنب مع إسلامه؟ أو يتوب توبة عامة من كل ذنب؟...

الشيخ صالح

والتوبة معناها -ضابط التوبة-: تاب بمعنى رجع. وهناك ثلاثة ألفاظ متقاربة لكن المعنى يختلف بدقة وهي:

١ - آبَ ٢ - تابَ ٣ - ثابَ

وهي تشترك في الأصل من أنها فيها رجوع.

آبَ: يعني رَجَع، (آيبون تائبون) تشمل هذه وهذه، فآب: رجع، أو أوَّاب: كثير الرجوع.

تواب أيضًا كثير الرجوع، لكن **تَوَّابْ أو تَابَ من شيءٍ سيئٍ فَعَلَهْ**، وأما آبَ فهو رجوعٌ مُطْلَقْ سواء مما يسوء أو مما لا يسوء.

وتاب: مختص أيضًا برجوع خاص.

إذًا التوبة رجوع إلى الله ﷻ بطلب محو تلك السيئات، فإذًا هي توبة ورجوع إلى الله ﷻ بطلب محو السيئات. هذا هو السبب الأول وهو التوبة وهي أعظم الأسباب قال ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣]، أَجْمَعَ العلماء على أنَّ هذه الآية نزلت في التائبين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ يعني لمن تاب. طبعًا التوبة تفصيل الكلام عليها وشروطها إلى آخره يُطْلَبُ من موضعه.

② **النوع الثاني الاستغفار:** والاستغفار هو طلب المغفرة. والمغفرة معناها سَتْرُ أثر الذنب؛ لأنَّ الذنب إذا وَقَعَ من العبد فلابد أن يوجد أثر ذلك الذنب، وهو إما أن يكون العقوبة عليه؛ -يعني أن يُعَاقَبَ العبد على ذنبه في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة-، وإما أن تَقَع عليه مصيبة يُكَفِّرُ الله بها ذنبه، وإما أن يُخْزَى بذنبه ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ [البقرة: ١١٤] والعياذ بالله -اللهم إنا نعوذ بك من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة-، الخزي يقع بسبب الذنوب.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وهذا هو الأصح: أنه لا بد من التوبة مع الإسلام، وكون التوبة سببًا لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها - مما لا خلاف فيه بين الأمة. وليس شيء يكون سببًا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، وهذا لمن تاب، ولهذا قال: ﴿ تَقْنَطُوا۟ مِن﴾، وقال بعدها: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾الآية.........

الشيخ صالح

فإذًا الذنب إذا وقع من العبد فله أثره الكوني وأثره الشرعي الذي يحصل ولا بد؛ إلا إنْ عفَا الله ﷻ مِنَّةً مِنْهُ وتكرمًا. إذا استغفر العبد، طَلَبَ غَفْرَ الذنب، طَلَبَ أن يُسْتَرَ هذا الذنب، فلا يُخْزَى به وأن يُسْتَرَ أثر الذنب فلا يؤاخذ به.

وهذا قرين التوبة، لهذا جاء في عدة آيات اقتران التوبة والاستغفار؛ لأنَّ الاستغفار مثل التوبة في الأمْرِ بها والحث والحض عليها، قال ﷻ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[نوح: ١٠]، وقال ﷻ: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ١- ٣]، الاستغفار صار قبل التوبة من جهة أنَّهُ طَلَبُ مباشرة، طَلَب أن يُمْحَى أثر الذنب؛ لأنَّ أثر الذنب لو أخَّرْتَ طلب المغفرة فقد يقع الأثر سريعًا.

﴿ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ يعني أنَّ التوبة تكون بعد الاستغفار من الذنب، ولهذا النبي ﷺ كان يُقَدِّم طلب المغفرة على طلب التوبة فقال **«ربي اغفر لي وتُبْ علي»**، **«أستغفر الله وأتوب إليه»**.

التوبة والاستغفار نظر فيها بعض العلماء وذكرها الشارح عندكم تبعًا لابن تيمية من أنَّ التوبة والاستغفار من الألفاظ التي إذا اجتمعت تفرقت وإذا تفرقت اجتمعت.

إذا اجتمعت تفرقت؛ لأنَّ التوبة على ما ذكرت لك من تعريفها والاستغفار على ما ذكرت لك من أنَّ:

- **الاستغفار**: طلب ستر الذنب.
- والتوبة: هي طلب محو الذنب، رجوع في طلب محو الذنب.

إذا تفرقت فالمستغفر تائب والتائب مستغفر.

التعليقات

......السبب الثاني: الاستغفار، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾.

③ النوع الثالث الحسنات التي تمحو السيئات:

والله ﷻ قال: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]، وقال ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**» فالحسنة تمحو السيئة، فَفِعْلُ الحسنات يمحو الله ﷻ به السيئات.

لكن هل كل حسنة يمحو الله ﷻ بها كل سيئة؟ الجواب ليس كذلك؛ بل السيئة لها ما يقابلها من الحسنات التي تختص بها، والسيئات أيضا منها ما يُبْطِلُ الحسنات التي تقابلها.

الأول مثل أنَّ الأعمال السيئة الكبيرة مثل الإفساد في الأرض بالشرك بالله ﷻ أو بقتل النفوس هذه ذنوب عظام يُكَفِّرُهَا الجهاد في سبيل الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [الصف: ١٠- ١١] الآية.

الكبائر لها ما يقابلها فإذا كانت الكبيرة بالسرقة وأخذ المال من غير حله وبالربا ونحو ذلك فيقابلها من الكفارات الصدقة.

إذا كانت كبائر الذنوب من جهة أعمال البدن فيقابلها الصيام والصلاة ونحو ذلك. إذا كانت من جهة المال يقابلها الزكاة والصدقات وأشباه ذلك.

فإذًا الحسنات من حيث الجنس يمحو الله بها السيئات والسيئات قد يفعل العبد سيئةً تَبْطُلُ معها حسنةٌ كان يعملها، ويُسْتَدَلُّ لذلك لما رُوي: **من أنَّ زيد بن أرقم تعامل بالعِينَة أو باع شيئًا بأجل، باع فرسًا له بأجل بثمانمائة درهم، ثم اشتراه ممن باعه عليه بستمائة فربح هذا الفرق، فلما بلغ عائشة ذلك قالت: اعلموا زيدًا أنه أَبْطَلَ جهاده مع رسول الله ﷺ**. وهذا اجتهاد من عائشة رضي الله عنها.

والحديث فيه ضعف معروف يعني إسناده لا يصح، لكن استدل به بعض أهل العلم مثل ابن تيمية ووَجَّهَهُ بأنَّ هذا الفعل وهو حصول الربا مقابل للجهاد، فوقوع التبايع بالعينة هذه قابلت بها عائشة فعل الجهاد؛ ولهذا جاء في الحديث اقتران ترك الجهاد بالتبايع بالعينة، جاء فيما صحَّ عنه ﷺ الحديث الذي في السنن وفي غيرها «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر وتركتم الجهاد**» فقارَنَ بين هذا وهذا.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... لكن الاستغفار تارة يذكر وحده، وتارة يقرن بالتوبة، فإن ذكره وحده دخلت معه التوبة، كما إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار.

فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله..............

الشيخ صالح

فهذا الأصل يدلُّ على أنَّ الحسنات مُكَفِّرَات للسيئات، وعلى أنَّ بعض السيئات قد تُبْطِلُ بعض الحسنات.

يعني تكون في مقابلتها من جهة عِظَم السيئة حتى أنها تُبْطِلُ -معنى تُبْطِل يعني أنها في الميزان تكون مقابلة لها في عظم الذنب- تلك حسنة كبيرة وهذا ذنب عظيم فتكون هذه مقابلة لهذه إذا وُضِعَت في الميزان.

الحسنات يُكَفِّر الله ﷻ بها السيئات مثل ما ذكرنا في الآيات هذه أفعال العبد.

القسم الثاني أسباب من المؤمنين للواحد منهم: وهذا المقصود به يعني ما يفعله المؤمنون لإخوانهم مما يكفر الله ﷻ به السيئات.

وهذا يُجَامِعُ الرجاء، فعقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ العبد يرجو لنفسه ويخاف على نفسه، فيعمل الأسباب التي لنفسه من الرجاء والخوف التي ذكرنا ومن الاستغفار والتوبة والحسنات.

وكذلك يرجو لإخوانه ويخاف على إخوانه، فيعمل الأسباب التي تنفعهم فيما رجا لهم، ويعمل الأسباب أيضًا التي تنفعهم فيما خاف عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحو ذلك.

وهذا القسم ثلاثة أنواع أيضًا:

① النوع الأول الاستغفار والدعاء للمؤمنين.

التعليقات

....

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ونظير هذا: الفقير والمسكين، إذا ذكر أحد اللفظين شمل الآخر، وإذا ذكرا معا كان لكل منهما معنى. قال تعالى: ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾. ﴿ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾. ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.......................

الشيخ صالح

وهذا ينفع، الاستغفار والدعاء نافع سواء أكان من الملائكة أم من المؤمنين من الجن والإنس.

هذا دعاء للملائكة. وكذلك دعاء المؤمن للمؤمن في خارج الصلاة أو في الصلاة هذا نافع له وهو من الأسباب التي يُكَفِّرُ الله ﷻ بها خطايا المؤمن، فتدعو لإخوانك المؤمنين، تدعو لفلان المعين المذنب هذا يمحو الله ﷻ به السيئات.

والملائكة يستغفرون ويدعون للمؤمنين كما قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧] إلى آخره.

② **النوع الثاني إهداء القُرَب وعَمَلُ العبادات عن المؤمن:** وهذه تشمل الصدقة عن الغير، أو عمل العمل الصالح وإهداء ثوابه للغير، أو أن يعمل العبادة التي تَدْخُلُهَا النِّيَابَة مما جاء في السنة، ويجعلها لغيره مثل: الصيام والحج والصدقة ونحو ذلك، هذه يأتي مزيد تفصيل الكلام عليها عند قول الطحاوي (**وفي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِم مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ**).

③ **النوع الثالث الشفاعة إما في الدنيا أو في الآخرة:** فشفاعة المؤمن لإخوانه المؤمنين نافعةٌ له، وأصل صلاة الجنازة لأجل دعاء المؤمن والشفاعة له.

ولهذا جاء في الحديث أنه ﷺ قال: «**ما من مسلمٍ يصلي عليه أربعون من أهل الإيمان إلا شفَّعَهُمْ الله فيه**» وفي لفظ آخر قال «**كلهم يشفعون له إلا شفَّعهم الله فيه**».

التعليقات

....

..... لا خلاف أن كل واحد من الاسمين في هذه الآيات لما أفرد شمل المقل والمعدم، ولما قرن أحدهما بالآخر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ الآية: كان المراد بأحدهما المقل، والآخر المعدم، على خلاف فيه.....

والشفاعة تحصل في الدنيا بالدعاء وتحصل أيضًا في الآخرة، فشفاعة الأب لأبنائه والإبن لوالده ونحو ذلك والعالم لأحبابه وأهل القرابة لقراباتهم أو للمؤمنين، ومن ذلك؛ بل أعظم شفاعة النبي ﷺ لطوائف من أمته.

القسم الثالث: أسباب من الله ﷻ ابتداءً منه ﷻ: وهو أربعة أنواع:

① **النوع الأول مغفرة الله ﷻ لعبده ابتداءً مِنَّةً منه وتكرّما:** وهو أعظم الأنواع وأجَلُّهَا، فالله ﷻ مَنَّ على عبد بالإسلام وبالإيمان، فقد يَمُنُّ عليه بمغفرة الآثام ابتداءً، وهذا خلْقُ الله ﷻ هو سبحانه يثيب من يشاء، ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

② **النوع الثاني المصايب التي تحصل للعبد في الدنيا:** مصيبة يوقعها الله ﷻ بالعبد: مرض، فَقْد حبيب، حَزَن، هَم، نقص مال يهمه، ونحو ذلك مما يعني يفنى شيئا من ماله من بدنه بمرض يصاب بأشياء، هذه المصائب كفَّارَات، يُكفِّر الله ﷻ بها من ذنب العبد.

قال العلماء: المصايب -مصايب بالياء ويجوز مصائب لكن الأصح مصايب أو يعني الأشهر المصايب- التي تحصل على العبد مِنَ الله ﷻ هي في نفسها كفارة؛ لأنها ليست من جهة العبد يعني العبد ما اختارها لنفسه، الله ﷻ ابتلى به المؤمن، فابتلاه بها ليكفر الله ﷻ بها من خطاياه.

وهذا كما قال ﷺ: «**ما يصيب المسلم من همٍّ ولا حَزَنٍ ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّرَ الله بها من خطاياه**» فالهم يأتي للمؤمن هَمٌ، ضِيقَة صَدْر لا يدري ما سَبَبُهَا، أو يُبْتَلى بشيء يُضَيِّق صدره أو يهمه ويصبح في غم أو في هم.

هذا سبب لأنه خروج عما يُسْعِدْ العبد وابتلاء من الله ﷻ العبد فهذا سبب من أسباب كفارة الذنوب.

التعليقات
....

ابن أبي العز الحنفي

..... وكذلك: الإثم والعدوان، والبر والتقوى، والفسوق والعصيان. ويقرب من هذا المعنى: الكفر والنفاق، فإن الكفر أعم، فإذا ذكر الكفر شمل النفاق، وإن ذكرا معًا كان لكل منهما معنى. وكذلك الإيمان والإسلام، على ما يأتي الكلام فيه، إن شاء الله تعالى.........

الشيخ صالح

كذلك المصايب في النفس أو في الولد أو في المال أو نحو ذلك هذه المصايب كفارة. وهل يؤجر عليها، أو هي كفارة بشرط؟

المصايب كفارة بلا شرط بإطلاق، فمن وقعت عليه مصيبة فالدليل دلَّ على أنَّ الله يُكَفِّرُ بها من خطاياه، والحمد لله على فضله وتكرمه ومنته؛ ولكن قد يؤجَرُ على المصيبة وقد يأثَمُ على المصيبة، وذلك إذا صبر أو تسخط، فإن صبر أُجِر وإن تسخط أثم.

فإذًا المصيبة في نفسها كفارة فإن صار مع المصيبة صَبْر فهذا أَجْرٌ، وإن صار مع المصيبة تسخط فهذا إثم.

③ **النوع الثالث العذاب الذي يحصل على العبد في البرزخ:** يعني العذاب الذي في القبر، يكون على العبد ذنب من الذنوب أو ذنوب كذا فيعذبه الله ﷻ في القبر ثم يوم القيامة لا يُدْخِلُهُ النار.

④ **النوع الرابع ما يكون في عَرَصَات القيامة من المصايب والأمور العظام التي قد يبتلي بها الله بعض عباده فيكون في ذلك كفارة لهم.**

فهذه عشرة أسباب فَرَّقَهَا الشارح وقَسَمْتُهَا لك بثلاثة من العبد، وثلاثة من المؤمنين لإخوانهم المؤمنين، وأربعة من الله ﷻ وتقدست أسماؤه.

المسألة السادسة:

قول الطحاوي (**وَلاَ نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ**) يعني لا نشهد للمحسن بالجنة، وكذلك لا نشهد للمسيء بالنار، فلا نشهد لأحد من أهل القبلة بجنةٍ ولا نار إلا من شَهِدَ له رسول الله ﷺ، وهذه الجملة يأتي تفصيل الكلام عليها عند قول الطحاوي (**وَلاَ نُنَزِّلُ أحَدًا مِنْهُم جَنَّةً ولا نارًا**).

التعليقات

... وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ(١)..................

ابن أبي العز الحنفي

..... السبب الثالث: الحسنات: فإن الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن لا غلبت آحادِه عشراته وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾. وقال ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها».

السبب الرابع: المصائب الدنيوية، قال ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا غم ولا هم ولا حزن، حتى الشوكة يشاكها - إلا كفر بها من خطاياه»..

الشيخ صالح

المسألة السابعة:

أَنَّ في قوله: **(وَلاَ نُقَنِّطُهُمْ)** التقنيط هو كاليأس أو التأييس من رحمة الله ﷻ.

بمعنى أن يقول القائل: هذا ذنب كيف يغفره الله ﷻ لك؟ أو يستعظم أن يعفو الله ﷻ عن فلان. وهذا قد يكون في بعض من أحواله من كبائر الذنوب، والواجب على المؤمن تجاه نفسه وإخوانه المؤمنين أن يفتح عليهم باب الرجاء إذا أقبلوا تائبين، وأن يَفْتَحَ عليهم باب الخوف إذا كانوا مُفَرِّطين، فإذا كان مقيم على لهوه، مقيم على ذنوبه على كبائره على آثامه فَتَعِظُهُ بالخوف، ولا تَفْتَحْ له الأمل لأنَّ فتح باب الرجاء له في هذه الحال يزيد من فعله للذنوب.

وهذا من المهمات لأهل الدعوة والمواعظ والخطباء وأئمة المساجد إلى آخره في أنَّ الناس إذا رآهم صالحين وعندهم تَشَدُّد يفتح لهم باب الرجاء وباب السهولة، كما قال ﷺ لما أَذِنَ باللعب في المسجد قال: **«لتعلم اليهود أنَّ في ديننا فسحة»**؛ **لأنَّ** اليهود في شريعتهم ثَمَّ تشديد وآصار وأغلال وُضِعَتْ عليهم أو وضعوها على أنفسهم.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: نستغفر للمسيء؛ لأنه أخونا، وندعو له بالتوبة والتوفيق؛ وإن كان مذنبًا، وهذا حق الإيمان علينا ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾. ولا نُقَنِّطُ المذنب من رحمة الله كما تقوله الخوارج والمعتزلة، لا نقنطه من رحمة الله، بل هو معرض للوعيد وتحت المشيئة، وإن تاب تاب الله عليه عز وجل: ﴿ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾، ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾. والوعيدية الذين هم الخوارج ومن سار في ركابهم، هم الذين يُقَنِّطُون الناس من رحمة الله، ويخرجونهم من الملة بذنوبهم، وإن كانت دون الشرك.

..... وفي المسند: «أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله، نزلت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءاً؟ فقال: يا أبا بكر، ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست يصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به»، فالمصائب نفسها مكفرة، وبالصبر عليها يثاب العبد، وبالسخط يأثم.

والصبر والسخط أمر آخر غير المصيبة، فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد، وهي جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفر ذنبه بها، وإنما يثاب المرء ويأثم على فعله، والصبر والسخط من فعله، وإن كان الأجر قد يحصل بغير عمل من العبد، بل هدية من الغير، أو فضلاً من الله من غير سبب، قال تعالى: ﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾...

الشيخ صالح

وأما إذا رآه صاحب خوف وبكاء وكثرة بكاء من خوف الله ﷻ وكثرة الخوف من أنَّ الله لا يغفر ذنبه، ودائما يلاحظ ذنبه ويلاحظ كبيرته فهذا يفتح له باب الرجاء.

فإذًا الواجب هو ما قال أن لا نأمَنَ على المحسن وأن لا نقنِّط المسيء فهذه عقيدة وأيضًا يتبعها عمل.

المسألة الثامنة:

في قوله: **(نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ)** قوله (بِرَحْمَتِهِ) هذا كما ذَكَرْتُ لك في أوله بأنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل ما ثمَّ إلا عفو الله ﷻ ورحمته.

فالله ﷻ وَعَدَ من عمل صالحًا بأن يدخله الجنة جزاءً بما عمل قال سبحانه: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧]، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف:٧٢]، فالجنة يدخلها العبد بالعمل؛ **لكن الباء هذه ليست باء المقابلة إنما هي باء السببية؛ يعني بسبب ما كنتم تعملون.**

فالعمل الصالح للعبد وأعلاه توحيد الله ﷻ والبراءة من الشرك وأهله والكفر بالطاغوت هذا العمل الصالح هو أعظم الأسباب التي يُدْخِلُ الله ﷻ بها العبد الجنة.

التعليقات

....

ابن ابي العز الحنفي

...... فنفس المرض جزاء وكفارة لما تقدم. وكثيرًا ما يفهم من الأجر غفران الذنوب، وليس ذلك مدلوله، وإنما يكون من لازمه. السبب الخامس: عذاب القبر. وسيأتي الكلام عليه، إن شاء الله تعالى.

السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

السبب السابع: ما يهدى إليه بعد الموت، من ثواب صدقة أو قراءة أو حج، ونحو ذلك، وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

السبب الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب التاسع: ما ثبت في الصحيحين: «أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة».

السبب العاشر: شفاعة الشافعين، كما تقدم عند ذكر الشفاعة وأقسامها.

السبب الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾..

الشيخ صالح

أما المُقَابَلَة فإنَّ الجنة وما فيها من النعيم وما أعطى الله العبد مِنَ النِّعَمْ في الدنيا بل ما مَنَّ عليه أصلاً من الهداية لا يستحق الجنة بالمقابلة؛ لأنَّ حصول الهداية للعبد مِنَّة من الله ﷻ وتَكَرُّمْ ولو تُرِكَ العبد ونفسه لما اهتدى ولاحتوشته الشياطين. لهذا لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله ﷻ كما قال هنا (**نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ**).

فإذًا أهل السنة والجماعة يقولون إنَّ دخول أهل الجنة للجنة بسبب الأعمال الصالحة، وإلا فإنَّ الدخول برحمة الله ﷻ لما دَلَّ عليه قوله ﷺ: «**لن يُدْخِلَ أحدا منكم الجنة عملُه**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضلا**».

وأما المعتزلة وأهل إنفاذ الوعيد فيرون أنَّ دخول الجنة يكون بالعمل مقابلةً؛ لأنَّ الله سماه أجر كما يقولون والأجر يقتضي المقابلة. نكتفي بهذا، نقف عند هذا أسأل الله ﷻ لنا ولكم التوفيق والرُّشْدَ والسداد والعفو من السيئات والرحمة والرضوان.

التعليقات

....

....والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام(١)..........................

ابن أبي العز الحنفي

...... فإن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلا بد من دخوله إلى الكير؛ ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه، فلا يبقى في النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، بل من قال: لا إله إلا الله، كما تقدم من حديث أنس رضي الله عنه. وإذا كان الأمر كذلك، امتنع القطع لأحد معين من الأمة، غير من شهد له الرسول ﷺ بالجنة، ولكن نرجو للمحسنين، ونخاف عليهم.

قوله: (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الاسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة)

ش: يجب أن يكون العبد خائفًا راجيًا، فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنبًا ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾..

الشيخ صالح

يقرر العلامة الطحاوي رحمه الله بهذا وسطية أهل السنة والجماعة في هذا الأمر العظيم، وهو الأمن من مكر الله، واليأس من رَوح الله ﷻ، وأنَّ اليأس هذا سبيل الكافرين، والأمْنُ مِنْ مكر الله سبيل أهل الشّهوات الذين لا يرقبون الله ﷻ ولا يرقُبونَ صفات الرب ﷻ.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: من أصول العقيدة الإسلامية: الخوف والرجاء، وهما من أعظم أصول العقيدة، والخوف والرجاء لابد من الجمع بينهما، لا يكفي الاقتصار على واحد منهما فقط، كما قال تعالى في وصف أنبيائه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾. رغبًا: هذا هو الرجاء، ورهبًا: هذا هو الخوف، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧] فهم يجمعون بين الخوف والرجاء. وقال جل وعلا: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩]. ولابد معهما من المحبة لله، فلابد من هذه الأمور الثلاثة: المحبة لله، والخوف منه سبحانه وتعالى، والرجاء لفضله...=

ابن أبي العز الحنفي

..... أما إذا كان الرجل متماديًا في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

قال: أبو علي الروذباري رحمه الله: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت........................

الشيخ صالح

والدليل على هذا الأصل قول الله ﷻ في الكافرين في اليأس: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]، في قول يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]، فنهاهم عن اليأس من رَوْحِ الله وعلَّلَ ذلك بأن هذا من خصال الكافرين.

وأما الأمن فالأمن من مكر الله ﷻ جاء النهي عنه في غير ما آية منها قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

التعليقات

= فمن اقتصر على المحبة فقط فهو صوفي، فالصوفية يعبدون الله عزَّ وجلَّ بالمحبة، ولا يخافون ولا يرجون، يقول قائلهم: أنا لا أعبده طمعًا في جنته، ولا خوفا من ناره، وإنما أعبده للمحبة فقط، وهذا ضلال والعياذ بالله، ومن عبد الله بالخوف فقط فهو من الخوارج؛ لأن الخوارج أخذوا جانب الخوف والوعيد فقط، فكفروا بالمعاصي، ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو من المرجئة، الذين أخذوا جانب الرجاء فقط، وتركوا جانب الخوف، أما أهل التوحيد فيعبدون الله بجميع الثلاث: بالحب والخوف والرجاء، ثم إن الخوف لا يكون معه قنوط، فإن كان معه قنوط من رحمة الله صار كفرًا ﴿ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] قال الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾.

وكذلك الرجاء لا يكون رجاء مع الأمن من مكر الله وعدم الخوف، وهذا مذهب المرجئة، وهو مذهب ضال ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾، فالرجاء فقط كفر، والخوف دون الرجاء كفر، ولذلك قال المصنف: ينقلان عن ملة الإسلام؛ لذا يقول بعض السلف: يجب على العبد أن يكون بين الخوف والرجاء؛ يعني: يسوي بينهما، كجناحي الطائر، وجناحا الطائر معتدلان، لو اختل واحد منهما سقط، فكذلك العبد بين الخوف والرجاء كجناحي الطائر.

.... وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ(١)..............................

ابن أبي العز الحنفي

...... وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩] الآية. وقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ الآية. فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا..............................

الشيخ صالح

والأمن من مكر الله كُفْر، واليأس من رَوْحِ الله كُفْرٌ أيضا كما قال: (**يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلَامِ**) لأنَّ الله ﷻ وصف الكافرين والخاسرين الذين استحقّوا العقوبة منه والعذاب بأنهم يأمنون من مكر الله وييأسون من رَوْحِ الله ﷻ.

وأما أهل السنة والجماعة فهم لا يَأمنون، بل يخافون ذنوبهم ويخافون عقوبة الله ﷻ، ويعلمون أنَّ الله سبحانه خافته ملائكته وهم أقرب الأقربين وهم المقربون إليه ﷻ المُطَهَّرُونَ من دنس الآثام ومن رجس الذنوب يخافون ربهم، كما قال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]، وكما قال: ﴿ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣].

واليأس أيضا من روح الله هذا صفة أهل القنوط، فأهل السنة والجماعة بين هؤلاء وهؤلاء، لا يأمنون بل يخافون الله ﷻ ولا ييأسون بل يرجون.

وهذه راجعة إلى أنهم -يعني أهل الحق وأهل السنة- يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، كما وصف الله ﷻ أولياءَهُ المقربين بقوله: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وهذه من صفات المتقين، وكذلك في قوله في سورة الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فجَمَعَ لهم بين الرَّغب والرهب.

التعليقات

(١) الشيخ الفوزان: (الحق بينهما)، أي: الخوف والرجاء (لأهل القبلة)، أي: المسلمين، سُمُّوا أهل القبلة؛ لأنهم يصلون إلى الكعبة، أما من لا يصلي إلى الكعبة فليس من المسلمين لأن الله أمر بالتوجه إلى الكعبة، فالواجب اتباع أمره سبحانه حينما نسخ الاستقبال لبيت المقدس، فالمؤمن يدور مع الأوامر؛ لأنه عبد لله ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾.

ابن أبي العز الحنفي

...... وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه. وقال صاحب منازل السائرين رحمه الله: الرجاء أضعف منازل المريد. وفي كلامه نظر، بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: يقول الله عزَّ وجلَّ: «أنا عند ظن عبدي بي. فليظن بي ما شاء»، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»......................................

الشيخ صالح

إذا تبين ذلك فإنَّ الأمن والإياس ردَّة عن الدين كما قال: (**يَنْقُلاَنِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ**) بضابط. ومن المهم معرفة هذا الضابط؛ لأنه هو نكتة المسألة وعُقْدَتُها، وهو:

- **أنَّ الأمن يكون كُفْرًا إذا انعدم الخوف.**
- **واليأس يكون كُفْرًا إذا انعدم الرجاء.**

فمن لم يكن معه خوف من الله ﷻ أصلاً -يعني أصل الخوف غير موجود- فقد أمِنَ فهو كافر.

ومن لم يكن معه رجاء في الله ﷻ أصلاً فقد يئس من روح الله فهو كافر. إذًا الأمن والإياس مرتبطان؛ بل معناهما الخوف والرجاء. الأمن لأجل عدم الخوف، واليأس لأجل عدم الرّجاء.

فمن كان عنده خوف قليل ويأمن كثيرًا فإنه من أهل الذّنوب لا من أهل الكفر، فإن لم يكن معه خوف أصلاً فإنه كافر بالله ﷻ كما قال هنا: (**يَنْقُلاَنِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ**).

أما أهل التوحيد، أهل الذنوب من أهل القبلة فإنهم بِقَدْرِ ما عندهم من الذّنوب يكون عندهم أَمْن من مكر الله ﷻ. فإذًا الأمن من مكر الله يتبعَّض، لا يوجد جميعًا ويذهب جميعًا؛ بل قد يكون في حق المعيّنْ أنه يخاف تارة ويأمن تارة، يصحو تارة ويغفل تارة.

وكذلك في اليأس من رَوح الله يغلب على المرء الموحّد تارةً أنه ييأس إذا نظر إلى ذنبه، أو نَظَرَ إلى ما يحصل في مجتمعه أو ينظر إلى ما قضى الله ﷻ في هذه الأرض وعلى أهلها من الشِرك مثلاً أو من الذنوب أو من الكبائر أو من القتل أو من الفساد فيأتيه اليأس، فإنْ غَلَبَ عليه اليأس بحيث انعدم الرجاء لنفسه أو للناس فإنه يكفر بذلك. أما إذا وُجد عنده اليأس ووُجد عنده رجاء فإنه لا يخرج من الملّة.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه. وقال بعضهم: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، وروي: ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد..........

الشيخ صالح

فإذًا هنا ضابط الأمن والإياس الذي ينقل عن الملة هو ما ذكرته لك. وأما المُوَحِّدْ المُعَيَّنْ من أهل الإيمان فإنه بحسب قوة يقينه يجتمع فيه أنَّهُ -يعني قد يكون عنده أَمْنْ بحسب ذنوبه-، ومن كَمَّلَ الإيمان وحقَّقَ التوحيد فإنه يخاف ولا يأمَنُ من مكر الله. والأمن من مكر الله؛ يعني الأمن من استدراج الله ﷻ للعباد.

وقد وصف الله ﷻ بعض عباده بقوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢- ١٨٣]، هذا الاستدراج يُحدِثُ الأمن، وما عُذِّبَتْ أمة إلا وقد أَمِنَتْ؛ لأنَّ الله ﷻ يبلوهم بالخيرات ويبلوهم بالسيئات ويبلوهم بالشر والخير فتنة ثُمَّ هم لا يتوبون ولا هم يَذَّكَّرُون.

فإذا وقع منهم الأمن وقعت عليهم العقوبة، نسأل الله ﷻ لنا ولإخواننا العفو والعافية. فهذا ضابط المسألة. (**وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ**).

إذا تبين ذلك، فالواجب على كل مُوَحِّدْ، كل مؤمن: أن يُعَظِّمَ في قلبه جانب الخوف من الله ﷻ. فلا يُفْلِحْ مَنْ أمِنَ الله على نفسه طرفة عين، الله ﷻ يُقَلِّبُ القلوب ويقلب الأبصار، وقال في وَصْفْ الأولين: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

يرى العبد أنَّ الخيرات تنفتح عليه وهم مُقِيم على الذنوب وهو مقيم على المعاصي وهو مقيم على الكبائر، سواء كان العبد فردًا أم كان مجتمعًا.

التعليقات

...... ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه(١)..............

ابن أبي العز الحنفي

...... ولقد أحسن محمود الوراق في قوله:

لو قد رأيت الصغير من عمل الخيـ ـــير ثوابًا عجبت من كبره

أو قد رأيت الحقير من عمل الشـ ـــر جزاءه أشفقت من حذره

الشيخ صالح

بنو إسرائيل ادَّعَوا أنهم أحباب الله ﷻ وأنهم أبناؤه وأنه لا يُعَذِّبُهم ولو حصل لهم تعذيب فإنما تمسهم النار أيامًا معدودة. والله ﷻ عاقَبَ بني إسرائيل العقوبة العظيمة ولَعَنَهُم حيث قال سبحانه في سورة المائدة: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[المائدة:٧٨- ٧٩]، الآيات.

فالواجب إذًا على المُوَحِّد أن يخاف ذنبه ولا ييأس من رَوْح الله. كل أحد يُذنِب ولكن إذا أَذْنَبَ استغفر. يخاف ذنبه ويخشى أنَّ الله ﷻ لم يقبل توبته، لم يقبل حوبته، لم يقبل إنابته، يرجو رحمة الله ﷻ ويخاف ذنوبه.

فما اجتمع هذان في قلب أحد إلا ونجا، وهو رجاء الرحمة وخوف الذنوب. وهذا هو سبيل الحق الذي هو بين الأمن الإياس لأهل القبلة.

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من الرّاغبين الرّاهبين الخاشعين، وأن يجنبنا الأمن كما أسأله أن يجنّبنا الإياس فإنه سبحانه على كل شيء قدير.

التعليقات

(١) الشيخ ابن باز: هذا الحصر فيه نظر فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، فإن كان ينطق بهما دخل في الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك: طعنه في الإسلام أو النبي صلى الله عليه وسلم أو استهزائه بالله أو بكتابه أو بشيء من شرعه سبحانه، لقوله سبحانه: ﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ الآية. ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبهم منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول: (لا إله إلا الله)؛ لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك. فمن صرف منها شيئا لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين فقد أشرك بالله ولم يحقق قول "لا إله إلا الله"، وهذه المسائل كلها تخرجه عن الإسلام بإجماع أهل العلم. وهي ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة، وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم وهي لا تسمى جحودا وقد ذكرها العلماء في (باب حكم المرتد) فراجعها إن شئت، وبالله التوفيق.........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه).

ش: يشير الشيخ إلى الرد على الخوارج والمعتزلة في قوله بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة. وفيه تقرير لما قال أولاً: لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله. وتقدم الكلام على هذا المعنى.........

الشيخ صالح

يُريد بذلك أنّ أهل السنة والجماعة خالفوا الخوارج والمعتزلة الذّين يوجبون للعبد النّار والخوارج الذين يُكفِّرُونَ بالذنوب.

فقال: إنَّ العبْدَ لا يَخْرُجُ مِنَ الإيمَانِ بعد أن دَخَلَ فيه وصار مؤمنًا إلا بجُحُودِ ما أَدْخَلَهُ فيه.

وهذا لأجل أنَّ أَعْظَمَ المسائل التي يَتَّضِحُ فيها الخروج من الإيمان هو الجَحْد، وإلا فهذا الحصر غير مراد للمؤلف كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فإذًا هذه الجملة فيها بيان مخالفة المُكَفِّرين بالذنوب من الخوارج وأشباههم أو الذين يحكمون على مرتكب الكبيرة بأنه خالد مخلّد في النار من الخوارج والمعتزلة ومن شابههم.

إذا تبين هذا فهذه الجملة المهمّة فيها مسائل:

المسألة الأولى:

دليل هذه الجملة. دليلها الإجماع؛ إجماع أهل السّنة والجماعة على أنَّ من دَخَلَ في الإيمان بيقين فإنه لا يَخْرُجُ منه إلا بِأمْرٍ مُتَيَقَّنٍ مماثلٍ -يعني في اليقين- لما بِهِ دخل في الإيمان.

وهذا الإجماع له أدلته من كتاب الله ﷻ ومن سنة رسوله ﷺ.

المسألة الثانية:

هذا الحصر في كلام المؤلف ليس مرادًا في أنّهُ يقول: (لا يخرج أحد من الإيمان إلا بالجحد)، فينفي التكفير أو الحكم بالردة بالاستحلال أو بالإعراض أو بالشك أو بغير ذلك مما يُحْكَمُ على من أتى به مع قيام الشروط وانتفاء الموانع بالردة.

التعليقات

= الشيخ الألباني: قال الشارح: يشير الشيخ إلى الرد على الخوارج والمعتزلة في قولهم بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة.

قلت: وأمثال هؤلاء اليوم الذين يحكمون على مسلمي البلاد الإسلامية كلها بدون استثناء بالكفر ويوجبون على أتباعهم مباينتهم ومفاصلتهم تمامًا كما فعلت الخوارج من قبلهم هداهم الله وغفر للغلاة الذين كانوا السبب في هذا الانحراف الخطير ....=

ودليل عدم إرادته للحصر أَنَّهُ ذَكَر في المسألة الثالثة التي مضت أنَّ المؤلف تبعًا لأهل السنة لا يُكفِّرُ أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله فقال في المسألة التي مرت علينا قريبا (**وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ**) واستحلال الذنب غير الجحد، الاستحلال صورة والجحد صورة، فدلَّ على أنَّ الطحاوي لا يريد بالجحد الحصر، ففيه ردّ على من حَصَرَ الردة أو الكفر بالتكذيب أو بالجحد.

المسألة الثالثة:

الجَحْد من الكلمات التي استُعْمِلَتْ في القرآن والتي جاءت في القرآن، ولها دلالتها في لغة العرب.

- **فَدِلالة الجحد في اللغة: الجحد** هو الرد والإنكار، جَحَدَ الشيء يعني رَدَّهُ أو أنْكَرَهُ، هذا من جهة اللغة فيجتمع في اللغة مع التكذيب بالشيء ظاهرًا أو مع التكذيب به باطنًا.

- **وأما في القرآن:** فإنَّ الله ﷻ ذكر الجَحْد في عدة آيات، وبيّنَ أنَّ الجَحْدَ قد يجتمع مع التكذيب وقد لا يجتمع مع التكذيب، قال ﷻ في سورة الأنعام في وصف المشركين: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣- ٣٤].

فدل على أنهم لم يُكَذِّبوا وجَحَدُوا. **ولهذا حقيقة الجحد عند أهل السنة والجماعة مرتبطة بالقول** لأجل هذه الآية قال: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ يعني باطنًا ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يعني ظاهرًا، وهذا مرتبط بالقول؛ لأنهم رَدُّوا على النبي ﷺ.

التعليقات

= الشيخ الفوزان: هذا الكلام فيه مؤاخذة؛ لأن قصر الكفر على الجحود مذهب المرجئة، ونواقض الإسلام كثيرة منها: الجحود، ومنها: الشرك بالله عز وجل، ومنها: الاستهزاء بالدين أو بشيء منه ولو لم يجحد، وهي نواقض كثيرة ذكرها العلماء والفقهاء في أبواب الردة، ومنها: تحليل الحرام وتحريم الحلال.

وذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب منها عشرة، وهي أهمها، وإلا فالنواقض كثيرة. فقصرُ نواقض الإسلام على الجحود فقط غلط. وبعض الكتّاب المتعالمين اليوم يحاولون إظهار هذا المذهب من أجل أن يصير الناس في سعة من الدين، ما دام أنه لم يجحد فهو عندهم مسلم، إذا سجد للصنم وقال: أنا ما جحدت، وأنا معترف بالتوحيد، إنما هو ذنب من الذنوب. أو ذبح لغير الله أو سب الله أو سب الرسول أو سب الدين، يقولون: هذا مسلم؛ لأنه لم يجحد، وهذا غلط كبير، وهذا يضيع الدين تمامًا، فلا يبقى دين فالواجب الحذر من هذا الخطر العظيم.

والخوارج ذهبوا إلى أنَّ الجحد يكون بالقول وبالفعل معًا، فعندهم أنَّ الجحد يكون بالقول كقول أهل السنة، **ويكون أيضًا بالفعل فيدُلُّ الفعل على جحده.**

وهذا خلاف ما أَجْمَعَ عليه أهل السنة والجماعة من أنَّ الجحد ليس مورده الفعل؛ لأنَّ الفعل مُحْتَمِل يَدْخُلُهُ التأويل و يَدْخُلُهُ الخطأ ويَدْخُلُهُ أشياء كثيرة، وأما القول فإنه يقين وواضح؛ لأنَّه دخل في الإيمان بالقول -بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله-، فلا يَخرُجُ منه إلا بجحودِ ما أدخله فيه، وما أدخله فيه كان قولاً أعلنه، وجَحْدُ ما أدخله فيه هو رَدُّهُ وتكذيبه أو إنكاره لما دخل فيه.

وهذه الكلمة كلمة الجحد من الكلمات التي يَحصُلُ فيها خلط وخَلَل، والواجب الرُّجوع في فهمها إلى دلالة الكتاب والسنة وإلى ما أجمع عليه سلف الأمة.

المسألة الرابعة:

أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في تأصيل قولهم في الإيمان -الذي سيأتي في المسألة التي بعدها- خالفوا الخوارج والمرجئة. وكذلك أيضًا في إخراجهم الواحد من أهل القبلة من الإيمان خالفوا الخوارج والمرجئة؛ لهذا ثَمَّ ارتباط ما بين الدخول والخروج من جهة اليقين.

ولهذا المؤلف الطحاوي ذكَرَ لك تنبيه على هذا بقوله **(وَلاَ يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ.)**، ولم يقل إلا بالجحد أو إلا بالجحود فيكون مُطْلَقًا؛ بل قال **(إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ)**؛ وذلك لأَنَّهُ إذا ثبت الأمر بيقين لم يَزُلْ بالشك؛ بل لابد في زواله من يقين يماثل الأول، والمكفِّرات وما يُحْكَمُ على الواحد من أهل القبلة فيه بالردّة اختلف فيه الفقهاء والعلماء؛ لكن يجمع ذلك أنه لا يُخَصُّ عند أهل السنة بالجحد.

ولهذا نقول: الذين قيَّدُوا التكفير وإخراج العبد من الإيمان بالجحد فقط-يعني دون لاستحلال ودون الشّك ودون الإعراض إلى آخره- هؤلاء ذهبوا إلى أَنَّهُ لا يَكْفُرُ إلا المعاند المكذّب ظاهرًا كحال الكفار والمشركين، وهذا ليس بصحيح؛ لأنَّ الله ﷻ بيّن أنَّ كُفْرَ من كَفَرَ من العرب:

- ☐ بعضهم من جهة الإعراض.

- ويعضهم من جهة الشك.
- وبعضهم من جهة الجحَد ظاهرًا والاستيقان باطنًا وهو العناد.

ولهذا نقول: إنَّ المرجئة هم الذين قالوا: لا يخرج المرء من الدين إلا بالتكذيب فقط، فلابد من التكذيب، والتكذيب قد يكون مع الجحد، وقد يكون الجحد بلا تكذيب كما نصت عليه الآية ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

إذا تبين هذا: فأصلُ قول المرجئة في الإيمان -كما سيأتي- أنَّ الإيمان أصله الاعتقاد، فلذلك جعلوا المُخْرِجَ منه التكذيب.

ومَنْ أضاف الاعتقاد والقول جعل المُخْرِج التكذيب والجحد، مثل كلام الطحاوي هنا؛ لأنَّهُ يأتي أنَّ الإيمان عنده هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، فيجعل التكذيب مُخْرِجًا ويجعل الجحد مُخْرِجًا لعلاقة التكذيب بالاعتقاد وعلاقة الجحد بالإقرار باللسان.

وأما أهل السنة الذين خالفوا المرجئة في هذه المسألة العظيمة؛ فقالوا: إنَّ الركن الثالث من أركان مسمى الإيمان وهو العمل أيضا يدخل في هذا، وهو أنَّهُ يَخْرُجُ من الإيمان بِعَمَلٍ يعمله يكون من جهة اليقين مُخْرِجًا للمرء مما أدخله فيه من الإيمان، وهذا سيأتي مزيد تفصيل له.

فإذًا أهل السنة عندهم المُخْرِجَات من الإيمان:

- منها التكذيب وهو أعظمها.
- ثم الجحد.
- ثم الإعراض وهو الذي جاء في قوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾ [السجدة: ٢٢]، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٤].
- ومنه الشّك، الريب، يرتاب ما عنده يقين، المؤمن هو من لا يرتاب، أما إذا ارتاب لا يدري أمحمدٌ ﷺ رسول أم لا؟ فإنَّ هذا صفة المنافق وهو المُعَذَّب في قبره بقوله حيث يقول: ها ها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. وهذه جُمَل يأتي لها مزيد بيان.

...... وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ(١)...............

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق. والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى).

ش: اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان، اختلافًا كثيرًا: فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان. ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله، ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه..

الشيخ صالح

يريد بالإيمان: الإيمان الذي أَمَرَ الله ﷻ به الناس والذي يصير به المرء معصوم الدم والمال.

فَعَرَّفَ الإيمان بأنه (**الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ**)، وهذا التعريف من جهة مورد الإيمان وهو اللسان والجنان، فيتعلَق باللسان عبادة الإقرار في الإيمان ويتعلق بالجنان عبادة التصديق في الإيمان.

وهذا التعريف من جهة المورِد هو المشهور عن الطائفة التي يسميها العلماء مرجئة الفقهاء، وهم الإمام أبو حنيفة ومن تبعه من أصحابه، ومنهم أبو جعفر الطحاوي صاحب هذه العقيدة.

التعليقات

(١) الشيخ ابن باز: هذا التعريف فيه نظر وقصور، والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر .وقد ذكر الشارح ابن أبي العز جملة منها فراجعها إن شئت. وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة وليس الخلاف بينهم وبين أهل السنة فيه لفظي، بل هو لفظي ومعنوي ويترتب عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبر كلام أهل السنة وكلام المرجئة، والله المستعان.........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط! فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به! وقولهمَ ظاهر الفساد.

وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية - إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب! وهذا القول أظهر فسادًا مما قبله! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما..........................

الشيخ صالح

وهذه الجملة مما وافَقَ فيه المؤلف الطّحاوي المرجئة وقَرَّرَ فيها عقيدتهم. وطريقة أهل السنة ومذهب أهل الحق خلاف هذا لأدلةٍ كثيرة في هذا الموطن.

إذا تبين ذلك من جهة أنَّ الطحاوي في هذا الموطن لم يُقَرِّرْ عقيدة أهل السنة والجماعة وإنما ذَكَرَ مُعْتَقَد طائفته وهم الحنفية في هذه المسألة، وهو قول المرجئة -مرجئة الفقهاء- فإننا نقول: لابد من بيان لهذا الأصل العظيم وذلك يُرَتَّبُ على مطالب أو مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ الإيمان لفظٌ مُسْتَعْمَلٌ في اللغة قبل ورود الشرع. والألفاظ لها في استعمالها قبل ورود الشرع حالان:

- الأول: الحال العُرْفِي.
- والثاني: الحال الأصلي.

التعليقات

= الشيخ الألباني: قلت : هذا مذهب الحنفية والماتريدية خلافا للسلف وجماهير الأئمة كمالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وغيرهم فإن هؤلاء زادوا على الإقرار والتصديق: العمل بالأركان . وليس الخلاف بين المذهبين اختلافا صوريًّا كما ذهب إليه الشارح رحمه الله تعالى بحجة أنهم جميعا اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان وأنه في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه . فإن هذا الاتفاق وإن كان صحيحا فإن الحنفية لو كانوا غير مخالفين للجماهير مخالفة حقيقية في إنكارهم أن العمل من الإيمان لاتفقوا معهم على أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته ونقصه بالمعصية مع تضافر أدلة الكتاب والسنة والآثار السلفية على ذلك وقد ذكر الشارح طائفة طيبة منها (ص ٣٨٤ - ٣٨٧)[٣٤٢ - ٣٤٤] ولكن الحنفية أصروا على القول بخلاف تلك الأدلة الصريحة في الزيادة والنقصان وتكلفوا في تأويلها تكلفا ظاهرا بل باطلا ذكر الشارح (ص ٣٨٥)[٣٤٢] نموذجا منها بل حكى عن أبي المعين النسفي أنه طعن في صحة الحديث « الإيمان بضع وسبعون شعبة . . . » مع احتجاج كل أئمة الحديث به ومنهم البخاري ومسلم في (صحيحيهما) وهو مخرج في (الصحيحة) (١٧٦٩) وما ذلك إلا لأنه صريح في مخالفة مذهبهم.........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به، معادين له، وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمنًا، فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنًا كامل الإيمان! فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾. ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾. ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾..........................

الشيخ صالح

والحال العرفي جعلناه الأول لِقُرْبِهِ. والحال الثاني الأصلي جعلناه الثاني؛ لأنه بعيد يعني من جهة العموم. وهذا هو الذي يسميه طائفة من العلماء يسمونه الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية، فإنَّ الألفاظ المستعملة لها حقائق لغوية حقيقة ليست مجاز، ولها حقائق عرفية يعني في استعمال أهل العرف لها.

التعليقات

= ثم كيف يصح أن يكون الخلاف المذكور صوريًّا. وهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر الصديق بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام كيف وهم بناء على مذهبهم هذا لا يجيزون لأحدهم - مهما كان فاسقا فاجرا - أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى بل يقول: أنا مؤمن حقا والله عزَّ وجل يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾، ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾، وبناء على ذلك كله اشتطوا في تعصبهم فذكروا أن من استثنى في إيمانه فقد كفر وفرعوا عليه أنه لا يجوز للحنفي أن يتزوج بالمرأة الشافعية وتسامح بعضهم - زعموا - فأجاز ذلك دون العكس وعلل ذلك بقوله: تنزيلا لها منزلة أهل الكتاب، وأعرف شخصا من شيوخ الحنفية خطب ابنته رجل من شيوخ الشافعية فأبى قائلا: ... لو لا أنك شافعي فهل بعد هذا مجال للشك في أن الخلاف حقيقي؟ ومن شاء التوسع في هذه المسألة فليرجع إلى كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإيمان) فإنه خير ما ألف في هذا الموضوع ....=

ابن أبي العز الحنفي

...... والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه! فإنه جعله الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته، ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافرًا بشهادته على نفسه! وبين هذه المذاهب مذاهب أخر، بتفاصيل وقيود، أعرضت عن ذكرها اختصارًا، ذكر هذه المذاهب أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة وغيره.

وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله، كما تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفه وأصحابه رحمهم الله.........................

الشيخ صالح

مثال ذلك لفظ الدّابّة؛ فإنه في اللغة الأصلية- في لغة العرب في الاستعمال العام- الدابة كل ما يَدُبُّ على الأرض سواءٌ أكان يَدُبُّ على بطنه أم يَدُبُّ على رجلين أم يَدُبُّ على أربع، ودلّ على هذا قول الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ يعني من الدواب ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [النور: ٤٥].

التعليقات

= الشيخ الفوزان: هذا تعريف المرجئة، قصروا الإيمان على الإقرار باللسان والتصديق بالجنان.

فالقول الحق: أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، فالأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وليست بشيء زائد عن الإيمان، فمن اقتصر على القول باللسان والتصديق بالقلب دون العمل، فليس من أهل الإيمان الصحيح.

فالإيمان -كما قال العلماء-: قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ وقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ وقال: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ هذه الآيات تدل على زيادة الإيمان والنقص، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» فدل على أن الإيمان ينقص. وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» دل على أن الإيمان ينقص، حتى يكون على وزن حبة خردل...........................=

ابن أبي العز الحنفي

..... أو باللسان وحده، كما تقدم ذكره عن الكرامية. أو بالقلب وحده، وهو إما المعرفة، كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي رحمه الله. وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر.........

الشيخ صالح

ثم خُصَّتْ في الاستعمال العُرْفي بأنَّ الدابة هي ذات الأربع التي تُركَبُ في الاستعمال، يعني يركبها الناس أو يحرثون عليها أو إلى آخره، فهذه تسمى حقيقة عرفية، والمعنى الأول يسمى حقيقة لغوية. فإذًا صارت الحقيقة العرفية أخص من الحقيقة اللغوية.

اللغة دائمًا تكون عامة، ثُمَّ الناس يُقَيِّدُونَ المعنى اللغوي ببعض ما يحتاجون إليه في الاستعمال، فتكون الحقيقة العرفية دائمًا أضيق من الحقيقة اللغوية.

ثُمَّ لَمَّا أَتَى الشرع ظهرت ما سَمَّاهُ العلماء الحقيقة الشرعية، أو ما سَمَّاهُ طائفة ممن أَلَّفَ في فقه اللغة بالأسباب الإسلامية.

التعليقات

= وكما في الحديث الصحيح: «أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان»، فالإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، هذا تعريفه الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة، فليس كما تقوله الحنفية: قول باللسان واعتقاد بالجنان فقط. وليس كما تقوله الكرامية: قول باللسان فقط. وليس كما تقوله الأشاعرة: اعتقاد القلب فقط. وليس كما تقوله الجهمية: هو المعرفة بالقلب فقط.

فالمرجئة أربع طوائف، أبعدها الجهمية، وعلى قولهم يكون فرعون مؤمنًا؛ لأنه عارف، وإبليس يكون مؤمنًا؛ لأنه عارف بقلبه، وعلى قول الأشاعرة: إنه التصديق بالقلب، يكون أبو لهب وأبو طالب وأبو جهل وسائر المشركين يكونون مؤمنين؛ لأنهم موقنون بقلوبهم ومصدقون، يصدقون النبي ﷺ في قلوبهم، ولكن منعهم الكبر والحسد من اتباعه ﷺ.

واليهود يعترفون أنه رسول الله ﷺ في قلوبهم، ولكن الحسد والكبر: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾، وقال في المشركين: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾، فمعنى ﴿ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾، أي: أنهم يصدقونك.

وأبو طالب يقول:

ولقد علمت أن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لرأيتني سمحًا بذاك مبينا

.... والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة - اختلاف صوري. فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءًا من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه: نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد.

والقائلون بتكفير تارك الصلاة، ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى. وإلا فقد نفى النبي ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب، ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية، اتفاقًا. ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل. لكن هذا المطلوب من العباد: هل يشمله اسم الإيمان؟ أم الإيمان أحدهما، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازًا؟ هذا محل النزاع......

الشيخ صالح

الأسباب الإسلامية يعني ألفاظ جُعِلَ لها معانٍ لأجل سبب مجيء الإسلام. من الأمثلة على ذلك لفظ السجود:

ففي اللغة : لفظ السجود للخضوع والذل بحركة البدن.

وفي العُرْف : أنَّ السجود يكون بالانحناء إمَّا بركوعٍ أو بما نسميه السجود؛ يعني وضع الجبهة على الأرض.

وفي الشرع: السجود هو من وضع جبهته وأنفه على الأرض.

قال ﷻ لبني إسرائيل: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ [البقرة: ٥٨] يعني راكعين؛ لأنَّ السجود العرفي يدخل فيه الركوع.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه: أنه عاصٍ لله ورسوله، مستحق للوعيد، لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان من قال: لما كان الإيمان شيئًا واحدًا فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام!! وهذا غلو منه. فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم الأخفش والأعشى، ومن يرى الخط الثخين، دون الدقيق إلا بزجاجة ونحوها، ومن يرى عن قرب زائد على العادة، وآخر بضده.

ولهذا - والله أعلم - قال الشيخ رحمه الله: وأهله في أصله سواء، يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصله، ولا يلزم منه التساوي من كل وجه، بل تفاوت درجات نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيها إلا الله تعالى: فمن الناس من نور لا إله إلا الله في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف. ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علمًا وعملاً، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنبًا إلا أحرقه، وهذه حال الصادق في توحيده، فسماء إيمانه قد حرس بالرجوم من كل سارق.......................

الشيخ صالح

أمَّا في شريعة الإسلام صارت الحقيقة الشرعية للسجود هي وضع الجبهة على الأرض.

هذه المقدمة مهمة في تأصيل هذه الحقائق الثلاث على مسألة الإيمان.

التعليقات

...... ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي ﷺ: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله، وقوله: لا يدخل النار من قال: لا إله إلا الله»، وما جاء من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، ونحو ذلك.

والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها........

اللغة مرتبطة بالاشتقاق، اللغة لها اشتقاق يجمع الكلام الذي حروفه واحدة:

فالإيمان والأَمْن والأَمان هذه كلماتها واحدة، (أَمْنٌ وأمان وإيمان) فاشتقاقها من حيث الأصل واحد، ولهذا الإيمان يرجع إلى الأَمْن في اللغة، والأمان يرجع إلى الأَمْن وإلى الإيمان.

فهذه الألفاظ في أصل اللغة اشتقاقها واحد وذلك من الأمن الذي هو المصدر.

ما علاقة الإيمان في اللغة بالأمن يعني في دلالة اللغة؟ لأنه من آمَنَ فقد أَمِنَ، آمَنَ بالشيء أَمِنَ على نفسه، آمَن يعني صدَّق استسلم أطاع إلى آخره فإنه يعتبر مُسْتسلمًا؛ يعني يُعْتَبَر أَمِنَ عدوه، لو آمَنَ بما قال عدوه صَدَّقَهُ فإنه يكون أَمِنَ غائلته.

إذا تبين هذا فهذا الأصل اللغوي الذي هو مجيء الاشتقاق من كلمة واحدة يدلُّكَ على أنَّ أصْلَ كلمة الإيمان في اللغة من حيث الاشتقاق من الأمن، ثُمَّ في الاستعمال العرفي -عُرْف العرب- خَصَّتْ ذلك المعنى إلى أنَّ الإيمان هو التصديق، التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يَأْمَنُ معه.

ابن أبي العز الحنفي

...... ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار. وتأمل ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان، التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية، وحملته وهو في تلك الحال أن جعل ينوء بصدره وهو يعالج سكرات الموت وتأمل ما قام بقلب البغي من الإيمان، حيث نزعت موقها وسقت الكلب من الركية، فغفر لها.

وهكذا العقل أيضًا، فإنه يقبل التفاضل، وأهله في أصله سواء، مستوون في أنهم عقلاء غير مجانين، وبعضهم أعقل من بعض.

وكذلك الإيجاب والتحريم، فيكون إيجاب دون إيجاب، وتحريم دون تحريم.

هذا هو الصحيح، وإن كان بعضهم قد طرد ذلك في العقل والوجوب..

الشيخ صالح

وهذا جاء في القرآن يعني في استعمال المعنى اللغوي للإيمان في مواضع: كقوله ﷻ في قصة يوسف مخبرًا عن قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧].

لاحظ الأَمْن يعني بِمُصَدِّقٍ لنا التصديق الجازم الذي يتبعه عمل أنَّكَ لا تؤاخذنا بما فعلنا، قال: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [يوسف: ١٨]، فما أعطاهم الأَمْنْ.

كذلك قال ﷻ في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ يعني صَدَّقَهُ تصديقًا جازمًا تبعه عِملٌ له بحيث يأمن من العذاب الذي توعد به إبراهيم قومَه.

كذلك في وصف النبي ﷺ في سورة براءة قال: ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [براءة: ٦١] ﴿ وَيُؤْمِنُ ﴾، أي: يُصَدِّقُهُمْ فيما يقولون فيأمنون معه عقوبة النبي ﷺ.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

......وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل: فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره، كما في حق النجاشي وأمثاله.

وأما الزيادة بالعمل والتصديق، المستلزم لعمل القلب والجوارح:

فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم..

الشيخ صالح

إذًا فالإيمان في اللغة اُستُعْمِلَ ويُرادُ به التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يأمن معه؛ لأنه فيه صلة دائمًا بين المعنى العرفي، الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية.

جاء الشرع فَأَمَرَ الناس بالإيمان، فهذا الإيمان فيه كما ذكرنا لك أنَّ الحقيقة العرفية تخصيص للحقيقة اللغوية، والحقيقة الشرعية أسباب زائدة، فيها زيادة عن الحقيقة العرفية، قد تكون تخصيصًا لها وقد تكون رجوع إلى أصل المعنى اللغوي وتكون أوسع منها.

فالإيمان في الشرع جاء بأنه مُتَّجِه إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخر أركان الإيمان الستة، وهذا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر عَرَفْنَا منه أنَّهُ لا يكون إلا بِعَمَل ولا يكون إلا بإقرار ولا يكون إلا بتصديق، قال ﷺ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

التعليقات

....

....

ابن أبي العز الحنفي

..... ولهذا قال النبي ﷺ: ليس المخبر كالمعاين وموسى عليه السلام لما أخبر أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها، وليس ذلك لشك موسى في خبر الله، لكن المخبر.

وإن جزم بصدق المخبر، فقد لا يتصور المخبر به نفسه، كما يتصوره إذا عاينه، كما قال إبراهيم الخليل صلوات الله على نبينا محمد وعليه:

﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وأيضًا: فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلاً، يجب عليه من الإيمان أن يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره الإيمان به إلا مجملاً، وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصل.

وكذلك الرجل أول ما يسلم، إنما يجب عليه الإقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان...

الشيخ صالح

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

التعليقات

....

....

ابن أبي العز الحنفي

.... ولا شك أن من قال بقلبه التصديق الجازم، الذي لا يقوى على معارضته شهوة ولا شبهة: لا تقع معه معصية، ولولا ما حصل له من الشهوة والشبهة أو إحداهما لما عصى، بل يشتغل قلبه ذلك الوقت بما يواقعه من المعصية، فيغيب عنه التصديق والوعيد فيعصي........................

الشيخ صالح

فإذًا وَصَفَ الله ﷻ المطلوب من المؤمن بأنَّ المؤمن مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأيضًا أنه يعمل، وأيضًا أنه يقول بلسانه.

ولهذا جعل الله ﷻ الصلاة للدلالة على هذا الأصل، جعل الصلاة هي الإيمان فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، -نحن الآن نبحث هنا من جهة لغوية، من الجهة التأصيلية للكلمة لا من جهة التعريف- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ هذا استعمال لكلمة الإيمان ويراد بها الصلاة.

الصلاة هي الإيمان معنى هنا أنَّ هذا تخصيص لكونه تصديق، فهو ليس تصديقًا فقط، بل الإيمان صار صلاة.

إذًا هذا من جهة الاستعمال اللغوي زاد على العُرف ورَجَعَ إلى سَعَةِ اللغة، وهو تخصيص في الواقع للتصديق ببعض ما يشمله التصديق الذي يتبعه عمل.

إذا تبين هذا فيظهر لك أنَّ الإيمان في الشرع نُقِلَ عن الإيمان في العُرف، كما أنَّ الإيمان في العرف نُقِلَ عن الإيمان في اللغة.

فتأصيل الإيمان على أنه في اللغة هو إقرارٌ وتصديق ليس صحيحًا؛ لأنَّ الإيمان في اللغة أعم من ذلك، مثل ما ذكرنا لك، الإيمان ما يَجْلُبُ الأمن من عمل، من إقرار، من تصديق، من تصرف، من موالاة، كل ما يجلب الأمن فهو إيمان.

◄ في اللغة قُيِّد ذلك على نحو ما ذكرت لك من الآيات.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ولهذا – والله أعلم – قال ﷺ: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، الحديث. فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنا، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، ثم يعاوده. فإن المتقين كما وصفهم الله بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾.

قال ليث عن مجاهد: هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه.

والشهوة والغضب مبدأ السيئات، فإذا أبصر رجع. ثم قال تعالى: ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾، أي: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون.

قال ابن عباس: لا الإنس تقصر عن السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم...

الشيخ صالح

◆ في الشرع جاء تسمية الإقرار إيمانًا، وجاء تسمية الاعتقاد إيمانًا، وجاء تسمية العمل إيمانًا.

فإذًا من حيث الدلالة اللغوية والدلالة العرفية والدلالة الشرعية تبيّنَ لك أنَّ هناك اختلافًا في معنى الإيمان.

المرجئة مع أهل السنة في هذه المسألة اختلفوا، وهذا الاختلاف طويل الذيول كما هو معلوم؛ لكنهم اتفقوا من حيث الأصول -أصول الفقه- على أنَّ الكلمة إذا اعتراها هذه الأمور الثلاثة: الحقيقة اللغوية والشرعية والعرفية اتفق الجميع -الحنفية مع الشافعية والمالكية والحنابلة وغيرهم- اتفقوا على أن تُقدَّمَ الشرعية، لماذا؟

لأنَّ الألفاظ الشرعية تخصيص، فلا يقول الحنفية -الذين قالوا في الإيمان بهذا التعريف- لا يقولون: إنَّ السجود إذا أُمِرَ به فإنه يصلح بالركوع.

يعني مثلا لو قرأ القارئ القرآن وهو يمشي، ثم مَرَّتْ آية سجدة، فهل يركع ويُكْتَفَى بها؟ أم أنه يصير إلى السجود؟ السنة في السجود الشرعي، ولماذا؟

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... فإذا لم يبصر بقي قلبه في عمى، والشيطان يمده في غيه، وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب، فذلك النور والإبصار، وتلك الخشية والخوف تخرج من قلبه. وهذا كما أن الإنسان يغمض عينه فلا يرى، وإن لم يكن أعمى، فكذلك القلب، بما يغشاه من رين الذنوب، لا يبصر الحق وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر. «وجاء هذا المعنى مرفوعًا إلى النبي ﷺ: أنه قال: إذا زنا العبد نزع منه الإيمان، فإذا تاب أعيد إليه».

إذا كان النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعًا لفظيًا، فلا محذور فيه، سوى ما يحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخرى والافتراق بسبب ذلك، وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى ظهور الفسق والمعاصي، بأن يقول: أنا مؤمن مسلم حقًا كامل الإيمان والإسلام ولي من أولياء الله! فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي. وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله! وهذا باطل قطعًا. فالإمام أبو حنيفة ﷺ نظر إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع. وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع، فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافًا وشرائط، كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك............................

الشيخ صالح

لأنَّ السجود جاء بهذا اللفظ الشرعي وبَيَّنَتْهُ السنة فإذًا يكون هو المراد لا السجود العرفي. المسألة لها نظائر في الفقه في العقيدة في اللغة بعامة. فإذًا نقول: اجتمعوا على أنَّ الحقيقة الشرعية مُقَدَّمَة، ثم هل تقدم اللغوية أو العُرْفِيَة؟ خلاف بينهم؛ لهذا نقول: ما دام أنَّ الجميع اتفقوا على تقديم الحقيقة الشرعية، فما هي أدلة الحقيقة الشرعية في الإيمان؟ الأدلة على ذلك يطول الكلام عليها، ونرجئها مع تفصيلها في الكلام والمذاهب للدرس القادم، لكن نكمل المُقَدِّمَات.

أنا أريدك تفهم مسألة الإيمان لأنها مسألة مُشْكِلَة، وكثير ممن خاض فيها في هذا العصر ما أدرك حقيقة الفرق ما بين قول أهل السنة وقول المرجئة في هذا الباب.

التعليقات

..... فمن أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله: أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، قال تعالى خبرًا عن إخوة يوسف: ﴿ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ ﴾، أي: بمصدق لنا، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك. ثم هذا المعنى اللغوي، وهو التصديق بالقلب، هو الواجب على العبد حقًا لله، وهو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى، والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا. هذا على أحد القولين، كما تقدم، ولأنه ضد الكفر، وهو التكذيب والجحود، وهما يكونان بالقلب، فكذا ما يضادهما.

وقوله: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾، يدل على أن القلب هو موضع الإيمان، لا اللسان، ولأنه لو كان مركبًا من قول وعمل، لزال كله بزوال جزئه، ولأن العمل قد عطف على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، قال تعالى: ﴿ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾وغيرها، في مواضع من القرآن...........

المسألة الثانية:

الإيمان في اللغة هو التصديق الجازم -كما ذكرنا لك- الذي يتبعه عمل يأمن معه المُؤْمِن الغائلة أو العقوبة إلى آخره. وقولنا: التصديق الذي معه عمل هذا تحصيل حاصل؛ لأنَّهُ إذا كان الشيء يلزَمُ منه العمل فإنه لا يُطْلَقُ لفظ مُصَدِّقًا في اللغة على من صَدَّقَ حتى يعمل. مثاله: أتى شخص وقال لآخر: سيارتك الآن تُسْرَقْ. فقال له الآخر: جزاك الله خيرًا. قال: لك فيها أموال ولك فيها أشياء وهي الآن تُسْرَقْ. قال الآخر: جزاك الله خيرا وجَلَسَ ولم يتحرك.

فهل يُعْتَبَرُ في اللغة مُصَدِّقًا؟ إذا كان قد صَدَّقَ الخبر فإنه لابد أن يتبعه بعمل يدلُّ على صدقه؛ لأنَّ الناس لا يُفَرِّطُون بأموالهم ولا يفرِّطون بما فيه قوام حياتهم. فإذا مَكَثَ وقال: أنا مُصَدِّقْ، وهو ما ذَهَبَ، ما أَتْبَعَهُ عمل، فلا يُسَمَّى مُصَدِّقًا في اللغة، ليس في الشرع، لا يسمى مُصَدِّقًا في اللغة.

ابن أبي العز الحنفي

...... وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق - بمنع الترادف بين التصديق والإيمان، وهب أن الأمر يصح في موضع، فلِمَ قلتم: إنه يوجب الترادف مطلقًا؟ وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان. ومما يدل على عدم الترادف: أنه يقال للمخبر إذا صدق: صدقه، ولا يقال: آمنه، ولا آمن به، بل يقال: آمن له، كما قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾. ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ﴾. وقال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ففرق بين المعدى بالباء والمعدّى باللام، فالأول يقال للمخبر به، والثاني للمخبر. ولا يرد كونه يجوز أن يقال: ما أنت بمصدق لنا؛ لأن دخول اللام لتقوية العامل، كما إذا تقدم المعمول، أو كان العامل اسم فاعل، أو مصدرًا، على ما عرف في موضعه.

فالحاصل أنه لا يقال: قد آمنته، ولا صدقت له، إنما يقال: آمنت له، كما يقال: أقررت له..

الشيخ صالح

ودلَّ على هذا الأصل قول الله ﷻ في قصة إبراهيم الخليل مع ابنه إسماعيل في سورة الصافات قال: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات:١٠٢- ١٠٣]، لاحظ العمل (فلمَّا) و(لمَّا) انتبه لكلمة (لمَّا)، ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات:١٠٣- ١٠٥]، رؤيا الأنبياء حق، إذا رآها النبي صدَّقَ بأنها وحي من الله ﷻ.

لكن متى صار مُصَدِّقًا بالرؤيا؟ لـمَّا امتثل دلالتها ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ وهذا تصديق لغوي وهو أيضًا تصديق شرعي.

إذًا فالإيمان في العُرْف - الحقيقة العرفية- ولو أرجعناه إلى التصديق فإنَّ حقيقة التصديق أن يكون معه عمل، فلا يُسَمَّى مُصَدِّقًا من ليس يعمل أصلاً فيما صدّق به.

التعليقات

....

..... فكان تفسيره بأقررت - أقرب من تفسيره بصدقت، مع الفرق بينهما ؛ لأن الفرق بينهما ثابت في المعنى ، فإن كل مخبر عن مشاهد أو غيب ، يقال له في اللغة: صدقت ، كما يقال له: كذبت. فمن قال: السماء فوقنا ، قيل له: صدقت. وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب ، فيقال لمن قال: طلعت الشمس: صدقناه ، ولا يقال: آمنا له ، فإن فيه أصل معنى الأمن ، والائتمان إنما يكون في الخبر عن الغائب ، فالأمر الغائب هو الذي يؤتمن عليه المخبر.

ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له - إلا في هذا النوع ؛ ولأنه لم يقابل لفظ الإيمان قط بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق ، وإنما يقابل بالكفر ، والكفر لا يختص بالتكذيب ، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك ، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك: لكان كفرًا أعظم ، فعلم أن الايمان ليس التصديق فقط ، ولا الكفر التكذيب فقط ، بل إذا كان الكفر يكون تكذيبًا ، ويكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب. فكذلك الإيمان ، يكون تصديقًا وموافقة وانقيادًا ، ولا يكفي مجرد التصديق ، فيكون الإسلام جزء مسمى الإيمان............

المسألة الثالثة:

يمكن أن يُضْبَطَ ما جاء في القرآن من استعمال الإيمان في الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية بضابط وهو أنه :

- إذا اقْتُرِنَ بالإيمان الأَمْن أو كانت الدِّلَالَةُ عليه فإنَّ المراد به سعة المعنى اللغوي.
- وإذا عُدِّيَ الإيمان باللام في القرآن أو في السنة فإنَّ المراد به الإيمان العرفي ؛ يعني اللُّغَوِي العرفي.
- وإذا عُدِّي الإيمان بالباء ، فإنه يراد به الإيمان الشرعي.

وهذه كل واحدة لها طائفة من الأدلة تَدُلُّ عليها.

① المعنى اللغوي: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ﴿ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾ هذا دلالة على عموم المعنى اللغوي.

التعليقات

...... ولو سلم الترادف، فالتصديق يكون بالأفعال أيضًا. كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «العينان تزنيان، وزناهما النظر، والأذن تزني، وزناها السمع» إلى أن قال: «والفرج يصدق ذلك ويكذبه».

وقال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال. ولو كان تصديقًا فهو تصديق مخصوص، كما في الصلاة ونحوها كما قد تقدم، وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييرًا له، فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق، بل بإيمان خاص، وصفه وبينه. فالتصديق الذي هو الإيمان، أدنى أحواله أن يكون نوعًا من التصديق العام، فلا يكون مطابقًا له في العموم والخصوص، من غير تغير اللسان ولا قلبه، بل يكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفًا من العام والخاص، كالإنسان الموصوف بأنه حيوان ناطق..

الشيخ صالح

② المعنى العرفي: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف:١٧]، لاحظ التعدية باللام ﴿ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾، ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت:٢٦]، ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [براءة:٦١] يعني النبي ﷺ ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا المعنى العرفي.

③ الإيمان الشرعي: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، لاحظ الباء، عُدِّيَ بالباء للدلالة الشرعية. لماذا اختلفت التعدية؟ لأَنَّ المطلوب اختلف. كيف؟

الإيمان اللغوي ما دام أَنَّهُ تصديق فتقول العرب: صَدَّقَ لفلان، تعديه باللام، صَدَّقَ لفلان، وتقول صَدَّقَ بكذا أيضا فتعديه بالباء.

لكن الإيمان الشرعي آمن بكذا -لاحظ التعدية مُضَمَّنٌ أَقَرَّ بكذا -أَقَرَّ تتعدى بالباء في اللغة أليس كذلك؟- أَقَرَّ بكذا، فتكون صحيحة، عمل بكذا صحيحة، صَدَّقَ بكذا صحيحة.

ولهذا لـمَّا عُدِّيَ الإيمان في اللغة بالباء علمنا أنه ضُمِّنَ المعنى الأصلي في اللغة وزيادة تصلح للتعدية بالباء. فالمعنى اللغوي يتعدى باللام، فلماذا عُدِّيَ بالباء تفريقًا ما بين الإيمان الشرعي والإيمان اللغوي؟ هو تضمين العمل للإيمان الذي هو زيادة على ما جاء في المعنى العُرفي.

التعليقات
....

..... ولأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه من لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم. ونقول: إن هذه لوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة، وتخرج عنه أخرى، أو إن اللفظ باقٍ على معناه في اللغة، ولأن الشارع زاد فيه أحكامًا، أو أن يكون الشارع استعمله في معناه المجازي، فهو حقيقة شرعية، مجاز لغوي، أو أن يكون قد نقله الشارع. وهذه الأقوال لمن سلك هذا الطريق.

وقالوا: إن الرسول قد وافقنا على معاني الإيمان، وعلمنا من مراده علما ضروريًا أن من قيل: إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان، مع قدرته على ذلك، ولا صلى، ولا صام، ولا أحب الله ورسوله، ولا خاف الله بل كان مبغضًا للرسول، معاديًا له يقاتله: أن هذا ليس بمؤمن. كما علمنا أنه رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع الإخلاص والعمل بمقتضاهما.........................

هذا كثير: في القرآن وفي اللغة أنه يأتي الفعل ويراد منه معنى، ثم تختلف التعدية بالحرف فيُضَمَّن الفعل معنى فعل آخر. سنضرب له مثالا حاضر عندكم جميعًا وإن كان الأمثلة كثيرة لكن لقربه منكم.

مثلاً تعلمون قول ابن القيم وابن تيمية وعدد من مشايخنا حفظ الله الجميع ورحم الأموات في قوله تعالى في المسجد الحرام: ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥]، قالوا هنا: ما معنى الإرادة ؟ الهم، يعني الهم الجازم. لماذا؟ قالوا: لأنَّ الإرادة بنفسها تَتَعَدَّى، الإرادة المعروفة تتعدى بنفسها، تقول: أردت الذهاب، أردت المجيء، أردت القراءة، ما تقول: أردت بالقراءة، فلما قال: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾، ما قال: ومن يرد فيه إلحادًا. بل قال: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾ علمنا أنَّ كلمة ﴿ يُرِدْ ﴾ هذه فيها فعل يناسب التعدية بالباء وهو هَمَّ. هَمَّ بكذا هَمَّ فلانٌ بكذا هذا الذي يناسب.

ولذلك فسره الأئمة بأنَّ المراد بالإرادة هنا الهم الجازم فيُؤَاخَذ عليه ولو لم يحقق الإرادة من كل وجه وإنما يَصْدُقُ عليه الهم ؛ إذا هَمَّ بالفعل، هَمَّ به صار داخلا في الفعل.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

........فقد قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. وقال أيضًا ﷺ: الحياء شعبة من الإيمان. وقال أيضًا ﷺ: أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا».

وقال أيضًا: ﷺ: «البذاذة من الايمان». فإذا كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى: إيمانًا، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج، والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه من شعب الايمان. وهذه الشعب، منها ما يزول الإيمان بزوالها اجماعًا، كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها اجماعًا، كترك إماطة الأذى على الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى. وكما أن شعب الإيمان إيمان، فكذا شعب الكفر كفر، فالحكم بما أنزل الله - مثلاً من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله كفر. وقد قال ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». رواه مسلم ....

الشيخ صالح

نرجع هنا في اللغة ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، يعني صَدَّقَ له، أَقَرَّ لَهُ، تقول: أنا أقررت لك، إيش أقول أقررت إياك؟ لا، أقررت بكذا؛ لكن لفلان، أقررت بفلان ولا أقررت لفلان ما قال؟ أقررت لفلان ما قال، ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ يعني صَدَّقَ له، أَقَرَّ له، إلى آخره. لاحظ هذا التصديق والإقرار الذي هو المعنى اللغوي؛ لكن جاء المعنى الشرعي في القرآن بزيادة عن التعدية باللام إلى التعدية بالباء قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦].

ما قال آمنوا لله ولرسوله مع أنه قال في النبي ﷺ: ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [براءة: ٦١]، وقال في لوط: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ قال: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ إلى آخره ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦].

التعليقات

....

...... وفي لفظ: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان». ومعناه - والله أعلم - أن الحب والبغض أصل حركة القلب، وبذل المال ومنعه هو كمال ذلك؛ فإن المال آخر المتعلقات بالنفس، والبدن متوسط بين القلب والمال، فمن كان أول أمره وآخره كله لله، كان الله إلهه في كل شيء، فلم يكن فيه شيء من الشرك، وهو إرادة غير الله وقصده ورجاؤه، فيكون مستكملاً الإيمان. إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل.

وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله في شأن الصحابة رضي الله عنهم: وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. فسمى حب الصحابة إيمانًا، وبغضهم كفرًا...

فإذًا دَلَّنا على أَنَّ هذا المعنى هو المعنى اللغوي، وزيادة عليه ما دخل فيه مما يناسب التعدية بالباء وهو العمل. تقول عملت بكذا يعني آمنت بكذا فعملت به، آمنت بأنَّ الأمر واقع فعملت به؛ يعني عَمِلْتَ بما آمنت، فلذلك دخلت زيادة تعدية بالباء لتدلنا على أنَّ العمل دخل في مسمى الإيمان أصلا، وهذه يأتي لها مزيد تفصيل في الأدلة إن شاء الله تعالى.

إذا تبين هذا فمن المهم في تأصيل هذه المسألة التي غَلِطَ فيها الكثيرون منذ نَشَأَتْ المرجئة، أن يُعرَفَ أنَّ الإيمان في اللغة في حقيقته تصديق وإقرار؛ لكن تصديق معه نوع عمل وليس لازمًا في حقيقته؛ لكن لا يُسَمَّى تصديقا حتى يكون معه عمل يأمن به، لصلته بالمعنى اللغوي العام.

أما في الشرع فهو إقرارٌ وتصديقٌ وعمل؛ لأنَّ الشرع جاء بزيادة على المعنى اللغوي في هذه المسألة العظيمة.

المسألة الرابعة:

تعريف الطحاوي لهذه المسألة وهي: (**وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ**)، هذا فيه إخراج العمل أن يكون موردًا للإيمان وقصر الإيمان من حيث المورد على الإقرار والتصديق، وهذا كما ذكرت لك مذهب مرجئة الفقهاء.

ابن أبي العز الحنفي

..... وما أعجب ما أجاب به أبو المعين النسفي وغيره، عن استدلالتهم بحديث شعب الإيمان المذكور، وهو: أن الراوي قال: بضع وستون أو بضع وسبعون، فقد شهد الراوي بفعله نفسه حيث شك فقال: بضع وستون أو بضع وسبعون، ولا يظن برسول الله ﷺ الشك في ذلك! وأن هذا الحديث مخالف للكتاب.

فطعن فيه بغفلة الراوي ومخالفته الكتاب. فانظر إلى هذا الطعن ما أعجبه! فإن تردد الراوي بين الستين والسبعين لا يلزم منه عدم ضبطه، مع أن البخاري رحمه الله إنما رواه: بضع وستون من غير شك. وأما الطعن بمخالفة الكتاب، فأين في الكتاب ما يدل على خلافه؟! وإنما فيه ما يدل على وفاقه، وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب..................

الشيخ صالح

والمرجئة في هذه المسألة لهم أقوال متعددة أشهرها قولان:

☝ قول جمهور المرجئة وهو أنَّ الإيمان هو التصديق، ولا يلزم معه إقرار.

✌ ثُمَّ مرجئة الفقهاء -وذهب إليه الماتريدية والأشاعرة وجماعة- أنَّ الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان.

وسُمُّوا مرجئة لِأنهم أرجئوا العمل عن مسمّى الإيمان؛ يعني أَخَّرُوهُ عن مسمى الإيمان، فجعلوا الإيمان متحققا بلا عمل. واستدلوا لمذهبهم بعدة أدلة من أشهرها قول الله ﷻ في آيات كثيرة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وهذا من أقوى أدلتهم على هذه المسألة، فعَطَفَ العمل على الإيمان، قالوا: فهذا يدل على التغاير ما بين العمل وما بين الإيمان؛ لأنه لو كان عمل الصالحات في الإيمان لما قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فلمَّا عَطَفَ العمل على الإيمان قالوا: دلَّنا على تأخير العمل وإرجاء العمل عن مسمى الإيمان.

والجواب: عن ذلك؛ يعني عن هذا الاستدلال بجواب مختصر ونرجئ الجواب المطول، الجواب عن ذلك أنَّ اللغة فيها:

① **العطف بالواو ويُرَادُ بالعطف بالواو التَّغايُر:**

التعليقات
....

ابن أبي العز الحنفي

...... وقالوا أيضًا: وهنا أصل آخر، وهو: أن القول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الأخر، فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة، وإذا بقي تصديق القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة!!

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد، لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة. قال ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب». فمن صلح قلبه صلح جسده قطعًا، بخلاف العكس..........................

الشيخ صالح

والتغاير:

❏ تارةً يكون تغاير ذوات: ومعناه أنك تقول مثلاً في اللغة: دخل محمد وخالد، فمحمد ذاته غير ذات خالد، هذا له حقيقة ذات وهذا له حقيقة، **هذا يسمى تغاير ذوات.**

❏ وتارةً يكون تغاير صفات.

تغاير الصفات: تقول عندي مُهَنَّدٌ وصارمٌ وحسام، والذي عندك سيفٌ واحد يعني الذي عند العربي سيفٌ واحدٌ، لكن يقول:

مُهَنَّدٌ من جهة وصفه أنه صُنِعَ في الهند. وصارمٌ مِن جهة شهرته وأنه يَصْرِم. وحسام من جهة أنه من وَقَعَ عليه حَسَمَهُ وقتله. منه في القرآن قال ﷻ في تغاير الصفات ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ١]، الكتاب هو القرآن، والقرآن هو الكتاب، عَطَفَ بالواو هل لتغاير الذوات، الكتاب شيء والقرآن شيء؟

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله، فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت، فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط.

تابع قوله: (والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق. والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى)...

الشيخ صالح

لا أحد يقول بهذا من المتقدمين لا أحد يقول بهذا، فصار التعاطف هنا لتغاير الصفات ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ نُظِرَ فيه إلى جهة كونه مكتوبًا باقيًا، ﴿ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني أنه يُقْرَأُ ويُنْظَرُ فيه إلى التلاوة والقراءة فهذا تغاير صفات.

② وتارةً يكون العطف بالواو لا لأجل التغاير ولكن تَغَايُرٌ ما بين الجزء والكل، وما بين العام والخاص: فيُعْطَف الخاص على العام ويعطف العام على الخاص، ومثاله قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨] ﴿ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ لاشك الملائكة غير الله ﷻ، الملائكة مخلوقة والرب ﷻ هو مالك الملك وخالق الخلق.

﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ الرسل منهم رسل من الملائكة، ومنهم رسل من ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، فالرسل هنا أعم من الملائكة؛ لأنَّ منهم الرسل من الملائكة ومنهم الرسل من البشر.

فإذًا هنا صار عطفًا: عَطْف الكلي على الجزئي. ثم قال: ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ جبريل وميكال من الرسل أو لا؟ من الرسل. من الملائكة؟ نعم. فعطفهم، هل حقيقة جبريل وميكال غير الملائكة؟ لا، هذا تغاير صحيح؛ ولكن تغايرٌ بين حقيقة الجزء والكل، والكل والجزء، وليس تغاير ذوات ولا تغاير صفات ولا تغاير حقيقة.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدًّا: منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾. ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾. ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ﴾. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾. ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾.

وكيف يقال في هذه الآية والتي قبلها: إن الزياده باعتبار زيادة المؤمن به؟ فهل في قول الناس: ﴿ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ زيادة مشروع؟ وهل في إنزال السكينة على قلوب المؤمنين زيادة مشروع؟ وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مرجعهم الحديبية ليزدادوا طمأنينة ويقينًا، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ﴾........................

الشيخ صالح

ومن هذا عَطْفُ الخاص على العام لأجل التغاير ما بين الجزء والكل بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾، ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [العصر: ٣]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦]، الآيات كثيرة آمنوا وعملوا الصالحات، عَطَفَ العمل على الإيمان لأجل هذا وإلا فهو داخل في حقيقته.

هنا لماذا تُخصُّ الخاص بالذكر بعد العام؟ لأجل التنبيه على شرفه. فالعرب تَعْطِفُ الخاص على العام وتغاير في هذا لأجل التنبيه على شرف ما ذُكِر؛ لأنك تقول مثلاً: جاءني المشايخ وسماحة الشيخ عبد العزيز، هل هو ليس من المشايخ؟ لكن هنا للتنبيه على شرفه أنه هو المقصود، جاءني المشايخ جميعًا وجاء المقصود أو المقدم فيهم إلى آخره تنبيهًا على شرفه ومنزلته إلى آخره.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وأما ما رواه الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله، في تفسيره عند هذه الآية، فقال: حدثنا محمد بن الفضل وأبو القاسم الساباذي، قالا: حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضل العابد، قال: حدثنا يحيي بن عيسى، قال: حدثنا أبو مطيع، عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم، عن أبي هريرة، قال: «جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: لا الإيمان مكمل في القلب، زيادته كفر، ونقصانه شرك». فقد سئل شيخنا عماد الدين ابن كثير رحمه الله عن هذا الحديث؟ فأجاب: بأن الإسناد من أبي ليث إلى أبي مطيع مجهولون لا يعرفون في شيء من كتب التواريخ المشهورة..........................

الشيخ صالح

فإذًا الاستدلال بهذا، هذا جواب مختصر ونذكر لكم بقية الأدلة والإجابة عليها فيما يأتي.

☜ أنا أردت بهذا التطويل اللغوي تأصيل المسألة لكم؛ لأنَّ مسألة الإيمان خاض فيها كثيرون في هذا العصر، كتبوا فيها كتابات سواء في الإيمان أو في التكفير، وهم لم يدركوا حقيقة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

فمنهم من أدخل مذاهب المرجئة في مذهب أهل السنة وقَصَر الكفر على التكذيب والإيمان على التصديق وإما قولاً أو باللازم.

ومنهم من ذهب إلى أنَّ الإيمان قول واعتقاد وأنَّ العمل ليس من الإيمان أصلاً كما هو قول المرجئة، والأقوال في هذا متعددة.

نسأل الله ﷻ أن يثبتني وإياكم على طريقة أئمتنا، وأن يَكُفَّ عنا الشر وأن لا يخذلنا وأن ينور بصائرنا وبصائر أحبابنا إنه جواد كريم.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وأما أبو مطيع، فهو: الحكم بن عبدالله بن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعمرو بن علي الفلاس، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني، وغيرهم. وأما أبو المهزم، الراوي عن أبي هريرة، وقد تصحف على الكتاب، واسمه: يزيد بن سفيان، فقد ضعفه أيضًا، غير واحد، وتركه شعبة بن الحجاج، وقال النسائي: متروك، وقد اتهمه شعبة بالوضع، حيث قال: لو أعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثًا!...

الشيخ صالح

قال ﷺ: (**وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ**) هذه الجملة من كلامه في تعريف الإيمان المقصود بها التعريف الشّرعي للإيمان عند الطحاوي ﷺ.

والذي دَلّتْ عليه الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة -أئمة أهل الحديث والسنة- أنَّ الإيمان قول وعمل.

وبعض أهل العلم يُعَبِّر بقوله: (**الإيمان قول وعمل ونية**) كما قالها الإمام أحمد في موضع؛ ويعني بالنية الإخلاص يعني الإخلاص في القول والعمل.

وهذا الأصل وهو أنَّ الإيمان قول وعمل وُضِّحَ بقول أهل العلم: **الإيمان اعتقادٌ بالقلب يعني بالجنان، وقولٌ باللسان وعملٌ بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان.** فشمل الإيمان إذًا فيما دلت عليه الأدلة هذه الأمور الخمسة، وهي: أنه اعتقاد، وأنه قول، وأنه عمل، وأنه يزيد، وأنه ينقص.

وتعريف الطحاوي للإيمان بقوله: (**هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ**) هذا تعريفٌ بالمقارنة مع ما سبق فيه قصور، وهو موافقٌ لما عليه الإمامُ أبو حنيفة ﷺ وأصحابُه، فإنهم لم يجعلوا العمل من مُسَمَّى الإيمان، وجعلوا الإيمان تصديق القلب وإقرار اللسان، وجعلوا الأعمال زائدة عن مُسَمَّى الإيمان مع كونها لابد منها ولازمة للإيمان.

فقول الطحاوي هذا ليس مستقيمًا مع معتقد أهل السنة والجماعة وأتباع أهل الحديث والأثر، وفيه قصور؛ **لأنه أخرجَ العمل عن تعريف الإيمان.**

التعليقات

...... وقد وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين. وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». والمراد نفي الكمال، ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان، وحديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السماوات والأرض سواء؟! وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان؟! وكلام الصحابة ﷺ في هذا المعنى كثير أيضًا. منه: قول أبي الدرداء رضي الله عنه: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص، وكان عمر ﷺ يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيمانًا، فيذكرون الله تعالى عز وجل. وكان ابن مسعود ﷺ يقول في دعائه: اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا.

وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة. ومثله عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه. وصح عن عمار بن ياسر ﷺ أنه قال: «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: إنصاف من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم» ذكره البخاري رحمه الله في صحيحه. وفي هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق..

وكون العمل من الإيمان له أدلةٌ كثيرة من الكتاب والسنة أظن أني قدمت لكم بعضها قبل رمضان: ومنها في هذا المقام قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ويعني بالإيمان الصلاة، فسمى الصلاة إيمانًا والصلاة عمل.

وقال أيضا ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾. وقال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. دلَّتْ الآية على أنّ الإيمان له حقيقةٌ هي الاعتقاد والإيمان بهذه الأركان الخمسة ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ فإذا كان العمل ناشئًا عن هذه، فإنه لا يُتَصَوَّر الانفكاك ما بين العمل والإيمان، ولهذا في آية البقرة ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ جَعَلَ العمل هو الإيمان؛ لأنّه منه ولأنه ينشأ عنه.

ابن أبي العز الحنفي

...... وأما كون عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة، فلا يكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان: فلا شك أن الإيمان تارة يذكر مطلقًا عن العمل عن الإسلام، وتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام. فالمطلق مستلزم للأعمال، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية. ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾الآية. ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، الحديث. «لا تؤمنوا حتى تحابوا»..

الشيخ صالح

فنفهم إذًا أنَّ قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ونحو ذلك، بما فيه عَطْف العمل على الإيمان -كما قدّمنا آنفًا- أنَّ هذا عَطْفُ الخاص بعد العام و عَطْفُ الجزء بعد الكل، وهذا كثير في القرآن وفي اللغة كما قدمته لك.

ومن السنة قول النبي ﷺ كما قال لوفد عبد القيس لما أتوه في المدينة قال: «آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» ثم فَسَّرَهُ بأركان الإيمان ثم قال «وأن تؤدوا الخُمْس من المغنم» وهذا -أداء الخُمْس- عمل فجعله تفسيرًا للإيمان.

وكذلك قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» فجعل الإيمان:

- له قولٌ مرتبط بالنطق.
- وله عمل الذي هو إماطة الأذى عن الطريق -يعني الذي هو نوع العمل-.
- وجَعَلَ له عمل القلب وهو الحياء.

ففي هذا الحديث مَثَّلَ النبي ﷺ شُعَب الإيمان بثلاثة أشياء منها القول ومنها الاعتقاد أو عمل القلب ومنها عمل الجوارح. ويأتي مزيدُ بيان لهذا الأصل في المسائل إن شاء الله تعالى.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... «من غشنا فليس منا». «من حمل علينا السلاح فليس منا». وما أبعد قول من قال: إن معنى قوله: «فليس منا» - أي فليس مثلنا! فليت شعري فمن لم يغش يكون مثل النبي ﷺ وأصحابه.

أما إذا عطف عليه العمل الصالح، فاعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب:

أعلاها: أن يكونا متباينين، ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءًا منه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾. ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾. وهذا هو الغالب..........

الشيخ صالح

ثُمَّ زيادة الإيمان ونقصانه دلَّ على الزيادة قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]، وكذلك قوله: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤]، وكذلك قوله: ﴿ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧]، ونحو ذلك مما فيه زيادة، وإذا كان فيه الزيادة فإنه لابد أن يكون فيه النقص بمقابل ما تُرِكَ مما يسبب الزيادة في الإيمان.

ولهذا بعض الصحابة لما ذَكَرَ زيادة الإيمان وذَكَرَ نقصانه قال: **إذا سبَّحْنَا الله وحمدناه وذكرناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا فذلك نقصانه.**

فزيادة الإيمان ونقصانه دل عليها قول الله ﷻ والسنة وقول الصحابة رضوان الله عليهم.

فمن هذا يتقرر أنَّ قول الطحاوي: (**وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ**) هذا يوافق قول مرجئة الفقهاء وهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الإمام المعروف، وأصحابه ممن أخرجوا العمل عن كونه جزءً من الماهيَّة؛ عن كونه ركنًا في الإيمان.

إذا تقرّر هذا فإنَّ في مسألة الإيمان مباحث كثيرة جدًا، وذلك لكثرة الخلاف في هذه المسألة وطول الكلام عليها وكثرة التصانيف التي صنفها السلف ومن بعدهم في هذه المسألة؛ لكن يمكن تقريب هذه المسألة لطالب العلم في مسائل:

المسألة الخامسة:

الإيمان يجمع:

☐ أولاً: الاعتقاد بالقلب، وهو الذي يسميه المرجئة -مرجئة الفقهاء- أو يسميه العامة التصديق.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... ويليه: أن يكون بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾.

الثالث: عطف بعض الشيء عليه، كقوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾. ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ ﴾.وفي مثل هذا وجهان:

أحدهما: أن يكون داخلاً في الأول، فيكون مذكورًا مرتين. والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلاً فيه هنا، وإن كان داخلاً فيه منفردًا، كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.............

الشيخ صالح

- ثانيًا: قول اللسان.
- ثالثًا: عمل الجوارح والأركان.
- رابعًا: الزيادة.
- خامسًا: النقصان.

هذه خمسة أشياء فيها اختلف المنتسبون إلى القبلة على أقوال:

⇦ القول الأول: هو أنَّ الإيمان تصديقٌ فقط، وهذا هو قول جمهور الأشاعرة، وهو أيضًا قول أبي منصور الماتريدي والماتريدية بعامة.

وهذا مبنيٌّ منهم على أنَّ القول ينشأ عن التصديق، وعلى أنَّ العمل ينشأ عن التصديق، فَنَظَرُوا إلى أصله في اللغة بحَسَبِ ظنهم، وإلى ما يترتّب عليه فجعلوه التصديق فقط.

واستدلوا له بعدة أدلة مما فيه أنّ الإيمان تصديق كقوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهذه أمور غيبية والإيمان بها يعني التصديق بها، وغير ذلك من الأدلة التي فيها حَصْر الإيمان بالغيبيات، والإيمان بالغيبيات يُفْهَم على أنه التصديق. وهؤلاء يُسَمَّونَ المرجئة، وهم المشهورون بهذا الاسم.

التعليقات

...... الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾.وقد جاء في الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط، كقوله:

فـــألفى قولهـــا كـــذبًا ومينًـــا

ومن الناس من زعم أن في القرآن من ذلك قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا ﴾.والكلام على ذلك معروف في موضعه.

فإذا كان العطف في الكلام يكون على هذه الوجوه، نظرنا في كلام الشارع: كيف ورد فيه الإيمان فوجدناه إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر، والتقوى، والدين، ودين الإسلام. ذكر في أسباب النزول أنهم سألوا عن الإيمان؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ الآيات............

ومن المرجئة طائفة غالية جدًا وهم الذين جعلوا الإيمان ليس التصديق بالقلب ولكن هو المعرفة بالقلب، وهو القول المنسوب إلى الجهمية وغلاة الصوفية كابن عربي ونحوِهِ ممن صنَّفوا في إيمان فرعون.

⇦ القول الثاني: من قال: إنَّ الإيمان قول باللسان فقط، وهؤلاء يُسَمَّونَ الكَرَّامِيَّة بالتشديد

الكَرَّامِيَّة يُنْسَبونَ إلى محمد بنِ كرّام، وهذا يقول: الإيمان هو الإقرار باللسان. لم؟ قال لأنَّ الله ﷻ جَعَلَ المنافقين مخاطبِينَ باسم الإيمان في آيات القرآن، فإذا نودي المؤمنون في القرآن فيدخُلُ في الخطاب أهل النّفاق، والمنافقون إنما أقرُّوا بلسانهم ولم يصدّقوا بقلوبهم فدخلوا في اسم الإيمان لهذا الأمر.

⇦ القول الثالث: هو مذهب مرجئة الفقهاء الذين قالوا: إنَّ الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان. وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، إقرارٌ باللسان وتصديق بالجنان، ويجعلونَ أنَّ الناس في التصديق -كما سيأتي- وفي أعمال القلوب أنهم واحد، فأعمال القلوب التي أصلها التصديق عندهم شيءٌ واحد، والعمل ليس من الإيمان عندهم يعني من حقيقة الإيمان وإن كان لا بد منه في تحقيق الإيمان، بخلاف أهل القولين السابقين يعني الماتريدية.

والأشاعرة والكرامية فإنهم يقولون: إنَّهُ لو وَافَى بلا عمل فإنه ناجٍ، لو لم يعمل قط فإنه ينجو. وأما مرجئة الفقهاء فيقولون: لابُدَّ لهُ مِنَ العمل فإذا ترك العمل فهو فاسقٌ، لكن [لا] يُدْخِلونَهُ في مُسَمَّى الإيمان.

ابن أبي العز الحنفي

...... قال محمد بن نصر: حدثنا إسحق بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، والملائي، قالا: حدثنا المسعودي، عن القاسم، قال: «جاء رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه، فسأله عن الإيمان؟ فقرأ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ إلى آخر الآية، فقال الرجل: ليس عن هذا سألتك، فقال: جاء رجل الى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فقرأ عليه الذي قرأت عليك، فقال له الذي قلت لي، فلما أبى أن يرضى، قال: إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها». وكذلك أجاب جماعة من السلف بهذا الجواب......................

الشيخ صالح

وأظن شبهتهم نَص أبي حنيفة في هذه المسألة وهو بَنَاهُ على أنَّ الذين خُوطِبُوا بالإيمان هم المؤمنون والمنافقون، والمنافقون ليس لهم عمل، عَمَلُهم باطل، وإنما أقرُّوا باللسان فقط، والمؤمنون مُصَدِّقونَ مُقِرُّون، فَجَمَعَ لهم ما بين -يعني بين الطائفتين- ما بين الإقرار باللسان والتصديق بالجنان؛ يعني في الخطاب الظاهر، وأما الأعمال فالحساب عليها آخر.

ومن أدلّتهم الأصل اللغوي الذي هو حَسَب ما قالوا أنَّ الإيمان هو التصديق، والإقرار أُخِذَ من زيادة في الشريعة؛ لأنه لابد من قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

⇦ القول الرابع: هو قول الخوارج والمعتزلة وهو أنَّ الإيمان: اعتقاد بالجنان أو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح. وهذا العمل عندهم بِكلِّ مأمورٍ به، والانتهاء عن كلِّ منهيٍ عنه. فما أُمِرَ به وُجُوبًا فيدخل في مسمى الإيمان بِمُفْرَدِهِ، وما نُهِيَ عنه تحريمًا فيدخل في مسمى الإيمان بمفرده. يعني أنَّ كلَّ واجبٍ يدخل في مسمى الإيمان على حِدَة، فيكون جزءًا وركنًا في الإيمان، وكلُّ محرمٍ في الانتهاء عنه يدخل في مسمى الإيمان بمفرده.

وبناءً على ذلك قالوا: فإذا تَرَكَ واجبًا فإنه يكفر، وإذا فعل محرمًا من الكبائر فإنه يكفر؛ لأنَّ جزء الإيمان وركن الإيمان ذَهَب. فعندهم أنَّ هذا العمل جزء واحد، إذا فقِدَ بعضه فقِدَ جميعه. وبين الخوارج والمعتزلة خلاف فيمن اِستحق النار بالآخرة ماذا يسمى في الدنيا؟ على القول المعروف عندهم:

- وهو عند الخوارج في الدنيا يُسَمَّى كافر.
- وعند المعتزلة هو في منزلة بين المنزلتين لا يقال مؤمن ولا يقال كافر.

مع اتفاقهم على أنه في النار مخلد فيها لانتفاء الإيمان في حقه.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

..... وفي الصحيح قوله لوفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ماالإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأنَ تؤدوا الخمس من المغنم». ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانًا بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان. وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود.

وفي المسند عن أنس، عن النبي ﷺ، أنه قال: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب». وفي هذا الحديث دليل على المغايرة بين الإسلام والإيمان.

ويؤيده قوله في حديث سؤالات جبريل، في معنى الإسلام والإيمان، وقد قال فيه النبي ﷺ: «هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم دينكم»........................

الشيخ صالح

⇦ القول الخامس: هو قول أهل الحديث والأثر وقول صحابة رسول الله ﷺ وهو أنَّ الإيمان: اعتقاد -ومن الاعتقاد التصديق-، وقول باللسان وهو إعلان لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعمل بالأركان وأنه يزيد وينقص. ويعنون بالعمل جنس العمل؛ يعني أنْ يكون عنده جنس طاعة وعمل لله ﷻ.

فالعمل عندهم الذي هو ركن الإيمان ليس شيئًا واحدًا إذا ذَهَبَ بعضه ذَهَبَ جميعه أو إذا وُجِدَ بعضه وُجد جميعه؛ بل هذا العمل مُركبٌ من أشياء كثيرة، لابد من وجود جنس العمل.

وهل هذا العمل الصلاة؟ أو هو أيُّ عملٍ من الأعمال الصالحة بامتثال الواجب طاعةً وترك المحرم طاعة؟ هذا ثَمَّ خلافٌ بين علماء الملة في المسألة المعروفة بتكفير تارك الصلاة تهاونًا أو كسلا.

الفرق ما بين مذهب أهل السنة والجماعة وما بين مذهب الخوارج والمعتزلة:

- أنَّ أولئك جعلوا تَرْكَ أي عمل واجب أو فعل أي عمل محرّم فإنه ينتفي عنه اسم الإيمان.

- وأهل السنة قالوا: العمل ركن وجزءٌ من الماهية؛ لكن هذا العمل أبعاض ويتفاوت وأجزاء، إذا فات بعضه أو ذهب جزء منه فإنه لا يذهب كله.

فيكون المراد من الاشتراط جنس العمل؛ يعني أن يُوجَدَ منه عملٌ صالح ظاهرًا بأركانه وجوارحه، يدلُّ على أنَّ تصديقه الباطن وعمل القلب الباطن على أنه استسلم به ظاهرًا.

التعليقات

....

...... فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان، فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة. لكن هو درجات ثلاثة: فمسلم، ثم مؤمن، ثم محسن. والمراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام قطعًا، كما أنه أريد بالإحسان ما ذكر مع الإيمان والإسلام، لا أن الإحسان يكون مجردًا عن الإيمان. هذا محال. وهذا كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾. والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد.

وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن فإنه معرض للوعيد. فأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإسلام. فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين. وهذا كالرسالة والنبوة، فالنبوة داخلة في الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها، فكل رسول نبي، ولا ينعكس................

الشيخ صالح

وهذا مُتَّصِلٌ بمسألة الإيمان والإسلام، فإنه لا يُتَصَوَّر وجود إسلام ظاهر بلا إيمان، كما أنه لا يُتَصَوَّر وجود إيمان باطن بلا نوع استسلام لله ﷻ بالانقياد له بنوع طاعةٍ ظاهرًا.

المسألة السادسة:

الطحاوي هنا تَرَكَ العمل؛ يعني ما ذَكَرَ العمل في مسمى الإيمان، وكما ذكرتُ لك أنَّ العمل عند أهل السنة والجماعة داخِلٌ في مسمى الإيمان وفي ماهيته وهو ركن من أركانه.

والفرق بينهما يعني بين قول مرجئة الفقهاء -وهو الذي قرَّرَهُ الطحاوي- وبين قول أهل السنة والجماعة أتباع الحديث والأثر، الفرق بينهما:

- من العلماء من قال: إنه صُورِي لا حقيقة له؛ يعني لا يترتب عليه خلافٌ في الاعتقاد.
- ومنهم من قال: لا، هو معنوي وحقيقي.

التعليقات

...... وقد صار الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال: فطائفة جعلت الإسلام هو الكلمة، وطائفةٍ أجابوا بما أجاب به النبي ﷺ حين سئل عن الإسلام والإيمان، حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة. وطائفة جعلوا الإسلام مرادفًا للإيمان، وجعلوا معنى قول الرسول ﷺ: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة»، الحديث: شعائر الإسلام.

والأصل عدم التقدير، مع أنهم قالوا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، ثم قالوا: الإسلام والإيمان لشيء واحد، فيكون الإسلام هو التصديق!

وهذا لم يقله أحد من أهل اللغة، وإنما هو الانقياد والطاعة، وقد قال النبي ﷺ: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت»..

الشيخ صالح

ولبيان ذلك؛ لأنَّ الشارح ابنِ أبي العز ﵀ على جلالة قدره وعُلُوِّ كعبه ومتابعته للسنة ولأهل السنة والحديث فإنه قَرَّرَ أنَّ الخلاف لفظي وصوري، وسبب ذلك أنَّ جهة النظر إلى الخلاف منفكّة:

- فمنهم من ينظر إلى الخلاف بأثرِهِ في التكفير.
- ومنهم من ينظر إلى الخلاف بأثرِهِ في الاعتقاد.

فمن نظر إلى الخلاف بأثرِهِ في التكفير قال الخلاف صوري، الخلاف لفظي.

لأنَّ الحنفية الذين يقولون هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان هم متّفقون مع أهل الحديث والسنة مع أحمد والشافعي على أنَّ الكفر والرِدَّة عن الإيمان تكون بالقول وبالاعتقاد وبالعمل وبالشك.

فهم متفقون معهم على أنَّ:

- ☐ من قال قولاً يخالف ما به دخل في الإيمان فإنه يكفر.
- ☐ ومن اعتقد اعتقادًا يخالف ما به دخل في الإيمان فإنه يكفر.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة. فليس لنا إذا جمعنا بينهم أن نجيب بغير ما أجاب النبي ﷺ.

وأما إذا أفرد اسم الإيمان فانه يتضمن الإسلام، وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمنًا بلا نزاع، وهذا هو الواجب، وهل يكون مسلمًا ولا يقال له: مؤمن؟ وقد تقدم الكلام فيه..............................

الشيخ صالح

- وإذا عمل عملاً ينافي ما دخل به في الإيمان فإنه يكفر.
- وإذا شَكَّ أو ارتاب فإنه يكفر.

بل الحنفية في باب حكم المرتد في كتبهم الفقهية أشد في التكفير من بقية أهل السنة مثل الحنابلة والشافعية ونحوهم. فهم أشد منهم، حتى إنهم كفَّرُوا بمسائل لا يُكَفَّرُ بها بقية الأئمة كقول القائل مثلا: سورة صغيرة فإنهم يُكفِّرون بها، أو مسيجد أو نحو ذلك أو إلقاء كتاب فيه آيات فإنهم يُكَفِّرون إلى آخر ذلك. فمن نَظَرَ -مثل ما نَظَر الشارح، ونَظَر جماعة من العلماء- من نَظَرَ في المسألة إلى جهة الأحكام وهو حكم الخارج من الإيمان قال:

الجميع متّفقون، سواءٌ كان العمل داخلاً في المسمى أو خارجًا من المسمى فإنه يكفُرُ بأعمال ويكفُرُ بترك أعمال. فإذًا لا يترتّب عليه على هذا النحو:

١ - دُخُولٌ في قول المرجئة الذين يقولون: بلا عَمَلٍ ينفع، ولا يَخْرُجُ من الإيمان بأي عَمَلٍ يعمله.

٢ - ولا يدخلون مع الخوارج في أنهم: يُكَفِّرونَ بأي عمل أو يترك أي واجب أو فعل أي محرم.

فمِنْ هذه الجهة إذا نُظِرَ إليها تُصُوِّرَ أنَّ الخلاف ليس بحقيقي؛ بل هو لفظي وصوري.

الجهة الثانية التي يُنْظَرُ إليها وهي أنَّ العمل -عمل الجوارح والأركان- هو مما أَمَرَ الله ﷻ به في أن يُعْتَقَدَ وجوبُهُ أو يُعْتَقَدَ تحريمه من جهة الإجمال والتفصيل.

يعني أنَّ الأعمال التي يعملها العبد لها جهتان:

① جهة الإقرار بها. ② وجهة الامتثال لها.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وكذلك هل يستلزم الإسلام الإيمان؟ فيه النزاع المذكور. وإنما وعد الله بالجنة في القرآن وبالنجاة من النار باسم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾..............................

الشيخ صالح

وإذا كان كذلك فإنَّ العمل بالجوارح والأركان، فإنه إذا عَمِلَ:

- فإما أن نقول: إنَّ العمل داخِلٌ في التصديق الأول؛ التصديق بالجنان.
- وإما أن نقول: إنه خارجٌ عن التصديق بالجنان.

فإذا قلنا: إنَّهُ داخلٌ في التصديق بالجنان -يعني العمل بالجوارح باعتبارِ أَنَّهُ إذا أَقَرَّ به امتثل- فإنه يكون التصديق إذًا ليس تصديقًا، وإنما يكون اعتقادًا شاملاً للتَّصديق وللعزم على الامتثال، وهذا ما خَرَجَ عن قول وتعريف الحنفية.

والجهة الثانية أنَّ العمل يُمتَثَلُ فعلاً فإذا كان كذلك كان التنصيص على دخول العمل في مسمى الإيمان هو مقتضى الإيمان بالآيات وبالأحاديث؛ لأنَّ حقيقة الإيمان فيما تُؤمِنُ به من القرآن في الأوامر والنواهي في الإجمال والتفصيل أَنَّكَ تؤمن بأنْ تَعْمَلَ، وتؤمن بأن تنتهي، وإلا فلو لم يدخل هذا في حقيقة الإيمان لم يحصل فرقٌ ما بين الذي دخل في الإيمان بيقين والذي دخل في الإيمان بنفاق.

يُبَيِّنُ لك ذلك أنَّ الجهة هذه وهي جهة انفكاك العمل عن الاعتقاد، انفكاك العمل عن التصديق هذه حقيقةٌ داخلةٌ فيما فَرَّقَ الله ﷻ به فيما بين الإسلام والإيمان.

ومعلومٌ أنَّ الإيمان إذا قلنا: إنَّهُ إقرارٌ وتصديق فإنه لابد له من إسلام وهو امتثال الأوامر والاستسلام لله بالطاعات.

لهذا نقول: إن مسألة الخلاف هل هو لفظي أو هو حقيقي راجعة إلى النظر في العمل. هل العمل داخلٌ امتثالاً فيما أمر الله ﷻ به أم لم يدخل امتثالا فيما أمر الله ﷻ به؟

التعليقات

..... وأما اسم الإسلام مجردًا فما علق به في القرآن دخول الجنة، لكنه فرضه وأخبر أنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه، وبه بعث النبيين، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

فالحاصل، أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم، كشيء واحد. كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له؛ إذ لا يخل المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به صح إسلامه. ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله وفي كلام الناس كثيرة، أعني في الإفراد والاقتران، منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذكر مفردًا في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾. ونظائره كثيرة.........

الشيخ صالح

والنبي ﷺ بَيَّنَ أنه يأمُرُ بالإيمان «آمركم بالإيمان بالله وحده»، والله ﷻ أمر بالإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ [النساء: ١٣٦]. فالإيمان مأمور به، وتفاصيل الإيمان بالاتفاق بين أهل السنة وبين مرجئة الفقهاء يَدْخُلُ شُعَب الإيمان، يَدْخُلُ فيها الأعمال الصالحة؛ لكنها تَدْخُلُ في المُسَمَّى من جهة كونها مأمورًا بها، فمن امتثل الأمر على الإجمال والتفصيل فقد حَقَّقَ الإيمان، وإذا لم يمتثل الأمر على الإجمال والتفصيل فإنه بعموم الأوامر لا يدخل في الإيمان.

وهذه يكون فيها النظر مُشْكِلاً من جهة:

هل يُتصوَّر أن يوجد أحد يؤمن بالإيمان، يؤمن بما أنزل الله ﷻ ولا يفعل خيرًا البتة، لا يفعل خيرًا قط، لا يمتثل واجبًا ولا ينتهي عن محرم مع اتساع الزمن وإمكانه؟

التعليقات
....

...... وإذا قرن بينهما كان الكافر من أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه. وكذلك لفظ البر والتقوى، ولفظ الإثم والعدوان، ولفظ التوبة والاستغفار، ولفظ الفقير والمسكين، وأمثال ذلك.

ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان، قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ﴾. ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾إلى آخر السورة. وقد اعترض على هذا بأن معنى الآية: ﴿ قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ انقدنا بظواهرنا، فهم منافقون في الحقيقة، وهذا أحد قولي المفسرين في هذه الآية الكريمة.........................

الشيخ صالح

في الحقيقة هذا لا يُتَصَوَّر أن يكون أحد يقول: أنا مؤمن ويكون إيمانه صحيحًا ولا يعمل صالحًا مع إمكانه، لا يعمل أي جنس من الطاعات خوفا من الله ﷻ، ولا ينتهي عن أي معصية خوفا من الله ﷻ، هذا لا يُتصَوَّر.

ولهذا حقيقةً المسألَةُ تَرْجِعُ إلى الإيمان بالأمر، الأمر بالإيمان في القرآن وفي السنة كيف يؤمن به؟ كيف يحققه؟ يحقق الإيمان بعمَلٍ، بِجِنْسِ العمل الذي يمتثل به، فَرَجَعَ إذًا أن يكون الامتثال داخل في حقيقة الإيمان بأمره، وإلا فإنه حينئذ لا يكون فرقًا بين من يعمل ومن لا يعمل.

لهذا نقول: إن الإيمان الحق بالنص، بالدليل يعني بالكتاب والسنة بالله وبرسوله ﷺ وبكتابه لابد له من امتثال، وهذا الامتثال لا يُتَصَوَّرُ أن يكون غير موجودٍ للمؤمن، أن يكون مؤمن ممكن أن يعمل ولا يعمل البتة.

وإذا كان كذلك، كان إذًا جزءًا من الإيمان لـ:

- أولا: لدخوله في تركيبه.
- والثاني: أنه لا يُتَصَوَّر في الامتثال للإيمان والإيمان بالأمر أن يؤمن ولا يعمل البتة.

إذًا فتحَصَّل من هذه الجهة أنّ الخلاف ليس صوريًا من كل جهة؛ بل ثَمَّ جهة فيه تكون لفظية، وثَمَّ جهة فيه تكون معنوية.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... وأجيب بالقول الآخر، ورجح، وهو أنهم ليسوا بمؤمنين كاملي الإيمان، لا أنهم منافقون، كما نفى الإيمان عن القاتل، والزاني، والسارق، ومن لا أمانة له. ويؤيد هذا سياق الآية، فإن السورة من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي، وأحكام بعض العصاة، ونحو ذلك، وليس فيها ذكر المنافقين.

ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا ﴾، ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾الآية، يعني - والله أعلم - أن المؤمنين الكاملي الإيمان، هم هؤلاء، لا أنتم، بل أنتم منتف عنكم الإيمان الكامل.

يؤيد هذا: أنه أمرهم، أو أذن لهم، أن يقولوا: أسلمنا، والمنافق لا يقال له ذلك، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام، كما نفى عنهم الإيمان، ونهاهم أن يمنوا بإسلامهم، فأثبت لهم إسلامًا، ونهاهم أن يمنوا به على رسوله، ولو لم يكن إسلامًا صحيحًا لقال: لم تسلموا، بل أنتم كاذبون، كما كذبهم في قولهم: ﴿ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾. والله أعلم بالصواب.........................

الشيخ صالح

والجهات المعنوية والخلاف المعنوي كثيرة متنوّعة، لهذا قد ترى من كلام بعض الأئمة من يقول: إنَّ الخلاف بين مرجئة الفقهاء وبين أهل السنة صوري؛ لأنهم يقولون: العمل شرط زائد لا يدخل في المسمى، وأهل السنة يقولون لا هو داخل في المسمى فيكون إذًا الخلاف صوري.

من قال: الخلاف صوري فلا يُظَن أنَّهُ يقول به في كل صُوَرِ الخلاف، وإنما يقول به من جهة النظر إلى التكفير وإلى ترتب الأحكام على من لم يعمل.

أما من جهة الأمر، من جهة الآيات والأحاديث والاعتقاد بها والإيقان بالامتثال فهذا لابد أن يكون الخلاف حينئذ حقيقيًا.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... وينتفي بعد هذا التقدير والتفصيل دعوى الترادف، وتشنيع من ألزم بأن الإسلام لو كان هو الأمور الظاهرة لكان ينبغي أن لا يقابل بذلك، ولا يقبل إيمان المخلص! وهذا ظاهر الفساد، فإنه قد تقدم تنظير الإيمان والإسلام بالشهادتين وغيرهما، وأن حالة الاقتران غير حالة الانفراد.

فانظر إلى كلمة الشهادة، فإن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، الحديث، فلو قالوا: لا إله إلا الله، وأنكروا الرسالة: ما كانوا يستحقون العصمة، بل لا بد أن يقولوا: لا إله إلا الله قائمين بحقها، ولا يكون قائما بـ لا إله إلا الله حق القيام، إلا من صدق بالرسالة، وكذا من شهد أن محمدًا رسول الله، لا يكون قائما بهذه الشهادة حق القيام، إلا من صدق هذا الرسول في كل ما جاء به.........................

الشيخ صالح

المسألة السابعة:

زيادَةُ الإيمان ونقصانُهُ اختلف فيها العلماء على أقوال:

القول الأول: وهو قول جمهور أهل العلم من أهل السنة ومن المرجئة ومن غيرهم، قول الجمهور من جميع الطوائف أنَّ الإيمان يزيد وينقُص.

القول الثاني: أنَّ الإيمان يزيد ولا ينقُصْ، وهذا منسوبٌ إلى بعض أئمة أهل السنة؛ لأنَّ الدليل دلَّ على زيادته وهذا أمْرٌ لا يدخله القياس، فلا نقول بنقصانه لعدم ورود الدليل في ذلك.

القول الثالث: من قال: إنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهو قول طائفة من المرجئة ومن غيرهم.

ولا ارتباط ما بين الإرجاء والخلاف في الثلاثة الأركان الأولى وما بين القول بزيادة الإيمان وبنقصانه.

تارَةً تجد من ذهب إلى أحد الأقوال يقول بزيادته ونقصانه ومن ذهب إليه لا يقول بزيادته ونقصانه.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

..... فتضمنت التوحيد وإذا ضممت شهادة أن لا إله إلا الله إلى شهادة أن محمدًا رسول الله - كان المراد من شهادة أن لا إله إلا الله ثبات التوحيد، ومن شهادة أن محمدًا رسول الله إثبات الرسالة.

كذلك الإسلام والإيمان: إذا قرن أحدهما بالآخر، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾..............

الشيخ صالح

يعني مثلاً الأشاعرة الذي هم مرجئة والماتريدية منهم من يقول بزيادته ونقصانه ومنهم من لا يقول بذلك لعدم ترتبها على حقيقة الإيمان، هذا أمر زائد أَدْخَلُوهُ في البحث. فإذًا لا أثر في الخلاف في مسألة زيادته أو نقصانه على كونه مرجئًا.

فإذا قال أحد: (الإيمان ما يزيد ولا ينقص) فإن هذا لا يدل على كونه مثلاً مرجئًا؛ لكنَّهُ يدل على أنه ليس من أهل السنة. إذا قال: (الإيمان نقول بزيادته ونقصانه) فهذا لا يدل على أنه من أهل السنة والجماعة، بل قد يكون مرجئًا. فلا ارتباط بين مسألة الزيادة والنقصان ومسائل التعريف السالفة للإيمان.

المسألة الثامنة:

عرَّف الإيمان بقوله **إقرارٌ باللِّسانِ، وتصديقٌ بالجَنَانِ**، وقلنا في التعريف اعتقاد بالجنان. والفرق ما بين التصديق والاعتقاد:

أنَّ التصديق شيء واحد؛ بمعنى أَنَّهُ أمْرٌ واحد، عِبَادَةٌ واحدة.

وأما الاعتقاد فإنه يشمل أشياء كثيرة من أعمال القلوب.

لهذا قالت طائفة من السّلف في تعريف الإيمان: **(الإيمان قول وعمل)** وهذا دقيق؛ لأنه يشمل قول القلب وقول اللّسان.

(قول القلب) هو تصديقه وإخلاصه في الله ﷻ.

(وقول اللّسان) هو إعلانه الشّهادة.

وعَمَل: يشمل عمل القلب **وعمل الجوارح**.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

...... وقوله ﷺ: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت» كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر.

وكما قال ﷺ: «الإسلامَ علانية، والإيمان في القلب». وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه، وكما في الفقير والمسكين ونظائره، فإن لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، فهل يقال في قوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ أنه يعطى المقل دون المعدم، أو بالعكس؟ وكذا في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.......................................

الشيخ صالح

(**وعَمَلُ القلب**) من محبة الله ﷻ والتوكل عليه والخوف منه ﷻ ورجاؤه والإنابة إليه وخشية الرّب ﷻ ونحو ذلك من أعمال القلوب.

فإذًا ما يتّصِلُ بالقلب من أمور الإيمان ليست شيئًا واحدًا، ليس هو التصديق فقط، بل ثَمَّ أشياء كثيرة في القلب، والتصديق هو أحدها.

ولهذا فإنَّ التفاضل -الزيادة والنقصان- زيادةٌ ونقصان باعتبار العمل الظاهر، وزيادة ونقصان باعتبار عمل القلب الباطن.

فالناس يتفاوتون في الإيمان من جهة:

١ - زيادته ونقصانه في أعمالهم الظاهرة وهي أمور الإسلام: من الصلاة والزكاة والصيام والحج والاستسلام لله ﷻ في الأوامر والانقياد ونحو ذلك والانتهاء من المحرمات.

٢ - وكذلك أعمال القلوب.

وأعمال القلوب نوعان:

- ☐ أعمالٌ واجِبَةُ الفعل.
- ☐ وأعمالٌ مُحَرَّمَةُ العمل أو واجبة الترك.

أما واجبة الفعل مثل: محبة الله ﷻ، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخشيته، والخوف منه، والطمأنينة له، ونحو ذلك من أعمال القلوب.

التعليقات

....

ابن أبي العز الحنفي

...... ويندفع أيضًا تشنيع من قال: ما حكم من آمن ولم يسلم؟ أو أسلم ولم يؤمن؟ في الدنيا والآخرة؟ فمن يثبت لأحدهما حكمًا ليس بثابت للآخر ظهر بطلان قوله! ويقال له في مقابلة تشنيعه: أنت تقول: المسلم هو المؤمن، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فجعلهما غيرين، وقد قيل لرسول الله ﷺ: «مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمنًا؟ قال: أو مسلمًا»، قالها ثلاثًا، فأثبت له الإسلام وتوقف في اسم الإيمان، فمن قال: هما - كان مخالفًا، والواجب رد موارد النزاع إلى الله ورسوله. وقد يتراءى في بعض النصوص معارضة، ولا معارضة بحمد الله تعالى، ولكن الشأن في التوفيق، وبالله التوفيق..............

الشيخ صالح

وما يجب تركه من أعمال القلوب المحرمات، محرمات أعمال القلوب التي هي الكِبْر والبَطَر وتزكية النفس وسوء الظن بالله ﷻ ونحو ذلك، هذه كلها يجب تركها.

فإذًا أعمال القلوب مشتملة على:

١ - تصديق.

٢ - ومشتملة على أمور واجبٌ أن يعملها القلب، وأمور واجب أن ينتهي عنها القلب.

وهذه كلها في الحقيقة متصلة؛ فالتصديق مُتَأثِرٌ زيادَةً ونُقْصَانًا بأعمال القلوب.

فأعمال القلوب تؤثر على تصديقه، فأعمال القلوب الواجبة إذا زادت محبته لله ﷻ زاد تصديقه، إذا زادت إنابته إلى الله وزاد خشوعه وخضوعه بين يدي الله وزاد توكله على الله ﷻ زاد تصديقه وزاد يقينه.

وكذلك إذا انتهى عن المحرمات، خضع لله ﷻ، لم يكن مُتكبرًا، ذليلاً لله ﷻ، غير مترفع على الخلق، مُحِبًّا لسلامته -سلامة قلبه-، مُبْتَعِدًا عما يفسد القلب، هذه كلها مؤثرة في تصديقه.

التعليقات

ابن أبي العز الحنفي

.... تابع قوله: (والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق. والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى).

وأما الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦] - على ترادف الإسلام والإيمان، فلا حجة فيه؛ لأن البيت المخرج كانوا متصفين بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما.

والظاهر أن هذه المعارضات لم تثبت عن أبي حنيفة رضي الله عنه، وإنما هي من الأصحاب، فإن غالبها ساقط لا يرتضيه أبو حنيفة! وقد حكى الطحاوي حكاية أبي حنيفة مع حماد بن زيد، وأن حماد بن زيد لما روي له حديث: أي الإسلام أفضل الى آخره، قال له: ألا تراه يقول: أي الإسلام أفضل، قال: الإيمان، ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان؟ فسكت أبو حنيفة، فقال بعض أصحابه: ألا تجيبه يا أبا حنيفة؟ قال: بما أجيبه؟ وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ.

ومن ثمرات هذا الاختلاف: مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول أي الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله. والناس فيه على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط، منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار، وهذا أصح الأقوال........................

الشيخ صالح

وكذلك إذا انتهى عن المحرمات، خضع لله ﷻ، لم يكن مُتكبرا، ذليلاً لله ﷻ، غير مترفع على الخلق، مُحِبًّا لسلامته -سلامة قلبه-، مُبْتَعِدًا عما يفسد القلب، هذه كلها مؤثرة في تصديقه.

التعليقات

......أما من يوجبه فلهم مأخذان:

أحدهما: أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمنًا أو كافرًا باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به، قالوا: والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرًا: ليس بإيمان، كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال، والصيام الذي في صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم، وعند هؤلاء أن الله يحب في الأزل من كان كافرًا إذا علم منه أنه يموت مؤمنًا، فالصحابة ما زالوا قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد! وليس هذا قول السلف، ولا كان يقول بهذا من يستثنى من السلف في إيمانه، وهو فاسد، فإن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾، فأخبر أنهم يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط المحبة، والمشروط يتأخر عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة. ثم صار إلى هذا القول طائفة غلوا فيه، حتى صار الرجل منهم يستثني في الأعمال الصالحة، يقول: صليت إن شاء الله! ونحو ذلك، يعني القبول.

ثم صار كثير منهم يستثنون في كل شيء، فيقول أحدهم: هذا ثوب إن شاء الله! هذا حبل إن شاء الله! فإذا قيل لهم: هذا لا شك فيه؟ يقولون: نعم، لكن إذا شاء الله أن يغيره غيره!!.........................

الشيخ صالح

فإذًا رجع الأمر في زيادة الإيمان وفي نقصانه إلى زيادة الإيمان في أركانه الثلاثة ونقصان الإيمان في أركانه الثلاثة.

فإذًا زيادة الإيمان (**يزيد بطاعة الرحمن**) يعني:

- يزيد التصديق أو الاعتقاد بطاعة الرحمن.

التعليقات

...... المأخذ الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار: فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين، القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقربين! وهذا مع تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال.

وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر، كما سنذكره إن شاء الله تعالى. ويحتجون أيضًا بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾.

وقال ﷺ حين وقف على المقابر: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. وقال أيضًا: إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله». ونظائر هذا.

وأما من يحرمه، فكل من جعل الإيمان شيئًا واحدًا، فيقول: أنا أعلم أني مؤمن، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون في إيمانهم الشكاكة. وأجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾. بأنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول فلا شك فيه!......

الشيخ صالح

- يزيد الإقرار باللسان بطاعة الرحمن.
- يزيد العمل بالأركان أيضًا بطاعة الرحمن.

فزيادة الإيمان راجعةٌ للثلاثة جميعًا.

التعليقات

..... وقيل: لتدخلن جميعكم أو بعضكم ؛ لأنه علم أن بعضهم يموت!

وفي كلا الجوابين نظر: فإنهم وقعوا فيما فروا منه، فأما الأمن والخوف فقد أخبر أنهم يدخلون آمنين، مع علمه بذلك، فلا شك في الدخول، ولا في الأمن، ولا في دخول الجميع أو البعض، فإن الله قد علم من يدخل فلا شك فيه أيضًا.

فكان قول: إن شاء الله هنا تحقيقًا للدخول، كما يقول الرجل فيما عزم على شيء أن يفعله لا محالة: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يحنث الحالف في مثل هذه اليمين؛ لأنه لا يجزم بحصول مراده.

وأجيب بجواب آخر لا بأس به، وهو: أنه قال ذلك تعليمًا لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن مستقبل.

وفي كون هذا المعنى مرادًا من النص - نظر فإنه ما سيق الكلام إلا أن يكون مرادًا من إشارة النص.

وأجاب الزمخشري بجوابين آخرين باطلين، وهما: أن يكون الملك قد قاله، فأثبت قرآنًا! أو أن الرسول قاله!!

فعند هذا المسكين يكون من القرآن ما هو غير كلام الله! فيدخل في وعيد من قال: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾. نسأل الله العافية.......................

الشيخ صالح

لأنَّ الزيادة: تارةً تكون بالعمل الظاهر مثل زيادة صلاة، زيادة صدقة، زيادة بر، زيادة جهاد في سبيل الله، طلب علم ونحو ذلك، فيَرْجِعُ هذا إلى التصديقِ وإلى الإقرار بزيادة.

التعليقات

....

.... وأما من يجوز الاستثناء وتركه، فهم أسعد بالدليل من الفريقين، وخير الأمور أوسطها: فإنْ أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منه من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه.

وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢، ٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾.

فالاستثناء حينئذ جائز.

وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقًا للأمر بمشيئة الله، لا شكًا في إيمانه.

وهذا القول في القوة كما ترى.......................................

فيكون تصديقه واعتقاده أكثر وأعظم وأمتن وأثبت وكذلك إقراره.

وهذا يُحِسُّهُ الإنسان من نفسه فإنه إذا زاد إيمانه زاد لَهَجُهُ بذكر ربه ﷻ تهليلاً وتسبيحًا وتحميدًا وتكبيرًا وتمجيدًا.

المسائل كثيرة نرجئ البقية إلى موضعٍ آتٍ إن شاء الله.

...... وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ(١)...........

ابن أبي العز الحنفي

..... قوله: (وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق).

يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة، القائلين بأن الأخبار قسمان: متواتر وآحاد، فالمتواتر - وإن كان قطعي السند - لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين!! ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات!

قالوا: والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها! فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية، سموها قواطع عقلية، وبراهين يقينية!! وهي في التحقيق ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]...........

الشيخ صالح

قال بعدها: (وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ) وهذا يعني به أنَّ المؤمن لا يُفرِّقُ بين كلام الله ﷻ ولا بين السُّنن، فكل ما جاء في الكتاب أو صح عن رسول الله ﷺ في أمور العقيدة والشريعة هذا يجب التسليم له، وكله حق يجب الإيمان به، وذلك كما قال ﷻ في وصف اليهود: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾ [البقرة: ٨٥] الآية.

التعليقات

(١) الشيخ الألباني: قلت: يعني دون تفريق بين ما كان منه خبر آحاد أو تواتر ما دام أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه والتفريق بينهما إنما هو بدعة وفلسفة دخيلة في الإسلام مخالف لما كان عليه السلف الصالح والأئمة المجتهدون كما حققته في رسالتي (وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين) وهي مطبوعة مشهورة.

قلت: هذا على ما تقدم من قوله في الإيمان أنه إقرار وتصديق فقط وقد عرفت أن الصواب فيه أنه متفاوت في أصله وأن إيمان الصالح ليس كإيمان الفاجر. فراجعه..............................=

ابن أبي العز الحنفي

..... ومن العجب ، أنهم قدموها على نصوص الوحي ، وعزلوا لأجلها النصوص ، فأقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص ، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية. ولو حكّموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح ، الموافق للفطرة السليمة.

بلٍ كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته ، وما ظنه معقولاً: فما وافقه قال: إنه محكم ، وقبله واحتج به! !وما خالفه قال: إنه متشابه ، ثم رده ، وسمى رده تفويضًا! أو حرفه ، وسمى تحريفه تأويلاً!! فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم...

الشيخ صالح

وكذلك قوله: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وكذلك قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٠].

فالواجب هو الإيمان بجميع ما أنزل الله ﷻ على رسوله في القرآن ، وما صَحَّ عن رسول الله ﷺ في السنة ، فالكل حق صَدَرَ عن مشكاة واحدة ، عن الرب ﷻ وتقدست أسماؤه.

التعليقات

= الشيخ الفوزان : هذا كلام طيب ، كل ما صح عن رسول الله ﷺ فهو حق ، بخلاف من يقولون: إن ما ورد عن رسول الله ﷺ ينقسم إلى متواتر وآحاد ، فلا يأخذون إلا بالمتواتر ، ويقولون: أحاديث الآحاد تفيد العلم ، ولا تفيد اليقين ، ولا يستدل بها في العقيدة ، وهذا باطل ، فكل ما صح عن النبي ﷺ متواترًا أو آحادًا ، فإنه يفيد العلم ، وتبنى عليه العقيدة ؛ لأنه صح عن الرسول ﷺ ، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ ، فإذا صح عن النبي ﷺ حديث عمل به في كل شيء ، بشرط أن يكون قد صح عن النبي ﷺ ، فهناك طوائف الآن يشككون في السنة ؛ منهم من يقول: لا يجوز العمل بالسنة مطلقًا ، ويكفي العمل بالقرآن فقط ، وهناك من يقول: يؤخذ من السنة المتواتر فقط ، وكلا الطائفتين ضال.

فالواجب على المسلم أن يعتقد أن كل ما صح عن النبي ﷺ فهو حق ، والرسول ﷺ عمل بخبر الواحد في وقائع كثيرة ؛ رؤية الهلال ؛ جاءه ابن عمر وأخبره بأنه رأى الهلال فأمر الناس بالصيام ، وجاءه أعرابي وأخبره أنه رأى الهلال فقال له: «أتشهد أن لا إله إلا الله؟ أتشهد أن محمدًا رسول الله؟» قال: نعم ، فأمر النبي ﷺ الناس بالصيام ، وهو خبر واحد ، كان الرسول ﷺ يرسل رسله آحادًا ، وما كان يرسل جماعات ، والمرسل إليهم يعملون بما بلغهم المندوب عن الرسول ﷺ.

ابن أبي العز الحنفي

...... وطريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوه بمعقول، ولا قول فلان، كما أشار إليه الشيخ رحمه الله. وكما قال البخاري رحمه الله: سمعت الحميدي يقول: كنا عند الشافعي رحمه الله، فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟! فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة! تراني في بيعة! تراني على وسطي زنار؟! أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟! ونظائر ذلك في كلام السلف كثير. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقًا له: يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر. ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع، كخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما الأعمال بالنيات»، وخبر ابن عمر رضي الله عنهما: «نهى عن بيع الولاء وهبته»، وخبر أبي هريرة: «لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»، وكقوله: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»، وأمثال ذلك. وهو نظير خبر الذي أتى مسجد قباء وأخبر أن القبلة تحولت الى الكعبة، فاستداروا إليها.

وكان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحادًا، ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون: لا نقبله لأنه خبر واحد! وقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾.

فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه؛ لئلا تبطل حججه وبيناته.

ولهذا فضح الله من كذب على رسوله في حياته وبعد وفاته، وبين حاله للناس. قال سفيان بن عيينة: ما ستر الله أحدًا يكذب في الحديث...........

الشيخ صالح

التعليقات

...... وقال عبد الله بن المبارك: لو هم رجل في البحر أن يكذب في الحديث، لأصبح والناس يقولون: فلان كذاب.

وخبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب - ولكن التفريق بين صحيح الأخبار وسقيمها لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته مشتغلاً بالحديث، والبحث عن سير الرواة، ليقف على أحوالهم وأقوالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحدًا في كلمة يتقولها على رسول الله ﷺ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك. وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل إليهم، فهم ترك الإسلام وعصابة الإيمان، وهم نقاد الأخبار، وصيارفة الأحاديث. فإذا وقف المرء على هذا من شأنهم، وعرف حالهم، وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم: ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه.

ومن له عقل ومعرفة يعلم أن أهل الحديث لهم من العلم بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره، ما ليس لغيرهم به شعور، فضلاً أن يكون معلومًا لهم أو مظنونًا. كما أن النحاة عندهم من أخبار سيبويه والخليل وأقوالهما ما ليس عند غيرهم، وعند الأطباء من كلام بقراط وجالينوس ما ليس عند غيرهم، وكل ذي صنعة هو أخبر بها من غيره، فلو سألت البقال عن أمر العطر، أو العطار عن البز، ونحو ذلك!! لعد ذلك جهلاً كبيرًا.

ولكن النفاة قد جعلوا قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ مستندًا لهم في رد الأحاديث الصحيحة، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم، وما وضعته خواطرهم وأفكارهم - ردوه بـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، تلبيسًا منهم وتدليسًا على من هو أعمى قلبًا منهم، وتحريفًا لمعنى الآي عن مواضعه.........

الشيخ صالح

التعليقات

...... ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله، ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام، أنه يقتضي إثباتها التمثيل بما للمخلوقين! ثم استدلوا على بطلان ذلك بـ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تحريفًا للنصين!!

ويصنفون الكتب، ويقولون: هذا أصول دين الإسلام الذي أمر الله به وجاء من عنده، ويقرون كثيرًا من القرآن ويخوضون معناه إلى الله تعالى، من غير تدبر لمعناه الذي بينه الرسول، وأخبر أنه معناه الذي أراده الله.

وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب الأول على هذه الصفات الثلاث، وقص ذلك علينا من خبرهم لنعتبر ونـنزجر عن مثل طريقتهم. فقال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، إلى أن قال: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

والأماني: التلاوة المجردة، ثم قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

فذمهم على نسبة ما كتبوه إلى الله، وعلى اكتسابهم بذلك، فكلا الوصفين ذميم: أن ينسب إلى الله ما ليس من عنده، وأن يأخذ بذلك عوضًا من الدنيا مالاً أو رياسة. نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل، في القول والعمل، بمنه وكرمه.

ويشير الشيخ رحمه الله بقوله: (من الشرع والبيان). إلى أن ما صح عن النبي ﷺ نوعان: شرع ابتدائي، وبيان لما شرعه الله في كتابه العزيز، وجميع ذلك حق واجب الإتباع........................

Sharh El-tahawia



جمهورية مصر العربية ـ القاهرة

١٢درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر

هاتف: ٢٥٠٦١٩٠٣/٠٠٢٠٢ تليفاكس: ٢٥٠٦١٦٢٠/٠٠٢٠٢

جوال: ٠٠٢٠١٠١٧٦٧٢٣٩٨ - ٠٠٢٠١٠٣٣٥٠٦٩٧

E-mail:dar_ebnelgawzy@yahoo.com

